مكتبة المحبة

تفسير الكتاب المقدس



تفسير إنجيل متى

الجزء الاول

تأليف
متى هنرى

ترجمة
القمص مرقس داود

تفسير الكتاب المقدس

إنجيل متى

تأليف

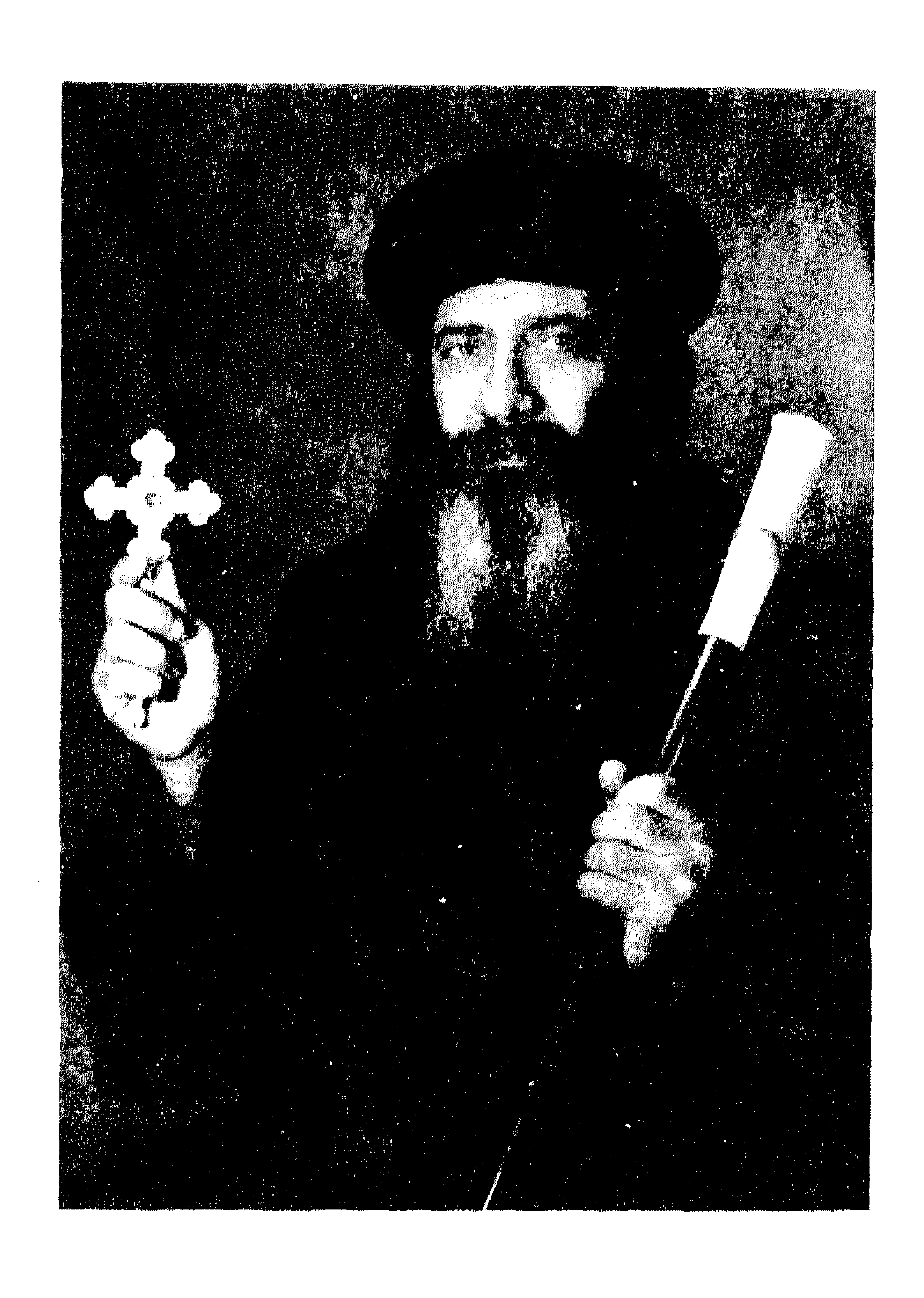
متى هنرى

تعريب

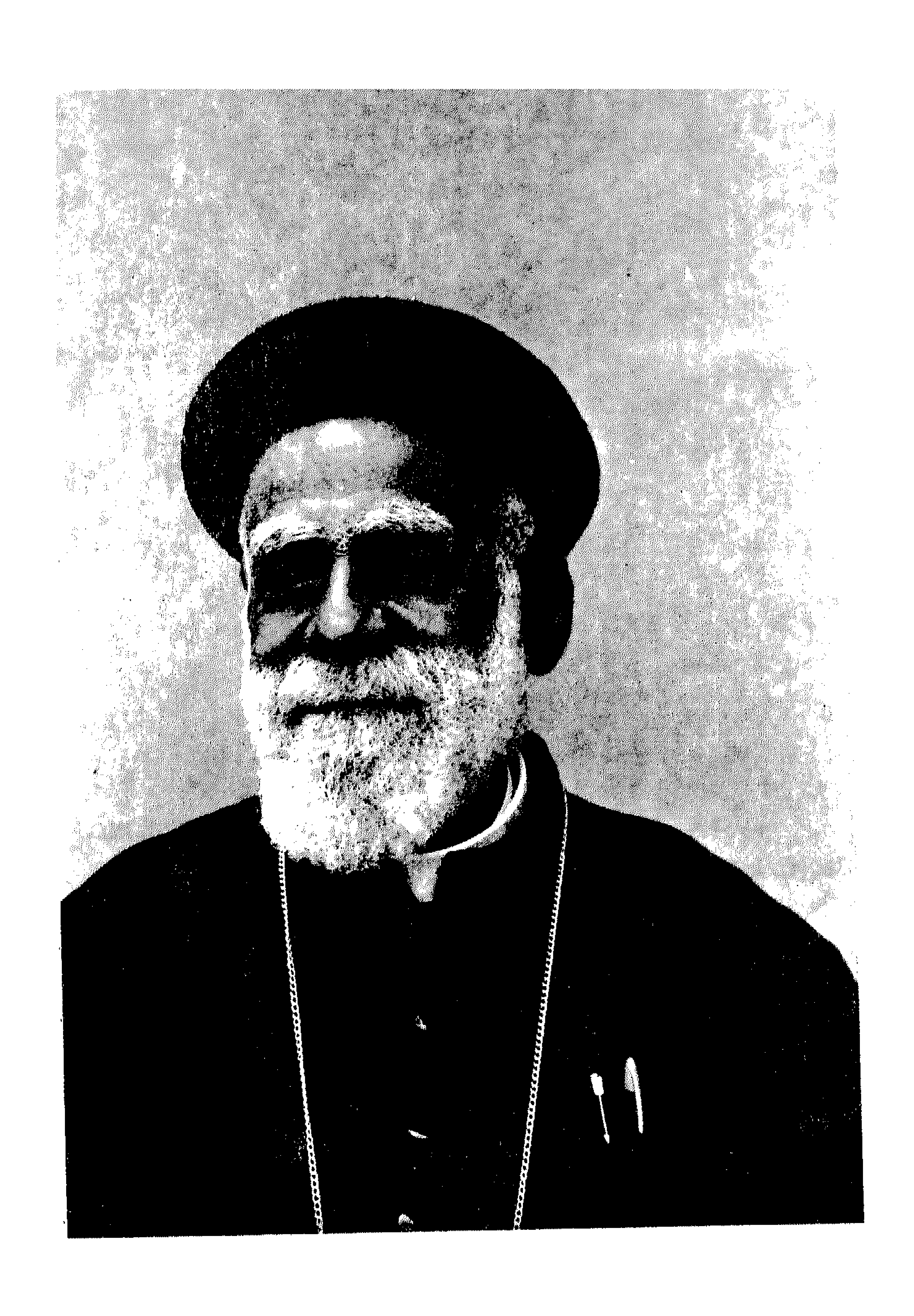
القمص مرقص داود



٣٠ ش كامل صدقى بالفجالة
ت ٩٢٩٢٩٤ - ٩٠٣٨٢٥



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



القمص مرقص داود

مقدمة المعرب

باسم الآب والابن والروح القدس ، إله واحد ، آمين

بدأت فى أول ينـاير ١٩٢٢ فى نشر ترجمة لتفسير بعض أسفار الكتاب المقدس للكاتب المعروف « متى هنرى » . وأصدرت تباعاً تفسيراً لخمسة أسفار

ولما اشتد ضغط الخدمة علىّ فى نواح أخرى بحيث لم تترك لى الوقت الكافى للاستمرار فى نشر هذا التفسير ، ولما ارتفعت تكاليف الطبع واصبحت عاجزاً عن تحمل النفقات اللازمة فى حدود ماليتى الضعيفة وقتئذ ، توقفت عن هذه الخدمة وأنا فى أشد حالات الألم إذ كنت أعتبرها بركة لنفسى قبل أن تكون بركة لغيرى

وفى كل مدة التوقف هذه كان الاخوة المحبوبون الغيورون يرجون و يلحون فى الرجاء لكى أستأنف اصدار هذا التفسير . وإذ اشتد الالحاح أخيراً من بعض أعضاء كنيسة مارمرقس بشبرا التى انتدبتنى نعمة الله للخدمة فيها رأيت أن أصدر هذا السفر الذى اضعه بين يدى القدير متوسلا إليه أن يرافقه بعمل الروح القدس فى قلب كل من يتصفحه ، ومبتهلا إليه أن يستخدمه لمجد إسمه وخلاص النفوس ،

القمص مرقس داود

انجيل متى

المجلد الأول

مقدمة لانجيل متى

أمامنا الآن :

(١) « كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح » وهذه هي التسمية التي تطلق على الجزء الثاني من كتابنا المقدس . « العهد الجديد » أو « الوصية الجديدة » حسب الترجمة الانكليزية ، والكلمة الأصلية تحتمل المعنيين .

وإذا ما تحدثنا عنها (كما هو الحال هنا) على أساس أنها تعني أعمال المسيح كانت كلمة « الوصية » هي الأقرب للدلالة على المعنى المقصود ، لأن المسيح هو الموصي (أي تارك الوصية) ، والوصية لا قوة لها إلا بعد موت الموصي ، وهذا ما فعله المسيح « لأنه حيث توجد وصية يلزم موت الموصي . لأن الوصية ثابتة على الموتى إذ لا قوة لها البتة ما دام الموصي حياً » عب ٩ : ١٦ و١٧ .

كما أنه لا توجد هنالك اتفاقية سابقة بين الطرفين (كما هو الحال في أمر العهود أو المعاهدات) لأن المنح الموهوبة تتوقف على رغبة الموصي وحرية ارادته الكاملة .

وكل النعم التي يتضمنها هذا الكتاب مصدرها يسوع المسيح كربنا ومخلصنا . وما لم نقبله كربنا فلا يمكننا انتظار أية بركة منه كمخلصنا .

وقد دعي عهداً « جديداً » لتمييزه عن ذاك الذي أعطي بواسطة موسى وأصبح الآن عتيقاً ، وللدلالة على أنه سيبقى جديداً على الدوام ، لا يأتي عليه اليوم الذي يصبح فيه عتيقاً ، ولا يأتي عليه اليوم الذي يصبح فيه أنه قد فات وقته وأوانه .

تتضمن هذه الأسفار توضيحاً كاملا للنعمة التي ظهرت والمخلصة لجميع الناس (تي ٢ : ١١) وفوق ذلك فهي تتضمن الوسيلة التي بها تصل هذه النعمة الى جميع المؤمنين وتستقر عليهم . بأي حرص نحن نحتفظ بالوصية الأخيرة التي تركها لنا أي صديق خلف لنا فيها ثروة طائلة وعبر فيها تعبيراً قوياً عن محبته لنا ، وبأي اهتمام ولذة نحن نقرأها . إذاً فما أثمن هذا العهد الذي لربنا الذي يضمن لنا كل غناه الذي لا يستقصى .

إنه عهده هو، لأنه ولو كان قد كتبه غيره (اذ ليس لدينا أسفار قد دونها المسيح نفسه) إلا أنه هو الذى أملاه ، وفى الليلة السابقة لموته نراه فى رسم فريضة العشاء الربانى قد أمضاه وختمه وصادق عليه بحضور اثنى عشر شاهداً. فإنه ولو لم تكتب هذه الأسفار الا بعد موته ببضع سنوات لفائدة الأجيال المتعاقبة كتذكار دائم الا أن العهد الجديد الذى لربنا يسوع المسيح قد وضع وتأيد وتثبت وأعلن منذ موته كوصية شفوية غير مكتوبة تتفق تمام الاتفاق مع هذه الاسفار. إن الأخبار التى دونها لوقا كانت « متيقنة » عنده ، ولذلك كانت معروفة له تمام المعرفة قبل تدوينها ، ولكن بعد تدوينها أصبح لا لزوم للتعاليم الشفوية ، وأصبحت هذه الأخبار المكتوبة هى مستودع ذلك العهد الجديد . هذا ما تتضمنه التسمية المدونة فى كثير من النسخ اليونانية « كل العهد الجديد » أو « كل ما يتضمنه » . فيه أعلنت« **كل** مشورة الله » فيما يختص بخلاصنا أع ٢٠ : ٢٧ . وكما أن « ناموس الرب كامل » كذلك انجيل المسيح كامل ، ولا يزاد عليه شيء . إن كل الانجيل بين ايدينا ويجب أن لا ننتظر انجيلا آخر.

(٢) وأمامنا « الأناجيل الأربعة » . معنى « الانجيل » أو « البشارة » الأخبار الطيبة أو السارة . وهذا التاريخ المدون فيها عن مجيء المسيح إلى العالم ليخلص الخطاة هو بلا شك أفضل الأخبار التى أتت من السماء إلى الأرض ، قال عنها الملاك « ها أنا أبشركم بفرح عظيم » أو « أحمل اليكم بشارة بهيجة وأخباراً سارة » لو ٢ : ١٠ وإشعيا سبق أن تنبأ عنها أش ٥٢ : ٧ ، ٦١ : ١ . فى هذه الآيات تنبأ إشعيا بأنه فى عصر المسيح سيبشر بالخير. إن الانجيل هو كلمة الله أو رسالة الله ، والله هو مصدر كل خير وصلاح ، اذاً فهذه الرسالة هى رسالة الخير.

يطلق على العهد الجديد كله لفظة « إنجيل » . فبولس يدعوه « انجيلى » لأنه كان أحد الذين كرزوا به . فليت كل واحد منا يجعله انجيله بقبوله من كل القلب والخضوع له . على أن الأسفار الأربعة التى تتضمن تاريخ الفادى نسميها عادة « الأناجيل الأربعة » كما نسمى كاتبيها « الانجيليين » . كان ينبغى أن تؤسس تعاليم المسيح على أخبار ميلاده وحياته ومعجزاته وموته وقيامته . لأنها إذ ذاك تظهر فى نورها الكامل . فان أقوى الحقائق هى ما كانت مؤسسة على الأمر الواقع . والتاريخ المقدس ، سواء فى العهد القديم او العهد الجديد ، هو خير ما يعلن لنا الحق المقدس

هذه الأناجيل الأربعة قبلتها وأقرتها الكنيسة الأولى وكانت تقرأ فى اجتماعات المسيحيين كما يتضح من كتابات الشهيد يوستينوس وايريناوس اللذين عاشا فى القرن الثانى للميلاد ، واللذين صرحا بأن الكنيسة لم تقبل أكثر ولا أقل من هذه الأناجيل الأربعة . وحوالى ذلك الوقت الذى عاش فيه هذان البطلان قام تاتيان بوضع ملخص لهذه الأناجيل الأربعة وسماه « دياطسرون » (انجيل الاناجيل الاربعة) . وفى الجيلين الثالث والرابع زورت أناجيل متعددة

واحد باسم بطرس وآخر باسم توما وثالث باسم فيلبس الخ . ولكن الكنيسة لم تقبلها ولم تصادق عليها .

(٣) وأمامنا « انجيل متى » . كان « متى » بحسب المولد يهودياً وبحسب العمل « عشاراً » حتى دعاه المسيح لاتباعه ، وعندئذ « ترك مكان الجباية » وتبعه وصار واحداً من أتباعه الذين رافقوه « كل الزمان الذى فيه دخل الرب يسوع وخرج ، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه » أع ١ : ٢١ و٢٢ . إذاً فقد كان شاهداً جديراً بأن تقبل شهادته عن كل ما دونه هنا . و يقال إنه كتب انجيله بعد صعود المسيح بثمان سنوات . و يقرر الكثيرون أنه كتبه باللغة العبرانية أو السريانية . ولكن الارجح أنه كتب باللغة اليونانية كسائر اسفار العهد الجديد . لأنه لم يشأ كتابته بتلك اللغة التى كانت محصورة فى اليهود الذين كانت كل من كنيستهم ومملكتهم على وشك الزوال ، بل بتلك اللغة التى كانت منتشرة فى كل أرجاء العالم والتى كانت أكثر لياقة لانتشار معرفة المسيح فى كل أمم الأرض . ولكن لعله وجدت نسخة منه باللغة العبرانية كتبها متى نفسه فى ذات الوقت الذى كتب فيه النسخة اليونانية لكى يرسل العبرانية إلى اليهود واليونانية إلى الامم عندما ترك اليهودية للكرازة بين الأمم . وعلى أى حال فنحن نشكر الله لأن هذا الانجيل قد وصل الينا ، ووصل الينا باللغة التى نفهمها .

الاصحاح الاول

يبدأ متى بشارته بالتحدث عن سلالة المسيح ومولده ، عن أسلافه الذين تحدر منهم وعن كيفية دخوله الى العالم ، لكى يوضح بأنه هو المسيا الموعود به ، لانه سبق أن تنبىء بأنه سيكون ابن داود وأنه سيولد من عذراء . وهذا ما يؤكده متى هنا حيث يبين (١) تسلسله من ابراهيم فى ٤٢ جيلا مقسمة إلى ثلاث حقبات كل حقبة ١٤ جيلا ع ١ — ١٧ (٢) ظروف مولده لكى يوضح أنه ولد من عذراء ع ١٨ — ٢٥

١ — كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابرهيم ٢ — ابرهيم
ولد اسحق . واسحق ولد يعقوب . و يعقوب ولد يهوذا واخوته ٣ —
ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد حصرون . وحصرون
ولد أرام ٤ — وأرام ولد عميناداب . وعميناداب ولد نحشون . ونحشون
ولد سلمون ٥ — وسلمون ولد بوعز من راحاب . و بوعز ولد عوبيد من
راعوث . وعوبيد ولد يسى — ٦ و يسى ولد داود الملك . وداود الملك
ولد سليمان من التى لأوريا ٧ — وسليمان ولد رحبعام . ورحبعام ولد
أبيا وأبيا ولد آسا ٨ — وآسا ولد يهوشافاط ويهوشافاط ولد يورام و يورام
ولد عزيا ٩ — وعزيا ولد يوثام . و يوثام ولد أحاز. وأحاز ولد حزقيا
١٠ — وحزقيا ولد منسى . ومنسى ولد آمون . وآمون ولد يوشيا ١١ —
و يوشيا ولد يكنيا واخوته عند سبى بابل ١٢ — و بعد سبى بابل يكنيا
ولد شالتئيل وشالتئيل ولد زربابل ١٣ — وزربابل ولد ابيهود . وابيهود
ولد الياقيم . والياقيم ولد عازور— ١٤ وعازور ولد صادوق . وصادوق
ولد أخيم . وأخيم ولد أليود ١٥ — وأليود ولد أليعازر. واليعازر ولد
متان . ومتان ولد يعقوب ١٦ — و يعقوب ولد يوسف رجل مريم التى
ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ١٧ — فجميع الأجيال من ابرهيم الى

داود أربعة عشر جيلا . ومن داود الى سبى بابل أربعة عشر جيلا . ومن سبى بابل الى المسيح أربعة عشر جيلا

في سلسلة نسب المسيح هذه نلاحظ :

(١) تسميتها : قيل عنها « **كتاب ميلاد يسوع المسيح** » أى كتاب أسلافه حسب الجسد . أو الكتاب الذى يحدثنا عن رواية ميلاده . إنه كتاب التكوين . يبدأ العهد القديم بكتاب تكوين العالم وهذه هى مفخرته ، أما مفخرة العهد الجديد فإنها تفوق تلك لأنه يبدأ بكتاب ميلاد من كوّن العالم . إنه كان « مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » ميخا ٥ : ٢ ولن يستطيع كائن من كان أن يتحدث عن هذه المخارج وهذا التحدر والتسلسل . ولكنه كأنسان أرسل فى « ملء الزمان مولوداً من أمرأة » غل ٤ : ٤ ، وعن هذا التحدر والتسلسل يتحدث الآن متى البشير .

(٢) القصد الرئيسي : منها إنها ليست سلسلة لا حد لها ولا لزوم اليها ، وليست الزهو والفخر العالى كسلسلة نسب عظماء العالم . ولكن القصد منها إثبات أن الرب يسوع هو « **ابن داود وابن ابرهيم** » ع ١ ولذلك فهو من تلك العشيرة التى كان يجب أن يأتى منها المسيا . كان كل من ابرهيم وداود فى يومه أعظم من اؤتمن على الوعد الخاص بمسيا . أعطى الوعد بالبركة لإبرهيم ونسله ، والوعد بالملك لداود ونسله ، فعلى كل الذين يريدون أن يتمتعوا بالمسيح كابن ابرهيم الذى « فيه تتبارك جميع قبائل الأرض » أن يكونوا من رعيته المخلصين الأمناء كابن داود الذى له تخضع جميع قبائل الأرض . لقد وعد ابرهيم أن يأتى المسيح من نسله (تك ١٢ : ٣ ، ٢٢ : ١٨) ، ووعد داود أن يأتى المسيح من نسله (٢ صم ٧ : ١٢ ، مز ٨٩ : ٣ الخ ، مز ١٣٢ : ١١) ولذلك فما لم يقم الدليل على أنه ابن داود وابن ابرهيم فلا يمكن الاعتراف به بأنه المسيا . وهذا ما يبرهنه متى هنا من سجلات اليهود الموثوق بها . كان اليهود يدققون التدقيق كله فى الاحتفاظ بسلسلة أنسابهم ، وكان للعناية الالهية دخل كبير فى هذه الناحية ، وذلك لاثبات تحدر المسيح من الآباء . و بعد مجيئه تشتتت تلك الأمة واضطربت أحوالها حتى أصبح من المتعذر جداً لأى شخص منها فى العالم أن يثبت إثباتاً مقنعا بأنه ابن إبرهيم . وعلى أى حال فإنه من المؤكد أنه لا يستطيع أى إنسان أن يثبت انه ابن هارون أو ابن داود ولذلك فإما أن نسلم بأن الوظيفة الكهنوتية الملكية قد تلاشت نهائياً أو أنها سلمت ليد الرب يسوع .

قيل عن يسوع هنا أولا بأنه « ابن داود » لأنه كثيراً ما تحدث عنه الأسلاف بهذا الإسم ، وبهذا الاسم كانوا ينتظرونه . فالذين إعترفوا به بأنه المسيح دعوه « ابن داود » مت ١٥ :

٢٢ ، ٢٠ : ٣١ ، ٢١ : ١٥ . إذاً فإن متى يأخذ على عاتقه أن يثبت هنا أن المسيح لم يكن مجرد ابن من أبناء داود بل ذلك الإبن الذى « توضع الرياسة على كتفه » ، وليس مجرد ابن من أبناء ابرهيم بل ذلك الإبن الذى يجب أن يكون « أباً لشعوب كثيرة »

وفى دعوة المسيح « ابن داود ابن ابرهيم » يبين متى أن الله أمين لمواعيده وأنه يقيم كل كلمة نطق بها

١ — ولو كان فى ذلك تأخير طويل لا تمامه . عندما وعد الله ابرهيم أن يعطيه إبنا يكون بركة للعالم كله ، لعله ظن أنه هو ابنه المباشر ، ولكنه اتضح أنه بعد إثنين وأربعين جيلا بعد نحو ٢٠٠٠ عاما . وهكذا يستطيع الله أن يخبر بما سيحصل بعد مدة طويلة كهذه ، وهكذا يتمم الله — أحياناً — ما سبق أن وعد به منذ مدة طويلة كهذه .

(ملاحظة) إن الإبطاء فى النعم الموعود بها لا يضعف وعد الله ولو أنه يزيدنا صبراً وانتظاراً .

٢ — ولو بدأ اليأس يتسرب إلى نفوسنا من اتمام مواعيده . أن « ابن داود ابن ابرهيم » هذا الذى كان يجب أن يكون مجداً لبيت أبيه ولد عندما كان نسل إبرهيم شعباً محتقراً ، وكان منذ عهد قريب قد خضع للنير الرومانى ، وعندما كان بيت داود يكاد يتوارى فى بحر النسيان ، لأن المسيح كان يجب أن يكون « كعرق من أرض يابسة » أش ٥٣ : ٢ .

(ملاحظة) إن الله يتم مواعيده فى الوقت الذى يصبح فيه إتمامها مستحيلا .

(٣) الترتيب الخاص الذى يراعيه فى سرد تلك السلسلة مبتدئا من إبرهيم فنازلا حسب الأنساب الواردة فى بدء سفرى أخبار الأيام — على قدر ما يسمح به المدى فى هذه السلسلة — وهنا نرى فائدة ذلك الترتيب الخاص .

وفى سلسلة الأنساب هذه نلاحظ عدة ملاحظات :

١ — من بين أسلاف المسيح بعض أشخاص كان لهم إخوة ، ومما يلاحظ بصفة عامة أن المسيح لم ينحدر إلا من الأخ الصغير أو الأصغر كابراهيم نفسه و يعقوب ويهوذا وداود وناثان و يسى وذلك لكى يبين أن سمو المسيح لم ينشأ من بركة البكورية كعظماء الأرض بل من إرادة الله الذى بحسب ناموس عنايته « يرفع المتضعين » لو ١ : ٥٢ « و يعطى الناقص كرامة أفضل » ١ كو ١٢ : ٢٤ .

٢ — و بالإضافة الى يهوذا (الذى أتى منه شيلون) وهو أحد أبناء يعقوب ذكر أيضاً إخوته « **يهوذا وإخوته** » . لم يذكر شيء عن إسماعيل ابن إبرهيم ، أو عيسو ابن اسحق ، لأنهما قد أبعدا عن الكنيسة ، بينما ذكر كل أبناء يعقوب لأنهم ولو لم يدخلوا ضمن سلسلة نسب المسيح إلا أنهم كانوا « رؤساء الآباء » (أو بطاركة) فى الكنيسة (أع ٧ : ٨) ، ولذلك ذكروا هنا فى هذه السلسلة تشجيعاً للا ثنى عشر سبطاً الذين فى الشتات ، لكى يدركوا أن لهم حق التمتع . بالمسيح كيهوذا وأن علاقتهم به كعلاقة يهوذا به .

٣ — وذكر أيضاً « **فارص وزارح** » ابنا يهوذا التوأمان ، مع أن فارص وحده هو الذى يدخل ضمن حلقات السلسلة . والسبب فى ذلك هو نفس السبب فى ذكر إخوة يهوذا . و يظن البعض أن السبب فى ذلك هو أن ولادة فارص وزارح كانت ترمز إلى قبول اليهود والأمم . فإن زارح وقت الولادة أخرج يداً أولا كالإبن البكر ولكنه إذ رد يده خرج فارص قبله فصار البكر. والكنيسة اليهودية — كزارح — وصلت أولا إلى حقوق البكور ية ، ولكنها إذ ردت يدها بسبب عدم الإيمان خرجت كنيسة الأمم كفارص ونالت حقوق البكور ية ، وهكذا نرى « أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم » ثم يولد زارح « وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » رو ١١ : ٢٥ و٢٦

٤ — ونلاحظ أنه ذكرت أسماء أربع نساء ، أربع فقط ، كانت اثنتان منهن غر يبتان عن رعو ية إسرائيل وهما راحاب الكنعانية الزانية ، وراعوث الموآبية لأنه « فى المسيح يسوع ليس يونانى ولا يهودى » ، « والغرباء والنزلاء » يصيرون فى المسيح « رعية مع القديسين » وكانت الاثنتان الأخريان زانيتين : ثامار و بتشبع . وهذا دليل آخر على تواضع الرب يسوع ، فإنه لم ينحدر من أشخاص خطاة كهؤلاء فقط بل قد حرص الوحى على تدو ين أسمائهم دون أن يحاول إخفاءها . إنه لبس « شبه جسد الخطية » (رو ٨ : ٣) وهو يقبل أشر الخطاة عند توبتهم و ير بطهم بأوثق الروابط بشخصه .

(ملاحظة) لا يليق بنا أن نعير الآخر ين بسبب شرور آبائهم وأجدادهم ، فهذا أمر لا حيلة لهم ولا دخل لهم فيه ، وهذا كان نصيب أفاضل البشر ، بل كان نصيب السيد نفسه . وإن كان متى قد ذكر بأن « **داود الملك ولد سليمان من التى لأور يا** » فذلك لكى يبين أن تلك الخطية بعد توبتها عنها لا يمكن أن تعطل الوعد الذى أعطى له ، وليس ذلك فقط بل إن الله قد ارتضى أن يتم ذلك الوعد عن طر يق تلك المرأة عينها .

٥ — ومع أنه قد ذكرت أسماء ملوك كثير ين إلا أنه لم يذكر عند أحدهم صراحة بأنه ملك إلا داود « **داود الملك** » ع ٦ ، لأنه معه قطع عهد الملكية ، وله أعطى وعد ملكوت المسيا الذى لهذا السبب قيل عنه أنه يرث « كرسى داود أبيه » لو ١ : ٣٢ .

٦ ــ ونلاحظ أنه أغفل ذكر ثلاثة من ملوك يهوذا بين يورام وعزيا ع ٨ وهم أخزيا و يوآش وأمصيا ، ولذلك فعندما يقال إن « **يورام ولد عزيا** » يكون معنى ذلك ــ حسب اصطلاح اليهود ــ أن عزيا تحدر من يورام كما قيل لحزقيا « و يؤخذ من بنيك الذين يخرجون منك الذين تلدهم فيكونون خصياناً فى قصر ملك بابل » (٢ مل ٢٠ : ١٨) بينما كان بينه و بين بنيه الذين وقفوا فى قصر ملك بابل أجيال عديدة .

لم يغفل الرسول ذكر أسماء هؤلاء الملوك عن طريق الخطأ أو السهو، ولكن لعلها لم ترد فى قوائم النسب التى رجع اليها متى والتى أقرها اليهود . والبعض يعللون ذلك بأن متى قصد أن يقسم هذه السلسلة الى ثلاثة أقسام ، يشتمل كل قسم أسماء أربعة عشر من جدود المسيح وذلك تسهيلا لحفظها فى الذاكرة ، فاضطر أن يحذف ثلاثة أسماء فى هذه الحقبة ، ولم يجد من يليق حذف أسمائهم سوى هؤلاء الملوك الثلاثة وهم النسل المباشر لتلك المرأة الشريرة عثليا التى نقلت عبادة أخاب الوثنية النجسة إلى بيت داود وجلبت عليه وصمة العار هذه التى لا تمحى فافتقد الرب هذا الإثم الى الجيل الثالث والرابع . وهؤلاء الثلاثة ماتوا قتلا .

٧ ــ و يلاحظ البعض أن فى هذه السلسلة مزيجاً بين الصالحين والطالحين . فمثلا فى ع ٧ و٨ نجد أن رحبعام الشرير ولد أبيا الشرير، وأبيا الشرير ولد آسا الصالح ، واسا الصالح ولد يهوشافاط الصالح ، ويهوشافاط الصالح ولد يورام الشرير. إن النعمة لا تجرى فى الدم وكذلك الخطية أيضاً . فالنعمة هى نعمة الله يعطيها لمن يشاء .

٨ ــ إن سبى بابل يذكر كعصر له أهميته فى هذه السلسلة ع ١١ و١٢ . لقد كان عجيباً أن يحفظ نسل اليهود فى هذا السبى ولا يبيد كما بادت الشعوب الأخرى . وهنا يتضح لنا السبب فى حفظ هذا الشعب سليما ، لأن منه كان يجب أن يأتى المسيح حسب الجسد . « لا تهلكه لأن فيه بركة » بل بركة البركات ــ الرب يسوع المسيح نفسه (أش ٦٥ : ٨ و٩) . لقد كانت عودتهم من أجل المسيح ، ولقد أضاء الرب بوجهه على مقدسه الخرب « من أجل السيد » (دا ٩ : ١٧) .

٩ ــ وذكر عن « **يوشيا** » أنه « **ولد يكنيا وإخوته** » ع ١١ والمقصود بيكنيا هنا يهو ياقيم ابن يوشيا البكر. ولكن إذا ما ذكر فى ع ١٢ بأن « **يكنيا ولد شالتئيل** » فالمقصود بكنيا هنا هو ابن يهو ياقيم الذى حمل إلى بابل وهناك ولد شالتئيل كما يرجح بعض المفسرين . وعندما يقال عن يكنيا (أو كنياهو) بأنه « عقيم » أى عديم النسل (أر ٢٢ : ٣٠) فإنها تفسر بعد ذلك فى نفس الآية « لا ينجح من نسله أحد » .

وقيل هنا إن « شالتئيل ولد زربابل » مع أن شالتئيل ولد فدايا وهذا ولد زربابل (١

أى ٣ : ١٩) ولكن كما قدمنا طالما ذكر عن الحفيد بأنه ابن . ولعل فدايا مات فى حياة ابيه . ولذلك قيل عن زربابل إنه ابن شالتئيل .

١٠ ــ وتنتهى السلسلة لا عند مريم أم الرب بل عند « **يوسف رجل مريم** » ع ١٦ لأن اليهود كانوا يرجعون فى أنسابهم إلى الذكور ومع ذلك فقد كانت كل من مريم و يوسف من سبط واحد وعشيرة واحدة ، ولذا فقد كان المسيح من بيت داود سواء من جهة أمة أو أبيه الشرعى . ومع ذلك فإن الحلقة التى تربطه بهذه السلسلة هى يوسف الذى لم تكن له به صلة فعلية حسب الجسد ، ومن ذلك يتبين أن ملكوت المسيا لم يؤسس على ميراث طبيعى لداود .

١١ ــ والنقطة التى تلتقى فيها هذه الحقبات هى « **يسوع الذى يدعى المسيح** » ع ١٦ هذا هو الذى كانت تترقبه الأجيال بفارغ الصبر ، هذا كان مشتهى كل الأمم ، هذا هو الذى كان قبلة أنظار الآباء البطاركة الأولين عندما كانوا يبتغون أن يرزقوا أولاداً لكى يدمجوا ضمن سلسلة النسب المقدسة . شكراً لله لأننا الآن لسنا فى حالة انتظار مظلمة كتلك الحالة التى كانت فيها تلك الأجيال قديماً ، ولكننا ننظر بوضوح ما كان ينظره أولئك الانبياء والملوك كلغز كما فى مرآة . ونحن لو أردنا لأمكننا أن ننال كرامة أعظم من تلك التى كانوا يطمعون فيها ، لأن الذين يصنعون مشيئة الله يرتبطون بالمسيح بعلاقة أمجد من أولئك الذين كانوا أقرباء له بالجسد (ص ١٢ : ٥٠)

« **يسوع الذى يدعى المسيح** » أى الممسوح و بالعبرانية « مسيا » لقد دعى « المسيح » (دا ٩ : ٢٥) وكثيراً ما دعى « مسيح الرب » (مز ٢ : ٢) . وعلى هذا الاعتبار كانت الأجيال تنتظره « هل أنت المسيح ؟ » . لقد مسح داود الملك (١ صم ١٦ : ١٣) وكذلك هرون الكاهن (لا ٨ : ١٢) واليشع النبى (١ مل ١٩ : ١٦) واشعيا النبى (أش ٦١ : ١) وإذ كان لابد للمسيح من اشغال كل هذه الوظائف ، وإذ كان جديراً بإشغالها ، لذلك دعى « المسيح » « الممسوح بزيت الابتهاج أكثر من رفقائه » . ومن هذا الاسم الذى صار الذى بمثابة قارورة طيب قد سكبت ، سمى كل أتباعه « مسيحين » لأنهم هم أيضاً نالوا المسحة .

(وأخيراً) نرى تلخيصاً عاماً لكل هذه السلسلة (ع ١٧) حيث تلخص فى ثلاث حقبات تتميز كل منها بعصور بارزة ، وتتضمن كل منها أربعة عشر جيلا . فى الحقبة الأولى نرى بيت داود يقوم و يشرف كالصبح ، وفى الثانية نراه يزدهر بضيائه الوهاج ، وفى الثالثة نراه يخبو أواره و يتناقص تدريجياً و يتضاءل حتى يصل إلى بيت نجار فقير ، وعندئذ يبزغ المسيح بنوره الكامل « مجداً لشعبه اسرائيل » .

١٨ أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه
مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ـــ ١٩
فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ـــ ٢٠
ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم
قائلا يايوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حُبل به
فيها هو من الروح القدس ـــ ٢١ فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع . لأنه
يخلص شعبه من خطاياهم ـــ ٢٢ وهذا كله كان لكى يتم ما قيل بالنبى
القائل ـــ ٢٣ هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً و يدعون اسمه عمانوئيل
الذى تفسيره الله معنا

٢٤ فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب
وأخذ امرأته ـــ ٢٥ ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعت اسمه
يسوع .

أمام سر تجسد المسيح يجب أن نقف خاشعين متعبدين ولا نحاول التعمق فى بحث غوامضه . لأننا إن كنا لسنا نعلم « ما هى طريق الريح » (أو الروح) فى تكوين الأشخاص العاديين ، « ولا كيف العظام فى بطن الحبلى » (جا ١١ : ٥) فبالأولى جداً نحن لا نستطيع أن نعرف كيف تكوّن يسوع المبارك فى بطن العذراء المباركة . ولعل داود عندما تساءل متعجباً كيف صنع فى الخفاء ونسج فى بطن أمه (مز ١٣٩ : ١٣ ـــ ١٦) كان يتحدث بالروح عن تجسد المسيح .

هنا نرى بعض الظروف التى أحاطت بولادة المسيح والتى لا نراها فى انجيل لوقا ، ولو أن التفاصيل التى أوردها لوقا قد دونت بتفصيل أوفى . هنا نرى :

(١) خطبة مريم ليوسف « **كانت مريم** » أم الرب « **مخطوبة ليوسف** » (ع ١٨) لم يكن قد تزوجها بل تعاقدا معاً على الزواج . قصد التزوج بها و وعدها بذلك إن سمحت إرادة الله . فى تث ٢٠ : ٧ تقرأ عن « الرجل الذى خطب إمرأة ولم يأخذها » .

لقد ولد المسيح من عذراء ، من عذراء مخطوبة :

١ ــ لكى يقدس الزواج ويجعله « مكرما عند كل واحد » (عب ١٣ : ٤) خلافاً لأولئك الذين كانوا يعلمون تعاليم غريبة « مانعين عن الزواج » (١ تى ٤ : ٣) . فمن ذا الذى نال كرامة أوفر من مريم المخطوبة .

٢ ــ لكى يحفظ شرف العذراء المطوبة من أن يمس ، لأنها لو حبلت وهى عذراء دون أن يكون لها خطيب لعرضت للمثالب والمطاعن . لهذا لاق بأن يصان حبلها بخطبتها فلا ينظر اليها العالم نظرة الريبة والشكوك . قال أحد القديسين فى القديم « كان خيراً بأن يتساءل العالم أليس هذا هو ابن النجار ، من أن يتساءل أليس هذا هو ابن الزانية » .

٣ ــ لكى يكون للعذراء المطوبة مرشد فى صباها ، ورفيق فى وحدتها وأسفارها ، وشريك فى اهتماماتها ، ومعين نظيرها .

يظن البعض أن يوسف كان مترملا وقتها ، وأن أولئك الذين دعوا « أخوة المسيح » (ص ١٣ : ٥٥) كانوا أبناء يوسف من زوجته السابقة . هذا ما ذهب اليه الكثيرون من المفسرين فى القديم .

كان يوسف « باراً » وكانت مريم فتاة فاضلة مباركة . فعلى المؤمنين أن « لا يكونوا تحت نير مع غير المؤمنين » وعلى المتدينين أن لا يختاروا للزواج إلا من المتدينين لكى يقدس الرب رابطتهم و يباركهم فى رابطتهم . ومن ذلك نتعلم أيضاً بأنه خير لنا أن نتروى ولا نتسرع فى الاختيار فى الزواج ، وأن تسبق الزواج فترة الخطوبة لأنه خير لنا أن نقضى الوقت فى التفكير قبل الزواج من أن نقضيه فى الندم والتأسف بعده .

(٢) الحبل بالنسل الموعود : **« قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس »**
لقد تأخر الزواج فترة طويلة بعد الخطبة حتى « وجدت حبلى » قبل حلول موعد الزواج ولو أن الخطبة تمت قبل الحمل . ولعل يوسف لم يدرك أنها حبلى إلا بعد عودتها من عند نسيبتها اليصابات التى « مكثت عندها ثلاثة أشهر » (لو ١ : ٥٦) وإذ أدرك يوسف هذه الحقيقة لم تنكرها هى .

(ملاحظة) إن الذين يتصورفيهم المسيح يظهرونه ، إذ سوف يتضح أن هذا هوعمل الله الذى يعترف به .

ولنتأمل الآن فيما أحدثته هذه الحادثة العظمى من الحيرة والارتباك فى نفس العذراء المباركة . إنها شخصياً كانت واثقة من مصدر الحمل الإلهى وكل ملابساته وظروفه ، ولكن كيف تستطيع أن تبرهن للآخرين هذه الحقيقة . وأخشى ما كانت تخشاه أن ينظر اليها كزانية .

(ملاحظة) بعد كل تقدم فى النعمة يجب أن نتوقع شيئاً من التعييرات أو الآلام لاذلالنا « كشوكة فى الجسد » بل « كسيف فى العظام » لئلا نرتفع .

لم تنل أية واحدة من بنات حواء كرامة مثل العذراء مريم ، ومع ذلك فقد كانت عرضة للاتهام بأشنع الخطايا . على أننا لا نجدها تعذب نفسها بسبب هذا التعرض للاتهام ، ولكنها لوثوقها فى براءتها تلتزم الهدوء والسكينة وتسلم أمرها « لمن يقضى بعدل » .

(ملاحظة) إن الذين يدربون أنفسهم على أن يكون لهم ضمير صالح يعتمدون على الله فى الدفاع عن سمعتهم الصالحة و يتيقنون بأنه لا يظهر نزاهتهم فحسب ويخرج مثل النور برهم وحقهم مثل الظهيرة بل يكللهم بأكاليل الكرامة والمجد .

(٣) حيرة يوسف وارتباكه فيا عساه أن يتصرف إزاء هذا الظرف . تأمل فى مقدار اضطراب نفسيته وارتباك عقله وخيبة آماله إذ وجد تلك التى وضع فيها كل ثقته وتقديره أصبحت الآن تحوم حولها الشكوك فى جريمة أخلاقية كهذه . و يبدأ يتساءل : أهذه مريم ؟ كيف يمكن أن نخدع فى الذين كنا نقدرهم كل التقدير ؟ كيف يمكن أن تخيب آمالنا فى أولئك الذين كنا نعلق عليهم أفضل الآمال ؟ إنه لم يكن يميل إلى إساءة الظن فى تلك التى كان يعتقد أنها فتاة فاضلة ، على أن الأمر كان شائناً جداً لا تقبل فيه أعذار ، وواضحاً جداً لا يحتمل الانكار . و ياله من صراع عنيف قام فى صدره بين الغيرة التى تحتدم نارها فى قلب كل رجل والتى هى قاسية كالهاو ية ، و بين المحبة التى يكنها فى قلبه من نحو مريم . لاحظ : —

١— إنه تحاشى التطرف فى تصرفه . « **لم يشأ أن يشهرها** » كان ممكناً له أن يفعل هذا لأن الناموس كان يقضى بأنه « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل » وخانت وجب أن ترجم بالحجارة حتى تموت (تث ٢٢ : ٢٣ ، ٢٤) ولكنه « لم يشأ » استغلال الناموس ضدها . إن كانت قد أخطأت فهذا ما لم يعلمه أحد وهذا ما لا يريد أن يعلم به أحداً . ياله من فرق شاسع بين روح يوسف والروح التى أبداها يهوذا فى موقف مشابه إذ تعجل وأصدر هذا الحكم القاسى « أخرجوها فتحرق » (تك ٣٨ : ٢٤) . من الخير الجزيل أن نطيل التفكير فى كل الأمور كما فعل يوسف هنا . لو أننا أطلنا التفكير وازددنا فى التروى قبل انتقاد الآخرين ودينونتهم لصرنا أكثر شفقة ورحمة بهم .

أما قصاصها فقد عبر عنه الكتاب بأنه « تشهير » وهذا يبين أن غاية القصاص التشهير، لتحذير الآخرين . ففى القصاص عبرة للآخرين « و بخ المستهزىء » فيتحذر البسيط .

لعل البعض ممن يميلون إلى الشدة والقسوة ينتقدون يوسف لتساهله وحلمه ، ولكن تصرفه هذا يذكر هنا كمدح له « إذ كان باراً لم يشأ أن يشهرها » . كان رجلا متديناً صالحاً ولذلك

كـان يميل أن يكون رحيما كما أن الله رحيم ، وأن يغفر كشخص قد غفر له . إذا كانت فتاة مخطوبة قـد تـنجـسـت فـى الحقل فكان الناموس يفترض ــ تساهلاً ــ بأنها قد صرخت فلا تعاقب (تث ٢٢ : ٢٥ ــ ٢٧) . ولـعـل يوسف التمس لها هذا العذر أو غيره من الأعذار الملطفة ، وفى ذلك نراه « باراً » يغار على سمعة تلك الفتاة التى لم تلوث قط من قبل .

(مـلاحـظـة) يـلـيـق بـنـا فـى حـالات كـثيرة أن نترفق بأولئك الذين يشك فى أنهم قد أخـطأوا ، أن نرجو لهم كل خير ، ان ننظر نظرة حسنة لما قد يبدو لنا فى أول الأمر شرا ، مؤملين أن تـبـرهـن الأيام عكس اعتقادنا . قد تكون قسوة الناموس فى بعض الأحيان منتهى الظلم . ومحكمة الـضـمير التى تخفف من حدة الناموس وقسوته تدعى محكمة العدل . وأولئك الذين يؤخذون فى زلة مـا يجب أن لا يـشـدد الـنـكير عـليهم بل أن يصلحوا بروح الوداعة (غل ٦ : ١) وأن لا يغالى فى تهديدهم أن استدعى الأمر الى التهديد

٢ ــ الـوسـيـلة التى اتبعها فى عدم التطرف فى تصرفه . انه فكر فى « **تخليتها سراً** » أى اعـطائها كتاب طلاق أمام شاهدين و بذلك يكتم الأمر بينهم . فإنه « إذ كان باراً » أى مدققاً فى حفظ الناموس لم يشأ أن يقدم على التزوج بها بل اعتزم « تخليتها » ، ومع ذلك فإنه ــ اشفاقاً عليها ــ اعتزم أن يكون ذلك « سراً » على قدر الامكان

(ملاحظة) إذا لزم الأمر لتوبيخ الخطاة فيجب أن يكون ذلك بدون شوشرة . « كلمات الحكـمـاء تـسـمـع فى الهدوء » (جا ٩ : ١٧) والمسيح نفسه « كان لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحـد فـى الـشوارع صوته » (مت ١٢ : ١٩) . والمحبة المسيحية والحكمة المسيحية يستران كثرة من الخطايا ، الخطايا الشنيعة ، دون أن تدع للمؤمن مجالا للاشتراك فيها

(٤) خـروج يوسف من هذا المأزق الحرج وخلاصه من هذه الحيرة بواسطة رسالة خاصة أرسـلـت إلـيه من السماء (ع ٢٠ و ٢١) . « **فيما هو متفكر فى هذه الأمور** » ولم يستقر على رأى حاسم ، تحنن الرب عليه وأرشده إلى ما يجب أن يفعله وأراح ضميره .

(مـلاحـظـة) عـلـى الـذيـن يـبـتـغـون ارشاداً من الله أن « يفكروا فى الأمور » بأنفسهم و يتبصروا فيها بأنفسهم . فالله لا يرشد عديم التفكير بل يرشد « المتفكر » .

وعـنـدمـا كـان فى حيرة وارتباك وجعل يفكر ووصل به التفكير فى الأمر الى الحد الذى يستطيعه عقله ، حينئذ أتاه الله بالإرشاد

(مـلاحـظـة) ان الـوقت الذى يأتى الله فيه بإرشاده وإعلاناته لشعبه هو عندما يقعون فى حيرة وارتباك وتعجز حيلتهم . وتعزيات الله تبهج النفس عندما تكثر الأفكار المربكة المحيرة

أتت هذه الرسالة إلى يوسف بواسطة « **ملاك الرب** » ولعله نفس الملاك الذى أتى ببشارة الحبل إلى مريم ـــ الملاك جبرائيل . والآن بدأت تنتعش الصلة بين الأرض والسماء وعادت الأرض تتحدث مع السماء بواسطة الملائكة بعد أن بطلت منذ مدة طويلة تلك الصلة التى كانت موضوع فخر الآباء البطاركة الأولين . ذلك لأنه إذا جاء البكر إلى العالم صدرت الأوامر إلى الملائكة لخدمته فى تحركاته « متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله » (عب ١ : ٦) . نحن لا نستطيع أن نحدد الطريقة غير المنظورة التى بها يستعمل الله خدمة الملائكة فى اخراج شعبه من ضيقاتهم الآن ، ولكننا واثقون من انها « أرواح خادمة » لخيرهم .

هذا الملاك « **ظهر له فى حلم** » إذ كان نائماً كما كان الله يتحدث أحياناً مع الآباء . فإننا إذ نكون فى هدوء كامل نصبح مهيئين لقبول الإعلانات عن الإرادة الإلهية . والروح يرف على المياه الهادئة . ولا شك فى أن هذا الحلم حمل معه البرهان الكافى والدليل القاطع على انه من الله وليس أضغاث أحلام . والآن نلاحظ :

١ ـــ ارشاد يوسف بأن لا يخاف من الأمر « **لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك** » لقد دعاه الملاك « **يوسف ابن داود** » مذكراً إياه بعلاقته بداود لكى يتهيأ لقبول تلك البشرى العجيبة الخاصة بعلاقته بالمسيا الذى كان كل واحد يعرف بأنه سيكون من نسل داود . قد نلاحظ أحياناً انه عندما تستقر كرامة عظيمة على بعض البسطاء لا يبالون بقبولها بل يميلون إلى الاستعفاء منها ، لهذا كان ضروريا تذكير هذا النجار البسيط بنسبه الرفيع . اعرف قدرك يايوسف فأنت « ابن داود » الذى لابد أن يتحدر منه المسيا . وعلى هذا القياس نستطيع أن نوجه القول لكل مؤمن حقيقى : لا تخف ياابن ابرهيم ، ياابن الله ، لا تنس شرف ولادتك ، ولادتك الجديدة .

« لا تخف أن تأخذ مريم أمراتك » (أو « أن تتخذ مريم كامرأة لك » كبعض القراءات) . كان يوسف يشك فى حبلها ويخاف أن يأخذها لئلا يجلب على نفسه خطية أو عاراً . أما الله فيقول له « لا تخف » فالأمر بالعكس . لعل مريم اخبرته انها قد حبلت من الروح القدس ، ولعله سمع ما قالته لها اليصابات لو ١ : ٤٣ اذ دعتها « أم ربى » . إن كان الأمر كذلك فلعله خشى أن يتجاسر باتخاذ واحدة اسمى منه بهذا المقدار . ولكن مهما كانت بواعث الخوف فقد كانت هذه الكلمات كافية لتبديد كل مخاوفه « لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك » .

(ملاحظة) إنها رحمة عظمى أن نتخلص من مخاوفنا وأن نتحرر من شكوكنا لكى نبدأ أعمالنا بإطمئنان وثبات

٢ ـــ إخباره بذلك القدوس الذى حبلت به خطيبته . ان الذى حبلت به هو من أصل إلهى . وانه اذا يتخذها سوف لا يشترك فى أية نجاسة ، ولكنه على العكس سيتشرف بأسمى ما

يمكن أن يعرفه البشر من شرف . وها نرى أمرين يخبر بهما :

(الأول) إنها حبلت « **من الروح القدس** » بقوة الروح القدس لا بقوة الطبيعة . الروح القدس الذى كون العالم يقدم لنا الآن مخلص العالم ويهيىء له جسداً كما وعد إذ قال « هانذا أجيء » عب ١٠ : ٥ ــ ٧ . لهذا قيل إنه « يولد من امرأة » غل ٤ : ٤ ومع ذلك فهو « آدم الثانى » أو الانسان الثانى أى « الرب من السماء » ١ كو ١٥ : ٤٧ . هو « ابن الله » ومع ذلك فهو يشترك فى طبيعة أمه حتى يدعى « ثمرة بطنها » لو ١ : ٤٢

كان من الضرورى أن يحبل به بشكل آخر غير التناسل العادى ، لكى يكون خالياً من فساد ونجاسة الطبيعة البشرية ولو اشترك فيها وحتى لا يصور بالإثم ولا يحبل به بالخطية مز ٥١ : ٥ . يخبرنا التاريخ عن بعض السيدات اللاتى يدعين ــ باطلا ــ إنهن قد حبلن بقوة إلهية كأم الإسكندر، ولكن الواقع يكذب كل الادعاءات و يثبت أنه لم تحبل حبلا كهذا سوى أم الرب .

لهذا ولاسباب أخرى صار اسمه « عجيباً » . نحن لا نرى أثراً فى البشائر على أن العذراء مريم اعلنت بنفسها هذا الشرف الرفيع الذى تشرفت به ، ولكنها حفظته فى قلبها ، ولهذا أرسل الله ملاكا لإعلان هذه الحقيقة . ان الذين لا يطلبون مجد أنفسهم ينالون المجد الذى يأتيهم من الله ، وهذا المجد محفوظ للمتواضعين

(الثانى) انها ستلد « مخلص العالم » ع ٢١ « **ستلد ابناً** » أما مستقبل هذا الإبن فيتضح مما يأتى :

(أ) من الاسم الذى يجب أن يسمى به . « **وتدعو اسمه يسوع** » أى مخلص . اسم « يسوع » هو نفس اسم « يشوع » وقد لقب « يشوع » بيسوع فى بعض الترجمات فى أع ٧ : ٤٥ ، عب ٤ : ٨ . ظهر فى العهد القديم شخصان بهذا الاسم كانا رمزين واضحين للمسيح . الأول « يشوع » الذى قاد اسرائيل للاستقرار الأول فى أرض كنعان ، والثانى « يشوع » الذى كان كاهنهم الاعظم لدى استقرارهم الثانى بعد السبى . زك ٦ : ١١ و ١٢ . والمسيح هو يشوعنا ، أولا لانه « رئيس خلاصنا » (أو قائد خلاصنا) وثانياً لانه « رسول اعترافنا ورئيس كهنته » عب ٣ : ١ ، وفى كلتا الحالتين هو مخلصنا ، هو يشوع الذى يأتى بدلا من موسى و يتمم لنا « ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً » رو ٨ : ٣ .

كان يشوع أولا يدعى « هوشع » ولكن موسى أضاف اليه اسم « يهوه » فى أوله فصار « يهوشع » أو « يشوع » (أنظر حاشية الكتاب المقدس) عد ١٣ : ١٦ للدلالة على أن المسيا الذى كان سوف يحمل هذا الإسم يجب أن يكون « يهوه » ، لهذا فإنه « قادر أن يخلص إلى التمام » ، كما أنه « ليس بأحد غيره الخلاص » .

(ب) من التعليل الذى أعطى لهذه التسمية .. « لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » ليس أمة اليهود فقط (إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله) بل جميع الذى سلموا اليه باختيار الأب ، وجميع الذين سلموا أنفسهم إليه باختيارهم . هوملك يرعى رعيته ، و يصنع لهم خلاصاً كما كان قضاة إسرائيل يفعلون قديماً .

(ملاحظة) إن الذين يخلصهم المسيح يخلصهم من « خطاياهم » ، من إثم الخطية باستحقاقات موته ، من سلطان الخطية بروح نعمته . و بتخليصهم من الخطية يخلصهم من الغضب واللعنة ، من كل شقاء فى الحياة الحاضرة والعتيدة . لقد جاء المسيح لا ليخلص شعبه فى خطاياهم بل من خطاياهم ، لا ليشترى لهم حر ية للخطية بل حر ية من الخطية « لكى يفدينا من كل إثم » (تى ٢ : ١٤) وهكذا يفديهم « من بين الناس » (رؤ ١٤ : ٤) لنفسه إذ « قد انفصل عن الخطاة » (عب ٧ : ٢٦) . لذلك فإن الذين يتركون خطاياهم و يسلمون أنفسهم للمسيح كشعبه يتمتعون بالمخلص و بالخلاص العظيم الذى صنعه (رو ١١ : ٢٦) .

(٥) إتمام كل النبوات فى هذا . لأن متى كتب إلى اليهود فهو من وقت لآخر يشير إلى إتمام النبوات بصفة خاصة أكثر من غيره من البشيرين . هنا نرى نبوات العهد القديم تتم فى شخص ربنا يسوع المسيح ، ومن ذلك يتضح أنه هو الذى كان لابد أن يأتى ، وأننا يجب أن لا نتطلع إلى سواه ، لأنه هو الذى « له يشهد جميع الأنبياء » (أع ١٠ : ٤٣) .

أما النبوة التى تمت بولادة المسيح فهى الخاصة بذلك الوعد الذى أعطاه الله لآحاز الملك بإعطائه علامة (أش ٧ : ١٤) « ها العذراء تحبل » حيث نرى النبى وهو يشجع شعب الله ليرجوا الخلاص من سنحاريب يوجه أنظارهم إلى مدى أبعد ليتطلعوا إلى المسيا الذى كان لابد أن يأتى من شعب اليهود ومن بيت داود ، ومن ذلك كان من السهل أن يستنتجوا أنه وإن كان ذلك الشعب وذلك البيت قد نكبا إلا أن الله لا يسمح بخرابهما طالما حفظ لهما كرامة عظمى و بركة مجيدة . كانت عمليات الخلاص التى كان الله يصنعها لكنيسة العهد القديم ترمز وتشير إلى الخلاص العظيم الذى بالمسيح ، وإن كان الله لم يعجز عن اتمام الأعظم فهو بدون شك لا يعجز عن إتمام الأقل .

وهنا نرى أن النبوة التى يقتبسها متى مسبوقة بكلمة « هوذا » وهى تشير إلى ضرورة الالتفات والاصغاء كما تشير إلى التعجب ، لأن لدينا هنا سر التقوى الذى هو بلا نزاع عظيم إذ أن « الله ظهر فى الجسد » .

١ ــ أما العلامة التى أعطيت فهى أن المسيا يولد من عذراء « العذراء تحبل » و بواسطتها يظهر الله فى الجسد . وكلمة « عذراء » تحمل كل ما فيها من معنى العذراو ية ولا يمكن أن تعنى

الا عـذراء لم تعرف رجلا كما قالت مريم عن نفسها (لو ١ : ٤٣) ولو كانت النبوة لم يقصد بها هذا المعنى لما وجد فى الامر « آية » عجيبة . وقد كان مفهوماً من البدء أن المسيا يجب أن يولد من عذراء عندما قيل عنه إنه « نسل المرأة » لأنه لو ولد ولادة طبيعية لكان نسل الرجل . والمسيح ولد من عذراء ليس لأن ولادته يجب أن تكون خارقة للطبيعة فحسب بل لأن ولادته يجب أن تكون بلا دنس ، طاهرة ، خالية من كل شائبة الخطية . كان يجب أن يولد المسيح لا من أميرة أو ملكة ، لأنه لم يظهر بمظهر العظمة والفخر العالمى ، بل من عذراء ، ليعلمنا الطهارة الروحية ، أن نموت عن كل الشهوات العالمية ، و بذلك نحفظ أنفسنا بلا لوم ولا دنس من العالم والجسد فنكون « عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) .

٢ ــ الحقيقة التى تثبتها هذه العلامة . أنه ابن الله ، والوسيط بين الله والإنسان لأنهم « **يدعون اسمه عمانوئيل** » أى أنه سيكون « عمانوئيل » ، كما أنه عندما يقال « يدعونه الرب برنا » فالمقصود بذلك أنه سيكون « الرب برنا » (أر ٢٣ : ٦) . ومعنى لفظة عمانوئيل « **الله معنا** » وهذا اسم يسمو فوق عقولنا ، ولكنه ثمين جداً . لقد تجسد الله بيننا ، ولذا فقد تصالح الله معنا ، صار فى سلام معنا ، ودخل فى العهد معنا ، وأدخلنا إلى شركته . كان الله مع شعب اليهود فى الرموز وفى الظلال ، يسكن بين الكرو بيم ، ولكنه لم يكن معهم قط بالكيفية التى أصبح بها منذ « صار الكلمة جسداً » ليحل بين شعبه بشخصه المبارك ، بدلا من حلوله الرمزى بين الكرو بيم .

و يالها من خطوة مباركة تلك التى اتخذت لاستقرار السلام وتوطيد الصلة بين الله والانسان ، إذ اتحدت الطبيعتان فى شخص هذا الوسيط الذى لاق به أن يصير « مصالحاً يضع يده على كلينا » (أى ٩ : ٣٣) لأنه جمع بين طبيعة الاثنين . وفى هذا نرى أعمق الأسرار وأغنى رحمة . فإننا فى نور الطبيعة نرى الله إلهاً فوقنا ، وفى نور الناموس نراه إلهاً ضدنا ، ولكننا فى نور الانجيل نراه « عمانوئيل » أى إلهاً « معنا » فى طبيعتنا ، بل وأكثر من ذلك معنا للاهتمام بأمرنا . وهنا نرى الفادى قد « بين محبته لنا » .

قارن هنا اسم المسيح « عمانوئيل » بذلك الاسم الذى أطلق على كنيسة العهد الجديد (حز ٤٨ : ٣٥) « يهوه شمة » (أى الرب هناك) ، رب الجنود معنا

ولعله لا غضاضة إذا قلنا ان هذه البنوة التى أنبأت بأنه سيدعى « عمانوئيل » قد تمت فى قصدها ومرماها عندما دعى « يسوع » ، لأنه إن لم يكن عمانوئيل (الله معنا) لما أمكن أن يكون يسوع (مخلص) ، وهنا يحصر الخلاص الذى صنعه فى التقريب بين الله والانسان ، هذا ما قصده : أن يقرب الله إلينا ليكون « معنا » وهذا منتهى سعادتنا ، وأن يقربنا إلى الله لنكون معه وهذا منتهى واجبنا .

(٦) طاعة يوسف للأمر الإلهى (ع ٢٤) « **فلما استيقظ** » بتأثير الحلم الذى رآه « **فعل كما أمره ملاك الرب** » ولو كان ذلك مناقضاً لعواطفه السابقة وقصده السابق . « **وأخذ امرأته** » حالا ، بلا ابطاء ، بلا مناقشة ، وبسرور ، ولم يعاند الرؤيا السماوية . ليس لنا أن نتوقع الآن ارشادات كهذه خارقة العادة ، على انه لا يزال الله له طرقه لإظهار إرادته فى حالات الشك بأعمال عنايته ، بوحى الضمير ، بمشورة الأصدقاء الأمناء . بإحدى هذه الوسائل نستطيع ـــ بعد تطبيق القواعد العامة فى كلمته المكتوبة ـــ أن نطلب الإرشاد من الله فى كل خطوات حياتنا خصوصاً فى الأمور الخطيرة كهذا الأمر الخطير الذى تعرض له يوسف . ومتى فعلنا كما يأمرنا به الله وجدنا كل راحة وكل اطمئنان

(٧) اتمام الوعد الإلهى (ع ٢٥) « **ولدت ابنها البكر** » وفى بشارة لوقا ص ٢ نجد شرحاً مستفيضاً لظروف الولادة .

(ملاحظة) إن الذى يحبل به « من الروح القدس » لن « يسقط » أبداً بل لابد أن يولد فى الوقت المناسب . ومن كل « من مشيئة جسد ، ومن مشيئة رجل » فكثيراً ما « يسقط » ، أما ان كان المسيح يصور فى الروح فقد بدأ الله عمله الصالح الذى لابد أن يتممه . ومن يحبل به فى النعمة لابد أن يولد فى المجد

وهنا نلاحظ أيضاً

١ ـــ ان يوسف ولو كان قد اتخذ مريم كإمرأة له إلا أنه لم يقترب منها « **ولم يعرفها حتى ولدت ابنها** » وحول هذه الناحية أحتدم الجدال فهناك أقلية يدعون ـــ بلا مبرر و بلا دليل ـــ انه عرفها بعد ولادة ابنها البكر . لكن الأكثرية يقررون فى تأكيد انها بقيت عذراء إلى نهاية حياتها . ومن هؤلاء القديس جيروم (ايرونيموس) الذى احتدم غضبه على هلفيديس لأنه أنكر عذراوية القديسة مريم (١) .

٢ ـــ إن المسيح كان « **البكر** » وهذه التسمية جائزة ـــ حسب لغة الكتاب المقدس ـــ ولو لم تلد أمه غيره بعده . لم تكن هذه التسمية بدون قصد فإنه هو « بكر كل خليقة » كو ١ : ١٥ أى وارث كل الاشياء ، وهو « البكر بين اخوة كثيرين » رو ٨ : ٢٩ « لكى يكون هو متقدماً فى كل شىء » كو ١ : ١٨

---

(١) لا يمكن أن يفهم من هذه العبارة أن يوسف عرفها بعدأن ولدت ابنها البكر كما يتوهم البعض . فقد ورد فى قاموس المحيط عن كلمة « حتى » إنه اذا لم يكن معها قرينة تقتضى دخول ما بعدها فى حكم ما قبلها يحمل على الدخول بخلاف « الى » فانه يحكم بعدم دخوله

٣ ــ إن يوسف « دعا اسمه يسوع » حسب التعليمات التى أعطيت اليه . واذ قد عينه الله ليكون مخلصا إذ دعى إسمه يسوع ، فعلينا أن نقبله مخلصاً لنا ، وعلينا تبعاً لذلك أن ندعوه « يسوع مخلصنا »

وبهذا المعنى استعملت هذه الكلمة « حتى » فى مواضع كثيرة من الكتاب المقدس لتدل على أن ما بعدها يدخل فى حكم ما قبلها . واليك بعض الامثلة :

قال الله ليعقوب « ها أنا معك واحفظك حيثما تذهب وأردك الى هذه الأرض . لانى لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به » تك ٢٨ : ١٥ . وواضح أن الله لم يترك يعقوب لا قبل اتمام ما كلمه به ولا بعده

وورد فى مز ١١٠ : ١ « قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع اعداءك موطئاً لقدميك » والامر جلى جداً أن جلوس الرب يسوع عن يمين الآب دائم ومستمر قبل وضع الاعداء موطئاً لقدميه و بعده (أنظر ايضاً ١ كو ١٥ : ٢٥)

وورد فى مت ٥ : ١٨ «الحق اقول لكم إلى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » وغير خاف أن الناموس لا يزول منه حرف واحد أو نقطة واحدة لا قبل ولا بعد أن يكون الكل

أما القول بأن يوسف عرف القديسة العذراء مريم بعد أن ولدت ابنها البكر استناداً على ما ورد فى مواضع أخرى من أن الرب كان له اخوة فسيرد على هذا عند تفسير ص ١٣ : ٥٥

الاصحاح الثانى

فى هذا الأصحاح نرى تاريخ طفولة المسيح . حيث نجد كيف أن آلامه بدأت منذ فجر حياته ، وكيف أن كلمة البر أكملت فيه قبل أن يبدأ هو بأن يكمل كل بر . هنا نجد (١) بحث المجوس عن المسيح باجتهاد ع ١ — ٨ (٢) ولاءهم الكامل له عندما اهتدوا إلى مكانه ع ٩ — ١٢ (٣) هروب المسيح إلى مصر تفادياً من غضب هيرودس ع ١٣ — ١٥ (٤) قتل أطفال بيت لحم بمنتهى القسوة والوحشية ع ١٦ — ١٨ (٥) عودة المسيح من مصر إلى أرض اسرائيل ثانية ١٩ — ٢٣

١ — ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك اذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم ٢ قائلين أين هو المولود ملك اليهود فاننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له — ٣ فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه — ٤ فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح — ٥ فقالوا له فى بيت لحم اليهودية . لأنه هكذا مكتوب بالنبى — ٦ وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل — ٧ حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر — ٨ ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ومتى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضا وأسجد له .

كان من علامات تواضع الرب يسوع أن يكون مجيئه إلى العالم غير محتفل به كثيراً وولادته مجهولة رغم أنه كان « مشتهى كل الشعوب » . هنا نراه « يخلى نفسه » . إن كان لابد أن يأتى ابن الله إلى العالم فطبيعى أن المرء لا يتوقعن إلا أن يقابل بكل تجلة وحفاوة واحترام ، أن توضع تحت قدميه حالا التيجان وقضبان الملك ، أن يكون الملوك والامراء خدامه المطيعين . هذا هو المسيا الذى كان يتوقعه اليهود . لكننا لا نرى شيئاً من كل هذا ، فإنه « أتى إلى العالم ، لم يعرفه العالم » ، بل إنه « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » يو ١ : ٩ — ١١ ، لأنه إذ تعهد بأن يقدم الترضية اللازمة لأبيه بسبب الاساءة التى وجهت الى مجده بخطية الإنسان فعل ذلك بتخليه عن الامجاد التى تليق بالاله المتأنس ، ومع ذلك فإن أشعة المجد كانت تتألق وسط مظاهر تواضعه سواء

فى ولادته أو فى كل أدوار حياته . ومع أنه كان فى « إستتار قدرته » (أى كانت قدرته مستترة) خب ٣ : ٤ الا أنه « كان هنالك لمعان كالنور له من يده شعاع » كاف ليدين العالم وخاصة اليهود من أجل غباوتهم

كان أول من علم بالمسيح بعد ولادته الرعاة لو ٢ : ١٥ الخ . الذين رأوا وسمعوا أمجاداً عظيمة عنه « وأخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى ، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة » ع ١٧ و ١٨ . وبعد ذلك تحدث عنه بالروح سمعان وحنة لكل الذين كانوا يميلون لسماع وتصديق قولهما (لو ٢ : ٣٨) . ولعل البعض يظنون أن هذه الأمور كان يجب أن يلاحظها رجال يهوذا وسكان أورشليم و يقبلوا من كل قلوبهم ذلك المسيا المنتظر من زمن طويل ، ولكن يظهر أنه بقى نحو سنتين فى بيت لحم ولم يعلم به أحد آخر حتى جاء هؤلاء المجوس .

(ملاحظة) إن الذين يصرون على التجاهل وعدم المبالاة لا يوقظهم أى شيء . يالغباوة أولئك اليهود ، وليست بأقل منها غباوة الكثيرين ممن يدعون مسيحيين .

والآن لنلاحظ :

(١) متى تم هذا البحث عن المسيح . « في أيام هيرودس الملك » كان هيرودس هذا أدومياً ، أقيم ملكا على اليهودية من قبل أوغسطس ثم أنطونيوس قائدا الامبراطورية الرومانية وقتئذ . كان رجلا امتزج فيه الباطل والقسوة ، ومع ذلك فقد لقب بـ « هيرودس الكبير » . ولد المسيح فى السنة الخامسة والثلاثين من ملكه . وقد ذكرت هذه الحقيقة بصفة خاصة لاظهار أن « القضيب قد زال الآن من يهوذا والمشترع من بين رجليه » ولذا فقد كان ذلك هو الوقت الملائم لمجيء شيلون « وله يكون خضوع شعوب » وله يشهد هؤلاء المجوس (تك ٤٩ : ١٠) .

(٢) ومن هم هؤلاء المجوس ؟ يظن البعض أنهم كانوا فلاسفة فارس وحكماءهم وكهنتهم ، ولم يكن مسموحاً لأحد بارتقاء عرش الملك إلا إذا كان من المجوس . و يظن الآخرون أنهم كانوا يقومون بالسحر والشعوذة . فقد ذكرت الكلمة عن سيمون الساحر (أع ٨ : ٩ و ١١) وعليم الساحر (أع ١٣ : ٨) . ولم يرد ذكرها فى أى مكان آخر فى الكتاب المقدس . إذاً فقد كانت علامة مبكرة وبرهاناً قوياً ونبوة واضحة على نصرة المسيح على الشيطان عندما صار أتباعه من أول من يتعبد للمسيح حتى فى طفولته . وهكذا بدأت علامات نصرته على قوات الظلمة تظهر سريعا . ومهما كان نوع حكمة هؤلاء الرجال من قبل فانهم قد بدأوا حكمتهم الحقيقة الآن عندما أقاموا أنفسهم للبحث عن المسيح . وعلى أى حال فاننا واثقون من أنهم :

١ ــ كانوا أمميين بعدين عن رعوية اسرائيل . لم يحفل اليهود بالمسيح أما هؤلاء الأمميون فقد طلبوه .

(ملاحظة) كثيراً ما كان أولئك الذين هم أقرب الناس إلى الوسائل أبعدهم عن الغاية . (أنظر ص ٨ : ١١ و ١٢) .

لقد كان الولاء الذى قدمه هؤلاء المجوس إلى المسيح نبوة مباركة وعينة طيبة لما كان سيحدث فيا بعد عندما يصير البعيدون قريبين بالمسيح .

٢ ــ كانوا فلاسفة . كانوا يعنون بالعلوم ، العلوم الدقيقة . فعلى المتعمقين فى الفسلفة أن يكونوا متعمقين فى المسيحية ، وحينئذ يكملون تعليمهم عندما « يتعلمون المسيح » .

٣ ــ كانوا « من المشرق » وقد اشتهر بنو المشرق بالعرافة (أش ٢ : ٦) . قيل عن بلاد العرب إنها أرض المشرق (تك ٢٥ : ٦) وقيل عن العرب إنهم « بنو المشرق » (قض ٦ : ٣) . والهدايا التى قدمها المجوس كانت من منتجات تلك البلاد . وسبق أن قدم العرب ولاء لداود وسليمان اللذين كانا يرمزان إلى المسيح . وقد كان كل من يثرون وأيوب من بلاد العرب . وليس لدينا ما نقوله عن هؤلاء المجوس أكثر من ذلك . على أن تقليد كنيسة روما يذهب إلى مدى أبعد فى وصفهم فيقول إنهم كانوا ثلاثة (ولو أن أحد رجال الكنيسة الأقدمين يقرر أنهم كانوا أربعة عشر) ، وكانوا ملوكا ، وأنهم لا زالوا مدفونين فى أرض فلسطين .

(٣) ما الذى بعثهم على هذا البحث . إنهم فى بلادهم التى كانت فى المشرق رأوا نجما غير عادى لم يشهدوا مثله قط من قبل « رأينا نجمه فى المشرق » واعتقدوا أنه علامة على ولادة شخص غير عادى فى أرض يهوذا التى كان يبدوا أن هذا النجم يحوم فوقها . ولعل هذا النجم كان فى شكل مذنب (نجم بذنب أو بذيل) أو بالأحرى فى شكل نيزك ظهر فى الطبقات السفلى من السماء . وكان يختلف كلية عن كل ما الفوه ، مما دعاهم إلى التفكير فى أنه إنما يشير إلى حادث غير عادى .

(ملاحظة) يجب أن تكون مظاهر الله غير العادية فى المخلوقات باعثة لنا على البحث عن فكر الله وإرادته فيها . ولقد تحدث المسيح مقدماً عن « علامات فى السماء » .

لقد أعلنت ولادة المسيح إلى الرعاة اليهود بملاك ، وإلى فلاسفة الأمم بنجم ، و بذلك يتحدث الله إلى كل فئة بحسب لغتها ، و بالطريقة التى ألفتها . يظن البعض أن النور الذى أضاء حول الرعاة فى الليلة التالية لولادة المسيح هو نفس النور الذى ظهر للمجوس ــ من مسافة شاسعة ــ فى شكل نجم . على أننا لا نستطيع قبول هذا الرأى بسهولة ، لأن نفس النجم الذى رأوه فى

المشرق رأوه بعد ذلك يرشدهم إلى البيت حيث كان المسيح مضطجعاً . كان ذلك النجم بمثابة سراج أضاءه الرب خصيصاً ليرشدهم إلى المسيح .

كانت الأمم الوثنية تعبد النجوم كجند السماء خصوصاً الأمم الشرقية ، حيث كانت النجوم تطلق عليها أسماء الآلهة ، فتقرأ مثلا عن « نجم » معين كان يعبد كإله (عا ٥ : ٢٦) . وهكذا دبرت العناية أن النجوم التى اتخذت وسيلة للتضليل تصبح وسيلة للهدى والإرشاد ، لإرشاد البشر إلى المسيح ، وصارت آلهة الأمم الوثنية خداماً له .

يظن البعض أن هذا النجم ذكرهم بنبوة بلعام التى تتضمن بأنه « يبرز كوكب من يعقوب و يقوم قضيب من اسرائيل » (أنظر عد ٢٤ : ١٧) . لقد أتى بلعام من « جبال المشرق » وكان أحد حكمائه . والآخرون يعللون بحث المجوس بأن تلك البلاد الشرقية كانت تتوقع فى ذلك الوقت ظهور رئيس عظيم ، و يقرر تاشيتس فى تاريخه (مجلد ٥) أنه « كان هنالك اقتناع فى قلوب الكثيرين أن بعض كتابات الكهنة الأقدمين تضمنت نبوة أنه فى ذلك الوقت تسود قوة فى الشرق و يعطى السلطان للذين يخرجون من اليهودية » وسوتنيوس فى تاريخه عن حياة فاسبسيان يتحدث عن هذا الانتظار أيضاً . لهذا فلم يكن ذلك المنظر غير العادى يشير إلا إلى « ذلك الملك » ولعل هؤلاء المجوس جاءهم إرشاد إلهى أقنعهم بأن هذا النجم إنما هو إشارة من السماء لولادة المسيح .

(٤) كيف أتموا هذا البحث . إنهم **« من المشرق جاءوا إلى أورشليم »** للجد فى طلبه . إلى أين يذهبون للبحث عن ملك اليهود إلا إلى أورشليم مدينة المدن « حيث صعدت الأسباط ، أسباط الرب » (مز ١٢٢ : ٤) . كان ممكناً أن يقولوا : إن كان ملك كهذا سيولد سنسمع عنه قريباً فى بلادنا وعندئذ تكون الفرصة مناسبة لتقديم الولاء له ، ولكنهم لم يطيقوا صبراً وأبوا إلا أن يتعرفوا به شخصياً و يتكبدوا مشقة عظيمة فى هذا السفر الطويل للبحث عنه .

(ملاحظة) إن الذين يرغبون رغبة صادقة فى أن يعرفوا المسيح ويجدوه لا يبالون بأية مشقة بل بأى خطر فى سبيل البحث عنه . « وعندما نستمر فى طلب معرفة الرب فلابد أن نعرفه » ([١]) (هو ٦ : ٣) .

---

(١) هذا هو تعريب الترجمة الانجليزية . أما نص الترجمة العربية (ترجمة بيروت) فهو « لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب » .

وكان سؤالهم **« أين هو المولود ملك اليهود »** ، لم يسألوا عما إذا كان هناك مولود كهذا ، فهذا أمر كانوا واثقين منه كل الثقة ، وكانوا يتحدثون عنه حديث اليقين ، إذ كانت قلوبهم مقتنعة الاقتناع كله قبل مغادرة بلادهم ، ولكنهم سألوا « أين هو المولود » .

(ملاحظة) إن الذين يعرفون شيئاً عن المسيح لا يمكن أن يقنعوا إلا بطلب المزيد .
وقد دعوا المسيح « ملك اليهود » لأن هذا ما كان منتظراً للمسيا . والمسيح هو حامى كل اسرائيل الروحى وملكهم ، فهو « مولود ملك » .

لم يشكوا قط فى أنهم سيتلقون إجابة سريعة وافية لهذا السؤال ، وسيجدون أورشليم كلها تتعبد عند قدمى هذا الملك الجديد ، ولكنهم طافوا من باب إلى باب بهذا السؤال ولم يجدوا من يروى تعطشهم .

(ملاحظة) إن فى العالم ، بل فى الكنيسة ، جهلا مطبقاً أكثر مما نظن . **وكثيرون ممن نتوهم أنهم يجب أن يرشدونا إلى المسيح هم أنفسهم غريبون عنه .**

لقد سألوا عن المسيح كما سألت العروس بنات أورشليم « هل رأيتن من تحبه نفسى » . ولكنهم كالعروس لم يتلقوا جواباً . ثم أنهم كالعروس أيضاً تابعوا البحث والسؤال « أين هو المولود ملك اليهود » . لعلهم سئلوا : لماذا هذا الطلب ؟ لابد أن الإجابة كانت هكذا : لأننا « **رأينا نجمه فى المشرق** » . ولعلهم سئلوا : ما لكم وهذا الملك ؟ وما هى علاقة رجال من المشرق بملك اليهود ؟ لا شك أن الإجابة كانت حاضرة معدة « **أتينا لنسجد له** » . لقد استنتجوا أنه على مر الأيام سيكون ملكا عليهم ، ولذلك أرادوا أن يتوددوا اليه وإلى من حوله مبكراً .

(ملاحظة) على الذين قد أشرق فى قلوبهم كوكب الصبح ليهديهم إلى معرفة المسيح أن يجعلوا مهمتهم الرئيسية فى الحياة التعبد له . هل رأينا نجم المسيح ؟ لنتعلم كيف تقدم له الولاء والإكرام .

(٥) كيف قوبل هذا البحث فى أورشليم . لقد وصلت أنباؤه أخيراً إلى القصر الملكى **« ولما سمع هيرودس الملك اضطرب »** ع ٣ إنه لم يكن يجهل نبوات العهد القديم عن المسيا وملكوته والأوقات المحددة لظهوره وفقاً لنبوة دانيال وأسابيعه ، ولكنه إذ حكم هو نفسه طويلا وإذ كان ناجحاً فى حكمه بدأ يرجو أن تسقط هذه المواعيد إلى الأبد وأن يدوم حكمه رغماً عنها . إذاً فياله من وقع أليم جداً على نفسه إذ سمع البعض يتحدثون بأن هذا الملك قد ولد وقتئذ إذ حل الوقت المحدد لظهوره

(ملاحظة) إن القلوب الشريرة الأثيمة العالمية لا ترهب شيئاً أكثر من إتمام الكتاب

وإن كان هيرودس ، وهو ادومى ، قد اضطرب فقد يظن أن اورشليم ستفرح فرحاً عظيما إذ تسمع أن ملكها قد أتى . ولكننا نرى مع الأسف الشديد أن « **جميع أورشليم** » قد اضطربت أيضاً مع هيرودس (ما عدا الأفراد القليلون الذين كانوا « ينتظرون تعزية اسرائيل ») ولعلهم توهموا أن ولادة هذا الملك الجديد ستأتى عليهم بأسوأ النتائج ، كأن تجرهم إلى الحرب أو تكبح جماح شهواتهم ، ولذلك لم يريدوا ملكا غير هيرودس ، بل لم يريدوا المسيا نفسه

(ملاحظة) أن عبودية الخطية كثيراً ما فضلت — بجهل — على حرية مجد أولاد الله نظراً لتخوف البعض من الصعوبات التى يتطلبها التحرر من حكم الشيطان والخضوع لحكم الله

لقد اضطرب هيرودس وجميع أورشليم لاعتقادهم خطأ أن مملكة المسيا سوف تتصادم مع السلطة العالمية مع أن النجم الذى أذاع بأنه ملك أشار فى صراحة بأن مملكته سماوية وليست من هذا العالم

(ملاحظة) ان سبب مقاومة ملوك الأرض وشعوبها لملكوت المسيح هو عدم فهمهم إياه بل تكوين فكرة خاطئة عنه

(٦) المساعدات التى قدمت إليهم من الكتبة والفريسيين فى هذا البحث ع ٤ — ٦ . لم يكن أحد يستطيع أن يخبر أين يوجد ملك اليهود ، ولكن هيرودس يستعلم « **أين** » ينتظر أن « **يولد المسيح** » . أما الأشخاص الذين سألهم فهم « **رؤساء الكهنة** » وكانوا هم المعلمين بحكم وظيفتهم ، « **وكتبة الشعب** » وهم الذين أقاموا أنفسهم لدراسة الناموس . كان يجب أن تحفظ شفاههم معرفة ولذلك كان يجب على الشعب أن يطلبوا من فهم الشريعة مل ٢ : ٧ . كان معروفا بوجه عام أن المسيح يجب أن يولد « **فى بيت لحم** » يو ٧ : ٤٢ ولكن هيرودس أراد أن يأخذ رأى بعض المستشارين ، ولذلك اتجه ناحية الأشخاص المختصين . ولكى يضمن استشارة أقرب إلى الحقيقة جمعهم كلهم معاً «**فجمع كل** رؤساء الكهنة وكتبة الشعب » وطلب منهم معرفة المكان الذى يولد فيه المسيح حسبما تنبأت كتب العهد القديم . وكم من سؤال صالح سئل لغاية شريرة كهذا السؤال

لم يكن الأمر يحتاج إلى وقت طويل حتى يجيب رؤساء الكهنة والكتبة على هذا السؤال ، كما انهم لم يختلفوا فى الرأى عند الاجابة عليه ، ولكنهم اتفقوا جميعاً على أن المسيا لابد أن يولد « **فى بيت لحم** » **مدينة داود** ، وقد سميت هنا « بيت لحم **اليهودية** » لتمييزها من مدينة أخرى بنفس الاسم فى أرض زبولون يش ١٩ : ١٥ . ومعنى « بيت لحم » بيت الخبز وهى أليق مكان يولد فيه ذاك الذى هو المن الحقيقى « الخبز النازل من السماء » الذى أعطى حياة للعالم .

والدليل الذى قدمه أولئك الكهنة والكتبة مقتبس من ميخا ٥ : ٢ حيث يتنبأ النبى

قائلا « وأنت يا بيت لحم افراته وأنت صغيرة أن تكون بين ألوف يهوذا » غير معروفة كثيراً ، إلا أنك « لست الصغرى بين رؤساء يهوذا » لأن عظمة بيت لحم لا تقوم على كثرة شعبها كباقى المدن بل على عظمة الملوك الذين قدمتهم . ولو كانت بيت لحم صغيرة لبعض الاعتبارات إلا أنها هنا تنال الأفضلية على سائر مدن اسرائيل أن « الرب يعد فى كتابة الشعوب أن هذا (يسوع المسيح) ولد هناك » مز ٨٧ : ٦ . « **منك يخرج مدبر** » هو « ملك اليهود »

(ملاحظة) ان المسيح لا يصير « مخلصاً » إلا للذين يقبلونه « مدبراً »

كانت بيت لحم « مدينة داود » ، وكان داود مجد بيت لحم ، إذاً فكان ينبغى أن يولد ابن داود وخليفته فيها .

كانت هنالك بئر مشهورة على أبواب بيت لحم اشتهى داود أن يشرب منها ٢ صم ٢٣ : ١٥ ، وفى المسيح لا ننال خبزاً كافياً فحسب و يفضل عنا بل إليه نأتى ونأخذ « ماء الحياة مجاناً » .

لاحظ هنا كيف أن اليهود والأمم يطابقون ملاحظاتهم عن يسوع المسيح . فالأمم يعرفون وقت ولادته بواسطة النجم ، واليهود يعرفون مكان الولادة بواسطة الكتب ، و بذلك يستطيعون أن يتعاونوا فى المعرفة بعضهم مع بعض

(ملاحظة) مما يز يد معرفتنا أن نتبادل معلوماتنا بعضنا مع بعض . فثروة البشر المادية تزداد بالمبادلات التجارية . وهكذا نحن أيضاً ان كنا نقدم ما لدينا من معلومات للآخرين قدموا هم إلينا ما لديهم من معلومات ، و بذلك « كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد » دا ١٢ : ٤

(٧) التدابير الشريرة التى دبرها هيرودس بمناسبة هذا البحث ع ٧ و ٨ . كان هيرودس إذ ذاك رجلا متقدماً فى الأيام ، حكم خمسة وثلاثين عاماً ، وكان هذا الملك الجديد قد ولد حديثاً ، ولم يكن متوقعاً أن يبدأ عملا هاماً قبل بضع سنوات ، ومع ذلك فقد التهب قلب هيرودس غيرة منه . ان الملوك لا يطيقون التفكير فى من يخلفهم ، و بالأحرى فى من ينافسهم ، ولذلك فلن يسكن غضب هيرودس سوى قتل هذا الطفل . ولم يسمح لنفسه بالتفكير فى انه ان كان هذا الطفل المولود هو المسيا فإنه بمقاومته أو بتدبير أية مكيدة ضده « يوجد مقاوماً لله » وانه لا شيء عديم الجدوى كهذه المقاومة ولا شيء أخطر منها . لقد تغلبت العاطفة على العقل والضمير . والآن لنتأمل :

١ — كيف دبر مكيدته بمكر ع ٧ و ٨ . « **دعا المجوس سراً** » ليتحدث إليهم فى هذا الأمر . لم يشأ أن يصرح بمخاوفه وغيرته . لأنه رأى أن فى مكاشفة المجوس بذلك تحقيراً له ، وفى

مكاشفة الشعب خطراً له . كثيراً ما تعذب الخطاة بمخاوفهم الخبيثة التي يبقونها لأنفسهم .

من ثم نرى أن هيرودس قد « **تحقق منهم زمان النجم الذي ظهر** » لكي يتخذ إجراءاته وفقاً للمعلومات التي يستقيها منهم . و بعد ذلك يكلفهم بزيادة البحث و يأمرهم بتقديم تقرير عن مأموريتهم « **ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال ...** » كان ممكناً أن تحوط تصرفاته هذه كلها الشكوك لولم يسدل عليها ستراً من الدين « **لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له** »

(ملاحظة) ان أشر الشرور كثيراً ما أخفت نفسها تحت ستار الدين والتقوى . فأبشالوم أخفى تمرده تحت ستار العهد الذي قطعه على نفسه

٢ ــ والعجيب جداً انه قد أظهر منتهى الحماقة والجهل إذ ائتمن هؤلاء المجوس ولم يختر لتدبير مكيدته غيرهم ممن يخلصون لمصالحه . لم تكن المسافة تبعد أكثر من سبعة أميال عن أورشليم فكان من السهل جداً أن يرسل جواسيس لمراقبة المجوس وللبطش بالطفل حال سجدهم له .

(ملاحظة) يستطيع الله أن يخفي عن أعين أعداء الكنيسة تلك الخطط التي يمكن أن تفتك بالكنيسة بسهولة . وعندما يقصد أن « يقلب الأقوياء » فإن طريقته هي أن « يحمق القضاة » أى ١٢ : ١٧ و ١٩

٩ ــ فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتي جاء ووقف فوق حيث كان الصبي ١٠ ــ فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيما جداً ١١ ــ وأتوا الى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه . فخروا وسجدوا له . ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً ١٢ ــ ثم إذ أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم

وفي هذه الأعداد نرى مثول المجوس بتواضع أمام ملك اليهود المولود والاكرام الذي قدموه له . من أورشليم ذهبوا إلى بيت لحم معتزمين أن يبحثوا حتى يجدوه ، ولكن من الغريب أنهم ذهبوا وحدهم ، ولم يرافقهم أي شخص من القصر الملكي ، أو من الكنيسة ، أو من المدينة ، ان لم يكن بوازع من الضمير فعلى الأقل بدافع تأدية الواجب نحو هؤلاء الضيوف ، أو بدافع حب الاستطلاع لرؤية هذا الملك الوليد . هؤلاء المجوس الذين من المشرق سيقومون في الدينونة مع ملكة

الجنوب و يدينون رجال ذلك الجيل ، وهذا الجيل أيضاً ، لأنهم أتوا من بلاد بعيدة ليسجدوا للمسيح ، بينما اليهود أقرباؤه لم يتحركوا خطوة واحدة ، لم يريدوا الذهاب إلى البلدة المجاورة للترحيب به . عندما أتى هؤلاء المجوس ووجدوا الطفل الذى يبحثون عنه مهملا بهذ الشكل فى وطنه كان ممكناً أن يكون ذلك مدعاة لفشلهم . كيف نأتى من بلاد بعيدة لنقدم الاكرام والولاء لملك اليهود ، فنرى اليهود يزدرون به و بنا نحن أيضاً ؟ على أن المجوس استمروا ثابتين فى عزمهم

(ملاحظة) يجب أن نستمر فى طلب المسيح ولو كنا منفردين ، ومهما فعل الآخرون فيجب علينا نحن أن نعبد الرب ، وإن لم يريدوا الذهاب معنا إلى السماء فيجب أن لا نذهب معهم إلى جهنم .

والآن لنلاحظ :

(١) كيف أنهم وجدوا المسيح بإرشاد نفس النجم الذى رأوه فى بلادهم ع ٩ و ١٠ .
تأمل :

١ ــ كيف تعطف الرب وأرشدهم . لقد قصد الرب بظهور النجم فى المرة الأولى أن يعرفوا أين يجب أن يطلبوا الطفل ، ثم أختفى النجم ، وتركوا لاتخاذ الطرق العادية لهذا البحث .

(ملاحظة) حيث أمكن إيجاد الطرق العادية فيجب أن لا نتوقع المساعدات غير العادية .

حسناً فعلوا إذ قد تتبعوا الأمر على قدر استطاعتهم ، فقد تابعوا المسير حتى بيت لحم ، ولكنهم إذ وصلوها كيف يستطيعون العثور على الطفل فى هذه المدينة المزدحمة بسكانها . هنا وجدوا أنفسهم فى حيرة ، وفرغت حيلتهم ، ولكن لم يفرغ إيمانهم ، فقد آمنوا بأن الله الذى أتى بهم من بلادهم بكلمته لا يمكن أن يتركهم هنا ، وهو فعلا لم يتركهم لأنه أبصروا « **وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم** » .

(ملاحظة) إذا تابعنا المسير ــ فى تأدية واجبنا ــ على قدر استطاعتنا أرشدنا الله واعاننا على تأدية ما لا نستطيعه من أنفسنا « قم واعمل وليكن (يكن) الرب معك » ١ أى ٢٢ : ١٦ وكما يقول المثل اللاتينى إن الناموس لا يعين الكسالى بل يعين النشيطين المجدين العاملين .

لقد تركهم النجم طويلا ولكنه الآن يعود للظهور إليهم . إن الذين يتبعون المسيح فى الظلام سوف يجدون أن النور قد زرع لهم وأن النور محفوظ لهم . لقد أرشد الرب إسرائيل بعمود النار إلى « أرض الموعد » ، وأرشد المجوس بالنجم إلى « ابن الموعد » الذى هو « كوكب الصبح المنير» رؤ ٢٢ : ١٦ إن الله يفضل أن « يخلق شيئاً جديداً » عن أن يترك الذين يبحثون عنه بجد

واجتهاد فى حيرة وارتباك . كان هذا النجم علامة لحضور الله معهم ، لأنه هو نور، و يسير أمام شعبه لإرشادهم .

(ملاحظة) إن وضعنا الله بالإيمان نصب أعيننا فى كل طرقنا استطعنا أن نرى أنفسنا تحت إرشاده ، هو يرشد شعبه بأن يضع عينه عليهم ، و يقول لهم هذه هى الطريق التى تسلكونها مز ٣٢ : ٨ ، وكل الذين يطلبون المسيح يشرق فى قلوبهم كوكب الصبح ٢ بط ١ : ١٩ .

٢ ــ ولاحظ كيف تتبعوا إرشاد الله بفرح ع ١٠ « **فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيما جداً** » لقد أدركوا الآن أنهم لم يكونوا مخدوعين وأنهم لم يسيروا هذه الرحلة الطويلة عبثاً . « الشهوة المتممة شجرة حيوة » أم ١٣ : ١٢ . لقد تأكدوا الآن أن الله كان معهم ، ولا يمكن إلا أن تملأ علامات حضوره ومحبته قلوب الذين يقدرونها بفرح لا ينطق به . إنهم الآن يستطيعون أن يهزأوا باليهود فى أورشليم الذين قد هزأوا بهم على الأرجح لتكبدهم مشقة عظيمة فى مأمورية توهموا أنها لا طائل تحتها . لا يستطيع الحرس أن يعطوا العروس أخباراً عن حبيبها ، ولكنها لا تجاوزهم الا قليلا حتى تجد من تحبه نفسها نش ٣ : ٣ و ٤ . إننا لا يمكن أن ننتظر شيئاً من الإنسان ، ولا يمكن إلا أن ننتظر كل شىء من الله . أى فرح ملأ قلوب أولئك المجوس لدى رؤيتهم النجم ؟ لا يستطيع أحد أن يعرف هذا مثل أولئك الذين بعد أن وقفوا وقتاً طويلا محزناً فى ظلمة التجارب والبعد عن الله وتحت سلطان « روح العبودية » قد « أخذوا أخيراً روح التبنى الذى يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » رو ٨ : ١٥ و ١٦ ، لأنهم قد انتقلوا من الظلام إلى النور ومن الموت إلى الحياة . وإذ رأوا « كوكب الصبح » فقد حق لهم أن يرجوا بأن يروا « مسيح الرب » سريعاً و « شمس البر » .

(ملاحظة) يجب أن نبتهج بكل شىء يرينا الطريق إلى المسيح .

لقد أرسل هذا النجم ليلتقى بالمجوس و يرشدهم حتى يدخل بهم إلى غرفة الملك الخاصة و يأتى بهم إلى حضرته . الآن يتمم الله وعده القائل بأنه « يلاقى الفرح الصانع البر» أش ٦٤ : ٥ ، الذى يتمم وصيته . « لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب » مز ١٠٥ : ٣ .

(ملاحظة) يسر الله أحياناً باظهار علامات محبته للمتجددين حديثاً حتى يشجعهم وسط الصعوبات التى يلاقونها فى بداية سلوكهم فى طرق الله .

(٢) لاحظ كيف مثلوا أمامه عندما وجدوه ع ١١ كانوا ينتظرون بأنه إن كان هذا الطفل الملكى قد احتقرته أمته وشعبه فسوف يجدون مظاهر العظمة والمجد فى بيته . لكن لنتصور كيف انهارت آمالهم إذ وجدوا أن القصر الملكى الذى كان ينتظر أن يجدوه فيه لا يعدو أن يكون

مجرد كوخ بسيط ، وأن كل حاشيته لا تز يد عن أمه الفقيرة . أهذا هو « مخلص العالم » ؟ أهذا هو « ملك اليهود » أهذا هو « ملك ملوك الأرض » ؟ نعم هذا هو الذى « من أجلنا افتقر وهو الغنى » . على أى حال فإن هؤلاء المجوس استطاعوا بحكمتهم أن يخترقوا هذا الحجاب و يروا فى هذا الطفل المحتقر « مجد ابن وحيد لأبيه » ، ولم تخامرهم الشكوك بأنهم قد خدعوا فى بحثهم أو فشلوا فى سعيهم ، ولكنهم إذ وجدوا الملك قدموا إليه أنفسهم أولا ثم هداياهم .

١ ـــ قدموا إليه أنفسهم . « **خروا وسجدوا له** » لم نقرأ أنهم قدموا هذا الولاء والاحترام لهيرودس مع أنه كان فى أسمى درجات العز والمجد الملكى ، ولكنهم قدموا الإكرام لهذا الطفل ليس كملك فقط (وإلا لكانوا قد قدموه أيضاً إلى هيرودس) ولكن كإله .

(ملاحظة) كل الذين يجدون المسيح لابد أن يخروا أمامه و يعبدوه ويخضعوا أنفسهم له « هو سيدك فاسجدى له » مز ٤٥ : ١١ وكل الذين يتواضعون و يعبدون المسيح يصبحون بذلك حكماء ولو كانوا أحكم البشر ، و بذلك يعرفون أنفسهم و يعرفون مصالحهم الحقيقية .

٢ ـــ « **وقدموا له هدايا** » جرت العادة فى الشرق أنه عندما يقدم الشعوب ولاءهم لملوكهم يقدمون اليهم هداياهم . هكذا تنبأ الكتاب أن « ملوك شبا وسبا يقدمون هدية » للمسيح مز ٧٢ : ١٠ أنظر أيضاً أش ٦٠ : ٦ .

(ملاحظة) عندما نقدم أنفسنا للمسيح يجب أن نقدم كل ما نملك . وإن كنا مخلصين فى إخضاع أنفسنا له فإننا لا نعدم الرغبة فى تسليم أعز شيء لدينا اليه . وتقدماتنا لا تصير مقبولة مالم نقدم انفسنا أولا ذبائح حية . لقد « نظر الرب إلى هابيل » أولا ثم نظر إلى « قربانه » تك ٤ : ٤ .

أما الهدايا التى قدموها فكانت « **ذهباً ولباناً ومراً** » ثروة لا يستهان بها . لقد أرسلت العناية هذه الثروة ليوسف ومريم فى وقتها الملائم معونة لهما فى حالتها الدقيقة وقتئذ . كانت هذه منتجات بلادهم . فعلينا أن نكرم الله بما ينعم به علينا . و يظن البعض أن هذه الهدايا كانت ترمز إلى بعض الحقائق ، فإنهم قدموا إليه ذهباً **كملك** مقدمين إليه الجز ية ، مقدمين ما لقيصر لقيصر ، وقدموا إليه لبانا **كإله** إذ قدموا الإكرام لله برائحة البخور ، وقدموا اليه مراً **كإنسان** لابد أن يموت ، لأن المر كان يستعمل فى تحنيط الأجساد .

(٣) لاحظ كيف أنهم تركوه بعد أن مثلوا أمامه ع ١٢ . لقد أمرهم هيرودس أن « يخبروه » عما يجدونه والأرجح أنهم فكروا فى الرجوع إليه لكنهم تلقوا أمراً صريحاً بعدم الذهاب إليه لأنهم كانوا سيستخدمون آلات فى يده لتنفيذ مقاصده الشر يرة . يسهل على حسنى النية أن

يعتقدوا بأن الآخرين حسنو النية أيضاً ، ولا يمكنهم أن يصدقوا بأن العالم شرير بالدرجة التى هو فيها فعلا . على أن « الرب يعلم أن ينقذ الأتقياء من التجربة » ٢ بط ٢ : ٩ . لا نجد هنا ما يشتم منه أن المجوس وعدوا هيرودس بالعودة إليه . وإن كان قد أعطى أى وعد فلا بد أن يكون قد بدى بهذه الكلمات « إن أذن الرب » . أما الآن فإن الرب لم يأذن ، ومنع الشر الذى كان هيرودس يدبره للطفل يسوع ، كما منع المتاعب التى كان ممكناً أن تحل بالمجوس لو أنهم ذهبوا اليه . لقد « **أوحي إليهم** » (أو حذروا من قبل الله) بإشارة صريحة لا تقبل الإبهام . يظن البعض بأن العبارة تفيد أنهم استشاروا الله فكان هذا هو الجواب .

(ملاحظة) إن الذين يسلكون بحذر ويخشون الخطية والفخاخ التى ينصبها الأشرار يجب أن لا يتوقعوا إلا أنهم يرشدون إلى الطريق المستقيم إذا طلبوا الإرشاد من الله

كان يتضمن الإرشاد الذى أتاهم « **أن لا يرجعوا إلى هيردوس** » ولا إلى أورشليم . لأن الذين كان ممكناً أن يروا المسيح بأعينهم ولم يريدوا لا يستحقون أن يؤتى إليهم بالاخبار عنه . أما المجوس فإنهم « **انصرفوا في طريق آخر إلى كورتهم** » ليأتوا بالاخبار إلى مواطنيهم . ولكن من الغريب أننا لم نسمع عنهم قط فيا بعد ، ولم نسمع أن اولئك الذين عبدوه فى المهد مثلوا بين يديه فى الهيكل . وعلى أى حال فإن الإرشاد الذى أتاهم من الله فى عودتهم كان عاملا جديداً لتثبيت ايمانهم فى هذا الطفل بأنه هو « الرب من السماء » .

١٣ وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك . لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه ــ ١٤ فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر ــ ١٥ وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى .

فى هذة الأعداد نرى هروب المسيح إلى مصر تخلصاً من قسوة هيرودس ، وقد حدث هذا نتيجة بحث المجوس عنه ، لأنه قبل ذلك كان فى مأمن من شره لجهل البشر بأمره . لم يكن هذا الإكرام الذى قدم للمسيح فى طفولته سوى قدراً يسيراً جداً بالنسبة لما كان يجب أن يكون ، ومع ذلك فإن هذا القدر اليسير عوضاً عن أن يكون باعثاً على إكرامه بين شعبه صار باعثاً على تعريضه لأخطارهم .

والآن لنلاحظ :

(١) الأمر الذى أعطى ليوسف بإزاء هذا الخطرع ١٣ . لم يكن يوسف يعرف الخطر الذى كان الطفل معرضاً له ، ولم يكن يعرف كيف السبيل إلى النجاة منه . ولكن الله يبين له الأمر ين بواسطة « **ملاك ... فى حلم** » وهى نفس الطريقة التى أرشده بها من قبل عما يجب أن يفعله ص ١ : ٢٠ . لم يكن يوسف ــ قبل علاقته بالمسيح ــ خبيراً بالتحدث مع الملائكة كما هو الآن .

(ملاحظة) إن الذين يرتبطون بعلاقة روحية مع المسيح بالايمان تصبح لهم شركة مع السماء لم يعهدوها من قبل .

١ ــ وهنا نرى الله يخبر يوسف عن الخطر الذى يهدد الطفل « **لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه .**

(ملاحظة) إن الله يعرف تمام المعرفة كل التدابير الشريرة والمقاصد السيئة التى يدبرها أعداء الكنيسة لها . « ولكننى عالم بهيجانك على » هذا ما قاله الله لسنحاريب أش ٣٧ : ٢٨ .

أنظر كيف أحاقت الآلام بيسوع مبكراً جداً . إن الذين تلاقيهم المتاعب والأخطار فى نضوج الحياة يقضون أيام طفولتهم عادة فى هدوء وسلام . ولكن لم يكن الأمر كذلك مع يسوع فإن آلامه بدأت منذ بدأت حياته ، إذ أنه ولد « إنسان نزاع » أر ١٥ : ١٠ كأرميا الذى قبل أن يخرج من الرحم قدسه الله ص ١ : ٥ . إذاً فالمسيح الذى هو الرأس ، والكنيسة التى هى الجسد ، يتفقان فى القول « كثيراً ما ضايقونى منذ شبابى » مز ١٢٩ : ١ . لقد اشتدت حماقة فرعون وعظمت قسوته حتى أمر بقتل كل ابن يولد للعبرانيين ، « والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت » رؤ ١٢ : ٤

٢ ــ ثم يرشده إلى ما يجب أن يفعله لتجنب الخطر « **قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر** » وهكذا يعطينا المسيح فى فجر حياته مثلا عملياً للقاعدة التى وضعها « متى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى » مت ١٠ : ٢٣ . إن ذاك الذى جاء لكى يموت عنا هرب لنجاته إذ كانت ساعته لم تأت بعد . وان كان احتفاظ الانسان بسلامة نفسه جزءاً من ناموس الطبيعة فهو بلا شك جزء من ناموس الله .

« اهرب » ولكن لماذا يهرب « إلى مصر » ؟ كانت مصر مشهورة بعبادتها الوثنية ، بمظالمها ، بعداوتها لشعب الله ، كانت بيتاً للعبودية لاسرائيل ، وكانت بنوع خاص قاسية على أطفالهم ، ففى مصر كما فى الرامة « صوت سمع ... راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى » . ومع ذلك فقد اختارها الرب لكى تكون ملجأ للطفل المبارك يسوع .

(ملاحظة) يستطيع الله — إذا أراد — ان يجعل شر الأمكنة تخدم أنبل المقاصد ، لأن « للرب الأرض » ، وهو يستطيع أن يستخدمها كما يشاء . وفى بعض الأحيان نجد أن « الأرض تعين المرأة » رؤ ١٢ : ١٦ . والله الذى جعل موآب حمى للمشردين يجعل مصر ملجأ لإبنه .

هذا التصرف يمكن اعتباره :

(١) كامتحان لايمان يوسف ومريم . كان ممكناً أن يجربا بهذه التجربة : إن كان هذا الطفل هو ابن الله حقاً كما أخبرنا فهلا توجد طريقة أخرى لينجى نفسه من الانسان الذى إن هو إلا دودة حقيرة سوى هذه الطريقة غير المشرفة وهى الهرب ؟ ألا يمكنه أن يستدعى جيوشاً من الملائكة لحمايته ، أو كروبيم بسيوف نارية لحراسة شجرة الحياة هذه ؟ ألا يمكنه أن يبطش بهيرودس ، أو يشل اليد التى تمتد اليه ، و بذلك يوفر علينا مشقة الارتحال ؟ لقد سبق أن سمعا منذ وقت وجيز أنه سيكون « مجداً لشعبه إسرائيل » وهل أبغضته أرض إسرائيل لهذه الدرجة وبهذه السرعة ؟

ولكننا لا نجد أنهما أقاما اعتراضات كهذه ، فإن إيمانهما إذ امتحنه الله وجد ثابتاً ، وكانا واثقين أن هذا هو ابن الله ، ولو لم يريا معجزة تصنع لسلامته ، فاضطرا أن يستخدما الوسائط العادية .

لقد تشرف يوسف بأن يكون رجل مريم المطوبة ، ولكن هذا الشرف كان محفوفاً بالمتاعب والأخطار ككل شرف فى هذا العالم . فعلى يوسف أن يخضع للأمر الصادر إليه « **خذ الصبى وأهرب إلى مصر** »

والآن ظهرت حكمة الله فى اختيار يوسف ليكون بجانب الصبى وأمه ، والآن أيضاً ظهر كيف أن الذهب الذى قدمه اليه المجوس كان ضرورياً لسد نفقات هذه الرحلة . إن الله ينظر مقدماً إلى متاعب شعبه ويهيىء لهم أعوازهم تلقاءها مقدماً . وعندما قال الله له « **كن هناك حتى أقول لك** » فإن ذلك يتضمن استمرار عنايته وإرشاده ، لهذا كان يجب أن ينتظر حتى يسمع من الله ثانية وأن لا يتحرك قبل أن يتلقى أمراً جديداً . وهكذا نرى أن الله يحفظ شعبه متكلين عليه .

(ب) كعلامة على اتضاع الرب يسوع . وكما أنه لم يوجد له مكان فى خان بيت لحم هكذا لم يوجد له مكان أمين فى ارض يهوذا . وهكذا نفى من كنعان الأرضية لكى لا نطرد نحن إلى الآبد من كنعان السماوية التى طردنا منها لأجل الخطية . إن جزنا الضيقات نحن وأطفالنا يوماً ما فلنذكر ضيقات يسوع فى طفولته وليكن ذلك تعزية لنا .

(ج) كعلامة على غضب الله على اليهود الذين لم يبالوا به . فقد كان عدلا أن يترك أولئك الذين ازدروا به . ولنا هنا أيضاً عربون لمحبته للأمم الذين كان ينبغي أن يكرز بينهم الرسل ببشارة الانجيل بعد رفض اليهود إياها . وإن كانت مصر قد رحبت بالمسيح بعد أن نبذته يهوذا فإن في هذا اعلاناً على أنه لا يمضى وقت طويل لتتحقق النبوة «مبارك شعبى مصر» أش ١٩ : ٢٥ .

(٢) إطاعة يوسف لهذا الأمر ع ١٤ . كانت الرحلة مضنية للطفل وأمه بل محفوفة بالمخاطر، ولم يكن فى إمكانيتهم الإستعداد لها إلا استعداداً بسيطاً جداً، وكان متوقعاً ان يقابلوا بمنتهى الفتور فى مصر، ومع ذلك فإن يوسف لم يعاند الرؤيا السماوية، ولم يبد أى اعتراض، كما أنه لم يتباطأ فى طاعته . فإنه حالما تلقى الأمر «قام» وبدأ فى الارتحال «ليلا» فى الليلة — على ما يظهر — التى تلقى فيها الأمر.

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يجعلوا طاعتهم مقبولة أن يجعلوها سريعة .

والآن نرى يوسف يخرج كأبيه إبراهيم «وهو لا يعلم إلى أين يأتى» عب ١١ : ٨ . وإذ لم يكن لدى يوسف ومريم من الأمتعة إلا القليل فإنهما لم يجدا مشقة في الارتحال . إن الثراء يعطل الهرب عند اللزوم . وإن كان الأغنياء ينتفعون بالفقراء طالما كانت ثروتهم محفوظة فى أيديهم فإن الفقراء ينتفعون بالأغنياء حينما يضطرون لترك هذه الثروة .

«**فقام وأخذ الصبى وأمه**» يلاحظ البعض أن الصبى يذكر أولا لأنه هو العامل الرئيسى، وأن مريم لا تذكر كامرأة يوسف بل كأم الصبى وهذا أسمى ما تتشرف به . لم يكن يوسف هذا هو أول يوسف يطرد من كنعان إلى مصر ليحتمى من غضب إخوته . كان يجب أن ترحب مصر بيوسف هذا من أجل يوسف ذاك .

ويروى التقليد أن العائلة المقدسة لدى وصولها أرض مصر دخلت هيكلا فتساقطت كل أصنامه بقوة خفية كما سقط داجون أمام التابوت . كان ذلك إتماماً للنبوة القائلة «هوذا الرب قادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه» أش ١٩ : ١ .

بقيت العائلة فى مصر حتى وفاة هيرودس . ويظن البعض أن مدة إقامتها بلغت سبع سنوات، والبعض الآخر أنها لم تزد عن بضعة شهور . كانوا فى مصر بعيدين عن هيكل الرب وعن العبادة فيه، لا يحيط بهم إلا عبدة الأوثان، ولكن الله تراءى لهم هناك لأنه «يريد رحمة لا ذبيحة» . إنهم ولو كانوا بعيدين عن هيكل الرب إلا أن رب الهيكل كان معهم . قد يقضى على

الصالحين أن يبعدوا عن تأدية فرائض الله ، وأن يلازموا الأشرار ، ولكن ذلك ليس خطية ولو كان فيه إيلام لنفوسهم

(٣) إتمام النبوات فى كل ذلك « **من مصر دعوت إبني** » هو ١١ : ١ يهتم متى أكثر من سائر الأنجيليين بالإشارة إلى إتمام النبوات المتعلقة بالمسيح لأن إنجيله نشر أولا بين اليهود وهذا يزيده رواء و يزيده قوة لهم . تشير هذه الكلمات بلا شك إلى تخليص الله لإسرائيل وإخراجهم من أرض مصر فإن الله اعترف بهم بأنهم ابنه ، ابنه البكر خر ٤ : ٢٢ ولكن الأنجيلى يحولها هنا تشبيهاً للمسيح رأس الكنيسة .

(ملاحظة) إن الكتاب يتم بأشكال كثيرة بكل تدقيق و بكل غزارة ، وهو متقن فى كل شيء . والله فى كل يوم يتمم الكتاب . والكتاب ليس من تفسير خاص بل يجب أن نعطيه أقصى مداه .

« لما كان إسرائيل غلاما أحببته » هو ١١ : ١ ومع أننى « أحببته » الا أننى تركته فى مصر حتى يصير عظيما ، ولكن لأننى « أحببته » فقد أخرجته من مصر فى الوقت المناسب . فعلى كل الذين يقرأون هذه الكلمات أن لا يرجعوا بأفكارهم إلى الماضى فقط بل أن يتطلعوا إلى المستقبل ، « ما كان فهو ما يكون » جا ١ : ٩ . وهذا ما تتضمنه لهجة الكلام لأنه لا يقول « دعوته » بل « ومن مصر دعوت ابنى »

(ملاحظة) ليس غريباً على أولاد الله أن يوجدوا فى مصر ، فى أرض الغربة ، فى بيت العبودية . ولكن الله سيبحث عنهم ويخرجهم . قد يكونون مختفين فى مصر ولكن الله لا يتركهم فيها . وكل مختارى الله إذ كانوا قبلا أبناء الغضب بالطبيعة قد ولدوا فى مصر روحيا ، ولكنهم بعد التجديد قد دعوا من مصر .

قد يعترض البعض على مجيء المسيح إلى مصر لأنه كيف يشرق « شمس البر » من أرض الظلام . ولكن ذلك لم يكن غريباً فإن إسرائيل خرج من مصر لكى يتقدم إلى الشرف الأعلى والمجد الأسنى ، ولم يكن خروج المسيح من مصر إلا تكراراً لنفس العملية .

١٦ حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً . فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس ــ ١٧ حينئذ تم ما

قيل بأرميا النبى القائل ــ ١٨ صوت سمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين .

في هذه الأعداد نرى :

(١) حنق هيرودس بسبب ارتحال المجوس . انتظر طويلا حتى يعودوا ، وكان يمنى نفسه بأن عودتهم ولو أبطأت إلا أنها أكيدة وعندها يبطش بذلك المنافس فى بدء ظهوره . ولكنه لدى السؤال عنهم علم بأنهم « انصرفوا فى طريق أخرى » وهذا ضاعف غيرته وحسده وجعله يتوهم بأنهم قد تعلقوا بذلك الملك الجديد ، « **حينئذ غضب جداً** » وازداد هيجانه واشتد خطره إذ رأى فشل مؤامرته .

(ملاحظة) إذا تأصل الفساد فى القلب ازداد هيجانا لدى الالتقاء ببعض العقبات فى الطرق الأثيمة .

(٢) المؤامرة التى دبرها ــ رغم ذلك ــ للبطش بالمولود « ملك اليهود » . إن كان قد عجز عن الوصول إليه بتلك المؤامرة التى دبرها له خصيصاً فإنه لم يشك فى الوصول اليه بضربة عامة يدخله فى دائرتها فتكون كسيف الحرب الذى يلتهم هذا وذاك . هذه عملية مضمونة .

كان هيرودس أدومياً تجرى فى عروقه العداوة لإسرائيل . كان دواغ أدومياً ولهذا فإنه لأجل داود قتل جميع كهنة الرب ١ صم ٢٢ : ١٨ كان غريباً أن يجد هيرودس من بين البشر أشخاصاً قساة القلوب يستخدمهم فى عمل وحشى كهذا . على أن الأيدى الأثيمة لن تعوزها وسائل أثيمة لتنفذ بها رغباتها الأثيمة . كان الأطفال على الدوام ــ ولا يزالون ــ موضع عطف ورعاية وحماية القوانين البشرية بل الطبيعة البشرية ، ومع ذلك فقد ذهبوا ضحية غضب ذلك الظالم العاتى الذى لم يكن يقدر للبراءة وزناً كثيرون . كان هيرودس محباً لسفك الدماء فى كل أيام حكمه ، فقبل هذه الحادثة بقليل قتل جميع أعضاء السنهدريم . على أن سفك الدماء فى نظر الرجل الوحشى القاسى ليس إلا بمثابة شرب المرضى بالاستسقاء للماء ، فإنه كلما ازداد شراباً ازداد عطشاً . كان هيرودس إذ ذاك فى السبعين من عمره ولم يكن معقولا أن يزعجه طفل كهذا دون السنتين . ثم إنه لم يكن متلهفاً على أطفاله أو شغوفاً برفاهيتهم ، فقد سبق أن قتل اثنين من أبنائه ، الاسكندر وأرسطو بولس ، وبعد ذلك قتل ابنه انتيباتر قبل موته هو شخصياً بخمسة أيام . لهذا فإنه لم يلتجىء إلى تلك الحادثة الوحشية إلا لإشباع شهوة الكبرياء والقسوة الوحشية ولذا

فإنه لم يكن ليتأخر عن أن يبطش بأى إنسان وقع فى يده . لاحظ الاجراءات الواسعة المدى التى اتخذها :

١ ــ من جهة الوقت . فإنه « **قتل جميع الصبيان ... من ابن سنتين فما دون** » الأرجح أن عمر يسوع كان دون السنة وقتئذ ، ومع ذلك وسع هيرودس الدائرة وقتل جميع الصبيان « من ابن سنتين فما دون » لكى يكون واثقاً من عدم افلات فريسته من يده . انه لا يبالى بعدد الأنفس التى تزهق التى يعتقد انها بريئة على شرط أن النفس التى يظنها أثيمة لا تنجو

٢ ــ من جهة المكان . انه لا يكتفى بقتل جميع الصبيان « **الذين فى بيت لحم** » بل أيضاً الذين « **فى كل تخومها** » فى كل القرى المحيطة بها . هذا شر متزايد جا ٧ : ١٧

(ملاحظة) ان الغضب الذى لم يكبح جماحه إذا استند على القوة الغاشمة كثيراً ما أخرج البشر عن دائرة المعقول فظهرت منهم علامات القسوة الجنونية .

لم يكن ظلماً من الله أن يسمح بهذا . فكل نفس خاضعة لأحكامه منذ ولادتها . وتلك الخطية التى دخلت إلى العالم بمعصية انسان واحد أدخلت الموت معها . ويجب أن لا نفترض بأن أى شىء خارج عن حدود هذه الخطية العامة ، فلا نفترض بأن هؤلاء الأطفال « كانوا خطاة أكثر » ممن جميع من كانوا فى اسرائيل لأنهم كابدوا هذا الموت . أحكام الله « لجة عظيمة » مز ٣٦ : ٦ . ان موت الأطفال ومرضهم برهان على الخطية الأصلية

على اننا يجب أن ننظر لقتل هؤلاء الأطفال من ناحية أخرى . لقد كان لهم بمثابة استشهاد . وفيه نرى كيف أن الاضطهاد بدأ مبكراً جداً على المسيح وملكوته . « لا تظنوا انى جئت لألقى سلاماً على الأرض . ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً » مت ١٠ : ٣٤ و ٣٥ . وهذا أحد أنواع هذا السيف . هنا نرى شهادة سلبية تعطى للرب يسوع . وكما انه إذ كان لا يزال فى بطن أمه شهد له طفل وهو لا يزال جنيناً إذ ركض بابتهاج لاقترابه منه ، هكذا أيضاً يشهد له بضعة أطفال من سنه وهو فى السنتين من عمره . لقد سفكوا دماءهم من أجل ذاك الذى سفك دمه من أجلهم فيما بعد . هؤلاء هم أطفال جيش الشهداء الكريم . وان كان هؤلاء الأطفال قد اصطبغوا بمعمودية الدم ــ ولو كان دمهم هم أنفسهم ــ وانتقلوا إلى الكنيسة الظافرة فقد عوضهم الله بما نالوه فى السماء عما خسروه فى الأرض . « من أفواه هؤلاء الأطفال والرضع هيأ الله سبحاً » .

يخبرنا التقليد فى الكنيسة اليونانية ، وتتفق معها الكنيسة الأثيوبية فى قداسها ، ان عدد هؤلاء الأطفال الذين قتلوا ١٤ ألف . ولكن لعل هذا لا يستند إلى كثير من الحق . فإنى أعتقد انه لو أحصى عدد الأطفال الذكور فى أية مدينة كبيرة الآن من ابن سنتين فما دون لما بلغ هذا

العدد فكم بالحرى مدينة صغيرة كبيت لحم . ومن الغريب أن يوسيفوس لا يذكر شيئاً عن هذه الحادثة . على انه كتب بعد انجيل متى بزمن طويل ، ولعله لم يشأ ذكرها لأنه تحاشى التمادى فى الشهادة لتاريخ المسيحية وهو يهودى غيور . ولكن لو لم تكن هذه الرواية صحيحة لتصدى إلى تكذيبها .

ويخبرنا مكرو بيوس ، وهو مؤرخ وثنى ، انه عندما سمع أوغسطس قيصر أن هيرودس قتل ابنه ضمن الأطفال الذين قتلهم دون السنتين قال هذه النكتة « كان خيراً لهيرودس أن يذبح خنزيراً من أن يذبح ابنه » . كانت عادات البلاد تمنعه من ذبح خنزير ، ولكن لم يكن هنالك ما يمنعه من ذبح ابنه . و يظن البعض انه كان له طفل رضيع فى بيت لحم . و يظن الآخرون انه كثيراً ما اختلط أمران على المؤرخين : قتل الأطفال وقتل ابنه انتيباتر . ومما يذكر أن كنيسة روما تكرس يوماً خاصاً لذكرى هؤلاء « الأبرياء القديسين »

و يلاحظ البعض انه كان فى قتل هؤلاء الأطفال تدبير آخر للعناية . يبدو من كل نبوات العهد القديم أن بيت لحم هو المكان الذى كان يجب أن يولد فيه المسيا وأن ذلك الوقت كان هو الوقت المعين لولادته . والآن إذ قتل جميع أطفال بيت لحم ولم ينج إلا المسيح فليس لآخر سواه الحق بأن يدعى مسيا . كان يظن هيرودس انه قد أبطل كل نبوات العهد القديم وتغلب على علامات النجم وعبادة المجوس بتخليص البلاد من هذا الملك الجديد . وكان يتوهم بأنه إذ أحرق خلية النحل فقد قتل ذكر النحل . ولكن « الساكن فى السماوات يضحك ، الرب يستهزىء به » . ومهما دبر البشر من مؤامراتهم شريرة ومهما أحكمت موأمراتهم فإن « مؤامرة الرب إلى الأبد تثبت » مز ٣٣ : ١١ ، أم ١٩ : ٢١

(٣) اتمام النبوات فى كل هذا ع ١٧ و ١٨ . « **حينئذ تم ما قيل بأرميا النبى القائل : صوت سمع فى الرامة** » أر ٣١ : ١٥ أنظر وتعجب من اتمام النبوات . لقد تمت هذه النبوة أولا فى أيام أرميا عندما أحضر بنوزرادان كل المسجونين إلى الرامة بعد حرق أورشليم ص ٤٠ : ١ . وهناك — فى الرامة — أسلمهم إلى السيف أو إلى السبى حسبما أراد . وعندئذ سمع صوت البكاء فى الرامة من بيت لحم ، لأن المدينتين — واحداهما نصيب سبط يهوذا والآخرى من نصيب بنيامين — لا تبعدان عن بعضهما كثيراً . والآن تم هذه النبوة مرة أخرى فى ذلك الحزن البالغ بسبب قتل هؤلاء الأطفال .

وهنا نرى كيف تتم النبوات :

١ — فى مكان هذا الحزن . لقد سمع الصوت من بيت لحم إلى الرامة لأن قسوة هيرودس نشرت ألويتها على كل تخوم بيت لحم ، حتى فى نصيب بنيامين بين أبناء راحيل .

يظن البعض أن البلاد المحيطة ببيت لحم كانت تسمى « راحيل » لأنها ماتت ودفنت هناك . وكان قبر راحيل — ولا يزال إلى الآن — بالقرب من بيت لحم تك ٣٥ : ١٦ و ١٩ . أنظر أيضاً ١ صم ١٠ : ٢ .

كانت راحيل تضع كل قلبها على الأطفال . والابن الذى ولدته وماتت وقت ولادته دعته « بن أونى » أى « ابن حزنى » تك ٣٥ : ١٨ . كانت هؤلاء الأمهات كراحيل ، و يعشن بالقرب من قبر راحيل ، والكثيرات منهن من سلالة راحيل ، ولذلك فقد لاق أن يشبه حزنهن بحزن راحيل

٢ — فى درجة هذا الحزن . « **نوح و بكاء وعو يل كثير** » وهذه الأوصاف كلها لا تكفى للتعبير عن مقدار الحزن بسبب هذه الكارثة العظيمة . لقد كان هنالك صراخ شديد فى مصر من أجل قتل الأبكار ، وهنا أيضاً نرى صراخاً شديداً من أجل قتل الصغار الذين يعطف عليهم بطبيعة الحال عطفاً خاصاً .

هنا نرى تمثيلا للعالم الذى نعيش فيه ، الذى طالما سمع فيه « نوح و بكاء وعو يل كثير » ، وطالما رؤ يت فيه « دموع المظلومين » بسبب هذه المناسبة أو تلك . ان طر يقنا يقع فى « وادى الدموع » .

كان هذا الحزن شديداً جداً حتى انها كانت « **لا تر يد أن تتعزى** » بل تمادت فى أحزانها . شكراً لله لأنه لا توجد فرصة للحزن فى هذا العالم تبررنا فى رفض التعز ية حتى الحزن الناشىء من الخطية نفسها

وهى لا تر يد أن تتعزى « **لأنهم ليسو بموجودين** » أى لأنهم ليسوا بموجودين فى أرض الاحياء ، ليسوا بموجودين فى أحضان أمهاتهم كما كانوا . ان كانوا « ليسوا بموجودين » حقاً لوجد هنالك ما يبرر الحزن كأنه لا رجاء لنا ، ولكننا نعلم انهم لم يفقدوا بل قد سبقونا . وان كنا ننسى انهم « موجودون » فإننا ننسى أعظم أساس لتعز يتنا ١ تس ٤ : ١٣

يظن البعض ان حزن أهل بيت لحم سمح به قصاصاً لهم على احتقارهم للمسيح واستخفافهم به . إن الذين لا يفرحون بولادة ابن الله يحق لهم بعدل أن يحزنوا لموت أبنائهم . فكل ما نقرأه عن أهل بيت لحم أنهم « تعجبوا » من الأخبار التى أتاهم بها الرعاة لكنهم لم « يرحبوا » بها

وان الإشارة إلى هذه النبوة تكفى للرد على اعتراض قد يعترض به البعض على المسيح بسبب هذه المناسبة المفجعة . قد يقول هؤلاء المعترضون : هل يمكن أن يدخل المسيا إلى العالم بهذه

الفواجع وهذه الأحزان مع انه مفروض أن يكون هو عزاء لاسرائيل ؟ نعم لأنه هكذا تنبأ الكتاب وينبغى أن تتم النبوات . وفضلا عن هذا فإننا إذا تأملنا فى باقى هذه النبوة وجدنا أن « البكاء المر» فى الرامة كان مقدمة لفرح جزيل لأنه يقول بعد ذلك « لأنه يوجد جزاء لعملك ، و يوجد رجاء لآخرتك » أر ٣١ : ١٦ و ١٧ . عندما تسوء الأمور تسرع حالا وتنصلح . فإنه قد ولد لهم ولد يكفى أن يعوضهم عن خسائرهم

١٩ ــ فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر ٢٠ ــ قائلا قم وخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض اسرائيل . لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى ٢١ ــ فقام وأخذ الصبى وأمه وجاء إلى أرض اسرائيل ٢٢ ــ ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك . وإذ أوحى إليه فى حلم انصرف إلى نواحى الجليل ٢٣ ــ وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة . لكى يتم ما قيل بالأنبياء انه سيدعى ناصرياً

وفى هذه نرى عودة المسيح من مصر إلى « أرض إسرائيل » . قد تصلح مصر للالتجاء فيها مؤقتاً أو للتغرب فيها لأمد قصير ، ولكنها لا تصلح للاقامة فيها . لقد أرسل المسيح « إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ولذلك فلا بد من العودة إليهم . لاحظ هنا :

(١) ما الذى مهد لعودته : موت هيرودس الذى حدث بعد قتل الأطفال بمدة قصيرة يقدرها البعض بثلاثة شهور . وهكذا نرى الانتقام الإلهى يقتص سريعاً .

(ملاحظة) يجب أن يموت أمثال هيرودس ، الظالمون المتكبرون ، الذين كانوا رعباً للعظماء ، وظلماً للأتقياء « فى أرض الأحياء » . يجب أن يأتى يومهم ، وإلى الهاوية يهبطون . إذاً « فمن أنت حتى تخاف من إنسان يموت ومن ابن الإنسان الذى يجعل كالعشب » أش ٥١ : ١٢ و ١٣ سيما عندما تدرك أنه عند الموت لا يهلك « بغضهم وحسدهم » فقط جا ٩ : ٦ ولا يكفون عن الشعب فحسب أى ٣ : ١٧ ولكنهم أيضا سينالون قصاصهم . وليس مثل خطية سفك الدم البرىء فى سرعة القصاص .

يصف لنا يوسيفوس موت هيرودس وصفاً مروعاً . و يقرر أنه انتابه مرض اشتعلت نيرانه بداخله فعذبه بدرجة لا يمكن التعبير عنها . اشتدت شراهته لأكل اللحم بدرجة بالغة ، فأصيب بالمغص وداء النقرس ومرض الاستسقاء ، وتصاعدت منه رائحة كريهة جداً لا تحتمل حتى لم يقو أحد على الاقتراب منه ، واشتد جزعه وقلقه حتى صار عذابا لنفسه ورعباً لكل من يحيط به ، واشتدت قسوته لدرجة الوحشية فأمر بقتل ابنه وسجن الكثيرين من العظماء والشرفاء وأصدر أمراً بقتلهم حالما يموت ، ولكن هذا القتل لم ينفذ . فانظر عينة الأشخاص الذين كانوا أعداء ومضطهدين للمسيح وأتباعه . وقليلون هم الذين جردوا أنفسهم من الإنسانية فى اضطادهم للمسيحية أمثال نيرون ودومتيانوس .

(٢) الأمر الذى صدر من السماء بصدد الرجوع ، وطاعة يوسف لهذا الأمرع ١٩ — ٢١ . كان الله هو الذى أرسل يوسف الى مصر ولذلك فكان عليه أن يبقى فيها حتى يخرجه منها ذاك الذى أتى بهم إليها .

(ملاحظة) فى كل انتقالاتنا يحسن أن نرى طريقنا واضحاً جلياً والرب سائراً أمامنا ، وأن لا نخطو خطوة إلى هنا أو هنالك بدون أمر منه

وهذا الأمر أرسل إليه على يد ملاك .

(ملاحظة) إن احتفظنا بعشرتنا مع الله احتفظ بها من جانبه أينما كنا . إنه لن يوجد مكان يحجب وجه الله عنا . فالملائكة تستطيع أن تزور يوسف فى مصر ، وحزقيال فى بابل ، و يوحنا فى بطمس .

والآن نلاحظ :

١ — إن الملاك يخبره بموت هيرودس وشركائه فى الجريمة . « **قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى** » لقد ماتوا ، أما الصبى فإنه حى . يحيا القديسون المضطهدون أحياناً حتى يطأوا مقابر مضطهديهم . هكذا تغلب ملك الكنيسة على العاصفة ، وكم من مرة تغلبت الكنيسة على العواصف التى هبت عليها . « قد مات » أى هيرودس وابنه أنتيباتر اللذين رغم ما كان بينهما من منافسات وأحقاد فقد اتفقا — على ما يظهر — فى السعى لقتل هذا الملك الجديد . ان كان هيرودس يقتل أولا ابنه أنتيباتر ثم يموت هو فإن الجو يخلو وحينئذ يعرف الرب بالقضاء الذى يجريه مز ٩ : ١٦ عندما تصير الآت الشر سبباً فى ابادة بعضها البعض

٢ — و يرشده عما يفعله . يجب أن يقوم و يعود « **إلى أرض إسرائيل** » وهذا ما فعله دون تردد ، ودون أن يحتج بطيب إقامته فى مصر ، أو بمشقة الارتحال خصوصاً إذا كان موت

هيرودس قد حصل في بدء فصل الشتاء كما يرجح الكثيرون . إن أولاد الله يطيعون أمره أينما أرشدهم وأينما أسكنهم . فإن كنا لا ننظر إلى العالم إلا أنه بمثابة مصر ــ مكان العبودية والنفى ، وإلى السماء بمثابة كنعان ــ وطننا وراحتنا ، وجب أن نكون مستعدين للقيام والارتحال اليها عندما ندعى لذلك كما فعل يوسف إذ دعى للخروج من مصر

(٣) الارشاد الجديد الذى ناله من الله عن الطريق التى يجب أن يتجه نحوها وعن المكان الذى يستقر فيه فى أرض إسرائيل ع ٢٢ و ٢٣ . كان ممكناً أن يعطيه الله هذه البيانات مع البيان الأول فى وقت واحد ولكن الله يعلن فكره لشعبه بالتدريج لكى يجعلهم فى حالة انتظار له على الدوام ولكى يتوقعوا أن يسمعوا منه الجديد على الدوام . تلقى يوسف هذه الأوامر « **فى حلم** » ربما بواسطة ملاك كالمرات السابقة . كان ممكناً أن يعلن الله ارادته ليوسف بواسطة الطفل يسوع ، ولكننا لا نجده فى هذه الانتقالات يلاحظ أية ملاحظة أو يبدى أية ملاحظة عما حصل . ذلك لأنه « كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شىء » (عب ٢ : ١٣) ، وهو إذ كان طفلا « كطفل كان يتكلم » وكطفل كان يتصرف ، وأسدل ستاراً على إدراكه اللانهائى وسلطانه غير المحدود ، وكطفل « كان يتقدم فى الحكمة » .

أما الإرشاد الذى أعطى لهذه العائلة المقدسة الملكية فهو:

١ ــ أن لا تستقر فى اليهودية ع ٢٢ . لعله خطر فى بال يوسف أن يسوع يجب أن يتربى فى بيت لحم التى ولد فيها ، ولكنه بحكمة « **خاف** » على الصبى لأنه « **سمع أن ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه** » ، ليس على كل المملكة كأبيه بل على اليهودية فقط ، أما الأصقاع الأخرى فقد وضعت فى أيد أخرى . فانظر كيف يتتابع الأعداء لمحاربة المسيح وكنيسته . إن سقط الواحد ظهر الآخر بعده تواً لتبقى العداوة القديمة قائمة . ولكن لأجل هذا السبب يجب أن لا يأخذ يوسف الصبى إلى يهوذا .

(ملاحظة) إن الله لا يدفع أولاده وسط الخطر إلا إذا كان ذلك لمجده ولامتحانهم . لأنه « عزيز فى عينى الرب حياة وموت أتقيائه » وعزيزة فى عينيه دماؤهم .

٢ ــ أن تستقر فى الجليل ع ٢٢ . حيث كان يحكمها وقتئذ فيلبس ، وكان رجلا معتدلا هادئاً .

(ملاحظة) إن عناية الله ترتب على الدوام بأن لا يحتاج شعبه إلى ما يلجأون اليه من وجه العاصفة والزوبعة . فإن كان الطقس حاراً ولافحاً أعد طقساً آخر معتدلا .

كانت تقع الجليل فى أقصى الشمال وتتوسط السامرة بينها و بين اليهودية . أرسلت العائلة إلى إحدى مدن الجليل ، الناصرة ، وهى مدينة على تل مرتفع فى وسط نصيب زبولون . فى هذه المدينة كانت تعيش أم الرب عندما تلقت « البشارة » والأرجح أن يوسف كان يقطنها أيضاً (لو ١ : ٢٦ و ٢٧) . إلى هذه المدينة أرسلوا حيث كانوا معروفين فيها تمام المعرفة ، وكانوا بين أقربائهم ، وهى أليق مكان يستقرون فيه . استمروا فيها ومن هناك دعى المخلص « **ناصرياً** » وهذا اللقب كان « لليهود عثرة » لأنه « أمن الناصرة يخرج شيء صالح » .

وعن هذا قيل إنه « **لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً** » وهذا اللقب :

(١) إما أن ينظر اليه كلقب للكرامة والمجد ولو أنه مبدئياً لا يعبر تعبيراً أكثر من أنه « ناصرى » أى « رجل من الناصرة » . وهذه تشير إلى المسيح بأنه هو (أولا) « الإنسان » ، « الغصن » الذى تحدث عنه اشعياء (أش ١١ : ١) . وكلمة « غصن » فى أصلها العبرى Netzar قد تأتى بهذا المعنى وقد يكون معناها « مدينة الناصرة » أو « ناصراً » فهو إذ تعين أن يكون من الناصرة فقد صرح الوحى بأنه سيكون غصناً منها (ثانيا) « النذير (١) الأعظم » الذى كان يشير بل يرمز اليه أولئك النذيرون الشرعيون خصوصاً شمشون (قض ١٣ : ٥) ، و يوسف الذى قيل عنه بأنه « نذير اخوته » (تك ٤٩ : ٢٦) ، والذى كان يشير اليه كل ما قيل عن النذير (عد ٦ : ٢ الخ) . ولا يفهم من هذا أن المسيح كان نذيراً بالمعنى الحرفى فإنه قد لمس أجساد الموتى ولكنه كان كذلك بصفة خاصة لأنه كان مقدساً قداسة مطلقة ولأنه كان مكرساً (٢) لمجد الله فى اتمام عمل الفداء والخلاص كما كرس شمشون لخلاص اسرائيل . إذاً فان لنا فى هذا الاسم كل ما نبتهج به ونفخر به .

(ب) أو كاسم للإزدراء والتحقير والتعيير . فإن تسميته بهذا الاسم « ناصرى » كانت تعنى « الرجل المحتقر » الرجل الذى لا يرجى منه أى شيء صالح ، والذى لا يليق بأن يقدم له أى اكرام . ألصق الشيطان هذا الاسم بالمسيح فى بداية الأمر لتحقيره ولتنفير الشعب منه ، فلصق به و باتباعه كعلامة على الإزدراء .

---

(١) كلمة « ناصرى » و « نذير » فى الانجليزية قريبتان . انظر قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة « ناصرى »

(٢) « ولأجلهم أقدس أنا ذاتى » .

وهذه التسمية بالذات لم يتنبأ بها أي نبى ولكنه « **قيل بالأنبياء** » بصفة عامة إنه سيكون « محتقراً ومخذولا من الناس » (أش ٥٣ : ٣) إنه « دودة لا إنسان » (مز ٢٢ : ٦ و ٧) ، أنه سيحتمل العار و يصير أجنبياً عند إخوته وغر يباً عند بنى أمه (مز ٦٩ : ٧ و ٨)

وإن كان المسيح قد لقب « ناصر ياً » فلا يليق بنا أن نتألم إن دعى علينا أى اسم للتحقير من أجل المسيح .

الاصحاح الثالث

ابتداء من هذا الاصحاح (الخاص بمعمودية يوحنا) يبدأ الانجيل (مر ١ : ١) لم يكن الاصحاحان السابقان الا مقدمة ، اما هذا فانه « بدء انجيل يسوع المسيح » مر ١ : ١ . و يراعى بطرس نفس هذا الترتيب فى التاريخ أع ١ : ٢٢ إذ يبدأ حياة المسيح « منذ معمودية يوحنا » لأنه فى وقت المعمودية بدأ المسيح يظهر فى يوحنا ثم بدأ يظهر له ثم بدأ يظهر بواسطته إلى العالم .

وفى هذا الاصحاح نرى (١) شروق كوكب الصبح البهيج ــ وهو يوحنا المعمدان ع ١ (أولا) التعليم الذى نادى به ع ٣ (ثانيا) اتمام النبوات فيه ع ٣ (ثالثا) طريقة الحياة التى عاشها ع ٤ (رابعا) خروج الجماهير اليه وخضوعهم لمعموديته ع ٥ و٦ (خامسا) العظة التى القاها على الفريسيين والصدوقيين التى أراد بها أن يحملهم على التوبة ع ٧ ــ ١٠ وبذلك يأتى بهم إلى المسيح ع ١١ و١٢ (٢) شروق شمس البر الاكثر مجداً بعد شروق كوكب الصبح مباشرة . وهنا نجد (أولا) الكرامة التى خلعها على معمودية يوحنا ع ١٣ ــ ١٥ (ثانيا) الكرامة التى أعطيت له بنزول الروح القدس عليه والصوت الذى جاء من السماء ع ١٦ و١٧

١ ــ وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية ٢ ــ قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات ٣ ــ فان هذا هو الذى قيل عنه باشعيا النبى القائل صوت صارخ فى البرية . أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة ٤ ــ و يوحنا هذا كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد . وكان طعامه جراداً وعسلا برياً ٥ ــ حينئذ خرج اليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن ٦ ــ واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم .

فى هذه الأعداد نرى كرازة يوحنا ومعموديته اللتين كانتا تأذنان بدنو عصر الانجيل . وهنا نلاحظ :

(١) وقت ظهوره . « **فى تلك الأيام** » ع ١ أو « بعد تلك الأيام » بعد مرور فترة طويلة على تلك الحوادث التى دونت فى الأصحاح السابق التى تركنا فيها الطفل يسوع فى طفولته . « فى تلك الأيام » فى الوقت الذى عينه الآب لبدء الانجيل حين جاء « ملء الزمان »

الذى طالما تحدث عنه العهد القديم . الآن قد بدأ آخر أسابيع دانيال أو بالحرى النصف الأخير للأسبوع الأخير حيث يجب أن المسيح « يثبت عهداً مع كثيرين » (دا ٩ : ٢٧) . إن كل المرات التى يظهر فيها المسيح هى فى أوانها .

لقد تحدث بعظائم عن كل من يوحنا و يسوع قبل ولادتها وعند ولادتها ، الأمر الذى كان يبرر توقع بعض مظاهر فوق العادة للحضرة الآلهية والقوة السماوية أثناء حداثتها ولكن شيئاً من هذا لم يحصل . فاننا لا نسمع عنهما شيئاً حتى وصلا سن الثلاثين سوى ما دون عن مناقشة المسيح لمعلمى اليهود فى سن الثانية عشر . لم يدون شيء عن طفولتهما او شبابهما إذ أن الجزء الأعظم من حياتهما مستور فى الظلام .

هذان الطفلان لم يختلفا فى مظهرهما الخارجى عن سائر الأطفال إلا قليلا ، كما أنه « مادام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب الجميع » (غل ٤ : ١) . وهذا لكى يبين :

١ ــ إنه حتى عندما يعمل الله كإله اسرائيل ، المخلص ، فإنه إله محتجب « حقاً أنت إله محتجب يا إله اسرائيل المخلص » (أش ٤٥ : ١٥) ، « حقا إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم » (تك ٢٨ : ١٦) وحبيبنا يقف خلف الحائط قبل أن « يتطلع من الكوى » (نش ٢ : ٩) .

٢ ــ إن ايماننا يجب أن يثبت إلى المسيح فى وظيفته وفى العمل العظيم الذى تعهد بالقيام به ، لأنه هنا «تظهر قوته» أما فى شخصه «فتتوارى» قوته . فى كل تلك المدة كان المسيح هو الإله المتأنس ومع ذلك فإن الكتاب يصمت عما فعل أو تكلم ، حتى ظهر كنبى وعندئذ قيل « إليه اسمعوا » .

٣ ــ إن الشبان ولو كانوا فى كفاءة تامة إلا أنهم يجب أن لا يتسرعوا و يزجوا بأنفسهم فى الخدمة العامة بل ينبغى عليهم أن يكونوا متواضعين حليمين محتشمين « مسرعين فى الاستماع مبطئين فى التكلم » .

لا يذكر « متى » شيئاً عن الحبل بيوحنا المعمدان ولا عن ولادته الأمر الذى يسهب فى تفصيله القديس « لوقا » ، ولكنه يبدأ فى التحدث عنه فى تمام نضوجه كأنه قد هبط من السماء للكرازة فى البرية . ظلت الكنيسة اليهودية بدون أنبياء مدة أكثر من ثلاثمائة سنة ، انطفأت هذه الأنوار منذ زمن طويل ، لكى تزداد الرغبة فى ذاك الذى كان متوقعاً كالنبى العظيم . بعد ملاخى لم يكن هنالك نبى ولا من ادعى النبوة حتى جاء يوحنا المعمدان الذى أشار اليه ملاخى بأكثر صراحة ووضوح من أى نبى آخر من أنبياء العهد القديم « هانذا أرسل ملاكى » (ملا ٣ : ١) .

(٢) مكان ظهوره أولا . « فى برية اليهودية » لم تكن برية قاحلة جرداء ، ولكنها كانت جزءاً من البلاد غير المزدحمة بالسكان وغير المحاطة بالحقول والكروم كباقى البلاد . كانت برية بها « ست مدن مع ضياعها » ذكر يشوع أسماءها يش ١٥ : ٦١ و٦٢ . فى هذه المدن والضياع كرز يوحنا لأنه كان يعيش بالقرب منها إلى ذلك الوقت إذ ولد بجوارها فى حبرون . بدأت مظاهر خدمته هناك حيث كان يقضى معظم أوقاته فى التأملات . وحتى عندما أظهر نفسه لاسرائيل أظهر كيف كان يحب العزلة على قدر ما تسمح به خدمته . « كانت كلمة الرب » إلى يوحنا هنا « فى البرية »

(ملاحظة) لا يوجد أى مكان نحرم فيه من نعمة الله بسبب بعده . بل بالعكس أن انسب الأمكنة التى يتمتع فيها القديسون بأعذب الأحاديث مع السماء هى عادة عندما يبتعدون عن ضوضاء العالم .

فى هذه « البرية » التى ليهوذا كتب داود مزموره الثالث والستين الذى يتحدث فيه كثيراً عن الشركة الحلوة التى كانت له حينئذ مع الله هو ٢ : ١٤ . فى برية أعطى الناموس . وكما وجد اسرائيل فى البرية فى العهد القديم وهنالك قاده الله وعلمه هكذا كان الحال فى العهد الجديد تث ٣٢ : ١٠

كان يوحنا كاهناً على طقس هرون . ومع ذلك نجده يكرز فى « برية » ولم نجده يخدم فى « الهيكل » . أما المسيح الذى لم يكن من بنى هرون فطالما وجدناه فى الهيكل جالساً فيه كمن له سلطان ، وفقاً لما سبق أن تنبأ به الأنبياء مل ٣ : ١٠ . « ويأتى بغتة إلى هيكله السيد (الرب) الذى تطلبونه » لا « الملاك » الذى كان مزمعاً أن يأتى ليهيىء الطريق أمامه . وهذا يتضمن أن كهنوت المسيح كان لابد أن يطرد كهنوت هرون خارجاً و يدفعه إلى البرية

ان بدء الانجيل فى برية يعطى تعزية لقفار العالم الوثنى . الآن يجب أن تتم النبوات « اجعل القفر أجمة ماء ... اجعل فى البرية الأرز والسنط والآس وشجرة الزيت ، اضع فى البادية السرو والسنديان والشربين معاً » اش ٤١ : ١٨ و١٩ « فتصير البرية بستاناً » اش ٣٢ : ١٥ « وتفرح البرية » اش ٣٥ : ١ و٢ .

نقرأ فى الترجمة السبعينية عن هذه البرية انها « صحارى يهوذا » وهى نفس البرية التى كرز فيها يوحنا

(٣) كرازته . وهذه جعلها مأموريته فى الحياة . لم يأت محارباً أو محاجاً بل جاء **« يكرز »** ع ١ لأنه بجهالة الكرازة يجب أن يقوم ملكوت المسيح .

١ ـــ أما التعليم الذى كرز به فكان عن التوبة ع ٢ « **توبوا** » وهذا كرز به فى « اليهودية » بين أولئك الذين دعوا « يهودا » والذين مارسوا كل فرائض الديانة اليهودية ، لأنه حتى أولئك كانوا فى حاجة إلى التوبة . وهذا كرز به لا فى أورشليم بل فى برية يهوذا بين سكان القرى البسطاء ، لأنه حتى أولئك الذين يظنون فى أنفسهم بأنهم بعيدون عن التجربة ، بعيدون عن مغريات المدن ورذائلها ، لا يحق لهم أن يدعوا البراءة بل يحتاجون هم أيضاً إلى التوبة .

كانت مهمة يوحنا دعوة الناس للتوبة عن خطاياهم . « توبوا » وفى الأصل اليونانى « تأملوا أو فكروا ملياً » ليكن لكم « فكر آخر » لتصلحوا أخطاء الماضى . تأملوا طرقكم ، جددوا أذهانكم . لقد أخطأتم التفكير ، فأعيدوا التفكير ، وأحسنوا التفكير .

(ملاحظة) ان الذين يتوبون توبة صادقة يتغير تفكيرهم عن الله والمسيح ، عن الخطية والقداسة ، عن هذا العالم والعالم الآخر ، و يكون لهذا التفكير الجديد تأثير على حياتهم . فتغيير الفكر ينشىء تغييراً فى الحياة . والذين يحزنون حقاً بسبب تصرفاتهم الخاطئة يحرصون على عدم العودة اليها . وهذه التوبة واجب ضرورى إطاعة لأمر الله اع ١٧ : ٣٠ واستعداد ضرورى لقبول تعزيات انجيل المسيح . لو أن قلب الانسان استمر مستقيما وغير ملوث لأمكن قبول التعزيات الإلهية بدون هذه العملية المؤلمة (التوبة) . أما الآن وقد أصبح القلب خاطئاً فيجب أن يتألم قبل أن يتحرر ، يجب أن يتعب قبل أن يستريح . لأن الجرح يجب أن يفحص قبل أن يشفى . « انى أجرح ثم أعصب »

٢ ـــ الحجة التى توسل بها لتعزيز هذا النداء . « **لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » . لقد دعا أنبياء العهد القديم الشعب للتوبة لقبول البركات الزمنية القومية ولاتقاء الغضب الوقتى القومى . أما الآن فمع أن الدعوة واحدة إلا أن الباعث جديد وانجيلى محض . وأصبح الله الآن ينظر إلى البشر فى أشخاصهم لا فى مركزهم السياسى والاجتماعى . توبوا الآن « لأنه قد اقترب ملكوت السموات » أى عصر الانجيل لعهد النعمة . افتتاح ملكوت السموات لكل المؤمنين بموت وقيامة يسوع المسيح .

إنه « ملكوت » يملك عليه المسيح ، ويجب أن نكون نحن الرعية المخلصة الأمينة .

إنه ملكوت « السموات » وليس ملكوت العالم ، ملكوت روحى . أصله من السماء ، واتجاهه نحو السماء

و يوحنا نادى بهذا الملكوت باعتباره « قد اقترب » . إذا فقد كان على الأبواب . الينا

نحن قد جاء ، بانسكاب الروح القدس واستعلان غنى نعمة الانجيل . والآن :

(أ) فهذه الدعوة تدفعنا إلى التوبة . ليس شيء يكسر القلب بسبب الخطية و ينفره من الخطية أكثر من التأمل فى النعمة الإلهية . والتوبة التى تنشأ من رؤ ية المسيح والشعور بمحبته والتطلع إلى المغفرة به هى توبة انجيلية خالصة . فيالشقائى ان كنت أخطى ضد نعمة كهذه وضد ناموس ومحبة مثل هذا الملكوت

(ب) وهى تشجعنا على التوبة . توبوا لآن خطاياكم تغفر حال توبتكم . ارجعوا الله من باب الواجب فيرجع اليكم ــ بالمسيح ــ من باب الرحمة . ان نداء الصفح والغفران يبحث وراء الأشرار الذين سبق أن فروا هاربين مختفين . وهكذا يجذبنا الله « بحبال البشر بربط المحبة » هو ١١ : ٤

(٤) النبوة التى تمت فيه ع ٣ . هذا هو الذى تحدث عنه اشعياء النبى فى بدء ذلك الجزء من نبوته التى تعتبر نبوة انجيلية والتى تشير إلى عصر الانجيل وإلى نعمة الانجيل . أنظر اش ٤٠ : ٣ و٤ وهنا نرى النبوة تتحدث عن يوحنا .

١ ــ « **كصوت صارخ فى البرية** » . هذا ما اعترف به يوحنا نفسه يو ١ : ٢٣ « أنا صوت صارخ فى البرية » . « أنا صوت » أنا مجرد صوت وكفى ، الله هو المتكلم ، وهو يعبر عن رأيه بيوحنا كما يعبر الانسان عن رأيه بصوته . وكلمة الله يجب قبولها على هذا الاعتبار ١ تس ٢ : ١٣ وإلا فمن هو بولس ومن هو أبولس سوى صوت . قيل عن يوحنا بأنه « صوت » ، صوت شخص صارخ ، صوت عال مزعج ومنبه يدعو إلى اليقظة . قيل عن المسيح بأنه « الكلمة » والكلمة لأنها واضحة ومفصلة أكثر من مجرد الصوت فإنها أكثر تعليما و بنياناً . فيوحنا « كصوت » حرك البشر ونبههم ، ثم أتى المسيح « كالكلمة » فعلمهم كما نرى فى رؤ ١٤ : ٢ و٣ حيث نجد أن « صوت المياه الكثيرة وصوت الرعد العظيم » أعد الطريق إلى « صوت القيثارة » الشجى « والترنيمة الجديدة » .

يلاحظ البعض انه كما ان أم شمشون حرم عليها شرب « شراب قوى » ومع ذلك فقد رتبت عناية الله أن يكون شمشون « رجلا قو ياً » هكذا صار أب يوحنا المعمدان صامتاً لا يتكلم ومع ذلك رتبت العناية أن يكون يوحنا « صوت صارخ » . إذ ولد « صوت الصارخ » من أب أبكم دل ذلك على أن « فضل القوة الله وليس للانسان »

٢ ــ كشخص حصرت مأموريته فى اعداد طريق الرب وتقويم سبله « **أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة** » هكذا قيل عنه قبل أن يولد انه « يهيء للرب شعباً مستعداً » لو

١ : ١٧ كشخص متقدم وسابق للمسيح . وقد كانت حياته تدل على طبيعة ملكوت المسيح لأنه لم يأت فى ثياب أنيقة فاخرة كما يليق بسفير، أو مسلحاً بأسلحة ، بل جاء فى منتهى البساطة كزاهد متصوف . يتقدم العظماء بعض الجنود لإفساح الطريق ، وهكذا أعد يوحنا طريق الرب

(أ) لقد تمم هذا بشخصه بين بنى جيله . كانت الكنيسة اليهودية والشعب اليهودى فى جيله بعيدين عن الطريق ، كان هنالك انحطاط عظيم فى حياة التقوى ، وكانت تقاليد الشيوخ ووصاياهم قد قضت على الحياة الروحية . كان الكتبة والفريسيون ، وهم أعظم المرائين فى العالم ، يحملون فى منطقتهم مفتاح المعرفة ومفتاح السلطة الحاكمة . وكان الشعب عادة فخورين جداً بامتيازاتهم واثقين من التبرير ببرهم الذاتى لا يشعرون بخطيتهم . ومع أنهم كانوا آنئذ قد أخضعوا للنير الرومانى لإذلالهم إلا أنهم لم يتذللوا ولم يتضعوا . كانوا فى ذلك الوقت كما كانوا أيام ملاخى فى غاية الوقاحة والكبرياء مستعدين لنقض كلمة الله . لذلك أرسل يوحنا المعمدان الآن ليخفض هذه الآكام ، لينتزع من قلوبهم كل كبرياء وثقة بالنفس ، ليظهر لهم خطاياهم لكى يكون تعليم المسيح أكثر قبولا وأكثر تأثيراً .

(ب) إن تعليمه عن التوبة والاتضاع لا زال الآن لازما — كما كان حينئذاك — لإعداد طريق الرب .

(ملاحظة) هنالك خطوات كثيرة لإعداد الطريق للنفس لقبول المسيح ولاستمالة القلب لقبول ابن داود ٢ صم ١٩ : ١٤ وليس شيء فيها ألزم من كشف الخطية وإقناعنا بعدم كفاية برنا الذاتى . يجب إزالة كل المساوىء ، وإخضاع الأفكار المستعلية واستئسارها لطاعة المسيح . يجب تحطيم الأبواب النحاسية وتكسير المتاريس الحديدية قبل انفتاح الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد . إن طريق الخطية والشيطان « ملتوية » ، ولإعداد الطريق للمسيح يجب أن تجعل المسالك مستقيمة عب ١٢ : ١٣ .

(٥) الثوب الذى ظهر فيه ، الرمز الذى كان يرمز اليه ، وطريقة حياته ع ٤ . فالذين كانوا ينتظرون المسيا كملك أرضى كان يليق بهم أن يظنوا أن سابقه يجب أن يأتى بمجد عظيم وأن كل معداته يجب أن تكون غاية فى الفخامة والعظمة . ولكن ما حصل كان على النقيض من ذلك ، فقد قيل إنه « يكون عظيما أمام الرب » ولكن وضيعاً فى أعين العالم ، وأنه كالمسيح نفسه « لا صورة له ولا جمال » ذلك لكى يبين مقدما أن مجد ملكوت المسيح روحى وأن رعاياه هم عادة الفقراء والمحتقرون الذين يستمدون أمجادهم ومسراتهم وغناهم من عالم آخر .

١ — « كان لباسه» بسيطاً . « **من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد** » . لم يلبس « الملابس الطويلة » كالفريسيين ، ولا « الملابس الناعمة » كحاشية الملك ، بل ملابس الراعى القروى البسيط لأنه عاش فى قرية وسلك وفق ما يتطلبه مسكنه .

(ملاحظة) من اللائق أن نسلك وفق ما يقتضيه المكان والظروف التي وضعنا الله فيها بتدبير عنايته .

ولقد ظهر يوحنا في هذا اللباس :

(أ) ليبين أنه ــ كيعقوب ــ رجل بسيط مات عن هذا العالم وملذاته وشهواته ، وأنه « إسرائيلي لا غش فيه » . فعلى كل « متواضع القلب » أن يظهر تواضعه في عدم المغالاة في ملابسه وفي عدم لبس الملابس التي يقصد منها التزين ، وعليه أن لا يقدر الآخرين بحسب ملبسهم .

(ب) ليبين أنه « نبي » لأن الأنبياء كانوا يلبسون الملابس الخشنة إذ قد ماتوا عن العالم (زك ١٣ : ٤) ، ويبين بنوع خاص أنه هو إيليا المنتظر ، لأنه مما يلاحظ عن إيليا بنوع خاص أنه كان « رجلا أشعر » (وهذه يفسرها البعض أنه كان يلبس ملابس من شعر) وكان أيضاً « متنطقاً بمنطقة من جلد على حقويه » (٢ مل ١ : ٨) . إذاً فإن يوحنا المعمدان لم يقل عن إيليا في الزهد والتقشف ، لهذا فإنه هو « إيليا المزمع أن يأتي » .

(ج) ليبين أنه رجل العزم والإقدام . لم تكن منطقته « رقيقة » كالتي كان يلبسها عامة البشر بل كانت « قوية » إذ كانت « منطقة من جلد » وطوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده ممنطقاً أحقاءه (لو ١٢ : ٣٥ ، ١ بط ١ : ١٣) .

٢ ــ « **وكان طعامه** بسيطاً ، كان « **جراداً وعسلا برياً** » وليس ذلك معناه أنه لم يأكل أي شيء آخر ، بل أن هذا كان هو الطعام الذي يقتات به في أغلب الأوقات خصوصاً عند الاعتزال في البراري للتأمل والصلاة وقضاء الأوقات الطويلة فيها .

كان الجراد ــ وهو حشرة طائرة ــ طعاماً جيداً ومسموحاً بأكله (لا ١١ : ٢٢) لا يحتاج إلى عناء كبير لتهيئته للطعام . وهو طعام خفيف سهل الهضم ، ولذلك قيل إن من ضمن علامات ضعف الشيخوخة أن « الجندب (أي الجراد) يستثقل » على المعدة (جا ١٢ : ٥) .

أما العسل البري فكان أحد المنتجات التي تفيضها كنعان (١ صم ١٤ : ٢٦) . وإما أنه كان يجمع تواً حالما يسقط مع ندى السماء ، أو بالأحرى أنه كان يوجد في شقوق الأشجار والصخور حيث يضعه النحل بطريقة ساذجة تخالف تلك التي بها يضعه في خلايا تحت عناية ومراقبة أشخاص معينين .

وهذا معناه أنه كان يأكل على قدر الكفاف . لأنه يندر أن يملأ الإنسان بطنه من الجراد

والعسل البرى فى تلك البرارى والقفار . إذاً فقد « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب » ص ١١ : ١٨ لم يحيا الحياة المألوفة التى يحياها سائر البشر . كان كل تفكيره محصوراً فى الروحيات حتى أنه لم يجد وقتاً إلا القليل جداً لتناول الطعام .

والآن لنلاحظ :

(أ) إن معيشته هذه كانت تتفق مع التعليم الذى نادى به عن « التوبة » و « الأثمار التى تليق بالتوبة » .

(ملاحظة) إن الذين يحصرون مهمتهم فى دعوة الآخرين للحزن من أجل الخطية ولإماتة الخطية يجب أن يحيوا هم أنفسهم حياة انكار الذات والموت عن الخطية واحتقار العالم .

بهذا أظهر يوحنا شعوره العميق برداءة الوقت والمكان اللذين عاش فيهما ، الأمر الذى كان يستلزم الكرازة بالتوبة ، كان كل يوم « يوم صوم » له .

(ب) وكانت تتفق مع مركزه « كسابق » للمسيح . فإنه بمعيشته هذه أظهر أنه يدرك « ملكوت السموات » وأنه اختبر قوتها .

(ملاحظة) إن الذين قد اختبروا المسرات الروحية لا يستطيعون إلا أن ينظروا نظرة احتقار وعدم مبالاة لشهوات الجسد ، لأنهم يدركون أشياء أفضل .

وإذ أعطى الآخرين هذا المثال استطاع أن يعد الطريق للمسيح .
(ملاحظة) إن الاقتناع ببطل العالم وكل ما فيه هو خير استعداد لقبول ملكوت السموات فى القلب « طوبى للمساكين بالروح »

(٦) الشعب الذى كان يقبل اليه والذى تبعه ع ٥ . « **حينئذ خرج اليه أورشليم وكل اليهودية** » جاءته جموع كثيرة من المدينة ومن كل أطراف البلاد ، من كل الطبقات : رجالا ونساء ، كباراً وصغاراً ، أغنياء وفقراء ، فريسيين وعشارين . « خرجوا اليه » حالما سمعوا بكرازته عن « ملكوت السموات » لكى يسمعوا ما سمعوا عنه كثيراً . والآن لنلاحظ :

١ ــ أنه كان شرفاً عظيما ليوحنا أن تخرج اليه كل هذه الجموع وأن يأتوا اليه بهذا التقدير والإكرام .

(ملاحظة) كثيراً ما رأينا أن الذين لا يطلبون لأنفسهم الكرامة ولا ظل الكرامة يتشحون بأكبر قسط منها . والذين يعيشون حياة التواضع وإنكار الذات ويموتون عن العالم ينالون الكرامة والاحترام ، ويجد الآخرون باعثاً داخلياً وسراً خفياً لتقديرهم واحترامهم أكثر مما يفتكر المرء .

٢ ـــ وهذا أعطى يوحنا فرصة عظيمة لعمل الخير ، وكان علامة على أن الله معه . بدأ الناس الآن يزدحمون و يغتصبون أنفسهم إلى ملكوت السموات (لو١٦ : ١٦) ، وكان منظرا بهيجاً مجيداً أن يرى « طل الأحداث » يتساقط من رحم فجر الانجيل (مز ١١٠ : ٣) وأن ترى الشبكة تطرح حيث يوجد الكثير من السمك .

٣ ـــ وكان هذا دليلا على أنه قد حان الوقت حينئذ لتحقيق الآمال العظيمة . كانت الفكرة العامة السائدة « أن ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال » (لو١٩ : ١١) لهذا فإنه عندما أظهر يوحنا نفسه لإسرائيل وعاش هذه الحياة وكرز بهذه الكرازة مخالفاً كل المخالفة لما كان يفعل الكتبة والفر يسيون اضطروا أن يقولوا عنه إنه هو المسيح (لو٣ : ١٥) وهذا كان سبباً أن يلتف حوله جموع كثيرة .

٤ ـــ إن الذين ير يدون الإنتفاع بخدمة يوحنا يجب أن « يخرجوا » اليه فى البر ية و يشتركوا فى عاره .

(ملاحظة) على الذين يرغبون رغبة صادقة فى طعام الكلمة أن يبحثوا عنه إن لم يصل اليهم . وعلى الذين ير يدون أن يتعلموا تعليم التوبة أن « يخرجوا » من وسط مشاغل العالم إلى الهدوء الشامل .

٥ ـــ و يظهر من النتائج أنه من بين الكثير ين الذين جاءوا لمعمودية يوحنا لم يكن هنالك سوى القلائل الذين أخلصوا لها . لاحظ كيف قوبل المسيح بفتور فى اليهودية وحول أورشليم .

(ملاحظة) قد يكون هنالك عدد وفير جداً من المستمعين المتحمسين ولكنك لا تجد من بينهم سوى العدد القليل من المؤمنين الحقيقيين . قد يكون حب الاستطلاع وحب التنو يع باعثاً على دفع الكثير ين لسماع العظات البليغة فيتأثرون بها وقتياً ولكنهم لا يخضعون لقوتها (حز ٣٣ : ٣١ و٣٢) .

(٧) الطقس الذى بواسطته كان يقبل اليه تلاميذ ليتتلمذوا له ع ٩ . وكل الذين كانوا يقبلون تعليمه ويخضعون لنظامه « **اعتمدوا منه فى الأردن** » بذلك أعلنوا توبتهم وايمانهم باقتراب ملكوت السموات .

١ ــ إنهم أظهروا توبتهم باعترافهم بخطاياهم « **معترفين بخطاياهم** » والأرجح أنهم اعترفوا ليوحنا أنهم خطاة بوجه عام ، أنهم ملوثون بالخطية ويحتاجون إلى التطهير . لقد تعلم اليهود أن « يبرروا » أنفسهم أما يوحنا فقد علمهم بأن « يتهموا » أنفسهم ولا يكتفوا ــ كما اعتادوا أن يفعلوا ــ بالاعتراف العام بالخطية الذى كان يقدم عن كل اسرائيل مرة فى السنة يوم الكفارة بل يجب أن يقدم كل واحد اعترافاً خاصاً عن « ضربة قلبة » (١ مل ٨ : ٢٨) .

(ملاحظة) إن الاعتراف المقرون بالتوبة لازم للسلام والغفران والذين يحزنون من أجل خطيتهم ويخجلون منها هم فقط الذين يستطيعون أن يقبلوا يسوع المسيح براً لأنفسهم (١ يو ١ : ٩) .

٢ ــ وبركات ملكوت السموات الذى كان قريبا ختمت لهم بالمعمودية . لقد غسلهم بالماء علامة على أن الله قد طهرهم من كل خطاياهم . كان من عادة اليهود أن يعمدوا الذين يدخلون ديانتهم خصوصا الدخلاء الذين لم يكونوا مختونين . ويظن البعض أنه كان أيضاً من عادة القادة الروحيين أن يقبلوا تلاميذ لهم بواسطة المعمودية . وقد كان سؤال المسيح عن معمودية يوحنا « من السماء كانت أم من الناس » يتضمن أنه كانت هنالك معموديات « من الناس » ليست لها صفة روحية . أما معمودية يوحنا فكانت « من السماء » ، وتتميز عن سواها بأنها كانت « معمودية التوبة » (أع ١٩ : ٤) . لقد اعتمد كل اسرائيل لموسى (١ كو ١٠ : ٢) وكان الناموس الطقسى محصوراً فى « غسلات مختلفة » أو (معموديات مختلفة) (عب ٩ : ١٠) . أما معمودية يوحنا فإنها تشير إلى الناموس الشافى ، ناموس التوبة والإيمان .

وذكر عنه أنه كان يعمد « فى الأردن » الذى اشتهر بعبور اسرائيل إياه وشفاء نعمان فيه . ولكن الأرجح أن يوحنا لم يعمد فى هذا النهر أولا بل لجأ اليه أخيراً عندما إزداد إقبال الجموع اليه .

وبالمعمودية كان يلزمهم أن يعيشوا حياة القداسة وفقاً للعهد الذى قطعوه على أنفسهم .

(ملاحظة) إن الاعتراف بالخطية يجب أن يقترن دواما بالعزم المقدس لعدم الرجوع اليها .

٧ ــ فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم ياأولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب

الآتي ٨ ــ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ٩ ــ ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابرهيم أباً . لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابرهيم ١٠ ــ والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار ١١ ــ أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ١٢ ــ الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ .

كانت كرازة يوحنا محصورة فى التوبة بمناسبة اقتراب ملكوت السموات . وهنا نراه يطبق هذا التعليم . إن تطبيق الوعظ هو حياته وقوته ، وهذا ما نراه فى كرازة يوحنا . لاحظ هنا :

(١) من هم الذين طبق لهم تعليمه . « للفريسيين والصدوقيين » الذين أتوا لمعموديته ع ٧ . لقد رأى أنه يكفى أن يقول للآخرين « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ، لكنه لما نظر هؤلاء الفريسيين والصدوقيين يأتون اليه وجد نفسه مضطراً أن يكون صريحاً معهم وأن يعاملهم بتفصيل أوفى . كانت هنالك ثلاث طوائف مشهورة بين اليهود فى ذلك الوقت وهى الفريسيون والصدوقيون والأسينيون وهذه الطائفة الثالثة لم تذكر فى الأناجيل لأنهم كانوا يفضلون العزلة ولا يميلون لتأدية شىء من الخدمات العامة . أما الفريسيون فكانوا غيورين على الطقوس ، وعلى سلطة الكنيسة ، وعلى تقاليد الشيوخ . وأما الصدوقيون فاتجهوا اتجاهاً مضاداً وتطرفوا فى وجهة نظرهم ، فكانوا لا يفرقون كثيراً عن تلك الطائفة التى كانت تعتقد بالله وحده مع انكار الوحى والنظامات الدينية ، ينكرون وجود الأرواح والحياة العتيدة . كان غريباً أن تأتى هاتان الطائفتان لمعمودية يوحنا ولكن حب الاستطلاع دفعهم للاستماع . والأرجح أن بعضهم خضع واعتمد ولكن المؤكد أن معظمهم لم يعتمد لأن المسيح يقول صراحة إن « العشارين برروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه » (لو ٧ : ٢٩ و٣٠) .

(ملاحظة) كثيرون هم الذين يمارسون الفرائض والطقوس الدينية وقليلون هم الذين يخضعون لتأثيرها .

والآن نرى يوحنا يوجه حديثه إلى هؤلاء القوم بمنتهى الصراحة والأمانة ، وما قاله لهم

يوجهه في نفس الوقت إلى كل الجموع (لو ٣ : ٧) لأن حديثه كان يليق بأن يوجه للجميع .

(٢) ماذا كان ذلك التطبيق . كان بسيطاً ، باحكام تام ، موجهاً إلى ضمائرهم . وهو يتحدث لا كأنه يعظ أمامهم بل كأنه يعظ اليهم . ومع أن تعليمه كان فى السر إلا أنه لم يخجل عندما ظهر للعالم علانية ، ولم يهب وجه إنسان لأنه كان ممتلئا من الروح القدس ومن القوة .

(١) هنا نرى كلمة للإقناع والإيقاظ . إنه يبدأ بقسوة ، لا يدعوهم « ربى » ، لا يناديهم بألقابهم التى تعودو اسماعها ، ولا يكيل لهم كلمات المدح والاطراء كما تعودوا أن يسمعوا .

(١) اللقب الذى يناديهم به « **يا أولاد الأفاعى** » . ولقد أعطاهم المسيح نفس هذا اللقب (ص ١٢ : ٣٤ ، ٢٣ : ٣٣) .

لقد كانوا « كالأفاعى » . إن كانت لهم صورة التقوى والمظهر الخلاب إلا أنهم كانوا مملوئين سماً ، مشحونين خبثاً وعدواة لكل ما هو حسن .

وكانوا « أولاد الأفاعى » نسل وذرية الأفاعى ، فكان السم يسرى فى دمهم وعظامهم . كانوا يفتخرون بأنهم ولدوا من ابرهيم ولكن يوحنا يبين لهم انهم نسل الحية (أنظر تك ٣ : ١٥) وأن أبليس هو أبوهم (يو ٨ : ٤٤) .

وكانوا « عصابة الأفاعى » كلهم متساوون . ورغم أنهم كانوا أعداء بعضهم لبعض إلا أنهم كانوا متحالفين فى الشر .

(ملاحظة) إن النسل الشرير هو نسل الأفاعى ، ويجب أن يدعوا كذلك ، ويجب على خدام المسيح أن تكون لهم الشجاعة ليظهروا للخطاة صفاتهم الحقيقية .

(٢) الإنذار الذى يوجهه اليهم « **من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى** » وهذا يتضمن أنهم كانوا فى خطر الوقوع تحت طائلة الغضب الآتى ، وأنه لا أمل لهم فى النجاة منه ، وأن قلوبهم قد تقست فى الخطية (الفريسيون بسبب تمسكهم بمظهر الديانة ، والصدوقيون بسبب كثرة مناقشاتهم عن الديانة) حتى كان يصبح كل مجهود لمحاولة التأثير عليهم مقضيا عليه بالفشل . ما الذى أتى بكم إلى هنا ؟ من كان يحلم بأن يراكم هنا ؟ ما الذى أزعجكم حتى تبحثوا عن ملكوت السموات .

(ملاحظات) ــ (الأولى) ان هنالك « غضباً آتياً » . علاوة على الغضب الحاضر

الذى تصب جاماته الآن يوجد غضب آخر يذخر للحياة العتيدة (الثانية) من واجب كل واحد منا أن يهرب من هذا الغضب (الثالثة) من رحمة الله العجيبة أن يحذرنا للهروب من هذا الغضب . « من أراكم (أو من حذركم) أن تهربوا » . ان الله حذرنا لأنه لا يسر بهلاكنا ، وهو يحذرنا بكلمته المكتوبة ، بخدامه ، بالضمير (الرابعة) وهذه التحذيرات تزعج أحياناً أولئك الذين قد تقست قلوبهم فى توهمهم بأنهم آمنون من كل خطر وفى غرورهم بأنفسهم

(٢) وهنا نرى كلمة للنصح والإرشاد ع ٨ « **اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة** » . « فاصنعوا » (أو « من أجل هذا اصنعوا ») لأنكم قد حذرتهم لتهربوا من الغضب الآتى فليكن خوف الرب سبباً فى اقناعكم لتعيشوا حياة القداسة . أو ان كنتم قد اعترفتم بالتوبة وحضرتم تعليم التوبة ومارستم معمودية التوبة فبرهنوا على أن توبتكم صادقة . يجب أن تتأصل التوبة فى القلب . هنالك تستقر جذورها . وعبثاً نحاول أن ندعى وجودها فيه ان كنا لا « نصنع أثمارها » بتجديد الحياة تجديداً شاملا ، بترك كل خطية وملتصقين بالخير . هذه هى الأثمار التى « تليق بالتوبة »

(ملاحظة) ان الذين يقولون بأنهم حزنوا من أجل خطاياهم ومع ذلك يصرون عليها لا يستحقون أن يسموا تائبين ولا يستحقون امتيازات التائبين . وعلى الذين يتوبون أن يعيشوا و يتصرفوا كما يليق بالتائبين ، وأن لا يفعلوا أى شىء لا يليق بالخطاة التائبين . يليق بالتائبين أن يكونوا وديعين ومتواضعين فى أعين أنفسهم ، شاكرين لأقل رحمة ، صابرين فى أعظم المحن والتجارب ، متيقظين لكل مظاهر الخطية ، مكثرين فى عمل الخير ، مترفقين فى دينونة الآخرين

(٣) وهنا نرى كلمة تحذير لكى لا يتكلوا على امتيازاتهم الظاهرية ولكى لا يؤجلوا هذه الدعوة للتوبة بسبب هذا الاتكال ع ٩ « **لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابرهيم أباً** »

(ملاحظة) ما أكثر الخواطر التى تجول فى القلوب والافكار البشرية التى يحاول بها العدو أن يبطل سلطان كلمة الله و يعطل تأثيرها . هذه الخواطر يجب أن يستعد لها خدام الله و يقاوموها . هذه « الأفكار الباطلة » التى تعشش فى قلوب أولئك الذين يدعون « ليغسلوا من الشر قلوبهم » ار ٤ : ١٤ .

« لا تفتكروا » أى « لا تدعوا » ، « لا تتوهموا » بأن « تقولوا فى أنفسكم » . لا تظنوا أن هذا يخلصكم . لا يغرنكم هذا الإدعاء الباطل .

« لا تطمئنوا أنفسكم » بهذا القول (كما يفسرها البعض) . لا تغطوا فى النوم متكلين على هذا القول .

(ملاحظة) ان الله يرى ويهتم بما « نقوله فى أنفسنا » ولا نجسر على التصريح به ، و يدرك تمام الادراك كل ما تطمئن إليه النفس باطلا وتتكل عليه عبثاً ، وكل الأوهام التى نضلل بها أنفسنا والتى نحاول إخفاءها لئلا يفتضح أمرها . كثيرون يخفون الكذب فى فيميتهم فيمتهم ، ويخبئونه تحت ألسنتهم لأنهم يخجلون أن يعترفوا به

والآن نرى يوحنا يبين لهم :

(١) ماذا كان ادعاؤهم : « لنا ابرهيم أباً » لسنا خطاة من الأمم . يليق بأولئك (الأمم) حقاً أن يدعوا للتوبة ، أما نحن فإننا يهود ، أمة مقدسة ، شعب خاص ، فما لنا وللتوبة ؟

(ملاحظة) ان لم نأخذ الكلمة كأنها موجهة إلينا وتخصنا فلن تأتى بأية فائدة لنا

١ — ان كنتم أولاد ابرهيم فلا تفتكر بأنكم لا تحتاجون إلى التوبة ، وانه لا شيء هنالك تتوبون عنه ، وان علاقتكم بابرهيم واهتمامكم بالعهد الذى قطع معه يجعلانكم مقدسين ولا يوجد هنالك داع لتجديد أذهانكم وإصلاح طرقكم

٢ — ولا تفتكروا بأنكم ستنجحون حتى وان كنتم لا تتوبون . لا تفتكروا بأن بنو يتكم هذه ستعفيكم من الدينونة وتنجيكم من الغضب الآتى ، أو بأن الله سيتغاضى عن عدم توبتكم لأنكم أولاد ابرهيم .

(ملاحظة) أنه وهم باطل أن نظن بأن علاقاتنا الحسنة تخلصنا حتى وان كنا نحن أنفسنا غير صالحين . وان كنا نعتز بالسلف الصالح والجدود الاتقياء ، وقد نلنا نصيباً وافراً من التربية الدينية ، ونشأنا فى عائلات تتقى الله وتخشاه ، ولنا الأصدقاء الأتقياء ينصحوننا و يصلون من أجلنا ، فماذا ينفعنا كل هذا ان كنا لا نتوب ونعيش حياة التوبة .

لنا ابرهيم أباً ، ولذلك لنا الحق فى امتيازات العهد الذى قطعه الله معه . ولأننا أولاده فإننا أولاد الكنيسة ، أولاد هيكل الرب « لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هو» ار ٧ : ٤

(ملاحظة) ان الجماهير الكثيرة التى تتكل على مجرد تشرفها بامتيازات عضوية الكنيسة تخسر السماء

(٢) يالغباوتهم فى هذا الادعاء الذى لا أساس له . لقد توهموا بأنهم وقد صاروا أولاد ابرهيم فإنهم هم شعب الله الوحيد فى العالم ، ولذلك فإن قطعوا لم يجد الله كنيسة لنفسه . أما يوحنا

فيبين لهم جهلهم الفاضح فى هذا الادعاء الباطل والغرور الكاذب ، « **لأنى أقول لكم** » (مهما افتكرتم « أن تقولوا فى أنفسكم ») « **ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابرهيم** » .
كان يوحنا حينئذاك يعمد فى الأردن فى « بيت عبره » يو ١ : ٢٨ أو « بيت العبور » حيث عبر بنو اسرائيل نهر الأردن . وكان هنالك اثنا عشر حجراً ، لكل سبط حجر ، وضعها يشوع تذكاراً يش ٤ : ٢٠ . ولا يستبعد أن يوحنا كان يشير إلى هذه الحجارة التى بستطيع الله أن يجعلها لا ممثلة لأسباط اسرائيل بل هى نفسها أسباط اسرائيل .

أو لعله يشير الى ما ورد فى اش ٥١ : ١ حيث قيل عن ابرهيم « الصخر الذى منه قطعتم » . ان كان الله قد استطاع أن يقيم اسحق من هذا الصخر ، فإنه يستطيع ، إذا دعا الأمر ، أن يكرر الأمر لأنه « ليس شيء غير ممكن لدى الله » .

و يظن البعض انه كان يشير إلى الجنود الأمميين الذين كانوا حاضرين ، مخبراً اليهود بأن الله قادر أن يقيم لنفسه كنيسة بين الأمم ترث بركة ابرهيم . وهكذا ان كان أبوانا الأولان قد سقطا فإن الله كان يمكنه أن يتركهما للهلاك و يقيم من الحجارة آدم وحواء آخرين .

أو بمعنى آخر ان الاعتراف ببنوية الحجارة لابرهيم أيسر من الاعتراف ببنوية خطاة قساة القلوب نظيركم .

(ملاحظة) مما يضعف ثقة الخطاة فى صهيون ، و يقوى آمال ابناء صهيون ، انه مهما حصل فى الجيل الحاضر فإن الله لا يمكن أن يعدم كنيسة له فى العالم ، لأنه إذا سقط اليهود أقام الله الأمم ص ٢١ : ٤٣ ، رو ١١ : ١٢ الخ

(٤) وهنا نرى كلمة مرعبة للفريسيين والصدوقيين المتراخين الواثقين فى أنفسهم ، وسائر اليهود الذين لم يعرفوا علامات الأزمنة ولا يوم افتقادهم ع ١٠ . الآن وقد اقترب ملكوت السموات فالتفتوا حولكم وتنبهوا .

(١) كيف أن امتحانكم دقيق جداً وقريب جداً . « **الآن قد وضعت الفأس** » قد رفعت أمام أنظاركم و وضعت « **على أصل الشجر** » الآن ستوضعون فى كفة الميزان ، لحظة واحدة . الآن قد تحددت نهايتكم للهلاك الذى لا يمكن أن تفلتوا منه إلا بالتوبة العاجلة الصادقة . الآن يجب أن تتوقعوا بأن الله يعجل دينونتكم أسرع من قبل وانها تبتدىء من بيت الله (١ بط ٤ : ١٧) . حيث يعطى الله بركات أوفر يمنح وقتاً أقصر . « ها أنا آتى سريعا » . الآن قد منحوا آخر فرصة للاختبار . إما أن ينتهزوا الفرصة الآن أو تضيع إلى الأبد .

(٢) كيف أن قصاصكم سيكون صارما ان لم تهزوا الفرصة التى بين أيديكم الآن . وهذه الحقيقة يوضحها يوحنا بوضع الفأس على أصل الشجر ليبين لهم ان الله جاد فى قضائه وان كل شجرة مهما « ارتفعت » بمواهبها وأمجادها ، ومهما بدت « خضراء » بمظهرها الخارجى وممارساتها ، ان لم تصنع أثماراً صالحة ، أثماراً تليق بالتوبة ، فإنها « **تقطع** » لا يعترف بها كشجرة فى كرم الله ، تصبح غير جديرة بأن تحتل مكاناً هناك « **وتلقى فى النار** » فى نار غضب الله ، وهى أليق مكان للأشجار الجافة لأنها لا تصلح لشيء آخر . ان لم تصلح للأثمار تصلح للنار

لعل ذلك يشير الى خراب اورشليم على يد الرومانيين لانه لم يكن كباقى المرات التى حل فيها غضب الله ، التى كانت كمجرد قطع الاغصان ، أو قطع جذع الشجرة وترك الاصل (الجذور) تنمو ثانية ، ولكنه كان استئصالا نهائيا لا شفاء بعده لذلك الشعب ، فيه يهلك نهائياً جميع أولئك الذين أصروا على خطاياهم ورفضوا التوبة عنها . كان الله سيضع حداً نهائيا وقتئذ وكان الغضب مقبلا اليهم فى منتهاه

(٥) وهنا نرى كلمة تعليم عن المسيح الذى كانت تنحصر فيه كل كرازة يوحنا . ان خدام المسيح لا يكرزون بأنفسهم بل بالمسيح . لاحظ هنا :

(١) عظمة المسيح وسموه عن يوحنا . أنظر كيف يتحدث عن نفسه بكل اتضاع ليعظم المسيح ع ١١ . حقا « **أنا أعمدكم بماء** » وهذا أقصى ما أستطيع

(ملاحظة) ان الاسرار الكنسية والخدمات الروحية لا تستمد قوتها وتأثيرها ممن يمارسونها ، انهم انما يستطيعون أن يتمموا العلامات المنظورة ، أما المسيح فهو وحده الذى له الحق فى منح النعمة غير المنظورة ١ كو٣ : ٦ ، ٢ مل ٤ : ٣١

« **ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى** » . مع أنه كانت ليوحنا قوة فائقة لأنه أتى « بروح وقوة إيليا » إلا أنه كانت للمسيح قوة أعظم . مع أن يوحنا كان عظيما حقاً ، عظيما أمام الرب (ليس بين المولودين من النساء أعظم منه) إلا أنه يرى نفسه غير مستحق لأصغر خدمة يؤديها للمسيح « **لست أهلا أن أحمل حذاءه** » .

١ ــ إنه يرى مقدار عظمة المسيح بالنسبة إليه .

(ملاحظة) إنها لتعزية عظمى لخدام المسيح الامناء أن يروه أعظم منهم ، وأن يعتقدوا بأنه يستطيع أن يفعل من أجلهم وبهم ما لا يستطيعونه هم أنفسهم ، وأن قوته تكمل فى ضعفهم .

٢ ــ و يرى مقدار حقارته بالنسبة إلى المسيح ، ليس أهلا أن يحمل حذاءه و يسير خلفه

(ملاحظة) إن الذين يز يدهم المسيح مجداً وكرامة يتخذون من ذلك مبرراً ليصبحوا فى أعين أنفسهم حقيرين ومضتعين ، و يقبلون أن يتضعوا لكى يرتفع المسيح ، أن يكونوا كلا شىء لكى يكون المسيح هو الكل فى الكل .

(٢) القصد من ظهور المسيح الذى كان يجب أن ينتظروه حالا . عندما تنبأ ملاخى بأن يوحنا لابد أن يرسل كسابق للمسيح (مل ٣ : ١ و٢) قال بعد ذلك مباشرة « يأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه ... فيجلس ممحصا ومنقيا » ع ٣ . و بعد مجىء إيليا « يأتى اليوم المتقد كالتنور » مل ٤ : ١ و يبدو أن يوحنا يشير هنا إلى هذه النبوة . سيأتى المسيح لكى يتمم عملية الفرز والتمييز :

١ ــ بعمل نعمته القوى « **هو سيعمدكم** » أى سيعمد بعضكم « **بالروح القدس ونار** » .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) إن المسيح هو الذى له الحق فى أن يعمد « بالروح القدس » . وهذا ما فعله بواسطة مواهب الروح الممتازة التى منحها للتلاميذ ، الأمر الذى يشير اليه المسيح نفسه مستعملا نفس هذه الكلمات التى نطق بها يوحنا أع ١ : ٥ . وهذا ما يفعله بنعمة الروح التى تعطى لكل من يطلب لو ١١ : ١٣ ، يو ٧ : ٣٨ و٣٩ . أنظر أيضا أع ١١ : ١٦ (الثانية) إن الذين يتعمدون بالروح القدس يتعمدون كما « بنار » . إن سبعة أرواح الله تظهر مثل « سبعة مصابيح نار متقدة » رؤ ٤ : ٥ إن كانت النار تستعمل للإنارة فالروح القدس هو الروح المنير . وإن كانت النار تستعمل للتدفئة فالروح القدس يلهب القلوب و يشعلها . وإن كانت النار تحرق وتلتهم وتلاشى فإن الروح القدس يلاشى كل أدران الدنس والفساد . وإن كانت النار تجعل كل ما يلمسها مثلها فإن الروح يقدس النفس مثله . وإن كانت النار تتحرك إلى أعلا فإن الروح يرفع كل أشواق النفس إلى فوق . قال المسيح « جئت لألقى ناراً » لو ١٢ : ٤٩ .

٢ ــ بأحكامه النهائية التى لا راد لها ع ١٢ « **الذى رفشه فى يده** » يشير هذا الرفش إلى قدرته على التمييز باعتباره حكمة الله الأزلية الذى يرى كل شىء بنور حقيقى ، وإلى سلطانه على التمييز باعتباره قد اعطيت إليه كل الدينونة أر ١٥ : ٧ . الآن هو « يجلس ممحصا ومنقيا » لاحظ هنا :

(أولا) إن الكنيسة المنظورة هى بيدر المسيح « وسينقى بيدره » « يادياستى و بنى بيدرى » أش ٢١ : ١٠ وعلى بيذر بنى المذبح ، الذى كان رمزاً للكنيسة .

(ثانياً) وفى هذا البيدر مز يج من القمح والتبن . فالمؤمنون الحقيقيون مثل القمح ، هم العنصر الأساسى ، النافع ، الذى له قيمته . أما المراؤون فإنهم كالتبن ، وهو العنصر الخفيف ، الفارغ ، عديم الفائدة ، عديم القيمة ، الذى يحمل مع كل ر يح . هذان الصنفان تجدهما الآن مختلطين معا ، الأبرار والأشرار ، يمارسون نفس الفرائض الظاهر ية ، و يتمتعون بنفس العضو ية الواحدة المنظورة للكنيسة .

(ثالثاً) سيأتى اليوم الذى ينقى فيه البيدر و يعزل القمح عن التبن « سينقى بيدره » . كثيراً ما تمت عملية الفرز هذه فى هذا العالم حيث يدعو الله شعبه للخروج من بابل رؤ ١٨ : ٤ . على أن يوم الدينونة الأخيرة سيكون هو يوم الفرز العظيم الذى سيحدد كل صنف من التعاليم والأعمال ١ كو٣ : ١٣ ويحدد كل صنف من البشر مت ٢٥ : ٣٢ و٣٣ حيث يعزل القديسون عن الخطاة إلى الأبد .

(رابعا) والسماء هى المخزن الذى يجمع فيه المسيح قر يبا كل قمحه ولا تفقد منه حبة قمح واحدة « **ويجمع قمحه إلى المخزن** » . سيجمعهم كما تجمع الفاكهة الناضجة . ومنجل الموت يستعمل لحصدهم وضمهم إلى قومهم . فى السماء يتجمع القديسون ولا يعودون يتفرقون بعد ، ثم إنهم يكونون آمنين ولا يعودون بعد معرضين للأخطار ، وفيها يعزلون من جيرانهم الأشرار من الخارج ، ومن الأميال الشر يرة من الداخل ولا يبقى بينهم تبن بعد .

(خامساً) أما جهنم فإنها « **نار لا تطفأ** » تحرق التبن . وهذا حتما هو نصيب وقصاص المرائين وغير المؤمنين وهلاكهم الأبدى .

إذاً فهنا أمامنا الحياة والموت ، الخير والشر . فكما نكون هنا الآن فى الحقل فسوف نكون حينئذ فى البيدر .

١٣ ــ حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ١٤ ــ ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى ١٥ ــ فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له ١٦ ــ فلما أعتمد يسوع صعد للوقت من الماء . وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه ١٧ ــ وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت .

ظل ربنا يسوع مختبئاً في الجليل منذ حداثته إلى الآن حتى بلغ الثلاثين من عمره ، ظل هذه المدة الطويلة محتجباً . أما الآن وقد قضى هذا الليل الطويل المظلم فقد أشرقت شمس البر بمجدها . لقد جاء ملء الزمان حيث يجب أن يستلم المسيح وظيفته النبوية . وهو يختار أن يستلمها لا في أورشليم (ولو أنه ذهب اليها ــ كباقي اليهود ــ على الارجح جداً في الأعياد التي كانت تقام كل ثلاث سنوات) بل هنالك « حيث كان يوحنا يعمد » لأنه اليه لجأ أولئك الذين « كانوا ينتظرون تعزية إسرائيل » والذين كانوا ينتظر انهم هم وحدهم الذين يرحبون به .

كان يوحنا المعمدان يكبر المسيح بستة أشهر ، والمفروض انه بدأ يكرز و يعمد قبل ظهور المسيح بستة أشهر . إذاً فقد قضى هذه الفترة في إعداد الطريق للمسيح « في الدائرة المحيطة بالاردن » وان ما تم في هذه الشهور الستة كان أكثر مما تم في عدة أجيال سابقة . و يعلمنا مجيء المسيح « **من الجليل إلى الأردن ليعتمد** » **ان لا نحجم عن المتاعب والآلام التي قد نلقاها للإقتراب من الله في إحدى الفرائض أو الطقوس . يجب أن نكون مستعدين لتحمل** مشقة السفر الطويل لأن ذلك خير من التقصير في عشرة الله . وكل الذين يريدون أن يجدوا يجب عليهم أن يطلبوا ، أن يجدوا في الطلب .

والآن نلاحظ في هذا الحديث عن عماد المسيح :

(١) كيف ان يوحنا لم يقتنع بقبول اتمامه إلا بصعوبة شديدة ع ١٤ و١٥ . لقد كان مظهراً لتواضع المسيح جداً أن يرتضى بتقديم نفسه « **إلى يوحنا ليعتمد منه** » ، أن يخضع لمعمودية التوبة وهو « لم يعرف خطية » .

(ملاحظة) حالما بدأ المسيح كرازته بدأ يكرز عن التواضع ، يكرز به بقدوته ، يكرز به للجميع ، وخاصة لصغار الخدام

لقد كان المسيح معداً للأمجاد الاسنى ومع ذلك فإنه في الخطوة الاولى يتواضع الى هذا الحد

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يرتفعوا أن يبدأو متواضعين . « قبل الكرامة التواضع » أم ١٥ : ٣٣ ، ١٨ : ١٢

لقد افضى المسيح على يوحنا كرامة عظيمة إذ أتى اليه ، وكان هذا رداً للخدمة التي قدمها يوحنا اليه بالاعلان على إقتراب مجيئه :

(ملاحظة) إن الذين يكرمون الله يكرمهم الله

والآن نرى هنا :

(١) كيف رفض يوحنا أن يعمد المسيح ع ١٤ . « **ولكن يوحنا منعه** » كما فعل بطرس حينما أراد المسيح أن يغسل قدميه يو١٣ : ٦ ، ٨

(ملاحظة) إن مظاهر تنازل المسيح عجيبة جداً حتى أنها لتبدو فى أول الأمر غير قابلة للتصديق من أقوى المؤمنين . هى عميقة جداً وغامضة جداً ، حتى أن الذين يعرفون فكر المسيح جيداً لا يستطيعون أن يدركوا معناها بسهولة ، ولكنهم بسبب جهلهم يبدأون فى الاعتراض على إرادة المسيح .

إن أدب يوحنا حمله على أن يرى بأن ذلك الشرف أعظم ما يستطيع قبوله كما فعلت أمه مع أم المسيح لو١ : ٤٣ « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى » . كان يوحنا إذ ذاك قد نال صيتاً ذائعاً ، وكان محترماً بين الجميع ، ومع ذلك فانظر كيف ظل متواضعاً

(ملاحظة) لازالت لدى الله امجاد أوفر محفوظة لأولئك الذين تستمر نفوسهم متواضعة عندما تزداد شهرتهم إتساعا وذيوعا

١ ــ لقد رأى يوحنا بأنه لابد أن يعتمد من المسيح « **أنا محتاج أن أعتمد منك** » بمعمودية الروح القدس ، كما بنار ، لأن هذه هى معمودية المسيح ع ١١

(أ) مع أن يوحنا كان « من بطن أمه قد أمتلا من الروح القدس » (لو١ : ١٥) إلا أنه يعترف بحاجته إلى أن يعتمد بهذه المعمودية .

(ملاحظة) إن الذين ينالون من فيض روح الله يرون أنهم طالما كانوا هنا فى هذا العالم فى حالة النقص وعدم الكمال فإنهم فى حاجة إلى ز يادة الامتلاء وإلى الالتجاء للمسيح لطلب هذه الز يادة .

(ب) و يقرر يوحنا بأنه « محتاج أن يعتمد » ولو كان « أعظم المولودين بين النساء » . لأنه طالما كان مولود المرأة فهو مدنس بالخطية كباقى نسل آدم ، و يعترف بأنه فى حاجة إلى التطهير .

(ملاحظة) إن اقدس النفوس أكثرها شعوراً ببقايا الشر فيها وتطلب بأكثر اجتهاد تطهيرها منه .

(ج) و يقرر بأنه « محتاج أن يعتمد » من المسيح الذى يستطيع وحده ولا سواه أن يعمدنا بالمعمودية التى إن لم نعتمد بها هلكنا .

(ملاحظة) إن أفضل وأقدس البشر « محتاجون » إلى المسيح ، وكلما ازدادوا قداسة ازداد شعورهم بتلك الحاجة .

(د) وهذا القول نطق به أمام الجماهير التى تكن له كل احترام والتى كانت مستعدة أن تعترف بأنه هو المسيا . ولكنه رغم ذلك يعترف بأنه « محتاج أن يعتمد » من المسيح .

(ملاحظة) ليس تحقيراً لأعظم البشر أن يعترفوا بأنهم هالكون بدون المسيح ونعمته .

(هـ) كان يوحنا سابقا للمسيح (أى ممهداً له الطريق) ومع ذلك يعترف بأنه « محتاج أن يعتمد من المسيح » .

(ملاحظة) حتى الذين أتوا قبل المسيح كانوا يعتمدون عليه فى كل شىء ، يستمدون منه كل قوة ، عيونهم شاخصة اليه .

(و) بينما كان يوحنا منشغلا مع الآخرين فى أمر خلاص نفوسهم نراه لا ينسى نفسه « أنا محتاج أن أعتمد منك » .

(ملاحظة) يجب على الخدام الذين يكرزون للآخرين و يعمدون الآخرين أن لا يتغافلوا عن وعظ أنفسهم وأن يتأكدوا من أنهم هم أنفسهم قد تعمدوا بالروح القدس . « لاحظ نفسك » أولا ، خلص نفسك (١ تى ٤ : ١٦) .

٢ ـ لذلك فإنه يراه غير لائق ولا غير معقول أن يعتمد المسيح منه « **وأنت تأتى إلى ؟** » هل يليق أن يسوع القدوس الذى « انفصل عن الخطاة » (عب ٧ : ٢٦) يأتى كخاطىء ، وسط الخطاة ليعتمد من خاطىء ؟ كيف يمكن أن يكون هذا ؟ وكيف يمكن أن نفسره ؟

(ملاحظة) إن مجىء المسيح الينا يصح أن يكون موضوع تعجب واندهاش .

(٢) التغلب على هذا الاعتراض ع ١٥ . « **فأجاب يسوع وقال له إسمح الآن** » لقد قبل المسيح تواضعه ولكنه لم يقبل رفضه ، لأنه أراد ان يتمم قصده . يجب أن يتمم المسيح طريقته ولو لم نستطع فهمها أو تعليلها . لاحظ هنا :

(أ) كيف يصر المسيح على إتمام الأمر . « اسمح الآن » . لم ينكر أن يوحنا « محتاج يعتمد » منه ، ومع ذلك أراد أن يعتمد من يوحنا الآن . « اسمح الآن » او حسب بعض الترجما « ومع ذلك فاسمح الآن » .

(ملاحظة) كل شيء جميل فى وقته .

ولكن لماذا يقول « الآن » ؟ ولماذا يقول « ومع ذلك » ؟

(أ) إن المسيح « الآن » فى حالة الاتضاع لقد « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد » . إنه لم يصر « فى شبه الناس » فقط بل « صار فى شبه جسد الخطية » ، ولذلك فليعتمد « الآن » من يوحنا ، كما لو كان فى حاجة أن يغتسل مع أنه طاهر طهارة مطلقة ، وهكذا « صار خطية لأجلنا » مع أنه « لم يعرف خطية » .

(ب) إن معمودية يوحنا هى الذائعة الصيت « الآن » ، هى التى يتمم الرب بها عمله « الآن » ، هى نظام الخدمة « الآن » ، ولذلك يعتمد المسيح « الآن » بالماء . أما معموديته هو ، معمودية الروح القدس ، فأنها محفوظة لوقت آخر فيا بعد « ليس بعد هذه الأيام بكثير » (أع ١ : ٥) « الآن » هو يوم معمودية يوحنا ، ولذلك فلتكلل بالمجد الآن ، وليشجع كل الذين يقبلونها .

(ملاحظة) على الذين قد نالوا من المواهب والنعم أسماها أن يظلوا شاهدين متمسكين بالفرائض التى رسمتها الكنيسة ، ممارسين إياها بروح التواضع ، واباجتهاد ، لكى يعطو قدوة حسنة للآخرين . علينا أن نعترف بما يعترف به الله ونعمل ما يعمله . كان يوحنا متزايداً « الآن » فى العظمة ، ولذلك فلنقبل الأمر الواقع . بعد قليل سينقص وحينئذ يتغير الموقف .

(ج) يجب أن يتم الأمر « الآن » لأنه هو ذا الوقت « الآن » لظهور المسيح علانية ، واذاً فهذه هى الفرصة المناسبة (أنظر يو ١ : ٣١ — ٣٤) هكذا ينبغى أن يعلن لاسرائيل بعلامات من السماء بتلك الخدمة التى قبل اتمامها والتى أعلنت اقصى درجات تواضعه وإنكاره لذاته .

٢ — السبب الذى يقدمه لهذا . **«لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر»** .

(ملاحظتان) — (الاولى) إن كل ما عمله المسيح من أجلنا كان فى غاية «اللياقة» والمناسبة (عب ٢ : ١٠ ، ٧ : ٢٦) . ونحن ينبغى لا أن نتعلم كيف نعمل ما يجب علينا عمله فحسب بل ما يليق بنا عمله ، ينبغى أن نعمل ليس كل ما هو واجب فحسب بل « كل ما هو مسر . كل ما صيته حسن » .

(الثانية) إن الرب يسوع المسيح رأى بانه يليق به « **أن يكمل كل بر**» أى (كما يراه بعض المفسرين) أن يعترف بكل الفرائض الإلهية ، و يظهر استعداده للسير حسب كل الوصايا الإلهية . «يليق به » أن يبرر الله ، و يظهر حكمته فى إرسال يوحنا لإعداد طريقة بمعمودية التوبة . « يليق بنا » إذاً أن نعضد ونشجع كل ما هو صالح ، بقدوتنا و بتعليمنا . طالما ذكر

المسيح يوحنا ومعموديته بكل اكرام ، ولم يقتصر الأمر عند حد الحديث ، بل تجاوزه إلى ما هو أفضل ، إذا أنه تعمد هو شخصيا . و بذلك رأينا يسوع يبتدىء « يفعل ثم يعلم » . وهكذا ينبغى أن يسلك خدامه بنفس الطريقة .

لقد أكمل المسيح بر الناموس الطقسي الذى ينحصر فى « غسلات مختلفة » (عب ٩ : ١٠) . وهكذا زكى طقس المعمودية للكنيسة ، وألبسها تاج الكرامة والمجد ، وأظهر ما قصده لها من مقام سام .

لقد لاق بالمسيح أن يخضع للإغتسال بالماء من يد يوحنا ، لأن هذا الطقس كان ترتيبا إلهيا ، ولكنه لاق به أن يقاوم تقليد الفريسيين الخاص بالإغتسال بالماء ، لأنه كان من اختراع البشر وخداعهم ، ولقد برر تلاميذه لرفضهم الخضوع لهذا التقليد .

وإذ رأى يوحنا إرادة المسيح فى أن يعتمد منه ، وإذ أقنعه السبب الذى قدمه اليه ، لم يسعه إلا الرضوخ التام « **حينئذ سمح له** » إن الأدب الذى حمله فى أول الأمر على رفض ذلك الشرف الذى أولاه المسيح إياه هو نفسه الذى يجعله الآن يقبل إتمام الخدمة التى طلبها منه المسيح .

(ملاحظة) يجب أن لا يكون ادعاؤنا التواضع سببا فى أن نهمل أى واجب .

(٢) كيف سرت السماء أن تقرن عماد المسيح بمظهر خاص من مظاهر المجد ع ١٦ و١٧ « **فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء** » . إن الباقين الذين اعتمدوا مكثوا حتى يعترفوا بخطاياهم ع ٦ أما يسوع فإذ لم تكن له خطية يعترف بها « صعد للوقت من الماء » صعد « للوقت » كشخص متوجه لعمله بنتى اللذة والإقدام ، لم يرد أن يضيع وقتا . لقد كان « منحصراً حتى تكمل » مهمته (لو ١٢ : ٥٠)

وإذ كان صاعداً من الماء وكل الجموع شاخصة اليه : —

(١) « **إذا السموات قد انفتحت له** » لتكشف شيئا أعلى وأسفل عالم النجوم ، على الأقل للمسيح . وقد كان ذلك :

١ — لتشجيعه ليتقدم إلى مهمته « من أجل المجد والسرور الموضوعين أمامه » (عب ١٢ : ٢) . ولقد انفتحت له السماء أيضاً لتقبله بعد إتمام المهمة التى هو مقبل عليها الآن .

٢ — لتشجيعنا نحن بقبوله والخضوع له .

(ملاحظة) إن السموات تنفتح لبنى البشر فى المسيح و بالمسيح . لقد أغلقت الخطية

السماء وأقامت حاجزاً كثيفاً يمنع كل اتصال حبى (اتصال الصديق بصديقه) بين الله والإنسان ، أما الآن فقد فتح المسيح ملكوت السموات لكل المؤمنين . لقد هبط على بنى البشر نور سماوى ، ومحبة إلهية ، فصارت لنا الآن « ثقة بالدخول إلى الأقداس » (عب ١٠ : ١٩) . إننا ننال المراحم من الله ونرد صدى المحبة لله بما نؤديه من واجباتنا ، وكل ذلك بالمسيح الذى هو السلم الذى ترتكز قاعدته على الأرض وطرفه فى السماء ، بذلك السلم وحده نتصل بالله ثم نصعد إلى الله أخيراً .

« السموات انفتحت » عندما اعتمد المسيح لتعلمنا أننا عندما نحصر الفرائض الإلهية بالروح والحق فإننا نتوقع الاتصال بالله وانحدار البركات من لدنه .

(٢) **« ورأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه »** . لقد رأى المسيح هذا الروح (مر ١ : ١٠) و يوحنا رآه (يو ١ : ٣٣ و ٣٤) والأرجح أن كل الواقفين رأوه ، لأن الله قصد أن تكون هذه اللحظة هى بدء إظهاره العالم . لاحظ هنت :

١ ــ إن « روح الله نزل وأتى عليه » . فى بدء تكون العالم القديم كان « روح الله يرف على وجه المياه » تك ١ : ٢ يرفرف كما يرفرف الطائر حول عشه ، هكذا نرى هنا فى بدء تكون العالم الجديد إن المسيح وهو الاله لا يحتاج إلى قبول الروح القدس ، ولكنه كما سبق أن تنبأ الأنبياء « يحل عليه روح الرب » اش ١١ : ٢ ، ٦١ : ١ وهذا ما تم هنا :

(أ) لأنه كان ينبغى أن يكون نبياً . وكان الأنبياء يتكلمون دواما بروح الله الذى يحل عليهم . كان يجب أن يتمم المسيح وظيفة بنى لا بطبيعته الالهية بل بوحى الروح القدس

(ب) ولأنه كان يجب أن يكون رأس الكنيسة . فالروح استقر عليه لكى ينتقل منه إلى جميع المؤمنين بمواهبه ونعمه وتعز ياته . والدهن الطيب على الرأس نزل إلى طرف الثياب مز ١٣٣ : ٢ والمسيح نال مواهب الروح عن البشر لكى يعطيها للبشر .

٢ ــ ونزل عليه « مثل حمامة » ولا يعرف على وجه التحقيق إن كانت الحمامة هنا حقيقية وحية أم أنها تمثيلية كما يرى عادة فى الرؤى . ان كان لابد من أن ترى « هيئة جسمية » لو ٣ : ٢٢ فيجب أن لا تكون هيئة إنسان لان الذى « ظهر فى الهيئة كانسان » هو الاقنوم الثانى . إذاً فلم يكن هنالك أليق من هيئة أحد طيور السماء ــ والسماء قد انفتحت الآن ــ ولم يكن أليق فى طيور السماء من الحمامة

(أ) إن الروح المسيح روح حمامة . ليس مثل « حمامة رعناء بلا قلب » هو ٧ : ١١ بل مثل حمامة بر يئة بلا مرارة لا تعرف شيئاً من الحقد والضغينة . لم ينزل الروح بهيئة نسر ، لأن

النسر ولو كان ملك الطيور إلا أنه طير مفترس ، بل « فى هيئة حمامة » ، لأنه ليس بين الخليقة ما هو مثل الحمامة فى عدم الإيذاء أو الإساءة وهكذا كان روح المسيح ، فانه لم يكن يخاصم أو يصيح ، وهكذا يجب أن يكون المسيحيون بسطاء كالحمام

ومما تتميز به الحمامة عيناها . لهذا شبهت عينا المسيح (نش ٥ : ١٢) وعينا الكنيسة (نش ١ : ١٥ ، ٤ : ١) بعينى الحمامة لأن روح كل من المسيح والكنيسة روح حمامة

(ب) والحمامة هى الطائر الوحيد الذى كان يقرب كمحرقة (لا ١ : ١٤) والمسيح بالروح القدس ، « بالروح الأزلى قدم نفسه لله بلا عيب » عب ٩ : ١٤

(ج) وأخبار نقصان مياه الطوفان أتت بواسطة حمامة بغصن الزيتون فى فمها ، ولذلك لاق أن تأتى الأخبار السارة عن السلام مع الله بالروح القدس « كحمامة » . إنه يبشر الناس بالمسرة ، وافكاره عنا هى « أفكار خير وسلام لا شر » ار ٢٩ : ١١ و يفسر الكلدانيون « صوت اليمامة سمع فى أرضنا » نش ٢ : ١٢ بأنه هوصوت الروح القدس . وإن كان الله قد صالح العالم لنفسه بالمسيح فقد لاق بأن تأتينا هذه الرسالة المفرحة على جناح الحمامة .

(٣) ولتوضيح وتكميل هذا المظهر الرهيب جاء « **صوت من السماء** » سمع بلا شك من جميع الحاضرين . لقد أعلن الروح القدس نفسه بشكل حمامة ، أما الله الآب فقد أعلن نفسه « بصوت » ، لأنه عندما أعطى الناموس « لم يروا صورة بل صوتاً » تث ٤ : ١٢ وهكذا كان الحال عندما جاءنا هذا الإنجيل أو البشارة المفرحة ، وإنها لبشارة مفرحة حقاً ، أفضل رسالة أتت للأرض من السماء ، لأنها تفصح بكل وضوح عن محبة الله للمسيح ومحبته لنا فى المسيح .

١ ــ أنظر هنا كيف يعترف الله بالرب يسوع المسيح . « **هذا هو ابنى الحبيب** » لاحظ :

(أ) علاقة الله الآب بالمسيح : هو « ابنى » . يسوع المسيح هو « ابن الله » بالميلاد الأزلى لأنه ولد من الأب قبل كل الدهور كو ١ : ١٥ ، عب ١ : ٣ . وهو ابن الله بالحبل الخارق للعادة « **فلذلك** أيضاً القدوس المولود منك **يدعى ابن الله** » لأنه حبل به من الروح القدس لو ١ : ٣٥ . وليس ذلك فحسب بل هو ابن الله بتدبير إلهى خاص لإتمام عملية فداء العالم . لقد قدس وختم وأرسل لهذه المهمة ، وتعين لها ، « أنا أيضاً اجعله بكراً (أو ابنى البكر) » مز ٨٩ : ٢٧ .

(ب) المحبة التى للآب نحوه « ابنى الحبيب » ، ابنه العزيز ، « ابن محبته » كو ١ : ١٣ إنه فى حضنه منذ الأزل يو ١ : ١٨ ، « كل يوم لذته » أم ٨ : ٣٠ ، وهو ابنه الحبيب كوسيط

ومتمم خلاص البشرية . هو « مختارى الذى سرت به نفسى » إش ٤٢ : ١ . ولأنه قبل عهد الفداء وسر بأن يتمم إرادة الله هذه « لهذا يحبه الآب » يو ١٠ : ١٧ ، ٣ : ٣٥ . « أنظروا » إذاً أنظروا وتعجبوا « أية محبة أعطانا الآب » حتى يسلم ابن محبته ليتألم ويموت عن أولئك الذين كانوا أبناء الغضب . بل إنه أحبه لأنه وضع حياته عن الخراف . « لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى » يو ١٠ : ١٧ .

فلنعرف الآن أنه أحبنا ، لأنه لم يشفق على إبنه ، ابنه الوحيد ، اسحق الذى أحبه ، بل بذله ذبيحة عن خطايانا .

٢ ــ وانظر هنا كيف أنه مستعد أن يعترف بنا فيه . « هذا هو ابنى الحبيب » ليس فقط « الذى فيه سررت » بل « **الذى به سررت** » أنه يسر بكل الذين فيه و بكل الذين اتحدوا به بالإيمان . كان الله إلى ذلك الوقت غاضباً على بنى البشر أما الآن فقد أرتد غضبه عنا » بنعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » أف ١ : ٦ أو (وصرنا مقبولين فى المحبوب) . فليعلم كل العالم أن هذا هو الوسيط والمصالح الذى وضع يديه على كلينا ، وأنه ليس هنالك قدوم لدى الله كأب إلا به كوسيط يو ١٤ : ٦ به تقبل ذبائحنا الروحية لأنه هو المذبح الذى يقدس كل ذبيحة ١ بط ٢ : ٥ . بدون المسيح يشتعل غضب الله « كنار آكلة » ، أما به فيصبح لنا أباً شفوقاً .

هذه هى خلاصة كل الإنجيل : « صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول » إن الله أعلن بصوت من السماء أن يسوع المسيح ابنه الحبيب الذى سرت به نفسه والذى لأجل هذا يجب أن نقبله بابتهاج قائلين إنه مخلصنا الحبيب الذى سرت به نفوسنا .

الاصحاح الرابع

قال يوحنا المعمدان عن المسيح إنه « ينبغى أن ذاك يزيد وإنى أنا أنقص » وهنا يتحقق هذا القول . لأنه بعد أن عمد يوحنا المسيح وشهد له لا نعود نسمع بعد عن خدمته إلا النذر اليسير، فانه قد تمم ما أتى لأجله ومن الآن فصاعداً نسمع الكثير عن المسيح كما سمعنا الكثير عن يوحنا . كلما ازدادت « الشمس » إشراقاً ازداد « كوكب الصبح » اختفاء . وفى هذا الاصحاح نرى ما يأتى عن المسيح : (١) التجربة التى تحملها ، الهجوم المثلث الذى وجهه اليه المجرب والكيفية التى قابل بها كل هجوم ع ١ : ١١ (٢) الخدمة التعليمية التى تعهد بالقيام بها والأمكنة التى علم فيها ع ١٢ ــ ١٦ وموضوع تعليمه ع ١٧ (٣) دعوته للتلاميذ بطرس وأندراوس ، يعقوب و يوحنا ع ١٨ ــ ٢٢ (٤) شفاؤه الامراض ع ٢٣ و ٢٤ والتجاء جموع كثيرة إليه لسماع تعليمه وللشفاء من أمراضهم ع ٢٥ .

١ ــ ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من إبليس ٢
ــ فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع اخيراً ٣ ــ فتقدم إليه
المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً ٤ ــ
فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة
تخرج من فم الله ٥ ــ ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على
جناح الهيكل ٦ ــ وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل
لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا
تصدم بحجر رجلك ٧ ــ قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك
٨ ــ ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم
ومجدها ٩ ــ وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى ١٠
ــ حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد
وإياه وحده تعبد ١١ ــ ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت
تخدمه .

هنا نرى صراعا بين اثنين تصارعا وجهاً لوجه ، بين ميخائيل والتنين ، بين نسل المرأة ونسل الحية بل الحية نفسها . وفى هذا الصراع يتألم نسل المرأة لأنه « يجرب » و بذلك تسحق

عقبه ، أما الحية فإنها تنهزم تماماً فى تجاربها و بذلك تسحق رأسها . يخرج الرب يسوع من هذه الموقعة ظافراً ولذلك لا يضمن العزاء فحسب بل النصرة أخيراً لكل اتباعه المخلصين . وعن تجربة المسيح نلاحظ :

(١) فى الوقت الذى تمت فيه . « ثم » ، وهنا نرى تشديداً خاصاً على هذه الكلمة . عقب أن انفتحت السموات مباشرة ، واستقر عليه الروح ، وأعلن بأنه ابن الله ومخلص العالم نسمع عنه بأنه « جرب » .

(ملاحظات) — (١) إن الامتيازات العظمى والعلامات الخاصة للمحبة الإلهية لا تخلينا من التجربة (٢) بل إننا بعد أن ننال كرامة عظمى يجب أن نتوقع ما يخضعنا و يذلنا كما أرسل لبولس « ملاك الشيطان ليلطمه » بعد صعوده إلى السماء الثالثة (٣) إن الله عادة يعد أولاده للتجربة قبل أن يدعوهم إليها ، يعطى قوة حسب الحاجة ، وقبل التجربة الشديدة يمنح تعزية غير عادية (٤) إن أفضل استعداد للتجربة هو تأكدنا من بنويتنا لله . إن كان روح الله يشهد لنا بأننا أولاد الله فإنه يعيننا على مقاومة كل إغراءات الروح الشرير .

« ثم » أى انه جرب حالما انتهى من إتمام هذه الفريضة الخطيرة ، حالما اعتمد .

(ملاحظة) يجب أن نتوقع هجوم الشيطان علينا بعد أن نقبل فى شركة الله . والنفس التى تنال بركات جديدة من الله يجب أن تضاعف السهر « متى أكلت وشبعت فاحترز » تث ٦ : ١٠ — ١٢ .

« ثم » ، أى حينما بدأ يعلن نفسه جهاراً لإسرائيل . من « ثم » جرب بتجربة لم يشهدها عندما كان متوارياً .

(ملاحظة) إن الشيطان يدبر مؤامرات خاصة ضد الأشخاص النافعين ، الذين لا يكتفون بأن يكونوا صالحين بل يعم خيرهم الآخرين ، خصوصاً فى بدء خدمتهم . كانت حكمة يشوع بن سيراخ (ص ٢ : ١) « يابنى إن أقبلت لخدمة الرب الإله فأثبت على البر والتقوى واعدد نفسك للتجربة » فليعرف الخدام الأحداث ماذا ينتظرهم و يسلحوا أنفسهم بما يقتضيه الموقف .

(٢) المكان الذى تمت فيه . « إلى البرية » الأرجح انها برية سينا العظيمة حيث صام كل من موسى وايليا « أربعين يوماً » لأنه لا يوجد مكان فى برية يهوذا ترتاده الوحوش كما قيل عن هذه البرية مر ١ : ١٣ . عندما اعتمد يسوع لم يذهب إلى أورشليم ليعلن عن الأمجاد التى كلل بها بل اعتزل فى البرية . بعد كل اتصال بالله يحسن أن نعتزل قليلا لئلا نفقد ما نلناه فى

ازدحام مشاغل الحياة وسرعة عجلتها . لقد اعتزل يسوع فى البرية :

١ ــ ليـنال فرصة لنفسه . تعطى العزلة فرصة للتأملات العميقة والاتصال بالله . وحتى الـذين قـد ازدحمت بـالأعـمـال حـياتهم يجب أن تكون لهم ساعات للتأملات الهادئة وان يدبروا الـوقـت الـذى يختلون فيه بالله . ان الذين لا يتحدثون مع أنفسهم أولا ــ فى الخفاء ــ فى الشئون الإلهـية لا يـستطيعون التحدث عنها ــ علانية ــ مع الآخرين . عندما كان لابد أن يظهر المسيح كـمعلـم آت من الله يو٣ : ٢ لم يكـن لائـقاً أن يـقـال عنه هوذا قد أتى مباشرة من تغرب فى الخـارج ، هـوذا قـد رأى العالم ، بل هوذا قد أتى مباشرة من البرية ، لقد كان معتزلا يناجى نفسه و يناجى الله

٢ ــ ليعطى فرصة للمجرب لكى يزداد اتصالا به أكثر مما يتصل به فى ازدحام العالم .

(مـلاحـظـة) رغـماً عن أن العزلة محببة إلى قلوب الأتقياء إلا أن الشيطان يعرف كيف يستخدمها ضدهم .

ان الـذيـن يـعـتـزلون فى البرارى والمغاير ظناً منهم بأنهم يهربون من أعدائهم الروحيين لا يمكن إلا أن يجدوهم هنالك أيضا .

لقد اعتزل المسيح :

(١) لـكـى تـكون للشيطان الحرية ليأتى بآخر ما عنده . لكى يجعل نصرته أكثر وضوحا أعـطـى الـعـدو كـل الإمـكـانـيـات وكل التسهيلات ومع ذلك دحره . لقد أعطى المسيح الفرصة للشـيطان لأن « رئيس هذا العالم » ليس له فيه شيء ، أما نحن فإننا عرضة للاندحار أمام رئيس هذا العالم ، ولهذا فيجب أن نصلى « لكى لا ندخل فى تجربة » ، ويجب أن نبتعد عن طريق الشر

(٢) لـكـى تكون له (المسيح) الفرصة ليكون وحيداً فيتعظم فى قوته ، لأنه هكذا كتب عـنه « قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد » اش ٦٣ : ٣ . لقد دخل المسيح ساحة الوغى منفرداً

(٣) الاستعداد لها :

١ ــ انـه أقـتيد للدخول فى ساحة الوغى . لم يدفع نفسه إليها أو يحشر نفسه فيها حشراً . لم يـصـعـد إليهـا بنفسه ولكنه « **أصعد إلى البرية من الروح** » « أقتيد بالروح فى البرية » لو ٤ : ١ ، « وللـوقـت أخـرجـه الروح إلى البرية » مر ١ : ١٢ . ان الروح الذى استقر عليه كحمامة هو روح الوداعة والتواضع ومع ذلك فهو روح الجرأة والشجاعة والإقدام

(ملاحظة) يجب أن نحترس لئلا ندخل التجربة . ولكن ان سمح الله لنا بعنايته ببعض الظروف التى نجرب فيها لامتحاننا فيجب ان لا نستغرب ذلك بل لنضاعف السهر . « تقووا فى الرب ، قاوموه راسخين فى الإيمان » اف ٦ : ١٠ ، ١ بط ٥ : ٩ . ان كنا نغتر بأنفسنا ونتكل على قوتنا ونعطى الشيطان الفرصة ليجربنا فإننا نضطر الله ليتركنا لأنفسنا وحدنا ، ولكن ان كنا نسير حيثما يرشدنا الله فلنثق بأنه لابد أن يكون معنا و يعظم انتصارنا

لقد أصعد المسيح إلى البرية « **ليجرب من ابليس** » ومنه وحده . أما غيره فان « كل واحد يجرب اذا انجذب وانخدع من شهوته » يع ١ : ١٤ . ان ابليس ينفذ من هذه الثغرة (الشهوة) و ينفث منها سمومه ، أما المسيح فلم تكن له طبيعة فاسدة ولذلك فقد أصعد آمناً مطمئناً دون خوف أو اضطراب كبطل جبار ليجرب من ابليس ، ومنه لا سواه

لقد كانت تجربة المسيح :

(١) فرصة لإظهار مقدار تنازله واتضاعه . ان التجارب « بلوى محرقة » ، « شوكة فى الجسد » ، « لطمة » ، « غربلة » ، « صراع » وهذه كلها تنم عن الشدائد والآلام ، لهذا خضع المسيح للتجارب لأنه أراد إخضاع نفسه ورغب فى الإتضاع إذ « كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شىء » عب ٢ : ١٧ وهكذا « بذل ظهره للضاربين » اش ٥٠ : ٦

(٢) فرصة لغلبة الشيطان . لا نصرة بدون حرب . لقد جرب المسيح لكى ينتصر على المجرب . جرب الشيطان آدم الأول وانتصر عليه ، ولكنه لا يمكن أن يكون دواماً منتصراً ، فإن آدم الثانى لابد أن ينتصر عليه « و يسبى سبياً »

(٣) موضوع تعزية جميع القديسين . فى تجربة المسيح يتبين لنا أن عدونا محتال ، خبيث ، حقود ، . وجرىء جداً فى تجاربه ، ولكنه يتبين أيضاً انه ممكن التغلب عليه . إن كان الشيطان « متسلحاً » قوياً فإن رئيس خلاصنا « اقوى منه » .

مما يعزينا أن نعرف بأن المسيح قد تألم مجرباً ، لأنه من ذلك يظهر بأن التجارب ان لم نستسلم لها ليست خطية إنما هى مجرد آلام ، والآلام نصيب كل الذين يسر بهم الله . ونحن لنا رئيس كهنة يعرف بالاختبار معنى التجربة والذى لأجل هذا يزداد إحساساً وتأثراً بآلامنا و يرثى لضعفاتنا فى ساعة التجربة عب ٢ : ١٨ ، ٤ : ١٥ .

ولكنه مما يزيدنا تعزية أن ندرك بأن المسيح إذ جرب انتصر ، وانتصر لأجلنا ، وأن ندرك ليس فقط بأن العدو الذى نصارعه عدو مقهور جرد من سلاحه ، بل اننا أيضا قد اشتركنا فى

نصرة المسيح عليه ، واننا به « يعظم انتصارنا » (أو صرنا أعظم من منتصرين)

٢ ــ وصام استعداداً للنضال كما يفعل المصارع الذى « يضبط نفسه فى كل شىء » ١ كو ٩ : ٢٥ . ولكن المسيح لم يكن كسائر البشر فإنه « **صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة » إتماما للرمز والمثال اللذين فعلهما موسى معطى الشريعة وايليا المصلح العظيم . جاء يوحنا المعمدان بروح ايليا فى الأمور الأدبية وليس فى ناحية** المعجزات المعمدان بروح ايليا فى الامور الادبية وليس فى ناحية المعجزات يو ١٠ : ٤١ فهذا المجد كان محفوظاً للمسيح

لم يكن المسيح محتاجاً للصوم لإذلال نفسه لانه لم تكن له رغبات فاسدة يلزم إخضاعها ، ومع ذلك « صام » :

(١) لكى يظهر بذلك تواضعه ، ولكى يظهر كأنه قد صار « منفياً لا سائل عنه » ار ٣٠ : ١٧

(٢) لكى يعطى الشيطان الفرصة ليهاجمه ، ولكى يعطيه كل التسهيلات للهجوم عليه ، و بذلك يجعل نصرته عليه أكثر وضوحا

(٣) لكى يقدس و يزكى الصوم لنا عندما يدعو الله إليه بترتيب عنايته ، أو عندما نجوز الضيقات ، او عندما يكون الصوم لازما لقمع الجسد او لتنشيط الصلاة ــ هذه كلها تعدنا إعداداً قويا لمواجهة التجربة . مما يعزى أولاد الله ــ إذا ما جازوا الشدائد او إذا ما شعروا بحاجتهم للأصدقاء ليشددوا عزائمهم ــ أن يدركوا بأن سيدهم نفسه قد جاز هذه الاختبارات . قد يحتاج المرء الى القوت الضرورى ومع ذلك يكون محبوبا من السماء وتحت إرشاد الروح وقيادته .

عندما « صام أربعين يوماً » لم يكن جائعا فقد كان اتصاله بالسماء عوض الطعام والشراب . ولكنه « جاع أخيراً » ليظهر بأنه كان انسانا حقا وانه أخذ ضعفاتنا الطبيعية لكى يقوم نائبا عنا . لقد سقط آدم بالأكل وكثيراً ما كان سقوطنا عن هذا الطريق ، ولهذا « جاع » المسيح .

(٤) التجارب نفسها . كان هدف الشيطان من كل تجاربه هو أن يجعله « يخطىء إلى الله » و بذلك يصبح غير جدير بأن يكون ذبيحة عن خطية الآخرين . ومهما تنوعت ألوان هذه التجارب فقد كان الهدف منها : (١) ان ييئسه من صلاح أبيه (٢) أن يجعله يتجرأ على قوة أبيه (٣) أن يحوله عن مجد أبيه و يعطيه (المسيح) للشيطان .

فى التجربتين الأوليين يبدو ان ما جربه به برىء ، وهنا يظهر دهاء الشيطان وخبثه ،

وفى التجربة الأخيرة يبدو أن ما جربه به جميل براق

، حبكت التجربتان الأوليان بمهارة فائقة فكان الأمر يحتاج إلى حكمة فائقة لتبين ناحية الخطر فيهما ، أما التجربة الثالثة فكانت قوية وتحتاج إلى عزم قوى لمقاومتها . ومع ذلك فقد اندحر المجرب فيها كلها :

١ ـــ لقد تقدم المجرب إلى المسيح مجرباً أياه بأن ييأس من صلاح أبيه وأن يشك فى عناية أبيه من نحوه

(١) أنظر كيف حبكت التجربة ع ٣ « **فتقدم إليه المجرب** »

(ملاحظة) ان الشيطان هو « المجرب » ولذلك فهو خصم وعدو . لأن ألد أعدائنا هم الذين يغروننا للسقوط فى الخطية ، وهم اعوان الشيطان الذين ينفذون عمله و يتممون مقاصده .

وقد لقب « بالمجرب » لأنه هكذا كان لأبوينا الأولين ولا يزال كذلك للآن ، وكل المجربين الآخرين قد أقامهم هو.

« تقدم إليه المجرب » بهيئة منظورة ، لا بشكل مرعب ومخيف كما حصل فيما بعد فى بستان جثسيمانى ، كلا لانه ان كان لابد للشيطان أن « يغير شكله إلى شبه ملاك نور» فقد فعل ذلك الآن إذ إدعى بأنه ملاك من ملائكة الرحمة ، وملاك حارس

لاحظ دهاء « المجرب » فى التقدم بتجربته الأولى فى الفرصة المناسبة لكى يزيدها قوة

[١] إبتدأ المسيح يجوع ولذلك كانت الفكرة مناسبة أن يحول الحجارة خبزاً لسد حاجته « **قل أن تصير هذه الحجارة خبزاً** »

(ملاحظة) من ضمن حيل الشيطان أن ينتهز فرصة ظروفنا الخارجية لكى يضفى قوة على تجاربه . هو خصم عنيد لا يقل حقده وغله عن سهره و يقظته ، وكلما ازداد ذكاؤه فى انتهاز الفرص ضدنا وجب علينا أن نزداد حرصاً لعدم إعطائه أية فرصة .

عندما ابتدأ يجوع فى « البرية » التى لا يتوفر فيها أى طعام هاجمه الشيطان

(ملاحظة) الفقر تجربة شديدة تدفع لعدم القناعة والشك وإستخدام الوسائط غير الشرعية لسد اعوازنا تحت هذا الوهم الكاذب أن الحاجة ليس لها ناموس ، وأن الجوع يحطم الأسوار القوية . وهذه علة واهية لأن ناموس الله يجب ان يكون أمتن من أقوى الأسوار. لقد توسل أجور

إلى الله بان يبعد عنه الفقر ليس باعتباره مصيبة وعاراً بل باعتباره تجربة « لئلا أفتقر وأسرق » أم ٣٠ : ٨ و٩ . فعلى الذى تخنى عليهم الأيام وتتمرر حياتهم بذل الفاقة أن يضاعفوا السهر . وخير للانسان أن يموت جوعاً من أن يعيش فى الخطية فى حالة رخاء

[٢] لقد اعلن أخيراً بأن المسيح هو « ابن الله » وهنا نرى الشيطان يتقدم اليه مجرباً إياه بأن يشك فى هذه البنوية « **إن كنت ابن الله** » لولم يكن الشيطان يعرف بأن ابن الله لابد ان يجيء إلى العالم لما نطق بهذه الكلمة ، ولولم يكن قد فكر بأن هذا هو ابن الله لما وجه هذا القول اليه . ولولم يكن المسيح قد أسدل ستاراً على مجده الآن ، ولولم يكن الشيطان قد ظهر بمظهر الصفاقة والوقاحة لما تجاسر بأن يوجه هذا السؤال اليه

(أولا) إن هنالك مبرراً الآن لكى تتساءل عما إذا « كنت ابن الله » أم لا لأنه هل يعقل أن ابن الله وهو « وارث لكل شيء » يتضايق لهذا الحد . وإن كان الله أباك حقا فإنه لا يحتمل أن يراك تموت جوعاً لأن له « حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف ووحوش البرية » مز ٥٠ : ١٠ و١٢ . صحيح أنه جاءك صوت من السماء « هذا هو ابنى الحبيب » ولكن يقينا أن هذا كان نوعاً من الضلال وأنك قد خدعت به لأنه إما أن لا يكون الله أباً لك أو انه إله قاس

ملاحظات : (الاولى) ان المقصد الرئيسى الذى يهدف اليه الشيطان فى محاربته للاتقياء هو أن يزعزع علاقتهم بالله كأب و بذلك يمنعهم عن الاتكال عليه ، و يعطلهم عن القيام بواجباتهم من نحوه ، و يقضى على صلتهم به . إن الروح القدس الذى يعزى الاخوة يشهد لأرواحهم بأنهم « ابناء الله » ، أما الروح الشرير الذى يتهم الإخوة و يشتكى عليهم فانه يبذل كل ما فى وسعه لكى يقوض أركان هذه الشهادة

(الثانية) إن المصائب الخارجية والفقر والمتاعب هى السلاح العظيم الذى يستخدمه الشيطان ليجعل شعب الله يتساءل عن بنويته لله كأن المصائب لا تتفق مع محبة الله الأبوية عندما تدفعها فعلا هذه المحبة . إن الذين يعرفون كيف يقاومون هذه التجربة هم الذين يستطيعون أن يقولوا مع ايوب « هوذا يقتلنى ، هوذا يميتنى جوعاً ، لا أنتظر شيئاً ، فقط أزكى طريقى قدامه » أى ١٣ : ١٥ وأحبه كصديق ولو كان يبدو ظاهرياً بأنه قد تنكر لى كعدو .

(الثالثة) يحاول الشيطان أن يزعزع إيماننا فى كلمة الله و يشككنا فى صدقها . هكذا ابتدأ مع أبوينا الأولين « أحقاً قال الله كذا وكذا » . يقيناً إنه لم يقل . وهكذا يتساءل هنا « أحقاً قال الله إنك ابنه الحبيب ؟ » يقيناً إنه لم يقل ، وإن كان قد قال فهذا غير صحيح . إذاً فإننا « نعطى ابليس مكانا » عندما نتساءل عن يقينية أية كلمة قالها الله ، لأن عمل الشيطان — كأب الكذابين — هو أن يقاوم صدق أقوال الله .

(الرابعة) كثيراً ما يتمم ابليس أغراضه بإيعاز أفكار قاسية عن الله فى عقول البشر بإعتباره إلها قاسيا ، أو غير أمين ، قد ترك أو نسى أولئك الذين قد ابقوا كل رجائهم عليه . لقد حاول أن يغرس فى عقل ابو ينا الأولين هذه الفكرة وهى أن الله أمرهم بعدم الأكل من شجرة الحياة لأنه أراد أن يحرمهم من بركاتها . وهكذا نراه هنا يوعز إلى مخلصنا الصالح بأن أباه قد تخلى عنه وجعله يجاهد لإشباع نفسه . ولكن أنظر كيف كانت هذه الافكار سخيفة وكيف استطاع المخلص أن يصدها بسهولة . وإن كان المسيح قد بدا الآن مجرد انسان لأنه جاع فلما لم يعترف به كأكثر من انسان بل كابن الله عندما صام « أربعين يوما » ولم يشعر بأثر الجوع ؟

(ثانياً) إن الفرصة سانحة الآن لكى تظهر بأنك ابن الله . « إن كنت ابن الله » فبرهن على ذلك بأن تأمر « **أن تصير هذه الحجارة خبزاً** » ع ٣ ولعله كان ماثلا أمامه إذ ذاك كومة من الحجارة . سبق أن صرح يوحنا المعمدان منذ أمد وجيز « أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبرهيم » إذاً فإن القوة الإلهية تستطيع بلا شك أن تصنع من هذه الحجارة خبزاً لأولاد ابراهيم هؤلاء ، فإن كانت لك هذه القوة اظهرها الآن لنفسك فى وقت الحاجة . لم يقل الشيطان صل لأبيك لكى يحول هذه الحجارة خبزاً بل قل أن تصير . لقد تركك أبوك ، فأعد أنت لنفسك الخبز ، ولا تكن مديناً له . إن الشيطان بعيد كل البعد عن كل ما يؤدى الى اتضاع أولاد الله لخضوعهم لأبيهم ، ولكنه يستخدم كل قواه لكى يجعلهم يتكلون على ذواتهم و يدبرون كل شىء لأنفسهم ، وهو أن استطاع ان يصدهم عن الا تكال على الله و يركز فيهم فكرة الاكتفاء والغرور بأنفسهم فقد نال كل غرضه .

(٢) ثم أنظر كيف قاوم المسيح هذه التجربة وانتصر عليها .

[١] لقد رفض المسيح أن يذعن لها . لم يشأ أن يقول « بأن تصير هذه الحجارة خبزاً » ليس لأنه لم يكن يقدر، فإن قدرته التى استطاعت بعد ذلك مباشرة أن تحول الماء خمراً كانت تستطيع أن تحول الحجارة خبزاً . ولكنه لم يشأ . ولماذا ؟ يبدو الامر لاول وهلة أنه برىء ولا شىء فيه من الضرر. ولكن الواقع هو انه كلما بدت التجربة محبوبة وكلما بدا ظاهرها جميلا كانت أشد خطراً . كان ممكنا أن يطول الحوار حول هذا الامر و يكثر الاخذ والرد ، ولكن يسوع للحال أدرك الحية مختبئة ولم يشأ أن يأتى أمرا (أولا) يشتم منه رائحة الشك فى الصوت الذى سمعه من السماء او محاولة التثبت مما سبق أن تقرر وتركز (ثانياً) يشتم منه رائحة عدم الثقة فى عناية أبيه به أو املاء إرادته عليه بتحديد طريقة واحدة معينة لتهيئة الخبز اليه (ثالثاً) يشتم منه رائحة اعداد الطعام لنفسه بنفسه واستخدام مواهبة لسد حاجته (رابعا) يشتم منه رائحة اطاعة الشيطان بإتمام عمل بمجرد اشارته .

[٢] وكان مستعداً للإجابة عليها ع ٤ « **فأجاب وقال مكتوب** » . مما يلاحظ أن

المسيح أجاب على كل التجارب وصدها بقوله « مكتوب » إنه هو نفسه الكلمة الأزلية ، وكان ممكناً له أن ينطق بالكلمة التى تعبر عن فكر الله دون الالتجاء إلى كتابات موسى ، ولكنه أعطى كرامة للأسفار الإلهية . وإذ أراد أن يقدم لنا مثالا التجأ إلى ما هو مكتوب فى الناموس . ثم إنه يردد هذه الاقوال للشيطان باعتبار أنه (الشيطان) يعرف تمام المعرفة كل ما هو مكتوب . يمكن لأبناء إبليس أن يلموا إلماماً كافياً بكل ما هو مكتوب فى كتاب الله « الشياطين يؤمنون و يقشعرون » يع ٢ : ١٩ كلما جربنا بالخطية فى اى وقت يجب أن نتبع هذه الطريقة : ان نقاوم التجربة ونصدها بهذه الكلمة « مكتوب » . فكلمة الله هى « سيف الروح » ، هى سلاح الهجوم الوحيد فى كل الأسلحة الروحية أف ٦ : ١٧ و يليق بنا أن نقول عنها ما قاله داود عن سيف جليات « لا يوجد مثلها » فى حروبنا الروحية ١ صم ٢١ : ٩ .

هذه الإجابة وكذا الإجابتان الأخريان مقتبسة من سفر التثنية الذى يتضمن الناموس الثانى والذى لا يتضمن من الناموس الطقسى سوى القليل جداً ، فالذبائح اللاوية والتطهيرات لا تستطيع أن تطرد الشيطان ولو كانت من وضع إلهى ، أما الناموس الأدبى والمواعيد الانجيلية مقترنة بالإيمان فهى « قادرة بالله » على طرد الشيطان .

هذه الإجابة مقتبسة من تث ٨ : ٣ حيث يتبين لنا أن سبب اطعام الاسرائيليين المن هو لكى يعلمهم الله « أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » . وهذه يطبقها المسيح على حالته . كان إسرائيل ابن الله الذى دعاه من مصر (هو ١١ : ١) هكذا كان المسيح (ص ٢ : ١٥) . كان إسرائيل حينئذاك فى برية وهكذا كان المسيح الآن فى برية ، ولعلها هى نفس البرية . والآن نرى :

(أولا) أراد إبليس أن يسأل المسيح عن بنويته لأنه كان فى ضيقة ، أما المسيح فيقول له كلا فقد كان إسرائيل ابن الله ، وكان الله يعطف عليهم « واحتمل عوائدهم » أع ١٣ : ١٨ ومع ذلك سمح لهم باجتياز الضيقات . و يأتى بعد ذلك الكلام مباشرة (تث ٨ : ٥) « كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك » . والمسيح « مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به » عب ٥ : ٨ .

(ثانياً) وأراد إبليس أن يزعزع ثقة المسيح فى محبة وعناية أبيه . أما المسيح فأجابه : كلا فإننى لو فعلت هذا شابهت الاسرائيليين عندما قالوا إذ جازوا ضيقة مماثلة « هل الله بيننا » ، « هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية » ، « هل يقدر أيضا أن يعطى خبزاً » مز ٧٨ : ١٩ و٢٠ .

(ثالثاً) وأراده إبليس حالما جاع أن يتطلع إلى ما يقتات به بينما أن الله ــ لمقاصد سامية وأغراض مقدسة ــ سمح بأن يجوع إسرائيل قبل أن يطعمهم ، لكي يذلهم ويمتحنهم . إن الله يطلب من أولاده ــ عندما يكونون فى حاجة وضيق ــ ليس فقط أن يطلبوا منه بل أن ينتظروه .

(رابعاً) وأراد إبليس أن يهيء لنفسه خبزاً . أما المسيح فأجابه كلا ! ما الداعى إلى ذلك ؟ فالحقيقة التى تقررت منذ زمن طويل ، وتأيدت بما لا يدعو الى المناقشة ، هى أن الانسان يستطيع أن يحيا بدون الخبز كما عاش اسرائيل فى البرية اربعين سنة على المن . صحيح أن الله قد رتب بعنايته أن يحيا الانسان عادة بالخبز الذى تخرجه الأرض أى ٢٨ : ٥ ولكنه يستطيع إذا أراد أن يستخدم وسائل أخرى يحيا بها الانسان « **بكل كلمة تخرج من فم الله** » . كل ما يأمر به الله و يرتبه لهذه الغاية يمكن أن يقيت الانسان كالخبز ويحفظ حياته .

وكما أننا مع توفر الخبز لدينا قد لا نشبع لحرماننا من بركة الله (حج ١ : ٦ و٩ ، مى ٦ : ١٤) لأنه إن كان الخبز هو قوام الحياة فإن بركة الله هى قوام الخبز مز ١٠٥ : ١٦ ، كذلك نحن قد نحرم من الخبز و مع ذلك نشبع بطريقة اخرى . لقد عال الله موسى وايليا بدون الخبز ، وهكذا نرى الان يسوع يعيش بدون الخبز اربعين يوما . لقد عال اسرائيل بخبز السماء ، طعام الملائكة ، وايليا بخبز أرسله اليه بطريقة معجزية بواسطة الغربان ، ومرة أخرى بخبز الأرملة الذى تزايد بطريقة معجزية . لذلك فلا حاجة للمسيح لتحويل الحجارة خبزاً ، بل ليثق فى الله بأنه قادر أن يحفظه بطريقة أخرى وقد جاع الآن كما فعل أربعين يوماً قبل أن يجوع

(ملاحظة) كما أننا فى شعبنا يجب أن لا نتوهم بأننا نستطيع أن نعيش بدون الله كذلك فى عوزنا يجب أن نتعلم كيف نعتمد على الله . وعندما « لا يزهر التين والحقول لا تضع طعاما » و ينقطع الرجاء فى كل طرق المعيشة العادية يجب حينئذ أن نبتهج بالرب ونفرح بإله خلاصنا (حب ٣ : ١٧ و١٨) ، يجب حينئذ أن لا نفكر فى أى تدبير نهواه بل أن نصلى بخضوع طالبين ما يراه مناسبا لنا ، وأن نكون شاكرين على كل ما يعطيه مهما كان ضئيلا . لنتعلم من المسيح هنا أن نكون خاضعين لتصرف الله لا لتصرفنا نحن ، وأن لا نسلك أية طرق شاذة للحصول على الطعام إذا اشتدت بنا الحاجة (مز ٣٧ : ٣) « يهوه يرأه » (أى الرب يرى) ولابد أن يدبر حاجتنا بأية طريقة . خير لنا أن نعيش بالضيق على ثمار صلاح الله من أن نعيش بوفرة على ثمار خطايانا .

٢ ــ وجربه لكى يجعله يتجرأ على قوة أبيه وحمايته . أنظر كيف أن ابليس خصم لا يهدأ ولا يكل . فإنه إن فشل فى تجربة حاول الأخرى . وفى هذه المحاولة الثانية نلاحظ :

(أ) ماذا كانت التجربة وكيف دبرت . و بوجه عام نقول إن الشيطان إذ وجد المسيح

واثقاً كل الثقة من عناية أبيه به فى ناحية التغذية يحاول أن يحمله على أن يتجرأ على تلك العناية فى ناحية الصون والأمان .

(ملاحظة) إننا فى خطر أن نضل الطريق عن اليمين اوعن اليسار ، ولذلك يجب أن نحترس لئلا يغوينا الشيطان بدهائه فيحملنا إلى احد الطرفين ونحن نحاول التخلص من الطرف الآخر ، أو لئلا نسقط فى خطية الجشع بعد التخلص من خطية الإسراف . وليس هنالك أشد خطراً من خطية اليأس والتجرؤ على قوة الله خصوصاً فى شئون نفوسنا . قد يتفق أحياناً أن بعض الذين يقتنعون بأن المسيح يستطيع يريد أن يخلصهم من خطاياهم يجربون بأن المسيح يخلصهم وهم من خطاياهم . وهكذا عندما يبدأ الإنسان أن يكون حاراً فى تدينه يعجل الشيطان بتجربته بتجربة التطرف والمغالاة والتعصب .

فى هذه التجربة نلاحظ :

[١] كيف مهد الشيطان لها الطريق . إنه أخذ المسيح لا قوة وقسراً بل طلب منه الذهاب إلى اورشليم وذهب معه اليها « ثم أخذه ابليس » ولا نعلم على وجه التحقيق إن كان المسيح سار على الأرض وصعد على الدرج حتى وصل إلى قة الهيكل أو أنه انطلق فى الهواء ، ولكن هذا ما حصل ، إنه « **أوقفه على جناح الهيكل** » . وهنا نلاحظ :

(أولا) كيف ارتضى المسيح بأن يأتى الشيطان باسوأ ما عنده ومع ذلك غلبه . إن صبر المسيح الذى تجلى هنا والذى تجلى فيما بعد فى آلامه وموته أكثر عجباً من قوة الشيطان وجنوده . لأنه ليس للشيطان ولا لجنوده سلطان على المسيح لو لم يكونوا قد أعطوا من فوق (يو ١٩ : ١١) . مما يعزينا أن المسيح الذى حل قيود قوة الشيطان هذه وأطلقه حراً ضد شخصه المبارك لا يطلقه حراً ضدنا بل يكبح جماحه « لأنه يعرف ضعفنا » .

(ثانياً) كيف كان الشيطان ماكراً خبيثاً فى اختيار المكان للتجربة . إذ قصد اغراء المسيح للمباهاة بقوته والفخر الباطل بعناية الله أتى به إلى مكان عام فى اورشليم ، وهى مدينة مزدحمة ، « فرح كل الأرض » ، إلى الهيكل ، إحدى أعاجيب العالم ، الذى كان الجميع يتطلعون اليه بإعجاب . هنالك يستطيع أن يظهر ذاته فيراه كل احد ، و يبرهن على انه ابن الله ، ليس فى زوايا النسيان فى البرية كما حصل فى التجربة السابقة بل امام الجماهير فى اظهر مكان .

لاحظ هنا :

(أ) إن اورشليم دعيت هنا « **المدينة المقدسة** » لانها هكذا كانت اسماً وفعلا ، وفيها سكن النسل المقدس الذى كان كل قوامها .

(ملاحظة) ليست هنالك مدينة على الارض تعفينا او تنجينا من ابليس وتجاربه لانها مقدسة . فقد جرب آدم الأول في « جنة مقدسة » وجرب آدم الثاني في « مدينة مقدسة » . فعلينا أن لا نلقي السلاح في أي مكان . بل إن « المدينة المقدسة » هي المكان الذي يخرج اليه ابليس بكل قوته ليجرب أولاد الله بتجربة الكبرياء والفخر . ولكن شكراً لله فإن أورشليم العليا ، تلك « المدينة المقدسة » لا يدخلها شيء دنس . هنالك نكون بعيدين عن التجربة إلى الأبد .

(ب) ثم « **أوقفه على جناح الهيكل** » وهذا كان ــ كما يصفه يوسيفوس (١) ــ عاليا جدا حتى كان كل من يصعد اليه و يتطلع الى الارض يعتريه الدوار .

(ملاحظة) إن أجنحة الهياكل هي أمكنة للتجربة . بمعنى (أولا) إن الأمكنة العالية أمكنة للتجربة ، أمكنة للمزالق ، فالتقدم في العالم يرفع الانسان ويجعله هدفاً أكثر مناسبة للشيطان ليصوب سهامه نحوه . يطرح الله الانسان الى اسفل لكي يرفعه ، والشيطان يرفعه الى اعلى لكي يطرحه الى اسفل . فعلى الذين يريدون ان يحذروا من السقوط أن يحذروا من الصعود (ثانياً) والأمكنة الرفيعة في الكنيسة لها أخطارها بنوع خاص . فعلى الذين قد سموا بمواهبهم وتميزوا بمراكزهم وذاعت شهرتهم أن يظلوا متواضعين لأن الشيطان يصوب نحوهم سهامه لكي ينفخهم بالكبرياء « فيسقطوا في دينونة ابليس » (١ تي ٣ : ٦) . وعلى الذين قد وقفوا عالياً أن يقفوا ثابتين .

[٢] كيف حركها الشيطان . « **ان كنت ابن الله** » فأظهر نفسك الآن للعالم ، و برهن على أنك كذلك « **اطرح نفسك إلى أسفل** » وحينئذ (أولا) يعجب بك العالم إذ يراك تحت عناية خاصة من السماء . عندما يرونك لم تؤذ بالسقوط من هذا الارتفاع الشاهق يقولون (كما قال البرابرة عن بولس) إنك اله . يقول التقليد إن سيمون الساحر حاول أن يثبت انه اله بنفس هذه الطريقة ، ولكنه فشل في محاولته وسقط وتهشم جسمه (ثانياً) تستقبل كأنك قادم برسالة خاصة من السماء . ستنظر كل أورشليم وتقر وتعترف بأنك لست أكثر من انسان فحسب بل بأنك أنت « ملاك العهد » الذي « يأتي بغتة الى الهيكل » (ملا ٣ : ١) ومنه ينزل الى شوارع المدينة المقدسة ، وبهذا يتم اقناع اليهود سريعاً .

لاحظ ان ابليس قال « اطرح نفسك أسفل » فإنه لم يكن يستطيع أن يطرحه مع ان اقل مجهود يمكن أن يطرح أي انسان من هذا الارتفاع الشاهق .

(ملاحظة) إن قوة الشيطان محدودة . « الى هنا يأتي ولا يتعدى » (أي ٣٨ : ١١) .

ومع ذلك فإنه لو كان ابليس قد طرحه ، لما كان قد نال غرضه ، لأنه إذ ذاك يكون هذا التصرف سبباً في آلام المسيح لا في خطيته .

(ملاحظة) حيثما حصل لنا أى أذى حقيقى يكون من فعل ايدينا فإن ابليس لا يملك الا ان يقنع ، ولكنه لا يستطيع أن يرغم ، يستطيع أن يقول فقط « اطرح نفسك » ، ولكنه لا يستطيع أن يطرحنا . كل انسان يجرب « إذا انجذب » من شهوته ، إذا أغوى لا « إذا أرغم » . فعلينا أن لا نؤذي أنفسنا ، وعندئذ لا يستطيع أحد أن يؤذنيا (أم ٩ : ١٢)

[٣] كيف دعم هذه التجربة بآية من الكتاب المقدس « **لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك** » . ولكن « أشاول أيضاً بين ألانبياء ؟ » هل الشيطان خبير بالكتاب المقدس ، حتى يستطيع أن يقتبس منه بهذه السهولة ؟ يظهر أنه كذلك .

(ملاحظة) من الميسور للإنسان أن يملأ عقله بالنظريات الكتابية ، ويملأ فه بالأقوال الكتابية ، بينما يكون قلبه ممتلئاً عداوة لله ولكل صلاح .

إن معرفة ابليس للكتاب تزيد فى شره ، وتزيد فى تعذيبه . لم ينطق الشيطان بكلمات أشد ايلاماً لنفسه من تلك التى خاطب بها المسيح « أنا اعرفك من أنت » (مر ١ : ٢٤ ، لو ٤ : ٣٤)

أراد الشيطان اقناع المسيح أن يطرح نفسه إلى أسفل ، مؤملا أن يقتل المسيح نفسه بنفسه ، وبذلك يقضى عليه وعلى المهمة العظيمة التى تعهد بالقيام بها ، والتى كان يتطلع اليها بنظرة مرة . ولكى يشجعه على طرح نفسه يخبره بأنه لا خطر على حياته ، وأن الملائكة الصالحة تحفظه ، لأنه هكذا صار الوعد له (مز ٩١ : ١١) « **لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك** » . وفى هذا الاقتباس نلاحظ :

(أولا) أن فيه « شيئاً من الحق » . صحيح أن هنالك وعداً كهذا عن خدمة الملائكة لحفظ القديسين . والشيطان يعرفه بالاختبار لأنه قد أختبر ، وفى كل يوم يختبر ، أن محاولاته ضدهم عديمة الجدوى فيشتد غيظه وحنقه ، و يزداد هيجاناً عليهم ، كما فعل إذ وجد ذلك السياج المنيع الذى يحيط بأيوب والذى تحدث عنه بكل مرارة (أى ١ : ١٠) . وكان الشيطان محقاً أيضا فى تطبيق هذا الاقتباس على المسيح ، لأن كل المواعيد عن حماية القديسين تشير اليه أولا وأخيراً ، وتشير إلى القديسين فيه و به . فذلك الوعد « يحفظ جميع عظامه ، واحد منها لا ينكسر » (مز ٣٤ : ٢٠) تم فى المسيح حرفياً (يو ١٩ : ٣٦) . والملائكة إنما تحفظ القديسين لأجل خاطر المسيح (رؤ ٧ : ٥ و١١) .

(ثانياً) وأن فيه « كثيراً من الباطل » ولعل الشيطان كان يحمل فى قلبه حقداً خاصاً

ضد هذا الوعد فحرفه ، لأنه طالما وقف عثرة فى طريق ، وعرقل مساعيه الشريرة ضد القديسين .
لاحظ هنا :

(أ) كيف أنه أساء اقتباسها ، وهذا كان شراً عظيا . إن الوعد هو : «لكى يحفظوك» . وكيف ؟ «فى كل طرقك» وليس بطريقة أخرى . فإن حدنا عن طرقنا ، عن طريق واجباتنا ، خسرنا الوعد وأخرجنا أنفسنا عن دائرة عناية الله وحمايته . لم تكن هذه الكلمة فى مصلحة الشيطان ، ولذلك أغفلها بمهارة . فلو ان المسيح طرح نفسه إلى أسفل لخرج عن طريقه لأنه لم يدع ليعرض نفسه للخطر بهذه الطريقة . فعلينا فى كل المناسبات أن نرجع إلى الكتاب المقدس نفسه ، ولا نأخذ أى شيء كقضية مسلمة ، لئلا نكون واقعين تحت تأثير أولئك الذين يشوهون كلمة الله . لنفعل كما فعل أهل بيرية الذين كانوا «يفحصون الكتب كل يوم» (أع ١٧ : ١٠ و١١)

(ب) وكيف أنه اساء تطبيقه ، وهذا كان شراً أعظم . إن الكتاب المقدس يساء استعماله إذا استخدم لتبرير الخطية . وعندما يحرفه البشر هكذا ليخدمهم فى شهواتهم فإنهم يفعلون ذلك «لهلاك أنفسهم» . (٢ بط ٣ : ١٦) . هذا الوعد ثابت ، وهو وعد صالح ومبارك ، ولكن ابليس أساء استخدامه عندما استخدمه كمشجع للتجرؤ على عناية الله .

(ملاحظة) ليس جديداً أن تحول «نعمة الله» إلى «دعارة» ، وليس جديداً أن يتشجع البشر فى عمل الخطية مما يختبرونه عن إرادة الله الصالحة نحو الخطاة . ولكن «أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟» أنطرح أنفسنا إلى أسفل لكى تحملنا الملائكة ؟ حاشا (رو ٦ : ١ و٢) .

(٢) كيف انتصر المسيح على هذه التجربة . إنه قاومها وغلبها بهذه الكلمة «**مكتوب**» كما فعل فى التجربة السابقة . إن اساءة استعمال الشيطان للكتاب المقدس لم تمنع المسيح من حسن استعماله ، فإننا نراه للحال يقدم هذه الآية المقتبسة من (تث ٦ : ١٦) «**لا تجرب الرب إلهك**» . وليس هذا معناه «إذاً فلا تجربنى» بل معناه «إذاً فلا أجربن أبى» . وردت هذه الآية فى سفر التثنية بصيغة الجمع «لا تجربوا الرب إلهكم» أما هنا فإنها بصيغة المفرد .

(ملاحظة) عندما نصغى الى المواعيد العامة ونقبلها كأنها موجهة الينا بصفة خاصا فإننا حينئذ ننتفع من كلمة الله .

قال الشيطان «مكتوب» ، وقال المسيح «مكتوب» ، وليس هذا معناه أن ما ورد فى أحد الأسفار يناقض الآخر . فإن الله واحد ، وكلمته واحدة ، وفكره واحد . ولكن الشيطان

اقتبس وعداً والمسيح اقتبس وصية ، ولذلك يجب تفسير الوعد وتطبيقه على ضوء الوصية ، لأن الكتاب المقدس هو خير مفسر لنفسه . وعلى الذين يتنباؤن ، الذين يفسرون الكتاب ، أن يفعلوا ذلك بالنسبة الى الايمان (رو ١٢ : ٦) وبما يتفق مع التقوى العملية .

لو أن المسيح طرح نفسه الى اسفل لكان هذا تجربة لله :

[١] لأنه بذلك يعتبر كأنه يتطلب تأييداً جديداً لما سبق أن تثبت وتأيد . كان المسيح واثقاً كل الثقة من أبوة الله له ، وعنايته به ، ووصيته للملائكة للعناية به . فإذا حاول أن يضع هذه الحقائق الثابتة موضع الاختبار من جديد لاعتبرت هذه المحاولة تجربة لله كما جرب الفريسيون المسيح عندما طلبوا « آية من السماء » وكانت لديهم آيات وعلامات كثيرة على الارض . هذه اغاظة لقدوس اسرائيل « رجعوا وجربوا الله ، وعنوا (أو « غاظوا » حسب ترجمة اليسوعيين) قدوس اسرائيل » (مز ٧٨ : ٤١) .

[٢] و يعتبر كأنه يتطلب عناية خاصة لحفظه لأنه فعل مالم يدع اليه . إنه ليعتبر تجرؤاً على عناية الله وتجربة لله . إن كنا ننتظر أن يظل المسيح مرافقاً لنا — حتى إذا ابتعدنا عن طريق خدمتنا — لأنه وعد بأن لا يتركنا ، وإن كنا ننتظر أن يحقق كل رغباتنا و يغدق علينا كل ملذاتنا لأنه وعد أن يسد كل حاجتنا ، وإن كنا تدفع أنفسنا للخطر بأنفسنا معتمدين على وعده بأنه يحفظنا ، وإن كنا ننتظر ان نبلغ الغاية المرجوة دون استخدام الوسائط المرسومة ،

ومما يزيد هذه الخطية شناعة أن الله هو الرب إلهنا . فإنها تعتبر اساءة استعمال الامتياز الذى لنا وهو أن الله هو إلهنا . بهذا الامتياز يشجعنا أن نثق فيه ونعتمد عليه . ولكن إن كنا نجربه لأنه إلهنا فنحن جاحدون كل الجحود . بل نحن نسيء استخدام الامتياز الذى لنا فيه كبنين . فان ذلك يتنافى مع واجبنا نحوه كإلهنا ، هذا يعتبر إهانة لذاك الذى يجب علينا إكرامه .

(ملاحظة) يجب أن لا نمنى أنفسنا بأية وعود أكثر مما وعدنا به الله .

٣ — وأخيراً جربه بالعبادة الوثنية الذميمة واعداً إياه بإعطائه « **جميع ممالك العالم ومجدها** » . وهنا نلاحظ :

(١) كيف تجرأ أبليس على تقديم هذه التجربة للمخلص ع ٧ و٩ لقد حفظ أشر تجربة لكى يقدمها أخيراً .

(ملاحظة) قد تكون آخر معركة للقديسين مع « بنى عناق » ، وقد تكون الضربة الأخيرة هى الأشد . لذلك فمهما اشتدت التجارب التى يهاجمنا بها العدو يجب أن نستعد لأشد

منها ، يجب أن نتسلح لكل الهجمات « بسلاح البر لليمين ولليسار»

في هذه التجربة نلاحظ :

[١٠] ماذا أراه : « جميع ممالك العالم » . ولأجل هذه الغاية « **أخذه الى جبل عال جداً** » لقد غير مكان التجربة مؤملا أن ينتصر عليه كما فعل بالاق مع بلعام . لم يكن جناح الهيكل مرتفعاً ارتفاعاً كافيا ، ولذلك أراد « رئيس سلطان الهواء » أن يصعد به الى ارتفاع أعلى في منطقته .

يظن البعض أن هذا الجبل المرتفع كان على الضفة الأخرى لنهر الأردن ، لأننا نجد يسوع هناك بعد التجربة يو ١ : ٢٨ و٢٩ لعله كان جبل « الفسجة » الذى أرى الله موسى منه جميع ممالك كنعان .

على هذا الجبل حمل يسوع المبارك على أمل وضع مشروع هام ، كأن الشيطان يستطيع أن يظهر له شيئاً من العالم أكثر مما يعرفه لأنه هو خالق العالم ومدبره . من هناك يستطيع أن يرى بعض الممالك التى تحيط باليهودية ولو لم ير « مجدهن » ، ولكن لا شك فى أنه كانت للشيطان نية خبيثة وحيلة دنيئة ، لعل ذاك الذى أراه إياه لم يكن الا لمحة خاطفة على قدر ما تستطيع أن تراه العين لأول وهلة ، تمثيلا وهمياً للعالم فى السحاب ، على قدر ما يستطيع ذلك المخادع الأعظم أن يجمع معاً وأن يصور بسهولة ، وعلى قدر ما يستطيع أن يبرز فى صور خلابة بهية أمجاد الرؤساء والملوك ، ثيابهم وتيجانهم ، خدمهم وحشمهم ومعداتهم وحرسهم ، أمجاد عروشهم و بلاطهم ، قصورهم الفخمة ، الأبنية الشاهقة فى المدن ، الحدائق الغناء التى تحيط بأماكن إقامة العظماء بمظاهر الثروة والعز والترف ، وغير ذلك مما يثير الإعجاب ويخلب الألباب . هكذا كانت المناظر التى رآها المسيح . ولم يكن أخذ الشيطان إياه الى جبل عال الا لكى يدارى الموقف و يوارى الضلالة ، ولكن يسوع لم يخف عنه الأمر بل رأى بثاقب نظره خداع الشيطان . على أنه لم يسمح للشيطان بأن يتخذ سبيله إلا لكى تكون نصرته عليه أكثر وضوحا .

من ثم نلاحظ على تجارب الشيطان .

(أولا) أنها طالما أتت غن طريق العين التى تتعامى عما يجب أن تراه ، وتتفتح للأباطيل التى يجب أن تتحول عنها . لقد بدأت الخطية الأولى عن طريق العين تك ٣ : ٦ . إذاً فإننا فى أشد الحاجة أن نقطع عهداً لأعيننا وأن نبتهل الى الله « أن يحول أعيننا عن النظر الى الباطل » مز ١١٩ : ٣٧ .

(ثانيا) أن التجارب تنبعث عادة من العالم والاشياء التى فيه . « شهوة الجسد وشهوة

العيون وتعظم المعيشة » هذه هى المنافذ التى ينفث منها الشيطان سمومه .

(ثالثا) ان الشيطان يخدع النفوس البسيطة المسكنية فى تجاربه . انه يخدع و بذلك يهلك . انه يؤثر على البشر بالأباطيل والأوهام الكاذبة والمظاهر الخادعة ، يظهر العالم ومجده و يستر عن عينى الانسان الخطية والحزن والموت والآلام التى تكتنف هذا المجد ، والهموم والمصائب التى تقترن بها الثروات الطائلة ، الاشواك التى تتغلغل فى نفس الاكاليل .

(رابعا) ان مجد العالم هو أكثر التجارب غواية لغير المفكر وغير المحترس وغير المستيقظ . فقد حسد ابناء لابان يعقوب بسبب « كل هذا المجد » تك ٣١ : ١ . « وتعظم المعيشة » هو أشد التجارب خطورة .

[٢] ماذا « قال له » ع ٩ « **أعطيك هذه جميعها أن خررت وسجدت لى** » .
لاحظ هنا :

(أولا) كيف كان الوعد باطلا . « أعطيك هذه جميعها » يبدو أن ابليس أراد ان يعتبر ـــ كقضية مسلمة ـــ أنه كسب المعركة جزئيا فى التجربتين السابقتين ، و برهن على أن المسيح لم يكن « ابن الله » لانه لم يعطه تلك العلامات التى طلبها ، ولذلك ينظر اليه هنا كمجرد انسان و يقول له : تعال ، فيظهر أن الله الذى تظن بأنك ابنه قد تخلى عنك ، وقد تركك تهلك جوعا ، الامر الذى يدل على انه ليس اباك ، ولكن أن أردت أن تتبعنى فإننى أرتب لك كل شيء أفضل ، اعترف بى بأننى أبوك ، واطلب بركتى ، « فاعطيك هذه جميعها » .

(ملاحظة) عندما يستطيع الشيطان اقناع البشر بأن الله قد هجرهم يكون قد كسب المعركة بسهولة .

ان ناحية المغالطة فى هذا الوعد تنحصر فى هذا « أعطيك هذه جميعها » . وما هى « هذه جميعها » ؟ هى مجرد خريطة ، صورة ، مجرد طيف خيال ، ليس فيها شيء من الحقيقة ، ليست شيئا ملموسا ، هذا ما أراد أن يعطى ، كمكافأة عظيمة . وهذا هو ما يقدمه الشيطان عادة

(ملاحظة) ان الكثيرين من البشر يخسرون ما هو موجود إذ يثبتون نظرهم إلى غير الموجود . وكل طعم يقدمه الشيطان ان هو إلا صورى وهمى ، هو مظهر يزول وظل يحول ، به يخدع البشر ، بل بألاحرى به يخدع البشر أنفسهم .

« جميع ممالك العالم » هذه سبق أن وعد بها المسيا منذ أجيال طويلة ، فإن كان هو « ابن الله » فإنها ملك له . و يتظاهر الشيطان الآن بأن يكون ملاكا رحيما ، أحد الملائكة القامين على

الممالك ، وانه قد أعطى أمراً بأن يسلمه ممتلكاته طبقاً للوعد

(ملاحظة) يجب أن نحذر من أن نأخذ من يد الشيطان حتى نفس المواعيد التى وعدنا بها الله . هذا ما نفعله عندما نتعجل اتمام المواعيد ، أو عندما نمسك بها بطريقة خاطئة

(ثانيا) كيف كان الشرط مزرياً « **ان خررت وسجدت لى** »

(ملاحظة) ان الشيطان مغرم بأن يعبد و بأن يسجد له .

كانت العبادات الوثنية التى قدمتها الأمم الوثنية لآلهتها تقدم للشيطان (تث ٣٢ : ١٧) لهذا فإنه يدعى « إله هذا العالم » (٢ كو ٤ : ٤ ، ١ كو ١٠ : ٢٠) . حاول الشيطان أن يحمل المسيح على خدمة مصالحه و يقيمه معلما ينادى بالعبادة الوثنية و يبثها ثانية بين اليهود ، وعندئذ تلتف حوله حالا جميع أمم الأرض . وأية تجربة أكثر شناعة وأشد ظلمة ؟

(ملاحظة) قد يجرب أقدس القديسين بأشنع خطية ، خصوصا عندما يكونون تحت تأثير انقباض النفس ومرارتها . قد يجربون بالكفر والإلحاد ، والتجديف ، وسفك الدماء ، والانتحار وأية تجربة أخرى . هذا نوع من الضيقات التى يكابدونها . على انهم طالما كانوا لا يستسلمون للخطية ولا يصادقون عليها ، فإنها لا تحسب عليهم . فقد جرب المسيح بالسجود للشيطان

(٢) أنظر كيف درأ المسيح عن نفسه التجربة وأحبط المسعى وخرج ظافراً منتصراً . لقد رفض العرض :

[١] بإظهار بغضه التام له وكراهيته له : « **اذهب ياشيطان** » كان للتجربتين السابقتين مظهر قد يسمح بالتفكير فيهما ، اما هذه فقد كان الشر فيها مجسما لا يحتمل الأخذ والرد ، انها تبدو قبيحة لأول وهلة ولهذا رفضت فى البرهة الأولى . ان عرض علينا أصدق صديق فى العالم أمراً كهذا « نذهب ونعبد آلهة أخرى » وجب أن لا نصبر حتى نستمع اليه تث ١٣ : ٦ و٨ . فى بعض التجارب ترى شرها مكتوبا على جباهها ، تراه مفضوحا قبل أوانه . مثل هذه التجارب لا تحتمل المناقشة بل يجب أن ترفض تواً « اذهب ياشيطان » ، ابعد بها عنى ، اننى لا أطيق التفكير فيها . عندما جرب الشيطان المسيح ليؤذى نفسه بطرح نفسه إلى أسفل ، انصت اليه ، ولو لم يرضخ للتجربة ، اما الآن وقد وجهت التجربة إلى الله ، فإنه لا يطيقها « اذهب ياشيطان »

(ملاحظة) يحق لنا أن نغضب وأن نثور عندما يقدم الينا أى اقتراح ضد مجد الله وكرامته . بل يجب ان نبغض كل ما يبغضه الله مهما كان ، وحاشا لنا أن نمسه او نقرب اليه .

(ملاحظة) يجب أن لا نقف موقف المتردد أو موقف الأخذ والرد فى مقاومة التجربة ، بل لنقاومها مقاومة عمياء ولنصم آذاننا بإزاء إغراءات الشيطان

[٢] بتقديم حجة مقتبسة من الكتاب المقدس

(ملاحظة) لكى نقوى عزمنا ضد الخطية يحسن بنا أن نبحث عن كل ما يدعم هذا العزم من العلل والأسباب .

كان البرهان الذى قدمه المسيح فى غاية المناسبة ، وهو مقتبس من تث ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠ « **للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد** » . لم يبحث المسيح عما إذا كان الشيطان ملاك نور كما ادعى أم لا . ولكن حتى لو كذلك فيجب أن لا يعبد ، لأن هذه الكرامة لا تليق إلا بالله

(ملاحظة) يحسن جداً أن تكون اجابتنا على التجارب كاملة ومختصره على قدر ما نستطيع حتى لا نترك أى مجال للاعتراض .

هنا نرى المسيح يلجأ إلى الناموس الأساسى (الوصايا العشر) الذى لا غنى عنه والذى له حق الالتزام على الجميع

(ملاحظة) ان العبادة حق من الحقوق الواجبة لله وحده ، ويجب أن لا تؤدى لأى مخلوق . هى زهرة فى التاج لا يمكن نزعها ، هى جزء من مجد الله لا يعطيه لآخر ، ولا يعطيه لأبنه بإلزام جميع البشر أن « يكرموا الابن كما يكرمون الأب » مالم يكن إلهاً مساو ياً له ، وواحداً معه

اقتبس المسيح هذه الوصية الخاصة بالسجود والعبادة لكى يبين أن التزامنا بناموس العبادة هو منذ الأزل وإلى الأبد . فهو ان كان قد غير و بدل كثيرا من مظاهر العبادة إلا أن الأساس ثابت لأنه ناموس الطبيعة ــ وهو أن الله وحده هو الذى يجب ان يعبد ، وهو قد جاء لكى يثبت هذا الناموس و يؤ يده و يز يده لنا قوة .

(٥) وأخيراً نرى هنا غاية ونتيجة هذا النضال ع ١١ . ان كان أولاد الله يجر بون بتجارب كثيرة وشديدة إلا أن الله لا يسمح بأن يجربوا فوق قوتهم التى لهم أو فوق القوة التى يمنحها لهم ١ كو ١٠ : ١٣ . ان كان يجب أن يجر بوا « بتجارب متنوعة » إلا أن ذلك ليس إلا « يسيراً » (أو « وقتياً » حسب الترجمة الانكليز ية) ١ بط ١ : ٦

لقد كانت النتيجة مجيدة ، وزادت مجد المسيح ظهوراً .

١ ــ لأن ابليس هزم وأخلى الميدان « **ثم تركه ابليس** » أجبر على أن يفعل ذلك بالقوة

التـى رافقـت الـكلمة التى أمره بها قائلا « اذهب ياشيطان » . لقد ارتد على أعقابه بخزى وعار وانسحب بهوان ، وعلى قدر الجرأة التى أظهرها فى هجومه على قدر ما كان فشله مزر يا بل قاتلا . ولقد دلت محاولته التى فشل فيها على صفاقته وجرأته العجيبة .

و بعد أن أتى آخر ما عنده ، و بعد أن جر به « بجميع ممالك العالم وكل مجدهن » ، وأدرك بـأن هـذا الـطعم لم يكف لغوايته ، ولم ينجح بتلك التجر بة التى قلبت ألوفا من بنى البشر ، عندئذ تـركـه ، وأدرك بـأنـه لم يـكن مجرد انسان . وإذ لم تؤثر عليه هذه التجر بة فقد يئس من أن يؤثر عليه و بدأ يستنتج بأنه هو « ابن الله » وانه من العبث أن يجر به بعد .

(مـلاحـظـة) إن قـاومنا ابليس هرب منه (يع ٤ : ٧) ، أن ثبتنا فإنه لابد أن يستسلم ، كما ان نعمى لما رأت أن راعوث ثابتة فى عزمها « كفت عن الكلام اليها » را ١ : ١٨

عـنـدمـا تـرك ابـلـيـس المخلص اعترف بهزيمته ، وهكذا رأينا أن راسه قد انسحقت بنفس الهجوم الذى حاول أن يسحق به عقب المسيح . تركذ لأنه « ليس له فيه شيء » ، لم يجد فيه شيئاً يمسك به ، وجد أن كل محاولة غير مجدية ، ولذلك كف عن أن يبذل أى مجهود .

(مـلاحـظـة) ان كـان ابـلـيـس عـدواً لـكـل الـقـديسين ولكنه عدو مغلوب . فإن رئيس خلاصنا غلبه ونزع سلاحه ، ونحن ليس لنا إلا أن نتابع الغلبة

٢ ـــ ولأن المـلائـكـة الأطـهـار جـاءت لخدمة فادينا المنتصر « **وإذا ملائكة قد جاءت فـصـارت تخدمـه** » . جـاءت فى هيئة منظورة كما فعل ابليس فى التجر بة . عندما كان ابليس يـوالـى هـجومه على مخلصنا كانت الملائكة واقفة عن بعد ، متوقفة عن المثول بين يديه وعن خدمته لـكـى يـتـبين بـأنـه قضى على ابليس بقوته ، ولكى تزداد نصرته وضوحاً ، ولكى يتبين فيما بعد أنه عـنـدمـا يـسـتخدم ميخائيل وملائكته فى محار بة التنين (رؤ ١٢ : ٧) فإن استخدامه اياهم ليس لأنـه فـى حـاجة اليهم أو لانه لا يستطيع اتمام عمله بدونهم بل لانه يسر أن يكرمهم ومن أجل هذا يستخدمهم .

كـان يـكـفـي مـلاك واحـد لإحـضـار الـطـعام اليه ، ولكننا نرى هنا « ملائكة » كثيرة تخدمه ، لتعلن ولاءها له واستعدادها لتلقى أوامره . ولنلاحظ هنا :

(١) انـه كما يـوجـد عـالم الأشـرار، الأرواح الـشـر يرة ، لمحار بة المسيح وكنيسته وكل الـمـؤمـنين . كـذلك يوجد عالم الأرواح المقدسة المباركة منشغلة فى خدمتهم . ومما يعز ينا كثيرة فى حر بنا مع ابليس ان لنا شركة مع الملائكة

(٢) ان انتصارات المسيح هى موضوع فرح للملائكة . جاءت الملائكة لتهنئة المسيح من أجل توفيقه ، لتفرح معه ، لتعطيه المجد اللائق باسمه ، لأن هذا ما أنشد به بصوت عظيم فى السماء عندما طرح التنين رؤ ١٢ : ٩ و١٠ « الآن صار خلاص إلهنا وقدرته »

(٣) ان الملائكة لم تقدم للمسيح طعاما فقط بل كل ما طلبه بعد هذا الجهاد العظيم . أنظر كيف أن مظاهر تواضع المسيح واتضاعه كانت متوازنة مع علامات مجده . فكما أنه « صلب فى ضعف » مع انه عاش بقوة الله ، كذلك عندما جرب فى ضعف جاع وتعب مع انه بقوته الإلهية أمر الملائكة أن تخدمه . وهكذا أكل ابن الانسان خبز الملائكة ، وكأيليا أطعم بملاك فى البرية ١ مل ١٩ : ٤ و٧

(ملاحظة) ان كان الله يسمح لأولاده بالضيق والعوز فإنه يعنى عناية فعلية باحتياجاتهم ، و يفضل أن يرسل اليهم ملائكة لاطعامهم عن أن يراهم يهلكون جوعا . « اتكل على الرب وافعل الخير ، أسكن الأرض وارع الأمانة ، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك » مز ٣٧ : ٣ و٤

لقد قدمت للمسيح كل احتياجاته بعد التجربة :

[١] لتشجيعه بأن يتقدم لمهمته إذ رأى أن قوات السماء رافقته عندما حاربته قوات الجحيم

[٢] لتشجيعنا لنتكل عليه . فكما عرف عملياً معنى الآلام إذ جرب ، وشدة تلك الآلام كذلك عرف معنى المساعدة والغوث إذ جرب ومقدار ما فى ذلك من تعزية . ولذلك فإننا لا ننتظر عطف الله على شعبه فى تجاربهم فقط بل ننتظر أيضاً أن يأتى اليهم بمساعداته فى الوقت المناسب ، كما فعل ملكى صادق الذى قابل ابرهيم بعد عودته من الحرب ، وكما فعلت الملائكة هنا إذ خدمته .

(وأخيراً) ان المسيح إذ قد برزت عظمته وقدرته أمام العالم غير المنظور بواسطة صوت الآب من السماء ، وحلول الروح القدس عليه ، ونصرته على ابليس ، وسلطانه على الملائكة ، لاق به بلا شك أن يظهر فى العالم المنظور كوسيط بين الله والانسان ، « انظروا ما اعظم هذا الانسان » عب ٧ : ٤

١٢ ــ ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل ١٣

ـــ وترك الناصرة وأتى فسكن فى كفرناحوم التى عند البحر فى تخوم زبولون ونفتاليم ١٤ ــ لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل ١٥ ــ أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الأمم ١٦ ــ الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيماً . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور ١٧ ــ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات

فى هذه الأعداد نرى وصفاً لكرازة المسيح فى مجامع الجليل ، لأنه أتى الى العالم ليكون كارزاً ، إذ أن بدأ بنفسه يذيع أنباء الخلاص العظيم الذى كان عليه أن يصنعه عب ٢ : ٣ لكى يبين كيف كان قلبه منشغلا وكيف يجب أن تكون قلوبنا نحن أيضاً منشغله به .

فى الأناجيل الأخرى وخاصة انجيل يوحنا نرى بعض فقرات تتوسط بين تجربه المسيح وكرازته فى الجليل ، الأمر الذى يتفق مع ترتيب حوادث حياته . فإن ظهوره الأول مرة بعد التجربة كان عندما أشار اليه يوحنا المعمدان قائلا « هوذا حمل الله » يو ١ : ٢٩ بعد ذلك صعد الى أورشليم الى الفصح يو ٢ . ثم تناقش مع نيقوديموس يو ٣ . ثم مع المرأة السامرية يو ٤ . وبعد ذلك عاد الى الجليل وكرز هناك . على أن البشير متى ، إذ كانت اقامته فى الجليل ، يبدأ حديثه عن خدمة المسيح العلنية بكرازته هناك . وفى هذه الآيات نرى وصفاً لها . لاحظ هنا :

(١) وقت الكرازة . « **ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم (عندئذ) انصرف الى الجليل** » ع ١٢ .

(ملاحظة) إن صراخ آلام القديسين يصعد الى آذان الرب يسوع . إذ طرح يوحنا فى السجن « سمع » يسوع بالأمر ، واهتم به ، وثبت طريقه حسبما يقتضيه الحال . إنه يذكر الوثق والضيقات التى تنتاب شعبه . لاحظ :

١ ــ إن المسيح لم يذهب الى الجليل إلا بعد أن سمع بسجن يوحنا لأنه كان يجب أن يعطى يوحنا وقتاً ليعد طريق الرب قبل ظهور الرب نفسه . وبحكمة رتبت العناية أن « يحتجب » نور يوحنا قبل أن « يبزغ » نور المسيح ، لئلا تتبلبل عقول الشعب بين الاثنين فيقول الواحد « أنا ليوحنا » والآخر « أنا ليسوع » . يجب أن يكون يوحنا سابقاً ليسوع ومهيئاً الطريق أمامه لا منافساً له . عندما تظهر الشمس يختفى القمر والنجوم . لقد أدى يوحنا مأموريته بمعمودية التوبة ثم نحى . والشاهدان قتلا بعد إتمام شهادتهما لا قبلها رؤ ١١ : ٧ .

٢ ـــ إنه ذهب الى الجليل حالما سمع بسجن يوحنا ، ليس فقط اتقاء للخطر إذ كان يعلم أن عداوة الفريسيين في اليهودية له لا تقل عن عداوة هيرودس ليوحنا ، بل أيضا لسد الفراغ الذى حصل باحتجاب يوحنا . وللبناء على الأساس الصالح الذى وضعه يوحنا

(ملاحظة) إن الله لا يترك نفسه بلا شاهد ، ولا يترك كنيسته بلا مرشدين ، وعندما ينحى شخصية نافعة يستطيع أن يقيم أخرى لأن عنده مخازن الروح ، وهو يفعل هذا عندما يكون هنالك عمل يجب إتمامه . « موسى عبدى قد مات » ، و يوحنا طرح فى السجن ، إذاً فلينهض يشوع وليقم يسوع .

(٢) مكان الكرازة . فى « الجليل » وهى جزء سحيق من المملكة بعيد عن أورشليم . وكان ينظر اليه هناك نظرة احتقار كشخص فظ خشن الطبع . كان سكان تلك البلاد ضخام الجسم يليقون أن يكونوا جنوداً ، ولم يكونوا مؤدبين مهذبين يليقون أن يكونوا علماء . هنالك ذهب المسيح ، وهنالك نادى بمبادىء انجيله . وبهذا أظهر تواضعه كما أظهره فى غير ذلك من المناسبات الأخرى . لاحظ :

١ ـــ المدينة التى اختارها لإقامته . ليست الناصرة التى نشأ فيها . كلا فقد « **ترك الناصرة** » لهذا نرى البشير متى يلاحظ هذه الملاحظة بصفة خاصة ع ١٣ . ولقد كان له كل الحق فى ترك الناصرة لأن شعبها « أخرجوه خارج المدينة » لو ٤ : ٢٩ . لقد قدم اليهم باكورة خدمته ، وكان هذا عدلا ، ولكنهم رفضوه ورفضوا تعليمه وامتلأوا حنقا عليه وعلى تعليمه ، ولهذا ترك الناصرة ونفض غبار رجليه شهادة على أولئك الذين رفضوه أن يعلم فيها . كانت الناصرة أول مكان رفض المسيح ولذلك نبذها المسيح .

(ملاحظة) إنه عدل أن يسحب الله انجيله وكل وسائط النعمة من أولئك الذين يحتقرونها و يدفعونها عن أنفسهم . والمسيح لا يبقى طويلا فى المكان الذى لا يرحب به . ياالتعاستك ايتها الناصرة . إنك لو علمت فى يومك هذا ما هو لسلامك لنلت الخير الجزيل . ولكن الآن قد أخفى عن عينيك لو ١٩ : ٤٢ .

ولكنه « **أتى فسكن فى كفرناحوم** » وهى مدينة من الجليل تبعد عدة أميال عن الناصرة ، مدينة عظيمة ، غاصة بالسكان . وقد قيل عنها هنا إنها « **عند البحر** » (أو على شاطىء البحر) ليس « البحر العظيم » بل بحر طبرية ، وهو بحر داخلى ، و يدعى أيضاً « بحيرة جنيسارت » . بقرب مصب نهر الاردن فى هذا البحر تقع كفرناحوم وهى فى منطقة سبط « **نفتاليم** » (أو نفتالى) وفى تخوم سبط « **زبولون** » . هنالك ذهب المسيح وهناك أقام .

يظن البعض أن أباه يوسف كان يقيم هنالك إقامة دائمة ، و يظن الآخرون أنه على الأقل كان يقيم بها إقامة مؤقتة و يرجح الكثيرون أنه أقام فى منزل سمعان بطرس . وعلى أى حال فإنه لم يقم فى تلك المدينة بصفة مستمرة لأنه كان يجول يصنع خيراً . ولكنها كانت مركزه الدائم ، وكلما أراد أن يقضى فترة قصيرة للراحة كان يتجه نحوها . كان له فيها مكان يسند راسه ولو لم يكن ملكا له . و يبدو أنه فى كفرناحوم كان يقابل بالترحاب والسرور أكثر من الناصرة .

(ملاحظة) إن كان البعض يرفضون المسيح فالآخرون يقبلونه و يرحبون به . ولقد فرحت كفر ناحوم برفض الناصرة للمسيح . وإن كان أبناء وطن المسيح لا يلتفون حوله فإنه لابد أن يتمجد على أى حال . وأنت يا كفرناحوم هوذا يومك ، لقد ارتفعت اليوم الى السماء ، فاثبتى فى حكمتك ، واعرفى زمان افتقادك .

٢ ــ النبوة التي تمت بهذا ع ١٤ ــ ١٦ . وهى مقتبسة من أش ٩ : ١ و٢ بتغيير طفيف « **لكى يتم ما قيل بأشعيا النبى** » . يتنأ النبى فى نبوته عن ظلمة كثيفة من الآلام تحل بمن يزدرون بعمانوئيل أشد مما حل بالممالك المذكورة فى تلك النبوة سواء فى سبيهم الأول بواسطة بنهدد ١ مل ١٥ : ٢٠ وهذا كان خفيفاً ، او فى سبيهم الثانى بواسطة الأشور يين ، وهذا كان أشد كثيراً ٢ مل ١٥ : ٢٩ . يجب أن يكون قصاص الأمة اليهودية بسبب رفض الانجيل أشد من قصاصها فى السبيين (أنظر أش ٨ : ٢١ و ٢٢) لأن تلك الأماكن التى سبيت كان لها ما يعزيها فى سبيها فضلا عن أنها عادت فرأت نوراً عظيما ثانية ص ٩ : ٢ . هذا ما تحمله نبوة أشعيا من معان ، على أن للكتاب المقدس مناسبات كثيرة يتم فيها . أما البشير متى فإنه يقتبس فقط الفقرة الاخيرة التى تتحدث عن عودة نور الحرية والرخاء لتلك الممالك التى كانت فى ظلمة السبى ، و يطبقها على ظهور الانجيل فيها .

أما تلك الأماكن فقد ذكرت فى ع ١٥ « **أرض زوبولون** » وحسناً قيل إنها « عند ساحل البحر» تك ٤٩ : ١٣ لأن . زوبولون كانت ميناء للسفن ، وكانت تفرح بخروجها تث ٣٣ : ١٨ أما نفتالى فقيل عنه إنه « يعطى أقوالا حسنة » تك ٤٩ : ٢١ « و يشبع رضى » تث ٣٣ : ٢٣ لأن منه بدأ الانجيل ، وهو « أقوال حسنة » حقاً ، و يشبع النفس من رضى الله .

وقد ذكر أيضاً « **عبر الأردن** » لأننا طالما وجدنا المسيح يكرز هنالك . كما ذكر أيضاً « **جليل الأمم** » أى الجليل العليا التى كان يلجأ اليها « الأمم » للتجارة حيث كانوا يختلطون باليهود . وهذا يتضمن أن الرب قد حفظ رحمة للأمم المساكين . عندما أتى المسيح إلى كفرناحوم انتشر الانجيل فى كل الأماكن المجاورة . و بذلك ذاع تأثير أشعة شمس البر فى كل أرجائها .

والآن نلاحظ عن سكان هذه الأماكن :

(١) الحالة التي كانوا فيها قبل مجيء الانجيل اليهم ع ١٦ . كانوا « **في ظلمة** »

(ملاحظة) إن كل نفس بعيدة عن المسيح هي في ظلمة ، بل هي الظلمة بعينها ، كتلك الظلمة التي كانت « على وجه الغمر» .

بل كانوا « **في كورة الموت وظلاله** » وهذه لا تدل فقط على ظلمة كثيفة كما أن القبر هو « أرض الظلام » بل تدل أيضا على الخطر الداهم . عندما يصاب المرء بمرض خطر لا يرجى منه الشفاء يقال عنه إنه في « وادى ظل الموت » ولولم يعاين الموت فعلا . كذلك كان الشعب على حافة الدينونة بالموت ولو لم يدانوا بعد ، كانوا أمواتا بالناموس .

والأشر من ذلك أنهم كانوا « **جالسين** » في هذه الحالة . يدل الجلوس على الهيئة المستمرة ، لأننا حينما جلسنا كان قصدنا البقاء والاستمرار. كذلك كان الشعب « في ظلمة » ، يحتمل بقاؤهم فيها ، يائسين من التخلص منها ، و يدل الجلوس أيضا على أنهم كانوا قانعين بهذه الحالة . فقد كانوا « في ظلمة » ، وأحبوا الظلمة ، وفضلوها على النور. كان جهلهم اختيار يا .

كانت حالتهم محزنة . ولازالت هذه هي حالة الكثير من الأمم القو ية والعظيمة ، التي يجب أن نرثى لها ونصلى من أجلها . على أن كل من يجلس في الظلمة وسط نور الإنجيل تكون حالته أشد حزنا . إن من يجلس في الظلام لأنه في الليل يكون واثقا من ان الشمس ستشرق قر يبا ، أما من يجلس في الظلام لأنه أعمى فلا يرجو أن تنفتح عيناه سر يعا . نحن لنا النور ولكن ماذا يفيدنا إن لم نكن نوراً في الرب ؟

(٢) الامتياز الذى تمتعوا به عندما جاءهم المسيح وإنجيله . لقد جاءتهم نهضة عظيمة كما يجيء النور للسائح الذى يدهمه الظلام في الطر يق .

(ملاحظة) عندما يجيء الانجيل يجيء النور. عندما يجيء إلى أى مكان ، إلى أى نفس ، يصبح هنالك نهار يو٣ : ١٩ ، لو ١ : ٧٨ و٧٩ . النور يكشف و يرشد . هكذا يفعل الإنجيل .

وهنا نرى هذا النور « **نوراً عظيما** » وذلك يدل على وضوح إعلانات الانجيل وصفائها . ليس كنور الشمعة بل كنور الشمس عندما تخرج في قوتها . هذا النور « عظيم » بالمقارنة مع نور الناموس الذى تبددت ظلاله الآن . إنه « نور عظيم » لأنه يكشف حقائق عظيمة ، ولأن نتائجه عظيمة ، و يبقى لأمد طو يل ، و ينتشر في مدى فسيح .

وهو نور متزايد في النمو حسبما يفهم من النص الأصلى « **أشرق عليهم نور**» . لم يكن

الحال معهم سوى مجرد إشراق النهار، و بعد ذلك بدأ النور يتزايد شيئاً فشيئاً . كان ملكوت الإنجيل — كحبة الخردل أو نور الصباح — صغيراً فى بدايته ، متدرجا فى نموه ، ولكنه عظيم فى كماله .

لاحظ أن النور « أشرق عليهم » فهم لم يذهبوا للبحث عنه ، لكن بركات هذا الصلاح العظيم منعهم من الذهاب . إنه أشرق عليهم قبل أن يدركوا ، أشرق عليهم فى الوقت المعين ، بأمر ذاك الذى « يأمر الصبح و يعرف الفجر موضعه ليمسك بأكناف الأرض » أى ٣٨ : ١٢ و ١٣ .

(٣) موضوع الكرازة ع ١٧ « **من ذلك الزمان** » أى منذ مجيئه إلى الجليل ، إلى أرض زبولون ونفتالى ، بدأت كرازته . كان قبل ذلك يكرز فى اليهودية ، وتلمذ كثيرين وعمد كثيرين يو ٤ : ١ . لكن كرازته لم تكن بشكل عام و بشكل ثابت كما بدأت أن تكون الآن . إن عمل الخدمة عظيم وخطير جداً حتى أنه كان من اللائق أن يبدأ به تدريجياً

أما الموضوع الذى اتجه نحوه فى كرازته الآن — وكان فعلا خلاصة كل كرازته — فهو نفس الموضوع الذى كرز به يوحنا ص ٣ : ٢ **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » لأن جوهر الانجيل واحد مهما تغيرت الظروف . الأوامر واحدة والأسباب التى تعززها واحدة . ولا يجرؤ « ملاك من السماء » أن يبشر بإنجيل آخر غل ١ : ٨ ، بل بهذا لأنه « بشارة أبدية » رؤ ١٤ : ٦ . « خافوا الله » و بالتوبة « أعطوه مجداً » رؤ ١٤ : ٧ .

لقد توج المسيح كرازة يوحنا بكرامة عظيمة عندما كرز بنفس الكرازة التى كرز بها قبله . و بذلك أظهر بأن يوحنا كان سفيره ورسوله ، لإنه عندما أتى بالرسالة بنفسه كانت هى نفس الرسالة التى أرسلها بواسطة يوحنا . وهكذا أيد الرب كلمة رسوله أش ٤٤ : ٢٦ . لقد أتى الابن فى نفس المهمة التى من أجلها أتى العبيد ص ٢١ : ٣٧ لكى « يطلب أثماراً » ، أثماراً تليق بالتوبة . كان ممكناً للمسيح — باعتباره فى حضن أبيه — أن يكرز بالأفكار العالية عن الأمور الإلهية السماوية السامية التى كانت تخلب عقول العلماء ، ولكنه حصر كرازته فى هذا الموضوع القديم البسيط « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات »

[١] هذا ما بدأ به كرازته . فعلى خدام الله أن لا يطمعوا فى استحداث آراء جديدة ، أو تدبير خطط جديدة ، أو صوغ عبارات جديدة ، بل يجب أن يقنعوا بالأشياء البسيطة الواضحة العملية ، بالكلمة التى هى « قريبة منا » التى هى « فى فمنا وفى قلبنا » رو ١٠ : ٨ . لا حاجة بنا أن نصعد إلى السماء أو نهبط إلى الهاوية للبحث عن اللغة فى كرازتنا . وكما أعد يوحنا طريق المسيح بتعليم التوبة هكذا يعد المسيح طريقه ويمهد السبيل للحقائق العتيدة التى يرمى اليها بنفس

التعليم ، تعليم التوبة . « إن شاء أحد أن يعمل مشيئته » في هذه الناحية فليعرف من التعليم أكثره يو ٧ : ١٧

[٢] وهذا ما كرز به كثيراً . أينما توجه كان يكرز عنه . ولم يفكر هو أو أتباعه يوماً ما أن هذا قد صار موضوعا مبتذلا كما كان يفعل أولئك الذين صارت « مسامعهم مستحكة » والمغرمون بسماع كل شيء جديد أكثر من ميلهم لسماع ما يبنى حقيقة .

(ملاحظة) إن ما كان يكرز به سابقاً و يسمع سابقاً يليق جداً بأن يكرز به و يسمع ثانية . وفي حالة تكراره يجب أن يكرز به بقوة و يسمع بانتباه ، بغيرة أقوى ومحبة أعمق . فإن ما ذكره بولس أولا ذكره ثانية « باكياً » في ٣ : ١ و١٨

[٣] وهذا ما كرز به كانجيل » توبوا ، تأملوا طرقكم ، ارجعوا لأنفسكم »

(ملاحظة) إن تعليم التوبة تعليم انجيلي حقاً

لم يكن يوحنا العبوس الذي كان ينظر إليه كشخص مكتئب حزين هو وحده الذي كرز بالتوبة بل كرز بها أيضاً يسوع الحلو الحب الشفوق الممتلىء رقة وعطفاً الذي كانت شفتاه تقطران عسلا لأنه من أعظم الامتيازات التي لا ينطق بها أن يعطى مجال للتوبة

[٤] والسبب لم يتغير « لأنه قد اقترب ملكوت السموات » لأنه كان معتبراً بأنه لا يأتي تماماً إلا متى حل الروح القدس بعد صعود المسيح . قبل ذلك بسنة نادى يوحنا بأن « ملكوت السموات قد اقترب » أما الآن وقد صار أكثر اقتراباً فإن الباعث صار أقوى « إن خلاصنا الآن أقرب مما كان » رو ١٣ : ١١ ، ونحن « على قدر ما نرى اليوم يقرب » عب ١٠ : ٢٥ يجب أن نزداد تمسكا بواجبنا واهتماماً به .

١٨ ــ وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فانهما كانا صيادين ١٩ ــ فقال لهما هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس ٢٠ ــ فللوقت تركا الشباك وتبعاه ٢١ ــ ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدي و يوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما ٢٢ ــ فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه .

عندما بدأ المسيح كرازته بدأ يجمع حوله بعض التلاميذ لكي يكونوا مستمعين لتعليمه الآن ثم كارزين به فيما بعد ، لكي يشاهدوا معجزاته الآن ثم يشهدوا لها فيما بعد . وفي هذه الاعداد نرى وصفاً لدعوة التلاميذ الأول الذين اصطفاهم لعشرته .

وقد كانت هذه الدعوة (١) مظهراً لدعوة المسيح الفعالة . في كل كرازته كان يوجه دعوة عامة لكل البلاد ، أما هنا فإنه يوجه دعوة خاصة لأولئك الذين أعطاهم الآب إياه . فلنتأمل بإعجاب في قوة نعمة المسيح ، ولنعترف بأن كلمته هي قضيب قوته ، ولنطلب منه تلك القوة الفعالة الضرورية لنجاح دعوة الانجيل . لقد وجهت الدعوة لكل البلاد أما هؤلاء فقد وجهت اليهم دعوة خاصة ، قد أفرزوا من بين الباقين . (٢) مظهراً لرسامتهم وتعيينهم للخدمة . عندما افتتح المسيح ــ المعلم الأعظم ــ مدرسته كان أول عمل له تعيين مساعدين له ليُعينوه في مهمة التعليم . لقد بدأ الآن في توزيع بعض مواهبه للبشر ، في وضع الكنز في أوان خزفية . وقد كان ذلك منظراً مبكراً لعنايته بكنيسته . في هذه الاعداد نرى :

(١) أين وجهت الدعوة : « **عند بحر الجليل** » حيث « **كان يسوع ماشياً** » إذ كانت كفرناحوم بجوار ذلك البحر . كان لليهود قول مأثور عن هذا البحر ــ بحر طبرية أو بحر الجليل ــ يتضمن بأن الله لم يختر من بين البحار السبعة التي خلقها سوى هذا البحر بحر جنيسارت . وهذا ينطبق على اختيار المسيح إياه ليشرفه بالوجود بجواره مراراً و يصنع الكثير من معجزاته في تخومه . هنا على شاطىء هذا البحر كان يسوع ماشياً ليقضي وقتاً في التأملات الروحية كما كان اسحق يتأمل في الحقل . هنا ذهب المسيح لاختيار تلاميذه ، ولم يذهب إلى قصر هيرودس لأنه « ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء قد دعوا » (١ كو ١ : ٢٦) ، أو الى أورشليم لاختيارهم من بين الشيوخ ورؤساء الكهنة ، بل إلى بحر الجليل ، فحقاً أنه « ليس كما ينظر الإنسان » ينظر المسيح (١ صم ١٦ : ٧) وليس ذلك معناه أن القوة التي عملت في بطرس واندراوس لقبول الدعوة لم تكن لتستطيع أن تفعل في حنانيا وقيافا ، فإنه ليس شيء غير ممكن لدى الله ، ولكنه ــ كما في كل مناسبة ــ هكذا في هذه المناسبة أراد أن يظهر تواضعه حتى في اختيار عشرائه وتلاميذه ، و يبين أن « الله اختار فقراء هذا العالم » . كانت الجليل في اقصاء الشمال أقل تهذيباً وثقافة من باقي أجزاء البلاد ، يشتم من لهجة كلامهم الفظاظة والغلظة ، وكانت لغتهم تظهرهم . والذين انتقاهم المسيح عند بحر الجليل لم يكونوا من مختاري وأفاضل الجليليين ، ومع ذلك ذهب المسيح هنالك ليختار تلاميذه الذين يوكل اليهم إدارة شئون ملكوته لأنه « يختار جهال العالم ليخزي الحكماء » (١ كو ١ : ٢٧)

(٢) ومن هم الذين وجهت اليهم الدعوة ؟ في هذه الاعداد نرى وصفاً لدعوة أخوين (بطرس واندراوس) ، ثم أخوين آخرين (يعقوب و يوحنا) . وكان المسيح قد سبق أن تعرف

بالأخوين الأولين (يو ١ : ٤٠ و٤١) والأرجح أنه تعرف بالأخوين الآخرين أيضاً ولكنهم إلى ذلك الوقت لم يكونوا قد دعوا للاتصال به اتصالا وثيقا دائماً .

(ملاحظة) إن المسيح يدعو النفوس المسكينة لشركته بالتدريج

لقد كانوا تلاميذ ليوحنا ، وهذا جعلهم أكثر استعداداً لاتباع المسيح .

(ملاحظة) إن الذين يقبلون عهد التوبة يرحب بهم لقبول أفراح الإيمان .

ومما نلاحظة عن هؤلاء التلاميذ :

١ ــ انهم كانوا اخوة .

(ملاحظة) جميل جداً أن يصير الاخوة والانسباء « حسب الجسد » (رو ٩ : ٣) مرتبطين معاً برابطة روحية واحدة بالمسيح يسوع . وإنه لشرف عظيم وتعزية كبرى للعائلات أن يكون أعضاء العائلة الواحدة أعضاء في عائلة بيت الله .

٢ ــ إنهم كانوا صيادين . ولهذا كانوا :

(١) فقراء . فلو أنهم كانت لهم ثروة أو تجارة أو حرفة ممتازة أخرى لما احترفوا حرفة الصيد ، وإن كان لابد لهم من الصيد لكان لهم مجرد هواية .

(ملاحظة) إن كان المسيح لا يحتقر الفقراء ، فعلينا أن لا نحتقرهم نحن . لقد بشر المساكين والفقراء . وكثيراً ما أعطى ينبوع الكرامة والمجد كرامة أكثر للأعضاء الناقصة .

(٢) جهلاء . لم يتلقوا دراسة في العلم والأدب كموسى الذى تربى بكل حكمة المصريين .

(ملاحظة) كثيراً ما يسكب المسيح من مواهب النعمة على من ليست لديهم من مواهب الطبيعة إلا القدر الضئيل .

على أن هذا لا يبرر تطفل الجهلاء على الخدمة ومن لم يؤهلوا لها .

نحن لا نتطلب الآن مواهب غير عادية في العلم والكلام ، بل يجب الحصول على

المؤهلات المطلوبة بالطرق العادية . ولن يقبل فى هذه الخدمة من لم يحصل على قدر كاف من هذه المؤهلات .

(٣) رجال عمل . تر بوا فى ميدان الجهاد والنضال .

(ملاحظة) إن النشاط فى أى عمل شريف يسر المسيح ولا يعطل النموفى حياة القداسة . فموسى دعى من رعاية الغنم إلى مركز ممتاز، وداود دعى من رعاية الغنم كذلك إلى خدمة سامية . والشخص الكسلان يستجيب لتجربة الشيطان أكثر من استجابته لدعوة الله .

(٤) متعودين على المصاعب والأخطار. إن مهنة الصيد مضنية وخطرة أكثر من أية مهنة أخرى . فالصياد تتبلل ثيابه دواماً و يعرض للبرودة . وعليه أن يكون ساهراً ، يقظا ، منتظراً ، مجداً ، و يتعرض « لأخطار مياه » .

(ملاحظة) إن الذين تعلموا احتمال المصاعب والمتاعب والأخطار هم أكثر تهيئاً لاتباع المسيح والتتلمذ له . فالجندى الصالح للمسيح يجب أن يحتمل المشقات .

(٣) ماذا كانوا يعملون . كان بطرس واندراوس يستعملان شباكهما أى يصطادان ، أما يعقوب و يوحنا فكانا « **يصلحان شباكهما** » وهذا دليل على اجتهادهما وجدهما وحسن تدبيرهما . فإنهما لم يذهبا لأبيهما ليطلبا ما يشتر يان به شباكا جديدة بل عنيا بتصليح شباكهما القديمة . يحسن جداً أن نجعل كل ما لدينا من أدوات العمل مستمرة فى تأدية وظائفها أكبر مدة ممكنة . كان يعقوب و يوحنا « **مع زبدى أبيهما** » على أتم الاستعداد لمساعدته وتسهيل مهمته .

(ملاحظة) جميل جداً أن نرى الأبناء يعنون بآبائهم ممتثلين لهم فإن هذا يبشر بمستقبل زاهر لهم .

لاحظ هنا :

(أولا) إن كل هؤلاء التلاميذ كانوا منشغلين ، كل منهم يؤدى واجبه ، لم يكن فيهم واحد كسولا أو بطالا .

(ملاحظة) جميل أن يجدنا المسيح منشغلين فى أعمالنا عندما يأتى . إن السؤال الجوهرى الذى يجب أن يوجهه كل منا لنفسه هو « هل أنا فى المسيح » . والسؤال الذى يليه هو هذا « هل أنا فى عملى » .

(ثانياً) كانوا منشغلين بأعمال مختلفة، فقد كان اثنان منهم يصطادان واثنان «يصلحان شباكهما».

(ملاحظة) يجب على الخدام أن يكونوا منشغلين دواماً إما في التعليم أو في الدرس وتحصيل قسط وافر من المعلومات. وهم يستطيعون أن يجدوا دواما ما يشغلهم. وتصليح الشباك في وقته ضروري جداً كالصيد.

(٤) ماذا كانت الدعوة؟ «**هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس**» لقد كانوا قبل ذلك يتبعون المسيح كتلاميذ عاديين (يو ١ : ٣٧) وكانوا يستطيعون أن يوفقوا بين اتباع المسيح واتباع حرفتهم. على أن المسيح دعاهم لاتباعه عن قرب وملازمته دواماً، الأمر الذي تطلب ترك حرفتهم.

(ملاحظة) يريد الله أن يوجه دعوة خاصة حتى لأولئك الذين دعاهم لاتباعه، وذلك لكي يزدادو اقتراباً منه، سيا عندما يفرزون لعمل الخدمة.

لاحظ هنا:

١ ـــ العمل الذي عينه لهم المسيح «**فأجعلكما صيادي الناس**» وفي هذه إشارة إلى حرفتهم الأولى. فعليهم أن لا يفتخروا بمجد وشرف دعوتهم الجديدة لأنهم لا زالوا مجرد صيادين وعليهم أن لا يرهبوا العمل الجديد الذي دعوا اليه لأنهم متعودون على الصيد وهم لا زالوا صيادين. كان من عادة المسيح أن يتحدث عن الامور الروحية والسماوية تحت الإشارات وبالعبارات التي تتفق مع المناظر التي تقع عليها عيناه. لقد دعى داود من رعاية الغنم إلى رعاية شعب الله، وعندما كان ملكا كان في نفس الوقت راعياً.

(ملاحظتان) ـــ (الأولى) إن خدام الله صيادون للناس، ليس لاهلاكهم بل لتخليصهم، بنقلهم من حالة إلى حالة. يجب أن يصطادوا ليس لتنميه ثروتهم أو كرامتهم أو رفعتهم، وليس ليربحوا الذين يصطادونهم لأنفسهم، بل لربحهم للمسيح. «اطيعوا مرشديكم **لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم**» (عب ١٣ : ١٧) «لأني لست أطلب ما هو لكم بل إياكم» (٢ كو ١٢ : ١٤).

(الثانية) والذي يجعلهم صيادين للناس هو يسوع المسيح «فأجعلكما صيادي الناس» هو الذي يعد البشر لهذه الخدمة، و يدعوهم لها، و يعطيهم السلطان لإتمامها، ويمنحهم النجاح فيها. هو الذي يرسلهم لاصطياد النفوس، ويمنحهم الحكمة لربحها. فالخادم الذي يدرك بأن المسيح هو الذي أرسله يشعر بالتعزية في خدمته.

٢ ــ ماذا يجب عليهم عمله لا تمام هذه الدعوة « **هلم ورائى** » أو « اتبعانى » . يجب عليهم أن يفرزوا أنفسهم لملازمته ، و يقيموا أنفسهم للتمثل به . يجب عليهم اتباعه كقائدهم .

(ملاحظات) ــ (الأولى) يجب على كل من يستخدمهم المسيح فى أية خدمة له أن يكونوا أولا مؤهلين لها .

(الثانية) يجب على من يريد أن يكرز بالمسيح أن يتعلم المسيح أولا وأن يتعلم منه ، فكيف ينتظر أن نأتى بالآخرين إلى معرفة المسيح إن كنا نحن لا نعرفه جيد المعرفة

(الثالثة) وعلى الذين يريدون أن يتعرفوا بالمسيح أن يكونوا مثابرين ونشطين فى ملازمته ، فلقد استعد الرسل لخدمتهم بملازمة المسيح والاجتماع معه « كل الزمان الذى فيه دخل إليهم وخرج » أع ١ : ٢١ . إن التعليم الذى نحصل عليه باتباع المسيح وملازمته لا يمكن أن يقارن به أى تعليم آخر ، فيشوع تهيأ بأن يكون خليفة لموسى بملازمته

(الرابعة) وعلى الذين يريدون اصطياد الناس أن يتبعوا مثال المسيح فى هذه الخدمة و يتمموها كما أتمها هو بالأجتهاد والأمانة والرقة . إن المسيح هو المثال الأكمل للوعاظ ، وعليهم أن يكونوا « عاملين معه » ٢ كو٦ : ١

(٥) ما هو النجاح الذى صادفته هذه الدعوة ؟ هنا نجد أن بطرس واندراوس « **للوقت تركا الشباك** » ع ٢٠ أما يعقوب و يوحنا فنجدهما « **للوقت تركا السفينة وأباهما** » ع ٢٢ والجميع « **تبعوه** »

(ملاحظة) على الذين يريدون اتباع المسيح حقاً أن « يتركوا كل شيء » ليتبعوه . على كل مسيحى أن يترك عن طيب خاطر كل شيء ، أن يتغاضى عن كل شيء ، أن « يبغض أباه وأمه » لو ١٤ : ٢٦ أن يكون حبه لهما أقل من حبه للمسيح ، أن يكون مستعداً لتضحية مصلحته معهما أن تعارضت مع مصلحته فى المسيح . أما الذين قد كرسوا حياتهم للخدمة فعليهم بنوع خاص أن يتنحوا عن كل أمور الحياة لكى يستطيعوا أن يعطوا أنفسهم لتلك الخدمة التى تتطلب « الانسان كله » .

١ ــ ان هذا المظهر الذى بدت فيه قوة الرب يسوع المسيح يشجعنا على الإتكال على كفاية نعمته . تأمل كيف كانت كلمته قوية وفعالة ، « لأنه قال فكان . هو أمر فصار» مز ٣٣ : ٩ . ان نفس القوة التى رافقت كلمة المسيح إذ نادى لعازر قائلا « هلم خارجاً » هى التى

رافقت كلمته إذ نادى التلاميذ قائلا « هلم ورائى » ، وهذه القوة هى « أن نريد » . أنظر مز ١١٠ : ٣ (١) . أنظر أيضاً فى ٢ : ١٣

٢ ــ وهذا المظهر الذى بدت فيه طاعة التلاميذ يعطينا مثالا حسناً لطاعة وصايا المسيح وأومراه

(ملاحظة) يجب على كل خدام المسيح الأمناء أن يأتوا حينما يدعون ، وأن يتبعوا سيدهم حيثما يقودهم .

انهم لم يحتجوا بمشاغلهم الحاضرة ، ولا بارتباطاتهم العائلية ، ولا بصعوبات الخدمة التى دعوا إليها ، ولا بعدم استعدادهم لها ، ولكنهم إذ دعوا أطاعوا ، وكابرهيم « خرجوا وهم لا يعلمون إلى أين يذهبون » ولكنهم موقنون بمن يتبعون .

ترك يعقوب و يوحنا أباهما الذى لا يخبرنا الكتاب شيئاً عما صار له . على أن أمهما سالومى كانت ملازمة للمسيح . لا شك فى أن أباهما آمن بالمسيح . لكن الدعوة لأتباع المسيح وجدت من الشابين استعداداً أكثر لاستجابتها . فالشباب هو سن التعليم وهو دور الجهاد والنضال . وكان الكهنة يخدمون فى عنفوان شبابهم

٢٣ ــ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم و يكرز ببشارة الملكوت و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب ٢٤ ــ فذاع خبره فى جميع سورية . فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجلين فشفاهم ٢٥ ــ فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن .

---

(١) نص هذه الآية حسب الترجمة العربية « شعبك منتدب فى يوم قوتك » أما ترجمة النص الانكليزى فهى « شعبك سوف يكون راغباً (أو مريداً) فى يوم قوتك »

في هذه الأعداد نلاحظ :

(١) كيف كان المسيح مجداً نشيطاً في الكرازة : « **كان يطوف كل الجليل . يعلم في مجامعهم و يكرز ببشارة الملكوت** » . لاحظ هنا

١ ــ موضوع الكرازة : « **بشارة الملكوت** » . ان « ملكوت السموات » ، ملكوت النعمة والمجد ، هو بلا شك مملكة ، أو « الملكوت » ، ذلك الملكوت الذى كان قد اقترب إذ ذاك ، ذلك الملكوت الذى سيبقى دون كل ممالك الأرض ، والذى يفوق جميعها . و« البشارة » (أى الانجيل) هى البراءة (أو المرسوم الملكى) لذلك الملكوت التى تتضمن اليمين القانونى الذى قسمه الملك يوم تتويجه ، وبموجبه ارتبط بمنح المغفرة والرعاية والخلاص لرعية ذلك الملكوت . وهى تتضمن فوق هذا يمين الطاعة الذى يقسمه الرعية ليحفظوا نواميسه و يطلبوا مجده . هذه هى « بشارة الملكوت « ، هذه هى التى كان يكرز بها المسيح لكى يتوطد إيماننا فيها .

٢ ــ مكان الكرازة : « **في مجامعهم** » ليس فى الجامع فقط دون أى مكان آخر بل فى الجامع بنوع خاص لأنها هى « مداخل الأبواب » (أو « أماكن الاجتماع » حسب الترجمة الانكليزية) التى فيها « تعطى الحكمة صوتها » أم ١ : ٢٠ و٢١ . كانت هى « مداخل الأبواب » للعبادة الروحية ، وهناك كان ينتظر أن تكون عقول الشعب مستعدة لقبول البشارة ، وهنالك كانت تقرأ أسفار العهد القديم التى يمهد تفسيرها « لبشارة الملكوت » بسهولة

٣ ــ أى تعب لاقاه فى الكرازة « **كان يطوف كل الجليل يعلم و يكرز** » كان ممكناً أن يطلق نداء يدعو به الجميع للمجيء إليه ، ولكنه لإظهار تواضعه وتنازل نعمته ذهب إليهم ، لأنه « ينتظر ليتراءف » أش ٣٠ : ١٨ ولأنه أتى « ليطلب ويخلص » . يقول يوسيفوس « كان فى الجليل نحو مائتا مدينة وقرية وقد زارها المسيح كلها أو بعضها » .

وكان « يجول يصنع خيراً » لم تر البشرية كارزاً متجولا لا يضنيه التعب كيسوع . كان يجول من مدينة إلى مدينة للبحث عن الخطاة المساكين ليصطلحوا مع الله . هذا خير مثال للخدام للتجول لعمل الخير ، ليكرزوا بالكلمة بسرعة و بصفة دائمة ، فى وقت مناسب وغير مناسب

(٢) كيف كان المسيح طبيباً قوياً ؟ كان « يطوف » لا ليعلم فحسب بل لكى « يشفى » أيضاً ، وكلا الأمرين كان يتممها بكلمته لكى يزيدها عظمة . « أرسل كلمته فشفاهم » مز ١٠٧ : ٢٠ . وهنا نلاحظ :

١ ــ أية أمراض شفاها ؟ : جميع الأمراض بلا استثناء . فقد قيل عنه هنا أنه كان « **يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب** » . هنالك بعض الأمراض يطلق عليها « عار

الأطباء » لأنه لا يمكن أن تنجح فيها أية وسيلة من حيل الأطباء . ولكن نفس هذه الامراض كانت « مجد ذلك الطبيب » الأعظم لأنه كان يشفيها كلها مهما كانت مستعصية . فقد كانت كلمته برءاً لكل داء .

وهنا نرى البشير يجمع كل أنواع الأمراض في ثلاث كلمات عامة . الأولى : « **كل مرض** » كالعمى والعرج والحمى والاستسقاء ، والثانية « **كل ضعف** » كالهزال أو مرض السل وما إليها ، والثالثة « **جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة** » كحالات الصرع وما إليها . وسواء كان المرض حاداً أو مزمناً ، سواء كان خطره محققاً أو غير محقق ، فإنه لم يستعص أي مرض على كلمة المسيح .

ثم يخص بالذكر ثلاثة انواع خاصة من الأمراض وهي : الفالج « **المفلوجين** » وهو أشد أنواع ضعف الجسد ، والصرع « **المصروعين** » وهو أشد أمراض العقل ، والجنون « **المجانين** » وهو أشد المصائب والنكبات التي تحل بالعقل والجسد معاً . ومع ذلك فقد شفي المسيح الجميع لأنه هو الطبيب المقتدر لشفاء النفس والجسد ، وله السلطان على كل الأمراض .

٢ ــ أي نوع من المرضى لجأوا إليه ؟ أن طبيباً كهذا سهل الإتصال به ، واثقاً من النجاح في كل حالة ، يشفي في لحظة ، دون إبطاء مؤلم أو انتظار ممل ، ودون استعمال علاج لا يقل إيلاما عن المرض نفسه ، و يشفي مجاناً ، لابد أن يكون لديه مرضى كثيرون .

أنظر هنا أي جموع التفت حوله من كل الأرجاء ومن كل الأصناف فقد « **تبعته جموع كثيرة** » ليس « **من الجليل** » والبلاد المجاورة فحسب بل أيضا من « **أورشليم واليهودية** » وهما تبعدان بعداً شاسعاً عن الجليل . ذلك لأنه قد « **ذاع خبره في جميع سورية** » ليس بين شعب اليهود فحسب بل بين الشعوب المجاورة التي بسبب ما سمعته من الأخبار عنه قد تهيأت لقبول انجيله عند الكرازة به فيما بعد . ومما نلاحظه هنا أن البشير يذكر بأن سبب التفاف هذه الجموع حوله هو ذيوع خبره في جميع سورية .

(ملاحظة) يجب أن يكون ما نسمعه من الآخرين عن المسيح حافزاً لنا على الاقتراب منه . فإن الأخبار التي نمت إلى ملكة سبأ عن سليمان حفزتها على زيارته . وكل الأخبار التي تصل إلينا ينبعث منها الصوت الينا قائلا « تعال وانظر »

كان يسوع « **يعلم ... و يشفي** » فالذين أتوا للشفاء كانوا يسمعون التعليم عن الأمور التي تتعلق بسلامهم . جميل جداً أن تأتي الشعوب إلى المسيح لأي سبب من الأسباب ، فكل من يأتي اليه لابد أن يجد فيه أكثر مما ينتظر . وإذ أتى اليه أهل سورية هؤلاء للشفاء من أمراضهم آمن

بـه منهـم الـكـثيـرون كما حصل مع نعمان السر يانى ٢ مل ٥ : ١٥ و١٧ . لقد طلبوا شفاء الجسد فنالوا خلاص النفس ، كشاول الذى كان يطلب الأتن فوجد المملكة . على أنه قد ظهر أيضاً أن الكثير ين ممن فرحوا به كطبيب شاف تجاهلوه كمعلم

أما عن آيات الشفاء التى صنعها المسيح فلنتأمل أخيراً عن الناحية المعجز ية فيها ، وعن الرحمة التى تجلت فيها ، وعن السر الكامن وراءها .

(١) الـنـاحـيـة المعجز ية . تمت هذه الآيات بشكل لا يدع مجالا للشك فى أنها صنعت بـقـوة خارقة للطبيعة بل بقوة إلهية . إذاً فقد كانت ختم الله على رسالته . لم تكن الطبيعة بمستطيعة أن تـفعل هذه الآيات بل رب الطبيعة ، فقد كانت عديدة جداً ، وكانت الأمراض مستعصية على مهارة الأطباء ، وكان المرضى غر باء ، مختلفى الأعمار ، ومختلفى الظروف ، وكان الشفاء يتم علناً أمـام شـهـود كـثـيـر يـن وسـط جماعات مكونة من مز يج من أشخاص كان من السهل جداً أن ينكروا حقيقة الواقع لو إستطاعوا أن يجدوا منفذاً صغيراً يدخلون منه . ثم لم يفشل المسيح فى حادثة شفاء واحدة. ولم يـتـطلب الأمر إستدعاءه بعد الشفاء . وكان الشفاء يتم فى الحال وليس تدريجياً كما هو الحال، فى العلاجات الطبيعية . وكان الشفاء تاما غير منقوص ، يتم بمجرد النطق بكلمة . كل هذا دل على أنه قد « أتى من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات إن لم يكن الله مـعـه » يو٣ : ٢ . وقد كان المسيح يلجأ أحيانا لذكر هذه الآيات كشهادة لصدق رسالته مت ١١ : ٤ ، يـو ٥ : ٣٦ . كـان المـنـتظر من المسيا أن يعمل المعجزات يو٧ : ٣١ ، معجزات من هذا الـطـراز اش ٣٥ : ٥ و٦ . ولـذا فـإنـنـا نرى هذا الدليل القاطع على أنه المسيا ، لأن البشر ية لم تر إنـسـانـا فعل مثل هذا . لهذا كان شفاؤه وتعليمه يتمشيان جنبا إلى جنب لأن الأول أيد الأخير. وهكذا نراه هنا قد أبتدأ يفعل و يعلم أع ١ : ١

(٢) الـرحمة الـتـى تجـلـت فـى هـذه الآيات . كان معظم المعجزات التى صنعها موسى لإ ثـبـات صدق رسالته ضر بات وأوجاعا . وقد دل ذلك على ما كان ينطوى عليه العهد القديم من رعـب ومخاوف . أما المعجزات التى صنعها المسيح فقد كان معظمها آيات للشفاء ، وكانت كلها ـــ عـدا لـعنة التينة غير المثمرة ـــ بركة ورحمة ، لأن العهد الجديد مؤسس ومبنى على المحبة والنعمة والـرحمـة ، وسـيـاسته لا تميل إلى الأرهاب بل إلى حثنا على الطاعة . قصد المسيح بآيات الشفاء الـتـى صـنعها أن يربح البشر و يدخل تعليمه فى عقولهم وشخصه فى قلوبهم و بذلك يجذبهم بربط المحبة هو ١١ : ٤ . كانت الناحية المعجز ية فى هذه الآيات دليلا على أن تعاليمه صادقة « صادقة هـى الـكـلـمـة » فأثرت فى عقول البشر ، وكانت ناحية الرحمة فيها دليلا على أنها « مستحقة كل قـبـول » فـأثـرت فـى عـواطـفـهـم ومحبتهم . وهولم يظهر للبشر ية « أعمالا عظيمة » من عند أبيه فـحـسـب بـل أيـضـا « أعـمالا حسنة » (يو ١٠ : ٣٢) . وكان القصد من ناحية الحسن فى هذه

الأعـمال أن تقتادهم الى التوبة (رو ٢ : ٤) وأن تبين لنا أن الشفقة والرحمة وصنع الخير للجميع من كـل قوتنا و بكل ما تسمح به لنا الفرصة إنما هى نواح ضرور ية من تلك الديانة المباركة التى أتى المسيح إلى هذا العالم لكى يؤسسها .

(٣) السر الكـامن وراءها : لقد قصد المسيح بشفاء « الأمراض الجسدية » أن يبين بأن رسالته الأهم فى العالم هى شفاء « الأسقام الروحية » . هو « شمس البر » التى تشرق « والشفاء فى أجنـحتهـا » . وكمجدد للخطاة هو « طبيب الأرواح » وقد علمنا هو بأن ندعوه كذلك (ص ٩ : ١٢ و١٣) . الخطية هى مرض النفس وداؤها وعذابها ، والمسيح أتى ليرفع الخطية و يستأصلها و بذلـك يشفى هذه الأمراض . وأن الحوادث المعينة التى دونت عن آيات الشفاء لا يجوز تطبيقها روحيـا فقط عن طر يق الإشارة أو التمثيل بل إننى أعتقد أن المسيح قصد بها اعلان بعض الحقائق الروحيـة وايضاح الطر يقة التى بها يعالج النفس بتجديدها وتقديسها . وقد دون من هذة الآيات مـا كـان أكـثرها إيضاحاً لهذه الناحية . لهذا يجب تفسيرها واستخدامها لمجد وكرامة ذلك الفادى المجيد الذى يغفر كل آثامنا وبهذا يشفى كل امراضنا .

الأصحاح الخامس

يتضمن هذا الاصحاح والاصحاحان التاليان عظة ، عظة خطيرة ، عظة المسيح على الجبل . هى أطول وأوفى من كل ما دونته لنا كل البشائر الأربع من أحاديث المسيح . هو حديث عملى لا يتضمن إلا القليل أو النادر من العقائد المسيحية الايمانية بل كله حقائق عملية . هذا ما بدأ به المسيح فى تعليمه ، لأنه « إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله » يو ٧ : ١٧

وإذ شرح البشير متى تلك الظروف التى قيلت فيها العظة ع ١ و٢ نراه يدون العظة نفسها التى لا يقصد منها المسيح أن يملأ عقولنا ببعض العقائد النظرية بل أن يرشدنا و يضبطنا فى حياتنا العملية .

(١) إنه يتحدث عن الغبطة والسعادة كغاية الحياة ، وعن صفات الذين يستحقون الغبطة ، الأمر الذى يختلف مع شعور أهل هذا العالم الباطل . وهذا الحديث نراه متضمناً فى ثمان تطو يبات قد ترى لأول وهلة أنها جمعت بين المتناقضات ع ٣ ــ ١٢ .

(٢) ثم يصف لنا طرفاً من واجباتنا ، و يقدم بعض القواعد الأساسية لهذه الواجبات . فنراه يرشد تلاميذه :

١ ــ ليفهموا ماهية أنفسهم ، فهم ملح الأرض ونور العالم ع ١٣ ــ ١٦

٢ ــ ليفهموا ما يجب عليهم عمله . فانهم يجب أن يعيشوا حسب الناموس الأدبى . وهنا نرى :

(أ) تعديلا عاماً للناموس و وصية لنا باتخاذه كقاعدة لنا فى الحياة ع ١٧ ــ ٢٠

(ب) تعديلا خاصاً لاخطاء متنوعة ، أو بالحرى اصلاحا لبعض النجاسات والاخطاء الشنيعة التى أدخلها الكتبة والفريسيون فى تفسيرهم للناموس ، وتفسيراً حقيقياً صافياً لبعض القضايا الفرعية التى كانت تحتاج إلى تفسير وايضاح ع ٢٠ ، وهنا نجد بنوع خاص تفسيراً :

أولا ــ للوصية السادسة التى تنهى عن القتل ع ٢١ ــ ٢٦
ثانيا ــ للوصية السابعة التى تنهى عن الزنى ع ٢٧ ــ ٣٢
ثالثا ــ للوصية الثالثة ع ٣٣ ــ ٣٧
رابعاً ــ لغريزة الاخذ بالثأر أو مقابلة المثل بالمثل ع ٣٨ ــ ٤٢
خامساً ــ لناموس المحبة الاخوية ع ٤٣ ــ ٤٨
وغاية الكل إظهار الناموس بأنه روحى

١ ــ ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل . فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ٢ ــ ففتح فاه وعلمهم قائلا

هنا نرى وصفاً عاماً لهذه العظة .

(١) الواعظ . هو ربنا يسوع المسيح ، أمير الوعاظ ، نبى كنيسته الأعظم ، الذى « جاء إلى العالم » لكى يكون « نور العالم » . ان الأنبياء و يوحنا « عملوا فضلا » فى الكرازة أما المسيح فقد « فاق عليهم جميعاً » أم ٣١ : ٢٩ . هو الحكمة الأزلية ، الابن الوحيد « الذى فى حضن الآب » قبل كل الدهور، الذى يعرف إرادته كامل المعرفة يو ١ : ١٨ . هو الكلمة الأزلى ، الذى فيه « كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة » عب ١ : ١

كانت الغاية من آيات الشفاء الكثيرة التى صنعها يسوع فى الجليل التى نقرأ عنها فى نهاية الأصحاح السابق أن تفسح المجال لهذه العظة وتجعل قلوب الشعب أكثر استعداداً لقبول التعليم من فم ذاك الذى ظهرت فيه تلك القوة الإلهية الفائقة وذلك الصلاح والرحمة . ولعل هذه العظة كانت خلاصة كرازته فى المجامع المختلفة فى الجليل . كان موضوع كرازته التى بدأ بها « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » . وهذه العظة مبنية على الجزء الأول من تلك الآية ، وتبين بأن معنى التوبة هو إصلاح الحياة العملية والرجوع عن آرائنا السابقة فى الحكم على الآخرين . انه هنا يجيب على ذلك السؤال القديم مل ٣ : ٧ (١) و يبين لنا « بماذا نرجع » . و بعد ذلك نراه يكرز عن الجزء الأخير من الآية مبيناً بأمثال مختلفة ماذا يشبه ملكوت السموات ص ١٣

(٢) المكان . كان أحد جبال الجليل . وهنا ــ كما فى كل شيء آخر ــ لم يجد المسيح حاجياته الضرورية . فإنه لم يجد مكانا مناسبا يعظ فيه كما لم يجد مكانا « يسند فيه رأسه » . و بينما كان للكتبة والفريسيين كرسى موسى بكل ما يتبعه من راحة وكرامة ومجد ، ومن هذا الكرسى أفسدوا الناموس ، نرى الرب يسوع المعلم الأعظم للحق يطرد إلى الصحراء ولا يجد منبراً إلا بقدر ما يمكن أن تقدمه الجبال ، بل انه لم يخرج إلى احد الجبال المقدسة ، جبال صهيون ، بل

---

(١) « ارجعوا إلى أرجع اليكم قال رب الجنود . فقلتم بماذا نرجع » .

كان الجبل عاديا ، و بذلك أظهر المسيح انه فى عهد الانجيل يريد أن يصلى جميع البشر و يكرزوا فى كل مكان على شرط أن يكون مناسبا وغير ملوث .

ألقى المسيح هذه العظة ــ التى كانت بمثابة تفسير للناموس ــ « على جبل » **لأن** الناموس أعطى « على جبل » ، ولأن هذه العظة كانت أيضا إعلانا للناموس المسيحى . ولكن لاحظ الفرق . فإنه عندما أعطى الناموس « نزل » الرب على الجبل . أما الآن فنرى أن الرب قد **« صعد إلى الجبل »** . تكلم الرب حينئذاك فى بروق ورعود أما الآن فيتكلم فى صوت هادىء خفيف . فى ذاك الوقت أمر الشعب بالابتعاد من الجبل أما الآن فيؤمرون بالإقتراب . و ياله من تغيير مبارك . فإن كانت نعمة الله وصلاحه هما مجده فإن مجد الانجيل يفوق كل مجد لأن « النعمة والحق بيسوع المسيح صارا » ٢ كو٣ : ٧ ، عب ١٢ : ١٨ الخ

سبق أن تنبىء عن زبولون و يساكر (وهما سبطان من أسباط الجليل) بأنهما « إلى الجبل يدعوان القبائل » تث ٣٣ : ١٩ . فنحن إلى هذا الجبل ندعى لنذبح « ذبائح البر » . والآن نرى هذا الجبل ، « جبل بيت الرب » الذى « تجرى إليه كل الأمم » والذى « يعلمنا فيه من طرقه » اش ٢ : ٢ و٣ ، مى ٤ : ١ و ٢

(٣) المستمعون . كانوا هم **« تلاميذه »** الذين **« تقدموا إليه »** تقدموا إليه بناء على دعوته كما يتضح من مقارنة مر٣ : ١٣ ، لو٦ : ١٣ . لقد وجه إليهم حديثه لأنهم تبعوه عن محبة وعن رغبة فى التعلم ، أما غيرهم فتبعوه لطلب الشفاء . لقد **« علمهم »** لأنهم كانوا يرغبون فى التعلم « يعلم الودعاء طرقه » ، ولأنهم كانوا يرغبون فى فهم تعاليمه التى كانت للآخرين جهالة ، ولأنهم كانوا سيعلمون الآخرين . لهذا كان ضروريا أن يعطوا هم أنفسهم معلومات واضحة صريحة عن هذه الأمور .

ان الواجبات التى تتضمنها هذه العظة يلتزم بها جميع الذين يريدون دخول ملكوت السموات الذى كان التلاميذ سيرسلون لإقامته . ومع أن الحديث كان موجهاً إلى التلاميذ إلا أنه كان على مسمع من « الجموع » لأنه قيل فى ص ٧ : ٢٨ « فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه » . لم تقم الحواجز حول هذا الجبل لإبعاد الشعب عنه كما حصل فى جبل سينا خر ١٩ : ١٢ لأننا بالمسيح لنا قدوم لدى الله ليس لكى نتحدث إليه فقط بل لكى نستمع منه أيضاً . نعم فإنه كان شاخصاً بأبصاره نحو الجموع فى كرازته بهذه العظة . عندما ذاعت شهرته بسبب الآيات التى صنعها واجتمعت إليه الجماهير الكثيرة انتهز فرصة تجمعهم لتعليمهم

(ملاحظة) مما يشجع الخادم الأمين أن يلقى شبكة الانجيل حيث يوجد سمك كثير على رجاء اصطياد بعضها . وان منظر الجموع الكثيرة يثير الحماسة فى نفس الخادم ، وهذه يجب أن

يكون الباعث لها مجرد الرغبة في إفادتهم لا الراغبة في مدح الناس له

(٤) أما خطورة هذه العظة فتتبين من هذه الكلمة « **فلما جلس** » وعظ المسيح مراراً في المناسبة التي كانت تسنح له فجأة ومهد لها بأحاديث تمهيدية . أما هذه فكانت عظة رسمية مقصودة . « فلما جلس » ليستقر في مكان تستمع إليه منه كل الجماهير . « جلس » كقاض أو مشترع . وهذه تدل على مقدار استعداد العقل والرزانة والاناة التي يجب التحدث بها بكلمة الله واستماعها .

« جلس » لكي تتم الكتب مل ٣ : ٣ « فيجلس ممحصاً ومنقياً » ويخرج الزغل وأدناس تعاليم بني لاوى . « جلس على الكرسي قاضيا عادلا » مز ٩ : ٤ أو « ديانا عادلا » لأن الكلمة التي نطق بها سوف تديننا .

اما هذه الكلمة « **فتح فاه** » فليست إلا تعبيراً عبرانياً للكلمة « تكلم » كما نرى في أى ٣ : ١ . على أن البعض يظنون انها تعبر عن خطورة هذا الحديث ، فإنه إذ رأى الجماهير كثيرة رفع صوته أكثر من العادة : لقد تحدث طويلا « في عبيده الأنبياء » وفتح أفواههم حز ٣ : ٢٧ ، ٢٤ : ٢٧ ، ٣٣ : ٢٢ أما الآن فإنه « فتح فاه » وتكلم بحرية « كمن له سلطان » .

قال أحد القديسين قديماً : أن المسيح علم كثيراً دون أن يفتح فه أى بحياته الطاهرة ومثاله ، نعم أنه علم عندما سيق إلى الذبح كشاة « ولم يفتح فاه » ، أما هنا فإنه « فتح فاه وعلم » لكي تتم الكتب أم ٨ : ١ و٢ و٦ « ألعل الحكمة لا تنادى ، والفهم ألا يعطى صوته ، عند رؤوس الشواهق ... وافتتاح شفتى استقامة »

« علمهم » عن الشر الذى يجب أن يبغضوه ، وعن الخير الذى يجب أن يتمسكوا به و يزدادوا فيه . لأن المسيحية ليست مجرد نظريات أو تأملات ، بل المقصود بها تهذيب عقولنا وتقويم أخلاقنا وسيرتنا ، فالعهد الجديد هو « وقت الإصلاح » عب ٩ : ١٠ والانجيل يجب أن يكون واسطة الإصلاح والصلاح . والحق الذى في المسيح هو « الحق الذى حسب التقوى » والصلاح تى ١ : ١

٣ — طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ٤ — طوبى للحزانى لأنهم يتعزون ٥ — طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ٦ — طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون ٧ — طوبى للرحماء

لأنهم يرحمون ٨ ــ طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ٩ ــ طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون ١٠ ــ طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات ١١ ــ طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ١٢ ــ افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات . فانهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم .

بدأ المسيح عظته بالتطوبيات (١) لأنه جاء إلى العالم لكى يباركنا اع ٣ : ٢٦ « كرسول اعترافنا ورئيس كهنته » عب ٣ : ١ وكملكى صادق المبارك ، وكالذى « تتبارك فيه جميع قبائل الأرض » تك ١٢ : ٣ . انه أتى لا لكى يشترى لنا البركات فحسب بل لكى يسكب علينا البركات و ينطق لنا بها . وهنا يفعل ذلك « كمن له سلطان » ، كمن يستطيع أن يأمر بالبركة والحياة الأبدية ، وهذه هى البركة التى طالما وعد بها أتقياءه . ومجرد نطقه لهم بالبركة والسعادة يجعلهم مباركين وسعداء ، لأن الذين يباركهم يباركون حقاً

انتهى العهد القديم « بلعن » مل ٤ : ٦ أما العهد الجديد فيبدأ بالطوبى والبركة ، لأننا لهذا دعينا لكى نرث البركة ١ بط ٣ : ٩

وكل بركة نطق بها المسيح هنا لها قصد مزدوج (١) لكى يبين من هم الذين يطوبون ويحسبون سعداء حقيقيين ، وما هى صفاتهم (٢) أين تتضمن السعادة الحقيقية ، فى المواعيد التى تعطى لأشخاص اتصفوا بصفات معينة ، واتمام هذه المواعيد ينيلهم السعادة .

١ ــ قصد المسيح بهذه التطوبيات اصلاح أخطاء العالم الأعمى ، العالم الجسدى . أن السعادة هى التى يدعى البشر بأنهم يجدون فى إثرها « من يرينا خيراً » مز ٤ : ٦ ولكن الاغلبية يخطئون الغاية و يكونون فكرة خاطئة عن السعادة ، ولذلك فلا غرابة إن ضلوا الطريق لانهم يختارون لانفسهم غواياتهم و يتبعون الاوهام والاباطيل . ان الفكرة العامة هى « طوبى للأغنياء والعظماء والمبجلين فى العالم ، الذين يصرفون أيامهم فى الأفراح وسنيهم فى الملذات ، الذين

---

(١) وترجمتها بالانكليزية « البركات »

يأكلون السمين و يشربون الاطايب ، الذين يقدم إليهم كل شيء بيد رفيعة ، وتجثوا كل حزمة أمام حزمتهم » ، « طوبى للشعب الذى له كهذا » مز ١٤٤ : ١٥ ، الذى يتفق هذا مع أغراضه ومراميه وتدابيره .

والآن نرى ربنا يسوع المسيح يصحح هذا الخطأ الشائع ، و يقدم نظرية جديدة ، و يعطينا فكرة أخرى عن السعادة والسعداء ، وهذه الفكرة وان كانت تبدو فى ظاهرها تحمل المتناقضات فى نظر المغرضين إلا انها فى حد ذاتها وفى نظر المخلصين المستنيرين عقيدة سليمة تحمل حقاً أبدياً وسوف ندان بموجبها قريبا . فإن كانت هذه هى بداية تعاليم المسيح وجب أن تبدأ حياة المسيحى باتخاذ مقياسه عن السعادة من تلك المبادىء التى قررها ، و بتوجيه مجرى حياته بموجبها

٢ ــ وقصد بها ازالة روح اليأس من نفوس الضعفاء والفقراء والمساكين الذين يقبلون الانجيل بأن أكد لهم أن انجيله لم يحصر السعادة فى الذين تفوقوا فى المواهب والنعم ومباهج الحياة والنفع بل أنه حتى « الأصغر فى ملكوت السموات » المستقيم القلب أمام الله سعيد بأمجاد وامتيازات ذلك الملكوت .

٣ ــ وقصد بها دعوة النفوس إلى المسيح وافساح المجال فى القلوب إلى شريعته . قد يذكرنا نطق المسيح بهذه التطويبات لا فى نهاية عظته لصرف الشعب بل فى بدايتها ليعدهم لقبول ما سيكرز لهم به بعدها ــ قد يذكرنا بجبل جرزيم وجبل عيبال اللذين أعلنت منهما بركات الناموس ولعناته (تث ٢٧ : ١٢ الخ) . هنالك أعلنت اللعنات صراحة أما البركات فضمنياً ، أما هنا ــ فى عظة المسيح ــ فقد أعلنت البركات صراحة واللعنات ضمنياً . فى كلا الموقفين نجد « الموت والحياة أمامنا » غير أن الناموس ظهر بأنه خادم للموت لكى يبعدنا عن الخطية أما الانجيل فهو عهد الحياة لكى يقربنا إلى المسيح الذى فيه وحده كل خير وكل صلاح . والذين رأوا آيات الشفاء والنعمة التى صنعتها يداه (مت ٤ : ٢٣ و٢٤) وسمعوا الآن « كلمات النعمة الخارجة من فمه » لم يسعهم إلا أن يعترفوا بأنه كله محبة وحلاوة .

٤ ــ وقصد بها أن يقرر مواد الاتفاقية بين الله والإنسان و يلخصها . إن مدى الإعلانات الإلهية هو أن تبين لنا ماذا ينتظره الله منا وماذا ننتظره نحن منه . ولسنا نجد أى موضع آخر فى الكتاب المقدس وضحت فيه هذه الناحية توضيحاً كاملا فى كلمات قليلة كما وضحت هنا ، ولسنا نجد أيضاً أى موضع آخر توضح فيه كيف ارتبطت وجهتا هاتان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً (أى ماذا ينتظره الله منا وماذا ننتظره نحن منه) . وهذا هو الانجيل المطلوب منا أن نؤمن به . لأن الإيمان ليس إلا السير بحسب هذه الصفات التى تشرحها لنا العظة والاتكال على ما تضمنته من

مواعيد لقد فتح لنا المسيح هنا طريق الغبطة والسعادة وجعلها طريقا سلطانية أو « الطريق المقدسة » (أش ٣٥ : ٨) . هذه الكلمات التى خرجت من فم المسيح تتضمن أننا منه وبه ننال البذار والثمار، النعمة المطلوبة والمجد الموعود . لا شىء يتم بين الله والانسان الساقط إلا على يديه .

كانت لبعض حكماء العالم الوثنى آراء عن السعادة تختلف عن آراء سائر البشر، وكانت جلها ، مستقاة من آراء مخلصنا هذه عن السعادة . فسينكا إذ أراد أن يصف الإنسان السعيد يقرر بأنه هو الانسان الأمين الصالح « الذى لا يعتبر شيئاً صالحاً أو شريراً إلا القلب الصالح أو الشرير، هو الذى لا تؤثر فيه الحوادث مهما اشتدت فلا تنفخه ولا تثبط عزيمته ، الذى تنحصر لذاته فى احتقار كل لذة ، الذى ينظر إلى الفضل بأنه هو وحده الفضيلة ، والشر بأنه هو وحده الرذيلة » .

يقدم لنا مخلصنا هنا ثمان صفات للشخص السعيد ، وهى تمثل لنا الصفات الرئيسية للمسيحى . وكل منها مقترنة ببركة زمنية « طوبى » وموعودة ببركة مستقبلة وضحها السيد بطرق مختلفة تناسب طبيعة النعمة او الواجب الذى يوصينا به .

فإن تساءلنا عن المغبوطين السعداء وجدنا الجواب هنا :

(١) « **المساكين بالروح** » سعداء ع ٣ . هنالك فقر روحى بعيد كل البعد عن منح السعادة للبشر، هذا الفقر خطية وهو شرك لاصطياد النفوس ، هو الجبن والخوف الوضيع والرضوخ والاستسلام للشهوات البشرية . أما هذه « المسكنة الروحية » فهى حالة مباركة للنفس بها تفرغ انفسنا من أنفسنا لكى نمتلىء بيسوع المسيح . ومعنى « المساكين بالروح » هو:

١ ــ ان نقتنع بالفقر، أن نرتضى الحرمان من الثروة العالمية إذا سمح الله بأن يكون هذا هو نصيبنا ، أن لا نتذمر من حالتنا إن كانت حالة وضيعة . فى العالم فقراء كثيرون ولكنهم « منتفخوا الروح » ، فقراء ولكنهم متكبرون ، يتذمرون و يندبون سوء حظهم ، أما نحن فيجب أن نكيف أنفسنا مع حالة الفقر التى نحن فيها « قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه ، أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن استفضل . فى كل شىء وفى جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع » (فى ٤ : ١١ و١٢) .

وإذ نعترف بحكمة الله إن سمح لنا بالفقر يجب أن نبتسم له ، ونحتمل متاعبه بالصبر، ونشكر الله على ما قد أعطانا ، ونتصرف بما بين أيدينا أحسن تصرف .

يجب أن لا نبالى بالثروة العالمية أو نضع عليها قلوبنا ، بل لنتحمل بسرور ما قد يصيبنا

فى رخائنا من خسائر أو فشل .

ليس هذا معناه أننا — فى تفاخر — قد جلبنا الفقر على أنفسنا باتلاف ما قد أعطانا الله . بل معناه أننا إن كنا أغنياء للعالم فيجب أن نكون « مساكين بالروح » أى تعطف على المساكين ونتنازل اليهم لافتقادهم متأثرين لشعورنا بضعفاتهم . يجب أن ننتظر الفقر ونستعد له ، يجب أن لا نخشاه أو نجفل منه ، بل لنرحب به سيما إن جاءنا عن طريق الاحتفاظ بضمير صالح (عب ١٠ : ٣٤) . كان أيوب « مسكيناً بالروح » عندما بارك الله الذى أخذ ، كما باركه عندما أعطى .

٢ — أن نكون متواضعين ووضيعين فى أعين أنفسنا ، « فالمسكين بالروح » هو الذى يفكر فى صغر نفسه ، الذى يصغر فى نظره ما هو عليه من حال ، وما يملك ، وما يفعل . تحدث العهد القديم كثيراً عن « المساكين » وهو يقصد المتواضعين ، والمنكرين لذواتهم ، بعكس الموسرين المتكبرين .

أن نكون كالأولاد الصغار فى نظرنا لأنفسنا ، ضعفاء وجهلاء ومحتقرين (مت ١٨ : ٤ ، ١٩ : ١٤) .

كانت كنيسة اللاودكيين فقيرة روحياً ومع ذلك كانت غنية فى الماديات ، منتفخة الروح ، تظن بأنها قد « استغنت ولا حاجة لها إلى شىء » (رؤ ٣ : ١٧) . أما بولس فكان غنياً فى الروحيات ، ممتازاً ومتفوقاً فى المواهب والنعم ومع ذلك كان « مسكيناً بالروح » ، كان يحسب نفسه « أصغر الرسل » ، « أصغر جميع القديسين » « لا شىء » .

إن ننظر بإحتقار مقدس إلى أنفسنا ، أن نعظم من قيمة الآخرين ونحقر من شأن أنفسنا بالمقارنة بهم . أن نرتضى بأن نكون وضيعين ومحتقرين فى عمل الخير ، أن نكون كل شىء لكل البشر .

أن نعترف بعظمة الله وحقارتنا ، بقداسته هو ونجاستنا نحن ، بأنه هو كل شىء ونحن لا شىء ، أقل من لا شىء ، أشر من لا شىء . أن نتواضع قدامه وتحت يده الرفيعة .

٣ — أن نتخلص من كل ثقة ببرنا وقوتنا لكى نتكل فقط على استحقاق المسيح فى تبريرنا وعلى روح المسيح ونعمته فى تقديسنا . إن « الروح المنكسرة المنسحقة » التى صرخ بها العشار إلى الله طالباً رحمته كخاطىء هى هذه « الروح المسكينة » . يجب أن نعتبر أنفسنا

مساكين لأننا على الدوام مفتقرون إلى نعمة الله ، وعلى الدوام نقرع أبواب مراحمه ، وعلى الدوام نتوسل فى بيته . والآن نلاحظ :

(١) إن هذه المسكنة الروحية توضع فى مقدمة الفضائل المسيحية . لم يعتبر الفلاسفة فضيلة التواضع ضمن فضائلهم الأدبية أما المسيح فيضعها فى المقدمة . فإنكار الذات هو أول ما يجب تعلمه فى مدرسته ، والمسكنة الروحية تؤهل لأول غبطة وسعادة ، إن أساس كل الفضائل الأخرى مركز على فضيلة التواضع . لأن الذين يريدون أن يبنوا بناء عالياً يجب عليهم أن يبدأوا من أسفل . هذه الفضيلة هى أسمى اعداد لدخول نعمة الانجيل فى النفس ، فهى تعد التربة لقبول البذار . إن « المتعبين والثقيلى الأحمال » هم « المساكين بالروح » وسيجدون من المسيح راحة لنفوسهم .

(٢) « والمساكين بالروح » مطوبون « **طوبى** » لهم . هم مطوبون فى هذا العالم . والله ينظر اليهم نظرة عطف واشفاق . هم أبناؤه « الصغار » ولهم ملائكتهم . وهو يعطيهم مز يداً من النعمة . إنهم يعيشون أسعد حياة ، يستريحون مع أنفسهم ومع كل من حولهم لا يصيبهم ضرر « أما المنتفخوا الروح فيعيشون دواماً فى قلق واضطراب .

(٣) « **ولهم ملكوت السموات** » إن ملكوت النعمة يؤلف من أمثالهم ، هم وحدهم الذين يؤهلون لعضوية كنيسة المسيح التى تسمى « قطيع البائسين » (أو المساكين) مز ٧٤ : ١٩ . وملكوت « المجد » مهيأ لهم . إن الذين يتضعون ويخضعون لإرادة الله إن أراد أن يخفضهم لابد أن يرتفعوا . وإن العظماء المنتفخى الروح يبتعدون عن دائرة نعمة الله لانشغالهم بأمجاد « ملكوت الأرض » ، أما المتواضعون ، الودعاء ، المطيعون لإرادة الله وأحكامه فينالون أمجاد « ملكوت السموات »

لا شك فى أن الأغنياء الذين يفعلون الخير بثروتهم يعطى « لهم ملكوت السموات » لأنهم بذلك يدخرون ضماناً للزمان القادم . ولكن ماذا يكون من أمر الفقراء الذين ليس لهم ما يفعلون به الخير؟ لقد وعد الرب بالغبطة والسعادة للفقراء الذين يقنعون بفقرهم كما للأغنياء الذين يخدمون بثروتهم . إن كنت لا أستطيع أن « أنفق » بسرور من أجله ، إن كنت « أفتقر » بسرور من أجله فإنه يكافئنى حتى على هذا أيضاً . ألسنا إذاً نخدم سيداً صالحاً وعادلا ؟

(٢) والحزانى سعداء ع ٤ « **طوبى للحزانى** » . وهذا تطويب غريب آخر . و يليق به أن يلى التطويب السابق . فالمساكين متعودون الحزن ، والمساكين الصالحون يحزنون حزناً صالحاً . نحن أميل إلى الاعتقاد بأنه « طوبى للفرحين » ، أما المسيح الذى كان هو نفسه حزيناً جدا فيقول « طوبى للحزانى » . هنالك حزن خاطىء وهو عدو لكل سعادة ، هو « حزن

العالم » ، حزن اليأس من أجل ناحية روحية ، والحزن الذى لا يقبل العزاء من أجل ناحية زمنية . وهنالك حزن طبيعى قد يتمشى مع السعادة بنعمة الله التى تعمل فيه وتقدس لنا الشدائد التى أنشأت ذلك الحزن . ولكن هنالك حزن مقدس يؤهل للسعادة هو رزانة مألوفة ، موت القلب عن الطرب، هو حزن حقيقى

١ ــ هو حزن الندامة عن خطايانا الشخصية ، هو « حزن مقدس » ، هذا هو « الحزن الذى بحسب مشيئة الله » ٢ كو ٧ : ١٠ ، الحزن من أجل الخطية مع التطلع إلى المسيح زك ١٢ : ١٠ ، إن الذين يحيون حياة التوبة والندامة ، ويحزنون بسبب فساد طبيعتهم ، وتعدياتهم الفعلية الكثيرة ، و بسبب ابتعاد الله عنهم ، والذين بسبب غيرتهم على مجد الله يحزنون أيضاً من أجل خطايا الآخرين « و يئنون و يتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة » حز ٩ : ٤ ، هؤلاءهم الذين يحزنون حسب مشيئة الله

٢ ــ وحزن العطف والاشفاق من أجل بلايا وشدائد الآخرين . هو حزن الباكين « بكاء مع الباكين » ، هو حزن المكتئبين من أجل خراب صهيون صف ٣ : ١٨ ، مز ١٣٧ : ١ ، هو بنوع خاص حزن الذين ينظرون نظرة الإشفاق والرثاء للنفوس الهالكة و يبكون عليها كما بكى المسيح على أورشليم

(١) هؤلاء الحزانى المقدسون يطوبون ، وكما أنه « فى الضحك (الباطل الخاطىء) يكتئب القلب » أم ١٤ : ١٣ كذلك فى الحزن المقدس يفرح القلب فرحاً عميقا داخليا « لا يشاركه فيه غريب » أم ١٤ : ١٠ ، « طوبى لهم » لأنهم يشبهون الرب يسوع المسيح الذى كان « رجل أحزان » والذى لم نقرأ عنه أنه ضحك مرة بل طالما قرأنا أنه بكى . إنهم قد تسلحوا ضد التجارب الكثيرة التى تقترن بها الأفراح الباطلة ، وتهيأوا لقبول الغفران المؤكد والسلام التام .

(٢) ثم إنهم « **يتعزون** » ورغم أنهم قد لا يجدون التعزية سريعاً إلا أن تعزية وافرة مذخرة لهم ، نور زرع لهم مز ٩٧ : ١١، وفى السماء لا شك فى أنهم « سيتعزون » كلعازر لو ١٦ : ٢٥

(ملاحظة) إن سعادة السماء تقوم فى التعزية الكاملة ، التعزية الأبدية ، فى مسح كل دمعة من عيوننا . هى فرح الرب ، هى « شبع وسرور إلى الأبد » مز ٢٦ : ١١ . وهذه السعادة ستتضاعف حلاوتها لدى أولئك الذين قد استعدوا لها بهذا « الحزن المقدس » . وستكون السماء سماء حقيقية لأولئك الذين يذهبون اليها باكين ، ستكون موضع حصاد الفرح ، موضع الحصاد بابتهاج للذين « يزرعون بالدموع » مز ١٢٦ : ٥ و٦ و هى جبل من الأفراح ، ولكى نسير اليه ينبغى لنا أن نجوز فى وادى الدموع . أنظر أش ٦٦ : ١٠ .

(٣) والودعاء سعداء ع ٥ « **طوبى للودعاء** » . والودعاء هم الذين يستسلمون ويخضعون ذواتهم لله ، لكلمته ، لقضيبه ، الذين يتبعون إرشاداته و يتممون مقاصده ، مظهرين كل وداعة لجميع الناس تى ٣ : ٢ ، الذين يستطيعون احتمال الإهانات والإغاظات دون أن يتهيجوا ، بل بالحرى يصمتون أو يجيبون جوابا لينا هادئاً ، الذين يستطيعون أن يظهروا استياءهم إن وجدت الفرصة لذلك دون الخروج عن حدود الأدب والاحتشام ، الذين يستطيعون أن يكونوا باردين هادئين عندما يكون الآخرون حارين وثائرين ، والذين يستطيعون فى صبرهم أن يكبحوا جماح أنفسهم فى الوقت الذى يستدعى غليانهم وهيجانهم وثورتهم . الودعاء هم الذين يندر أن أن يتهيجوا أو يصعب جدال إثارتهم ، بل بالحرى يسهل جداً تهدئتهم وسرعان ما يسكن غضبهم ، هم الذين يفضلون أن يصفحوا عن عشرين إساءة من أن ينتقموا لإساءة واحدة لأنهم مالكون لأرواحهم .

هؤلاء الودعاء يوصفون هنا بأنهم سعداء حتى فى هذا العالم

١ ــ إنهم « مطوبون » ومباركون لأنهم يشبهون يسوع المبارك سيا فيا يجب أن يتعلموه منه مت ١١ : ٢٩ « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب » و يشبهون الله المبارك نفسه الذى يستطيع أن يرد غضبه ، والذى لا يمكن أن يثور أو يحتد . إنهم مطوبون وسعداء لأنهم ينعمون بأعظم قسط من السعادة والسلام مع أنفسهم وأصدقائهم وإلههم ، إنهم يليقون لكل علاقة ، وكل حالة ، وكل صداقة وعشرة ، مستعدون للحياة ومستعدون للموت .

٢ ــ وفوق ذلك فإنهم « **يرثون الأرض** » وهذه مقتبسة من مز ٣٧ : ١١ ولعل هذا هو الوعد الوحيد الصريح بالخيرات الزمنية فى العهد الجديد . وليس هذا معناه أنهم دواما ينالون أكبر قسط من خيرات الأرض أو أنهم يقتصرون على هذا كنصيبهم الوحيد ، بل إن هذا الفرع من التقوى له بنوع خاص « موعد الحياة الحاضرة » إن الوداعة مهما احتقرت وأسيء اليها من الآخرين تؤدى بنا إلى تحسن صحتنا وثروتنا وتعزيتنا وأمننا حتى فى هذا العالم . والمشاهد ان الودعاء يعيشون الحياة الهادئة الناعمة البال بالنسبة إلى الثائرين الهائجين المشاغبين .

او « يرثون أرض » كنعان التى هى رمز السماء . وهكذا تصبح كل بركات السماء من فوق وكل خيرات الأرض من نصيب الودعاء .

(٤) « **والجياع والعطاش من أجل البر** » سعداء ع ٦ . يظن البعض أن هذا مظهر آخر للفقر المادى ، وأن هذه حالة سيئة للفاقة والعوز فى هذا العالم ، لا تعرض البشر للضرر والإساءة فقط بل تيئسهم من طلب إنصافهم . إنهم « يجوعون و يتعطشون » لطلب العدل والإنصاف ولكن هيهات ان تقضى طلبتهم بسبب ظلم وتعسف وقوة ظالميهم ومضطهديهم . إنهم

يتوقون فقط إلى ما هوعدل وحق ولكنهم لا يجدونه بسبب أولئك الذين لا يخافون الله ولا يهابون الإنسان . هذه حالة تعسة . ولكن « طوبى لهم » إن كانوا يحتملون هذه المتاعب بضمير صالح وإرضاء لضميرهم الصالح . ليرجوا الله الذى يجرى العدل والحق و ينصف جميع المظلومين من أيدى الظالمين مز ١٠٣ : ٦ . إن الذين يحتملون المظالم بصبر، و يلتجئون لله بهدوء وسكون ليدافع عن قضيتهم ، سوف يشبعون فى الوقت المناسب ، يشبعون جداً ، بحكمة الله ولطفه ومحبته التى سوف تتبين عند ظهوره لهم .

ولكن لا شك فى أن هذه العبارة يجب تفسيرها روحياً لتعبر عن الرغبة المباركة التى إذ تهدف إلى البر فإنها هى عمل نعمة الله فى النفس وهى تؤهل النفس لمواهب المحبة الإلهية .

١ ــ و « البر» هنا يمثل كل البركات الروحية . أنظر مز ٢٤ : ٥ ، مت ٦ : ٣٣ وهذه البركات قد اشتريت لنا « ببر المسيح » ، ونقلت الينا وضمنت لنا بانتسابنا لهذ البر، وتأيدت بأمانة الله . والبر هو أن « يصير لنا المسيح من الله براً » ١ كو ١ : ٣ . وأن « نصير نحن بر الله فيه » ٢ كو ٥ : ٢١ ، وأن نلبس « الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر» أف ٤ : ٢٤ لكى نصير خليقة جديدة ونحمل صورة الله . وأن نمسك بالمسيح وبمواعيده .

٢ ــ وهذه البركات هى التى يجب أن نجوع ونتعطش من أجلها . يجب أن نرغب فيها رغبة حقيقية صادقة كما يرغب الجائع والعطشان فى الطعام والشراب ولا يشبعه سوى الطعام والشراب ومتى توفرا لديه شعر بسد حاجته ولو كان ينقصه الكثير من الاشياء الأخرى . يجب أن تكون رغبتنا للبركات الروحية رغبة جديدة أكيدة ملحة ، « هب لى هذه والإ أموت ، فكل شيء عداها نفاية ، لا يغنى ولا يشبع من جوع ، إعطنى هذه ففيها كل الكفاية ، ولولم يكن لى سواها » .

الجوع والعطش غريزتان تتكرران كل يوم وتتطلبان الطعام والشراب دواماً . وهكذا الحال أيضاً مع هاتين الرغبتين المقدستين فإنهما لا تقنعان بما تحصلان عليه ولكنهما تتقدمان كل يوم بطلب غفران جديد والمزيد من النعم الجديدة يومياً . والنفس الحية تطلب دواما المزيد من طعام البر. تطلب نعمة جديدة لتؤدى عمل كل يوم فى يومه كما يتطلب الجسد الحى كل يوم طعاماً جديداً .

« والجياع والعطاش » لا بد لهم من التعب للحصول على القوت الضرورى . هكذا ينبغى علينا أن لا نكتفى بمجرد الرغبة فى البركات الروحية بل لنجد ولنكد فى الحصول عليها باستخدام الوسائل المرسومة .

ويميز بعضهم بين « الجوع والعطش » قائلين إن « الجوع » هو الرغبة فى الطعام لحفظ الحياة وهذا هو البر اللازم للتقديس . وأن « العطش » هو الرغبة فى الشراب لإنعاش الحياة وهذا هو البر اللازم للتبرير والإحساس بالغفران .

إن « الجياع والعطاش » هكذا من أجل البركات الروحية « **يطوبون** » فى هذه الرغبات « و **يشبعون** » بهذه البركات .

(١) إنهم « يطوبون » فى هذه الرغبات . ومع أن الرغبات فى النعمة ليست كلها نعمة (لأن هنالك رغبات تظاهرية وهنالك رغبات فاترة) إلا أن رغبة كهذه هى نعمة لأنها دليل على وجود شيء صالح وعربون لوجود شيء أفضل . هذه الرغبة هى من صنع الله ، والله لا يمكن أن يترك صنعة يديه . إن النفس لا بد أن تجوع وتتعطش لأمر من الأمور، لذلك فطوبى للذين يتعطشون للغاية القويمة لأنها هى التى تشبع ولا تضلل أو تخدع ، طوبى للذين لا يتعطشون للسراب الخادع الذين لا « يتهممون (١) تراب الأرض » (عا ٢ : ٧ ، أش ٥٥ : ٢) .

(٢) و « يشبعون » بهذه البركات . سيمنحهم الله رغبتهم لدرجة الشبع الكامل . إن الله وحده هو الذى يستطيع أن يشبع النفس . ونعمة الله ومحبته تتناسبان مع حاجات النفس ورغباتها القويمة . والذين يشعرون بفراغهم و يلتجئون إلى ملئه لابد أن يشبعهم « نعمة فوق نعمة » . إنه « يشبع الجياع » لو ١ : ٤٣ بل يملأهم لدرجة التشبع أر ٣١ : ٢٥ « لأنى أرويت (١) النفس المعيية » . إن سعادة السماء ستشبع النفس يقيناً ، إذ سيكون برها كاملا ، لأن محبة الله كاملة .

(٥) و « **الرحماء** » سعداء ع ٧ . وهذه أيضاً ـــ كسائر التطويبات ـــ قد يبدو فيها بعض التناقض ، « الرحماء » لا ينظر إليهم كأنهم أحكم البشر ، ولا ينتظر أن يكونوا أكثرهم ثروة . ومع ذلك يعلن المسيح بأنهم سعداء . « والرحماء » هم الذين بدافع التقوى والمحبة يميلون إلى العطف على البؤساء ومساعدتهم واغاثتهم . قد يكون الإنسان « رحيما » حقاً وهو لا يملك ما يجود به فيتقبل منه الله رحمة قلبه . ليس مطلوباً منا فقط أن نحمل متاعبنا بصبر بل أن نشارك إخوتنا فى متاعبهم بدافع العطف المسيحى . يجب أن نظهر الشفقة (أى ٦ : ١٤) ، ونلبس « أحشاء رأفات » كو ٣ : ١٢ ، وإذ نلبسها يجب أن نتقدم لمساعدة كل من كان فى حالة البؤس والشقاء .

---

(١) أو « يشتاقون إلى » . « هم » بالشيء اراده

(١) وفى الترجمة الانجليزية « أرويت لدرجة التشبع »

يجب أن نرثى لنفوس الآخرين ونعينهم ، نشفق على الجهلاء ونعلمهم . نعطف على المتراخين المتهاونين وننذرهم . نرثى للخطاة « وننتشلهم من النار » زك ٣ : ٢ .

يجب أن نعطف على الحزانى ونعزيهم أى ١٦ : ٥ ، على الذين تحت سلطاننا ولا نكون قساة عليهم ، على المحتاجين ونقدم لهم حاجاتهم ، وإن غفلنا عن هذه النواحى فنحن نغلق أحشاءنا عنهم مهما ادعينا التقوى يع ٢ : ١٥ و١٦ ، ١ يو٣ : ١٧ . « انفق نفسك للجائع واشبع النفس الذليلة ... اكسر للجائع خبزك » أش ٥٨ : ١٠ و٧ . نعم فإن « الصديق يراعى (يشفق على) نفس بهيمته » أم ١٢ : ١٠ .

أما عن الرحماء فإنهم :

١ ــ **يطوبون** . هكذا قيل فى العهد القديم « طوبى للذى ينظر إلى المسكين » مز ٤١ : ١ . إنهم هنا يشبهون الله الذى مجده فى صلاحه . وعندما نكون رحماء كما أنه هو رحيم نصير ــ فى حدودنا ــ كاملين كما أنه هو كامل . والرحمة علامة المحبة لله . عندما نجد أننا قد اصبحنا آلان فى يد الله لخير الآخرين نجد شبعاً لنفوسنا . من أقدس وأنقى الملذات فى هذا العالم عمل الخير للآخرين . فى هذه الكلمة « طوبى للرحماء » يتضمن قول المسيح الذى لا تجده فى الأناجيل إلا ضمنيا فى هذه العبارة وهو « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » أع ٢٠ : ٣٥ .

٢ ــ « **يرحمون** » من البشر عندما يحتاجون للرحمة . « المروى هو أيضا يروى » أم ١١ : ٢٥ . نحن لا ندرى متى نكون فى حاجة إلى الرحمة والشفقة لذلك يجب أن نكون رحماء . على أنهم بنوع خاص « يرحمون » من الله لأنه « مع الرحيم يكون رحيما » مز ١٨ : ٢٥ . إن اكثر الناس رحمة ومحبة لا يستطيع أن يطالب الله بأى استحقاق ولكنه لابد ملتجىء إلى رحمته . ينال الرحماء من الله رحمة غافرة مت ٦ : ١٤ ، رحمة مغيثة أم ١٩ : ١٧ ، رحمة حافظة مز ٤١ : ٢ ، رحمة فى ذلك اليوم ٢ تى ١ : ١٨ ، بل يرثون الملكوت المعد لهم مت ٢٥ : ٣٤ و ٣٥ ، بينما أن « الحكم (أو الدينونة وهو ليس إلا نار جهنم) هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة » يع ٢ : ١٣ .

(٦) و « أنقياء القلب » سعداء ع ٨ « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » . وهنا نرى أبرز التطويبات وأوسعها مدى . هنا نرى القداسة والسعادة فى وصفها الكامل ، ومقترنين معاً .

١ ــ هنا نرى صفات المطوبين فى أجلى وضوح ، هم « أنقياء القلب » .

(ملاحظة) تقوم الديانة الحقيقية على أساس نقاوة القلب . والذين قد تطهرت حياتهم

الداخلية يظهرون بان تديهم نقى وغير ملوث . فالمسيحية الحقيقية مؤسسة فى القلب ، فى نقاوة القلب ، غسل القلب من الشر أر ٤ : ١٤ . يجب أن لا نرفع لله أياد طاهرة فقط بل قلباً نقياً أيضاً مز ٢٤ : ٤ و٥ ، ١ تى ١ : ٥ .

يجب أن يكون القلب « نقيا » أى غير ممتزج به شيء آخر كالخمر الممزوجة ، فالقلب الأمين تكون كل مقاصدة صالحة . ويجب أن يكون « نقيا » أى غير مدنس أو ملوث كالماء الملوث . والقلب يجب أن « يتنقى » من الشهوات الجسدية والأفكار الردية والأميال الدنية ، ومن كل الشهوات العالمية كالطمع الذى يسمى الربح القبيح ومن كل دنس الجسد والروح ، كل ما يخرج من القلب و يدنس الإنسان .

والقلب يجب أن « يتنقى بالإيمان » ليكون كاملا لله ، يجب أن يحضر و يقدم عذراء عفيفة للمسيح . قلبا نقيا كهذا أخلق في ياالله مز ٥١ : ١٠ .

٢ ــ وهنا نرى تعز يات المطوبين فى أوسع مدى . إنهم « يعاينون الله » .

ملاحظتان :

(١) إن « رؤ ية الله » هى كمال سعادة النفس ، ورؤ يته بالإيمان ونحن فى الجسد هى السماء على الأرض ، ورؤ يته بالعيان بعد الانتقال من الجسد هى سماء السماء. إن سعادة السماء هى أن نراه « كما هو» وجهاً لوجه وليس فى لغز كما فى مرآة ، أن نراه إلهاً لنا ، أن نراه ونفرح به ، أن نراه ونتمثل به ونمتلىء من شبهه مز ١٧ : ٥ ، أن نراه إلى الأبد ولا نغض الطرف عنه أبداً .

(٢) إن سعادة رؤ ية الله قد وعد بها « لأنقياء القلب » فقط . لا يستطيع أحد رؤ ية الله إلا أنقياء القلب . كما أن الدنسين لا يتلذذون برؤ يته ، لأنه أية لذة تجدها النفس الدنسة فى رؤ ية الله القدوس ، وكما أن الله لا يحتمل رؤ ية إثمهم ، هكذا لا يحتملون هم رؤ ية قداسته . وكذلك لا يمكن أن يدخل أورشليم الجديدة شيء دنس . بل جميع« انقياء القلب » ، جميع الذين تقدسوا بالحق ، لهم فى داخلهم رغبات لا يشبعها إلا رؤ ية الله ، والنعمة الإلهية لا يمكن أن تترك هذه الرغبات دون اشباعها .

(٧) « **وصانعوا السلام** » سعداء ع ٩ . « الحكمة التى من فوق هى أولا طاهرة (نقية) ثم مسالمة » يع ٣ : ١٧ . السعداء أنقياء أمام الله ومسالمون للناس ، لأن الضمير فى كلتا الحالين يجب أن يكون بلا عثرة . « وصانعو السلام » هم :

١ ـــ ذو الميول المسالمة . وكما أن الكذوب منجذب بكليته نحو الكذب كذلك يكون قلب المسالم متشبعا بمحبة السلام . « أنا سلام » مز ١٢٠ : ٧ . « فصنع السلام » هو محبة السلام والميل نحوه والتلذذ فى إتمامه ، والوجود فيه ، والتمرن على السكينة والهدوء .

٢ ـــ ذوو السلوك المسالم ، يجب علينا بذل قصارى جهدنا بأن نحفظ السلام من أن يكسر ، أو بأن نجبره إذا كسر ، أن نصغى لكل ما يعرض علينا من مقترحات السلام وأن نكون مستعدين لتوصيلها للآخرين ، أن نسعى جهد طاقتنا للتقريب بين الأخوة كلما وجدت الفرقة بينهم وبذلك نكون مرممى الثغرات . قد يكون « صنع السلام » أحياناً خدمة غير مشكورة لأنه كثيراً ما يكون نصيب من يفض المنازعات أن يتلقى اللطمات من الجانبين المتخاصمين ، ولكنه على أى حال خدمة محمودة يجب أن لا نتغاضى عنها .

يظن البعض أن المقصود بهذا الواجب هم خدام الله الذين يجب أن يبذلوا كل ما فى وسعهم لإصلاح المتخاصمين وأن يتموا روح المحبة المسيحية بين رعيتهم .

(١) هؤلاء يطوبون « طوبى لصانعى السلام » لأنهم قد حصلوا على لذة إرضاء ضمائرهم وذلك بالاحتفاظ بالسلام لأنفسهم ، ثم حصلوا على لذة خدمة الآخرين وذلك بصنع السلام بينهم . إنهم يتعاونون مع المسيح الذى جاء الى العالم « ليقتل كل عداوة » و ينادى بالسلام على الأرض .

(٢) و « **أبناء الله يدعون** » . فصنع السلام علامة لأنفسهم على أنهم « أبناء الله » والله يعترف بهم بأنهم « أبناؤه » وهم فى هذه الناحية يشبهونه . الله نفسه هو إله السلام ، وابن الله هو رئيس السلام ، وروح التبنى هو روح السلام . وحيث ان الله قد صرح باستعداده للاصطلاح معنا أجمعين فإنه لا يمكن أن يعترف ببنوية أولئك الذين تمتلىء قلوبهم حقداً وعداوة للآخرين ، لأنه إن كان صانعو السلام يطوبون فويل لناقضى السلام .

من ذلك يتضح أن المسيح لم يقصد بتاتاً نشر ديانته بالسيف والنار أو القوانين التأديبية ، ولم يقصد أن يتجه تلاميذه نحو روح التعصب الممقوت أو الغيرة المحتدة الخانقة . يميل أبناء العالم أن يصطادوا فى الماء العكر أما أبناء الله فإنهم « صانعوا السلام » وهم « الهادئون فى الأرض » مز ٣٥ : ٢٠ .

(٨) و « **المطرودون من أجل البر** » سعداء ، هذه قد يتبين فيها التناقض أكثر من البقية . وفيها تنفرد المسيحية . ولذلك أرجئت لآخر التطويبات وازدادت تأكيداً وشرحاً ع ١٠ ـــ ١٢ . كرر هذا التطويب مرتين ، لأنه كحلم فرعون ، يصعب تصديقه ، غير أن « الأمر تقرر » تك

٤١ : ٣٢ . وفى الجزء الأخير يغير المسيح صيغة الكلام إذ يوجهه بصيغة المخاطب « طوبى لكم » يا تلاميذى وأتباعى ، هذا هو الأمر الذى يهمكم أنتم مباشرة أكثر من سواكم ، أنتم الذين قد تفاضلتم فى النعمة ، لأنكم يجب أن تتوقعوا الصعوبات والمتاعب أكثر من سواكم . لاحظ هنا :

١ — وصف حالة القديسين المضطهدين ، وهى حالة أليمة ، تدعو إلى الشفقة والرثاء :

(١) فهم « يُطردون » ، يطاردون ، يتابعون ، كالوحوش الضارية التى تطارد لافتراسها ، كأن المسيحى « يحمل رأس ذئب » كما يقول المثل اللاتينى عن طريد العدالة الذى يحق لكل من يلتقى به أن يقتله ، إنهم ينبذون « كوسخ كل شىء » ١ كو ٤ : ١٢ ، توقع عليهم الغرامات ، يسجنون ، يبعدون عن كل المراكز الهامة والرئيسية ، يجلدون يعذبون ، يسلمون الى الموت دواماً ، ويحسبون مثل غنم للذبح . كان هذا نتيجة عداوة نسل الحية ضد النسل المقدس منذ وقت هابيل البار. كان هذا هو الحال ايام العهد القديم كما يتبين مما ورد فى عب ١١ : ٣٥ إلخ . والمسيح أخبرنا أن حالة الضيق والاضطهاد ستكون أكثر قسوة مع الكنيسة المسيحية وحذرنا من أن نستغربها ١ يو ٣ : ١٣ لقد ترك هو لنا مثالا فى هذه الناحية .

(٢) « و يعيرون وتقال عليهم كل كلمة شريرة كذباً » : تلصق بهم أسماء تهكمية ، أسماء التعيير ، تلصق بأشخاص معينين ، تلصق بالجيل البار بوجه عام ، لتظهرهم بمظهر كريه . قد يكون القصد من ذلك أحيانا تحقيرهم فتوطأ كرامتهم بالأقدام ، وقد يكون القصد أحيانا أخرى لإظهارهم بمظهر الأشخاص الخطرين فيهجم عليهم بقسوة وعنف ، و يتهمون بما لا يعلمون مز ٣٥ : ١١ ، أر ٢٠ : ١٨ ، أع ١٧ : ٦ و٧ .

والذين لم يكن فى أيديهم السلطان ليوقعوا بهم أى أذى آخر استطاعوا مع ذلك أن يفعلوا هذا ، والذين كان فى أيديهم السلطان لطردهم وجدوا من الضرورى أن يفعلوا هذا أيضا ليبرروا أنفسهم فى معاملتهم بالقسوة والوحشية . لم يكن ممكنا أن يضطدوهم مالم يحقروا من شأنهم أولا ، لم يكن ممكنا أن يسيئوا معاملتهم أسوأ اساءة ما لم يشهروا بهم أولا أسوأ تشهير. أنهم سيعيرونكم و يطردونكم .

(ملاحظة) أن تعيير القديسين هو بمثابة طردهم واضطادهم ، وسوف يتبين هذا عندما يحاسب الأشرار عن « جميع الكلمات الصعبة » التى تكلموا بها على القديسين يه ١٥ ، وعن « الهزء » الشديد الذى هزأوا به عليهم عب ١١ : ٣٦ .

وسيقولون عليهم « كل كلمة شريرة كاذبين » أحياناً أمام « مجلس القضاء » كشهود ،

وأحيانا فى « مجلس المستهزئين » بين الفجار المجان مز ٣٥ : ١٦ . و بذلك يصبحون « أغنيات شرابى المسكر» مز ٦٩ : ١٢ أحياناً فى وجوههم كما سب شبع بن بكرى داود ، وأحياناً من وراء ظهورهم كما فعل أعداء أرميا

(ملاحظة) لا يوجد هنالك أى شر شنيع لهم يتهم بهم باطلا يوما من الأيام تلاميذ المسيح وأتباعه

(٣) وكل هذا « **من أجل البر** » ع ١٠ و« **من أجلى** » ع ١١ . ان كان « من أجل البر» فإنه « من أجل المسيح » لأن أعمال البر منحصرة فيه ، وأعداء البر أعداء المسيح . وهذا يخرج من دائرة السعادة أولئك الذين يتألمون « بعدل » وتقال عليهم كل كلمة شر يرة « بحق » من أجل شرورهم وجرائمهم ، فليخجل أمثال هؤلا وليخزوا لأن هذا التعبير وتلك الآلام هى جزء من قصاصهم ، والآلام نفسها لا تصنع الأكاليل للشهداء بل سبب الآلام . ان الذين يتألمون « من أجل البر» هم الذين يتألمون لأنهم لا ير يدون أن يخطئوا ضد ضميرهم ، وهم الذين يتألمون من أجل عمل الخير. ومهما ادعى المضطهدون لتبر ير تعذيبهم لأولاد الله فإنهم إنما يقاومون قوة التقوى ، وهم إنما يقاومون و يبغضون و يضطهدون المسيح و بره . من أجلكم احتملت العار، أو « تعييرات معير يك وقعت على » مز ٦٩ : ٩ ، رو ٨ : ٣٦

٢ ــ وصف تعز ية القديسين فى آلامهم .

(١) انهم « يطو بون » ، لأنهم الآن فى حياة الجسد ينالون « البلايا » لو ١٦ : ٢٥ ، و ينالونها من أجل غايات نبيلة . انهم يطو بون لأن هذا شرف و كرامة لهم أع ٥ : ٤١ ، وفرصة لتمجيد المسيح ، وعمل الخير، وفرصة لاختبار تعز يات خاصة ونعمة خاصة وعلامات خاصة لحضوره الإلهى ٢ كو ١ : ٥ ، دا ٣ : ٢٥ ، رو ٨ : ٢٩

(٢) و يعوضون عن آلامهم « **لأن لهم ملكوت السموات** » ، لهم الآن ضمان أكيد بامتلاكه ، و يتلذذون بحلاوته مقدما ، وسيمتلكونه عن قر يب . ومع أنه لا يوجد فى تلك الآلام ما يؤهل لأى أجر من الله (لأن خطايا أفضل الناس تستحق قصاصا أشد) إلا أن الوعد هنا أعطى كأجر « **لأن أجركم عظيم فى السموات** » ع ١٢ ، عظيم يفوق الخدمة التى قدمت . انه « فى السموات » ، فى المستقبل ، لا تراه العين . ولكنه مصون جداً ، بعيد عن مؤثرات الصدفة أو الخيانة أو العنف .

(ملاحظة) ان الله يضمن لأولاده بأن كل من يخسر شيئا من أجله ولو خسر الحياة نفسها ، لا يخسر شيئا بسببه فى النهاية . وستكون السماء فى النهاية تعو يضا جز يلا عن كل ما

نلتقى به فى طريقنا من متاعب . هذا ما كان يهون على القديسين فى كل الأجيال — « السرور الموضوع امامهم » عب ١٢ : ٢

(٣) « **لأنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم** » ع ١٢ . أنهم كانوا « قبلكم » أى يفوقونكم سمواً ، يفوقون ما وصلتم إليه . وكانوا « قبلكم » فى الزمن ، تقدموكم ليكونوا أمثلة لكم « لاحتمال المشقات » ثم « للأناة » والصبر يع ٥ : ١٠

لقد اضطهد أولئك الأنبياء وطردوا وأسيء إليهم مثلكم ، وهل تنتظرون دخول السماء عن طريق آخر وحدكم ؟ ألم يهزأ بأشعيا من أجل تعاليمه أ ش ٢٨ : ١٠ — ١٤ ؟ وبأليشع لأنه كان أقرع ؟ ألم يعامل كل الأنبياء نفس هذه المعاملة ؟ لذلك فلا تتعجبوا لهذا الأمر كأنه غريب ، ولا تتذمروا كأنه قاس ، انها لتعزية أن تروا طريق الآلام طريقا مطروقا ، وانه لشرف أن تقتفوا آثار قادة كهؤلاء . وتلك النعمة التى كانت كافية بأن تحملهم فى طريق آلامهم « تكفيك نعمتى » سوف تمنح لكم أيضا . وهؤلاء الذين يناصبونكم العداء هم نسل وذرية أولئك الذين هزأوا بأنبياء الرب ٢ أى ٣٦ : ١٦ ، مت ٢٣ : ٣١ ، اع ٧ : ٥٢

(٤) إذاً « **فافرحوا وتهللوا** » ع ١٢ لا يكفى أن تكونوا صابرين وراضين بهذه الآلام كأنها مصائب عامة ، ولا يكفى أن لا تجازوا عن شتيمة بشتيمة ، بل يجب أن تفرحوا لأن شرف الآلام من أجل المسيح ومجدها ، لذتها وبركاتها ، أعظم بكثير جداً من مرارتها وخزيها . وليس المطلوب أن نتكبر وسط هذه الآلام ، فهذا يتلف كل شيء ، بل أن نسر بها كبولس ٢ كو١٢ : ١٠ عالمين أن المسيح سوف يكون معنا فى هذه الآلام قبل أن تحل بنا ولن يتباطأ فى أن يكون معنا ١ بط ٤ : ١٢ و١٣

١٣ — أنتم ملح الأرض . ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح . لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس ١٤ — أنتم نور العالم . لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ١٥ — ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين فى البيت ١٦ — فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات

كان المسيح قد اختار تلاميذه منذ فترة وجيزة ، وأخبرهم بأنهم سيكونون « صيادين

للناس » ، وهنا يخبرهم بعد ذلك ماذا قصدهم أن يكونوا : « **ملح الأرض** » و « **نور العالم** » لكي يحققوا فعلا الغرض من دعوتهم .

(١) « أنتم ملح الأرض » . أن ما يشجعهم و يعينهم فى آلامهم انهم ولو عوملوا باحتقار وازدراء إلا أنهم يجب أن يكونوا فعلا بركة للعالم ، بل انهم كلما ازدادت آلامهم ازدادوا بركة للعالم . كان الأنبياء الذين قبلهم ملحاً لأرض كنعان ، أما الرسل فإنهم « ملح الأرض » كلها ، لأنهم يجب أن « يذهبوا إلى العالم أجمع و يكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » مر١٦ : ١٥ . كان من مثبطات عزائمهم انهم قليلوا العدد وضعفاء . لأنهم ماذا يستطيعون عمله فى ميدان فسيح الأرجاء كهذا « كل الأرض » ؟ لو انهم اعتمدوا على قوة السلاح والسيف لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً ، ولكن لأنهم عملوا بصمت وسكون كالملح فإن حفنة من ذلك الملح كانت تكفى لاذاعة طعمها فى دائرة فسيحة ، وقد استطاعوا أن يوسعوا دائرة نفوذهم و يعملوا دون أن يشعر أحد بعملهم ودون أن يستطيع أحد الوقوف فى سبيلهم كالخميرة ص ١٣ : ٣٣ .

ان تعليم الانجيل « كالملح » : نافذ ، سريع ، حى ، قوى (عب ٤ : ١٢) ، و يصل إلى القلب أع ٢ : ٣٧ وهو مطهر ، منعش ، ويحفظ من التعفن والفساد . نقرأ عن « رائحة (أو طعم) معرفة المسيح » (٢ كو ٢ : ١٤) لأن كل تعليم آخر لا طعم له بدون ذلك . يدعى العهد الدائم الثابت « ميثاق ملح » (عب ١٨ : ١٩) ، والانجيل هو انجيل دائم أبدى . كان الملح ضرور يا فى كل الذبائح (لا ٢ : ١٣) وفى هيكل حزقيال الرمزى حز٤٣ : ٢٤ . والآن وقد تلقن تلاميذ المسيح أنفسهم تعليم الانجيل واستخدموا لتعليمه للآخرين فكانوا كالملح

(ملاحظة) إن المسيحيين بوجه عام والخدام بنوع خاص هم ملح الأرض

١ ـــ ان عاشوا كما يجب أن يكونوا صاروا كالملح الجيد ، فإنه أبيض وصغير ومجروش فى حبات صغيرة عديدة ولكنه نافع وضرورى جداً . قال أحدهم « بدون الملح لا يمكن أن تقوم الحياة البشرية » . لاحظ هنا :

(١) ماذا يجب أن يكونوا فى أنفسهم : حياتهم مصلحة بالانجيل ، بملح النعمة . يجب أن تكون الأفكار والعواطف ، الأقوال والأفعال ، كلها مصلحة بالنعمة كو٤ : ٦ . « ليكن لكم فى أنفسكم ملح » والإ فانكم لا تستطيعون أن تذيعوه بين الآخرين مر ٩ : ٥٠

(٢) ماذا يجب أن يكونوا للآخرين . يجب أن لا يكونوا صالحين فحسب بل أن يفعلوا الصلاح ، أن يتسللوا إلى عقول البشر ليس لكى يخدموا أية مصلحة عالمية لأنفسهم بل لكى يحولوهم إلى طعم ومذاق ورائحة الانجيل .

(٣) أية بركة عظمى يقدمونها للعالم . إذ كانت البشرية غارقة فى الجهل والشر كانت أشبه بكومة كبيرة الحجم جداً من مادة لا طعم لها مهيأة للتعفن والفساد . ولكن المسيح أرسل تلاميذه لإصلاحها بالمعرفة والنعمة بواسطة تعاليمهم وحياتهم ، ولجعلها مقبولة أمام الله والملائكة وكل من يتلذذون بالروحيات

(٤) كيف يجب أن يتوقعوا بأن يتشتتوا . يجب أن لا يوضعوا على تل ، وأن لا يستمروا فى أورشليم ، بل أن يتفرقوا كما يرش الملح على الطعام ، هنا قليلا وهناك قليلا ، كما كان اللاويون يتفرقون فى اسرائيل ، حتى ينادوا بمخلصهم أينما حلوا . يظن البعض بأنه أن كان يعد فألا رديئاً وقوع الملح نحونا فإنه يعد فألا حسناً وقوع الملح منا .

٢ — وان لم يعيشوا كما يجب أن يكونوا صاروا ملحاً فاسداً . « **ان فسد الملح** » (أو أن فقد الملح مذاقة) ، إن كنتم أنتم الذين يجب أن تصلحوا الآخرين قد صرتم فاسدين ، عديمى الطعم والمذاق ، خالين من الحياة الروحية ، والنعمة ، والقوة ، ان وصل المسيحى إلى هذه الحالة وخاصة خادم الله ، فقد أصبحت حالته محزنة جداً لأنه :

(١) قد صار لا يرجى اصلاحه . « **فبماذا يملح** » . يستعمل الملح لاصلاح الطعام العديم المذاق ، ولكن ان فسد الملح فلا يمكن اصلاحه . المسيحية تعطى الانسان طعما ومذاقاً ، ولكن ان ادعى أحد المسيحية ، واستمر فى التظاهر بها ، واستمر مع ذلك بليداً وغبياً وخالياً من النعمة ، لا طعم ولا مذاق له ، فلا يوجد هنالك تعليم آخر أو وسيلة أخرى يمكن استخدامها لاصلاحه .

(٢) قد صار لا يرجى منه أى نفع . « **لا يصلح بعد لشىء** » . كيف يمكن استخدامه بحيث لا يصنع شراً بل خيراً ؟ المسيحى بدون النعمة كالانسان بدون عقل . الانسان الشرير أشر المخلوقات ، والمسيحى الشرير أشر البشر ، والخادم الشرير أشر المسيحيين .

(٣) قد أصبح مصيره النبذ والهلاك . « **يطرح خارجاً** » : يخرج من الكنيسة و يبعد عن جماعة المؤمنين الذين قد صار لطخة فى جبينهم وعبئاً ثقيلا عليهم ، « **و يداس من الناس** » . ليتمجد الله فى خزى ورفض أولئك الذين قد أهين اسمه بسببهم ، الذين جعلوا أنفسهم لا يصلحون لشىء إلا أن يداسوا من الناس

(٢) « **أنتم نور العالم** » ع ١٤ . وهذه تشير أيضاً — كالآية السابقة — إلى أنهم يجب أن يكونوا نافعين . يقول المثل اللاتينى « ليس أنفع من الشمس والملح » ، بل أنهم أبهى وأمجد . جميع المسيحيين بوجه عام ، وخدام المسيح بوجه خاص ، « نور فى الرب » (أف ٥ : ٨) ويجب أن

« يضيئوا كأنوار فى العالم » (فى ٢ : ١٥) . لقد دعا المسيح نفسه بأنه « نور العالم » (يو٨ : ١٢) ، والمؤمنون « عاملون معه » (٢ كو٦ : ١) وقد لبسوا جزءاً من مجده وكرامته .

يقيناً أن « النور حلو » (جا ١١ : ٧) ومحبوب . كان نور اليوم الأول فى العالم هكذا عندما « أشرق من ظلمة » . وهكذا أيضاً نور الصباح فى كل يوم . وهكذا أيضاً الانجيل ، وكل الذين يذيعونه ، حلو ومحبوب لدى كل العقلاء .

كان العالم « جالساً فى ظلمة » ، والمسيح أقام تلاميذه ليضيئوا فيه ولكى يستطيعوا ان يفعلوا ذلك فانهم يستمدون نورهم منه .

و يفسر هذا التشبيه هنا بطريقتين :

١ ــ إنهم كأنوار فى العالم قد أصبحوا ظاهرين و بارزين وعيون الكل شاخصه نحوهم ، **« لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل »** إن تلاميذ المسيح ، وخاصة المتقدمون البارزون فى خدمته يصيرون ظاهرين وتتجه اليهم الأنظار ، يصبحون « آيات وعجائب » (أش ٨ : ١٨) « رجال آية » (أو يتعجب منهم) زك ٣ : ٨ ، كل جيرانهم يتطلعون اليهم . البعض يعجبون بهم ويمتدحونهم و يفرحون بهم ويحاولون الاقتداء بهم ، والآخرون يحسدونهم و يبغضونهم و ينتقدونهم ويحاولون اساءتهم ، إذاً فالواجب يقضى عليهم أن « يسلكوا بالتدقيق » بسبب الذين يتطلعون اليهم . لقد « صاروا منظراً للعالم » فليحذروا من كل ما يبدوا « مظهره » رديئاً لأنهم قد صاروا « ظاهرين » للجميع .

كان تلاميذ المسيح غير ظاهرين قبل أن يدعوهم ، ولكن دعوته لهم عظمت قدرهم ، وككارزين بالانجيل صاروا ظاهرين . ومع أنهم قد عيروا من البعض بسببها ، إلا أنهم أكرموا من الآخرين بسببها ، وتقدموا إلى العروش وجعلوا قضاة (لو٢٢ : ٣٠) ، لأن المسيح يكرم الذين يكرمونه .

٢ ــ وكأنوار فى العالم قصد بهم أن يضيئوا للآخرين ع ١٥ ولذلك :

(١) فإنهم يرفعون إلى فوق كأنوار مثل المدينة الموضوعة على جبل . بعد أن أنار المسيح هذه السرج فإنها لا توضع **« تحت المكيال »** ولا يبقى التلاميذ محصورين فى مكان محدود بصفة مستمرة ، فى مدن الجليل ، أو بين خراف بيت اسرائيل الضالة ، بل يجب أن يخرجوا إلى كل العالم .

والكنائس هى **المناير**، المناير الذهبية التى توضع عليها هذه السرج حتى ينتشر نورها .

والإنجيل نور قوى ويحمل فى نفسه أقوى الأدلة لنفسه حتى أنه « لا يمكن أن يخفى ، كمدينة موضوعة على جبل » بل لا يمكن إلا أن يظهر بأنه من الله لجميع الذين لا يصرون على أن يغمضوا عيونهم نحوه . وهو « **يضىء لجميع الذين فى البيت** » ، لجميع الذين يقتربون منه و يأتون حيث يكون موجوداً . أما الذين لا يضىء لهم الانجيل فإن الذنب ذنبهم لانهم لا يريدون أن يبقوا فى البيت معه ، لا يريدون أن يفتشوا فيه بجد واهتمام وبدون محاباة بل يقتربون منه متحزبين ومتعصبين لآرائهم الخاصة .

(٢) يجب عليهم أن « يضيئوا » كأنوار.

[١] بكرازتهم الصالحة . يجب أن يستخدموا المعلومات التى لديهم لخير الآخرين ، يجب أن لا يضعوها « تحت المكيال » بل يذيعونها . يجب أن لا تخفى الوزنة بل أن يتاجربها . وتلاميذ المسيح يجب أن لا يتواروا أو يخفوا أنفسهم تحت ستار الرغبة فى التأملات الروحية أو الاحتشام أو التحفظ بل يجب أن يخدموا بالمواهب التى أخذوها (لو ١٢ : ٣) .

[٢] بحياتهم الصالحة . يجب أن يكون كل واحد « هو السراج الموقد المنير» (يو ٥ : ٣٥) يجب أن يبرهنوا فى كل تصرفاتهم على أنهم حقاً أتباع المسيح (يع ٣ : ١٣) . يجب أن يكون مركزهم نحو الآخرين مركز المعلم ، المرشد ، المنعش ، المعزى (أى ٢٩ : ١١ ــ ١٧)

أنظر هنا :

أولا ــ كيف أن نورنا يجب أن يضىء بأعمالنا الحسنة التى يستطيع أن يراها الآخرون ويمتدحوها « **فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة** » ، أعمالنا الحسنة ذات الصيت الحسن لدى الذين هم من خارج ، والتى يمكن أن تعطيهم فكرة حسنة عن المسيحية . يجب أن نعمل « الأعمال الحسنة » التى ترى أنها لبنيان الآخرين ، ولكن ليس لنتظاهر أو نفتخر بها. لقد أمرنا أن نصلى فى الخفاء ، وكل ما ينحصر بيننا وبين الله يجب أن يحفظ لأنفسنا . أما ما كان بطبيعته ظاهراً ومكشوفا أمام أنظار الآخرين فلنجتهد بأن نجعله متفقاً مع دعوتنا ومقبولا فى نظر الآخرين (فى ٤ : ٨) . يجب أن لا نقنع بأن « يسمع » الذين حولنا كلماتنا الحسنة بل أن « يروا » أعمالنا الحسنة ، لكى يقتنعوا بأن الديانة ليست مجرد اسم أجوف ، وأننا لا نكتفى بمظهرها بل نعيش فى قوتها .

ثانياً ــ لأجل أية غاية يجب أن يضىء نورنا . ليس لكى يمجدكم من يرون أعمالكم الحسنة (وهذه هى الغاية التى كان يسعى اليها الفريسيون والتى أفسدت كل خدماتهم) بل لكى « **يمجدوا أباكم الذى فى السموات** » .

(ملاحظة) يجب أن يكون مجد الله هو الغاية الأسمى التي نسعى اليها فى كل ما يتصل بالأمور الدينية (١ بط ٤ : ١١) . حول هذا المحور يجب أن تدور كل تصرفاتنا ، يجب أن لا نكتفى بأن نسعى لتمجيد الله نحن أنفسنا بل لنبذل كل ما نستطيع من جهد لنجعل الآخرين يمجدون الله أيضاً .

إن مجرد نظرهم لأعمالنا الحسنة سوف يمجد الله (١) إذ يعطيهم مادة لشكر الله وتمجيده . أعطوهم فرصة أن يروا أعمالكم الحسنة لكى يروا قوة نعمة الله فيكم فيشكروه من أجلها ويمجدو بسببها لأنه أعطى قوة كهذه للبشر (٢) ويحرك فيهم الرغبة للتقوى . أعطوهم فرصة ليروا أعمالكم الحسنة لكى يقتنعوا بحق المسيحية وسموها ولكى يغاروا غيرة مقدسة و يقتدوا بأعمالكم الحسنة ، و بذلك يمجدون الله .

(ملاحظة) إن سيرة القديسين النقية وتصرفاتهم الصالحة وقدوتهم الحسنة قد تفعل كثيراً لتغيير الخطاة . وتنجح جداً فى تقديم المسيحية للذين يجهلونها . فللقدوة تأثير بالغ فى تعليم الآخرين وقد تحبب المسيحية للذين كانوا يحملون لها فى أنفسهم من قبل روح البغض والكراهية . إذاً فالسيرة الصالحة تفعل كثيراً فى ربح الآخرين .

١٧ ــ لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الانبياء . ما جئت لأ نقض بل لأكمل ١٨ ــ فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة حتى يكون الكل ١٩ ــ فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ٢٠ ــ فانى أقول لكم إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات .

إن الذين كرز المسيح لأجلهم ، والذين لأجلهم اعطى هذه التعاليم لتلاميذه ، كانوا فى تدينهم ينظرون (١) إلى أسفار العهد القديم كدستور لهم ، وهؤلاء يبين المسيح أنهم كانوا على صواب (٢) إلى الكتبة والفريسيين كقدوة لهم ، وهنا يبين المسيح بأن هؤلاء على خطأ :

(١) لأن الدستور الذى جاء المسيح ليؤسسه يتفق تمام الاتفاق مع أسفار العهد القديم

الذى يدعوه المسيح هنا « الناموس والأنبياء » كان الأنبياء مفسرين للناموس ، وكلاهما (الأنبياء والناموس) تضامنا معاً فى تقرير قاعدة الايمان والأعمال التى وجدها المسيح قائمة فى الكنيسة اليهودية ، وهنا نراه يبقيها قائمة .

١ — إنه يحتج على فكرة إبطال واضعاف العهد القديم . « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء »

(١) ليطمئن اليهود الأتقياء الذين يغارون على الناموس والأنبياء ولا يخافوا فأنى ما جئت لأنقضهما . يجب عليهم أن لا يتحاملوا على يسوع وتعاليمه عن غيرة وحسد متوهمين بأن الملكوت الذى جاء ليؤسسه سوف يحط من قدر أسفار العهد القديم التى قبلوها باعتبارها آتية من الله والتى فيها اختبروا القوة والقداسة . كلا بل ليطمئنوا وليثقوا بأنه لا يقصد شراً بالناموس أو الانبياء .

(٢) وعلى اليهود الأشرار الذين يبغضون الناموس والأنبياء و يئنون من نيرهما أن لا يؤملوا بأنى جئت لأنقضهما . يجب على الفجار الخليعين أن لا يتوهموا بأن المسيح قد جاء ليحلهم من رباطات الوصايا الالهية ، وفى نفس الوقت يضمن لهم المواعيد الإلهية ، أو يضمن لهم السعادة وفى نفس الوقت يتركهم أحراراً يفعلون ما يشاءون إن المسيح لا يوصى الآن بشىء نهى عنه ناموس الطبيعة أو الناموس الادبى ، ولا ينهى عن شىء أوصى به هذان الناموسان . إنه لخطأ شنيع أن يتوهم بأنه جاء ليفعل هذا أو ذاك . وهنا نرى المسيح يعنى أشد العناية بتصحيح هذا الخطأ « لا تظنوا أنى جئت لأنقض » .

إن مخلص النفوس لا ينقض شيئا بل ينقض « أعمال ابليس » ، لا ينقض شيئا أتى من الله ، وبالأحرى لا ينقض تلك الوصايا السامية التى نقلها الينا موسى والأنبياء . كلا ، إنه جاء « **ليكمل** » ليكملها ، أى :

[١] ليطيع وصايا الناموس ، لأنه جاء « تحت الناموس » غل ٤ : ٤ . إنه فى كل النواحى خضع للناموس وأكمله ، أكرم والديه ، قدس السبت ، صلى ، أعطى صدقة ، وفعل مالم يفعله أى شخص آخر فقد أطاع طاعة كاملة ولم يكسر الناموس فى حرف واحد

[٢] ليتمم مواعيد الناموس ونبوات الأنبياء التى شهدت كلها له . ان عهد النعمة هو بعينه الآن كما كان حينئذاك ، والمسيح هو وسيط العهد

[٣] ليتمم رموز الناموس . قال أحدهم إن المسيح لم يبطل الناموس الطقسى بل وفاه

وبين بأنه هو الذى كانت ترمز اليه تلك الظلال .

[٤] ليملا كل ثغرة فيه وبذلك يكمله ، وهذا ما تعنيه كلمة « أكمل » فى نصها اليونانى . إذا اعتبرنا بأن الناموس إناء فيه ماء فإن المسيح لم يأت ليسكب الماء بل ليملأ الإناء إلى حافته . وإذا اعتبرناه صورة رسمت خطوطها الأولية لتبين معالم الشيء المطلوب تصويره فإن المسيح أكمل تصوير هذه الصورة فيما بعد . هكذا زاد المسيح الناموس والأنبياء حسنا وكمالا بواسطة الزيادات التى أضافها إليه وتفسيره إياه .

[٥] ليستمر فى إتمام نفس الغاية . إن الفرائض المسيحية بعيدة كل البعد عن النقض أو معارضة الغرض الأصلى من الديانة اليهودية ، ولكنها تبغى أن ترقى بها إلى حد الكمال . فالانجيل هو « وقت الإصلاح » عب ٩ : ١٠ . ولم يقصد به نقض أو نسخ الناموس بل إصلاحه وبالتالى تثبيته .

٢ — وهو يؤكد دوامه واستمراره . إنه لم يقصد فقط عدم نقض الناموس أو نسخه ، بل قصد أيضا أن لا يلغى أو ينسخ أبداً ع ١٨ « **فإنى الحق أقول لكم** » أنا الأمين ، الشاهد الأمين ،أقرر لكم بكل يقين أنه « **إلى أن تزول السماء والأرض** » عندما لا يكون هناك زمن ، وعندما تحين حالة المجازاة الثابتة لتحل محل كل النواميس « **لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة حتى يكون الكل** » لأن كل ما يجريه الله سواء بأعمال عنايته أو بنعمته هو لإتمام الكتب . إنه لأيسر أو تزول الأرض والسماء من أن تسقط أية كلمة من كلام الله أو تبطل . « كلمة الرب تثبت إلى الأبد » ١ بط ١ : ٢٥ سواء أكانت كلمة الناموس أو كلمة الانجيل .

لاحظ أن عناية الله بناموسه تمتد حتى الى الأشياء التى نظنها عديمة القيمة « حرف واحد أو نقطة واحدة » ، لأن كل ما يتصل بالله ويحمل ختمه يحفظ الى الأبد مهما كان حقيراً . إن نواميس البشر.وقوانينهم تشهد لنفسها بأنها تحمل نقائص عديدة ، فإن لديهم قولا مأثوراً « إن أسمى نقط القانون ليست قانوناً » أما الله فأنه يقف بجانب كل حرف أو نقطة من ناموسه .

٣ — ويوصى تلاميذه بالمحافظة على الناموس ، ويبين لهم خطر إهماله أو احتقاره ع ١٩ « **فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى** » (أو أصغر الوصايا فى ناموس موسى) وبالأولى أكبر الوصايا ، كما كان يفعل الفريسيون الذين كانوا يهملون أثقل الناموس ، « **وعلم الناس هكذا** » كما كانوا يفعلون إذ أبطلوا وصايا الله بتقاليدهم ص ١٥ : ٣« **يدعى أصغر فى ملكوت السموات** » . رغم المديح الذى يكال للفريسيين كمعلمين ممتازين إلا أنهم لا يمكن استخدامهم كمعلمين فى ملكوت المسيح ، « **وأما من عمل وعلم** » — كتلاميذ المسيح —

و بذلك يبرهن أنه أكثر ولاء للعهد القديم من الفريسيين ، « **فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات** » ولو احتقر من الناس .

ملاحظات :

(١) يوجد ضمن وصايا الله وصايا أصغر من غيرها ، ليست هى صغيرة فى حد ذاتها ولكنها صغيرة نسبياً . يعتبر اليهود أصغر الوصايا تلك الخاصة بعش الطائر تث ٢٢ : ٦ و٧ ، ومع ذلك فحتى هذه فإنها فى غاية السمو فى معناها والنبل فى مرماها .

(٢) من الخطر جداً إبطال أقل الوصايا الإلهية سواء فى التعليم أو العمل ، أو كسرها . أى تضييق مداها أو أضعاف التزاماتها . كل من يفعل ذلك يعرض نفسه للخطر . وهكذا إن كسر إحدى الوصايا العشر يعد اعتداء جريئاً لا يتغاضى عند الله الغيور . إنه لا يعد اعتداء على الناموس فحسب بل يعد نقضاً للناموس مز ١١٩ : ١٢٦ .

(٣) كلما ازداد هذا الإفساد انتشاراً ازدادت العواقب شؤماً . إن كسر الوصية وقاحة ، أما تشجيع الآخرين على كسرها فإنه وقاحة أشد . هذه تشير بصراحة إلى أولئك الذين فى ذلك العهد جلسوا على كرسى موسى و بتفسيرهم أفسدوا معنى الناموس وعكسوا القصد منه . انه لشر عظيم اعتناق الآراء التى تميل الى هدم الحقائق الدينية الأساسية ومبادىء التقوى والفضيلة بتفسير الكتاب تفسيراً مشوهاً ، وإنه لشر أعظم إذاعة هذه الآراء وتعليمها كأنها كلمة الله . ومن يفعل هكذا « يدعى أصغر فى ملكوت السموات » فى ملكوت المجد ، لن يدخله بل يبعد عنه الى الأبد ، أو بالأحرى فى ملكوت كنيسة العهد الجديد . إنه بعيد كل البعد عن أن يستحق شرف معلم فيها ، و بالأولى عن شرف عضويتها . إن النبى الذى يعلم هذه الأكاذيب يصير ذنباً فى ذلك الملكوت أش ٩ : ١٥ . وعندما ينبلج الفجر و يصبح الحق واضحاً وجلياً يبعد هؤلاء المعلمين المفسدين عن دائرة الحكماء والصالحين مهما يكونون قد نالوا من المديح والإعجاب كالفريسيين . لا شىء يجعل الخدام محتقرين ويحقر من شأنهم بقدر إفساد الشريعة مل ٢ : ٨ و١١ . وكل الذين يذيعون الخطية و يشجعونها و يعترضون على وجوب التدقيق فى الشئون الدينية والعبادة التقوية يصيرون عكارة الكنيسه . و بالعكس إن الذين ينالون كرامة حقيقية ولهم المقام الرفيع فى الكنيسة هم الذين يكرسون حياتهم ــ بقدوتهم وتعاليمهم ــ لإنماء روح الفضيلة والتقوى والحياة المسيحية العملية ، الذين يعملون الصلاح و يعلمونه . لأن الذين لا يعيشون وفق ما يعلمون يهدمون باليد الواحدة ما يبنونه بالأخرى ، و يبرهنون عملياً على أنهم كذبة ، و يعثرون الآخرين إذ يدفعونهم إلى أن يتوهموا بأن التدين خدعة وضلالة . أما الذين يتكلمون عن اختبار ، و يعيشون وفق ما يعلمون فإنهم عظماء حقاً ، والله يكرمهم لأنهم يكرمونه ١ صم ٢ : ٣٠ ، وسيضيئون فى الحياة الأخرى كالكواكب فى ملكوت أبينا .

(٢) ولأن البر الذى أتى المسيح ليؤسسه بهذا الدستور يجب أن يفوق بر الكتبة والفريسيين « **إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات** » ع ٢٠ . كان هذا تعليما غريباً فى أسماع الذين كانوا ينظرون إلى الكتبة والفريسيين كأنهم قد وصلوا إلى أسمى درجات الديانة . كان الكتبة هم أعظم معلمى الناموس ، وكان الفريسيون هم أعظم أساتذته ، وكلاهما جلس على كرسى موسى مت ٢٣ : ٢ وذاع صيتهم بين الشعب حتى كان ينظر إليهم بأنهم عائشون حسب الناموس إلى الدرجة القصوى التى ما بعدها درجة ، وكان الشعب يظنون بأنهم ليسوا ملزمين أن يعيشوا لدرجة الصلاح التى يحياها أولئك . ولذلك فكان عجيباً جداً أن يسمعوا بأنهم يجب أن يكونوا أفضل منهم وإلا فإنهم لا يدخلون السماء ، ولذلك يؤكد المسيح هذه الحقيقة بقوله « **فإنى أقول لكم** » . كان الكتبة والفريسيون أعداء للمسيح وتعليمه ، وكانوا يقاومونه مقاومة عنيفة ، ومع ذلك يجب الاعتراف بأن فيهم ما يستحق المدح والثناء ، فقد كانوا يصومون و يصلون و يتصدقون كثيراً ، كانوا مواظبين على حفظ الفرائض والطقوس ، وكانوا يجعلون همهم تعليم الآخرين ، وكان الشعب يعتقد فى صلاحهم اعتقاداً شديداً حتى بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يعتقدون بأنه إن ذهب اثنان إلى السماء فلا بد أن يكون أحدهما فريسياً . ومع ذلك فإن المسيح يخبر تلاميذه هنا بأن الديانة التى جاء ليؤسسها لا تستبعد فقط شر الكتبة والفريسيين بل تسمو على خيرهم وصلاحهم . يجب أن نفعل أكثر منهم ، وأفضل منهم ، وإلا فإننا نخسر السماء . لقد كانوا « يحابون فى الشريعة » مل ٢ : ٩ و يشددون أكثر التشديد على الناحية الطقسية فيها ، أما نحن فيجب أن تكون لنا فكرة أعم عن الناموس ، يجب أن لا نكتفى بإعطاء العشور بل لنعط قلوبنا لله . كانوا ينظرون إلى التقوى فى مظهرها فقط أما نحن فيجب أن ننظر إلى جوهرها . كانوا يهدفون إلى مدح الناس لهم أما نحن فيجب أن نبتغى المدح من الله ، أن نكون مقبولين أمامه . كانوا يفتخرون بكل ما يتممونه من الفرائض الدينية و يتكلون عليها « كبر » أما نحن فإذا فعلنا كل البر فلننكر أنفسنا ولنقل إننا « عبيد بطالون » ولنتكل فقط على بر المسيح . و بذلك نصير أفضل من الكتبة والفريسيين .

٢١ ــ قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم ٢٢ ــ وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . ومن قال لأخيه رقاً يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ٢٣ ــ فإن قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ٢٤ ــ فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك . وحينئذ

تعال وقدم قربانك ٢٥ ــ كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق . لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى و يسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن ٢٦ ــ الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير.

إذ قرر المسيح هذه المبادىء وهى أن موسى والأنبياء يجب أن يظلوا قادتهم أما الكتبة والفريسيون فيجب أن لا يبقوا بعد قادتهم . بدأ يفسر الناموس فى بعض نواحيه و يزيح عنه غمة تلك التفاسير الفاسدة التى أحاطه بها أولئك المفسرون . إنه لا يضيف شيئاً جديداً ، ولكنه يضع حداً لبعض الحريات التى اسىء استعمالها . أما بخصوص الوصايا فإنه يبين اتساعها ودقتها وطبيعتها الروحية ، و يضيف اليها بعض الحقائق التفسيرية التى تزيدها إيضاحاً وتزيدنا كمالا فى إطاعتها . فى هذه الأعداد يفسر الوصية السادسة حسب مرماها الصحيح ومداها الكامل .

(١) هنا نجد الوصية نفسها ع ٢٠ « **قد سمعتم** » ولا شك أنكم تذكرون . إنه يكلم « العارفين بالناموس » الذين يسمعون موسى فى مجامعهم كل سبت . سمعتم « **أنه قيل للقدماء** » لأجدادكم اليهود « **لا تقتل** » .

(ملاحظة) ليست نواميس الله مستحدثه ، وليست طارئة أو فجائية ، ولكنها سلمت اليهم فى القديم ، أنها نواميس قديمة ولكن طبيعتها لا تشيخ ولا تصبح مبتذلة لقدمها أو منبوذة لأنها قد مضى أوانها . إن الناموس الأدبى يتفق مع ناموس الطبيعة ومع المبادىء الدهرية والقواعد الثابتة للخير والشر ، أى انه يتفق مع فكر الله . ينهى الناموس هنا عن القتل ، قتل أنفسنا ، قتل الآخرين ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، أو الاشتراك فى القتل بأى شكل من الأشكال . إن ناموس الله ، إله الحياة ، سور منيع لحفظ حياتنا . كانت هذه الوصية إحدى وصايا نوح تك ٩ : ٥ و٦ .

(٢) ثم نجد تفسير هذه الوصية الذى ارتضى به معلمو اليهود . كان تفسيرهم لها « **من قتل يكون مستوجب الحكم** » . كان كل ما قالوه عنها إن القتلة المتعمدين يعرضون أنفسهم لسيف العدالة ، والقتلة غير المتعمدين يعرضون أنفسهم لحكم مدن الملجأ . كانت مجالس الحكم تنعقد فى أبواب مدنهم الرئيسية ، وكان عدد القضاة عادة ثلاثة وعشرين وكان هؤلاء يفحصون حالات القتلة ويحاكمونهم ويحكمون عليهم . ولذلك كان كل « من قتل مستوجب حكمهم » . كان تفسيرهم هذا لهذه الوصية خاطئا لأنه يتضمن :

١ ــ إن شريعة الوصية السادسة لم تكن إلا ظاهرية ولم تنه ألا عن القتل الفعلى دون أن تتعرض للشهوات واللذات الداخلية التى تنشأ عنها « الحروب والخصومات » يع ٤ : ١ . كانت هذه هى الغلطة الرئيسية لمعلمى اليهود وهى أن الناموس الإلهى ينهى فقط عن العمل الخاطىء دون أن يتعرض للفكر الخاطىء . كانوا يميلون الى الاتكال على حرفية الناموس دون أن يهتموا بالتفكير فى معناه الروحى . كان بولس الرسول ــ وهو فريسى ــ يغمض عينيه عن المعنى الروحى للناموس الى أن أرشدته النعمة الإلهية ، عن طريق الوصية العاشرة ، بأن يتغلغل فى أعماق المعنى الروحى لسائر الوصايا (رو٧ : ٧ و١٤) .

٢ ــ والغلطة الثانية أنهم كانوا يعتبرون الناموس كمجرد مرشد لهم فى أحوالهم السياسية والمدنية ، أنه قد اعطى كقانون لهم فى محاكمهم ليس إلا ، كأنهم هم الشعب الوحيد ، ومعهم يجب أن تموت حكمة الناموس .

(٣) التفسير الذى أعطاه المسيح عن هذه الوصية . ونحن واثقون أننا بحسب هذا التفسير سنحاكم فى الدهر الآتى ، وكذلك فبحسبه يجب أن نعيش هنا الآن . إن الوصية واسعة جداً مز ١١٩ : ٩٦ ويجب أن لا تصير محدودة بحسب مشيئة الجسد أو مشيئة البشر .

١ ــ يخبرهم المسيح ان التسرع فى الغضب هو قتل بالقلب ع ٢٢ « **كل من يغضب على أخيه باطلا** » يكسر الوصية السادسة والمقصود « بالأخ » هنا أى شخص حتى وإن كان أقل منا ، طفلا ، أو خادماً ، لأننا خلقنا كلنا « من دم واحد » . الغضب عاطفة طبيعية ، وفى بعض الأحيان يكون شرعياً وممدوحاً ، ولكن عندما نغضب « باطلا » يصير الغضب خطية . والكلمة « باطلا » فى أصلها اليونانى تعنى « بدون سبب » أو « بدون نتيجة مرضية » أو « دون حد الاعتدال » . إذاً فالغضب يصبح خطية .

(١) إذا لم يكن هنالك باعث قوى يحركه ، أى إذا لم يكن هنالك سبب على الإطلاق ، أو لم يكن هنالك سبب معقول ، أو لم يكن هنالك سبب قوى يتناسب مع الغضب « مثل غضبنا على الأطفال أو الخدم لأجل أمور خارجة عن طاقتهم ناتجة عن سهو أو خطأ مما نقع فيه نحن بسهولة دون أن نغضب على أنفسنا ، أو غضبنا بسبب أوهام لا أساس لها ، أو لسبب بعض الأخطاء الطفيفة التى لا تستحق التحدث عنها .

(٢) إذا لم تكن هنالك غاية طيبة نرمى اليها ، وذلك لمجرد رغبتنا فى إظهار سلطاننا ، أو اشباع عاطفة وحشية ، أو لاعطاء فرصة للآخرين ليعرفوا إستياءنا ، أو لمجرد الرغبة فى الانتقام ــ عندئذ يكون الغضب « باطلا » بل يكون للضرر والأذى . أما إذا كان لابد لنا من أن نغضب فى

أي وقت فليكن ذلك لايقاظ المسيء لكي يتوب ولكي لا يعود إلى الإساءة مرة أخرى . ليكن الغضب لإظهار براءتنا ٢ كو ٧ : ١١ ولتحذير الآخرين

(٣) إذا زاد عن الحد اللائق ، إذا كنا نثور لدرجة الغليان ، اذا كنا قساة في غضبنا و اذا أسأنا في غضبنا ، اذا سعينا لإيذاء من نغضب عليهم . هذا كسر للوصية السادسة لأن من يغضب بهذه الكيفية قد يقتل اذا إستطاع أو اذا وجد الجرأة الكافية . لقد خطا الخطوة الأولى للقتل ، فقتل قايين لاخيه بدأ بالغضب . فمن وجدت في قلبه أفكار القتل اعتبر قاتلاً في نظر الله (مت ١٥ : ١٩)

٢ ــ ويخبرهم أن إساءة الآخرين بكلمات بذيئة هي القتل باللسان كأن نقول لهم « رقا » أو « يا أحمق » . أن قيلت هذه الكلمات وأمثالها بلطف ولغاية سامية ، لإقناع الآخرين بتفاهتهم وحماقتهم فلا جرم في ذلك . فيعقوب يقول « أيها الإنسان الباطل » (يع ٢ : ٢٠) و بولس يقول « ياغبي » (١) (١ كو ١٥ : ٣٦) والمسيح نفسه يقول « أيها الغبيان (١) والبطيئا القلوب » (لو ٢٤ : ٢٥) . ولكن إن صدرت عن غضب وحقد داخلي اعتبرت بمثابة دخان لتلك النار المضرمة من جهنم ، بل اعتبرت قتلا

(١) « رقا » (٢) كلمة تقال للتحقير وتصدر عن كبرياء . ولسان حال مرددها يقول « أيها الإنسان الفارغ » (أو التافه) . هي التي يدعوها سليمان « فيضان الكبرياء » (٣) (أم ٢١ : ٢٤) ، الذي يدوس الأخوة ، الذي يستنكف من أن يجعله مع كلاب غنمه (أي ٣٠ : ١) ، ولغته هي هذه : « الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون » (يو ٧ : ٤٩) .

(٢) « ياأحمق » كلمة تدل على الحقد والغل وتنبعث عن البغض والكراهية . و ينظر مرددها إلى أخيه لا باعتباره وضيعاً فقط لا يستحق الكرامة بل رذيلا لا يستحق المحبة . كأنه يقول « أيها الانسان الشرير ، الفاسد » . تعني الكلمة الاولى أن الإنسان بدون عقل ، والثانية (حسب لغة الكتاب المقدس) أنه بدون نعمة . كلما مست الإهانة حياته الروحية ازداد غضبه . الكلمة الأولى هي تعيير للاخوة بكبرياء كأنهم منبوذون من الله والثانية انتقادهم بخبث ودينونتهم .

---

(١) هي نفس الكلمة المترجمة « يا أحمق »

(٢) كلمة سريانية معناها فارغ أوباطل أو غبي أو حقير أو تافه

(٣) أو « حنق الكبرياء » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « الغضب المتعجرف » حسب الترجمة الانكليزية .

هذا كسر للوصية السادسة . إن الانتقادات التى نوجهها للآخرين بخبث وشر هى «سم تحت شفاهنا» يقتل فى الخفاء و ببطء ، والكلمات المرة هى سهام تجرح بغتة (مز ٦٤ : ٣) أو كسيف فى العظام . بهذه الكلمات يطعن و يقتل صيت اخوتنا الحسن الذى هو أثمن من الحياة ، وهى دليل على سوء نيتنا لأخينا كأننا نحاول قتله لو استطعنا .

٣ ــ ويخبرهم أيضاً أنهم مهما استخفوا بهذه الخطايا فلا بد أن يحاسبوا عنها « **كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم** » وغضب الله ، « ومن قال لأخيه رقاً يكون **مستوجب المجمع** » يحاكم أمام مجمع السنهدريم لاحتقاره اسرائيلياً ، « ومن قال يا أحمق » يا نجس ، يا ابن جهنم ، « **يكون مستوجب نار جهنم** » التى يحكم بها على أخيه .

يظن البعض أن المسيح يشير إلى درجات القصاص فى المحاكم بين اليهود و يبين أن خطية التسرع فى الغضب تعرض الناس إلى القصاصات الدنيا أو العليا حسب درجات البواعث التى دفعتها ، كان لليهود ثلاثة أنواع من الحكم بالإعدام ، كل منها أشر من الآخر : قطع الرأس وكان من سلطة القضاة ، والرجم وكان من سلطة المجمع أو مجلس السنهدريم ، والحرق فى وادى ابن هنوم وكان يلجأ اليه إلا فى أحوال استثنائية . لذلك فإن هذه كلها تشير إلى أن التسرع فى الغضب وكلمات التوبيخ القاسية تستوجب الدينونة ، لكن هنالك خطايا أثقل من غيرها ، ولذا فهنالك دينونة أشد من غيرها محفوظة لها وقصاص أشد . وهكذا إذ أراد المسيح أن يبين أى الخطايا هى الأبشع من غيرها بين أى القصاص هو الأشد .

(٤) من كل هذا يستنتج هنا أننا يجب أن نحتفظ بالمحبة المسيحية والسلام مع جميع اخوتنا ، وأننا فى حالة حصول أى تعد يجب أن نسعى للصلح والسلام بالاعتراف بخطئنا ، والإتضاع مع اخوتنا وطلب الصفح منهم ، واصلاح الخطأ ، أو تقديم الترضية اللازمة عن الاساءة التى صدرت بالقول أو بالفعل حسبما يقتضيه الحال ، وأننا يجب أن نفعل هذا سريعاً لسببين :

١ ــ لأننا ، قبل أن يتم هذا ، لا نستحق بتاتاً الدنو من الله فى الفرائض المقدسة ع ٢٣ و ٢٤ . المفروض هنا « **أن لأخيك شيئاً عليك** » أنك قد أسأته أو آذيته ، إما حقيقة أو حسب تصوره . إن كنت المساء اليه فلا داعى للابطاء ، وإن رأيت « أن لأخيك شيئاً عليك » فاحسم الخلاف سريعاً . وليس مطلوباً منك أكثر من أن تصفح عنه (مر ١١ : ٢٥) وتنسى الاساءة . ولكن إن كان النزاع بدأ من جانبك والخطأ خطأك أنت سواء فى البداية أو النهاية وصارت لأخيك خصومة معك « **فأذهب أولاً اصطلح مع أخيك** » قبل أن تقدم « **قربانك إلى المذبح** » قبل أن تقترب من الله فى خدمات الانجيل ، أو فى الصلاة والتسابيح ، أو سماع الكلمة ، أو الأسرار المقدسة .

(ملاحظات) ــ (١) عندما نستعد لأية خدمة دينية يحسن بنا أن تكون لنا فرصة للتأملات الهادئة العميقة وفحص النفس . هنالك أشياء كثيرة يمكن « تذكرها » عندما « نقدم قربانا إلى المذبح » . من ضمن هذه الأشياء الكثيرة : هل لأخينا شيء علينا . إن تذكرنا أن هنالك شيئاً وجب أن نحاسب أنفسنا .

(٢) إن الخدمات الدينية لا تقبل أمام الله إذا تمت ونحن فى حالة غضب . فالحسد والخبث والحقد وانعدام المحبة خطايا تغضب الله لدرجة أنه لا يرضيه شيء خارج من قلب سادته هذه الخطايا (١ تى ٢ : ٨) والصلوات التى تقدم فى غضب ، تكتب بالمر والحنضل (أش ١ : ١٥ ، ٥٨ : ٤)

(٣) إن المحبة أفضل من جميع المحرقات والتقدمات والذبائح حتى أن الله يفضل أن يتم الصلح مع الشخص المساء اليه قبل تقديم التقدمة لأنه يرتضى تأخير التقدمة عن تقديمها ونحن فى الإثم ومنشغلين بالمنازعات .

(٤) إننا ولو كنا لا نستحق الدنو من الله بسبب استمرار بعض المنازعات مع اخوتنا إلا أن ذلك لا يمكن أن يبرر اهمالنا لواجبنا الدينى أو التنحى عنه كلية « **اترك هناك قربانك قدام المذبح** » وإلا فإنك إذا أنصرفتَ نهائيا تجرب بعدم العودة . يقدم الكثيرون هذا العذر كمبرر لهم لعدم الذهاب الى الكنيسة أو لعدم التناول من الشركة المقدسة لأنهم فى نزاع مع بعض الأخوة . ولكن من هو المخطيء فى هذا الموقف الخاطيء ؟ إن الخطية لا تبرر ارتكاب خطية أخرى بل تضاعفها . ونقص المحبة لا يبرر نقص التقوى . والصعوبة يمكن التغلب عليها بسهولة ، فالذين أساءوا الينا يجب أن نصفح عنهم . والذين أسأنا اليهم نحن يجب أن نسترضيهم أو على الأقل نطلب منهم الرضى ونبين لهم رغبتنا فى تجديد علاقات الصداقة حتى إذا لم يتم الصلح لا يكون الذنب ذنبنا . « **وحينئذ تعال** » تجد ترحيباً عظيما « **وقدم قربانك** » فيقبل . لذلك يجب أن « لا تغرب الشمس على غيظنا » فى أى يوم لأننا يجب أن نتقدم للصلاة قبل النوم .

٢ ــ لأننا ، إلى أن يتم هذا . نبقى معرضين لخطر جسيم ع ٢٥ و ٢٦ . إنه لخطر علينا إن لم نسع للصلح ، ونسع اليه سريعاً ، وذلك لسببين :

(١) من الناحية العالمية . إن كانت الاساءة التى فعلناها بأخينا فى جسمه ، أو ثروته ، أو صيته ، أو شرفه ، تستحق أن يرفع الأمر للقضاء فينال تعويضاً جسيما فمن الحكمة ومن الواجب علينا لأسرتنا تلافى هذا بالاتضاع والخضوع اليهم وتقديم الترضية الواجبة فى هدوء وتعقل ، لئلا

ينالها بسلطة القانون و يعرضنا فوق هذا للسجن . من الخير جداً في مثل هذه الحال أن نسوى الأمر بالمحبة ، ذلك أفضل جداً من أن نقف موقف العناد . لأننا عبثاً نقاوم القانون ، وفوق ذلك فإننا نعرض انفسنا بأن يسحقنا القانون . كم من أشخاص يخربون أنفسهم و يعرضون ثروتهم للضياع بسبب عنادهم في الاخطاء التي ارتكبوها والتي كان ممكناً جداً تسويتها بقليل من الخضوع في أول الأمر. يقدم لنا سليمان نصيحة في حالة الارتباط بأية ضمانة « اذهب ترام وألح على صاحبك » وبذلك تضمن بأن « تنجي نفسك » (أم ٦ : ١ — ٥) . من الخير جداً أن نصطلح لأن القانون يكلف كثيراً جداً . مع أننا يجب أن نكون رحومين نحو من أساء الينا إلا أننا يجب أن نكون عادلين نحو من أسأنا اليهم على قدر ما نستطيع .

« **كن مراضياً لخصمك سريعاً** » لئلا يثور غضبه بسبب عنادك و يصر على طلب أقسى الشروط و يرفض الطلبات السهلة التي كان ممكناً له قبولها أولا . « **والسجن** » مكان متعب جداً لأولئك الذين يزجون فيه بسبب كبريائهم واسرافهم ، بسبب عنادهم وغباوتهم .

(٢) من الناحية الروحية . « اذهب واصطلح مع أخيك » كن عادلا معه ، احتفظ بعلاقات الصداقة معه لأنه طالما كان النزاع قائماً بينكما فإنك فضلا عن عدم استعدادك لتقديم قربانك على المذبح وللدنو من المائدة الربانية فإنك أيضا لا تكون مستعداً للموت . إذا أصريت على هذه الخطية فإنك في خطر أن تنتزع من العالم بغضب الله الذى لا تستطيع أن تفلت من دينونته أو تعترض عليها ، وإذا لصق بك هذا الإثم هلكت هلاكا أبدياً . إن جهنم هي « سجن » لكل الذين يعيشون ويموتون في الخبث وفي عدم المحبة ، لكل « الذين هم من أهل التحزب » والنزاع والخصام (رو ٢ : ٨) ، ولا سبيل للخروج من هذا « السجن » إلى الأبد ، ولافداء ولا نجاة ولا أية وسيلة للافلات منه بعد دخوله .

تنطبق هذه الكلمات على مأموريتنا العظمى نحو اصطلاحنا مع الله بالمسيح « كن مراضيا له سريعا ما دمت معه في الطريق »

(ملاحظات) — [١] ان الله العظيم خصم لكل الخطاة ، وله خصومة ومعهم ار ٢٥ : ٢ ، مى ٦ : ٢ وإجراء يتخذه ضدهم

[٢] من الواجب علينا أن نكون مراضين له ، وفي أحسن العلاقات معه لنكون في سلام أي ٢٢ : ٢١ ، ٢ كو٥ : ٢٠

[٣] من الحكمة أن نفعل هذا « سريعاً ، ما دمنا في الطريق » . طالما كنا أحياء فنحن

« فى الطريق » ، أما بعد الموت فإنه لا أمل لذلك قطعاً . لذلك لا تعط لعينيك نعاساً حتى تتمم ذلك

[٤] ان الذين يستمرون فى حالة عداوة مع الله يعرضون أنفسهم باستمرار لانتقام عدالته ولأقسى مظاهر غضبه . المسيح هو « **القاضى** » الذين سيسلم اليه الخطاة المصرون على خطاياهم لأن « كل دينونة قد أعطيت للابن » ، وان رفض كمخلص فلا يمكن النجاة منه كديان رؤ ٦ : ١٦ و١٧ . ومخيف جداً هو الوقوع فى يدى يسوع عندما يصير « الحمل » أسداً ، الأسد الخارج من سبط يهوذا . والملائكة هم بمثابة « **الشرطى** » الذى يسلمه أياهم المسيح مت ١٣ : ٤١ و٤٢ . والشياطين هم أيضاً كذلك إذ لهم « سلطان الموت » لغير المؤمنين عب ٢ : ١٤ . وجهنم هى « السجن » الذى فيه يطرح جميع الذين يستمرون فى عداوة مع الله ٢ بط ٢ : ٤

[٥] والخطاة الذين حكم عليهم بالسجن يجب أن يبقوا فيه إلى الأبد ، « **ولا يخرجون من هناك حتى يوفوا الفلس الأخير** » وهذا لا يمكن أن يتم فى كل دهور الأبدية ، فالعدل الإلهى يجب أن يستوفى إلى الأبد ولن يوجد ما يوفيه

٢٧ ــ قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن ٢٨ ــ وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ٢٩ ــ فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ٣٠ ــ وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم

٣١ ــ وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ٣٢ ــ وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى

وهنا نجد تفسيراً للوصية السابعة يقدمه إلينا نفس واضع الناموس ولذلك فهو أليق من يفسره . هذه الوصية خاصة بالنجاسة وقد وردت بعد سابقتها فى ترتيبها المناسب . فالأولى وضعت كضابط للعواطف الخاطئة وهذه وضعت للشهوات الخاطئة . وكلا العواطف والشهوات يجب أن

تكون خاضعة لارشاد العقل والضمير، وكلاهما تأتى بأشر النتائج إذا لم يكبح جماحها

(١) هنا نجد الوصية « **لا تزن** » ع ٢٧ وهى تتضمن النهى عن كل النجاسات الأخرى وعن كل ميل إليها . ولكن الفريسيين فى تفسيرهم لها جعلوها قاصرة على الزنى الفعلى مفترضين بأنه إن « روعى الاثم فى القلب » فقط ولم يتعد هذا فإن الله لا يسمعه ولا يحفل به مز ٦٦ : ١٨ ولذلك كانوا يفكرون بأنه يكفيهم أن يقولوا انهم ليسوا زناة لو١٨ : ١١

(٢) وهنا نجد تفسيراً دقيقاً لها فى أضيق حدودها فى ثلاث نواح . و يبدو هذا التفسير جديداً وغريبا للذين كانوا دواما خاضعين لتقليد الشيوخ و يأخذون كل تعاليمهم قضية مسلمة كأنها موحى بها :

١ ـ يعلمنا المسيح هنا أن هنالك مايسمى « زنى بالقلب » ، أفكار زانية وأميال زانية وان لم تنته بالزنى فعلا . ولعل تدنيس النفس الذى تسببه هذه الأفكار والأميال والمشار إليه هنا بكل صراحة لا تتضمنه الوصية السابعة فقط ولكنه أيضا قد أشير إليه فى كثير من الأدناس التى نص عليها الناموس والتى من أجلها كان يحتم عليهم غسل ملابسهم وغسل أجسادهم بالماء .

« **كل من ينظر إلى امرأة** » وليس المقصود امرأة رجل آخر كما يظن البعض بل أية امرأة « **ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه** » ع ٢٨ هذه الوصية لا تنهى عن مجرد الزنى الفعلى فقط بل تنهى أيضا عن :

(١) كل الشهوات إليها ، كل الشهوات إلى هذه الخطية المنهى عنها ، فهذه هى بداءة الخطية لأن « الشهوة تحبل » يع ١ : ١٥ ، هذه خطوة رديئة نحو الخطية ، وحيثما أستحسنت الشهوة وطال التمسك بها ، وحيثما تقلبت الرغبات الفاسدة تحت اللسان كلقمة سائغة ، اعتبر هذا ارتكابا للخطية بالقلب ، لأنه لا ينقص شيء سوى الفرصة المناسبة لارتكاب الخطية نفسها بالفعل . فى هذه الحالات يعتبر العقل فاسقا والقلب زانيا كما قال أحدهم . إن لم يقل الضمير شيئاً ضد هذه الخطية أعتبر منحرفاً أو مغلوباً ، أعتبر منحرفاً إن لم يحتج ضد الخطية ، مغلوبا إن لم ينجح فيما يقول .

(٢) كل ما يوصل إليها . كتغذية العين بالنظر إلى ثمرة المحرمة . وليس المقصود مجرد النظر لكي أشتهى بل النظر إلى أن أشتهى ، أو النظر لاشباع الشهوة حيث لا يمكن ايجاد اشباع آخر . العين مدخل ومخرج للكثير جداً من الشر فى هذه الناحية ، تأمل فى زوجة فوطيفار تك ٣٩ : ٧ ، وشمشون قض ١٦ : ١ ، وداود ٢ صم ١١ : ٢ . نقرأ عن « العيون المملوءة فسقاً التى لا تكف عن الخطية » ٢ بط ٢ : ١٤ . إذاً فنحن فى أشد الحاجة « لقطع العهد لأعيننا » مع أيوب البار لكي لا تتلذذ إلا بالنظر إلى نور الشمس وأعمال الله ، على شرط أن لا توجه إلى أى شيء

يحرك فيها الأفكار الدنسة أو الأميال الفاسدة ، وعلى أن نسلط عليها سيف هذا التهديد وهو أنها أن انحرفت وجب أن تكتوى بدموع التوبة أى ٣١ : ١ . ما هى الحكمة من خلق جفون العين إلا لمنع النظرات النجسة وإبعاد كل المؤثرات المفسدة .

هذا يمنع أيضاً استعمال أى شيء آخر من حواسنا لتحريك الشهوة . ان كانت النظرات المغرية هى ثمرة محرمة فبالأولى جداً تلك الأحاديث الفاسدة والمداعبات المجونية التى هى الوقود والمنفاخ لهذه النار الجهنمية .

هذه الوصايا هى حواجز وأسوار لضمان نقاوة القلب ع ٨ . وان اعتبر النظر شهوة فإن اللاتى تلبس الملابس الفاخرة وتتنزين وتستعرضن أنفسهن بقصد إلفات النظر إليهن واشعال الشهوة نحوهن كايزابل التى « كحلت بالأثمد عينيها (١) وزينت رأسها وتطلعت من كوة » ٢ مل ٩ : ٣٠ — هؤلاء لا يقل جرمهن عن شهوة النظر . ان البشر يرتكبون الخطية أما الشياطين فهى التى تغرى لارتكاب الخطية

٢ — ان مثل هذه النظرات والمداعبات خطرة جداً ومهلكة للنفس لدرجة أنه خير للانسان جداً أن يفقد العين أو اليد التى ارتكبت الشر من أن يفتح الباب للخطية ويهلك فيها إلى الأبد . هذا الدرس نراه هنا فى ع ٢٩ و٣٠ . ان الطبيعة الفاسدة تثور سريعاً ضد الوصايا التى تنهى عن زنى القلب ، ولذلك فمن المستحيل أن تخضع لها . « هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه » يو ٦ : ٦٠ أن اللحم والدم لا يمكن إلا أن ينظرا بلذة للمرأة الجميلة ، ومن المستحيل الامتناع عن اشتهائها . قد يصعب دفع هذه الاعتراضات بالعقل والاقناع ، ولذلك يجب دفعها « بخوف الرب » وهذا ما نراه هنا :

(١) انها عملية قاسية تلك التى يصفها هنا المسيح لكبح هذه الشهوات الجسدية . « **ان كانت عينك اليمنى تعثرك** » تسبب لك السقوط فى العثرات ، بالنظرات الفاسدة التى قد تأتى اعتباطا ، أو بمحاولة النظر بنظرات فاسدة لكل محرم ، « **وان كانت يدك اليمنى تعثرك** » تسبب لك السقوط فى العثرات ، بالمداعبات الفاسدة ، وإن كان مستحيلا حقا — كما يدعى البعض — ضبط العين واليد لأنهما قد تعودتا هذه العادات القبيحة ولا يمكن منعهما عنها ، وإذا لم تكن هناك وسيلة أخرى لضبطها — وشكراً لله لأنه بنعمته توجد طرق كثيرة — فخير لنا قلع العين وقطع

(١) أو « لونت وجهها » حسب الترجمة الانكليزية

اليد ، ولو كانت العين اليمنى واليد اليمنى ، وهما أنفع الأعضاء وأكثرها كرامة ، من أن تتلوثا بالخطية لهلاك النفس « **فاقلعها ... فاقطعها** » .

وإن كان من الضرورى الخضوع لهذه الوصية ، وهذا ما تفزع منه الطبيعة جداً فحرى بنا « أن نقمع الجسد ونستعبده » ان نحيا حياة إنكار الذات وإماته الشهوات ، أن نسهر دواماً لحراسة قلوبنا لكى نبعد عنها كل ما يحرك فيها الشهوة ويجرها إلى النجاسة ، أن نتجنب كل مسببات الخطية بمقاومة كل ما يحركها والابتعاد عن عشرة أولئك الذين يكونون غواية لنا مهما كانوا محبوبين إلينا ، أن نتنكب عن طريق الخطر ونبتعد حتى عن الأمور المشروعة إن وجدنا أنها مغرية لنا على الشر ، أن نطلب من الله لكى يهبنا نعمته وأن نتكل على هذه النعمة كل يوم وهكذا « نسلك فى الروح فلا نكمل شهوة الجسد » ـــ كل هذا يفعل فينا كقلع العين اليمنى أو قطع اليد اليمنى ، و يؤثر فى إماتة شهوات اللحم والدم ، هو إبادة الإنسان العتيق .

(٢) إنه لتعليل مدهش ذلك الذى يستخدم هنا لتعزيز هذه النصيحة ع ٢٩ ثم يكرر هذا التعليل بنفس الكلمات فى ع ٣٠ لأننا لا نميل لسمع نصائح قاسية كهذه أش ٣٠ : ١٠ « **خير لك أن يهلك أحد أعضائك** » ولو كان عيناً أو يداً لأن الاحتفاظ بهما يؤدى إلى أسوأ النتائج . « **ولا يلقى جسدك كله فى جهنم** » .

ملاحظات : ـــ

[١] ليس مما يعيب خادم الانجيل أن يعظ عن جهنم وعن الهلاك ، بل يجب أن يفعل هذا لأن المسيح نفسه فعل كذلك ، ونحن لا نكون أمناء فى وكالتنا إن لم نحذر من « الغضب الآتى » .

[٢] هنالك بعض الخطايا التى يجب أن نخلص منها « بالخوف » يه ٢٣ خصوصاً « الشهوات الجسدية » التى هى « كحيوانات غير ناطقة طبيعية » ٢ بط ٢ : ١٢ لا يمكن كبح جماحها إلا بالتخويف والتهديد ، ولا يمكن إبعادها عن الشجرة المحرمة إلا بكروبيم ولهيب سيف .

[٣] عندما نجرب بهذه الفكرة وهى أنه من الصعب أن ننكر ذواتنا وأن نصلب شهوات الجسد فيجب أن نذكر كيف أنه من الأصعب أن نلقى إلى الأبد فى « البحيرة المتقدة بالنار والكبريت » . إن الذين يفضلون الهلاك الأبدى فى تلك النيران المتقدة عن كبح جماح أنفسهم وعن تلك الشهوات البهيمية السافلة لا يعرفون شيئاً عن جهنم أو لا يصدقون شيئاً عنها .

[٤] إنه سيكون هنالك تعذيب للجسد فى جهنم « يلقى جسدك كله فى جهنم » ،

وسيكون هنالك تعذيب لكل جزء فيه « جسدك **كله** » فإن أردنا العناية بأجسادنا « فليعرف كل واحد أن يقتني إناءه (أي جسده) بقداسة وكرامة لا في هوى شهوة » ١ تس ٤ : ٤ و٥ .

[٥] وحتى تلك الواجبات المؤلمة جداً للحم والدم هي لخيرنا « **خير لك** » . والمسيح لا يطلب منا شيئاً إلا ما يعرف أنه لخيرنا .

٣ ــ إن تطليق الرجل لامرأته بسبب بغضه لها أو لأي سبب آخر سوى الزنى ــ مهما كان الطلاق منتشراً بين اليهود ــ هو كسر للوصية السابعة لأنه يفتح الباب للزنى ع ٣١ و٣٢ . لاحظ هنا :

(١) كيف كان الموقف وقتئذ بإزاء الطلاق . « **وقيل** » ولم يقل « وقيل للقدماء » كالمرات السابقة لأن هذه ليست وصية كالوصايا السابقة ، ولو أن الفريسيين كانوا يريدون أن يفهموا بأنها وصية مت ١٩ : ٧ ولكنها كانت مجرد « إذن » مت ١٩ : ٨ .

« **من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق** » لا يظن بأنه يستطيع أن يطلقها بكلمة شفوية إن كان في حالة غضب بل ليفعل ذلك بترو ، بطريقة قانونية ، كتابة ، وبتصديق وتأييد بعض الشهود . إن أراد أن يقطع الرباط الزوجي فليفعل ذلك بمنتهى الدقة والحذر ، وهكذا كان الناموس يحذر من التعجل في الطلاق ، ولعل الطلاق كان نادراً جداً في بدء الأمر عندما كانت الكتابة قليلة الاستعمال بين اليهود ، ولكنه كثر ذيوعه على ممر الأيام ، وبدلا من الالتجاء اليه بالطرق القانونية للأسباب المعقولة أصبحوا يكتفون بمجرد الحصول على إذن به ولأي سبب مت ١٩ : ٣ .

(٢) كيف أصلح المخلص هذا الأمر وعدله . لقد أعاد ترتيب الزواج إلى وضعه الأول « يكون الاثنان جسداً واحداً » لا يفصل بسهولة ولذلك يجب أن لا يسمح بالطلاق « **إلا لعلة الزنى** » الذي يقطع عهد الزيجة . ولكن « من طلق امرأته » لأية علة أخرى « **يجعلها تزني** » وكذلك « **من تزوج مطلقة فإنه يزني** »

(ملاحظة) إن من يدفع الآخرين للخطية أو يتركهم فيها أو يعرضهم لها يشترك في إثمهم ويحاسب عن خطيتهم . هذه إحدى طرق مشاركة الزناة في خطيتهم مز ٥٠ : ١٨ .

٣٣ ــ أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك ٣٤ ــ وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله ٣٥

ـ ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه . ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ٣٦ ـ ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ٣٧ ـ بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

وهنا نرى تفسيراً للوصية الثالثة التى يجدر بنا فهمها جيداً أكثر من غيرها لأنه قيل بنوع خاص « إن الرب لا يبرىء » من كسر هذه الوصية بأن « نطق باسمه باطلا » مهما برأ هو نفسه خر ٢٠ : ٧ . والآن لنتأمل فى هذه الوصية :

(١) يتفق الجميع على أن هذه الوصية « لا تحنث » تنهى عن اليمين الكاذبة ، الإنكار باليمين ، والحنث باليمين ونكث العهد ع ٣٣ . هذا ما قيل للقدماء ، وهذا هو القصد الحقيقى للوصية الثالثة . « لا تنطق باسم الرب إلهك (بالحلف) باطلا » أو للباطل أو كذباً . فى مز ٢٤ : ٤ يفسر المرنم هذه العبارة « الذى لم يحمل نفسه إلى الباطل » بالعبارة التالية « ولا حلف كذباً » . إن اليمين الكاذبة خطية يشجبها نور الطبيعة باعتبارها مظهراً من مظاهر عدم الولاء لله وعدم الإنصاف للإنسان ، و باعتبارها تعرض الإنسان جداً للغضب الإلهى الذى كانوا يعتقدون بأنه لا بد يتبع تلك الخطية على الدوام ، لأن صيغة القسم تحول عادة إلى لعن فكأن يقول الواحد مثلا « هكذا يفعل الله بى وهكذا يزيد » أو كما نقول نحن « هكذا يعيننى الله » أى « لا أنال معونة من الله إن كنت أقسم كذباً » . بذلك جلب الناس اللعنة على أنفسهم ـ برضاء الأمم والشعوب ـ إذ أنهم يشكون فى أن الله يجلب عليهم اللعنة إذا هم كذبوا على الحق وذلك عندما يدعونه ليكون شاهداً عليهم .

و يضيف على هذه الوصية فقرة أخرى مقتبسة من سفر آخر « **بل أوف للرب أقسامك** » عد ٣٠ : ٢ . وهذه قد يكون المقصود بها .

١ ـ تلك العهود التى أصبح الله فيها طرفاً ، تلك النذور التى قطعت أمام الله . وهذه يجب أن توفى فى حينها جا ٥ : ٤ و٥ .

٢ ـ أو تلك العهود التى قطعناها لإخوتنا وأشهدنا الله علينا فيها ، إذ لجأنا إليه ليشهد على إخلاصنا . هذه يجب أن توفى « للرب » أى ناظرين إلى الرب ، ومن أجل الرب . لأننا جعلنا أنفسنا مدينين له إذ أكدنا العهد بقسم . وإن كسرنا عهداً أكدناه بهذه الطريقة فإننا لا نكذب على الناس فقط بل على الله أيضاً .

(٢) ثم إن هذه الوصية أيضاً لا تنهى عن الحلف الكاذب فقط بل تنهى عن التعجل فى القسم ، وعن القسم الذى لا داعى له . **لا تحلفوا البتة** » ع ٣٤ . قارن هذه بما ورد فى يع ٥ : ١٢ .

كان قصد المسيح فى هذا الصدد :

١ ـــ أننا يجب أن لا نحلف « البتة » . قد يطلب منا الحلف ولكن يجب أن لا نحلف البتة . يجب أن لا ندفع أنفسنا للحلف لمصلحتنا العالمية .

٢ ـــ يجب أن لا نستهتر بالحلف فى أحاديثنا العادية . إنها لخطية عظيمة أن نلجأ باستخفاف لإسم الله المجد الذى يجب أن يكون ذكره دواماً بغاية التحفظ لأنه مقدس . الحنث تدنيس شنيع لاسم الله القدوس . هو خطية ليس لها عذر ولا مبرر ، ولذلك فهى علامة على انعدام النعمة من القلب الذى أمتلأ عداوة لله . « الذين يكلمونك بالمكر ناطقين بالكذب هم أعداؤك » ([١]) مز ١٣٩ : ٢٠ .

٣ ـــ إننا بنوع خاص يجب أن نتجنب الأقسام التى نقطع بها العهود على أنفسنا ، وهذه هى التى يشير اليها المسيح هنا ، لأن العهد يجب أن يتمم . إن تأثير الأقسام التى تستخدم للتأكيد يزول حالا عندما نكتشف الحق أو كل الحق بأمانة ، أما الأقسام التى نرتبط فيها بعهد فإننا نرتبط بها طويلا . إن فى عادة الحلف مسبة وعاراً على المسيحين الذين يجب ان يتصفوا بالصدق والأمانة والذين يجب ان ينظر الى كلماتهم العادية كأنها كلمات مقدسة بل كأنها اقسام مغلظة .

٤ ـــ ويجب ان لا نحلف بأية خليقة . و يبدو أنه كان يوجد البعض ممن لا يحلفون باسم الله توقيراً لهذا الاسم ـــ كما كانوا يظنون ـــ بل « **بالسماء والأرض إلخ** » . وهذه ينهى عنها المسيح هنا ع ٣٤ و يبين انه لا يوجد شىء نحلف به لا يتصل بالله بأية طريقة لأنه هو أصل كل الكائنات ، ولذلك فإن حظر الحلف بها كحظر الحلف بالله نفسه . هذه المخلوقات لا يمكن أن تكون وسيلة لتأكيد الحق إلا باعتبارها متصلة بالله الذى هو الحق الأعظم . وهنا يقدم لنا أمثله من المخلوقات .

---

(١) أو « لأنهم يتكلمون ضدك بالشر ، وأعداؤك ينطقون باسمك باطلا » حسب الترجمة الإنكليزية .

(١) « **لاتحلفوا بالسماء** » كأن تقولوا : إننا واثقون من صدق ما نقول كوثوقنا من وجود سماء . « **لأنها كرسي الله** » الذى يجلس عليه والذى يظهر بنوع خاص مجد الله كملك استوى على كرسيه (عرشه) . إن كانت هذه هى عظمة السماء فإنكم إن حلفتم بها حلفتم بالله نفسه .

(٢) « **ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه** » هو يحكم حركات هذا العالم السفلى . وكما يملك في السماء فهو يملك على الأرض . ومع أنها تحت قدميه إلا انها أيضا تحت نظره وتحت رعايته . وهى ملك له . مز ٢٤ : ١ « للرب الأرض » فإن حلفتم بها حلفتم بمالكها .

(٣) « **ولا بأورشليم** » وهى مكان كان يجله اليهود أيما اجلال حتى أنهم كانوا لا يجدون أقدس منه ليحلفوا به . وفضلا عن صلة أورشليم العاديلا بالله كجزء من الارض فإن لها صلة خاصة به « **لأنها مدينة الملك العظيم** » مز ٤٨ : ٢ « مدينة الله » مز ٤٦ : ٤ لذلك فإنه يهتم بها و بكل يمين يقسم بها .

(٤) « **ولا تحلف برأسك** » فإنها ولو كانت قر يبة منك وجزءا ضرور ياً منك إلا أن اتصالها بالله أكثر من اتصالها بك ، لأنه خلقها وكون كل قواتها ومواهبها ، أما أنت فإنك لا تستطيع بقوتك تغيير **لون** « **شعرة واحدة** » وتجعلها « **بيضاء أو سوداء** » لذلك فإن حلفت برأسك حلفت بالله الذى هو « حياة رأسك » و « رافع رأسك » مز ٣ : ٣ .

٥ ـــ من أجل هذا يجب ان نكتفى فى كل أحاديثنا بـ « نعم نعم لا لا » ع ٣٧ . إن أردنا تأكيد أى قول فى أحاديثنا العادية فلنكتف بالقول « نعم » إن الأمر كذلك . وإن لزم الأمر لإظهار تأكدنا من أى شيء فيمكن تكرار الكلمة « نعم نعم » يقيناً أن الأمر كذلك ، كما كان المسيح يقول « الحق الحق » بدلا من « نعم نعم » . وكذلك إن أردنا نفى أمر فيكفى أن نقول « لا » وإن لزم الأمر لتكرار النفى فلنكرر الكلمة « لا لا » . وإن كان الآخرون يعهدون فينا الصدق والأمانة ففى هذا كل الكفاية لتصديقنا ، وإن طلب منا تأييد كلامنا بقسم فهذا بمثابة تعر يضه لز يادة الشك فيه . إن الذين يستطيعون أن « يبلعوا » قسما كاذباً سوف لا « يصفون » كذبا .

والسبب ظاهر لأن « **مازاد على ذلك فهو من الشر ير** » ولو لم يصل الى مقدار شر القسم « فهو من الشر ير » صادر عن ابليس الشر ير ، عن فساد طبيعة البشر ، عن العاطفة والتسرع ، عن بطل الذهن ، عن الاستهتار بالأشياء المقدسة ، عن الغواية التى فى البشر « كل انسان كاذب » مز ١١٦ : ١١ لذلك يستعمل البشر تلك التأكيدات لعدم ثقتهم فى بعضهم ولتوهمهم بأنهم لا يمكن تصديقهم بدون التأكيدات .

(ملاحظة) يجب على المسيحيين — من أجل خير مسيحيتهم — لا أن يتجنبوا كل ما هو شر فى حد ذاته فقط بل كل ما هو « من الشرير » وكل ما له صورة الشر . وكل ما يصدر عن سبب شرير يحق لنا أن نشك فى انه شرير . القسم عرض ، ولذلك فهو يحتم وجود مرض داخلى .

٣٨ — سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ٣٩ — وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر ايضاً ٤٠ — ومن أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ٤١ — ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين ٤٢ — من سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده

وهنا نرى المسيح يفسر ناموس الأخذ بالثأر أو مقابلة المثل بالمثل ثم ينسخه على نوع ما . لاحظ هنا :

(١) ماذا كان يسمح به العهد القديم فى حالة الضرر . وهنا نلاحظ دقة التعبير « **سمعتم انه قيل** » ولم يقل كما قال سابقاً عن الوصايا العشر « سمعتم أنه قيل للقدماء » . لم تكن هذه أمراً بأن يطلب كل واحد مثل هذه الترضية ، ولكنها كانت تشريعا يصح أن يلجأوا إليه إن أرادوا « عين بعين وسن بسن » وهذه نجدها فى خر ٢١ : ٢٤ ، لا ٢٤ : ٢٠ ، تث ١٩ : ٢١ . وفى كل هذه المواضيع نرى أن المقصود بها أن يترك العمل بها للقاضى أو الحاكم الذى « لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب » رو ١٣ : ٤

وضع هذا التشريع لإرشاد القضاة فى الأمة اليهودية عن القصاص الذى يوقع فى حالة تشويه أى عضو ، وذلك لإرهاب الذين يفكرون فى ايقاع أى أذى بالآخرين ، ومن الناحية الأخرى لكبح جماح الذين قد يساء اليهم لكى لا يفكروا فى ايقاع أذى أشد بمن أساء اليهم . فالتشريع لم يقل « حياة بعين » أو « عضو بسن » ولكن لاحظ التناسب « عين بعين ... الخ » . والمفهوم ضمناً (عد ٣٥ : ٣١) أن الخسارة فى هذه الحالة كان يمكن تعويضها بالمال . لأنه إن كان المشرع قد قال فى الآية المشار اليها « لا تأخذوا فدية عن نفس (أو حياة) القاتل المذنب للموت بل أنه يقتل » فالمفروض أن العاهات كان يمكن أن تفدى بتعويضات مالية .

على أن بعض معلمى اليهود الذين لم تعرف الشفقة مكاناً فى قلوبهم أصروا على ضرورة

تنفيذ ذلك التشريع حرفياً ولو بواسطة الأفراد أنفسهم دون أن يترك أى مجال للصفح أو قبول أى تعويض . وحتى فى وقت مجىء المسيح إذ كان اليهود تحت حكم الولاة الرومانيين (و بالتالى بطل استعمال شريعة الناموس القضائية) كانوا لا يزالون غيورين على كل ما كان ظاهر القسوة والعنف .

وإلى الآن لا يزال هذا التشريع مستعملا كمرشد للقضاة والولاة ليمسكوا سيف العدل طبقاً لقوانين البلاد الصالحة السليمة لإرهاب فاعلى الشر وانصاف المظلومين . فذلك القاضى الذى لم ينصف الأرملة من خصمها كان « لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً » (لو١٨ : ٢ و٣) . ولا يزال مستعملا كقاعدة للمشرعين ليكون نصب أعينهم فى القوانين التى يشرعونها ولضمان وضع القصاصات التى تتناسب مع الجرائم ، للحد من أعمال العنف والظلم والقسوة ، ولحماية الأبرياء .

(٢) ما هى وصية العهد الجديد فيما يختص بالمشتكى نفسه . إن واجبه هو الصفح عن الاساءة التى ارتكبت ضده وعدم الاصرار على الاقتصاص منها أكثر مما يستلزمه الصالح العام . وهذه الوصية تتفق مع وداعة المسيح وخفة نيره . وهنا يعلمنا المسيح أمرين :

١ ـــ يجب أن لا نكون محبين للانتقام ع ٢٩ « **وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر** » أو الشرير الذى يؤذيكم . هنا نرى نهياً واضحاً صريحاً عن مقاومة أى تدبير شرير ضدنا كمقاومة السلطان (رو١٣ : ٢) . ومع ذلك فإن هذا لا ينقض ناموس حفظ النفس ولا يتناقض مع واجبنا نحو العناية بعائلاتنا . يجوز لنا أن « نتجنب » الشر ويجوز لنا أن « نقاومه » على قدر ما تستلزمه سلامتنا . ولكن لا يجوز لنا أن « نقاوم الشر بالشر » ، أو نحمل الحقد والضغينة فى قلوبنا نحو الآخرين ، أو نحاول الإنتقام لأنفسنا أو نعامل الذين أساءوا الينا بمثل معاملتهم لنا ، بل يجب أن نسمو عليهم بالصفح عنهم (أم ٢٠ : ٢٢ ، ٢٤ : ٢٩ ، ٢٥ : ٢١ و٢٢ ، رو ١٢ : ١٧) .

يجب أن يتمشى ناموس مقابلة المثل بالمثل مع ناموس المحبة . وإن أساء الينا أحد فيجب أن لا ننتقم لأنفسنا بأنفسنا بل لنترك الانتقام لله (الذى يجب أن نعطى مكاناً لغضبه) ، وأحياناً لوكلائه إذا لزم الامر لحفظ السلام والأمن العام . ولكن لا يبررنا مطلقاً فى الاعتداء على أخينا أن نقول بأنه هو البادىء بالظلم ، لأن اللطمة التالية هى التى ينشأ عنها العراك . بل إذا أوذينا فيجب أن نتخذ من ذلك فرصة لا لنبرر اذاءتنا للمسىء بل بالحرى لاظهار أنفسنا بأننا تلاميذ المسيح بالحق وذلك بالصفح عنه .

وهنا يخصص المسيح ثلاثة أمور يجب أن يتحملها المسيحيون بالصبر ممن يسيئون اليهم بدلا من أن يتنازعوا معهم . وتحت هذه الأمور الثلاثة تنطوى أمور أخرى غيرها :

(١) صفعة على الخد . وهذه ايذاء لى فى جسدى . « **من لطمك على خدك الأيمن** » وهذه ليست ايذاء فقط بل اساءة وإهانة وتحقيراً (٢ كو ١١ : ٢٠) . إن أساء اليك شخص بغضب أو تحقير « **فحول له الآخر أيضا** » أى عوضاً عن الانتقام بسبب هذه الاساءة استعد لغيرها واحتملها بالصبر ، لا ترد على الشر بر ما أساء به اليك ، لا تقم من نفسك خصما له ولا تنزل معه فى ميدان العراك ، ولا تقدمه للمحاكمة . ولكن إن كان ضروريا لحفظ السلام والأمن العام أن يجازى حسب اعماله فاترك ذلك للقضاء . أما من جانبك أنت فإن أسلم وأحكم طريقة أن تمر على الاساءة مروراً عابراً دون أن تتنبه اليها . لم يكسر لك عظم ولم يلحق بك أذى يذكر فاصفح عن الاساءة وتناسها . وان كان المتكبرون الأغبياء يسيئون الظن بك و يضحكون عليك بسبب ذلك فإن جميع العقلاء يقدرون موقفك و يعلون قدرك و يدركون يقيناً بأنك من أتباع المسيح الذى لم يضرب أولئك الذين ضربوه بقضيب على خده مع أنه كان قاضى اسرائيل (مى ٥ : ١) .

ورغماً عن أن هذا التصرف قد يعرضنا لنفس الاساءة مرة أخرى من بعض النفوس الوضيعة ، وهذا هو الواقع فعلا بتحويل الخد الآخر ، ولكن يجب أن لا يزعجنا ذلك بل لنثق فى الله وفى عنايته ليحفظنا فى طريق تأدية الواجب . وإن كان الانتقام من اساءة يجر غيرها فان الصفح عن اساءة قد يمنع غيرها ، لأن بعض الأشخاص يغلبون باللين والصفح ، ولكنهم يزدادون هيجاناً واضطرابا بالمقاومة (أم ٢٥ : ٢٢) .

وعلى أى حال فإن جزاءنا موضوع فى يد المسيح الذى سوف يجازينا بالمجد الأبدى من أجل العار الذى نتحمله هكذا بالصبر ، وحتى إن كان هذا العار لا يلحق بنا مباشرة إلا أننا إذا تحملناه بهدوء وصبر من أجل الضمير وتمثلا بالمسيح فإنه سوف يحسب ضمن تألمنا من أجل المسيح .

(٢) خسارة الثوب . وهذه ايذاء فى متاعى ع ٤٠ « **ومن أراد أن يخاصمك (١) ويأخذ ثوبك** » هذه حالة ألية .

(ملاحظة) لا يلجأ البشر للقضاء عادة إلا إذا أوذوا ايذاء شديداً . ومع أن المفروض فى القضاة أن يكونوا عادلين ومتيقظين وحريصين إلا أن بعض الأشرار منهم قد لا يبالون بالأكاذيب ولا يراعون إلا قوة القانون فيجردون الانسان من ثوبه . « فلا ترتع من الأمر » (جا ٥ : ٨) بل

---

(١) أو « ومن أراد أن يقاضيك » (أى يجرك إلى القضاء) حسب الترجمة الانكليزية والترجمة القبطية

فى هذه الحالة عوضاً عن الالتجاء إلى القضاء للانتقام منه ، وعوضاً عن تقديم مستنداتك للقضاة ، أو المقاومة إلى الحد الأقصى ، دفاعاً عن حقك الذى لا ريب فيه ، « **فاترك له الرداء أيضاً** » أو دعه يأخذ حتى الرداء أيضا . إن كان الشيء الذى نخسره زهيداً ولا يسبب خسارة كبيرة لعائلاتنا فالأفضل جداً أن نسلم فيه حفظا للسلام . فشراء رداء آخر لا يكلفك ما تتكلفه لو أنك التجأت إلى القضاء لتسترده . ولذلك فطالما كنت لا تستطيع الحصول عليه بالطرق السلمية فالأفضل أن تتركه له .

(٣) السير ميلا بالاكراه ، وهذا ايذاء لى فى حريتى ع ٤١ « **من سخرك ميلا واحداً** » لقضاء مهمة له أو لانتظاره ، فلا تتذمر بل « **اذهب معه اثنين** » بدلا من المشاجرة معه . لا تقل : إنى كنت مستعداً أن أسير ميلا أو اثنين لو لم أجبر على ذلك لأننى أبغض أن أتمم أى أمر قسراً عنى . بل قل بالأحرى : إننى مستعد للقيام بالأمر تجنباً للمشاجرة . وخير لك أن تلبى نداء صديقك من أن تلبى شهوتى الكبرياء والانتقام الكامنتين فيك .

يظن البعض أن المقصود بهذه الآية هو أن اليهود كانوا يعلمون بأن تلاميذ الحكماء ودارسى الناموس يجب أن لا يلزموا كغيرهم بالسفر للقيام بالخدمات العامة ولذلك أراد المسيح أن لا يصر تلاميذه على هذا الامتياز بل الأفضل لهم أن يرضخوا لأوامر الحكومة من أن يغضبوها .

والخلاصة من كل هذا أن المسيحيين يجب أن لا يكونوا محبين للمشاكل والقضايا ، بل ليحنوا الرأس أمام الاساءات البسيطة ولا يلتفتوا اليها ، وإن كانت الاساءة مما يستلزم طلب التعويض فيجب أن يكون ذلك لغاية شريفة و بدون التفكير فى الإنتقام . وإن كان الواجب يقضى علينا أن لا نتسبب فى أن يسيء الآخرون الينا إلا أننا يجب أن نتقبل الاساءة بترحاب سيا عندما تأتينا بسبب تأدية واجبنا ، ويجب أن ننتفع منها . وإن قال قائل إن لحماً ودماً لا يقدران تحمل هذه الاساءات فليتذكر « أن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله » (١ كو ١٥ : ٥٠) .

٢ ــ ويجب أن نكون محسنين وفاعلين للخير ع ٤٢ . ليس مطلوباً منا فقط عدم إيقاع أى أذى لقريبنا بل أيضاً بذل الجهد لعمل كل ما يمكن من الخير له .

(١) يجب أن نكون مستعدين بأن نعطى « **من سألك فأعطه** » إن كانت لك قدرة على العطاء فاتخذ من سؤال الفقير فرصة لإتمام واجب الصدقة . عندما تسنح الفرصة للصدقة الحقيقية يجب أن نقدمها لدى أول طلب « أعط نصيباً لسبعة ولثمانية أيضاً » (جا ١١ : ٢) على أننا يجب أن ندبر أمورنا فى هذه الناحية بالحق والحكمة « سعيد هو الرجل الذى يترأف و يقرض ،

يدبر أموره بالحق » (مز ١١٢ : ٥) لئلا نعطى غير المستحقين والكسالى ما يجب تقديمه للمستحقين والمعوزين . وما يطلبه منا الله يجب أن نطلبه من أخوتنا المساكين « اسألوا تعطوا » .

(٢) يجب أن نكون مستعدين بأن نقرض . وهذه فى بعض الأحيان خدمة جليلة وعمل من أعمال الرحمة كالصدقة . لأنها لا تسد الضرورة الحالية فقط بل تلزم المقترض بالتدبير والنشاط والأمانة ولذلك « **فمن أراد أن يقترض منك** » شيئاً يقتات به أو يتاجر به « **فلا ترده** » خائباً . لا تتجنب أولئك الذين تعرف أنهم سيطلبون منك هذا الطلب ، ولا تدبر المعاذير التى ترد بها طلبهم . اجعل نفسك سهل الاتصال بك لكل « من أراد يقترض منك » . إن كان خجولا أو لا يجرؤ على كشف حالته أمامك وطلب المساعدة فإنك تعلم حاجته وتعلم رغبته ولذلك قدم له المساعدة . قال سنيكا « إننى أغلب قبل أن أسأل ، إننى أحقق الرغبات المناسبة قبل أن تقدم إلى » . فجدير بنا أن نسرع فى أعمال الرحمة لأن الله يسمعنا قبل أن نسأل « و يتقدمنا ببركات خير» (مز ٢١ : ٣) .

٤٣ ــ سمعتم أنه قيل تحب قريبك كنفسك وتبغض عدوك ٤٤ ــ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم ٤٥ ــ لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ٤٦ ــ لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ٤٧ ــ وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا ٤٨ ــ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل .

وأخيراً نرى هنا تفسيراً لذلك الناموس الأساسى العظيم المنقوش على اللوح الثانى والمتضمن فى هذه الوصية « **تحب قريبك** » التى فيها يكمل الناموس .

(١) أنظر هنا كيف أن تفسير معلمى اليهود أفسد هذه الوصية ع ٤٣ فقد قال الله « **تحب قريبك** » وقد حصروا القريب فى أبناء وطنهم وأمتهم وديانتهم فقط ، وفى من أرادوا أن ينظروا

إليهم كأصدقائهم . ولكن كان هنالك ما هو أشر ، فإنهم قد استنتجوا من هذه الوصية « تحب قريبك » مالم يقصده الله قط « **تبغض عدوك** » وكانوا ينظرون إلى من أرادوا بأنهم أعداؤهم . وبذلك أبطلوا وصية الله العظيمة بسبب تقليدهم مع أنه كانت هنالك وصايا صريحة ضد تعاليمهم الفاسدة هذه . « إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً ترده إليه . إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حله فلابد أن تحل معه » خر ٢٣ : ٤ و٥ « لا تكره أدوميا لأنه أخوك ، لا تكره مصرياً لأنك كنت نزيلا في أرضه » تث ٢٣ : ٧ رغم أن الادوميين والمصريين كانوا ألد الأعداء لهم .

صحيح أن الله قد أقامهم لإبادة أمم كنعان السبع وأمرهم بأن لا يتحالفوا معهم ، ولكن كان هنالك سبب خاص لذلك ، وهو أن يفسحوا المجال لإسرائيل ولكي لا يكونوا شركا وغواية لهم . ولكن كان من خطل الرأى جداً أن يستنتجوا من هذا أن يبغضوا كل أعدائهم . على أن الفلسفة الأدبية للأمم الوثنية أباحت هذا . فقد كانت القاعدة التي وضعها شيشرو « لا تؤذ أحداً إلا إذا أوذيت منه أولا » .

أنظر كيف تحاول الشهوات الفاسدة والأميال الجامحة أن تبحث عما يؤيدها في كلمة الله وأن « تتخذ فرصة بالوصية » لتبرر أنفسها

(٢) وانظر كيف أن وصية الرب يسوع الذى يعلمنا تعليما جديداً تفسر تلك الوصية على وجهها الصحيح « وأما أنا فأقول لكم » أنا الذى جئت لكى أكون واضع السلام الأعظم ومنشيء السلام ، أنا الذى أحبكم وأنتم بعد غرباء وأعداء « أقول لكم أحبوا أعداءكم » ع ٤٤ مهما كان الناس أشراراً في أنفسهم ، ومهما تمادوا في الشر من جهتنا ، فإن هذا ليس بكاف لتنحينا عن الدين العظيم الذى علينا من جهتهم وهو محبتنا لبني جنسنا ، محبتنا لأقاربنا .

نحن لا يمكن إلا أن نجد أنفسنا ميالين بطبيعتنا إلى أن نشتهى الشر للذين يبغضوننا و يسيئون الينا أو على الأقل لا نشتهى لهم الخير ، ولكن هذا يدل على أصل المرارة الكامنة فينا والتي يجب استئصالها ، وعلى بقية الطبيعة الفاسدة التي يجب التغلب عليها بالنعمة .

(ملاحظة) إن واجب المسيحيين العظيم هو أن « يحبوا أعداءهم » . نحن لا يمكن أن نجد ارتياحاً في شخص اشتهر بالشر والنجاسة ، ولا يمكن أن نضع ثقتنا في شخص كذوب مخادع ، ولا يمكن أن نحب جميع البشر بدرجة متساوية ، ولكننا يجب أن نحترم الطبيعة البشرية و بذلك « نكرم الجميع » ، يجب أن ننظر باهتمام و بسرور الى ما نجده حتى في أعدائنا من الصفات المحبوبة الجميلة ، كالذكاء ، والطبع الهادىء ، والعلم ، والفضائل الأدبية ، والعطف على

الآخرين ، والاهتمام بالأمور الدينية ، ويجب أن نحب هذه الصفات ولو كان حاملوها أعداء لنا . يجب أن نعطف عليهم ونحب لهم كل الخير . وهنا يخبرنا المسيح من جهتهم :

١ ــ يجب أن « نتحدث عنهم حسنا « **باركوا لاعنيكم** » . عندما نتحدث اليهم يجب أن نرد على شتائمهم ولعناتهم بكلمات الأدب والمحبة ولا نجازى احداً عن « شتيمة بشتيمة » . وراء ظهورهم يجب ان نمتدح كل ما نجده حسناً فيهم . وإذا ما تحدثنا عن كل شيء حسن فيهم يجب أن لا نتعدى هذا الحد بذكر شيء عن عيوبهم . انظر ١ بط ٣ : ٩ . فأولئك الذين « فى لسانهم سنة المعروف » أم ٣١ : ٢٦ يستطيعون أن يتحدثوا بكلام طيب لمن يتحدث اليهم بكلام شرير .

٢ ــ ويجب أن « نعمل » لهم حسناً « **أحسنوا إلى مبغضيكم** » وهذا أكثر دلالة على المحبة من الكلمات الحسنة ، كونوا مستعدين أن تعملوا معهم كل إحسان حقيقى تستطيعون أن تقدموه الى أجسادهم ، وثروتهم ، وسمعتهم ، وعائلاتهم ، و بنوع خاص لأرواحهم ، وافرحوا لأن الفرصة سمحت لكم بذلك . قيل عن أحد أولاد الله أن الطريقة التى كان يتبعها لاتخاذ صديق هى الإحسان لمن أساء اليه ، وما أكثر الذين أحسن اليهم ممن أساءوا إليه .

٣ ــ ويجب أن نصلى من اجلهم « **صلوا لأجل الذين يسئون اليكم و يطردونكم** » .

ملاحظتان :

(١) ليس جديداً على القديسين أن يبغضهم الأشرار ، أو يلعنوهم أو يضطهدوهم ، أو يطردوهم ، أو يسيئوا اليهم ، فإنه هكذا عومل المسيح .

(٢) إذا عوملنا بنفس هذه المعاملة فى أى وقت كانت لنا الفرصة لإظهار مقدار امتثالنا لوصية المسيح وتمثلنا بمثاله بالصلاة من أجل الذين يسيئون إلينا . إن لم توجد هنالك أية طريقة لإظهار محبتنا لهم فإننا نستطيع أن نظهرها بهذه الطريقة بدون تظاهر أو فخر ، وهذه الطريقة لا تصنع ولا تكلف ولا تظاهر فيها .

يجب أن نصلى لكى يصفح الله عنهم ، لكى لا يكون قصاصهم مريعاً من أجل إساءاتهم لنا ، ولكى يقرب الله بيننا و بينهم . والصلاة هى إحدى الطرق لإيجاد السلام بيننا و بينهم . نقل الينا « بلوتارك » فى « أقواله المأثورة الوجيزة » عن ارسطاطاليس أنه عندما امتدح أحدهم قول « كليومين » إذ سئل عما يجب أن يفعله الملك الصالح وأجاب قائلا « أن يحسن الى أصدقائه

و يسيء الى أعدائه » أجاب هو « بل الأفضل جداً أن نحسن الى أصدقائنا وأن نجعل من أعدائنا أصدقاء » . بذلك نجمع جمر نار على رؤوسهم .

وهنا يقدم لنا المسيح سببين لتعزيز هذه الوصية (محبة الأعداء) التى قد ترى ثقيلة على السمع :

[١] لكى نتشبه بالله أبينا « **لكى تكونوا** » لكى تبرهنوا على انكم « **أبناء أبيكم الذى فى السموات** » هل نستطيع أن ننسج على منوال أفضل أو نجد مثالا أكمل ؟ فى هذا المثال نجد المحبة الكاملة لأشر الأعداء تنم عن الطهارة المطلقة والقداسة المطلقة فإن الله « **يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » ع ٤٥ .**

(ملاحظات) الأولى ــ إن شروق الشمس وهطول الأمطار بركات عظمى على العالم ، تأتى من قبل الله . فالشمس هى « شمسه » والمطر يأتى من عنده . وهما لا يأتيان بمجرد ترتيب طبيعى ، أو مصادفة ، بل من الله .

الثانية ــ يجب اعتبار المراحم والبركات العامة كمظاهر وأدلة على صلاح الله الذى يظهر نفسه فيها جواداً كريما للبشرية التى لولا هذه البركات لصارت حالتها تعسة ، والتى لا تستحق أقل بركة منها .

الثالثة ــ وهذه البركات التى تغدق من قبل العناية العامة تسكب بدون تمييز بين « الأشرار والصالحين » أو بين « الأبرار والظالمين » لذلك فنحن لا نستطيع أن نعرف المحبة والبغضة بما هو أمامنا بل بما هو فى داخلنا ، ليس بإشراق الشمس فوق رؤوسنا بل بإشراق شمس البر فى قلوبنا .

الرابعة ــ إن أشر البشر يشتركون فى بركات هذه الحياة على السواء مع الآخرين ولو كانوا يسيئون التصرف فيها ويحاربون الله بأسلحته . وهذه مظهر عجيب جداً لصبر الله وجوده وكرمه . لم يحجب الله شمسه إلا مرة واحدة عن المصريين عندما كان هنالك نور للاسرائيليين فى مساكنهم . وكان ممكناً لله أن يعمل هذا التمييز كل يوم .

الخامسة ــ إن البركات التى يغدقها الله بجوده وكرمه على الأشرار المتمردين عليه تعلمنا أن « نحسن الى مبغضينا » ، متذكرين بنوع خاص أنه ولو كان فى داخلنا « اهتمام الجسد

(١) » الذى « هوعداوة لله » إلا أننا نشارك الله فى جوده وكرمه .

السادسة ــ إن الذين يحاولون التشبه بالله سيما فى صلاحه هم الذين يعتبرون أولاداً لله .

[٢] لكى بذلك نسموعلى الآخرين ع ٤٦ و٤٧ .

أولا ــ إن « العشارين » يحبون أصدقاءهم . الطبيعة تجعلهم يميلون هذا الميل ، والمصلحة الشخصية تدفعهم اليه . ان الإحسان لمن يحسن الينا ناموس عام للإنسانية . وهذا برهان كان يستطيع أن يقدمه حتى أولئك الذين كان اليهود يبغضونهم ويحتقرونهم على أنهم أفضل منهم . لم تكن سمعة العشارين حسنة ، ومع ذلك كانوا يعطفون على من يعينهم فى وظائفهم و يتلطفون على من يعتمدون عليهم ، أفلا يجدر بنا أن نكون أفضل منهم ؟ إن فعلنا هذا خدمنا أنفسنا وراعينا مصالحنا . وأى أجر ننتظره من هذا ما لم نراع أكثر من ميولنا الطبيعية ومصالحنا العالمية مدفوعين فى ذلك بتطلعنا الى الله وإحساسنا بالواجب « **أن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم. أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك** »

ثانياً ــ لذلك يجب أن نحب أعداءنا لكى نفضل « العشارين » إن كان يجب أن نفضل الكتبة والفريسيين فبالأولى العشارين .

(ملاحظة) إن المسيحية أسمى من الإنسانية . إنه لسؤال خطير ، ويجب أن نوجهه لأنفسنا دواما ، « ما الذى نفعله أكثر من الآخرين ، وأى شيء نتميز به ؟ » . إننا « نعرف » أكثر من الآخرين ، « ونتحدث » عن الأمور المختصة بالله أكثر من الآخرين « ونشهد » أكثر من الآخرين ، « وتعهدنا » بأمور أكثر من الآخرين ، والله عمل من أجلنا أكثر من الآخرين ، ولذلك فإنه بعدل ينتظر منا أكثر من الاخرين ، ومجد الله يطلب منا أكثر مما يطلب من الآخرين ، ولكن أى شيء نفعله أكثر من الآخرين ؟ ما هى النواحى التى نعيش فيها أسمى من مستوى أبناء هذا العالم ؟ ألسنا جسديين ، ألسنا نسلك كبشر دون مستوى المسيحيين ؟ يجب أن نفضل الآخرين فى هذه الناحية بنوع خاص ، وهى انه إن كان كل واحد يقابل الخير بالخير فيجب علينا نحن أن نقابل الشر بالخير ، و بذلك نبرهن على أننا أسمى مبدأ من معظم البشر .

يسلم الآخرون على إخوتهم ، يحيون من كان من حزبهم ومن طريقهم ومن رأيهم فقط ، أما نحن فيجب أن لا نحد من احترامنا بل لنحب أعداءانا وإلا فأى أجر لنا « **إن سلمتم على**

---

(١) أو « العقل الجسدى » حسب الترجمة الانكليزية رو ٨ : ٧ أو « فطنة الجسد » حسب ترجمة اليسوعيين .

الاصحاح السادس

بعد أن سلح المسيح تلاميذه ضد تعاليم الكتبة والفريسيين وآرائهم الفاسدة خصوصاً في تفسيرهم الناموس (وهذه هي التي دعاها المسيح « خمير الفريسيين » مت ١٦ : ١٢) يحذرهم في هذا الاصحاح من تصرفاتهم الفاسدة ، من الخطيتين اللتين ولو لم يبررهما في تعاليمه إلا أنهم ارتكبوهما في حياتهم العملية بشكل مزرجداً لدرجة أنهم كانوا يحببون الآخرين فيها . هاتان الخطيتان هما الرياء وشهوة العالم ، وما أشد حاجة المتدينين للتحذر منها أكثر من غيرهم لأنهما تحيطان بسهولة بأولئك الذين قد تخلصوا من النجاسات الأشد التي في العالم بالشهوة ، ولذلك فأن خطرهما عظيم جداً .

هنا يحذرنا المسيح (١) من الرياء . يجب أن لا نكون كالمرائين ، وأن لا نتصرف كما يتصرفون (أولا) في صنع الصدقة ع ١ ــ ٤ (ثانياً) في الصلاة ع ٥ ــ ٨ وهنا يعلمنا المسيح ماذا يجب أن نصلي من أجله وكيف يجب أن نصلي ع ٩ ــ ١٣ وأن نصفح في الصلاة ع ١٤ و١٥ (ثالثا) في الصوم ع ١٦ ــ ١٨ (٢) من شهوة العالم (أولا) في اختيارنا ، وهذه هي خطية المرائين المهلكة ع ١٩ ــ ٢٤ (ثانيا) في اهتماماتنا ، وهذه هي خطية الكثيرين من المسيحيين الصالحين التي تسبب لهم القلق والانزعاج ع ٢٥ ــ ٣٤

١ ــ احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات ٢ ــ فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يمجدوا من الناس . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم . ٣ ــ وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ٤ ــ لكي تكون صدقتك في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية .

وكما أننا يجب أن نتصرف أفضل من الكتبة والفريسيين في الإبتعاد عن خطايا القلب ، زنى القلب وقتل القلب ، كذلك يجب أن نتصرف أفضل منهم في حفظ ديانة القلب ، أن يكون كل ما نفعله صادراً من القلب ، من المبادىء الحية ، لكي نكون مقبولين أمام الله لا لكي نمتدح من الناس . أي اننا يجب أن نحذر من الرياء الذي هو خمير الفريسيين ، وأن نحذر كذلك من تعليمهم لو ١٢ : ١ . أن الصدقة والصلاة والصوم ثلاثة واجبات مسيحية هامة ، أو هي الأساسات الثلاثة للناموس . بها نؤدي الولاء والخدمة لله بعناصرنا الثلاثة الرئيسية ، فبالصلاة

إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون» . إن كنا لا نسمو عن مستوى أخلاق العشارين فلا ننتظر أجرنا كمسيحيين .

(ملاحظة) على الذين يمنون أنفسهم بأجر أوفر من الآخرين أن يبذلوا جهدهم ليعملوا أكثر من الآخرين .

(وأخيراً) يختم مخلصنا حديثه بهذه النصيحة ع ٤٨ « **كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل** » وهذه إما ان يكون المقصود بها :

أولا — المعنى العام . وهو يشمل كل الصفات التى يجب أن نتشبه بالله فيها كأبناء أعزاء .

(ملاحظة) أنه واجب على المسيحيين أن يشتهوا الكمال فى النعمة والقداسة ، وأن يكون ذلك الكمال غايتهم وأن يسعوا اليه فى ٣ : ١٢ — ١٤ . هنا يجب أن نسعى للتشبه بمثال أبينا السماوى ١ بط ١ : ١٥ و١٦ .

ثانياً — أو المعنى الخاص السابق ذكره وهو « الإحسان لأعدائنا » انظر لو ٦ : ٣٦ . من كمال الله الصفح عن المسيئين ، وإضافة الغرباء ، وعمل الخير للأشرار وغير الشاكرين ، ومن كمالنا أن نتشبه به . نحن الذين ندين بكل شىء لجود الله وكرمه يجب أن نتشبه به فى جوده على قدر استطاعتنا .

نعبده بأرواحنا ، و بالصوم نعبده بأجسادنا ، و بالصدقة نعبده بثروتنا . وهكذا يجب أن لا نحيد عن الشر فقط بل أن نفعل الخير أيضاً ، ونفعله حسناً ، و بذلك نسكن إلى الأبد مز ٣٧ : ٢٧

في هذه الأعداد يحذرنا المسيح من الرياء في صنع الصدقة . « **احترزوا** » وهذا التحذير يتضمن أن ما يحذرنا منه خطية : (أولا) نحن في خطر السقوط فيها . انها خطية ما كرة خبيثة . ان الغرور والتفاخر ومحبة الظهور تتسلل إلينا خلسة فيما نفعل قبل أن نتنبه . كان التلاميذ أنفسهم معرضين لهذه التجربة بالسلطان الذى منحوه لإجراء آيات وعجائب ، و باختلاطهم بالبعض ممن أعجبوا بهم و بالبعض الآخر ممن احتقروهم ، الأمر الذى كان يدعو في كلتا الحالتين أن يجربوا بأن يصنعوا منظراً حسناً في الجسد (ثانيا) وهذه الخطية تعرضنا لخطر شديد . « احترزوا » من الرياء ، لأنه ان ساد عليكم أهلككم . الذباب الميت يتلف كل الصندوق المحتوى طيب العطار جا ١٠ : ١ . وهنا نجد الكلام يتضمن أمرين :

(١) ان صنع « الصدقة » واجب عظيم ، ويجب أن يتزايد فيه جميع تلاميذ المسيح كل على قدر طاقته . هو واجب يحض عليه ناموس الطبيعة وناموس موسى ، وطالما شدد عليه الأنبياء . وقد وردت كلمة « صدقتكم » في بعض النسخ القديمة بمعنى « بركم » لأن الصدقة هي « بر » مز ١١٢ : ٩ ، أم ١٠ : ٢ . واليهود كانوا يدعون صندوق الفقراء « صندوق البر » . قيل عما يدفع للفقراء بأنه حق من حقوقهم « لا تمنع الخير عن أهله (أو « عن أربابه » حسب هامش الكتاب) » أم ٣ : ٢٧ . وان كان المراؤون قد أساءوا استعمال هذا الواجب اشباعا لكبريائهم فإن هذا لا يقلل من ضرورته وسموه . وان كان الباباويون قد جعلوا لأعمال الرحمة استحقاقاً خاصاً فإن هذا لا يليق أن يكون عذراً يحتج به غيرهم المقفرون من مثل هذه الأعمال الصالحة . صحيح ان صنع الصدقة في حد ذاته لا يورثنا السماء ولكنه صحيح أيضا اننا لا يمكننا دخول السماء بدونه . هذه هي « الديانة النقية » يع ١ : ٢٧ وستكون هي المحك في اليوم العظيم . والمفروض أن المسيح هنا يسلم بأن تلاميذه يعطون صدقة ، وانه لا يعترف بمن لا يعرفون هذا الواجب المقدس

(٢) وان لهذا الواجب أجراً عظيما ، وهذا الأجر يضيع إذا أتممنا الواجب برياء . قد يكون هذا الأجر أحيانا بازدياد الخيرات الزمنية (أم ٩ : ٢٤ و٢٥ ، ١٩ : ١٧) و بالتأمين ضد العوز (أم ٢٨ : ٢٧ ، مز ٣٧ : ٢١ و٢٥) و بالمعونة في وقت الضيق (مز ٤١ : ١ و٢) و بالكرامة والصيت الحسن اللذين يعطيان لمن لا يطمعون فيهما (مز ١١٢ : ٩) . وعلى أى حال فإن الأجر في قيامة الأبرار (لو ١٤ : ١٤) سيكون غنى جزيلا جداً . قال أحدهم « أن الثروة التى نتصدق بها هي الثروة الوحيدة الباقية »

وإذا علمنا ذلك لنتأمل فيما يلى :

١ ـــ كيف كان « **يفعل المراؤون** » ازاء هذا الواجب . انهم كانوا يتممونه فعلا ولكن ليس بدافع إطاعة الله أو محبة الانسان ، بل بدافع الكبرياء والمجد الباطل ، ليس للعطف على الفقير بل لمجرد الإفتخار وحب الظهور ، لكى « **يمجدوا من الناس** » كصالحين ، وبذلك ينالون مصلحة بتقدير الشعب الذين عرفوا كيف يكافئونهم و يردون لهم أكثر مما دفعوه . تمشياً مع هذه الغاية كانوا يفضلون أن يعطوا صدقتهم « **في الجامع وفى الأزقة** » حيث يتوفر أكبر عدد من الشعب « **لكى ينظروهم** » ويمدحوا سخاءهم لأنهم كانوا ينتفعون منه ولكنهم كانوا أغبياء حتى انهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا كبرياءهم البغيض . الأرجح جداً انه كانت تجمع الصدقات لأجل الفقراء فى الجامع وأن الشحاذين العاديين كانوا يرتادون الأزقة والشوارع الرئيسية ، وفى هذه الأمكنة المزدحمة كانوا يصنعون صدقاتهم . وليس معنى هذا أن المسيح يحذرنا من صنع الصدقة **حيث** يرانا الناس ، فهذا يجوز لنا عمله بل يجب علينا عمله ، ولكن المقصود هو تحذيرنا من صنع الصدقة « **لكى** » يرانا الناس . يجب ـــ على قدر الإمكان ـــ أن نختار أعمال الرحمة التى لا تلاحظ

كان المراؤون إذا أعطوا صدقة فى بيوتهم « **يصوتون قدامهم بالبوق** » تحت ستار دعوة الفقراء لينالوا نصيبهم ، والواقع ان ذلك كان للإعلان عن أعمالهم لكى يلاحظ الآخرون ما فعلوه فيكون موضوع حديثهم .

أما الحكم الذى يصدره المسيح عليهم فهو « **الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم** » . قد يرى لأول وهلة أن هذا وعد . لأنهم ان كانوا قد استوفوا أجرهم فهذا يكفى . ولكن لدى التأمل الدقيق نجد هنا كلمتين نحكم منهما أن هذا ليس وعداً بل وعيداً .

(١) انه أجر ولكنه « **أجرهم** » ليس هو الأجر الذى يعد به الله فاعلى الصالحات بل الأجر الذى يعدون به أنفسهم ، و ياله من أجر تافه . لقد صنعوا الصدقة لكى ينظرهم الناس ، وها قد نظرهم الناس فعلا . « بل هم اختاروا طرقهم (١) التى خدعوا أنفسهم بها ، وسينالون ما اختاروا . يشتهى مدعو المسيحية أن تكون لهم السيادة والكرامة والثروة ، « فتملأ بطونهم » من هذه الأشياء مز ١٧ : ١٤ ولكنهم يجب أن لا ينتظروا غيرها فإنها هى « عزاؤهم » لو٦ : ٢٤ و

---

(١) أو « ضلالاتهم » حسب الترجمة الانكليزية أش ٦٦ : ٣

« خيراتهم » لو ١٦ : ٢٥ وهى نصيبهم الوحيد . « أما اتفقت معى على دينار » هذا هو ألاجر الذى اتفقوا عليه وارتضوه .

(٢) انه أجر ولكنه أجر **زمنى** ، وهم قد « **استوفوا** » هذا الأجر وانتهى الأمر ، وليس لهم أجر آخر محفوظ للحياة الأخرى . انهم ينالون هنا كل ما يطمعون فى الحصول عليه من الله ، انهم ينالون أجرهم هنا دون توقع أجر آخر هناك . « استوفوا أجرهم » أى نالوا أجرهم كاملا . ان الأجر الذى يناله الصالحون فى هذه الحياة ان هو إلا أجر جزئى ، ووراءه أجر أجزل ، أجزل جداً . أما المراؤون فإنهم يستوفون كل اجرهم فى هذا العالم . هذا هو مصيرهم ، وهم الذين حددوه . العالم فرصة للإدخار للقديسين وفيه ينفقون أموالهم ، ولكنه « أجر » للمنافقين وهو نصيبهم

٢ ـــ ما هى وصية الرب يسوع المسيح عن هذا الواجب ع ٣ و٤ . ان من كان مثلا أعلى فى التواضع يحث تلاميذه بشدة على ضرورة التمسك به باعتباره ضرورياً جداً لقبول كل واجباتهم . « **لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك** » عندما تعطى صدقة . لعل هذه تشير إلى مكان وضع صندوق الفقراء الذى كانت توضع فيه التقدمات والذى كان يوضع على اليمين عند دخول الهيكل ،لكى توضع فيه التقدمات باليد اليمنى . أو لعل إعطاء الصدقة باليد اليمنى يشير إلى ضرورة الاستعداد لتقديمها والعزم على إعطائها ، إلى تقديمها بدقة ، بنية صادقة وليس بغرض ملتو يسارى . واليد اليمنى قد تستعمل فى مساعدة الفقراء ,رفعهم من سقطاتهم ، بالكتابة إليهم او من أجلهم ، بتضميد جراحاتهم ، و بطرق أخرى خلاف تقديم الصدقة إليهم . ولكن مهما يكن عمل الرحمة الذى تقدمه إليهم « فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك » ، اجعله فى طى الكتمان على قدر ما تستطيع . اعمل الرحمة لأنها « عمل حسن » لا لكى تعطيك « صيتاً حسناً » . وكما يقول المثل اللاتينى « يجب أن يكون الباعث لنا فى كل تصرفاتنا مراعاة الشخص الذى نقدم له المساعدة لا الشخص الذى يرقبنا » .

وهذه الآية تتضمن :

(١) اننا يجب أن لا نعرف الآخرين ما نفعله ، بل حتى أولئك الواقفين « على يسارنا » القريبين منا جداً . لنخف الأمر عنهم أن كان ذلك ممكناً بدلا من أن نعرفهم به . وعلى أى حال لنظهر رغبتنا فى إخفائه عنهم كأنهم لا يريدون معرفته تأدباً منهم ، وإن عرفوه فلنطلب منهم أن يحفظوه لأنفسهم دون ان يذيعوه

(٢) اننا يجب أن لا ننظر إليه نحن أنفسنا كثيراً ، فإن اليد اليسرى جزء منا . يجب أن لا نفتكر كثيراً فيما نعمله من خير ، يجب ان لا نمتدح أنفسنا أو نعجب بأنفسنا . ان الغرور

بالنفس ، والإعجاب بالنفس ، وعبادة النفس ، هذه كلها هى من أنواع الكبرياء ، وهى خطرة جداً كخطر التفاخر والتظاهر قدام الناس . إن الذين ينسون أعمالهم الصالحة يتذكرها الله لمجدهم وكرامتهم « متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً »

٣ ــ ما هو الوعد المقدم للمخلصين والمتواضعين فى هذا الواجب . عندما « **تكون صدقتك فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء** » يتطلع إليها

(ملاحظة) عندما نبالى نحن بأعمالنا الصالحة إلى أقل حد ممكن يبالى بها الله إلى أكبر حد . وكما يسمع الله الإساءات التى تلحقنا ولو لم نسمعها مز ٣٨ : ١٤ و١٥ كذلك يرى أعمالنا الصالحة ولو لم نرها . وكما انه يرعب المرائين أن يدركوا بأن الله يرى فى الخفاء فإن هذا تعزية للمسيحيين المخلصين .

ولكن الأمر لا يقتصر عند هذا الحد ، فإن الله لا يرى فقط ولا يمتدح فقط بل يكافىء أيضاً « **هو يجازيك علانية** »

(ملاحظة) ان الذين يجتهدون أن يزكوا أنفسهم أمام الله فى إعطاء الصدقة إنما يتجهون إليه كمجاز ومكافىء لهم . المرائى يتمسك بالظل أما المستقيم فإنه واثق من الحقيقة .

لاحظ كيف يعبر الكتاب عن هذه العبارة بكل تأكيد « هو (أى هو بنفسه) يجازيك » هو بنفسه سيكون المجازى عب ١١ : ٦ . دعه وحده يصنع الجزاء . بل هو نفسه سيكون الأجر والجزاء تك ١٥ : ١ « أجرك كثير جداً » . إنه سيجازيك كأب ، لا كسيد يجازى عبده كما يستحق لا أكثر ، بل كأب يمنح ابنه الذى يخدمه أكثر بكثير و بلا تعيير

بل انه يجازيك « علانية » ان لم يكن فى الدهر الحاضر ففى الدهر الآتى فى ذلك اليوم العظيم ، حينئذ يكون المدح لكل واحد من الله ، المدح « علانية » ، و يعترف بك « أمام الناس » . وان كان العمل لا يتم علانية فإن الأجر يعطى علانية وهذا أفضل جداً

٥ ــ ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فانهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس . الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم ٦ ــ وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية ٧ ــ وحينما تصلون لا تكرروا الكلام

باطلا كالأمم . فانهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم ٨ ــ فلا تتشبهوا بهم . لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه .

فى الصلاة نحن نتعامل مع الله مباشرة أكثر من الصدقة ، لذلك يجب أن نكون أكثر إخلاصاً ، وهذا ما يرشدنا إليه المسيح فى هذه الأعداد . « **ومتى صليت** » ع ٥ والمسلم به أن كل تلاميذ المسيح يصلون . حالما تجدد شاول قيل عنه « هوذا يصلى » . ان استطعت أن تجد مخلوقاً حياً لا يتنفس استطعت أن تجد مسيحياً حياً لا يصلى . « لهذا يصلى لك كل تقى » مز ٣٢ : ٦ . كل عديم الصلاة عديم النعمة . والآن « متى صليت **فلا تكن كالمرائين** » ولا تتصرف كما يتصرفون ع ٢ .

(ملاحظة) على الذين يريدون أن لا يتشبهوا بالمرائين فى طرقهم وأفعالهم أن لا يتشبهوا بهم فى مظهرهم وطباعهم .

لا يذكر المسيح أشخاصاً معينين ولكن يبدو مما ورد فى ص ٢٣ : ١٣ انه يقصد بالمرائين هنا الكتبة والفريسيين بنوع خاص

كانت هنالك غلطتان رئيسيتان لهؤلاء المرائين ، يحذرنا المسيح من كليهما هنا ، وهما المجد الباطل ع ٥ و٦ والتكرار الباطل ع ٧ و٨

(١) يجب أن نتجنب الكبرياء والمجد الباطل فى الصلاة ، ولا نهدف إلى أن يمتدحنا الآخرون . وهنا نلاحظ :

١ ــ أى طريق كان يسلكه المراؤون وكيف كانوا يتصرفون . ظاهر انهم فى كل ممارساتهم الدينية كانوا يقصدون ــ كغاية اساسية ــ ان يمتدحهم الآخرون و بذلك يخدمون مصلحتهم . عندما كانوا يتظاهرون بأنهم قد صعدوا بأرواحهم إلى السماء فى الصلاة كانت أعينهم تتطلع إلى أسفل نحو غاياتهم الأرضية . لاحظ :

(١) ما هى الأماكن التى كانوا يختارونها للعبادة . كانوا « **يحبون أن يصلوا فى المجامع** » التى كانت فعلا أمكنة مناسبة للعبادة الجمهورية ولكن ليس للعبادة الفردية . كانوا يدعون بذلك انهم يريدون أن يزيدوا أمكنة اجتماعهم كرامة ، ولكنهم كانوا فى الواقع يقصدون أن يزيدوا أنفسهم كرامة .

وكانوا يصلون « **فى زوايا الشوارع** » ، أو « الشوارع الفسيحة » كما يفهم من النص

الأصلي للكلمة ، التي يزدحم فيها الجمهور أكثر من غيرها . كانوا يتجمعون هنالك كأنهم تحت تأثير ديني لا يحتمل التأجيل ، ولكنهم في الواقع كانوا يقصدون أن يظهروا للآخرين . هنالك في « زوايا الشوارع » أو ملتقى شارعين لا يكونون على مرأى ممن يسيرون في كل من الشارعين فقط بل يكونون أيضاً أقرب ما يكون من كل من يمر بهم فيراهم و يسمعهم .

(٢) هيئتهم في الصلاة . إنهم كانوا يصلون « **قائمين** » أو « واقفين » هذا أمر شرعي ولائق في الصلاة (مر ١١ : ٢٥) « ومتى وقفتم تصلون » . على أن الركوع أكثر اتضاعا ووقاراً (لو ٢٢ : ٤١ ، أع ٧ : ٦٠ ، أف ٣ : ١٤) . وعلى أي حال فإن وقوفهم كان يشتم منه رائحة الكبرياء والثقة بالنفس (لو ١٨ : ١١) « أما الفريسي فوقف يصلي » .

(٣) كبرياؤهم في اختيار تلك الأمكنة العامة وهذا يعبر عنه بأمرين :

[١] إنهم « **يحبون** » أن يصلوا هناك . إنهم لم يحبوا الصلاة في حد ذاتها ولكنهم أحبوها إذ اعطتهم فرصة للظهور . قد تضطرنا الظروف أن نتمم أعمالنا الصالحة علانية فيراها الآخرون ويمتدحوننا ولكن الخطية والخطر عندما نحب ذلك ونسر به لأنه يشبع عاطفة الكبرياء فينا .

[٢] « **لكي يظهروا للناس** » لا لكي يكونوا مقبولين أمام الله بل لكي يعجب بهم الناس ويمتدحوهم ، ولكي تصل إلى أيديهم بسهولة ممتلكات الأرامل والأيتام لادارتها ، لأنه من ذا الذي لا يثق بهؤلاء الأتقياء المصلين ؟ ولكي يبتلعوا هذه الثروة — متى وصلت إلى أيديهم — دون أن يساء الظن فيهم (ص ٢٣ : ١٤) . وبالتالي لكي يتمموا مقاصدهم نحو استعباد الشعب .

(٤) نتيجة كل ذلك . « **أنهم قد استوفوا أجرهم** » قد استوفوا كل الأجر الذي يتوقعونه من الله عن خدمتهم ، و ياله من أجر تافه هزيل . ما الذي نستفيده من كل كلمة حسنة نسمعها من العبد رفيقنا إن كان سيدنا لا يقول « نعم ما فعلتم » . ولكن إن كنا في مثل هذه المأمورية الخطيرة التي تتم بيننا و بين الله (الصلاة) لا نبالي إلا بهذا الأمر التافه وهو مدح الناس فمن العدل أن لا ننال جزاء غيره . لقد كانوا يصلون « لكي يظهروا للناس » وهذا ما كانوا ينالونه ، وأي خير كان يعود عليهم من هذا ؟

(ملاحظة) إن الذين يريدون أن يزكوا أنفسهم أمام الله بنزاهتهم في تدينهم يجب أن لا يراعوا مدح الناس . فنحن لا نصلي للناس ، ولا ننتظر الجواب منهم ، وهم سوف لا يكونون ديانين لنا ، فهم إنما تراب ورماد مثلنا . ولذلك يجب أن لا تتطلع أعيننا اليهم . وكل مايتم بين نفوسنا و بين الله يجب أن يكون في الخفاء . وفي عباداتنا الجهورية يجب أن نتجنب كل ما يجعل

عبادتنا الفردية ظاهرة كاولئك الذين كانوا يصلون « لتسميع صوتهم فى العلاء » (أش ٥٨ : ٤) ليست الأمكنة العامة مناسبة للصلوات الفردية الخشوعية العميقة .

٢ ــ ما هى إرادة المسيح يسوع بإزاء هذا . إن الدرسين العظيمين اللذين يعلمنا المسيح إياهما هما التواضع والاخلاص . « وأما أنت فتى صليت » فافعل كذا وكذا ع ٦ « أنت » بالذات ، أنت فى صلا تك الشخصية . والمفروض هنا أن الصلاة الانفرادية يمارسها جميع تلاميذ المسيح . لاحظ هنا :

(١) الإرشادات التى يقدمها لنا عنها :

[١] عوضاً عن الصلاة فى الجامع وفى زوايا الشوارع « **ادخل إلى مخدعك** » إلى مكان تستطيع أن تعتزل وتختلى فيه . لقد خرج اسحق إلى الحقل (تك ٢٤ : ٦٣) والمسيح إلى جبل ، و بطرس إلى السطح . وأنك تستطيع أن تجد كل مكان لا ثقاً لهذه الغاية إن كان يتحقق الغرض منه .

(ملاحظة) يجب أن تؤدى الصلاة السر ية فى عزلة لكى لا يرانا أحد و بذلك نتجنب حب الظهور ، ويجب أن تؤدى فى مكان هادىء لا اضطراب فيه و بذلك نتجنب تشتيت الفكر ، ويجب أن تؤدى فى مكان لا نسمع فيه و بذلك نستعمل أقصى حر ية . ومع ذلك فإن حكمت الظروف بأن نصلى فى مكان لابد أن نكون ظاهر ين فيه فيجب أن لا نمتنع عن الصلاة لئلا يكون إهمالها جرماً أشد من ممارستها .

[٢] وعوضاً عن تأديتها لكى ينظرك الناس « **صل الى أبيك** الذى فى الخفاء » . إلىّ ، نعم إلىّ أنا (زك ٧ : ٥ و٦) . كان الفر يسيون يصلون إلى الناس أكثر مما يصلون إلى الله . ومهما كان شكل صلواتهم فان غايتها ان يلتمسوا المدح من الناس و ينالوا رضاهم . أما انت فصل إلى الله وفى هذا كل الكفاية لك . صل اليه « كأب » بل « كأبيك » ، وهو كأب مستعد أن يسمع وأن يستجيب ، وهو يميل أن يشفق وأن يعينك وان يعضدك . صل إلى أبيك « الذى فى الخفاء » .

(ملاحظة) فى صلواتنا السر ية يجب ان نتطلع الى الله على أساس انه حاضر فى كل مكان . هو حال فى « مخدعك » عندما لا تجد فيه آخر سواه ، هو « قر يب لكل الذين يدعونه » مز ١٤٥ : ١٨ .

بالصلاة السر ية نحن نعطى مجداً لله لأنه موجود فى كل مكان أع ١٧ : ٢٤ ونجد لأنفسنا تعز ية فى هذه الحقيقة .

(٢) المشجعات التى يقدمها لنا عنها هنا .

[١] « **أبوك يرى فى الخفاء** » عندما لا تتطلع اليك عين أى إنسان ليمتدحك تتطلع اليك عين الله ليقبلك . قال المسيح لنثنائيل « وانت تحت التينة رأيتك » يو ١ : ٤٩ . وهو قد رأى بولس يصلى فى بيت معين فى شارع معين أع ٩ : ١١ . إنه يرى كل الأشواق الخفية نحوه .

[٢] « **وهو يجازيك علانية** » إن الذين يمارسون الصلاة جهراً لا يضيع اجرهم ، وأنت كذلك لا يمكن أن يضيع اجرك إن مارستها فى الخفاء . والجزاء هنا ليس على سبيل الدين بل من نعمة الله لأنه أى استحقاق ندعيه عندما نرجو ونتوسل . والجزاء سيكون « علانية » فانك لا تناله فقط بل تناله بمجد وكرامة . إن الجزاء العلنى هو ما يصبوا اليه المراؤون ولكنهم لا يطيقون صبراً لانتظاره ، أما المخلصون الذين لا يفكرون فيه فانهم ينالونه و ينالون المز يد .

قد تنال الصلوات السر ية جزاء علنياً فى هذا العالم فى بعض الأحيان بأن يستجيبها الله ببركات عظيمة تميز اولاد الله المصلين فى نظر خصومهم . وعلى أى حال فانه سيكون هنالك جزاء علنى فى ذلك اليوم العظيم عندما يظهر جميع شعب الله المصلين ، « يظهرون فى المجد » مع الشفيع الأعظم .

كان الفر يسيون ينالون جزاءهم « أما كل المدينة » ولم يكن هذا الجزاء إلا كالبرق الخاطف أو الظل المائل ، أما المسيحيون الحقيقيون فإنهم سينالون أجرهم « أمام كل العالم » ، أمام الملائكة والناس ، وسيكون هذا « ثقل مجد أبدياً »

(٢) ويجب أن نتجنب « التكرار الباطل » فى الصلاة ع ٧ و٨ . ومع أن حياة الصلاة قائمة على رفع النفس وسكب القلب ، إلا أن للكلمات ضرورتها سيما فى الصلاة الاجتماعية ، لأن الكلمات لازمة فى هذه الحالة ، و يظهر أن المسيح يتحدث هنا بنوع خاص عن الصلاة الاجتماعية ، لأنه فى الآية السابقة يقول « ومتى صليت » وهنا يقول « **وحينما تصلون** » ، والصلاة الربانية التى تلى ذلك هى صلاة اجتماعية . وفى الصلاة الاجتماعية يتعرض الشخص الذى يتقدم الجماعة فى الصلاة لتجربة حب الظهور فى اللغة والتعبير ، ومن هذا يحذرنا المسيح هنا . « **لا تكرروا الكلام باطلا** » سواء كان الواحد منفرداً أو مع الجماعة . كانت عادة الفر يسيين أن « يطيلوا الصلوات » ص ٢٣ : ١٤ . كان كل همهم إطالة الصلاة . والآن لاحظ :

١ ــ ما هى الغلطة التى يشجبها المسيح هنا و يوبخ عليها . أن الصلاة كانت صلاة الشفاه واللسان دون اتصالها بالنفس . وهذه يوضحها المسيح هنا بكلمتين :

(١) التكرار الباطل . تكرار الألفاظ بلا مبرر ، أو تكرار المعنى الواحد بكلمات

مختلفة ، اللف والدوران مراراً حول نفس الألفاظ بلا مسوغ مثل كلمات الجاهل جا ١٠ : ١٤ « الجاهل يكثر الكلام ، لا يعلم إنسان ما يكون ، وماذا يصير بعده من يخبره » . تكرار الكلام أمر غير لائق بل هو مضايقة فى أى حديث فكم بالحرى فى الحديث مع الله .

والمسيح لا يحذرنا هنا من كل تكرار بل من التكرار « الباطل » ، فإنه هو نفسه صلى مكرراً « الكلام بعينه » ص ٢٦ : ٤٤ بأكثر لجاجة وبجهاد أقوى لو ٢٢ : ٤٤ . وهكذا فعل دانيال دا ٩ : ١٨ و ١٩ . وفى مز ١٣٦ نجد تكراراً منسجما جداً . قد يكون التكرار ضروريا إما لإظهار مقدار تأثرنا أو لإثارة عواطف الآخرين . أما التكرار المخل لمجموعة كلمات دون مراعاة معناها ، أو اللف والدوران مراراً حول الأمر الواحد بمنتهى الجفاف لمجرد الرغبة فى إطالة الصلاة أو للتظاهر بالتأثر حينما لا يكون هنالك أى أثر له ، فهذا هو التكرار الباطل الذى يحذرنا منه المسيح هنا . عندما نميل إلى الإكثار فى الكلام ولكن لا نستطيع أن نتكلم كثيراً فى الموضوع فهذا يغضب الله وجميع العقلاء .

(٢) « كثرة الكلام » الرغبة فى إطالة الكلام فى الصلاة ، إما عن كبرياء أو عن عقيدة خرافية ، أو عن عقيدة بأن الله يحتاج إلى إطالة الكلام لكى نعلمه بحاجياتنا ، أو لكى نقنعه بعدالة طلباتنا ، أو عن غباوة ووقاحة ، لأن البشر يميلون أن يسمعوا أنفسهم يتحدثون . وليس المقصود هنا تحذيرنا من كل إطالة فى الصلاة فالمسيح صلى طول الليل لو ٦ : ١٢ . وصلاة سليمان كانت صلاة طويلة (بمناسبة تدشين الهيكل) . وفى بعض الأحيان يستدعى الحال أن تكون صلواتنا طويلة عندما تكون مهمتنا غير عادية وعواطفنا ملتهبة . ولكن المقصود هو التطويل فى الصلاة كأن ذلك يجعلها أكثر قبولا لدى الله أو أكثر فاعلية . ليس المقصود أن يحذرنا المسيح من كثرة الصلاة ، فإنه أمرنا أن « يصلى فى كل حين » بل المقصود هو تحذيرنا من « كثرة الكلام » ، فليس الخطر هو أن نصلى بروح الصلاة بل أن نردد الصلاة من الفم واللسان . وهذا ما حذرنا منه سليمان الحكيم جا ٥ : ٢ « لتكن كلماتك قليلة » رزينة وبتعقل ، « خذوا معكم كلاماً » هو ١٤ : ٢ « واختاروا كلاماً » أى ٩ : ١٤ ولا تقولوا كل ما يخطر ببالكم لأول وهلة .

٢ ــ ما هى الأسباب التى يقدمها لذلك :

(١) لأن هذه هى طريقة الأمم : « لا تكرروا الكلام باطلا **كالأمم** » لا يليق بالمسيحيين أن يعبدوا إلهم كما يعبد الأمم آلهتهم . كان الأمم يعبدون الله بوحى من نور الطبيعة ، ولكنهم إذ حمقوا فى أفكارهم عن موضوع عبادتهم فلا غرابة إذا حمقوا فى طريقة العبادة سيما فى هذه الناحية . فإنهم إذ ظنوا أن الله يشبههم تماما اعتقدوا أنه يحتاج إلى كثرة الكلام ليفهم ما يقال إليه ، أو يقبل طلباتهم كأنه ضعيف أو صعب التأثير عليه . هكذا فعل كهنة البعل إذ ألحوا

عليه من الصباح إلى قبيل الغروب بتكرارهم الباطل قائلين « يابعل أجبنا ، يابعل اجبنا » و يالها من طلبات باطلة . أما إيليا فإنه بصلاة هادئة رزينة وقوية ، ومختصرة جداً ، اقتدر أن يحدر ناراً من السماء أولا ثم مطراً ١ مل ١٨ : ٢٦ و٣٦ . إن صلاة الشفاه صلاة فاشلة إن كانت مجرد كلمات منمقة و بليغة .

(٢) لأنه لا مبرر أن تكون هذه هي طريقتكم « **لأن أباكم** (الذى فى السموات) **يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه** » ولذلك فلا داعى لكثرة الكلام . إنه لم يقل بعد ذلك « إذاً فلا داعى للصلاة » فإن الله يطلب منا بالصلاة أن نعترف بحاجتنا إليه واعتمادنا عليه وأن نطالبه بمواعيده ، يطلب منا أن نبسط إليه قضيتنا ونكشف أمامه قلوبنا و بذلك نترك الأمر بين يديه . لاحظ هنا :

[١] إن الله الذى نصلى إليه هو أبونا بالخلقة ، و بالعهد . ولذا يجب أن تكون أحاديثنا إليه سهلة ، طبيعية ، بلا تكلف . فالابناء إذا ما أحتاجوا إلى شيء من آبائهم لا يستخدمون أحاديث طويلة ، بل يكفى أن يقول الابن « رأسى ، رأسى » ٢ مل ٤ : ١٩ . فلنأت إليه بدالة البنين ، بمحبة ، باحترام ، بثقة ، وحينئذ لا تبقى ثمة حاجة أن نستخدم كلمات كثيرة ، بل يكفى أن نردد ما يعلمنا إياه روح التبنى « يا أبا الأب » .

[٢] وأنه هو أب يعرف أحوالنا و يعرف احتياجاتنا أكثر مما نعرفها نحن « **يعلم ما تحتاجون إليه** » ، عيناه « تجولان فى كل الأرض » ليرى احتياجات شعبه ٢ أى ١٦ : ٩ وهو كثيراً ما يعطى قبل أن نطلب أش ٦٥ : ٢٤ « وأكثر مما نطلب » أف ٣ : ٢٠ . وهو إن لم يعط شعبه ما يطلبون فلأنه يعلم أنهم لا يحتاجونه وأنه ليس لخيرهم ، وهو الذى يستطيع أن يختار لنا أفضل مما نختار نحن لأنفسنا .

نحن لا نحتاج إلى طول الصلاة أو الإكثار من الكلام لعرض قضيتنا ، فالله يعرفها أكثر مما نستطيع أن نخبره عنها ، ولكنه إنما يريد أن يعرفها منا « ماذا تريدون أن أفعل بكم ، وعندما نخبره عنها يجب أن نقول إليه « يارب أمامك كل تأوهى (أو « شهوتى » حسب هامش الكتاب المقدس) » مز ٢٨ : ٩ . حاشا لله أن يتأثر بطول صلواتنا أو ببلاغتها . و يكفى أن تكون أقوى صلاة هى التى تتم « بأنات لا ينطق بها » رو ٨ : ٢٦ . ليس المطلوب أن نأمر الله أو نملى إرادتنا عليه بل أن نتوسل إليه .

٩ ــ فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك ١٠ ــ ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك

على الارض ١١ ـــ خبزنا كفافنا أعطانا اليوم ١٢ ـــ واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ١٣ ـــ ولا تدخلنا فى تجربة . لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين ١٤ ـــ فانه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى ١٥ ـــ وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .

بعد أن حذرنا المسيح من بعض الأخطاء يرشدنا هنا الى الصواب ، لأن توبيخاته هى على الدوام للتعليم . ولأننا لا نعلم ما ينبغى أن نصلى من أجله نراه هنا يعين ضعفنا بأن يضع كلاماً فى أفواهنا « **فصلوا أنتم هكذا** » أو « على هذا المثال » ع ٩ . كثرت جداً الأخطاء التى وقع فيها اليهود فى الصلاة ، الأمر الذى دعا المسيح أن يعطى إرشاداً جديداً للصلاة لكى يبين لتلاميذه كيف يجب أن تكون مادة صلواتهم وطريقتها عادة ، وهذا يفعله بتقديم بعض العبارات التى يحسن جداً استعمالها كأنموذج ، أو كملخص لتفاصيل صلواتنا المتنوعة . وليس المقصود أن نرتبط بهذه الصلاة فقط أو بهذه الصلاة دواماً كأنها لازمة لتقديس صلواتنا الأخرى ولكن المقصود أن نصلى « هكذا » أى « على هذا النحو والمثال » بهذه الكلمات ، بهذه الكيفية .

لا شك أنه يحسن بنا جداً استعمال هذه الصلاة لكى تكون أنموذجاً لنا ، وهى عربون لشركة القديسين ، فالكنيسة تستعملها فى كل الأجيال ، أو على الأقل ـــ كما يقول أحدهم ـــ منذ الجيل الثالث .

إنها الصلاة الربانية ، أى أنها من وضع الرب نفسه . إنها مختصرة جداً ولكنها جامعة شاملة ، وترثى لضعفنا فى الصلاة .

إن مادتها نفيسة وضرورية ، وطريقتها تعليمية ، وتعبيرها وجيز جداً . هى قليلة المبنى جزيلة المعنى ، ومن الضرورى جداً أن نلم بكل معانيها لأنها لا يمكن أن تكون مقبولة إلا إذا صلينا بها بفهم وبدون التكرار الباطل .

الصلاة الربانية ـــ ككل صلاة ـــ رسالة من الأرض إلى السماء . فيها نجد عنوان الرسالة ، الشخص الموجهة اليه « أبانا » ، المكان « فى السموات » ، محتوياتها : فى طلباتها المتعددة ، الخاتمة « لأن لك الملك » ، الختم « آمين » ، وإن أردت المزيد فالتاريخ « اليوم » .

إذاً فالصلاة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

(١) المقدمة **« ابانا الذى فى السموات »** . قبل أن نتقدم الى قضيتنا يجب أن نتقدم إلى من بيده هذه القضية ، نتقدم اليه بكل وقار « أبانا » . وهذه تتضمن أنه لا يكفى أن نصلى وحدنا ومن أجل أنفسنا بل مع الآخرين ومن أجل الآخرين ، لأننا اعضاء بعضنا للآخر ، ولأننا دعينا للشركة مع بعضنا بعضاً .

هنا نجد « إلى من يجب أن نصلى » ، إلى الله وحده ، لأنه ليس غيره جديراً باعطاء البركات التى نطلبها .

ونجد أيضاً كيف نتقدم إلى الله ، وما هو اللقب الذى ندعوه به ، والذى يمثله محسناً جواداً كريماً لا جباراً متسلطاً عظيماً ، لأننا يجب أن نتقدم بجراءة إلى عرش النعمة .

١ ــ يجب ان نتقدم اليه « كأبينا » وندعوه هكذا . هو أب عام لكل البشرية بالخلقة (ملا ٢ : ١٠ ، أع ١٧ : ٢٨) . وهو بنوع خاص أب للقديسين بالتبنى والتجديد (أف ١ : ٥ ، غل ٤ : ٦) و ياله من امتياز جليل لا يعبر عنه . هكذا يجب أن ننظر اليه فى الصلاة ، ونفكر فيه حسناً ، لأن ذلك يدعو إلى تشجيعنا لا إلى ارهابنا . لا شىء يسر الله و يبهج أنفسنا أكثر من أن ندعو الله « ابانا » . كثيراً ما كان المسيح يدعو الله فى الصلاة « أباً » . إن كان الله « أبانا » فانه يرثى لنا فى آلامنا وضعفاتنا (مز ١٠٣ : ١٣) و يشفق علينا (ملا ٣ : ١٧) ينظر نظرة حسنة لكل ما نقوم به من خدمات ولو كانت ناقصة ، ولا يمنع عنا شيئاً من الخير (لو ١١ : ١١ ــ ١٣)

نستطيع أن نتقدم اليه بجراءة كأب ، ولنا شفيع لدى الآب ، لنا روح التبنى . عندما نتقدم نادمين على خطايانا يجب أن ننظر اليه كأب كما فعل الابن الضال (لو ١٥ : ١٨ ، أر ٣ : ١٩) ، وعندما نتقدم ملتمسين النعمة والسلام وميراث البنين و بركتهم فانه مما يشجعنا أن نتقدم اليه كأب محب منعم كريم جواد مصالح فى المسيح لا كاله منتقم جبار لا يمكن مصالحته (أر ٣ : ٤) .

٢ ــ كأبينا « الذى فى السموات » إنه فى السموات كما فى أى مكان آخر لأن السموات لا تسعه ، ومع ذلك فانه فى السموات لكى يعلن مجده لأن السموات كرسيه (مز ١٠٣ : ١٩) ، والسموات للمؤمنين هى عرش النعمة . يجب أن نوجه صلواتنا نحو السموات لأن المسيح وسيطنا فى السموات الآن (عب ٨ : ١) .

السموات غير منظورة ، هى عالم الأرواح ، ولذلك يجب أن يكون حديثنا مع الله فى الصلاة روحياً . والسموات عالية مرتفعة ولذلك يجب أن نرتفع عن العالم ونسمو فوقه فى الصلاة ، ويجب أن نرفع قلوبنا (مز ٥ : ١) . السموات مكان القداسة المكملة والطهارة التى لا تشوبها

شائبة . ولذلك يجب أن نرفع أياد طاهرة ، يجب ان نسعى لتقديس اسم ذلك القدوس الذى يسكن ذلك المكان المقدس (لا ١٠ : ٣)

« من السموات ، يتطلع الرب إلى بنى البشر (مز ٣٣ : ١٣ و١٤) ويجب علينا حينما نصلى أن ندرك بأن عين الله فوقنا ، ومن هناك يستطيع أن ينظر نظرة كاملة واضحة إلى كل احتياجاتنا وأثقالنا ورغباتنا وضعفاتنا .

والسموات هى « فلك قوته » أيضاً (مز ١٥٠ : ١) . فهو كأب لا يرغب فى معونتنا فقط بل هو كأب سماوى قادر على معونتنا ، قادر أن يفعل معنا عظائم ، أكثر بكثير مما نطلب ومما نفتكر ، ان لديه كل ما يسد أعوازنا لأن « كل عطية صالحة هى من فوق » .

هو أب ولذلك نستطيع أن نتقدم اليه بجراءة ، ولكنه كأب سماوى يجب أن نتقدم اليه بوقار (جا ٥ : ٢) .

هكذا يجب أن تكون كل صلواتنا متفقة مع غايتنا العظمى كمسيحيين ، وهى أن نكون مع الله فى السموات . يجب أن تكون قبلة أنظارنا فى كل صلواتنا « الله » و « السموات » وهما غاية كل حياتنا . هذا هو المحور الذى يجب أن نتجه نحوه جميعنا . بالصلاة نحن نرسل أمامنا طلباتنا إلى ذلك المكان الذى نعترف بأننا ذاهبون اليه .

(٢) الطلبات . وهى ست ، الثلاث الأول تتعلق بالله مباشرة وبمجده وكرامته ، والثلاث الأخيرة تتعلق بشئوننا الزمنية والروحية ، شأنها شأن الوصايا العشر ، فإن الأربع الأول تعلمنا واجبنا نحو الله والست الأخيرة تعلمنا واجبنا نحو اخوتنا . إن طريقة هذه الصلاة الربانية تعلمنا أن نطلب أولا ملكوت الله و بره ومن ثم أن نرجو بأن هذه كلها تزاد لنا .

١ ــ « **ليتقدس اسمك** » . بهاتين الكلمتين :

(١) نحن نعطى المجد لله . فإنه يجوز أن ننظر اليها لا كطلبة بل كتسبيح أو تكريم كأننا نقول « ليتعظم الرب و يتمجد » لأن قداسة الله هى عظمة ومجد كل كمالاته . يجب أن تبدأ كل صلواتنا بتسبيح الله ، ومن اللائق جداً أن يعبد أولا وأن نعطى له المجد قبل أن نتوقع منه نعمة ورحمة . لنسبحه أولا من أجل كمالاته ومن ثم لننتفع من كمالاته .

(٢) ونثبت غايتنا نحو تمجيد الله ، وهذه أسمى غاية يمكن أن نهدف اليها ، هذه هى الغاية الأولى والرئيسية التى يجب أن تتركز فيها كل طلباتنا . يجب أن تكون كل طلباتنا الأخرى خاضعة لهذه الغاية ومتمشية معها . « أيها الآب مجد ذاتك » فى اعطائنا خبزنا كفافنا وفى مغفرة

ذنوبنا وهكذا . إن كل شيء منه و به فيجب أن يكون له ومن أجله . فى الصلاة يجب أن تتجه أفكارنا وأشواقنا نحو مجد الله . كانت غاية الفريسيين الرئيسية من صلواتهم تمجيد اسمهم (ع ٥ « لكى يظهروا للناس ») أما نحن فإننا يجب أن تكون غايتنا الرئيسية تمجيد اسم الله فلتتركز كل طلباتنا نحو هذه الغاية ولتسترشد بها « هب لى كذا وكذا **من أجل مجد اسمك** ، وحسبما يتفق مع مجد اسمك » .

(٣) ونبتغي ونصلى أن يتقدس و يتمجد اسم الله أى الله نفسه بنا و بواسطة الآخرين و بواسطته هو شخصياً فى كل الأمور التى أعلن نفسه بها . أيها الآب مجد اسمك كأب ، وكأب فى السموات ، مجد صلاحك وسموك وعظمتك ورحمتك . « ليتقدس اسمك » لأنه قدوس . نحن لا نبالى بما يليق باسمائنا الملوثة ، ولكن يارب « ماذا تصنع لاسمك العظيم » (يش ٧ : ٩) .

عندما نصلى لكى يتمجد اسم الله فنحن :

[١] نتمم ذلك واجباً ضرورياً ، لأن الله لابد أن يقدس اسمه ، رغبنا فى ذلك أم لم نرغب . « أتعالى بين الأمم » (مز ٤٦ : ١٠)

[٢] نطلب ما نحن واثقون من إجابته لأن المسيح عندما صلى قائلا « أيها الآب مجد اسمك » أجيبت الطلبة فى الحال « مجدت وأمجد أيضاً » (يو ١٢ : ٢٨) .

٢ ــ « **ليأت ملكوتك** » . تشير هذه الطلبة بكل وضوح إلى التعليم الذى كان يكرز به المسيح وقتئذ ، والذى سبق أن كرز به يوحنا المعمدان من قبل ، والذى أرسل المسيح تلاميذه فيما بعد ليكرزوا به وهو « اقترب ملكوت السموات » . إن ملكوت أبيكم الذى فى السموات ، ملكوت المسيا ، قد اقترب ، فصلوا لكى يأتى .

(ملاحظة) يجب أن نكون مستعدين لتحويل الكلمات التى نسمعها إلى صلاة ، يجب ان تردد قلوبنا صداها . إن وعدنا المسيح قائلا « أنا آتى سريعاً » وجب أن تجيب قلوبنا « نعم تعال » ويجب أن يصلى الخدام عن الكلمة التى يكرزون بها ، فعندما يعظون بأنه « قد اقترب ملكوت السموات » يجب أن يصلوا « أيها الآب ليأت ملكوت » . ويجب أن نصلى من أجل ما وعدنا به الله ، لأن المواعيد لم تعط لكى تحل محل الصلاة بل لكى تبعثنا وتشجعنا على الصلاة ، وعندما يقترب اتمام أى وعد و يصبح على الأبواب ، عندما يقترب ملكوت السموات ، يجب أن نزداد صلاة من أجله « ليأت ملكوتك » ، كما ثبت دانيال وجهه للصلاة من أجل خلاص اسرائيل عندما علم أن الوقت قد اقترب (دا ٩ : ١ و ٢) . أنظر أيضاً (لو ١٩ : ١١) .

كانت صلاة اليهود يومياً إلى الله هكذا « يملك ملكوته ، ليزدهر فداؤه ، وليأت مسياه ويخلص شعبه » .

« ليأت ملكوتك » ليكرز بالانجيل بين الجميع ، وليرحب به من الجميع . ليقبل الجميع ما دونته كلمة الله عن ابنه ، وليقبلوه مخلصاً وملكا . لتتسع حدود كنيسة المسيح ، ليتحول ملكوت العالم إلى ملكوت المسيح ، وليصبح كل البشر رعاياه ، وليعيشوا كما يليق بدعوتهم .

٣ ـ **« لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض »** وإذ أتى ملكوت الله فنحن نصلى لكى نخضع نحن وغيرنا إلى طاعة كل شرائع ذلك الملكوت . لتكن مشيئة الله لكى يظهر بذلك أن ملكوت المسيح قد أتى ، وعندما يأتى الملكوت بسماء على الأرض يظهر بذلك انه قد أتى كملكوت سماوى . ان كنا ندعو الله ملكا دون أن نتمم مشيئته فنحن نجعله ملكا بالاسم فقط . بعد أن نصلى لكى يملك علينا يجب أن نصلى لكى نكون محكومين به فى كل شيء .
لاحظ :

(١) ماذا نصلى من أجله « لتكن مشيئتك » . يارب افعل ما يحسن فى عينيك بى وبمن لى وبما لى ١ صم ٣ : ١٨ . اننى التجيء اليك واثقاً من أن كل مشورتك نحوى لابد أن تتم . بهذا المعنى صلى المسيح « ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت » . قدرنى على إتمام ما يرضيك ، اعطنى النعمة التى بها استطيع أن اعرف إرادتك تماماً وأخضع لها . هب لى أن أتمم مشيئتك من كل قلبى أنا والآخرين لا مشيئتنا نحن ، مشيئة الجسد ، ولا شهوات الناس ١ بط ٤ : ٢ ، ولا مشيئة الشيطان وشهواته من باب أولى يو ٨ : ٤٤ ، لكى لا نغضب الله فى أى شيء نفعله ولا نغضب نحن من أى شيء يفعله هو.

(٢) الانموذج . « لتكن مشيئتك على الأرض » مكان التجربة والاختبار ، الذى يجب أن يتم فيه عملنا وإلا فلن يتم ، « كما فى السماء » مكان الراحة والفرح . نحن نصلى أن تكون الأرض أقرب شبهاً إلى السماء بإتمامنا مشيئة الله ، هذه الأرض التى صارت أقرب شبهاً إلى جهنم بسبب سيادة مشيئة الشيطان . ونحن نصلى أيضاً لكى يكون القديسون كالملائكة القديسين فى عبادتهم وطاعتهم . شكراً لله لأننا « على الأرض » ولسنا « تحت الأرض » .

٤ ـ **« خبزنا كفافنا أعطنا اليوم »** لأن كياننا الطبيعى ضرورى لخيرنا الروحى فى هذا العالم فإننا بعد طلب ما يتعلق بمجد الله وملكوته ومشيئته نطلب الأشياء الضرورية لهذه الحياة الحاضرة التى هى عطية الله والتى يجب أن تطلب منه

« خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » أو « خبزنا لليوم القادم » (أو « خبزنا الذى للغد » حسب

الترجمة القبطية) ، أي خبزنا لبقية الحياة . خبزنا للأيام القادمة ، خبزنا اللازم لكياننا ووجودنا ، الذى يتناسب مع حالتنا فى هذا العالم أم ٣٠ : ٨ . خبزنا اللازم لنا ولعائلاتنا حسبما تقتضيه ظروفنا

وفى كل كلمة من هذه الطلبة نستطيع أن نتعلم درساً :

(١) اننا نطلب « الخبز » وهذه تعلمنا القناعة والإعتدال . لأننا نطلب « الخبز » لا الأطايب ولا الكماليات ، نطلب ما هو ضرورى للحياة ولو لم يكن شهياً

(٢) ونطلب « خبزنا » وهذه تعلمنا الأمانة والجد ، فنحن لا نطلب الخبز من أفواه الآخرين ، ولا « خبز الكذب » أم ٢٠ : ١٧ ولا « خبز الكسل » أم ٣١ : ٢٧ بل الخبز الذى نحصل عليه بالأمانة

(٣) ونطلب خبزنا « كفافنا » أو « اليومى » أو « يوماً بيوم » وهذه تعلمنا أن لا نهتم بالغد ع ٣٤ بل لنتكل على العناية الإلهية على الدوام كمن يعيشون لحظة بلحظة

(٤)ونحن نتوسل إلى الله أن « يعطيه » إيانا ، لا أن يبيعه لنا ، أو يقرضه لنا ، بل يعطيه لنا منحة . إن أعظم الناس يجب أن يشعروا بأنهم مدينون لله بخبزهم اليومى

(٥) ونحن نبتهل إلى الله أن يمنحه « لنا » فإننى لا أقول « اعطنى » أنا وحدى ، بل « اعطنا » أى لى وللآخرين أيضاً . وهذه تعلمنا الشفقة بالفقير والمحتاج والعطف عليهما . وهى تتضمن أيضاً اننا يجب أن نصلى مع عائلاتنا ، فنحن وآل بيتنا نأكل معاً ولذلك يجب أن نصلى معاً

(٦) ونحن نبتهل أن يعطينا الله إياه « اليوم » وهذه تعلمنا انه كلما تجددت حاجات أجسادنا وجب أن تتجدد رغبات أنفسنا نحو الله . وكلما أقبل صباح وجب أن نصلى لأبينا السماوى عالمين بأننا ان كنا لا نستطيع أن نسير يوماً واحداً بدون طعام فنحن لا نستطيع أن نسير يوماً واحداً بدون الصلاة.

٥ ــ «**واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا**» وهذه تتعلق بسابقتها . « واغفر » أى ان لم تغفر خطايانا فلن ننال راحة فى الحياة ولن ننال أود الحياة . ان لم تغفر خطايانا فإن « خبزنا كفافنا » لا يستطيع إلا أن يشبعنا « مثل غنم للذبح »

وتتضمن هذه العبارة أيضا اننا يجب أن نطلب الغفران اليومى كما نطلب الخبز اليومى .

« الذى قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه » يو١٣ : ١٠ . وهنا نجد :

(١) طلبة ياأبانا الذى في السموات « اغفر لنا ذنوبنا » أو « ديوننا » أي ديوننا من نحوك .

(ملاحظتان) [١] ان « ذنوبنا » هى « ديوننا » . هنالك دين الواجب ، وهذا نحن مدينون به للخالق كخليقة . ونحن لا نصلى أن نعفى من هذا الدين . ولكن عدم إيفاء هذا الدين ينشىء دين القصاص . عند عدم طاعتنا لإرادة الله نعرض أنفسنا لغضب الله ، وبسبب عدم حفظ وصية الناموس نستحق العقوبة . ان المدين معرض لأن يرفع أمره للقضاء ، هكذا الحال معنا . والمذنب مدين للقانون ، هكذا الحال معنا

[٢] ان رغبة قلوبنا وصلواتنا لأبينا السماوى كل يوم يجب أن تتضمن طلب مغفرة ذنوبنا والصفح عن ديوننا ، إبطال دين القصاص ، عدم مجيئنا إلى الدينونة ، إطلاق سراحنا . وفي طلب مغفرة خطايانا يجب أن تكون حجتنا العظمى التى نتكل عليها هى أن موت الرب يسوع كفيلنا وضامننا قد وفى عدل الله عن خطية الانسان

(٢) تعزيزاً لهذه الطلبة . « كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا » وهذه ليست حجة لاستحقاق الغفران بل حجة لنوال نعمة الله الغافرة .

(ملاحظة) على الذين يأتون إلى الله لطلب مغفرة خطاياهم التى ارتكبوها ضده ان يكونوا متأكدين من انهم قد غفروا للمسيئين إليهم أولا لئلا يجلبوا على انفسهم اللعنة عند ترديد الصلاة الربانية . ان واجبنا هو أن « نغفر للمذنبين إلينا » (أو للمدينين إلينا) . يجب أن لا نكون قساة في استيفاء ديوننا ممن لا يستطيعون تسديدها دون إرباك أنفسهم وعائلاتهم كما هو الحال في الديون المالية .

هذه الديون تعنى الإساءات التى تحل بنا . وهؤلاء « المذنبون إلينا » هو الذين يلطموننا ويخاصموننا مت ٥ : ٣٩ و ٤٠ . هؤلاء بحسب حرفية القانون يمكن مقاضاتهم . ولكننا يجب أن نحتمل ونصفح ونتناسى الإهانات التى توجه إلينا والإساءات التى تحل بنا . وهذه هى الطريقة التى تعدنا للصفح والمغفرة والسلام . وهى تبعث فينا الرجاء بأن الله سيغفر لنا نحن أيضاً . لأنه أن وجد فينا هذا الميل المقدس وهذه العاطفة الطيبة كان ذلك من عمل الله فى قلوبنا ، وكان ذلك تتمة للعمل الأعظم الذى يتمه هو بنفسه . بل انه ان أتم فينا شرط الغفران كان ذلك دليلا على انه قد غفر لنا .

٦ ــ « **ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير**» هذه الطلبة لها وجهان الأول سلبي والثاني إيجابي :

(١) الوجه السلبي : « ولا تدخلنا في تجربة » . وإذ صلينا لإزالة إثم الخطية يليق بنا أن نصلي لكي لا نعود أبداً إلى الغباوة والجهل لكي لا نجرب بالخطية مرة أخرى . وليس معنى هذا أن الله يجرب أي انسان بالخطية ، بل معناه « يارب لا تسمح بأن يفك الشيطان ويهجم علينا ، بل قيد ذلك الأسد الزائر لأنه خبيث وماكر ومفترس ، يارب لا تتركنا لأنفسنا مز ١٩ : ١٣ لأننا ضعفاء جداً ، يارب لا تسمح بأن تلقى في طريقنا العثرات والفخاخ ، ولا تسمح بأن تجيزنا في الظروف التي قد نعرض فيها للسقوط » .

يجب ان نصلي من أجل حمايتنا من التجارب ، أولا بسبب ما تقدمه لنا من متاعب وآلام ، وثانياً بسبب ما نتعرض له فيها من خطر السقوط وما يتبع ذلك من إثم وحزن .

(٢) الوجه الايجابي : « لكن نجنا من الشرير» ، من ابليس ، من المجرب . نجنا من هجماته ، أو نجنا من السقوط بسبب هذه الهجمات .

أو نجنا من « الفعل الشرير» ، أي الخطية وهي أشر الشرور ، وهي التي يبغضها الله ، والتي بها يجرب الشيطان البشر وبها يهلكهم ، يارب نجنا من شر العالم ، من الفساد الذي في العالم بالشهوة ، من شر كل حالة في العالم ، من شر الموت ، من « شوكة الموت » التي هي « الخطية » نجنا من أنفسنا ، من قلوبنا الشريرة . نجنا من الأشرار لكي لا يكونوا شركا لنا ولكي لا نكون فريسة لهم .

(٣) الخاتمة « **لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين** » . يظن البعض أن هذه تشير إلى تسبحة داود ١ أي ٢٩ : ١١ « لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد ... لك يارب الملك ... الخ » . وهذه يمكن إعتبارها :

١ ــ حجة لتدعيم الطلبات السابقة ، من واجبنا أن نحاج الله في الصلاة ونملأ أفواهنا حججاً أي ٢٣ : ٤ ليس لكي نؤثر عليه بل على أنفسنا ، لتشجيع إيماننا ، لا ثارة حماسنا ، ولإظهار ايماننا وحماسنا . إن أقوى الحجج في الصلاة هي ما كانت مستقاة من الله نفسه ومما أعلن نفسه فيه . يجب أن نصارع مع الله بقوته هوسواء من جهة طبيعة حججنا أو من جهة طريقة تقديمها .

أما الحجة هنا فأنها تشير بصفة خاصة الى الطلبات الثلاث الأولى : أبانا الذي في

السموات ليأت ملكوتك « **لأن لك الملك** » ،لتكن مشيئتك « **لأن لك القوة** » ليتقدس اسمك « **لأن لك المجد** » .

أما عن طلباتنا الخاصة فإن هذه الخاتمة مشجعة لنا : « لك الملك » لك ملك العالم وحماية القديسين وهم رعاياك الطائعون في ملكك . الله يعطي ويخلص كملك . « لك القوة » لابقاء وتعضيد ذلك الملكوت ، ولتحويل كل شيء لخير شعبك ، « لك المجد » كغاية كل ما أعطى للقديسين وكل ما عمل لأجلهم إجابة لطلباتهم لأنه ينبغي عليهم تقديم التسبيح اليه مز ٦٥ : ١ . هذا هو موضوع العزاء والثقة المقدسة في الصلاة .

٢ ـ تسبيح وشكر : إن أقوى حجة تقدم لله هي تسبيحه ، وهذه هي الطريقة لنوال رحمة أخرى لأنها تعدنا لقبولها . في كل أحاديثنا لله يليق أن يكون للتسبيح نصيب وافر لأنه « بالمستقيمين يليق التسبيح » مز ٣٣ : ١ ، ويجب أن يكون المستقيمون اسماً لله وسبحاً (وفخراً) أر ١٣ : ١١ .

إن تسبيحنا لله عدل ولائق ، فنحن نسبح الله ونمجده ليس لأنه يحتاج إلى ذلك فهو مسبح من عالم الملائكة ، بل لأنه يستحقه . والواجب يقضي علينا أن نمجده وفقاً لقصده من إعلان ذاته لنا .

إن التسبيح هو عمل السماء وسعادتها وعلى الذين يريدون دخول السماء فيما بعد أن يبدأو اسماءهم الآن . لاحظ كيف أن هذه التسبحة كاملة « الملك ، والقوة ، والمجد » كلها « **لك** »

(ملاحظة) يليق بالمؤمن أن يكون فياضاً في تسبيح الله . والقديس الحقيقي لا يشعر أنه قد وفى حق الله من التسبيح والاكرام يوماً ما . هنا يجب أن يكون سبحنا بغزارة . وهذا « **إلى الأبد** » . إن توجيه المجد لله « إلى الأبد » يتضمن اعترافاً بأنه يليق به إلى الأبد ، ورغبة أكيدة في توجيهه إلى الأبد مع الملائكة والقديسين في السماء مز ٧١ : ١٤

(وأخيراً) يعلمنا أن نضيف إلى كل هذا « **آمين** » أي فليكن هكذا . إن « آمين » الله منحة ، ومعناها « سيكون لكم هكذا » . أما « آمين » الإنسان فإنها مجرد تلخيص الرغبة ، ومعناها « نرجو أن يكون هكذا » فإن قلنا ، « آمين » كان ذلك دلالة على رغبتنا في أن تسمع صلواتنا .

« آمين » تشير إلى كل طلبة سابقة ، ونظراً لأن الله يرثي لضعفنا فقد علمنا أن نربط كل الطلبات بكلمة واحدة ونضمنها كل ما تركناه أو أغفلناه من التفاصيل . جيد جداً أن نختم

الواجبات الدينية بشيء من القوة والحرارة لكى نخرج منها بإنتعاش فى أرواحنا . كان من عادة الاتقياء قديماً أن يختموا كل صلاة بقولهم « آمين » بصوت مسموع وهذه عادة محبوبة على شرط أن تتمم بفهم كما يقول الرسول ١ كو ١٤ : ١٦ و باستقامة واخلاص ، بحيوية وانتعاش ، بتأثير داخلى تأييداً لرغباتنا التى أعلناها فى صلواتنا

كانت معظم الطلبات فى الصلاة الربانية يستعملها اليهود فى صلواتهم بعبارات مخالفة ولكن بنفس المعنى ، أما هذه العبارة المتصلة بالطلبة الخامسة « كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » فقد كانت جديدة تماما . ولذلك يبين مخلصنا هنا أن اضافتها ليست بسبب فساد طبيعة البشر فى ذلك الجيل وحبهم للمشاكسة والحقد والضغينة (ولو أنه كانت هنالك ضرورة لها) بل بسبب لزوم وأهمية الأمر نفسه . فالله اذ يغفر لنا خطايانا ينظر بنظرة خاصة إلى مقدار تسامحنا مع من أساء إلينا ، ولذلك فعندما نطلب المغفرة يجب أن نذكر بأننا ندرك ذلك الواجب ليس لكى نذكر أنفسنا به فقط بل لكى نلزم أنفسنا به أيضا . أنظر المثل الذى نطق به المسيح فى هذا الصدد مت ١٨ : ٢٣ ــ ٣٥ . إن طبيعة محبة الذات تنفر من هذا الواجب ولذلك يزيده المسيح هنا قوة بأمرين ع ١٤ و١٥ :

(١) بوعد . « **انْ غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى** » وليس معنى ذلك ان هذا هو الشرط الوحيد للمغفرة فإنه يجب أن تتوفر أيضاً التوبة والإيمان وطاعة جديدة ، بل حيثما توفرت الشروط الأخرى وجب أن يتوفر هذا للدلالة على إخلاصنا فى تلك . فإن من يرق قلبه نحو أخيه يبين بذلك انه يتوب نحو إلهه . و « الذنوب » التى ذكرت فى الصلاة الربانية تسمى هنا « زلات » أى « إساءات » إلينا فى أجسادنا أو ثروتنا أو سمعتنا . و « الزلات » تسمية ملطفة للإساءات الشديدة . ومعنى الكلمة فى أصلها اليونانى سقطات أو عثرات .

(ملاحظة) من ضمن الدلائل على صفحنا عن إساءات الآخرين إلينا ، ومما يعيننا على ذلك ، أن نتحدث عن هذه الإساءات بلهجة ملطفة ملتمسين لهم الأعذار . لا تدعها « خيانة » أو « غدراً » أو « مؤامرات » بل بالحرى ادعها « زلة » أو « سقطة » . لا تدعها إساءات متعمدة بل سقطات عارضة أو هفوات . « لعله كان سهواً » تك ٤٣ : ١٢ ولذلك فلا تشنع فى صديقك بل تودد إليه واكسب حبه .

يجب أن نغفر كما نرجو أن يغفر لنا . ولذلك يجب علينا لا أن نخلى قلوبنا من كل حقد وضغينة فقط وأن لا نفكر فى الإنتقام فقط بل يجب أيضا أن لا نعنف أخانا من أجل إساءاته إلينا ، وأن لا نفرح بما قد يصيبه من أذى ، وأن نكون مستعدين لمساعدته والإحسان إليه ، وأن

نعيد رابطتنا به وصداقتنا معه إذا تاب وأعلن رغبته فى تجديد الصداقة .

(٢) بتهديد . « **وإن لم تغفروا للناس زلاتهم** » هذه علامة سيئة تدل على عدم توفر الشروط المطلوبة ، وتثبت أنكم لستم أهلا للغفران ، ولذلك فأن « **أباكم** » الذى تدعونه أباً والذى يمنحكم نعمته تحت شروط معقولة كأب « **لا يغفر لكم أيضاً زلاتكم** » . وإن كنتم مخلصين فى النعم الأخرى ولكنكم قصرتم فى واجب الصفح والتسامح فإنكم لا تنعمون بمغفرة خطاياكم بل يجب أن تنتظروا إذلال نفوسكم بهذه المصيبة أو تلك لكى تستجيبوا لهذا الواجب .

(ملاحظة) على الذين يريدون الرحمة من الله أن يظهروا الرحمة لإخوتهم . ونحن لا يمكن أن ننتظر بأن يمد لنا الله يد المحبة إلا إذا كنا نرفع إليه أياد طاهرة بلا غضب ١ تى ٢ : ٨ . لأننا أن صلينا بغضب فلننتظر أن يجيبنا الرب بغضب . قيل إن الصلوات التى ترفع بغضب تكتب بمرارة

لماذا ننتظر أن يسامحنا الله عن الجنيهات التى نحن مدينون بها إليه بينما لا نسامح نحن إخوتنا عن المليمات التى نداينهم بها ؟ لقد جاء المسيح إلى العالم كصانع السلام الأعظم لا لكى يصالحنا مع الله فقط بل لكى يصالحنا بعضنا مع بعض ، وفى هذا يجب أن نمتثل له . إنها لجرأة شديدة تترتب عليها نتائج خطرة أن يستخف أى امرىء بما يؤكده المسيح هنا بقوة . إن عواطف البشر لا تبطل كلمة الله .

١٦ ــ ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم إنهم قد إستوفوا أجرهم ١٧ ــ وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك ١٨ ــ لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية

وهنا يحذرنا المسيح من الرياء فى الصوم كما حذرنا من قبل من الرياء فى الصدقة والصلاة

(١) المفروض هنا أن الصوم الدينى واجب مطلوب من تلاميذ المسيح عندما يدعو إليه الله فى أعمال عنايته وعندما تستدعيه حالة نفوسهم « حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » مت ٩ : ١٥ وعندما تدعو إليه الكنيسة . وضع الصوم هنا أخيراً لأنه لايعدنا بواجبات أخرى . أما

الصلاة فقد وضعت بين الصدقة والصوم لأنها روح كليهما .

يتحدث المسيح هنا بنوع خاص عن الأصوام الخاصة التى يفرضها الأفراد على أنفسهم كتقدمات إختيارية الأمر الذى كان شائعا بين أتقياء اليهود ، فالبعض كان يصوم يوما كل أسبوع والآخرون كانوا يصومون يومين ، والآخرون لا يصومون إلا نادراً حسبما يتطلب الأمر . وفى أيام الصوم كانوا لا يأكلون إلا فى الغروب ، وعندئذ يأكلون قليلا جدا من الطعام . والمسيح لم ينتقد الفريسى لأنه كان يصوم « مرتين فى الاسبوع » بل لأنه كان يفتخر بهذا الصوم لو ١٨ : ١٢ .

و يالها من عادة حسنة عادة الصوم التى يؤسفنا جداً أنها أهملت كثيراً بين المسيحيين اليوم . فحنة كانت تعبد « بأصوام كثيرة » لو ٢ : ٣٧ وكرنيليوس صام وصلى أع ١٠ : ٣٠ والكنيسة الأولى كانت تصوم كثيراً أع ١٣ : ٣ ، ١٤ : ٢٣ . والمفروض أن الصوم الخصوصى ضرورى ١ كو ٧ : ٥ . فهو وسيلة لانكار الذات وإماتة الجسد والانتقام من أنفسنا إنتقاما مقدساً والاتضاع تحت يدى الله . إن أقوى المسيحيين يجب أن يعترفوا بهذا انهم لا يستحقون خبزهم اليومى وأنهم ليس لهم ما يفتخرون به مطلقاً . الصوم وسيلة لكبح جماح الجسد وشهواته وزيادة تنشيطنا فى الواجبات الدينية كما أن وفرة الطعام تسبب لنا الكسل والنعاس . كان بولس « فى أصوام كثيرة » ولذلك استطاع أن « يقمع جسده و يستعبده »

(٢) ثم يحذرنا من أن نكون فى صومنا « **كالمرائين** » لئلا نخسر أجر الصوم . وكلما ازدادت الصعوبات التى تكتنف الواجب ازددنا تعرضاً لخسارة أجره .

١ ــ كان « المراؤون » يدعون الصوم مع عدم وجود أثر لانسحاق القلب واتضاع النفس الأمر الذى هو روح وحياة الصوم . كانت أصوامهم للسخرية ، كان لهم مظهر الصوم وظله ولم يعرفوا جوهره ، تظاهروا بالاتضاع أكثر من حقيقتهم و بذلك حاولوا أن يخدعوا الله ، وكانت هذه اساءة إلى الله أشد من أية إساءة أخرى . إن الصوم الذى اختاره الله هو أن يذلل الإنسان نفسه لا إن يحنى كالأسلة رأسه أو يفرش تحته مسحاً ورماداً ، ونحن نخطىء خطأ فاحشاً إن كنا نحسب هذا صوما (أش ٥٨ : ٥) . الرياضة الجسدية نافعة لقليل لو كان الأمر قاصراً عليها ، ولكنها لا يمكن أن تعتبر صوماً لله .

٢ ــ وكانوا يعلنون عن صومهم و يدبرونه بطريقة تجعل كل من رآهم يعلم أنهم صائمون . كانوا يظهرون فى الشوارع حتى فى هذه الأيام التى كان يجب أن يعتزلوا فيها فى مخادعهم . وكانوا يطرقون بأبصارهم إلى أسفل ، و يتظاهرون بالكآبة ، يتئدون فى مسيرهم ،

وبالإجمال فإنهم كانوا يغيرون هيأتهم لكى يعطوا فكرة للناس عن طول أصوامهم وعن تقواهم ومقدار تعذيبهم لأنفسهم .

(ملاحظة) من الحزن أن نرى بأن أولئك الذين يستطيعون أن يكبحوا ــ لحد ما ــ جماح شهواتهم الجسدية التى هى شر جسدى يهلكون أنفسهم بكبر يائهم الذى هو شر روحى والذى لا يقل خطره عن خطر الشهوات الجسدية .

وهنا أيضا نرى للمرائين « **أجرهم** » وهو مدح الناس الذى يطمعون فيه كثيراً . وهنا أيضا نرى أنهم « **قد استوفوا** » هذا الأجر ، وهو كل ما ينالونه .

(٣) وأخيراً يرشدنا إلى الطريقة التى نمارس بها الصوم الاختيارى ، إننا يجب أن نبقيه سراً (ع ١٧ و١٨) . إنه لا يخبرنا عن عدد المرات التى نصوم فيها ، فالظروف تختلف ، وخير ما نسترشد به فى هذه الظروف هو الحكمة ، والروح فى الكلمة قد ترك ذلك للروح فى القلب ، ولكن حينما تصلون فلتكن هذه هى القاعدة أمامكم : احرصوا على أن تزكوا أنفسكم أمام الله دون أن تحاولوا الحصول على مديح الناس ، فالتواضع يجب أن يكون دواما رائدنا فى اذلال النفس .

لم يقصد المسيح أن يقلل من حقيقة الصوم ، لم يقل « كلوا قليلا ، أو اشربوا قليلا أو تناولوا منعشا قليلا » بل ليتألم الجسد ولكن لا تبال بمظهره ، اظهر بمظهرك العادى ، لباسك العادى ، وعندما تحرم نفسك من ملذات الجسد لا تحاول أن تجعل الآخرين يتطلعون اليك حتى أقرب الناس اليك ، ليكن مظهر وجهك حسناً » . « **أدهن رأسك واغسل وجهك** » **كما تفعل فى سائر الأيام العادية بقصد اخفاء صومك ، وحينئذ تجد أخيراً أنك لم تخسر المدح لأنك إن لم تنله من البشر فستناله من الله .**

الصوم هو اذلال النفس (مز ٣٥ : ١٣) هذا هو جوهر الأمر ، إذاً فليكن هذا هو اهتمامك الرئيسى ، أما مظهر الأمر فلا تطمع فى أن يراه أحد . إن كنا مخلصين فى أصوامنا ومتواضعين وواثقين فى أن الله العالم بكل شىء شاهد علينا وأنه بصلاحه وجوده يجازينا فلابد أن نجد أنه « **رأى فى الخفاء** » وأنه سوف « **يجازى علانية** » .

عندما نمارس الأصوام الدينية حسناً لابد أن تنتهى بولائم أبدية . وأن قبولنا امام الله فى أصوامنا الخاصة يجب أن يحفزنا على أن نموت عن مديح الناس (فيجب أن لا نصوم رجاء الحصول على هذا المديح) وعن انتقاداتهم أيضا (ويجب أن لا نرفض الصوم خوفا من انتقاداتهم) . لقد انقلب صوم داود عاراً عليه (مز ٦٩ : ١٠) ومع ذلك فقد قال « أما أنا فلك صلاتى يارب فى

وقت رضى» (مز ٦٩ : ١٣)، ليقولوا عنى ما شاءوا .

١٩ ــ لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون و يسرقون ٢٠ ــ بل أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ٢١ ــ لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً ٢٢ ــ سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً ٢٣ ــ وإن كانت عينك شر يرة فجسدك كله يكون مظلماً . فان كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون .

٢٤ ــ لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

إن محبة العالم علامة عامة للر ياء ، وخطرة كأية علامة أخرى ، لأنه لا يوجد مثل هذه الخطية التى بها يتمكن الشيطان من النفس و ينشب أظفاره فيها بكل قوته تحت ستار التظاهر بالدين . وكذلك نرى المسيح ــ بعد تحذيرنا من الطمع فى مدح الناس ــ يبدأ يتحذيرنا من الطمع فى ثروة العالم . وهنا أيضاً يجب أن نحذر لئلا نكون كالمرائين ونتصرف كما يتصرفون . كانت الغلطة الرئيسية التى ارتكبوها أنهم اختاروا العالم أجراً لهم ، ولذلك وجب أن نحذر من الر ياء ومحبة العالم فى اختيار كنزنا ، غايتنا ، أسيادنا .

(١) فى اختيار الكنز الذى نكتنزه . كل إنسان له كنز معين ، يجعله نصيباً له ، و يضع عليه قلبه ، و يكرس له كل مواهبه ، و يضع عليه اعتماده فى المستقبل . هو ذلك « الخير» الخير الأعظم ، الذى يتحدث عنه سليمان بشدة جا ٢ : ٣ . هو ما تتطلع إليه النفس كأفضل شىء ، الذى تتلذذ به أكثر من كل شىء آخر، وتثق فيه أكثر من كل شىء سواه . وهنا لا يقصد المسيح أن يحرمنا من كنزنا بل أن يرشدنا فى اختياره . والآن نجد :

١ ــ تحذيراً من اختيار الأشياء التى ترى ، التى هى وقتية ، ومن أن نحصر فيها سعادتنا .

« **لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض** » لقد ترك تلاميذ المسيح كل شيء ليتبعوه ، فليستمروا على هذا المبدأ المستقيم . « الكنز» هو وفرة شيء معين ثمين في حد نفسه ، أو على الأقل في نظرنا ، و ينفعنا في المستقبل . والآن يحذرنا المسيح من أن نكنز لنا كنوزاً على الأرض ، أي :

(١) إننا يجب أن لا نحسب هذه الأشياء (الأرضية ، التي ترى ، الوقتية) كأفضل الأشياء ، أو كأنفسها في حد ذاتها ، أو كانفعها لذواتنا . يجب أن لا ندعوها « مجداً » كما دعاها أبناء لابان تك ٣١ : ١ بل يجب أن نعتقد وأن نعترف بأنها لا مجد فيها بالمقارنة مع « المجد الفائق » ٢ كو ٣ : ١٠ .

(٢) ويجب أن لا نطمع في المز يد من هذه الأشياء ، أو نمسك بها أكثر فأكثر ، ونضيف إليها باستمرار ، كما يفعل البشر بكنوزهم ، كأننا لا نعرف مطلقاً متى تكون لنا الكفاية منها .

(٣) ويجب ألا نثق فيها للمستقبل كأنها تضمن لنا النجاة والأمان والمعونة في الأيام القادمة . يجب أن لا نقول للذهب « أنت متكلي » أي ٣١ : ٢٤ .

(٤) ويجب أن لا نقنع بها كأنها كل ما نحتاجه أو نبتغيه . يجب أن نكتفي بالقليل لاجتياز بر ية العالم ، لا بالكل كأنه هو نصيبنا . يجب أن لا تكون هذه الأشياء «عزاءنا » لو ٦ : ٢٤ أو « خيراتنا » لو ١٦ : ٢٥ . يجب أن لا نكنز « لذر يتنا » في هذا العالم بل « لنفوسنا » في العالم الآتي . لقد تركت لنا حر ية الاختيار ، وأن ما نكنزه لأنفسنا هو الذي يحق لنا أن نقول بأننا نملكه .

من واجبك أن تختار بكل دقة وحكمة لأنك تختار لنفسك ، وسوف تمتلك كما يكون اختيارك . ونحن إذا عرفنا أنفسنا حق المعرفة ، وعرفنا الغاية التي لأجلها خلقنا ، ومقدار الطاقة التي نسعها ، ومقدار الأيام التي نحياها على الأرض ، وإذا عرفنا أن أنفسنا هي ذواتنا لأدركنا أنه من الحماقة ان نكنز كنوزنا على الأرض .

٢ ــ وتعليلا قو ياً للسبب الذي من أجله يجب أن لا ننظر لأي شيء « على الأرض » كأنه كنزنا لأنه قابل للتلف والضياع :

(١) بسبب الفساد من الداخل . لأن ما يكنز على الأرض « **يفسده السوس (١) والصدأ (٢)** » . إذا حصر الكنز في الثياب الناعمة الرقيقة تعرض لتأثير العتة وتلف دون أن

---

(١) أو « العتة » حسب كل من الترجمتين القبطية والانكليز ية

(٢) أو « الآكلة » أو « الأرضة » حسب كل من الترجمة القبطية وترجمة اليسوعيين .

نشعر بل ونحن نظن أنه محفوظ فى أمان . وان حصر فى القمح أو أى صنف آخر من المأكولات كما كان كنز ذلك الغنى الغبى الذى كان محصوراً فى مخازنه لو ١٢ : ١٦ و١٧ فإن « الصدأ » أو « الآكلة » أو « الأرضة » تفسده أو « تأكله » ، أى يأكله البشر لأنه « إذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها » جا ٥ : ١١ أو تأكله الفيران أو الحشرات الأخرى الآكلة ، فالمن نفسه رعت فيه الديدان ، أو يتعفن ، فالفاكهة سرعان ما تتعفن

وإن كان المقصود بالكنز انه محصور فى الذهب والفضة فإن الصدأ يأكله ، لأنه يزداد تناقصاً بالاستعمال ، و يزداد سوءاً بالتخز ين والإكتناز يع ٥ : ٢ و٣ . إن الصدأ يتراكم على المعدن نفسه ، والعت يتوالد فى الثياب نفسها .

(ملاحظة) إن فى باطن الثروة العالمية مبدأ الفساد والبلى ، إنها تذبل من تلقاء ذاتها ، تصنع لنفسها أجنحة أم ٢٣ : ٥ .

(٢) بسبب أعمال العنف من الخارج . « **ينقب السارقون و يسرقون** » كل يد غير أمينة تتطلع نحو البيت الذى كنزت فيه الكنوز . لأن كل ما نكتنزه لا يمكن أن نأمن عليه بل يكون عرضة للنهب . قال الفيلسوف سينكا « لم اطمئن قط إلى الحظ حتى لو ابتسم لى ، ومهما أغدق على من ثروة أو كرامة أو أمجاد فقد كنت لا أعبأبها حتى إذا ما حرمت منها لا تسبب لي أى انزعاج » . من الحماقة أن نجعل كنزنا ذلك الذى يمكن أن ينهب بسرعة

٣ــ ونصيحة ثمينة لكى نجعل أفراح وأمجاد العالم الآتى ، تلك الأشياء التى لا ترى ، الأبدية ، هى أفضل شيء عندنا ونحصر فيها سعادتنا . « **اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء** »

(ملاحظات) ــ (١) يقيناً أن هنالك « كنوزاً فى السماء » كما توجد كنوز على هذه الأرض ، وان التى فى السماء هى الكنوز الحقيقية ، هى الثروة والأمجاد والمسرات التى فى يمين الله ، التى يحصل عليها من قد تقدسوا حقاً

(٢) ومن الحكمة أن نكنز كنزنا فى تلك الكنوز ، أن نبذل كل الجهد كى نؤهل للحياة الأبدية بالمسيح يسوع ، وأن نعتمد عليها كسعادتنا ، وأن ننظر إلى كل الأشياء التى هنا على هذه الأرض بازدراء واحتقار ، كأنها لا تستحق أن تقارن بتلك الأمجاد . يجب أن نثق كل الثقة انه توجد سعادة كهذه ، وأن نعزم على الاكتفاء بها ، وأن لا نقنع بأى شيء سواها . ان جعلنا هذه الكنوز من نصيبنا هكذا ، صارت محفوظة ومكنوزة ، ويجب أن نثق بأن الله يحفظها لنا سالمة . هنالك يجب أن تتجه كل مقاصيدنا وكل رغباتنا ، وهناك يجب أن نوجه كل أشواقنا وعواطفنا . يجب أن لا نثقل أنفسنا بثروة هذا العالم التى إن هى إلا عبء لنا وتدنيس لنفوسنا وعامل من

العوامل التي تغرقنا ، بل لنكنز لأنفسنا كل ما يضمن لنا الراحة والسعادة والسلام . ان المواعيد هي وثائق قابلة للتحويل ، بها يحول المؤمنون الحقيقيون كنوزهم إلى السماء ، قابلة للدفع في المستقبل ، وهكذا يجب أن نثق بما هو مضمون لنا

(٣) مما يشجعنا على أن نكنز لأنفسنا « كنوزاً في السماء » انها هنالك آمنة سالمة ، انها لا تتلف من تلقاء ذاتها ، « **ولا يفسدها سوس ولا صدأ** » ، ولا نحرم منها بأعمال العنف أو اعمال الخيانة فإنه « **لا ينقب سارقون ولا يسرقون** » . انها سعادة لا تؤثر عليها تغيرات الزمان أو صروف الحدثان ، هي « ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل »

٤ ــ وتعليلا قويأ للسبب الذى من أجله يجب أن نحسن الاختيار ودليلا على أننا قد فعلنا كذلك ع ٢١ « **حيث يكون كنزك** » على الأرض أو في السماء « **هناك يكون قلبك أيضاً** » . فالواجب يحتم علينا إذاً أن نكون دقيقين وحكماء في اختيار كنزنا لأن طابع عقلنا ، و بالتالي لون حياتنا ، سوف يكون تبعاً لذلك اما جسدياً أو روحياً ، أرضياً أو سماو ياً . فالقلب يتبع الكنز ، كما تتبع الإبرة حجر المغنطيس ، أو كما تتبع الشمس زهرة عباد الشمس . حيث يكون الكنز هناك يكون التقدير والإعتبار ، هنالك تكون المحبة والعواطف كو٣ : ٢ وإلى هناك تتجه الرغبات والجهود ، والغايات والمقاصد ، وفي كل خطوة تتخذ يكون ذلك الكنز قبلة الانظار . « حيث يكون الكنز » هناك تكون اهتماماتنا ومخاوفنا لئلا نفقده ، ولهذا يشتد قلقنا ، هنالك يكون « رجاؤنا وثقتنا أم ١٨ : ١٠ و ١١ ، وهنالك تكون أفراحنا ولذاتنا مز ١١٩ : ١١١ ، وهنالك تكون أفكارنا ، هنالك يكون الفكر الداخلي ، الفكر الأول ، الفكر الحر ، الفكر الثابت المركز ، الفكر الدائم ــ القلب ملك لله أم ٢٣ : ٢٦ ولكي يحصل عليه يجب أن يوضع الكنز عنده وحينئذ ترتفع نفوسنا اليه .

وهذه النصيحة التي قدمها لنا المسيح عن اكتناز كنوزنا يصح جداً تطبيقها على التحذير السابق الذى يتضمن عدم اتمام أى شيء من الأعمال الدينية ابتغاء تطلع الناس الينا . فكنزنا هو صدقتنا وصلواتنا ، وأصوامنا ، والأجر الذى نحصل عليه منها . وإن أتممناها ابتغاء الحصول على مدح الناس فقد كنزنا هذا الكنز « على الأرض » ، قد استودعناه في أيدى البشر ، ويجب أن لا ننتظر مطلقاً بأن نسمع عنه فيا بعد . ومن الحماقة أن نفعل هذا لأن مدح الناس الذى نطمع فيه عرضة للفساد ، لأنه سرعان ما يصدأ و يأكله السوس و يتعفن . جهالة قليلة ــ كالذباب الميت ــ تفسده كله جا ١٠ : ١ . النميمة والافتراء والوشاية هي « السارقون الذين ينقبون و يسرقونه » و بذلك نخسر كل كنز الواجبات التي أديناها ، ونكون قد ركضنا باطلا وتعبنا باطلا لأننا أخطأنا الاتجاه في اتمامها . إن الخدمات المشبعة بالر ياء لا تكتنز كنزاً في السماء أش ٥٨ : ٣ وكل ما ربحته يطير في الهواء عندما يدعو الله النفس اليه أى ٢٧ : ٨ . ولكننا عندما نصلي

ونصوم ونقدم الصدقة بالحق والاستقامة متطلعين إلى الله وراجين رضاه ومزكين أنفسنا أمامه فقد كنزنا كنزنا في السماء وكتب لنا « تذكرة سفر » هناك ملا ٣ : ١٦ وإذا ما سجلت أسماؤنا هناك فقد ضمن لنا الجزاء هناك ، وهنالك سنواجه أصوامنا وصلواتنا وصدقتنا بالغبطة والفرح . المراؤون « في التراب (أو في الأرض) يكتبون » أر ١٧ : ١٣ ، أما الأمناء فقد كتبت أسماؤهم في السموات لو ١٠ : ٢٠ . ان نلنا رضاء الله فهذا كنز في السماء لا يمكن أن يفسد أو يسرق . عندئذ يسر على الدوام بكل ما نفعل و يعلن رضاءه على كل خطوة نخطوها . إن كنا نكنز كنزنا عنده هكذا فإننا نضع قلوبنا عنده ، وهل يمكن أن توضع في مكان أفضل ؟

(٢) يجب أن نحذر من الرياء ومحبة العالم في اختيار الغاية التي نتطلع اليها . وهنا يمثل لنا واجبنا في هذه الناحية بنوعين من العين يحملهما البشر : « **العين البسيطة والعين الشريرة** » ع ٢٢ و٢٣ . إن التعبير هنا يحوطه شيء من الغموض والإبهام لأنه وجيز ، فلنحاول إذاً توضيحه ببعض التفاسير المختلفة « **سراج الجسد هو العين** » هذا تعبير واضح فالعين تكشف وترشد . إن « نور العالم » لا يفيدنا كثيراً مالم يكن لنا « سراج (أو نور) الجسد » هذا . فإن « نور العينين » هو الذي « يفرح القلب » أم ١٥ : ٣٠ . ولكن ما الذي تشير اليه العين في الجسد :

١ — « **العين** » أي « القلب » (كما يفسرها البعض) ان كان بسيطاً ، وكلمة « بسيط » مترجمة في مواضع أخرى « سخي » رو ١٢ : ٨ ، ٢ كو ٨ : ٢ ، ٩ : ١١ و١٣ ، يع ١ : ٥ ويحدثنا سليمان عن « العين الصالحة » أم ٢٢ : ٩ . عندما يتأثر القلب بسخاء و بساطة و ينعطف نحو الصلاح والخير والمحبة فإنه يرشد صاحبه إلى الأعمال المسيحية وتصير كل تصرفاته مملوءة نوراً « **جسدك كله يكون نيراً** (أو مملوءاً نوراً) » أي مملوءة من الأدلة التي تشهد للمسيحية الحقيقة تلك « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب » يع ١ : ٢٧ ، مملوءة نوراً ، أي مملوءة من الأعمال الحسنة التي هي نورنا الذي « يضيء قدام الناس » . أما إن القلب شريراً ، طماعاً وقاسياً وحسوداً وجشعاً وحقوداً (وهذا ما يقصد عادة « **بالعين الشريرة** » مت ٢٠ : ١٥ ، مر ٧ : ٢٢ ، أم ٢٣ : ٦ و٧) « **فالجسد كله يكون مظلماً** » تكون كل التصرفات بعيدة عن المسيحية . إن « الماكر آلاته (أو وسائله) رديئة » على الدوام « وأما الكريم فبالكرائم يتآمر و بالكرائم يقوم » أش ٣٢ : ٥ — ٨

« **وإن كان النور الذي فيك** » (أي تلك العواطف التي يجب أن ترشدنا إلى كل ما هو خير) « **ظلاماً** » إن كانت هذه فاسدة وعالمية ، إن لم تكن هنالك طبيعية صالحة في الانسان ، إن لم تكن هنالك أميال طيبة ، فالفساد « **كم يكون** » في الانسان ، « **والظلام** » الذي يحيط به من كل ناحية .

و يظهر أن هذا المعنى يتفق مع سياق الحديث . فإننا يجب أن نكنز كنوزنا فى السماء بالسخاء فى اعطاء الصدقة ، ومع السرور لا بتذمر لو ١٢ : ٣٣ ، ٢ كو ٩ : ٧ . على أن هذه الكلمات نفسها التى ذكرت فى موضع آخر لو ١١ : ٣٤ لم تذكر فى نفس هذه المناسبة ولذلك فإن القرينة لا تحتم تفسيرها على هذا الوجه .

٢ ــ « العين » أى « الادراك » (كما يفسرها غيرهم) ، قوة التميز العملى ، الضمير الذى هو بالنسبة لقوى النفس الأخرى بمثابة العين فى الجسد ، لإرشادها فى كل حركاتها . « إن كانت العين بسيطة » إن كانت تحكم بالحق والاستقامة ، وتميز الأمور المتخالفة ، وخصوصاً فى المهمة العظمى (كنز الكنوز) لكى تحسن الاختيار فى هذه الناحية ، فإنها ترشد إرشاداً سليما كل العواطف والتصرفات التى تصبح كلها « **نيرة** » مملوءة من نور النعمة والعزاء . « أما إن كانت شريرة » فاسدة و بدلا من أن ترشد القوى الأدنى فإنها تنجذب وراءها وتنعطف اليها وتنحرف بسببها ، إن كانت تخدع فإن القلب بل الحياة كلها تكون « **مظلمة** » والتصرفات كلها فاسدة . قيل عن الذين لا يريدون أن يفهموا بأنهم « فى الظلمة يتمشون » مز ٨٢ : ٥ من المحزن جداً أن النفس التى يجب أن تكون سراج الرب تصبح نوراً كاذباً ، وأن « مرشدى الشعب » الذين يجب أن يربوا مواهبهم و ينموها يصبحون « مضلين » لأن الذين يرشدونهم يصيرون « مبتلعين » (أو « هالكين ») أش ٩ : ١٦ . إن الخطأ فى قوة التميز العملى يؤدى إلى الهلاك لأنه يجعل « الشر خيراً والخير شراً » أش ٥ : ٢٠

إذا فالواجب يحتم علينا أن ندرك الأشياء إدراكا سليما ، أن نكحل أعيننا بكحل .

٣ ــ « العين » أى « المقاصد والغايات » نحن بالعين نضع الغاية أمامنا ، الهدف الذى نصوب نحوه ، المكان الذى نتجه نحوه . نحن نضعه قبلة أنظارنا ، ونوجه حركاتنا تبعه . فى كل شيء نعمله فى الناحية الدينية تكون هنالك غاية معينة أمام أعيننا . « فإن كانت عينك بسيطة » إن كانت مقاصدنا نزيهة أمينة ، إن كانت غاياتنا قويمة إن كنا نسير باستقامة نحوها ، إن كانت مقاصدنا طاهرة وكلها متجهة نحو مجد الله ، ولا نطلب إلا كرامته ورضاه ونوجه كل شيء نحوه فحينئذ تكون « العين بسيطة » كانت عين بولس بسيطة حينما قال « لى الحياة هى المسيح » . وإن كانت لنا وجهة النظر هذه نفسها صار « الجسد كله نيراً » صارت كل الحركات منتظمة ومباركة ، مرضية لله ومريحة لضمائرنا . أما « إن كانت العين شريرة » إن كنا نتطلع إلى مدح الناس بدلا من أن نقصد مجد الله فقط ونوال رضائه ، و بينما ندعى أننا نكرم الله فإننا نسعى إلى كرامة أنفسنا ونطلب ما لأنفسنا تحت ستار طلب ما للمسيح ، فإن ذلك يتلف كل شيء ، وتصير سيرتنا بل كل تصرفاتنا مقلوبة الوضع وغير متزنة ولا مركزة ، وإذا ما اعتل الأساس هكذا صار البناء مضطرباً ومهدداً بالإنهيار .

« **وإن كان النور الذى فيك** » ليس مظلماً فقط بل هو « **الظلام** » بعينه صار العيب أساسياً وهادماً لكل ما يتبعه . إن الغاية تحدد التصرفات . من ألزم الأمور فى محيط الحياة الدينية أن تكون غاياتنا قويمة وأن تكون وجهة نظرنا الأشياء الأبدية لا الوقتية ٢ كو ٤ : ١٨ . إن الشخص المرائى يشبه قائد السفينة الصغيرة (الفلايكى أو المعداوى) الذى ينظر إلى ناحية ويجدف إلى الناحية الأخرى ، أما المسيحى الحقيقى فيشبه السائح الذى يتطلع على الدوام بكامل نظره إلى نهاية رحلته . إن المرائى يتفرس إلى أسفل كالحدأة التى تتطلع إلى أسفل إلى فريستها التى تنتظر حتى تفترسها فى الفرصة المناسبة ، أما المسيحى الحقيقى فيتفرس إلى أعلى كالقنبرة متناسياً كل ما هو أسفل .

(٣) ويجب أن نحذر من الرياء ومحبة العالم فى اختيار السيد الذى نخدمه ع ٢٤ « **لا يقدر أحد أن يخدم سيدين** » إن خدمة سيدين تتنافى مع العين البسيطة ، لأن العين تتطلع دواماً نحو يدى سيدها مز ١٢٣ : ١ و٢ . هنا يكشف المسيح القناع عن الخداع الذى يخدع به المراؤون أنفسهم الذين يظنون بأنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الله والعالم ، أن يكنزوا كنزاً على الأرض وكنزاً فى السماء فى وقت واحد ، أن يرضوا الله و يرضوا البشر فى نفس الوقت . يقول المرائى : لماذا لا أصطاد عصفورين بحجر واحد ؟ إنهم يرجون أن يخدموا مصالحهم العالمية عن طريق تدينهم و بذلك يجمعون بين الطريقين . لقد كانت الأم المدعية هى التى قبل أن يشطر الولد نصفين ، ولقد قبل السامريون أن يعرجوا بين الله والأوثان . أما المسيح فيجيبهم قائلا كلا ، لا تتوهموا بأن التقوى تجارة ١ تى ٦ : ٥ .

وهنا نرى :

١ — إن المسيح يضع لنا قاعدة عامة . ولعلها كانت من الأمثلة السائرة بين اليهود « لا يقدر أحد يخدم سيدين » و بالأولى لا يقدر أن يعبد إلهين ، لأن أوامرهما لابد أن تصطدم معاً وقتاً من الأوقات أو تناقض بعضها بعضاً . طالما كان السيدان سائرين معاً فإن الخادم يستطيع أن يتبعهما ، ولكن إن افترقا تبع الخادم أحدهما . إنه لا يستطيع أن يحب و يلاحظ و يلازم الأثنين كما ينبغى . إن لازم الواحد لا يمكنه أن يلازم الآخر ، لابد أن « **يبغض ... ويحتقر** » أحدهما نسبياً . هذه الحقيقة واضحة وجلية فى الأحوال العادية .

٢ — تطبيقها على الناحية التى نحن بصددها . « **لا تقدرون أن تخدموا الله والمال** (١) » وكلمة « المال » وردت فى النص الأصلى باللغة السريانية بمعنى « ربح » .

---

(١) أو « إله المال » حسب الترجمة الانجليزية

ولذلك فإن المقصود بـ « المال » هنا كل ما نحسبه فى هذا العالم ربحاً (فى ٣ : ٧) . المال هو « كل ما فى العالم ، شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة » . يجعل البعض إلههم بطنهم و يعبدون هذا الإله (فى ٣ : ١٩) . والبعض يجعلون إلههم راحتهم ونومهم وألعابهم الرياضية وتسلياتهم (أم ٦ : ٩) . والبعض يجعلون إلههم ثروتهم العالمية (يع ٤ : ١٣) . والبعض يجعلون إلههم كرامتهم وتقدمهم ، فالفريسيون كان إلههم مدح الناس وثناءهم . و بالاختصار إن محبة الذات ، محبة خدمة مصالح النفس العالمية وشهواتها الجسدية ، هى الإله الذى لا يمكن أن يعبد مع الله . لأنه إذا عبد تنافس مع الله وتعارض معه .

لا يقول المسيح إنكم « يجب » أن لا تعبدوا الله والمال بل « لا تقدرون » أن تعبدوا الله والمال . لا نقدر أن نحب كليهما ١ يو ٢ : ١٥ ، يع ٤ : ٤ أو نتمسك بكليهما ، أو نخضع لكليهما بالملازمة والطاعة والاتكال لأنهما يتعارضان الواحد مع الآخر . فالله يقول « يا ابنى أعطنى قلبك » والمال يقول « كلا ، بل أعطنى له » . الله يقول « اكتفوا بما عندكم » والمال يقول « امسك على قدر طاقتك ، المال المال ، بالوسائل الشريفة أو غير الشريفة ، المال (١) » . الله يقول « لا تخدع أحداً ولا تكذب ، كن أميناً وصادقاً فى كل معاملاتك » والمال يقول « أخدع أباك إن وجدت فى ذلك ربحاً لك » . الله يقول « كن محسناً » . الله يقول « لا تهتموا بشيء » والمال يقول « اهتم بكل شيء » . يقول الله « قدس يوم السبت » و يقول المال « انتفع بهذا اليوم كباقى الأيام » .

وهكذا نجد أن أوامر الله والمال لا يمكن أن تتفق حتى أننا « لا نقدر » أن نخدم كليهما . إذاً فيجب أن لا نعرج بين الله والبعل . بل « اختاروا اليوم من تعبدون » وتمسكوا باختياركم .

٢٥ ــ لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحيوة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ٢٦ ــ أنظروا إلى طيور السماء . إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ٢٧ ــ ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة ٢٨ ــ ولماذا تهتمون باللباس . تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل

---

(١) مثل لا تينى

٢٩ ــ ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ٣٠ ــ فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم و يطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم يا قليلى الايمان ٣١ ــ فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أوماذا نشرب أوماذا نلبس ٣٢ــ فان هذه كلها تطلبها الأمم . لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها ٣٣ ــ لكن اطلبوا أولا ملكوت الله و بره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ ــ فلا تهتموا للغد . لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفى اليوم شره .

يندر أن نجد خطية يحذر المسيح منها تلاميذه كل التحذير و يسلحهم ضدها بمختلف الحجج والبراهين مثل خطية الاهتمام الزائد بأمور هذه الحياة الذى يسبب لنا القلق و يستولى على كل افكارنا و يزعزع ثقتنا فى الله ، والذى إن هو إلا علامة سيئة على أن الكنز هو على الأرض . والقلب متعلق بالأرض . ولذلك يتوسع فى تحذيرنا منها . وهنا نجد :

(١) النهى عن الخطية . إنها لمشورة ونصيحة من الرب يسوع أن لا نهتم بأمور هذا العالم « **أقول لكم** » إنه يقول لنا هذا القول كواهب الشر يعة ، والمشرع الأعظم ، والملك على قلوبنا ، إنه يقوله كمعز ينا ومؤازر لسرورنا .

وما الذى يقوله ؟ هو هذا « ومن له أذنان للسمع فليسمع » : « **لا تهتموا لحياتكم ولا لأجسادكم** » ع ٢٥ . « **لا تهتموا قائلين ماذا نأكل** » ع ٣١ وأيضاً ع ٣٤ « **لا تهتموا** » (أو « لا ترتكبوا هماً » أو « لا ترتبكوا » حسب النص اليونانى) . وكما حذرنا المسيح من الر ياء ثلاث مرات كذلك يكرر التحذير من الاهتمامات العالمية هنا ثلاث مرات . ومع ذلك فإنه ليس تكراراً باطلا . لأنه يجب أن يكون « أمر على أمر ، وفرض على فرض » بنفس المعنى ، وهذا قليل مما يجب أن يكون لأن هذه « الخطية محيطة بنا بسهولة » . من هنا يتبين كيف يسر المسيح بأن يرانا نعيش بلاهم ، وكيف أن ذلك واجب علينا . لقد أمر المسيح تلاميذه مراراً أن لا ير بكوا عقولهم بالاهتمام بالعالم . هنالك « اهتمام بأمور هذه الحياة ليس فقط جائزاً وشرعياً بل واجباً ، هذا الاهتمام نرى عينة منه فى وصف المرأة الفاضلة أم ٣١ . أنظر أيضاً أم ٢٧ : ٢٣ . وقد استعملت نفس هذه الكلمة (اهتمام) فى وصف بولس بالكنائس واهتمام تيموثاوس بحالة النفوس ٢ كو ١١ : ٢٨ ، فى ٢ : ٢٠ .

أما « الاهتمام » المربك ، الذى يسبب القلق والانزعاج الذى يدفع العقل هنا وهنالك ، ويتركه معلقاً ، الذى يعطل فرحنا فى الرب ، و يصير ثقلا على رجائنا فيه ، الذى يزعجنا فى نومنا و يقض منا المضاجع ، الذى يمنعنا عن التمتع بأنفسنا وأصدقائنا و بكل ما يعطينا الله .

٢ ــ « الاهتمام » الذى يبعثه الشك وعدم الثقة . لقد وعد الله أن يوفر لأولاده كل ما يلزم للحياة والتقوى « للحياة الحاضرة » أى الطعام واللباس ، ليس الأطايب والنفائس بل الضروريات . إنه لم يعدنا بأن يولم لنا ولائم بل أن يعولنا . أما الاهتمام المربك بالأيام القادمة والخوف من الافتقار إلى تلك الضروريات فإنه ينشأمن عدم الثقة بتلك المواعيد وبحكمة وصلاح وجود العناية الإلهية ، وهذه هى ناحية الشر فى هذا الاهتمام .

أما من جهة مطالب الحياة الحاضرة فإنه يجوز بل يجب استعمال الطرق المشروعة للحصول عليها وإلا فإننا نجرب الله . يجب أن نكون مجدين مجتهدين فى أعمالنا العالمية ، حكماء فى موازنة نفقاتنا مع إيراداتنا ، كما يجب أن نصلى من أجل « خبزنا كفافنا » ، وإن لم تفلح كل الوسائل الأخرى ، فيجوز بل يجب أن نطلب المساعدة ممن يستطيع تقديمها . ليس رجلا كاملا من يقول « أستحى أن استعطى » لو ١٦ : ٣ وكذلك من « يشتهى أن يشبع من الفتات » لو ١٦ : ٢١ . أما عن المستقبل فيجب أن نلقى على الرب همنا ولا نهتم ، لأن الاهتمام هو بمثابة الغيرة من الله الذى يعرف أن يعطى ما نحتاج إليه عندما لا نعرف نحن كيف نحصل عليه . فلتسترح نفوسنا فيه ولتطمئن به . الاهتمام المطلوب هنا هو النوم الذى يعطيه الله لحبيبه بعكس المشاغل العالمية مز ١٢٧ : ٢

لاحظ التحذيرات هنا :

(١) **لا تهتموا لحياتكم** » الحياة هى اهتمامنا الأعظم فى هذا العالم . « كل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه (أو حياته) » أى ٢ : ٤ ومع ذلك فلا تهتموا لها .

[١] لا تهتموا بدوامها ، بل اتركوا ذلك لله الذى يستطيع أن يطيل الحياة أو يقصرها كما يشاء . « فى يدك آجالى » مز ٣١ : ١٥ وهل نجد يداً أفضل ؟

[٢] لا تهتموا بالراحة فى هذه الحياة ، بل اتركوا ذلك لله الذى يستطيع أن يمررها أو يلذذها كما يشاء . يجب أن لا نقلق ، حتى من جهة مطالب الحياة الضرورية أى الطعام واللباس ، فهذان قد وعدنا بهما الله ولذلك يجب أن نثق بأنه سيمنحهما لنا ، يجب أن لا نقول « ماذا نأكل » ، لا تهتموا « **بما تأكلون** » . فهذه لهجة الشخص الحائر الذى يكاد يقتله اليأس .

بينما يوجد الكثيرون من الأتقياء الذين لا يطمعون إلا في القليل فإنه لا يوجد إلا القليلون الذين لا تتوفر لهم حاجيات اليوم .

(٢) « **لا تهتموا للغد** » أي للأيام القادمة . لا تقلقوا من جهة المستقبل ، لا ترتبكوا في التفكير عما ستؤول إليه حياتكم في السنة القادمة ، أو عندما تشيخون ، أو في التفكير عما ستتركونه وراءكم . وكما أننا يجب أن لا « تفتخر» بالغد أم ٢٧ : ١ كذلك يجب أن لا نهتم بالغد أو بحوادثه

(٣) الأسباب والحجج التي يدعم بها هذا النهي . قد يظن المرء أن وصية المسيح كافية لصدنا عن هذه الخطية الحمقاء ، خطية الاهتمام المسبب للقلق والانزعاج ، والمنبعث عن الريبة والشك وعدم الثقة ، ولكن لكي يظهر المسيح مقدار اهتمامه بهذا الأمر ومقدار سروره بمن يرجون رحمته نراه يدعم وصيته بأقوى الحجج والأسانيد . ونحن لو حكمنا العقل حقاً لأرحنا أنفسنا من هذه الأشواك ولكي يحررنا المسيح من هذه الاهتمامات المربكة المقلقة ولكي يبعدها عنا يقدم لنا هنا أفكاراً معزية لكي تمتلىء بها عقولنا . يجدر بنا أن نبذل الجهد في مناقشة الحساب مع قلوبنا عن اهتماماتها المزعجة وأن نخجل أنفسنا بها . قد يمكن إضعاف هذه الاهتمامات بالعقل السليم ، ولكن بالإيمان النشيط القوى وحده يمكن التغلب عليها . لاحظ إذاً :

١ ــ « **أليست الحيوة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس** » ع ٢٥ . نعم ، لا شك في ذلك ، هكذا يقول من يستطيع أن يزن الأمور بميزانها الصحيح و يقدرها حق قدرها ، لأنه هو الذي خلقها . وهو الذي يعولها ، وهو الذي يعولنا بها . والأمر يتحدث عن نفسه .

ملاحظتان :

(١) إن حياتنا بركة أثمن بكثير من معيشتنا . صحيح أن الحياة لا تقوم بدون المعيشة ، ولكن الطعام واللباس اللذين يصورهما المسيح هنا بأنهما أقل قيمة من الحياة والجسد هما للزينة والتلذذ ، وهل يليق بنا أن نرتبك من أجلهما . لقد جعل الطعام واللباس لأجل الحياة ، ولا شك في أن الغاية أفضل وأسمى من الوسيلة . إن أشهى طعام وأفخر لباس هما من « الأرض » ، أما الحياة فهي من « نسمة الله » . الحياة هي نور الناس ، والطعام هو الوقود الذي يغذى هذا النور . إذاً فالفرق بين الغني والفقير طفيف جداً طالما كانا يستويان في الأهم ولا يختلفان إلا في الأقل قيمة .

(٢) وهذا يشجعنا للثقة في الله والاتكال عليه بصدد الطعام واللباس ، و يرحنا من كل اهتمام مربك ومزعج من جهتهما . لقد أعطانا الله الحياة وأعطانا الجسد ، وفي هذا تجلت

قدرته وتجلت محبته ، وفى هذا لم يكن لاهتمامنا أى دخل . وإن كان قد استطاع أن يفعل ذلك فما الذى لا يستطيع أن يفعله ؟ وما الذى لا يريد أن يفعله ؟ إن كنا نهتم بأرواحنا و بالأبدية التى هى أفضل من الجسد ومن حياة الجسد فلنترك لله أن يدبر لنا الطعام واللباس وهما أقل قيمة . لقد عال الله حياتنا إلى الآن ، وإن كنا لم نستطع الحصول إلا على القطانى والماء فقط ففى ذلك الكفاية . لقد كان لنا حصناً منيعاً وحفظنا أحياء إلى الآن . والذى يحفظنا من الشرور التى نحن عرضة إليها لابد أن يهبنا الخيرات التى نحتاج إليها . ولو أراد أن يقتلنا أو يهلكنا جوعا لما كان قد أوصى بنا ملائكته لتحفظنا فى مناسبات كثيرة .

٢ ــ « **أنظروا إلى طيور السماء ... وتأملوا زنابق الحقل** » وهذه حجة مستمدة من عناية الله العامة بالمخلوقات الدنيئة ، واعتمادها ــ على قدر طاقاتها ــ على تلك العناية . ليتعلم الإنسان من « طيور السماء » ولتخبره أى ١٢ : ٧ و٨ .

(١) « أنظروا إلى طيور السماء » وتعلموا أن تعتمدوا على الله من جهة « الطعام » ولا تزعجوا أنفسكم بما تأكلون .

[١] لاحظوا عناية الله بها . أنظروا إليها وتعلموا منها دروساً . هنالك أنواع مختلفة من الطيور ، إنها عديدة ، بعضها طيور جارحة ، ولكنها كلها تنال طعامها ، طعامها المناسب لها ، و يندر أن يهلك أحدها جوعاً ، حتى فى الشتاء ، وعلى مدار السنة لا يعوزها شيء من الطعام ، وكما أن الطيور هى أقل المخلوقات التى تقوم بخدمة الإنسان فإنه لا يعنى بها كثيراً ، كثيراً ما يطعم نفسه منها ولكنه قليلا ما يطعمها . ومع ذلك فإنها تنال طعامها ، نحن لا نعرف كيف تناله ، و بعضها يحصل على أفخر الطعام فى أردأ فصول السنة ، « **وأبوكم السماوى يقوتها** » ، إنه يعرف « كل طيور الجبال » أكثر مما تعرف أنت طيورك الأليفة التى تربيها فى بيتك مز ٥٠ : ١١ لا يهبط عصفور واحد إلى الأرض ليلتقط حبة حنطة واحدة إلا بتدبير الله وعنايته التى تشمل حتى أقل المخلوقات

على أن ما يلاحظ هنا بصفة خاصة إنها تقتات دون جهد أو اهتمام أو تدبير « إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن » ، صحيح أن النملة تجمع إلى مخازن وكذلك النحلة وهما قائمان أمامنا كمثل أعلى فى الحكمة والجد والنشاط ، ولكن « طيور السماء » لا تفعل شيئاً من ذلك ، لا تدبر للمستقبل ، ومع ذلك ففى كل يوم يدبر لها قوتها ، « عيونها نحو الرب » الذى فى يديه كل كنوز السماء والأرض ، المحسن الكريم الجواد ، الذى « يدبر طعاماً لكل ذى جسد » .

[٢] ليكن ذلك مشجعاً لك للاتكال على الله . « **ألستم أنتم بالحرى أفضل منها** » نعم ، لا شك فى ذلك .

(ملاحظة) إن « ورثة » السماء أفضل بكثير جداً من « طيور » السماء ، هم خليقة أسمى وأنبل وأشرف ، و بالايمان يستطيعون أن يحلقوا إلى مسافات أعلى ، أسمى فى طبيعتها وأسمى فى تغذيتها ، « أحكم من طيور السماء » أى ٣٥ : ١١ ، حتى وإن كان أحد أبناء هذا العالم الذين « لا يعرفون قضاء الرب » ليسوا أحكم من « اللقلق ، واليمامة ، والسنونوة المزقزقة » أر ٨ : ٧ . أنتم أكرم عند الله وأقرب إليه وإن كانت هى تحلق فى الفضاء فى السماء . هو الرب خالقها ، صاحبها وسيدها ، ولكنه رغم كل ذلك هو أبوكم وأنتم فى نظره « أفضل من عصافير كثيرة » ، أنتم أبناؤه ، بكر خليقته ، فمن يطعم عصافيره لا يمكن أن يسمح بإهلاك أولاده جوعاً . وإن كانت العصافير تثق فى عناية الله ألا يليق بكم أنتم أن تثقوا فى عنايته ؟ وإذ تتكل العصافير على هذه العناية فإنها لا تهتم بالغد ، ولهذا فإنها تحيا أسعد حياة بين كل المخلوقات ، إنها « من بين الأغصان تسمع صوتاً (أو تتغنى) » مز ١٠٤ : ١٢ وتسبح خالقها بأقصى ما تستطيع من قوة . فإن كنا ــ بالإيمان ــ لا نهتم بالغد مثل العصافير وجب علينا أن نتغنى بابتهاج مثلها ، لأن الاهتمامات العالمية هى التى تعطل أفراحنا وتعرقل بهجتنا وتسكت تسبيحنا .

(٢) « تأملوا زنابق الحقل » وتعلموا الثقة فى الله من جهة « اللباس » . وهذه ناحية أخرى لاهتمامنا « ماذا نلبس » . يهتم البشر باللباس على سبيل الاحتشام ليسترهم ، من باب الوقاية لتدفئتهم ، ويهتم به الكثيرون على سبيل التزين والتجمل ليظهروا عظمتهم وأناقتهم فأصبحوا يهتمون بجمال ملابسهم وتنوعها حتى صار الاهتمام على قدم المساواة مع خبزهم اليومى . ولكى نريح أنفسنا من هذا الاهتمام « لنتأمل زنابق الحقل » لا ننظر إليها فقط (فكل عين تفعل ذلك بلذة وسرور) بل « لنتأمل »

(ملاحظة) كم من الدروس نستطيع أن نتعلمها مما نراه كل يوم لو أننا تأملنا فيه أم ٦ : ٦ ، ٢٤ : ٣٢ .

[١] تأملوا ضعف الزنابق . إنها « **عشب الحقل** » . إن الزنابق « عشب » ولو امتازت بألوانها . وهكذا أيضاً « كل جسد عشب » . ولو أن البعض يشبهون الزنابق من ناحية مواهب الجسد والعقل ، الأمر الذى يدعو لإعجاب الكثيرين بهم ، إلا أنهم لا يزالون مثل العشب ، « عشب الحقل ، فى طبيعته وفى تكوينه ، ولا يزالون فى مستوى واحد مع الباقين . وأيام الإنسان ، مهما طالت ، إن هى إلا كعشب ، « كزهر عشب » ١ بط ١ : ٢٤ .

هذا العشب « **يوجد اليوم و يطرح غداً فى التنور** » ، فى وقت وجيز يجهلنا تماماً موضعنا الذى كنا فيه معروفين مز ١٠٣ : ١٦ القبر هو التنور الذى نطرح فيه ، والذى فيه نحترق كما يحترق العشب فى النار مز ٤٩ : ١٤ .

هذه تشير ضمناً إلى أحد الأسباب التى لأجلها يجب أن لا نهتم بالغد ، ماذا نلبس ، لأننا قبل أن يجيء الغد قد نكون فى حاجة إلى لباس القبر .

[٢] تأملوا تحررها من كل اهتمام . إنها « **لا تتعب** » كما يتعب البشر لاقتناء اللباس ، كما يتعب العبيد لاقتناء الكساء ، « **ولا تغزل** » كما تغزل النساء لصنع اللباس . ليس هذا معناه أن نهمل واجباتنا الضرورية فى هذه الحياة أو نتراخى فى تأديتها . فان من محاسن المرأة الفاضلة أنها « تمد يديها الى المغزل ، تصنع قصاناً وتبيعها » أم ٣١ : ١٩ و٢٤ .

بالكسل والتوانى نحن نجرب الله بدلا من الثقة فيه والاتكال عليه ، على أن ذاك الذى يهتم بأدنى المخلوقات دون أن تتعب سوف يهتم بنا نحن بالأحرى بأن يبارك تعبنا الذى جعله نصيباً لنا . وإن عجزنا عن أن نتعب ونغزل بسبب المرض فإن الله يستطيع أن يمدنا بكل ما هو ضرورى لنا .

[٣] تأملوا « **جمالها** » . « كيف تنمو » ، ومن أى شيء تنمو . إن جذور الزنابق وجذور سائر الزهور التى على شاكلتها تختفى فى الشتاء وتدفن فى الأرض ، ولكنها تظهر متى عاد الربيع وتبزغ فى وقت وجيز . لهذا السبب وعد الله إسرائيل أن « يزهر كالسوسن » هو ١٤ : ٥ .

تأملوا إلى مدى تنمو . فى ظرف أسابيع قليلة تخرج من العدم وتنمو حتى تصل إلى جمال رائع حتى أنه « **ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها** » كان لباس سليمان فاخراً جداً . فإن ذاك الذى آلت اليه كنوز الملوك الممتازة وثروة الممالك المختلفة ، والذى بدا فى غاية المجد والعظمة والفخامة ، لا شك فى أنه كان يلبس أفخر الثياب ، أبهى ما صنع فى العالم . خصوصاً عندما كان يظهر فى مجده فى المناسبات العظيمة . ومع ذلك فإنه مهما لبس لا يمكن أن يصل الى جمال الزنابق .

فلنطمع إذاً فى « حكمة » سليمان التى لم يتفوق عليه أحد فيها (الحكمة التى بها نتم واجبنا فى مكاننا) بدلا من أن نطمع فى « مجد » سليمان الذى تفوقت عليها فيها الزنابق . المعرفة والنعمة هما كمال الإنسان ، لا الجمال ، ولا الملابس الجميلة بالأحرى . وهنا يقال عن عشب الحقل إن الله هو الذى « **يلبسه هكذا** » .

(ملاحظة) إن الله هو مصدر كل سمو وكل جمال وكل تفوق فى المخلوقات . هو الذى يعطى الحصان قوته والزنبقة جمالها . وكل خليقة تبدو إلينا فى الثوب الذى يلبسه الله إياها

[٤] تأملوا مقدار ما يمكننا تعلمه من الدروس من كل هذا ع ٣٠ :

(أولا) أما عن اللباس « الجميل » فإن هذه الدروس تعلمنا أن لا نهتم به ، ولا نطمع فيه ، ولا نفتخر به ، ولا نجعله زينتنا ، لأنه مهما بلغت عنايتنا به الحد الأقصى فإن الزنابق تفوقنا فيه . وإن كنا لا نستطيع أن نلبس لباساً جميلا مثلها فلماذا نحاول منافستها .

إن جمالها يبيد سريعاً وهكذا أيضاً جمالنا . انها سوف تذبل ، « **توجد اليوم وتطرح غداً في التنور** » كباقي الأوساخ والأقذار . والملابس التي نفخر بها سوف تبلى ، بل هي الآن في طريقها إلى البلى ، سرعان ما تفنى بهجتها و يتغير (يبهت) لونها و يبطل زيها (مودتها) ، أو في وقت وجيز يبلى الثوب نفسه . هكذا الإنسان في كل زهوه وكبريائه أش ٤٠ : ٦ و٧ وخصوصاً الأغنياء فإنهم يذبلون في طرقهم يع ١ : ١٠ و١١ .

(ثانياً) وأما عن اللباس « الضروري » فإن هذه الدروس تعلمنا أن نلقى كل اهتمامنا على الله يهوه يرأه ، لنتكل على ذاك الذي يلبس الزنابق فإنه مستعد ان يقدم لنا ما نلبس . إن كان يعطي مثل هذا الثوب الجميل للعشب فبالأولى جداً يعطي اللباس المناسب لأولاده ، اللباس اللازم لتدفئتهم ، ليس فقط عندما « يسكن الأرض من ريح الجنوب » بل أيضاً عندما تضطرب من « ريح الشمال » أي ٣٧ : ١٧ .

إنه « **بالحرى جداً يلبسكم** » لأنكم خليقة اسمي ، ومن طبيعة اسمي . إن كان يلبس العشب الذي لا يعد عمره إلا بالأيام فبالحرى جداً يلبسكم يامن خلقتم للأبدية . وحتى أبناء نينوى كانوا في نظر الله أفضل من اليقطينة يون ٤ : ١٠ و١١ و بالأولى جداً أبناء صهيون المرتبطون مع الله بعهد أبدي .

لاحظ الوصف الذي يصفهم به « **ياقليلي الايمان** » ع ٣٠ وهذه تحمل معنيين (١) إما لتشجيع الايمان الحقيقي وان كان ضعيفاً . انه يؤهلنا للعناية الإلهية والوعد بتقديم المساعدة المناسبة لنا . ان الايمان القوي نعمة جليلة و يأتي أعمالا جليلة ، على أن الايمان الضعيف لا يرفض فإنه على الأقل يحصل على القوت والكسوة . الايمان السليم يحصل على ضروريات الحياة ولو لم يكن ايماناً قوياً . والأطفال في العائلة ينالون طعامهم ولباسهم كالبالغين بل بعناية أوفر وعطف أغزر . فلا تقل أنا لست إلا طفلا « أنا شجرة يابسة » أش ٥٦ : ٣ و٥ لأنك ولو كنت مسكينا و بائسا فإن الرب يهتم بك مز ٤٠ : ١٧ (٢) أو بالحرى لتوبيخ الايمان الضعيف ولو كان ايماناً صحيحاً ص ١٤ : ٣١ . انها تبين ضمنا أساس تفكيرنا المضطرب وارتباكاتنا ، فإن ذلك لا يمكن أن يعزى إلا لضعف ايماننا و بقايا روح الشك وعدم الايمان في قلوبنا . لأنه ان كان لنا ايمان أكثر لوجب ان تقل اهتماماتنا

٣ ـــ « **ومن منكم** » أوفركم حكمة وقوة « **إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا**

واحدة » ع ٢٧ أو « على عمره » كما يظن البعض ، ولكن مقياس « الذراع » يدل على أن المقصود هو القامة ، والعمر مهما طال ليس إلا « أشباراً » مز ٣٩ : ٥ . لنتأمل هنا :

(١) اننا لم نصل إلى القامة التي بلغناها باهتمامنا أو اجتهادنا بل بالعناية الإلهية . فالطفل الذي يبلغ طوله شبرا يكبر حتى يصل إلى أزيد من متر ونصف . وكيف كانت قامته تزيد ذراعا بعد الأخرى ؟ ليس بتدبيره او حكمته ، فإنه لا يعرف كيف كان ينمو، بل بقوة الله وصلاحه . فالذي خلق أجسادنا وأوصلها إلى هذا الحد من القامة لا شك في انه سوف يهيء لها ضرورياتها .

(ملاحظة) يجب أن نعترف بالفضل لله في ازدياد قوتنا الجسدية وقامتنا ، ويجب الاعتماد عليه في كل الضروريات لأنه أظهر لنا انه يعنى بأجسادنا . أن سن النمو هو سن عدم التفكر وعدم الاهتمام ومع ذلك فنحن ننمو. فهل يعقل ان من أوصلنا إلى هذا الحد من القامة لا يعولنا الآن وقد نمونا .

(٢) ونحن لن نستطيع أن نغير القامة التي وصلنا اليها إن أردنا . يا لها من غباوة وحماقة وسخف ان فكر انسان قصير القامة في أن يجهد نفسه و يكد قريحته ويحصر كل تفكيره وهمه في الليل والنهار لكي « يزيد على قامته ذراعاً واحدة » وهو يعلم انه مهما فعل لا يستطيع أن يفوز بأمنيته وأن الأولى له أن يقنع بالحالة التي هو فيها . اننا لسنا كلنا في طول واحد ومع ذلك فاختلاف طول القامة ليس أمراً جوهرياً وليس في الصميم . والرجل القصير ان رغب في أن يكون طويل القامة كقريبه يعلم ان ذلك لا يجديه شيئا ولذلك فالأولى له أن يقوم بأكبر قسط من الخير بحد القامة الذي بلغ إليه .

وكما نفعل بطول قامتنا يجب أن نفعل بثروتنا العالمية

[١] يجب أن لا نطمع في وفرة الثروة العالمية كما يجب أن لا نطمع في زيادة ذراع على قامتنا لأن الذراع تزيد الانسان زيادة بالغة . فيكفي أن ننمو بالسنتيمتر. مثل هذه الزيادة تجعل الانسان ثقيل الحركة ، عبئا على نفسه

[٢] يجب أن نقنع بثروتنا كما نقنع بقامتنا ، يجب أن نواجه المضايقات بوسائل الراحة . يجب أن ننتفع أحسن انتفاع بما لا يمكن معالجته . نحن لا نستطيع أن نغير أعمال العناية الإلهية ولذلك يجب أن نقبلها كما هي ، ونلائم انفسنا لها ، ونذلل كل عقبة كما فعل زكا إذ تغلب على عقبة قصر قامته بصعوده على شجرة .

٤ ــ « **فإن هذه كلها تطلبها الأمم** » ع ٣٢ ان الاهتمام بالعالم خطية وثنية ولا تليق

بالمسيحيين . فالأمم يطلبون هذه لأنهم لا يعرفون ما هو أفضل ، انهم شغوفون بهذا العالم لأنهم يجهلون العالم الأفضل ، انهم يطلبون هذه باهتمام وارتباك لأنهم « بلا إله فى العالم » ويجهلون عنايته . إنهم يخافون و يعبدون آلهتهم ولكنهم لا يعرفون كيف يثقون فيها و يتكلون عليها لخلاصهم وإعالتهم ، ولذلك تراهم ممتلئين هماً وارتباكا . ولكنه عار على المسيحيين الذين يدينون بمبادىء أسنمى و يعترفون بديانة تعلمهم ليس فقط بأن هنالك عناية إلهية بل أن هنالك أيضاً مواعيد لخير هذه الحياة تعلمهم الثقة فى الله واحتقار العالم وتقدم لهم البراهين المقنعة لكل من الأمرين . عار عليهم أن يسلكوا كما يسلك الأمم وأن يشغلوا عقولهم وقلوبهم بهذه الأمور.

٥ ــ **« لأن أباكم السماوى يعلم انكم تحتاجون إلى هذه كلها »** هذه الأشياء الضرورية ، الطعام واللباس ، هو يعلم احتياجاتنا أفضل منا . انه وان كان فى السماء وأولاده على الأرض ولكنه يلاحظ ما يحتاجه أصغرهم وأفقرهم « أنا أعرف فقرك » رؤ ٢ : ٩ . أنتم تظنون انه لو علم أحد أصدقائكم الأوفياء حاجتكم وضيقتكم لما تأخر عن إغاثتكم سريعاً ، أما إلهكم فإنه يعرفها ، وهو أبوكم الذى يحبكم و يشفق عليكم وهو مستعد لتقديم كل مساعدة ، « أبوكم السماوى » الذى لديه ما يكفى لسد كل أعوازكم . إذاً فانبذوا عنكم كل الأفكار المزعجة والاهتمامات المربكة ، تقدموا إلى أبيكم ، أخبروه ، هو « يعلم انكم تحتاجون إلى هذه كلها » ، انه يسألكم : « ياغلمان (أو يا أبناء) ألعل عندكم إداماً (أى طعاماً) » يو ٢١ : ٥ . اخبروه ان كان عندكم أم لا . هو وان كان يعلم احتياجاتنا لكنه يود أن يعلمها منا . وعندما نبسطها إليه لنعترف بأننا مدينون فى سد كل أعوازنا لحكمته وقوته وصلاحه . إذاً فلنرح أنفسنا من عبء الاهتمام بطرحه على الله لأنه هو الذى يعتنى ويهتم بنا ١ بط ٥ : ٧ ولماذا كل هذا الارتباك ؟ إن كان هو الذى يعتنى بنا فلماذا كل هذا العناء ؟

٦ ــ **« اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم »** ع ٣٣ . وهنا نجد حجتين ضد خطية الارتباك والاهتمام . « لا تهتموا لحياتكم » حياة الجسد :

(١) لأن لكم ما هو أهم وأعظم لتهتموا به ، حياة الروح ، سعادتكم الأبدية ، هذا هو الأمر الأوحد الذى يستدعى كل تفكيرنا لو ١٠ : ٤٢ والذى أصبح مهملا من كل القلوب التى تسلطت عليها الاهتمامات العالمية . لو اننا كنا أكثر عناية بإرضاء الله وإتمام خلاصنا لقل اهتمامنا بإرضاء أنفسنا وإنشاء ثروة فى هذا العالم . ان أعظم علاج للاهتمام بالعالم هو الاهتمام بأرواحنا .

(٢) لأن لكم طريقة أضمن وأسهل وأكثر ايجازاً واختصاراً للحصول على ضروريات هذه الحياة ، هذه خير لكم من الانزعاج والاضطراب والارتباك بسببها ، وذلك بأن « تطلبوا أولا

ملكوت الله و بره » وتجعلوا التقوى شغلكم الشاغل ، لا تظنوا ان هذه الطريقة تؤدى بكم إلى الفاقة والعوز والموت جوعاً ، كلا فهذه هى الطريقة للشبع حتى فى هذا العالم . لاحظ هنا :

[١] الواجب العظيم المطلوب ، هو خلاصة كل واجباتنا « اطلبوا أولا ملكوت الله » اعلموا بأن الحياة الروحية هى واجبكم الأعظم الرئيسى . ان واجبنا هو أن نطلب ، ونرغب ، ونتابع ونجعل غايتنا هذه الأمور . هذه كلمة تتضمن الكثير من أساس العهد الجديد الذى أقيم لخيرنا . وان كنا لم نبلغ الغاية المطلوبة بعد « ليس اننى قد نلت » ، وان كنا لا زلنا مقصرين فى أمور كثيرة ، إلا أن الطلب والبحث والسعى بإخلاص أمر مقبول أمام الله . لاحظ هنا :

أولا ــ موضوع هذا الطلب « ملكوت الله و بره » يجب أن تكون السماء غايتنا والقداسة طريقنا . اطلبوا تعزيات ملكوت النعمة والمجد باعتبارها موضوع سعادتكم ، ليكن « ملكوت السموات » قبلة أنظاركم ، تقدموا نحوه ، تأكدوا من انكم قد ضمنتموه ، اعتزموا على أن لا تخسروه ، اطلبوا هذا المجد والكرامة والخلود ، فضلوا السماء و بركات السماء على الأرض والمسرات الأرضية . نحن لا ننتفع شيئاً من ديانتنا ان لم تؤد بنا إلى السماء . ومع « سعادة » هذا الملكوت اطلبوا أيضاً « بره » ، « بر الله » ، البر الذى يريده أن يكون « فينا » وأن يتم « بنا » ، الذى يزيد عن بر الكتبة والفريسيين ، لنتبع « السلام والقداسة » عب ١٢ : ١٤

ثانياً ــ ترتيب الطلب « اطلبوا **أولا** ملكوت الله » . ليحل اهتمامكم بأرواحكم والعالم الآخر محل كل الاهتمامات الأخرى ، وليكن كل ما يختص بهذه الحياة ثانوياً بالنسبة لما يختص بالحياة الأخرى . لنطلب ما يختص بالمسيح قبل ما يختص بنا . وان تنافسا فلنذكر من ذا الذى يجب أن تعطى له الأولوية .

اطلبوا هذه « أولا » : « أولا » فى أيام حياتكم ، ليكن فجر الشباب مكرساً لله . والحكمة يجب أن تطلب مبكراً ، وخير بداية للحياة أن تبدأ بالتقوى . « أولا » فى كل يوم ، لتكن افكار اليقظة لله ومن الله . ليكن هذا هو مبدأنا أن نفعل الأهم « أولا » ، وليكن أول كل شيء لذاك الذى قيل عنه بأنه هو « الأول » .

[٢] ثم يضاف هذا الوعد المبارك « **وهذه كلها** » أى ضروريات الحياة « **تزاد لكم** » تعطى لكم بوفرة وزيادة . سيعطى لكم ما تطلبون ، أى « ملكوت الله و بره » ، لأنه لن يوجد شخص جاد فى طلبه دون أن ينال ما يطلب . وعلاوة على تحقيق هذا الطلب فإنكم ستعطون طعاماً ولباساً بشكل « زائد » وفائض ، كما يعطى من يشترى بضاعة ورقاً للف البضاعة وخيوطاً لحزمها « التقوى لها موعد الحياة الحاضرة » ١ تى ٤ : ٨ . وسليمان طلب حكمة فأعطيت إليه وزيد عليها غيرها ، ٢ أى ١ : ١١ و١٢ .

يـاله من تغيير عظيم مبارك يتم في قلوبنا وحياتنا ان آمنا بعزم القلب و بكل ثقة واخلاص بهذه الحقيقة ، وهي ان أفضل طريقة للحصول على حاجيات هذا العالم هي أن نعكف على الاهتمام بالعالم الآخر. اننا نبدأ حياتنا بداية حسنة حينما نبدأها بالله . عندما نبذل كل جهدنا لنضمن لأنفسنا ملكوت الله و بره فإن الرب الذى هو « يهوه يرأه (١) » يدبر لنا كل أمور هذه الحياة حسبما يراه صالحاً لنا ، بل و يعطينا ما لم نكن نفكر فيه . وإن كنا قد وضعنا فيه ثقتنا فيما يختص « بنصيب ميراثنا » في الحياة الأخرى فلماذا لا نثق فيه فيما يختص « بنصيب كأسنا » في الطريق إليها ؟ لم يأت الله بشعبه اسرائيل إلى أرض كنعان أخيراً فقط ولكنه عالهم أيضاً في البرية .

ألا ليتنا نصير أكثر اهتماماً بالأمور غير المنظورة ، الأبدية ، وحينئذ يقل اهتمامنا بالأمور المنظورة ، الوقتية . « لا تحزن عيونكم على أثاثكم » تك ٤٥ : ٢٠ و٢٣

٧ ــ « **الغد يهتم بما لنفسه ، يكفي اليوم شره** » ع ٣٤ . يجب أن لا نربك أنفسنا بحوادث المستقبل لأن كل يوم يأتي بأثقاله وهمومه وأحزانه كما يأتي أيضاً بقوته ومعونته وزاده ان كنا نتطلع حولنا ولا ندع مخاوفنا وشكوكنا تحرمنا من المساعدات والامدادات التى تقدمها لنا النعمة . لذلك يخبرنا المسيح هنا :

(١) ان الاهتمام بالغد لامبرر له . دع « الغد يهتم بما لنفسه » . ان كانت الحاجيات والمتاعب تتجدد كل يوم فإن المعونة والزاد يتجددان كذلك . « لأن مراحمه جديدة فى كل صباح » مراثى ٣ : ٢٢ و٢٣ . للقديسين صديق هو « عضدهم فى الغدوات (١) » أش ٣٣ : ٢ « أمر اليوم بيومه » عز ٣ : ٤ وهكذا يحفظ شعبه فى اعتماد عليه بصفة مستمرة . فلنترك إذاً لقوة الغد أن تعمل عمل الغد وتحمل أثقال الغد . ان الغد وأمور الغد تدبر بدون تدخل منا . فلماذا نربك أنفسنا بما هو مضمون تدبيره بمنتهى الحكمة ؟ هذا لا يمنع أن نكون حكماء و بعيدى النظر والاستعداد بحسب ما نراه بحكمتنا و بعد نظرنا ، ولكن الذى يحذرنا منه المسيح هو الانهماك والارتباك بأمور الغد وسبق التفكير فى المتاعب والمصائب التى قد لا تأتى قط أو التى يمكن احتمالها بسهولة ان أتت كما يمكن اتقاء شرها . فالمعنى هو أن نهتم بعملنا الذى بين أيدينا ونترك الحوادث لله ، أن نؤدى عمل اليوم فى يومه ونترك ليأتى بعمله معه

---

(١) تك ٢٢ : ١٤ أى « الرب يرى » أو « الرب يدبر »

(١) أو « ذراعهم فى كل صباح » حسب الترجمة اليسوعية والترجمة الانكليزية .

(٢) والاهتمام بالغد شهوة من ضمن الشهوات الغبية والمؤذية التي يسقط فيها من يريدون أن يكونوا أغنياء ، ووجع من ضمن الأوجاع التي يطعنون أنفسهم بها . «يكفى اليوم شره» هذا اليوم له متاعبه الكافية ، فلا داعى لتكويم أثقال على أثقاله بسبق التفكير فى متاعب الغد ، ولا داعى لاستعارة ارتباكات من شرور الغد واضافتها إلى ارتباكات اليوم . نحن لا نعلم شرور الغد ، ولكنها مهما كانت فإن الغد يكفى للتفكير فيها عندما تأتى . يا لها من حماقة أن نحمل أنفسنا اليوم عبء الاهتمام والمخاوف التى تتعلق بيوم آخر والتى لن تصير أخف حملا عندما تأتى . ويجب أن لا نثقل على أنفسنا بتحمل كل العبء دفعة واحدة بينما رتبت العناية الإلهية أن يحمل على دفعات .

إذاً فخلاصة الأمر كله هى أن إرادة ووصية الرب يسوع أن لا يعذب تلاميذه أنفسهم بأنفسهم وأن لا يجعلوا طريق عبورهم هذا العالم أشد ظلاماً أو كدراً بسبق التفكير فى متاعبهم أكثر مما قد جعله الله فى المتاعب نفسها . ونحن بصلواتنا اليومية نستطيع الحصول على القوة التى تعيننا على تحمل متاعبنا اليومية وتسلحنا ضد التجارب التى تحف بها ، ولذلك يجب أن لا يزعزعنا أى شىء من هذا .

الاصحاح السابع

في هذا الاصحاح نرى تتمة عظة المسيح على الجبل التى هى كلها عملية لارشادنا فى تقويم سيرتنا وتصرفاتنا نحو الله والانسان لأن قصد المسيحية هو أن يحيا البشر حياة صالحة فى كل النواحي . وهنا نرى (١) بعض القواعد عن الانتقاد والانتهار ع ١ ــ ٦ (٢) بعض المشجعات لطلب ما نحتاجه من الله ع ٧ ــ ١١ (٣) ضرورة التدقيق فى سيرتنا وتصرفاتنا ع ١٢ ــ ١٤ (٤) تحذيراً من الأنبياء الكذبة ع ١٥ ــ ٢٠ (٥) خلاصة كل العظة وهى ضرورة اطاعة وصايا المسيح بصفة عامة لأننا لن ننتظر السعادة بدونها ع ٢١ ــ ٢٧ (٦) تأثير تعاليم المسيح على سامعيه ع ٢٨ و٢٩

١ ــ لا تدينوا لكى لا تدانوا ٢ ــ لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ٣ ــ ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ٤ ــ أم كيف تقول لأخيك دعنى أخرج القذى الذى فى عينك وها الخشبة فى عينك ٥ ــ يا مرائى اخرج أولا الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك ٦ ــ لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم .

يعلمنا مخلصنا هنا كيف نسلك بإزاء أخطاء الآخرين ، ويظهر من لهجته انه يقصد توبيخ الكتبة والفريسيين الذين كانوا فى منتهى القسوة والاستبداد والعجرفة فى دينونة كل من حولهم كعادة المتكبرين المغرورين فى تبرير أنفسهم . وهنا نرى :

(١) تحذيراً من دينونة الآخرين ع ١ و٢ . هنالك أشخاص تقتضى وظيفتهم أن يحكموا ويدينوا ، هؤلاء هم القضاة والولاة . ومع أن المسيح لم يقم من نفسه قاضياً إلا أنه لم يأت لكى يعزل القضاة لأن « به تقضى العظماء (أو الولاة) عدلا » أم ٨ : ١٥ . على أن هذا التحذير موجه إلى أفراد معينين ، إلى تلاميذه ، الذين سيجلسون على كراسى يدينون فيما بعد وليس الآن . لاحظ هنا :

١ ــ التحذير « **لا تدينوا** » يجب أن ندين أنفسنا وندين تصرفاتنا ولكن يجب أن لا ندين أخانا ، ولا ندعى لأنفسنا ــ بتعسف واستبداد ــ سلطة على الآخرين كما اننا لا نقبل أن تكون لهم سلطة علينا ، لأن دستورنا هو أن نكون جميعاً خاضعين بعضنا لبعض ١ بط ٥ : ٥ . « لا تكونوا معلمين كثيرين » يع ٣ : ١ . يجب أن لا نجلس على كرسى القضاء لنجعل كلمتنا قانوناً على كل انسان .

يجب أن لا ندين أخانا ، أى يجب أن لا نذمه كما يفسرها لنا القول الوارد فى يع ٤ : ١ .

يجب أن لا نحتقره أو نزدرى به رو ١٤ : ١٠

يجب أن لا نتسرع فى الحكم أو نصدر على أخينا حكما لا أساس له ، مصدره الوحيد غيرتنا وحسدنا وفساد طبيعتنا .

يجب أن لا ننظر بمنظار أسود للآخرين أو نستخلص من كلماتهم نواحى سيئة لا تحتملها هذه الكلمات .

يجب أن لا تكون الديونة بدون رحمة أو محبة ، أو بروح الانتقام ، أو برغبة الاساءة .

يجب أن لا نحكم على أخلاق المرء من تصرف واحد ، ولا على حقيقته بمجرد تصرفه معنا ، لأننا ميالون إلى محاباة أنفسنا إذا ما تعارضت مصلحتنا مع مصلحته .

يجب أن لا نحكم على قلوب الآخرين أو نياتهم لأن فحص القلب من اختصاص الله وحده ولا يجوز لنا التعدى على اختصاصه .

يجب علينا أن لا نحكم على مصيرهم الأبدى أو ندعوهم مرائين أو فاجرين أو منبوذين أو هالكين فهذا تطاول منا وخروج عن حدودنا ، لماذا ندين عبد غيرنا ؟ لنا أن نسدى اليه النصيحة أو نقدم له المعونة ، ولكن ليس لنا أن ندينه .

٢ ــ السبب الذى يقدمه لتعزيز هذا التحذير : « **لكى لا تدانوا** » وهذه تتضمن :

(١) اننا إن كنا ندعى لأنفسنا حق دينونة الآخرين فيجب أن نتوقع دينونة أنفسنا . إن من يعبث بالنظام يقف أمام القضاء و يدان من الناس . والعادة أن اكثر الناس انتقاداً لغيرهم يصيرون أكثرهم عرضة لانتقاد الآخرين ، فكل واحد يجد حجراً ليرجمهم . ومن كانت يده ولسانه على كل واحد كاسماعيل تصبح يد ولسان كل واحد عليه تلك ١٦ : ١٢ . ومن لا يشفق

على سمعة الآخرين لا يجد من يشفق على سمعته

على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد فإنهم يدانون أيضاً من الله ، يأخذون « دينونة أعظم » يع ٣ : ١ . سوف يظهر الفريقان أمامه رو ١٤ : ١٠ فإنه كما ينصف المتألمين المتواضعين فهو أيضاً يقاوم المستكبرين و يدينهم دينونة كافية .

(٢) وإن كنا نتلطف فى انتقاد الآخرين ناظرين اليهم نظرة المحبة ، إن كنا نكف عن دينونتهم ، إن كنا ندين أنفسنا بالحرى فإننا « لا ندان من الرب » . وكما أن الله يغفر لمن يغفر لأخيه كذلك هو لا يدين من لا يدين أخاه ، « الرحماء يرحمون » . إن عدم دينونة الآخرين علامة على التواضع والمحبة وخوف الله والتطلع اليه ، وسوف تنال الجزاء من الله . أنظر رو١٤ : ١٠

أما دينونة من يدينون الآخرين فهى تتمشى مع ناموس معاملة المثل بالمثل « **بالدينونة التى بها تدينون تدانون** » ع ٢ . إن الله العادل كثيراً ما يراعى فى دينونته قانون النسبة والتناسب كما حصل فى حادثة أدونى بازق قض ١ : ٧ . أنظر أيضاً رؤ١٣ : ١٠ ، ١٨ : ٦ . وهكذا يتبرر و يتعظم فى دينونته و يصمت أمامه كل ذى جسد .

« **بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم** » ربما فى هذا العالم ، و بذلك يقرأ المرء خطيته فى قصاصه . ليكن هذا مانعاً لنا عن القسوة فى معاملة الآخرين « ماذا نصنع حين يقوم الله » أى ٣١ : ١٤ ماذا يصير لنا لو أن الله عاملنا فى دينونتنا بنفس الدقة والقسوة اللتين ندين بهما اخوتنا ، لو أنه وزن لنا بنفس الميزان ؟ يجب أن نتوقع هذا بعدل إن دققنا فى التطلع إلى أخطاء الآخرين . فى هذا ــ كما فى نواح أخرى ــ تنقلب قسوة البشر على رؤوسهم .

(٢) بعض التحذيرات بصدد انتهار الآخرين . إن نهينا عن دينونة الآخرين التى هى خطية عظيمة لا يستلزم نهينا عن انتهار الآخرين ، فذلك واجب عظيم ، وقد يكون واسطة فى تخليص نفس من الموت ، بل واسطة فى تخليص أنفسنا من الاشتراك فى إثمهم . لاحظ هنا :

١ ــ لا يصلح كل واحد لانتهار الآخرين . إن الذين يرتكبون نفس الأخطاء التى يتهمون بها غيرهم أو أشر منها يجلبون عاراً على أنفسهم ولا يفيدون الذين ينتهرونهم ع ٣ ــ ٥ . وهنا نرى .

(١) توبيخاً عادلا لأولئك الذين يشددون النكير على الآخرين بسبب الأخطاء البسيطة بينما يتغاضون عن أخطائهم الشنيعة ، الذين يسرعون فى نظر « **القذى الذى فى عين أخيهم** » ولكنهم لا يشعرون « **بالخشبة التى فى عينهم** » ولا يفطنون لها . بل تبلغ بهم درجة

التطفل والفضول أن يقول الواحد منهم « **دعنى أخرج القذى الذى فى عينك** » مع أنه لا يصلح لهذا العمل لأنه هو شخصياً أعمى .

(ملاحظات) [١] ان للخطية درجات ، فبعض الخطايا يشبه القذى والبعض الآخر يشبه الخشبة ، البعض يشبه « البعوضة » والآخر يشبه « الجمل » . وليس هذا معناه أن هنالك خطايا صغيرة ، لأنه لا يوجد إله صغيرة ترتكب ضده هذه الخطايا الصغيرة . إن كانت الخطية « كالقذى » (أو « شظية » كما يقراها البعض) فإنها فى العين ، وإن كانت « بعوضه » فهى فى الحلق ، وهى فى كلتا الحالتين أليمة وخطرة ، ونحن لا يمكننا أن نجد راحة أو صحة حتى يخرج القذى أو البعوضة .

[٢] ويجب أن تبدو خطايانا فى أعيننا أعظم من نفس الخطايا إذا ارتكبها غيرنا . وتلك الخطية التى تعلمنا المحبة أن ندعوها قذى فى عين أخينا سوف نجد أن التوبة الصادقة والحزن المقدس يعلماننا أن ندعوها خشبة فى أعيننا . لأننا يجب أن نلطف خطايا الآخرين ونشنع فى خطايانا .

[٣] يوجد كثيرون لهم خشبة فى أعينهم ومع ذلك لا يفطنون لها . إنهم غارقون فى نجاسة بعض الخطايا الشنيعة وخاضعون لسلطانها ومع ذلك لا يحسون بها بل يبرون أنفسهم كأنهم لا يحتاجون إلى توبة أو اصلاح . وكما أنه غريب جداً أن يكون للإنسان خشبة فى عينه ولا يفطن لها كذلك غريب جداً أن يكون الأنسان فى تلك الحالة الخاطئة التعسة ولا يحس بها . ولكن إله هذا العالم يطمس بصيرتهم بكل مهارة حتى أنهم رغم كل ذلك يقولون بكل ثقة إنهم مبصرون يبصرون .

[٤] والعادة أن اشر الخطاة ، الذين لا يحسون بخطيتهم ، هم أكثرهم تعجلا ومبالغة فى دينونة وانتقاد الآخرين ، فالفريسيون الذين كانوا أكثر الناس تشامخاً فى تبرير أنفسهم كانوا أكثرهم تحقيراً للآخرين فى دينونتهم . لقد كانوا قساة على تلاميذ المسيح لأكلهم بأيد غير مغسولة الأمر الذى لا يستحق أن يشبه « بالقذى » بينما كانوا يشجعون الآخرين لاحتقار والديهم الأمر الذى كان يشبه « الخشبة » . إن الكبرياء والتشامخ وعدم الشفقة هى أخشاب فى عيون أولئك الذين يدعون التلطف فى انتقاد الآخرين . كم من شخص يرتكب فى السر ما يعيبه على الآخرين إذا ظهر علانية . قال سينكا الفليسوف الرومانى المعروف « أذكر بأن الأخطاء التى تتذمر منها قد تكتشفها فيك شخصياً لدى الفحص الدقيق ، وأذكر ليس أمراً مرغوباً فيه أن تحتج علناً وتظهر استياءك من جريمتك الشخصية » .

[٥] إن قسوة الإنسان على أخطاء الآخرين أذ يكون هو شخصياً منغمساً فى أخطائه

ان هـي إلا عـلامـة من علامات الر ياء . « يا مرائي » . مهما ادعى شخص كهذا فن المؤكد أنه ليس عـدواً للخطية (لأنه لو كان كذلك لصار عدواً لخطيته الشخصية) وذلك لا يستحق المدح ، بل هـو يبين أنـه عـدو لأخـيـه ومن أجل هذا يستحق اللوم . هذه المحبة الروحية يجب أن تبدأ من الـبـيت ، لأنه « **كيف تقول لأخيك** » كيف تتجاسر ـــ وقد التحفت بالعار ـــ أن تقول لأخيك « دعـنـي أعـيـنـك في اصلاح حياتك » بينما أنك لا تهتم مطلقاً بإصلاح نفسك ؟ إن قلبك يوبخك بسبب هذه السخافة ، وأنت لا تستطيع أن تفعل هذا بشيء من راحة الضمير ، وسوف تجد أن كل واحد يخبرك بأن الرذيلة لا تصلح خطية ، أيها الطبيب أشف نفسك . أنظر رو ٢ : ٢١

[٦] إن الـتـطـلـع إلى أخطائنا الشخصية ان كان يجب أن لا يعوقنا عن انتهار الآخر ين بـروح المحبـة إلا أنـه يجب أن يحـفـظـنـا مـن روح الـدينونة في انتقادهم ويجب أن يجعلنا في غاية الإخـلاص والمحبة في انتقادهم . إذاً « فأصلحوا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك » غل ٦ : ١ ناظراً إلـى نـفـسـك فـي الماضي والحاضر ، ناظراً إلى ما يمكن أن تؤول اليه في المستقبل لو أن الله تركك لنفسك » .

(٢) قـاعـدة جـمـيـلـة للذين ينتهرون الآخر ين ع ٥ . اسلك الطر يق القويم « **اخرج أولا الخشبة من عينك** » . إن أخطاءنا الشخصية لا يمكن أن تبررنا في عدم انتهار الآخر ين ، ومما يز يد هذه الأخطاء شناعة أنها تجعلنا غير صالحين لانتهار الآخر ين . الواجب على أن لا أقول « إن فـي عـيني خشبة ولذلك فلن أحاول مساعدة أخي في اخراج القذى من عينه » . فشر الانسان لن يكـون وسـيـلـة للدفاع عن نفسه . بل الواجب أن أصلح نفسي أولا لكي أستطيع بذلك أن أصلح أخي ، ولكي أصلح لانتهاره .

(مـلاحـظـة) عـلـى الـذيـن يـلـومـون الآخـر يـن أن يـكـونوا هم أنفسهم بلا لوم . وعلى « المـنـصـفين فـي الـبـاب (١) المـنـصـفين بحكم وظيفتهم ، القضاة والولاة والخدام ، أن « يسلكوا بـالـتـدقيق » وأن يكونوا كاملين في تصرفاتهم ، « أن تكون لهم شهادة حسنة » ١ تي ٣ : ٢ و٧ . كان الملقط في القدس يصنع من ذهب خالص .

٢ ـــ ولا يـصـلـح كل واحد لقبول الانتهار . « **لا تعطوا القدس للكلاب** » ع ٦ . وهذه تحمل معنيين :

---

(١) أو « المنتهر ين » (حسب الترجمة الانكليز ية) أش ٢٦ : ٢١

(١) إما أن تكون قد أعطيت كقاعدة للتلاميذ فى الكرازة بالانجيل ، وليس هذا معناه أن لا يكرزوا للأشرار والدنسين (فالمسيح نفسه كرز للعشارين والخطاة) بل المقصود أن لا يكرزوا ثانية بين أولئك الذين وجدوهم عنيدين وصلبى الرقبة ــ بعد الكرازة لهم ــ كأن يجدفوا على الانجيل أو يضطهدوا حامليه . يجب أن لا يصرفوا وقتاً طويلا بين أناس كهؤلاء ، لأن هذا يعتبر مجهوداً ضائعاً ، بل ليتجهوا نحو غيرهم أع ١٣ : ٤٦

أو يكون المقصود بها أن تكون قاعدة للجميع فى الانتهار . يجب أن تكون غيرتنا ضد الخطية مسترشدة ببعض القواعد ، يجب ألا نحاول تقديم التعليم ، أو النصحية ، أو التوبيخ ، أو التعزية ، للمستهزئين القساة القلوب الذين لن تجديهم نفعاً مطلقاً ولكنهم يزدادون سخطا وحنقاً علينا وثورة ضدنا . إلق لؤلوة الى خنزير فيتأذى منها كأنك قد ألقيته بحجر . وكثيراً ما قيل عن الانتهار بأنه شتيمة أو تعيير (لو ١١ : ٤٥ ، أر ٦ : ١٠) لذلك لا تعطوا القدس للكلاب أو للخنازير النجسة .

ملاحظات :

[١] النصيحة الصالحة والتوبيخ والانتهار هى « أقداس » و « درر » ، هى فرائض إلهية ، هى ثمينة ، « قرط من ذهب وحلى من إبريز الموبخ الحكيم » أم ٢٥ : ١٢ والتوبيخ الحكيم « زيت للرأس » مز ١٤١ : ٥ « وشجرة حيوة » أم ٣ : ١٨ .

[٢] بين الأشرار من وصل إلى درجة شنيعة من الشر حتى صار ينظر إليهم كالكلاب والخنازير ، لقد وصلوا إلى درجة متسفلة من النجاسة . « لقد ساروا طويلا « فى طريق الخطاة » حتى أنهم جلسوا « فى مجلس المستهزئين » . إنهم يبغضون ويحتقرون التعليم ، و يتحدونه ، حتى وصلوا إلى درجة من الشر لا شفاء فيها ، إنهم يعودون مثل الكلب الى قيئة ومثل الخنزيرة الى مراغة الحمأة .

[٣] إذا قدم التوبيخ لأشخاص كهؤلاء يؤول الى الشر بدل الخير و يعرض المنتهر الى الإزدراء والأذى اللذين يتوقعان من الكلاب والخنازير ، إنه لا يُنتظر منهم إلا أن يدوسوا التوبيخ بأقدامهم ، ازدراء به وتعد عليه ، لأنهم لا يطيقون أى شيء يكبح جماحهم أو يعترض طريقهم ، ثم يلتفتون ويمزقون المنتهرين ، « **لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم** » ، يمزقون سمعتهم الطيبة بشتائمهم ، يقابلون كلماتهم الشافية بكلمات جارحة ، يمزقونهم بالأضطهاد ، كما مزق هيرودس يوحنا المعمدان من أجل أمانته .

لاحظ هنا ما هى العلامة على أن الناس صاروا كالكلاب والخنازير . إن الذين

يعتبرون هكذا هم الذين يبغضون التوبيخ والانتهار ويهربون من وجه الذين ــ بسبب إشفاقهم عليهم ــ يظهرون لهم خطيتهم وما تعرضهم له من خطر. أولئك يخطئون ضد العلاج ، ومن ذا الذى يعالج و يساعد من يرفضون العلاج والمساعدة ؟ وواضح أن الله قد قضى بهلاك أشخاص كهؤلاء ٢ أى ٢٥ : ١٦ .

وتنطبق هذه القاعدة على فرائض الإنجيل الخاصة المميزة التى يجب أن لا تمتهن بتقديمها للأشرار الفاجرين الدنسين لئلا تمتهن بذلك الأقداس و يزداد الأشرار قساوة « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين و يطرح للكلاب » .

ومع ذلك فيجب أن نكون فى غاية الحذر فى تطبيق وصف الكلاب والخنازير ولا نطلق هذا الوصف على أى شخص إلا بعد الاختبار الدقيق والدليل القاطع . كم من خاطىء ابتلع فى بالوعة اليأس والفشل لأنه أطلق عليه هذا الوصف وكان ممكناً أن ينال الخلاص لو أنه عولج بالحكمة . وكما أننا يجب أن نحذر من أن ندعو الصالح صالحاً بالحكم على كل المتدينين أنهم مراؤون كذلك يجب أن نحذر من أن نحكم على الأشرار أنهم لا رجاء فيهم بالحكم على كل الأشرار أنهم كلاب وخنازير.

[٤] إن الرب يسوع يشفق جداً على سلامه شعبه ولا يريدهم أن يعرضوا أنفسهم ــ بلا مبرر ــ لغضب أولئك الذين يلتفتون فيمزقونهم . إذاً فيجب أن لا يكونوا « بارين بزيادة » لئلا يخربوا أنفسهم . والمسيح قد وضع ناموس حفظ النفس كأحد نواميسه ، لأن دماء أولاده ثمينة جداً فى عينيه .

٧ ــ اسألوا تعطوا . أطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم ٨ ــ لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له ٩ ــ أم أى إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً ١٠ ــ وإن سأله سمكة يعطيه حية ١١ ــ فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه .

تحدث المسيح فى الاصحاح السابق عن الصلاة كفريضة أمرنا بها ، التى يكرم الله

بواسطتها ، والتى إذا أديت على الوجه المطلوب نالت جزاءها . وفى هذا الإصحاح يتحدث عنها كوسيلة معينة للحصول على ما نحتاج . سيما على النعمة التى تعيننا لإطاعة الوصايا التى قدمها لنا والتى ينفر من بعضها اللحم والدم .

(١) هنا نجد وصية فى ثلاثة كلمات بمعنى واحد « اسألوا ، اطلبوا ، اقرعوا » ع ٧ أى صلوا ، صلوا كثيراً ، صلوا بإخلاص وجد ، صلوا مراراً وتكراراً ، داوموا على الصلاة ، لتكن الصلاة شغلكم الشاغل ، صلوا بحرارة .

« **اسألوا** » كما يسأل الفقير صدقة . على الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فى النعمة أن يعكفوا على مهمة السؤال الوضيعة فيجدوها مهمة ناجحة . « أسألوا » ابسطوا أمام الله احتياجاتكم وأثقالكم ، والتجئوا اليه لطلب المعونة وكل أعواز الحياة حسب وعده . « اسألوا » كما يسأل السائح عن الطريق ، فالصلاة هى الطلب من الله مز ٣٦ : ٣٧

« **اطلبوا** » (أو « ابحثوا » حسب الترجمة الانجليزية) كما يطلب المرء و يبحث عن شيء ثمين فقده أو كما يطلب التاجر لآلىء كثيرة الثمن . « اطلبوا بالصلوة » دا ٩ : ٣

« **اقرعوا** » كما يفعل من يريد دخول البيت إذ يقرع الباب يريد الله أن يقبلنا فى عشرته ، فى محبته وملكوته ، وإن كانت الخطية قد اغلقت دوننا الباب وأوصدته فإننا بالصلاة نقرع « يارب يارب افتح لنا » . المسيح يقرع على بابنا رؤ ٣ : ٢٠ ، نش ٥ : ٢ ، و يسمح لنا بأن نقرع على بابه ، وهذه منه لا نسمح بها للسائلين العادين .

إن الطلب والقرع يتضمنان أكثر من السؤال والصلاة :

١ — فنحن يجب أن لا نكتفى بالسؤال بل لنطلب ، يجب أن ندعم صلواتنا بجهودنا ، يجب أن نبحث ونطلب ما نسأل عنه ، وذلك باستخدام الطرق المشروعة ، وإلا فإننا نجرب الله . فالكرام عندما طلب امهال التينة عديمة الثمر سنة أضاف إلى ذلك قوله « حتى أنقب وأضع » لو ١٣ : ٧ و٨ . والله يعطى معرفة ونعمة لمن يفتشون الكتب و ينتظرون على أبواب الحكمة أم ٨ : ٣٤ ، ويمنح قوة لغلبة الخطية للذين يتجنبون كل ما يؤدى إليها

٢ — ويجب أن لا نكتفى بالسؤال بل لنقرع ، يجب أن نأتى إلى باب الله ، يجب أن نسأل بلجاجة ، يجب أن لا نكتفى بمجرد الصلاة بل لنصارع ولنجاهد مع الله ، يجب أن نبحث ونطلب باجتهاد ، يجب أن نقرع بصفة مستمرة ، يجب أن نستمر فى تأدية الواجب إلى النهاية

(٢) ثم نجد هنـا وعـداً : « ان تعبنا » فى الصلاة ــ ان كنا نتعب فيها حقاً ــ « ليس بـاطلا » . حيثما وجد الله قلباً مصلياً أعطاه أذناً صاغية . انه « يجيبك بسلامة » (تك ٤١ : ١٦) . سبق أن رأينا بأن الوصية مثلثة الأركان « أسالوا ، اطلبوا ، اقرعوا » هنالك رأينا « أمراً على أمر » أمـا الـوعد فهو مسدس الأركان « فرضاً على فرض » وذلك لتشجيعنا لأن الثقة الوطيدة فى الوعد تز يدنا ثباتاً وبهجة فى الطاعة . هنا نجد :

١ ــ ان الـوعـد أعـطـى مـطابقاً كل المطابقة للوصية ع ٧ فالله سوف يلتقى بأولئك الذين يـتـقـدمـون إليـه . « **أسـالـوا تـعطوا** » لم يقل « يعار لكم » أو « يباع لكم » بل « تعطوا » وهل هـنـالك أسخى من العطية ؟ مهما صليتم من أجل أى أمر ، مهما سألتم فإنه لابد أن « يعطى لكم » حسب الوعد أن كان الله يرى انه مناسب لكم . وأى شىء تطلبون أكثر من هذا ؟ كل ما عليكم هو أن تـطـلـبوا لكى تمتلكوا ، وإن كنتم « لستم تمتلكون فلأنكم لا تطلبون » أو « لانكم تطلبون ردياً » . وما لا يستحق الطلب لا يستحق الامتلاك ، و بالتالى لا يوازى فتيلا .

« **اطلبوا تجدوا** » وعندئذ لا يضيع تعبكم . الله نفسه « يوجد من الذين يطلبونه » ، وان وجدناه صار لنا كل الكفاية .

« **اقـرعـوا يـفتح لكم** » لا يوصد باب الرحمة والنعمة دونكم كأعداء ومتطفلين بل يفتح لـكـم كـأحـبـاء و بنين . سوف يسأل هذا السؤال « من بالباب » . فإن استطعت أن تجيب بأنك صـديق ، وأن تـقـدم بـيد الإيمان تذكرة الوعد ، فلا تشك من قبولك للدخول . وان كان الباب لا يـفـتـح إذ تـقرع لأول مرة فواظب على الصلاة رو ١٢ : ١٢ ، لأنها إساءة للصديق أن تقرع بابه ثم تنصرف ، بل انتظر ولو أبطأ

٢ ــ ثم انه كرر مرة أخرى ع ٨ . انه بنفس المعنى ولو أضيفت إليه بعض الز يادات

(١) انـه وضع ليشمل كل الذين يصلون بالحق . وكأن المسيح أراد أن يقول : ليس أنتم يـاتـلاميذى فقط هم الذين ينالون ما يصلون من أجله بل « **كل من يسأل يأخذ** » يهودياً كان أو أممـيـا ، صغيراً أم كبيراً ، غنيا أو فقيراً ، رفيعا أو وضيعا ، سيداً أو عبداً ، عالماً أو جاهلا ، فالجميع يـقـبلون أمام عرش النعمة على حد سواء إذا أتوا بالإيمان لأن الله لا يحابى ولا « يقبل الوجوه » أع ١٠ : ٣٤

(٢) ووضـع لـيس كمجرد وعد يتحقق فى المستقبل بل بصيغة الحاضر . فهو لم يقل كل مـن يـسـأل « سوف يأخذ » بل « يأخذ » . ونحن بالإيمان نستمتع فعلا بالخير الموعود ، لأن مواعيد الله أكـيـدة جداً وغير قـابـلـة للوهن بأى حال من الأحوال ، حتى ان المسيح أراد أن يؤكد لنا انها

الآن ، في الوقت الحاضر ، في متناول يدنا ، بل في حيازتنا . والمؤمن النشيط يدخل مباشرة ويجعل البركات الموعودة ملكا له . ولا شك في أن البركات التي نرجو الحصول عليها ـــ حسب الوعد ـــ ثابتة ومضمونة ولذيذة كالبركات التي حصلنا عليها فعلا . « الله قد تكلم بقدسه » والنتيجة المباشرة « لي جلعاد لي منسى » مز ١٠٨ : ٧ و٨ ، الكل لي لو انني جعلته لي بالإيمان . والعطايا المرتبطة بشرط تصبح مضمونة لدى إتمام الشرط ، وهذا هو الحال هنا « من يسأل يأخذ » . هنا يضع المسيح ضمانته للطلب ، ونحن يكفينا أن ندرك بأنه قد أعطى كل سلطان

٣ ـــ وأخيراً يوضحه المسيح بتشبيه مقتبس من الآباء الأرضيين واستعدادهم الفطري لإعطاء أبنائهم ما يسألون . هنا يلجأ المسيح الى سامعيه « **أي انسان منكم** » مهما كان حاد الطبع وسيء الخلق « **إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً** » ع ٩ و١٠ ومن ذلك يستنتج في ع ١١ « **فإن كنتم وأنتم أشرار تعطون أولادكم** » طلباتهم « **فكم بالحري أبوكم السماوي يهب خيرات للذين يسألونه** » . وهذه تنفعنا :

(١) لإرشاد وتوجيه صلواتنا وانتظاراتنا .

[١] يجب أن نأتي لله كأبناء « لأبيهم السماوي » بوقار واحترام واجلال ثم بثقة . طبيعي أن يهرع الطفل إلى ابيه يبث إليه شكواه في ضيقاته أو يرفع اليه طلباته في حاجته : « رأسي رأسي » . هكذا يجب أن تدفعنا طبيعتنا الجديدة إلى الله لتقديم طلباتنا إليه

[٢] يجب أن نأتي إليه لطلب « الخيرات » لأنه « يعطيها » للذين « يطلبونها » . وهذا يعلمنا أن نستودع أنفسنا بين يديه لأننا لا نعرف « ما هو خير » لنا جا ٦ : ١٢ ولكنه هو يعرف خيرنا ، إذاً فلنسلمه كل أمورنا ، « أبانا ... لتكن مشيئتك » .

المفروض هنا أن الابن « يسأل خبزاً » وهذا ضروري و « **سمكة** » وهذا صحي . اما إن طلب بغباوة « حجراً » أو « حية » ، إن طلب فاكهة غير ناضجة ليأكل أو سكيناً حادة ليلعب بها فإن الآب بحكمته ـــ مهما كان محباً شفوقاً ـــ لا يعطيه . نحن طالما طلبنا من الله ما يضرنا لو انه اعطى إلينا ، ولعلمه بهذا فإنه لا يعطينا . ان المنع بالمحبة أفضل من المنح بالغضب . ولو أننا قد أعطينا كل ما طلبنا لهلكنا منذ أزمنة طويلة . ولقد أجاد أحد الوثنيين (١) في توضيح هذه الحقيقة إذ قال في قصيدته العاشرة :

---

(١) هو « جيوفينال » الشاعر الروماني (من سنة ٦٠ ـــ ١٤٠)

لا تأمن حظك إلا للقوات العلوية
ودعها تدبر لك كل أمورك وكل أسرارك الخفية
وتمنحك ما تعتقد بحكمتها ، التى لن تخطىء ، السرمدية
انك فى حاجة اليه
فهى ـــ فى العظمة او فى الصلاح ـــ تفوق كل القوات العالمية
آه لو اننا نحب أنفسنا نصف محبتها القوية
فإننا ونحن مسوقون بعواطفنا الغبية
نبحث عن رفيقة حياتنا ثم نتمنى الذرية
أما الآلهة فإنها وحدها تعرف
زوجاتنا وذرياتنا ومستقبلنا وكل نية

(٢) لتشجيع صلواتنا وانتظاراتنا . يجب أن ننتظر استجابة الصلاة ، فنحن لا نعطى بدل الخبز حجراً لتكسير أسناننا ، ولا حية بدل السمكة لتدلغنا ، ولو أن هنالك أسباباً كثيرة تحملنا على توقعها لأننا نستحقها ، ولكن الله يرحمنا و يشفق علينا ويمنحنا أفضل مما تستحقه خطايانا . ان العالم طالما أعطى بدل الخبز حجراً و بدل السمكة حية ، أما الله فلن يفعل هذا ، بل انه يسمع و يستجيب صلواتنا لأن الأبناء يعتمدون اعتماداً مطلقاً على الآباء

[١] لقد وضع الله فى قلب الآباء محبة وعطفاً وميلا طبيعيا لإعالة الأبناء وتقديم كل حاجياتهم اليهم . وحتى أولئك الذين لا يقدرون الواجب المفروض عليهم حق قدره تراهم يؤدونه كأمر غريزى . لم يكن هنالك أى تفكير فى أى عصر من العصور بضرورة وضع أى تشريع يلزم الآباء بإعالة أولاذهم الشرعيين ، ولا غير الشرعيين فى عصر سليمان .

[٢] وهو يعترف بنا كبنين حتى يكون ما نجده فى أنفسنا من استعداد لسد كل حاجيات أولادنا مشجعاً لنا على الإلتجاء اليه لسد كل حاجياتنا . كل ما يشعر به الآباء من محبة وعطف نحو أولادهم مستمد منه ، ليس مستمداً من الطبيعة بل من إله الطبيعة ، ولذلك فان هذه الصفات لابد أن تكون متوفرة فيه هو بدرجة اعظم جداً جداً . هو يشبه عنايته بشعبه بعناية الأب بالبنين مز ١٠٣ : ١٣ بل بعناية الأم وهى أرق وأغزر أش ٦٦ : ١٣ ، ٤٩ : ١٤ و١٥ .

أما هنا فيبين أن محبته وعطفه وصلاحه تفوق جدال كل ما يمكن أن يتوفر فى اى أب أرضى ، و يدلل على ذلك بقوله « **فكم بالحرى** » ، وأساس ذلك هذه الحقيقة التى لا شك فيها وهى أن الله أب أفضل ، أفضل بما لايقاس من أى أب أرضى « أفكاره علت عن أفكارهم » . لقد عنى بنا آباؤنا الأرضيون ، ونحن عنينا بأبنائنا ، فكم بالحرى يعنى الله بأولاده ، لأن الآباء

الأرضيين أشرار، اشرار بطبيعتهم ، هم ذرية فاسدة لآدم الساقط ، لقد فقدوا الكثير من الطبيعة الصالحة التى خلق عليها آدم قبل السقوط ، وضمن ما ورثوه من الفساد القسوة وعدم الشفقة ، ومع ذلك فإنهم « يعرفون أن يعطوا أولادهم عطايا جيدة » ، يعرفون أن يعطوا عطايا مناسبة وفى أوقات مناسبة ، فكم بالحرى يهب الله ، لأنه هو يتعهدنا عندما يتخلى عنا الآباء مز ٢٧ : ١٠ . ولذلك فان الله :

(أولا) أكثر علماً . فالآباء فى غالب الأحيان يحيطهم الجهل والغباوة أما الله فإنه لا حد لحكمته ، هو يعلم احتياجاتنا ، ورغباتنا ، و يعرف الصالح لأنفسنا .

(ثانيا) أوفر شفقة وحنواً . لو أن شفقة كل البشر فى العالم تجمعت فى أحشاء أحدهم وقورنت « بمراحم إلهنا » لبدت كشمعة بالنسبة إلى الشمس أو كنقطة بالنسبة إلى المحيط . الله مستعد أن يعطى أولاده بغنى أكثر من آباء أجسادنا لأنه هو أب أرواحنا ، هو الآب المحب إلى الأبد ، الحى إلى الأبد . إن أحشاء الآباء تحن إلى الأبناء العاقين ، إلى « الإبن الضال » ، كما حن داود نحو أبشالوم ، ألا يكفى كل هذا لتسكيت شكوكنا وعدم إيماننا .

١٢ ــ فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم . لأن هذا هو الناموس والأنبياء
١٣ ــ ادخلوا من الباب الضيق . لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه ١٤ ــ ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحيوة . وقليلون هم الذين يجدونه

هنا يحثنا المسيح على العدالة نحو الناس التى هى فرع رئيسى من الديانة الحقيقية ، كما يحثنا على التقوى نحو الله التى هى فرع رئيسى من العدالة العامة :

(١) يجب أن نجعل العدالة قانوناً لنا وأن نسلك بموجبه ع ١٢ : « **فكل ما تريدون** » أو « **لذلك** كل ما تريدون » ، « لذلك » ضعوا هذا مبدأ لكم أن تفعلوا كما « **تريدون أن يفعل الناس بكم** » ، « لذلك » لكى تستطيعوا أن تسلكوا حسب الوصايا السابقة بصفة خاصة التى تتضمن عدم دينونة وعدم انتقاد الآخرين فاسلكوا حسب هذه القاعدة بصفة عامة . أنتم لا تريدون أن ينتقدكم الناس « لذلك » فلا تنتقدوا . أو لكى تنتفعوا ببركات المواعيد السابقة ،

وحسناً اقترن ناموس العدل والحق بناموس الصلاة لأننا ان لم نكن أمناء فى تصرفاتنا وسيرتنا فلا يصغى الله لصلواتنا أش ١ : ١٥ — ١٧ ، ٥٨ : ٦ و٩ ، زك ٧ : ٩ و١٣ . اننا لا نستطيع أن ننتظر « خيرات » من الله ان كنا لا نتصرف خيراً ولا نفعل « كل ما هو عادل ... طاهر ... مسر ... كل ما صيته حسن » بين الناس فى ٤ : ٨ . لا يكفى أن نكون أتقياء بل يجب أيضاً أن نفعل « كل ما هو عادل » وإلا كانت تقوانا رياء . وهنا نرى :

١ — قانون العدل يقدم إلينا : « **كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم** » لم يأت المسيح ليعلمنا ما يجب أن نعرفه ونؤمن به فقط بل أيضاً ما يجب أن نفعله . ولم يأت ليعلمنا ما يجب أن نفعله نحو الله فقط بل أيضاً ما يجب أن نفعله نحو البشر « الناس » . ولم يأت لكى يعلمنا ما يجب أن نفعله نحو أصدقائنا وزملائنا فى المسيحية وفى الخدمة فقط بل أيضا نحو الناس بوجه عام ، نحو جميع من نتعامل معهم . إن القاعدة الذهبية للعدالة هى أن نفعل بالآخرين ما نريدهم أن يفعلوه بنا . كان اسكندرساويرس ، وهو امبراطور وثنى ، معجباً جداً بهذه القاعدة ، كتبها على جدران غرفته الخاصة ، طالما رددها عند النطق بأى حكم ، كان يوقر المسيح ويحترم المسيحيين من أجلها . افعلوا بالآخرين كما تريدونهم أن يفعلوا بكم . وسواء أخذتها على وجهها الإيجابى أو السلبى فإنها تؤدى نفس المعنى . لأننا يجب أن لا نفعل بالآخرين نفس الشر الذى فعلوه بنا أو الذى يريدون أن يفعلوه بنا لو كان فى استطاعتهم ، يجب أن لا نفعل بالآخرين ما نتذمر منه لو انه عمل بنا ، بل يجب أن لا نفعل إلا ما نود أن يعمل بنا

وهذه القاعدة مؤسسة على تلك الوصية العظمى « تحب قريبك كنفسك » . فكما أننا يجب أن نحمل للآخرين نفس المحبة التى نود أن يحملوها من نحونا كذلك يجب أن نفعل بهم ما نريدهم أن يفعلوه بنا .

و يتضمن معنى هذه القاعدة فى ثلاثة أمور :

(١) يجب أن نفعل بقريبنا كل ما نعترف نحن أنفسنا بأنه لائق ومعقول . إن المرجع فى الأمر هنا هو حكمنا ، والمرجع فى حكمنا هو لما نريده ونتوقعه عندما تكون القضية قضيتنا .

(٢) يجب ان نضع الآخرين فى مستوى واحد مع انفسنا ، ونعتبر بأننا مرتبطون بهم بنفس الرابطة التى بها يرتبطون هم بنا ، وأننا ملتزمون بواجب العدالة مثلهم ، وأنهم لهم نفس امتيازاتها و بركاتها مثلنا .

(٣) وفى تصرفاتنا مع الآخرين يجب أن نفترض بأننا فى نفس ظروفهم وأحوالهم ، وأن نتصرف معهم على هذا الأساس . فإذا كنت أقوم بذلك العمل التجارى الذى يقوم به

صديقي ، أو اعمل تحت نفس الضعف الذى يئن منه ، فاذا كنت أتمنى أن يعاملنى الآخرون ؟ وهذا افتراض عادل ، لأننا لا ندرى إن كان الوقت سيأتى سريعاً حيث تتبدل الأحوال فتصبح ظروفهم هى نفس ظروفنا نحن ، أوعلى الأقل لنخف لئلا يصنع الله معنا بعدله ما صنعناه نحن بالآخرين إن فعلنا لهم ما لا نحب أن يفعلوه بنا .

٢ ــ السبب الذى أعطى لتدعيم هذا القانون « **لأن هذا هو الناموس والأنبياء** » هذه هى خلاصة الوصية الثانية العظمى التى هى إحدى الوصيتين اللتين عليها « يتعلق الناموس كله والأنبياء » ص ٢٢ : ٤٠ . لا نجد هذا القانون فى كلمات كثيرة فى الناموس أو الأنبياء ، ولكنها يلخصان فى هذه الكلمات القصيرة . وكل ما ورد فيها عن واجبنا نحو قريبنا (وهو ليس بالقليل) يمكن درجه تحت هذا القانون القصير . والمسيح هنا يطبقه على هذا القانون ، ولذا فإن العهد القديم والعهد الجديد يتفقان على تقديم هذه الوصية إلينا أن نفعل بالآخرين كما نريدهم أن يفعلوا بنا . بهذا القانون يقدم المسيح إلينا شريعته وبمقتضاه يدان المسيحيون . يقول أحدهم « إما أن لا يكون هذا هو الانجيل أو إن هؤلاء ليسوا مسيحيين » .

(٢) يجب أن تكون الديانة هى الشغل الشاغل لنا ، وأن نعكف عليها دواماً ، أن نكون مدققين وحريصين كل الحرص فى سلوكنا ، الأمر الذى يمثله لنا المسيح هنا بالدخول « من الباب الضيق » والطريق الكرب ع ١٣ و ١٤ . لاحظ هنا :

١ ــ الوصف الذى اعطى لطريق الخطية الشرير وطريق القداسة الصالح . لا يوجد سوى طريقان ، طريق مستقيم وطريق خاطىء ، طريق صالح وطريق شرير ، طريق يؤدى إلى السماء وآخر يؤدى الى جهنم : وكل منا يسير فى أحدهما ، لا يوجد مكان متوسط فى العالم الآخير ولا يوجد طريق متوسط الآن . إما أن يكون الإنسان قديساً أو خاطئا ، صالحاً أو طالحاً . هنا نجد :

« ١ » وصفاً لطريق الخطية والخطاة ، وفيه نرى مباهج الطريق ومغرياته ، كما نرى أيضاً أخطاره .

[١] ما يجذب الجماهير الغفيرة اليه و يدفعهم للتمسك به . « **واسع الباب ورحب الطريق** » . وفى هذا الطريق يسلك الكثيرون « **وكثيرون هم الذين يدخلون منه** »

أولا ــ فى هذا الطريق تجد الكثير من الحرية . « **واسع الباب** » ومفتوح على مصراعيه ليغرى السالكين باستقامة . تستطيع الدخول من هذا الباب بكل شهواتك ، دون أن تجد ما يصد رغباتك أو ملذاتك . تستطيع أن تسلك « فى طريق قلبك وبمرأى عينيك » (جا ١١ : ٩) لأنه

واسع جداً . إنه طريق رحب لأنه لا توجد فيه حواجز تصد السالكين فيه ، وهم يتجولون فيه بكل حرية . طريق رحب لأن فيه مسالك كثيرة ، وفيه يجد المرء حرية الاختيار بين طرق خاطئة كثيرة ، كل منها عكس الأخرى ، ولكنها كلها مسالك فى هذا الطريق الواسع .

ثانياً — وفي هذا الطريق تجد الكثير من الرفقاء « **كثيرون هم الذين يدخلون** » من هذا الباب و يسلكون فى هذا الطريق . إذا تبعنا الكثيرين كان ذلك لفعل الشر (خر ٢٣ : ٢) ، وإذا سرنا مع الأكثرية سرنا فى الطريق الخاطىء . إنه لأمر طبيعى أن نميل للسير مع التيار ، ونتصرف كما يتصرف الأغلبية ولكن أنرضى لأنفسنا بأن ندان معهم ونذهب إلى جهنم معهم لأنهم لا يريدون الذهاب إلى السماء معنا ؟ إن كان الكثيرون يهلكون فيجب أن نكون نحن أكثر حرصاً .

[٢] وما يجب أن يرعبنا أجمعين هو أنه « **يؤدى إلى الهلاك** » . إن نهايته هى الموت ، الموت الأبدى ، « هلاك ابدى من وجه الرب » (٢ تس ١ : ٩) . سواء كان الطريق هو طريق النجاسة المفضوحة أو طريق الرياء المستور ، فإنه لابد من أن يؤدى إلى هلاكنا طالما كان هو طريق الخطية ، إلا أن كنا نتوب .

(٢) وهنا نجد وصفاً لطريق القداسة :

[١] ماذا يوجد فيه مما يخيف الكثيرين منه . لنعرف أسوأ ما فيه لكى نجلس ونحسب حساب النفقة . إن يسوع يتصرف معنا بأمانة ويخبرنا :

أولا — إن « **الباب ضيق** » . إن تجديد الحياة هو « الباب » الذى ندخل منه الى هذا الطريق الذى به نبدأ حياة الإيمان والتقوى . بالتجديد نهجر حياة الخطية وندخل الى حياة النعمة . هذا « **باب ضيق** » لأنه من العسير الحصول عليه ، ومن العسير اجتيازه ، كممر بين صخرتين ١ صم ١٤ : ٤ . يجب أن يكون هنالك قلب جديد وروح جديدة ، وأن يوضع حد للأشياء العتيقة . يجب أن تتغير أميال النفس ، أن تهجر العادات الفاسدة ، أن نتخلى عما ألفناه طول أيامنا . يجب أن نسبح ضد التيار ، أن نجاهد ضد مقاومات كثيرة من الداخل ومن الخارج . إنه أيسر أن يقاوم المرء ضد كل العالم من أن يقاوم ضد نفسه ، ومع ذلك فيجب أن يقف هذا الموقف . إنه « باب ضيق » لأننا يجب أن ننحنى ، وإلا تعذر علينا اجتيازه ، يجب أن نكون كالأولاد الصغار ، أن نذل كبرياءنا ، أن ننكر ذواتنا ، أن ننبذ العالم ، أن « نخلع الإنسان العتيق » ، أن نكون راغبين فى ترك كل شيء من أجل تمتعنا بالمسيح . « الباب ضيق » للجميع ، ولكنه أضيق للبعض مما هو للآخرين ، أضيق للغنى ، للذين ظلوا طويلا متحاملين ضد الديانة . « الباب ضيق » ، وشكراً لله لأنه ليس مغلقاً فى وجهنا ، أو مقفلا ، أو محروساً « بلهيب

سيف متقلب » ، كما سيحصل له قريباً مت ٢٥ : ١٠ ، تك ٣ : ٢٤ .

ثانياً ـــ إن الطريق مكرب « **ما أكرب الطريق** » . اننا لا ندخل السماء بمجرد اجتياز « الباب الضيق » ، ولا ندخل كنعان حالما نجتاز البحر الأحمر ، كلا بل يجب أن نجتاز البرية ، أن نرتحل فى طريق مكرب مسيج بالشريعة الإلهية التى هى « واسعة جداً » مز ١١٩ : ٩٦ ، وهذا ما يجعل الطريق مكرباً . يجب إنكار الذات ، وإذلال الجسد ، وإماتة الشهوات ، ولو كانت كالعين اليمنى واليد اليمنى . يجب مقاومة التجارب اليومية ، واتمام الواجبات التى تتعارض مع ميولنا . يجب أن نتحمل المشقات ، أن نصارع ونجاهد ونكتئب ، أن نسهر فى كل شىء ، أن نسير بحذر وحرص . يجب أن نجتاز « ضيقات كثيرة » . انه « طريق مكرب » مسيج بالشوك والقتاد . وشكراً لله لأن هذا السياج لا يغلقه . ان الأجساد التى نحملها والشهوات الفاسدة الباقية فينا ، تجعل طريق تأدية واجباتنا عسيراً . ولكن كلما ازداد الإدراك نمواً واكتمالا وازدادت الإرادة قوة وثباتاً ازداد الطريق اتساعا وبهجة .

ثالثاً ـــ وان كان الباب ضيقاً والطريق مكرباً فلا عجب ان كان « **القليلون هم الذين يجدونه** » و يفضلونه . كثيرون يجوزون مقابله بتهاون ، ولا يريدون أن يكبدوا أنفسهم مشقة العثور عليه ، فإنهم إذ يتوهمون بأنهم صالحون يظنون أنه لا حاجة بهم لتغيير طريقهم . والآخرون ينظرون إليه ولكنهم يتجنبونه ، لأنهم لا يريدون أن يكونوا محصورين ومتضيقين ، إن الذين يذهبون الى السماء قليلون بالنسبة للذين يذهبون إلى جهنم ، هم بقية ، قطيع صغير كفضلات الحصاد ، كالثمانى أنفس الذين خلصوا فى الفلك ١ بط ٣ : ٢٠ . قال سنيكا فى طريق الرذيلة يدفع الناس بعضهم بعضاً . وكيف يستطيع أى إنسان أن يعود الى طريق الأمان إن كانت الجماهير تدفعه الى الأمام دون أن يجد أى عامل يصده » . ومما يثبط همة الكثيرين إنهم لا يريدون أن يكونوا وحيدين . ولكن بدلا من أن يعثرك هذا ينبغى أن تقول بالحرى : إن كان القليلون هم الذين يذهبون إلى السماء فلأكن أنا ضمنهم .

[٢] لنتأمل ماذا نجده فى هذا الطريق مما يحببنا فيه رغم كل ذلك . إنه « **يؤدى الى الحيوة** » إلى راحة فى محبة الله فى الوقت الحاضر ، وهذه هى حياة النفس ، إلى البركة الأبدية ، التى حينما نرجو نوالها فى نهاية الطريق نستهين بكل ما نلتقيه من صعوبات ومتاعب . إن الحياة والتقوى مقترنان معاً ٢ بط ١ : ٣ . الباب ضيق والطريق مكرب وصاعد للجبل ، ولكن ساعة واحدة فى السماء تعوض كل شىء .

٢ ـــ الواجب المحتم على كل واحد منا بإزاء كل هذا « **ادخلوا من الباب الضيق** » . هنا نجد الأمر واضحاً كل الوضوح ، فالحياة والموت ، الخير والشر ، مقدمة أمامنا ، والطريقان

والنهايتان . والآن تأمل فى الأمر مليا و بلا تحزب واختر لنفسك اليوم الطريق الذى تسلكه . إن الأمر يوضح نفسه بنفسه ولا يحتاج لأى مناقشة . لن نجد إنسانا عاقلا يختار بمحض إرادته السلوك إلى المشنقة لأن الطريق إليها ناعم معبد ، أو يرفض السلوك الى القصر أو العرش لأن الطريق اليها خشن وقذر. ومع ذلك فلا يزال الكثيرون يرتكبون هذه السخافات فيما يتعلق بأرواحهم . إذن فلا تتوانوا ، ولا تترددوا ، بل « ادخلوا من الباب الضيق » ، « اقرعوه » بالصلوات المخلصة المستمرة و بالجهود المتواصلة ، فتجدوا أنه « يفتح لكم » بل يفتح لكم باب متسع وفعال . صحيح أننا لا نستطيع الدخول أو استمرار السير فى الطريق دون مساعدة النعمة الإلهية ، ولكنه صحيح أيضاً أن النعمة مقدمة إلينا مجاناً ، ولا يمكن أن يحرم منها الذين يطلبونها ويخضعون لها . إن التجديد عمل شاق ، ولكنه لازم ، وشكراً لله لأنه ليس مستحيلا إذا اجتهدنا لو١٣ : ٢٤ .

١٥ ــ احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ١٦ ــ من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً ١٧ ــ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية ١٨ ــ لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة ١٩ ــ كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار ٢٠ ــ فاذاً من ثمارهم تعرفونهم .

هنا نجد تحذيراً من « **الأنبياء الكذبة** » لكى نحرص بأن لا يخدعونا أو يضللونا . يقصد بالأنبياء بصفة أصلية أولئك الذين يتنبأون بالأمور المستقبلة . وقد ذكر فى العهد القديم بعض ممن ادعوا النبوة دون بينة تؤيد دعواهم ، وقد كذب الأمر الواقع دعواهم ، كصدقيا ١ مل ٢٢ : ١١ وصدقيا الآخر أر ٢٩ : ٢١ . لكن قد يقصد بالأنبياء أولئك الذين يعلمون الشعب واجباتهم ، ولذلك فإن « الأنبياء الكذبة » هنا هم المعلمون الكذبة . والمسيح كنبى و « معلم أتى من الله » ، وإذ كان مزمعاً أن يرسل من قبله بعض المعلمين يحذر الجميع من المخادعين الذين يسممون النفوس بدلا من شفائها بالتعاليم المشفية كما يدعون .

إن المعلمين الكذبة والأنبياء الكذبة :

(١) هم الذين يدعون بأنهم مكلفون للقيام بمهام معينة ، الذين يدعون بأنهم مرسلون من

قبل الله مباشرة كأنبياء ، وأنهم ملهمون من الله . والواقع أنهم ليسوا كذلك . هؤلاء ينبغي أن نحذر منهم « كأنبياء كذبة » ولو كانت تعاليمهم صحيحة . والرسل الكذبة هم « القائلون إنهم رسل وليسوا رسلا » رؤ ٢ : ٣ ، وهؤلاء أيضاً يدعون « أنبياء كذبة » . قال أحدهم « احذر من أولئك الذين يدعون النبوة ، ولا تعترف بهم دون برهان كاف ، لئلا تقع فى آلاف السخافات إذا قبلت سخافة واحدة » .

(٢) هم الذين ينادون بتعاليم كاذبة فى الحقائق الدينية الأساسية ، الذين يعلمون ضد ما « هو حق فى يسوع » أف ٤ : ٢٢ (ضد الحق الذى فى يسوع) ، ضد « التعليم الذى هو حسب التقوى » ١ تى ٦ : ٣ .

التفسير الأول أكثر انطباقاً على الانبياء الكذبة ، لكن التفسير الثانى صحيح أيضا لان أولئك الذين ينادون بتعاليم كاذبة يحاولون أن يز ينوها بألوان براقة كاذبة لكى تكون أكثر قبولا . إذن فاحذر منهم ، كن دائم الشك فيهم ، اختبرهم ، وحينما تتبين كذبهم وضلالهم تجنبهم ، ولا تكن لك صلة بهم . احذر كل الحذر من هذه التجربة التى تهاجم الكنيسة عادة ايام نهضتها وازدياد نورها الإلهى أكثر من المعتاد . حينما ينتعش عمل الله يزداد الشيطان وكل جنوده نشاطا . هنا نجد :

(١) سبباً معقولا لهذا التحذير : « **احترزوا من الأنبياء الكذبة** » لأنهم « **يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة** » ع ١٥

١ ـ ينبغى أن نحترز منهم جداً لأن مظاهرهم جميلة ومعقولة وكافية لخداعنا إن لم نتنبه . إنهم « يأتون بثياب الحملان » ، بثياب الأنبياء ، التى كانت بسيطة وخشنة وغير مشغولة ، « يلبسون ثوب شعر لأجل الغش » زك ١٣ : ٤ . دعى رداء إيليا فى الترجمة السبعينية « رداء من جلد الحمل » . ينبغى أن نحذر من أن نخدع بثياب البشر كالكتبة « الذين يرغبون المشى بالطيالسة » (أى الثياب الطويلة) لو ٢٠ : ٤٦ . ويجوز أن تؤخذ العبارة على سبيل المجاز ، فإنهم يدعون بأنهم حملان ، و يبدون حسب الظاهر بأنهم كالحملان أبر ياء ، ومسالمين ، ووديعاء ، ونافعين ، ومتحلين بكل الصفات الطيبة ، لا يفضلهم أى واحد آخر . يتظاهرون بأنهم أبرار ، ولأجل مظهرهم (ملبسهم) يسمح لهم بالوجود وسط الحملان فيتخذون من ذلك فرصة ليؤذوها قبل أن تتنبه . إنهم يز ينون ذواتهم وأخطاءهم بمظاهر القداسة والتقوى . فالشيطان نفسه يغير ذاته إلى شبه ملاك نور ٢ كو ١١ : ١٣ و١٤ . والعدو « له قرنان شبه خروف » رؤ ١٣ : ١١ ووجوهه « كوجوه الناس » رؤ ٩ : ٧ و٨ . والمضلون ناعمون فى كلماتهم وتصرفاتهم رو ١٦ : ١٨ ، أش ٣٠ : ١٠

٢ ــ لأن مقاصدهم التى تستتر وراء هذه للصهر شريرة جداً ومؤذية . « **ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة** » . كل مراء هو « تيس » فى ثياب الحملان ، أما الأنبياء الكذبة فهم ذئاب فى ثياب الحملان . إنهم لا يكتفون بأن لا يكون حملاناً ، بل أنهم ذئاب وهى ألد أعداء الحملان ، وهى لا تأتى إلا لتمزق وتلتهم ، وتبدد الخراف يو ١٠ : ١٢ ، وتبعدها عن الله ، وتشتتها عن بعضها البعض ، وتطوح بها إلى مسالك معوجة . إن الذين يحاولون تضليلنا عن أى حق ، وتعليمنا تعليماً خاطئاً ، إنما يقصدون إيذاء نفوسنا مهما كانت مظاهرهم وادعاءاتهم . هؤلاء دعاهم الرسول بولس « ذئاب خاطفة » أع ٢٠ : ٢٩ ، وهم يحاولون التهام أية فريسة « ويخدمون بطونهم » رو ١٦ : ١٨ ، ويحاولون التهامكم . فإن كان الأمر يسيراً وخطراً أن تخدعوا « فاحترزوا من الأنبياء الكذبة » .

(٢) وهنا نجد قاعدة جميلة نتبعها بإزاء هذا التحذير : يجب أن نمتحن كل شىء (١ تس ٥ : ٢١) ونمتحن الأرواح (١ يو ٤ : ١) . وهنا نجد المحك « **من ثمارهم تعرفونهم** » ع ١٦ ــ ٢٠ . لاحظ هنا :

١ ــ التشبيه الذى يقدمه لهذه الغاية : إن الثمار تكشف عن حقيقة الشجرة . إنك لا تستطيع أن تميزهم دواماً من القشرة الخارجية أو الاوراق أو الاغصان ، بل « من ثمارهم تعرفونهم » . كما تكون الشجرة تكون ثمارها . قد يستطيع البشر أن يتظاهروا بطبيعة أقوى ، وأن يناقضوا مبادئهم الداخلية ، ولكن طبيعة تصرفاتهم واتجاهاتها لابد أن تتفق مع حقيقتهم . يؤكد المسيح هذه الحقيقة : إن الثمر مطابق للشجر :

(١) فإذا عرفت نوع الشجرة عرفت أى ثمر يجب أن تنتظر . يجب أن لا تتوقع بأى حال من الاحوال ان تجتنى « **من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً** » فليس من طبيعة الشوك أو الحسك أن يثمر عنباً أو تيناً . قد تلصق التفاحة بالشوك أو يتدلدل عنقود العنب بين الشوك ، هكذا قد تجد فى الرجل الشرير حقيقة صالحة ، أو كلمة طيبة أو تصرفا حسناً ، ولكن تأكد أن هذه أو تلك لم تنم فيه .

ملاحظات :

[١] إن القلوب الفاسدة ، الرجسة ، غير المقدسة هى كالشوك والحسك اللذين أتيا مع الخطية ، وهى عديمة النفع ، مؤذية ، ونهايتها الحريق .

[٢] والأعمال الصالحة « **أثمار جيدة** » كالعنب والتين ، مرضية لله ونافعة للإنسان .

[٣] وهذه الأثمار الجيدة يستحيل توقعها من الأشرار كما يستحيل اخراج الطاهر من النجس أى ١٤ : ٤ ، فإنهم يحتاجون إلى عوامل للتأثير عليهم أولا ، من الكنز الشرير تخرج الشرور.

(٢) ومن الناحية الأخرى إذا عرفت نوع الأثمار استطعت بواسطتها أن تعرف نوع الشجرة . « **لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية** » كلا ، بل « **كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة** » . وأيضا « **لا (تقدر) شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة** » كلا ، بل « **الشجرة الردية تصنع أثماراً ردية** » . وأن ما يمكن اعتباره أثمار الشجرة الطبيعية الحقيقية ، هو ما تنتجه بوفرة و بصفة دائمة ، هو محصولها العادى . والرجال لا يعرفون بالاعمال الخاصة غير العادية ، بل بأعمالهم العادية المتكررة ، بسلوكهم العادى واتجاه تصرفاتهم ولونها ، خصوصا تلك الاعمال التى تصدر عنهم من تلقاء ذواتهم دون أى مؤثر خارجى .

٢ ــ تطبيق هذا على الانبياء الكذبة :

(١) بطريق الإرهاب والتهديد ع ١٩ « **كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع** » وهى نفس الكلمات التى نطق بها يوحنا المعمدان من قبل ص ٣ : ١٠ . كان ممكناً للمسيح أن يعبر عن المعنى بكلمات أخرى ، كان ممكناً أن يغير الكلمات ، أو يصيغها فى صيغة جديدة ، ولكنه رأى أنه لا شيء فيه من التحقير أن يردد نفس الكلمات التى سبق أن نطق بها المعمدان . فعلى الخدام أن لا يحاولوا بأن يصيغوا عبارات جديدة ، وعلى الشعب أن لا يطمعوا فى أن يسمعوا الجديد . فكتابه نفس العبارات أو النطق بها يجب أن لا يغضبنا ، لأنه طريق أمين . هنا نجد :

[١] وصف الشجرة المجدبة : هى التى « لا تصنع ثمراً جيداً » رغم أنه قد يوجد فيها ثمر فإنها تعد شجرة مقفرة إن لم يكن الثمر جيداً ، إن لم يتم العمل جيداً ، بطريقة حسنة ، ولغاية صالحة .

[٢] مصير الشجرة المجدبة : « **تقطع وتلقى فى النار** » حتما ، يتصرف معهم الله كما يتصرف البشر بالشجرة المجدبة التى تعطل الارض . يوسمهم ببعض علامات عدم رضائه ، ينتزع منهم هباته ، يقطعهم بالموت ، و يلقيهم فى جهنم النار ، التى تشتعل بغضبه وتتغذى بخشب الاشجار المجدبة . قارن هذا بما ورد فى خر ٣١ : ١٢ و١٣ ، دا ٤ : ١٤ ، يو ١٥ : ٦ .

(٢) بطريق الامتحان . « **من ثمارهم تعرفونهم** » .

[١] « من ثمار » شخصياتهم ، وكلماتهم ، وتصرفاتهم ، واتجاه سلوكهم . إن أردتم أن

تعرفوا إن كانوا مستقيمين أم لا فلاحظوا كيف يعيشون ، لأن أعمالهم إما أن تشهد لهم أو عليهم . جلس الكتبة والفريسيون على كرسي موسى ، علموا الشريعة ، ولكنهم كانوا متكبرين ، طماعين ، كاذبين ، ظالمين ، ولذلك حذر المسيح تلاميذه لكي يحترزوا منهم ومن خميرهم مر ١٢ : ٣٨ ، فإذا ادعى أي إنسان أنه نبي وفسدت حياته كان ذلك برهاناً على كذب ادعاءاته . وأولئك الذين « إلههم بطنهم الذين يفتكرون في الأرضيات » ليسوا أصدقاء حقيقيين لصليب المسيح مهما تظاهروا (في ٣ : ١٨ ، ١٩) وأولئك الذين تشهد حياتهم على أنهم منقادون بالأرواح النجسة لا يمكن أن يكونوا قد تعلموا من الله القدوس أو ارسلوا بواسطته . إن كان الله يضع كنزه في أوان خزفيه لكنه لا يضعه في أوان دنسة . قد يعلنون شريعة الله ، ولكن افعالهم تكذب اقوالهم .

[٢] « من ثمار» تعاليمهم ، ثمارهم كأنبياء . ليست هذه هي الطريقة الوحيدة بل هي إحدى الطرق لامتحان التعاليم « هل هي من الله » أم لا . ماذا ترمي اليه ؟ إلى اية عواطف أو تصرفات تؤدي هذه التعاليم بأولئك الذين يتبعونها ؟ إن كانت التعاليم من الله فإنها تؤدي الى ازدياد التقوى ، والتواضع ، وفعل الخير ، والقداسة ، والمحبة ، وسائر النعم المسيحية . أما إذا كانت التعاليم التي ينادي بها هؤلاء الأنبياء تحمل الدليل الظاهري على أنها تؤدي لجعل الناس متكبرين ، عالميين ، محبين للخصام والانشقاقات ، غير مبالين بالتدقيق في الحياة ، ظالمين ، غير محبين لفعل الخير ، مشاغبين ، مكدرين للأمن العام ، إن كانت تبيح الانغماس في الشهوات الجسدية ، وتعطي الفرصة للتحرر من قيود ضبط النفس الشديدة في حدود « الطريق الضيق » ، فإننا نستنتج أن « هذه المطاوعة ليست من الذي دعاكم » غل ٥ : ٨ « ليست هذه الحكمة نازلة من فوق » يع ٣ : ١٥ . والايمان يقترن دواماً بضمير صالح ١ تي ١ : ١٩ ، ٣ : ٩

(ملاحظة) إن التعاليم التي يشك فيها يجب امتحانها . والتعاليم التي تؤدي إلى الخطية لا يمكن أن تكون من الله . وإن لم نستطع معرفتهم من ثمارهم فيجب أن نلجأ الى المحك الأعظم ، إلى الشريعة والشهادة ، لنعرف إن كان المعلمون يتكلمون حسب هذه القاعدة .

٢١ ــ ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات . بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات ٢٢ ــ كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ ــ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يافاعلي الأثم .

٢٤ ــ فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ٢٥ ــ فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط . لأنه كان مؤسساً على الصخر ٢٦ ــ وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ٢٧ ــ فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيما ٢٨ ــ فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه ٢٩ ــ لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة .

هنا نجد خاتمة هذه العظة الطويلة الرائعة ، وتدور هذه الخاتمة حول غرض واحد هو ضرورة الطاعة لوصايا المسيح . إنه يتحدث بهذا لتلاميذه الذين جلسوا تحت قدميه أينا علم ، وتبعوه أينا ذهب . لو أنه سعي وراء المديح من الناس لقال إن هذا فيه كل الكفاية ، ولكن الديانة التى أتى ليؤسسها ليست بكلام بل بقوة ١ كو ٤ : ٢٠ ولذلك فلا بد من إضافة كلمات أخرى :

(١) إنه يبين بكل وضوح أن مجرد المظاهر الخارجية للديانة لا يوصلنا إلى السماء ما لم تكن سيرتنا مطابقة لها ع ٢١ ــ ٢٣ . كل الدينونة قد سلمت للرب يسوع ، والمفاتيح فى يديه ، وله كل السلطان أن يضع قواعد جديدة للحياة والموت ، وأن يدين البشر طبقاً لها . وهنا نجد تصريحاً خطيراً يتمشى مع هذا السلطان . لاحظ هنا .

١ ــ ناموس المسيح يبسط أمامنا ع ٢١ : « **ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات** » ملكوت النعمة والمجد . هذه إجابة لذلك السؤال المدون فى مز ١٥ : ١ « يارب من يسكن فى مسكنك (الكنيسة المجاهدة) ، من يسكن فى جبل قدسك (الكنيسة المنتصرة) » . هنا يبين المسيح :

(١) إنه لا يكفى أن نقول « يارب يارب » بالكلام واللسان للإعتراف بالمسيح رباً ، ومخاطبته والمناداة به على هذا الوجه . فى الصلاة لله ، والحديث مع الناس يجب أن ندعو المسيح معلماً وسيداً وحسنا نقول لأنه كذلك يو١٣ : ١٣ . ولكن هل يعقل أن هذا يوصلنا إلى السماء ، أو أن مجرد النطق بمثل هذه الكلمات يكافأ بمثل هذه المكافأة ، أو أن ذاك الذى يعرف القلب و يفحصه يخدع بمثل هذه المظاهر ؟ إن التحيات والمجاملات بين البشر نوع من آداب المعاملة التى

ترد بمثلها ، ولكنها لن تكافأ كخدمات حقيقية . إذن فهل يمكن أن تكون لها قيمة فى نظر المسيح ؟ قد يبدو أن فى هذه العبارة « يارب يارب » معنى اللجاجة فى الصلاة ، ولكن ان لم تكن البواعث الداخلية متفقة مع المظاهر الخارجية صرنا « نحاساً يطن أو صنجاً يرن » . ليس هذا معناه أن تكف عن القول « يارب يارب » ، وعن الصلاة ، وعن اللجاجة فى الصلاة ، وعن الاعتراف باسم المسيح ، وعن الجرأة فى الاعتراف به ، بل عن الا تكال على هذه الكلمات ، على « صورة التقوى » دون « قوتها » .

(٢) من الضرورى لسعادتنا أن « **نفعل إرادة** » المسيح التى هى بالحقيقة « **إرادة الآب الذى فى السموات** » . إن « أرادة » الله كأب المسيح هى إرادته فى الانجيل ، لأنه فيه أعلن « كأب ربنا يسوع المسيح » ، وفيه صار أبانا . هذه هى إرادته أن نؤمن بالمسيح ، أن نتوب عن الخطية ، أن نحيا حياة طاهرة ، أن نحب بعضنا بعضاً . هذه هى إرادته قداستنا . إن كنا لا نسلك حسب إرادته فإننا نسخر بالمسيح حينما ندعوه رباً ، كما فعل أولئك الذين ألبسوه ثوباً فاخراً وقالوا « السلام ياملك اليهود » . إن القول والعمل أمران ، كثيراً ما كانا مفترقين فى حياة البشر ، فإن الذى قال « ها أنا يا سيد » لم يمض ولم يخط خطوة واحدة ص ٢١ : ٣٠ . على أن الله جمع هذين الأمرين معاً فى وصيته ، ولا يظن من يفرقهما أنه « يدخل ملكوت السموات » .

٢ ــ احتجاج المرائين ضد صرامة هذا الناموس ، وتقديمهم حججاً أخرى عوض الطاعة ع ٢٢ . المفروض أن الحجج تقدم « **فى ذلك اليوم** » ، ذلك اليوم العظيم ، حينما يبدو كل إنسان فى حقيقته ، حينما تعلن خفايا القلوب ، ومن بينها الادعاءات الخفية التى يعلق عليها الخطاة آمالهم الآن . إن يسوع يعرف قوة قضيتهم ، وليست هى إلا ضعفاً . وما يضمرونه الآن فى صدورهم سوف يبرزونه لمحاولة رد القضاء عنهم ، ولكن كل محاولاتهم تذهب هباءاً منثوراً . وهم يقدمون حجتهم بلجاجة « يارب يارب » ، وبثقة ، ملتجئين إلى المسيح بصددها : « يارب » ألست تعرف :

(١) إننا « **باسمك تنبأنا** » ؟ نعم قد يكون الأمر كذلك . فبلعام وقيافا قد دفعا للنبوة . وشاول كان « بين الأنبياء » رغماً عنه . ومع ذلك فإن هذا لم يخلصهم . وهؤلاء تنبأوا باسمه ، ولكنه لم يرسلهم . وهم إنما استخدموا اسمه لينالوا جزاءهم .

(ملاحظة) قد يكون الإنسان واعظاً ، له مواهب الخدمة ، قد توجه اليه دعوة خارجية لها ، بل قد يكون موفقا فيها بعض التوفيق ورغم ذلك قد يكون شريراً . قد يعين الآخرين لدخول السماء ، ومع ذلك يفشل هو شخصياً فى دخولها .

(٢) وأننا « **بإسمك أخرجنا شياطين** » ؟ وقد يحصل هذا أيضاً . فيهوذا أخرج شياطين ، ومع ذلك كان « ابن الهلاك » . قال أوريجانوس إنه في عصره كان يستخدم اسم المسيح كثيراً جداً لإخراج الشياطين حتى أنه في بعض الاحيان كان يستخدمه المسيحيون الاشرار فيوفقون . قد يخرج المرء الشياطين من الآخرين ، ومع ذلك يبقى فيه الشيطان ، بل يكون هو نفسه شيطاناً .

(٣) « **وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟** » قد يكون هنالك الإيمان الذى يصنع المعجزات دون توفر الإيمان المبرر ، أو « الإيمان العامل بالمحبة » والطاعة . إن مواهب الشفاء والألسنة تنيلنا نعمة في أعين العالم ، ولكن القداسة الحقيقية هي التي تنيلنا نعمة في عيني الله . إن النعمة والمحبة هما « طريق أفضل » من نقل الجبال أو التكلم بألسنة الناس والملائكة ١ كو ١٣ : ١ و ٢ . والنعمة توصل الإنسان إلى السماء دون صنع القوات ، على أن صنع القوات لا يوصل الإنسان إلى السماء دون النعمة . لاحظ أن الأمر الذى كان قلبهم متجهاً اليه عند صنع القوات ، والذى اتكلوا عليه ، هو غرابتها . فسيمون الساحر أدهشته الآيات والقوات العظيمة أع ٨ : ١٣ ولذلك تمنى لو استطاع دفع أي مبلغ للحصول على السلطات لصنع القوات .

لاحظ أن أمثال هؤلاء لا يستطيعون أن يقدموا أعمالا صالحة كثيرة كحجة لهم ، لا يستطيعون أن يدعوا أنهم عملوا أعمالا صالحة كثيرة من أعمال التقوى وفعل الخير التي إن قدموها كانت أفضل من « القوات الكثيرة » التي لا تجديهم نفعاً طالما كانوا مصرين على عدم الطاعة .

وإن كان صنع القوات قد بطل مع البعض ، وبطلت معها هذه الحجة ، أفلا تزال القلوب الجسدية تمنى نفسها بمثل هذه الآمال الباطلة ؟ فإن الكثيرين يتوهمون بأنهم سوف يذهبون إلى السماء لأنهم كانت لهم شهرة بين المتدينين ، حفظوا الاصوام ، وقدموا الصدقات ، وكانت لهم مكانة ممتازة في الكنيسة ، كأن هذا يعوض عن كبريائهم ، ومحبتهم للعالم ، وشهواتهم الجسدية ، وانعدام محبتهم لله وللانسان « بيت أيل متكلهم » أر ٤٨ : ١٣ . وجبل قدسه سبب كبريائهم صف ٣ : ١١ . وهم يفتخرون بأنهم « هيكل الرب » أر ٧ : ٤ . فلنحذر من الاتكال على الامتيازات الخارجية والممارسات الخارجية لئلا نخدع أنفسنا ونهلك هلاكا أبدياً كالكثيرين بالكذب في يميننا أش ٤٤ : ٢٠

٣ ــ رفض هذه الحجج الواهية . إن واضع الناموس ع ٢١ نراه بأنه هو نفسه الديان ، ودينونته حسب هذا الناموس ع ٢٣ وهو سوف يرفض هذه الحجج ، و يرفضها علناً . « **فحينئذ أصرح لهم** » مؤكداً إذ تخرج الكلمة من بين شفتيه « **إني لم أعرفكم قط** » ولذلك « **ابعدوا عني يافاعلي الإثم** » . لاحظ :

(١) لماذا ، وعلى أي أساس ، يرفض حجتهم : لأنهم كانوا « **فاعلى الإثم** » .

(ملاحظة) يجوز أن تكون للانسان سمعة بأنه تقي ورغم ذلك يكون من « فاعلى الإثم » . ومن كانوا كذلك فإنهم « ينالون دينونة أعظم » . والخطايا الخفية المستترة وراء مظاهر التقوى سوف تكون هى هلاك المرائين . والحياة فى الخطية المعروفة تهدم كل الادعاءات مهما كانت حسنة المظهر .

(٢) كيف يعبر عن هذا الرفض : « **إنى لم أعرفكم قط** » . لم أعترف بكم قط كخدامى ، حتى حينما تنبأتم بأسمى ، حينما كنتم فى أسمى مظاهركم وأمجدها . هذه تتضمن بأنه لو كان قد عرفهم مرة ، كما « يعرف الرب الذين هم له » ، واعترف بهم ، وأحبهم كخاصته لكان قد عرفهم واعترف بهم وأحبهم إلى المنتهى . ولكنه لم يعرفهم « قط » ، لأنه عرف دواماً أنهم مراؤون ، وفاسدوا القلب كما عرف يهوذا ، ولذلك فإنه يقول لهم « **ابعدوا عنى** » . وهل المسيح فى حاجة لضيوف كهؤلاء ؟ حينما ظهر فى الجسد دعا اليه الخطاة ص ٩ : ١٣ ، ولكن متى « جاء ثانية فى المجد » فانه يطرد عنه الخطاة ، فالذين لا يريدون أن يأتوا اليه للخلاص يجب أن يبعدوا عنه للدينونة . والإبتعاد عن المسيح هو جهنم بعينها . وأساس شقاء الدينونة انقطاع كل رجاء فى الانتفاع بالمسيح و بشفاعته والذين لا يتقدمون فى خدمة المسيح أكثر من مجرد الاعتراف به بالفم لا يقبلهم ، ولا يعترف بهم فى ذلك اليوم العظيم . أنظر كيف يسقط البشر من ذلك العلو الشاهق فى رجائهم الى هوة الشقاء السحيقة . وكيف يذهبون الى جهنم وهم على ابواب السماء . فلتكن هذه الكلمة لتنبيه كل المسيحيين وتحذيرهم . لأنه إن كان الواعظ أو الخادم الذى يخرج الشياطين و يصنع قوات كثيرة لا يعترف به المسيح على أساس أنه من « فاعلى الإثم » فماذا يكون مصيرنا نحن إن كنا كذلك ؟ وإن كنا كذلك فلا بد أن يكون هذا مصيرنا . أمام دينونة المسيح لا يمكن أن يكون مجرد التظاهر بالتقوى شفيعاً لنا فى ارتكاب الخطية والإنغماس فيها . لذلك « فليتجنب الإثم كل من يسمى اسم المسيح » ٢ تى ٢ : ١٩

(٢) و يبين بأحد الأمثال أن مجرد سمع هذه الأقوال التى نطق بها المسيح لا يسعدنا إن كنا لا نعمل بها ، أما إذا سمعناها وعملنا بها كنا « مغبوطين فى عملنا » ع ٢٤ ــ ٢٧

١ ــ هنا يقسم سامعو كلمة المسيح إلى نوعين : البعض يسمعون و يعملون بما يسمعون ، والآخرون يسمعون ولا يعملون . لقد وعظ المسيح وقتئذ لخليط من الناس ، ولذا فإنه يميزهم الواحد عن الآخر كما سيفعل فى ذلك اليوم العظيم حينما تجتمع أمامه كل الشعوب . والمسيح لا يزال يتحدث من السماء بكلمته وروحه ، يتكلم بخدامه ، بأعمال عنايته ، و ينقسم الذين يسمعونه الى قسمين :

(١) البعض « **يسمع أقواله هذه و يعمل بها** » شكراً لله لأنه يوجد قوم كهؤلاء ولو أنهم قليلون نسبياً . إن سمع المسيح ليس معناه مجرد الإصغاء اليه بل طاعته .

(ملاحظة) إنه واجب محتم على جميعنا أن نعمل بما نسمعه من أقوال المسيح . وإنها لرحمة عظمى أن نسمع اقواله . طوبى لتلك الآذان ص ١٣ : ١٦ و١٧ . أما إن كنا لا نعمل بما نسمع فإن تلك النعمة تصبح عبثاً . إن العمل بأقوال المسيح هو الحرص على الامتناع عن الخطايا التى يحذرنا منها ، وإتمام الواجبات التى يتطلبها منا . هو أن تكون أفكارنا وأشواقنا ، أقوالنا وأفعالنا ، اتجاه تفكيرنا وحياتنا متفقة مع انجيل المسيح . يجب أن نعمل لا بشريعة المسيح التى وضعها فحسب ، بل بكل « اقواله » ، بكل الحقائق التى أعلنها . هى « سراج » لا لأعيننا فقط بل أيضاً « لأرجلنا » وهى قد قصد بها لا أن تعلن لنا دينونته فقط ، بل أيضاً أن تصلح قلوبنا وحياتنا . وإن كنا لا نطبقها على حياتنا فإننا لا نؤمن بها . لاحظ بأنه لا يكفى أن نسمع أقوال المسيح ونفهمها ، أو أن نسمعها ونحفظها فى ذاكرتنا ، أو أن نسمعها ونتحدث بها ونرددها ونتناقش فيها ، بل يجب أن نسمعها ونعمل بها . « افعل هذا فتحيا » إن « الذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » هم فقط الذين يطوبون (لو ١١ : ٢٨ ، يو١٣ : ١٧) ، وهم أقرباء المسيح ص ١٢ : ٥٠

(٢) والبعض الآخر « **يسمع أقوال المسيح هذه ولا يعمل بها** » ينحصر تدينهم فى مجرد السمع ، ولا يتعدى هذا ، إنهم كالأطفال المصابين بمرض الكساح ـــ قد امتلأت عقولهم بالنظريات الجوفاء والأفكار الهوجاء . ولكن مفاصلهم ضعيفة ، وهمتهم فاترة ، وعزائمهم خائرة ، لا يستطيعون أن يتحركوا فى أى عمل صالح ، ولا يبالون بأن يتحركوا . يسمعون أقوال الله ، كأنهم « يسرون بمعرفة طرقه » ، كشعب عمل براً ، « ولا يعملون به » حز ٣٣ : ٣٠ ، أش ٥٨ : ٢ . وهكذا هم يخدعون أنفسهم كميخا الذى توهم انه سعيد لأن لديه لاوياً ككاهن له ، مع انه لم يكن له الرب إلهاً . لقد زرع الزرع ، ولكنه لن ينمو قط . انهم ينظرون وجه خلقتهم فى مرآة الكلمة وللوقت نسوا ما هو يع ١ : ٢٢ و٢٤ . وهكذا هم يضعون غشاء على بصائرهم ، لأن سمعنا للكلمة ان لم يكن واسطة لطاعتنا فإنه يقيناً يزيد عصياننا شناعة . ان الذين يسمعون أقوال المسيح فقط دون أن يعملوا بها يجلسون فى منتصف الطريق للسماء ، وهذا لن يوصلهم الى نهاية الرحلة . وقرابتهم للمسيح قرابة بعيدة ، وشريعتنا لا تكسب أمثالهم حقوق الميراث .

٢ ـــ وهنا نجد وصفاً لصفات هذين الصنفين الحقيقية ، وتمثيلا لحالتهم بمقارنتهم ببنائين ، الأول « **رجل عاقل بنى بيته على الصخر** » فثبت بيته أمام العواصف ، والثانى « **رجل جاهل بنى بيته على الرمل** » فسقط بيته . والآن نلاحظ :

(١) ان الغاية الرئيسية من هذا المثل هى أن تعلمنا بأن الطريقة الوحيدة لكى نعمل

عـمـلا أكـيـداً لأنـفـسنا وللأبدية هى أن نسمع أقوال الرب يسوع ونعمل بها ، أقواله هذه فى عظته علـى الجبل ، التى هى كلها عملية . وان كان بعضها يبدوعسيراً على اللحم والدم ، ولكنها يجب أن يـعـمـلَ بهـا . و بـذلـك نـدخر لأنفسنا أساساً حسناً للمستقبل ١ تى ٦ : ١٩ ، أساساً حسناً من صـنـع الله ، لا مـن صـنـع أنفسنا ، يضمن الخلاص حسب شروط الانجيل . ان الذين يجلسون عند قـدمـى المـسـيـح و يـصغون لكلمته فى خضوع تام كمريم يضمنون « النصيب الصالح » . « تكلم يارب لأن عبدك سامع » .

(٢) وتفاصيله تعلمنا دروساً صالحة متعددة :

[١] ان لـكـل مـنـا بـيـتـاً يـبنيه ، وهذا البيت هو رجاؤنا للسماء . يجب أن تكون غايتنا الـرئـيـسـيـة بصفة مستمرة أن نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين ٢ بط ١ : ١٠ ، و بذلك نجعل خلاصنا ثـابـتـاً ، أن نضمن سعادة السماء و يكون لنا الدليل الكافى على ذلك ، أن نكون متيقنين بأننا إذا فـنـيـنـا يـقـبـلـونـنـا فى المظال الأبدية لو ١٦ : ٩ . كثيرون لا يبالون بهذا ، فإنه أبعد ما يكون عن تـفـكـيرهم . انهم يبنون لهذا العالم ، كأنهم يعيشون فيه أبداً ، ولا يخطر ببالهم أن يبنوا للعالم الآخر . كـل الـذيـن يـعـتـرفون بالمسيحية يتساءلون ماذا ينبغى أن يعملوا لكى يخلصوا ، كيف يصلون إلى السماء أخيراً ، على أن يكون لهم فى نفس الوقت أساس يدعمون عليه رجاءهم

[٢] هنالك « صخرة » لبناء هذا البيت عليها ، « والصخرة هى المسيح » . انه قد وضع لـنـا « أسـاسـاً مـؤسـسـاً » ، « ولا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المـسـيـح » أش ٢٨ : ١٦ ، ١ كـو ٣ : ١١ . هو « رجاؤنا » ١ تى ١ : ١ . المسيح فينا هو رجاؤنا ، فـيـجـب أن نـؤسـس رجاءنا فى السماء على ملء استحقاقات المسيح لمغفرة الخطية ، وملء الروح الـقـدس ، وتقديس طبيعتنا ، وشفاعته فينا ، وللحصول على كل الخير الذى اشتراه لنا . ان لنا فيه مـا يـكـفـى لتخفيف كل آلامنا وسد كل أعوازنا ، ولذلك فهو « مخلص إلى التمام » . « على هذه الـصـخـرة » بنيت الكنيسة ، وكذلك كل مؤمن . هو قوى وثابت كالصخر ، ولذا فإننا نستطيع أن نستودعه كل شىء ، وفى رجائنا لا نخزى

[٣] ان هـنـالـك بـقـية تبنى رجاءها على هذه الصخرة بسمع أقوال المسيح والعمل بها ، وهـذه هـى حكمتها . المسيح هو طريقنا الوحيد إلى الآب ، وطاعة الايمان هى طريقنا الوحيد إلى المسيح ، لأنه « صار لجميع الذين يطيعونه (والذين يطيعونه وحدهم) سبب خلاص أبدى » عب ٥ : ٩ . ان الـذين يبنون على المسيح هم الذين إذ قبلوه رئيساً ومخلصاً يجعلون اهتمامهم بصفة دائمة أن يـسـلـكـوا حـسـب كل نواميسه المقدسة ، و يعتمدون عليه كل الاعتماد فى طلب المساعدة من الله ، ونـوال نـعـمـة فـى عـينيه ، ويحسبون كل الأشياء خسارة ونفاية لكى يربحوا المسيح و يوجدوا

فيه . يتطلب البناء على الصخر عناية وعناء ، فعلى الذين يريدون أن يجعلوا دعوتهم واختيارهم ثابتين أن « يبذلوا كل اجتهاد » . والبناء العاقل هو الذى يبتدىء البناء واثقاً انه « يقدر أن يكمل » لو ١٤ : ٣٠ ، ولذلك فإنه يضع أساساً ثابتاً

[٤] ان هنالك كثيرين يعترفون بأنهم يرجون الذهاب إلى السماء ولكنهم يحتقرون هذه الصخرة و يبنون آمالهم « **على الرمل** » الأمر الذى لا يتطلب كبير عناء ، وهذه هى جهالتهم وحماقتهم . كل شيء ما خلا المسيح رمال . يبنى البعض آمالهم على نجاحهم العالمى ، كأن هذه علامة أكيدة على رضا الله هو ١٢ : ٨ . والبعض على مظاهر تدينهم الخارجية ، والامتيازات التى يتمتعون بها ، والفرائض التى يؤدونها ، والسمعة التى أحرزوها . انهم يدعون مسيحيين ، اعتمدوا باسمه ، يذهبون الى الكنيسة ، يسمعون أقوال المسيح ، يصلون ، لا يؤذون أحداً ، وإذا فنوا فإن الله يعينهم كثيراً حسب زعمهم . هذا هو نور نارهم التى سوف يتلظون بها ، هذا هو النور الذى يسلكون فيه ، هذا هو اعتمادهم ورجاؤهم . ولكنه كله رمال ، لا يقوى على تحمل بناء آمالنا فى السماء .

[٥] ان هنالك عاصفة قادمة لامتحان آمالنا وما تركزت عليه ، « وستمتحن عمل كل واحد ما هو » ١ كو ٣ : ١٣ ، وتختبر الأساس حب ٣ : ١٣ ، « **فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت** » .قد يحصل الامتحان فى هذا العالم أحياناً . « إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة » (مت ١٣ : ٢١) فحينئذ يتبين الذين سمعوا الكلمة فقط والذين سمعوها وعملوا بها . عندما تحين الفرصة لاستخدام آمالنا فحينئذ يتبين ان كنا سائرين فى الطريق القويم ومؤسسين أساساً حسناً أم لا . وعلى أى حال فإنه إذا أتى الموت والدينونة فحينئذ تأتى العاصفة ، و يقيناً انها سوف تأتى ، مهما بدت أمورنا الآن هادئة . حينئذ سوف يزول كل شيء ما خلا هذه الآمال ، وحينئذ سوف تتحول إلى ثمار أبدية .

[٦] ان الآمال التى تبنى على المسيح الصخر سوف تثبت ، وإذا جاءت العاصفة فإن البانى سوف يثبت ، سوف تحفظه هذه الآمال من هجر الخدمة كما تحفظه من الجزع والفزع والاضطراب . سوف يثبت تدينه ولا يذبل ، وتبقى نعمه ، وتصبح قوته ونشيده « كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة » عب ٦ : ١٩ . إذا دنا إلى نهاية الحياة فإن تلك الآمال تنتزع فزع الموت والقبر ، تجيزه ذلك الوادى المظلم بفرح ، سوف تكون مقبولة فى نظر الديان ، وتثبت أمام امتحان ذلك اليوم العظيم ، وتكلل بمجد لا يحد ٢ كو ١ : ١٢ ، ٢ تى ٤ : ٧ و٨ . « طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا » و يبنى آماله هكذا .

[٧] ان الآمال التى يبنيها البناؤون الجهلاء على أى أساس آخر سوى المسيح سوف

تنهار في اليوم العاصف ، لا يمكن أن تقدم إليهم عزاء حقيقياً أو راحة أكيدة في يوم الضيق ، وفي ساعة الموت ، وفي يوم الدينونة . لا يمكن أن تسيج حولهم ضد تجربة الارتداد ، في وقت الاضطهاد . « ما هو رجاء الفاجر عندما يسلب الله نفسه » أى ٢٧ : ٨ . لأنه « كبيت العنكبوت » وكتسليم الروح ، « يستند إلى بيته فلا يثبت » اى ٨ : ١٤ و١٥ ، بل يسقط أمام الزوبعة ، في الوقت الذى يكون الباني أشد حاجة اليه ، الذى كان يتوقع أن يلجأ إليه فيه . يسقط حيث يكون الوقت قد مضى لبناء غيره . « عند موت انسان شر يريهلك رجاؤه » أم ١١ : ٧ ، يسقط ، و يكون « **سقوطه عظيما** » في الوقت الذى يظن انه سوف يأتي بأطيب الثمرات . ياله من فشل ذريع للباني ، يالها من خسارة عظيمة وعار شنيع . وعلى قدر ما يكون رجاء البشر عالياً على قدر ما تكون الهوة التي يتردون إليها سحيقة . وأمر هلاك هو ذاك الذى يحل بالمتمسكين بمجرد المظاهر الخارجية . تأمل في مصير كفر ناحوم

(٣) وفي الآيتين الأخيرتين يخبرنا الانجيلي عن مقدار التأثير الذى أحدثته عظة المسيح في السامعين . لقد كانت عظة رائعة و والمرجح انها تضمنت أكثر مما هو مدون هنا . ولا شك في أن خروجها من فم ذاك الذى انسكبت النعمة على شفتيه جعل لها رواء خاصاً . هنا يتبين :

١ — انه قد « **بهتت الجموع من تعليمه** » ربما لا تكون قد أدت إلا إلى اتباع القليلين إياه ، ولكنهم على أى حال بهتوا لمجرد سمعها .

(ملاحظة) سجوز للانسان أن يعجب بالوغظ البليغ ، ومع ذلك يبقى في الجهل وعدم الايمان . يجوز أن يدهش ، ومع ذلك يبقى في نجاسته

٢ — والسبب في هذا انه « **كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة** » . كان الكتبة يتظاهرون بأقصى ما يمكن من سلطان ، وكانوا يستندون إلى كل ما يمكن الحصول عليه من امتيازات خارجية ، ولكن وعظهم كان تافهاً ، سطحياً ، أجوف ، سقيما . كانوا يتكلمون بما لا يدرون ولا يختبرون ، لم تكن لكلماتهم حيوية أو قوة ، كانوا ينطقون بها كما يردد التلميذ درسه . أما المسيح فقد نطق بموعظته كما يتطق القاضي بالحكم . لقد نطق بموعظته بلهجة السلطان . كانت دروسه شرائع ، وكلمته أوامر . أظهر المسيح فوق الجبل سلطاناً حقيقياً أكثر من الكتبة على كرسي موسى . وهكذا عندما يعلم المسيح بروحه فإنه يعلم بسلطان . إذا قال « ليكن نور » كان النور .

الاصحاح الثامن

بعد أن قدم الينا البشير فى الاصحاحات الثلاثة السابقة عينة من وعظ المسيح يبدأ الآن بأن يقدم بعض أمثلة عن العجائب التى صنعها والتى تبين أنه المعلم أتى من الله ، وأنه الشافى الأعظم لعالم سقيم . وفى هذا الاصحاح نرى (١) تطهير المسيح للابرص ع ١ ــ ٤ (٢) شفاءه لمفلوج ومحمومة ع ٥ ــ ١٨ (٣) حديثه مع اثنين كانا يميلان لا تباعه ع ١٩ ــ ٢٢ (٤) تسكينه للرياح ع ٢٣ ــ ٢٧ (٥) طرد الشياطين ع ٢٨ ــ ٣٤

١ ــ ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة ٢ ــ وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرنى ٣ ــ فمد يسوع يده ولمسه قائلا أريد فاطهر. وللوقت طهر برصه ٤ ــ فقال له يسوع أنظر أن لا تقول لأحد . بل اذهب أرنفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم .

تشير الآية الأولى إلى خاتمة العظة السابقة . فان الجموع التى سمعته « بهتت من تعليمه » ، وكانت النتيجة أنه « **لما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة** » . ورغم أنه كان مدققا فى شريعته ، أميناً فى توبيخه ، فإنهم حرصوا على أن يلتفوا حوله ، ولم يريدوا أن يتفرقوا ويتركوه .

(ملاحظة) إن الذين يعلن المسيح لهم ذاته لا يمكن إلا أن يرغبوا فى زيادة التعرف إليه . والذين يعرفون عن المسيح كثيراً يجب أن يطمعوا فى زيادة المعرفة . إن كنا نثابر فى معرفة الرب فاننا عندئذ نعرفه (هو ٦ :٣.) جميل جداً أن نرى قوما قد تأثرت حياتهم بالمسيح للدرجة التى فيها لا يشبعون من سمع أقواله ، وقد شغفوا بأفضل الأمور للدرجة التى فيها يهرعون إلى العظات البليغة ، « ويتبعون الحمل » أينما سار.

الآن تحققت نبوة يعقوب عن المسيا أنه « له يكون خضوع (اجتماع) شعوب » تك ٤٩ : ١٠ . على أن الجموع الكثيرة التى تبعته واجتمعت إليه لم تلتصق به . فالذين تبعوه عن قرب وباستمرار كانوا قليلين بالنسبة للذين تبعوه عن بعد .

فى هذه الأعداد نرى وصفاً لتطهير المسيح لرجل أبرص . و يبدو من مقارنة ما ورد فى مر ١ : ٤٠ بما ورد فى لو ٥ : ١٢ أن هذا الحادث حصل قبل ذلك ببعض الوقت ، رغم أن « متى » يذكره بعد عظة الجبل مباشرة ، لأنه أراد أن يقدم لنا عينة من عظات المسيح أولا ثم عينة من عجائبه . على أن ترتيب تدوين الحوادث أمر ليس ذا بال . وقد كان لائقاً أن تدون هذه المعجزة فى مقدمة معجزات المسيح :

(١) لأن البرص كان ينظر اليه بين اليهود كعلامة خاصة على غضب الله . لهذا نرى أن مريم أخت موسى وجيحزى وعزيا قد أصيب كل منهم بالبرص بسبب خطية معينة . ولذلك فلكى يبين المسيح أنه جاء لكى يرفع غضب الله برفع الخطية بدأ بشفاء أبرص .

(٢) لأنه كما كان مفروضا بأن هذا المرض يأتي من يد الله مباشرة فكان مفروضاً بأن الشفاء منه يأتي من يد الله مباشرة ، ولذلك فلم تكن تبذل أية محاولة لعلاجه على يد الأطباء ، بل كان يوضع الأبرص تحت مراقبة الكهنة ، خدام الرب ، الذين كانوا ينتظرون حتى يروا ما يفعله الله . وكانت إصابة الثوب أو الحائط بالبرص (لا ١٣ ، ١٤) أمراً خارقاً للطبيعة . و يبدو أنه يختلف فى طبيعته عن مرض البرص المألوف فى عصرنا الحاضر . قال ملك إسرائيل « هل أنا الله حتى أن هذا يرسل إلى أن أشفى رجلا من برصه » ٢ مل ٥ : ٧ . وقد برهن المسيح على أنه هو الله بشفاء برص كثيرين وتفويض تلاميذه أن يفعلوا ذلك باسمه أيضاً ص ١٠ : ٨ . وقد كان هذا ضمن الأدلة التى قدمت على أنه هو المسيا ص ١١ : ٥ .

وقد بين أيضاً بأنه هو مخلص شعبه من خطاياهم ، لأنه رغم أن كل مرض هو نتيجة الخطية وصورة لها بسبب اعتلال النفس ، إلا أن البرص كان له هذا الوضع بصفة خاصة ، لأنه كان يحمل نجاسة و يتطلب اعتزالا عن كل ما هو مقدس دون سائر الأمراض . ولذلك كان ينظر اليه لا كمرض بل كنجاسة (لا ١٣ و١٤) . وكان الكاهن يحكم بطهارة الشخص أو نجاسته حسبما يرى فى مظهره . على أن امتياز تطهير البرص كان محفوظاً للمسيح الذى كان مزمعاً أن يتممه كرئيس كهنة اعترافنا عب ٣ : ١ . لأنه جاء لكى يتمم « ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً عنه بالجسد » رو ٨ : ٣ . فالناموس كشف الخطية (لأن بالناموس معرفة الخطية) وأعلن بأن الخطأة نجسون ، وأغلق عليهم غل ٣ : ٢٣ كما كان الكهنة يفعلون لهم ، ولكنه لم يتعد أكثر من هذا الحد . لم يستطع « أن يكمل الذين يتقدمون » إليه عب ١٠ : ١ . أما المسيح فانه يرفع الخطية ، و يطهرنا منها ، لأنه « قد أكمل إلى الأبد المقدسين » عب ١٠ : ١٤ . هنا نرى :

(١) الالتماس الذى وجهه الأبرص للمسيح . إن كانت هذه المعجزة قد تمت عقب موعظة الجبل ، كما يضعها البشير متى ، فيجوز لنا أن نستنتج أن الأبرص رغم أنه قد أبعده مرضه

عن مدن إسرائيل إلا أنه كان فى موضع يستطيع منه أن يسمع عظة المسيح ، فشجعته على تقديم طلبته إليه ، لأن الذى « كان يعلم كمن له سلطان » لا بد أن يشفى كمن له سلطان أيضا . لذلك فإنه « **قد جاء وسجد له** » لأنه كان متشحاً بقوة إلهية وسلطان فائق . وكان التماسه « **ياسيد إن أردت تقدر أن تطهرنى** » . وكان هذا التطهير :

١ ــ رحمة وقتية ، رحمة للجسد ، بإنقاذه من مرض يمرر الحياة ولو لم يهددها بالخطر . ومن هنا لا نتعلم فقط الالتجاء إلى المسيح لطلب الشفاء إذ له سلطان على أمراضنا الجسدية ، بل نتعلم أيضاً طريقة الالتجاء إليه : واثقين من سلطانه ، مؤمنين بأنه يقدر على شفاء الأمراض الآن كما كان حين ظهر فى الجسد ، وخاضعين لإرادته « ياسيد إن أردت تقدر » . من جهة المراحم الزمنية نحن لا نستطيع أن نكون واثقين من « إرادة » الله لمنحها بنفس الثقة فى « قدرته » ، لأن « قدرته » فيها غير محدودة ، أما « وعده » بها فحدود بالنظر إلى مجده وخيرنا . فعندما لا نكون واثقين من إرادته لنثق فى حكمته ورحمته اللتين نستطيع أن نلجأ إليهما مغتبطين « لتكن مشيئتك » . وهذا يجعل الانتظار سهلا والاتمام معزيا .

٢ ــ رحمة رمزية . الخطية هى برص النفس ، إنها تبعدنا عن شركة الله . ولكى نعود إلى هذه الشركة يجب التطهير من هذا البرص ، الأمر الذى يجب أن يكون موضع اهتمامنا الأعظم . لاحظ أنه مما يعزينا حينما نلجأ للمسيح كالطبيب الأعظم إنه إن أراد يقدر أن يطهرنا . فعلينا أن نتقدم اليه باتضاع وثقة وجراءة ونقول له هذا القول . أى :

(١) إننا يجب أن نثق فى سلطانه . يجب أن نثق بأنه « يقدر » أن يطهرنا . لن يوجد أى إثم مهما عظم لا يكفى بره أن يطهرنا منه ، ولن يوجد أى فساد لا يوجد فى نعمته ما يكفى للتغلب عليه مهما كان قويا ، ولن يوجد أى مرض دون أن يوجد فى قدرته ما يكفى لشفائه مهما كان مستعصيا .

(٢) يجب أن نلجأ إلى رحمته وشفقته ، نحن لن نستطيع أن نطالب به كدين ، بل لنلتمسه بكل تواضع كهبة منه « يا سيد إن أردت » . إننى أرتمى عند قدميك ، وإن هلكت هلكت هناك .

(٢) إجابة المسيح على هذا الالتماس ، وقد كانت كلها رحمة ع ٣ .

١ ــ « فمد يسوع يده ولمسه » . كان البرص مرضاً بغيضاً و بيلا ، ومع ذلك لمسه المسيح ، لأنه لم يأنف أن يكلم العشارين والخطاة و يصنع لهم خيراً . كان يعتبر لمس الأبرص نجاسة فى حكم الناموس ، ولكن المسيح أراد أن يبين بأنه إذا ما اختلط بالخطاة فإنه لن يتأثر منهم بأى حال

من الاحوال ، لأن رئيس هذا العالم ليس له فيه شيء . نحن إذا لمسنا شيئا نجسا تنجسنا ، أما المسيح « فقد انفصل عن الخطاة » (عب ٧ : ٢٦) ولو عاش فى وسطهم .

٢ ـــ وقال « **أريد فاطهر** » لم يقل كما قال أليشع لنعمان « اذهب واغتسل فى الأردن » ، ولم يضع عليه عبئاً ثقيلا بوصفة طبية مضنية طويلة الأمد ، بل نطق بالكلمة وشفاه .

(١) هنا نجد كلمة كلها رحمة « أريد » . إن أرادتى فى معونتك لا تقل عن إرادتك فى طلب المعونة منى .

(ملاحظة) على الذين يلجأون بالايمان إلى المسيح لطلب رحمته ونعمته أن يتأكدوا من أنه يريد ، يريد بسخاء ، أن يهبهم الرحمة والنعمة اللتين قد تقدموا لطلبهما . والمسيح طبيب لا يحتاج الأمر إلى البحث عنه لأنه قريب منا على الدوام ، ولا يحتاج أن نستحثه لأنه يسمع وقت أن نتكلم ، ولا يحتاج إلى أجر لأنه يشفى مجاناً ، بلا ثمن ولا مكافأة . لقد قدم كل الايضاحات الممكنة على أن إرادته لا تقل عن قدرته فى خلاص الخطاة .

(٢) وكلمة كلها قوة « **فاطهر** » . بدت فى هذه الكلمة قوة السلطان وقوة التنفيذ : المسيح يشفى بكلمة أمر لنا « اطهر » أرغب أن تطهر وتستخدم الوسائط التى فى متناول يدك ، طهر نفسك من كل دنس . ومع هذه الكلمة تجرى كلمة أمر خاصة بنا ، كلمة تتمم العمل « أريد أن تطهر » . مثل هذه الكلمة لازمة للشفاء ، وقادرة على الشفاء . ونعمة القدير التى تنطق بها لا تنقص أولئك الذين يطلبونها بإخلاص .

(٣) التغيير المبارك الذى حدث عن طريق هذه الكلمة . « **وللوقت طهر برصه** » . تعمل الطبيعة بالتدريج ، أما إله الطبيعة فيعمل بسرعة « للوقت » . حالما ينطق بالكلمة يتم الأمر . وكل أعماله نافذة المفعول . إذا أمر ثبت الأمر . كانت إحدى معجزات موسى الأولى أنه أبرأ نفسه من البرص (خر ٤ : ٧) لأن كهنة الناموس كانوا يقدمون ذبائح عن خطايا أنفسهم أولا . أما المسيح فكانت إحدى معجزاته الأولى أنه أبرأ غيره من البرص ، لأنه لم تكن له خطية ليكفر عنها .

(٤) التعليمات التى أصدرها المسيح بعد ذلك . يليق بأولئك الذين ينالون الشفاء من المسيح أن ينالوا منه الأوامر والارشادات التى يسلكون بموجبها بعد ذلك .

١ ـــ « **انظر أن لا تقول لأحد** » . لا تقل لأحد حتى ترى نفسك للكاهن و يعلن بأنك قد طهرت ، و بذلك يكون لديك دليل شرعى على أنك كنت سابقاً أبرص ثم أنك الآن قد طهرت

تـمـاماً . يريد المسيح أن تظهر معجزاته فى نورها الكامل ودليلها الأكيد ، وأن لا تذاع حتى تظهر هكذا .

(مـلاحـظـة) عـلـى الذين يكرزون بحقائق المسيح أن يكونوا قادرين على تقديم البرهان عليها ، أن يدافعوا عما يكرزون به و يقنعوا المناقضين تى ١ : ٩

« أنـظـر أن لا تـقـول لأحد » حتى ترى نفسك للكاهن ، لئلا إذا عرف من شفاك يحجم **عن اعطائك** شهادة بالشفاء ، و بذلك يتركك فى عزلتك . هكذا كان الكهنة فى عصر المسيح ، حتى أن الذين يتعاملون معهم كان يجب أن يكونوا حكماء كالحيات .

٢ ـــ « **بـل اذهـب أرنـفـسـك للكـاهـن** » كما يأمر الناموس لا ١٤ : ٢ . لقد حرص المسيح على أن الناموس يمارس ، لئلا يسبب معثرة لأحد ، كما حرص على أن يبين بأنه يحترم كل مـن كـان فـى مـنصب . جدير بمن نالوا البرء من برصهم الروحى أن يلجأوا لخدام المسيح ليكشفوا قـلـوبهم لهم لكى يعينوهم فيما قد يتساءلون عنه بصدد حالتهم الروحية ، ولكى ينصحوهم و يعزوهم و يصلوا لأجلهم .

٣ ـــ « **وقـدم الـقـربـان الذى أمر به موسى** » علامة شكر لله ، وتعويضاً للكاهن عن أتعابه ، وهذا « **شهادة لهم** »

(١) أى « الـذى أمـر بـه مـوسى شهادة » كانت الطقوس الناموسية شهادة لسلطان الله عليها وعنايته بها و بتلك النعمة التى كانت سوف تعلن فيما بعد .

(٢) أو قدمها كشهادة ، ودع الكاهن يعرف من طهرك ، وكيف طهرك ، و بذلك تكون لـديـهـم شـهـادة بأن فى وسطهم من يستطيع أن يفعل ما يعجز عنه رئيس الكهنة . لتسجل عندهم كـشـهـادة عـلـى سـلطانى ، شهادة عنى لهم إذا استخدموها وانتفعوا بها ، وشهادة ضدهم إذا هم رفضوها . ذلك لأن أقوال المسيح وأفعاله شهادات .

٥ ـــ ولما دخل يسوع كفرناحوم جاء اليه قائد مئة يطلب اليه ٦ ـــ و يقـول يـاسـيـد غـلامى مطروح فى البيت مفلوجاً متعذباً جداً ٧ ـــ فـقـال لـه يـسـوع أنـا آتـى وأشـفيه ٨ ـــ فأجاب قائد المئة وقال له ياسيد لـست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى . لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى

٩ ـــ لأنى أنا أيضاً إنسان تحت سلطان . لى جند تحت يدى أقول لهذا اذهب فيذهب ولآخر إيت فيأتى ولعبدى افعل هذا فيفعل ١٠ ـــ فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعون . الحق أقول لكم لم أجد ولا فى اسرائيل إيماناً بمقدار هذا ١١ ـــ أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب و يتكئون مع ابراهيم واسحق و يعقوب فى ملكوت السموات ١٢ ـــ وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ١٣ ـــ ثم قال يسوع لقائد المئة اذهب وكما آمنت ليكن لك . فبرأ غلامه فى تلك الساعة

وفى هذه الأعداد نجد وصفاً لشفاء المسيح غلام قائد المئة من الفالج . تمت هذه المعجزة فى كفرناحوم حيث كان يقيم المسيح وقتئذ ص ٤ : ١٣ . كان المسيح يجول يصنع خيراً ، ثم يعود إلى وطنه يصنع خيراً أيضاً ، وكل مكان حل فيه كان يجد فيه المجال المناسب لصنع الخير .

كان الأشخاص الذين اتصل بهم المسيح فى هذه المعجزة :

١ ـــ « **قائد المئة** » جاء متوسلا ، وكان أممياً ، رومانياً ، قائداً فى الجيش . والمرجح أنه كان قائد فرقة الجيش الرومانية التى كانت معسكرة فى كفرناحوم .

(١) رغم أنه كان رجل حرب (والعادة أن معظم رجال الحرب لا يعرفون إلى التقوى سبيلا) إلا أنه كان رجلا صالحاً ، وذاعت شهرته بالصلاح .

(ملاحظة) إن الله يحفظ لنفسه بقية بين كل أجناس البشر . ولا يمكن أن تكون مهنة أى إنسان أو مكان إقامته فى هذا العالم حجة لعدم تقواه أوعدم إيمانه ، لن يجرؤ أى إنسان أن يقول فى ذلك اليوم العظيم : كان ممكناً أن أكون متدينا لو لم أكن جنديا ، لأن بين مفديى الرب جنوداً . وحينما تتغلب النعمة على كل الصعوبات التى كان يبدو بأنها تحول دون التقوى فإن المؤمن وقتئذ « يعظم انتصاره » (يصبح أعظم من منتصر) . فقد كان هذا القائد صالحا بل صالحاً جداً .

(٢) ورغم أنه كان قائداً رومانياً ، وكانت إقامته بين اليهود علامة على خضوعهم لنير الرومانيين إلا أن المسيح الذى كان « ملك اليهود » أكرمه ، و بذلك علمنا أننا يجب أن نفعل الخير لأعدائنا دون التقيد بالعداوات الوطنية .

(٣) ورغم أنه كان أميا إلا أن المسيح أغاثه . صحيح أنه لم يذهب إلى أية مدينة للأمم (فأرض كنعان كانت أرض عمانوئيل أش ٨ : ٨) إلا أنه تلقى الدعوة من بعض الأميين . الآن بدأت نبوة سمعان الشيخ أن تتم بأنه يجب أن يكون « نور اعلان للأمم » وفى نفس الوقت « مجداً لشعبه اسرائيل » لو ٢ : ٣٢ . وفى تدوين البشير متى لهذه المعجزة عقب معجزة تطهير الابرص الذى كان يهودياً إشارة لهذه الحقيقة . لقد لمس المسيح اليهود البرص وشفاهم ، لأنه كرز شخصياً بينهم ، أما الأمم المفلوجون فقد شفاهم عن بعد لأنه لم يذهب اليهم بشخصه ، بل « أرسل كلمته وشفاهم » ، ومع ذلك فقد تمجد بينهم أكثر.

٢ ـ « **غلام (عبد) قائد المئة** » وكان هو المريض . وفى هذا أيضا يتبين أن الله لا يحابى بالوجوه ، لأنه « فى المسيح يسوع » « ليس عبد أو حر » كما أنه « ليس ختان وغرلة » . هو على أتم الاستعداد لشفاء أفقر عبد كأغنى سيد . لأنه هو نفسه « أخذ صورة عبد » ليبين احترامه لأفقر الفقراء .

والآن نجد فى شفاء هذا الغلام حديثاً رائعاً تبودل بين المسيح وقائد المئة تجلت فيه فضائل الأخير كما تدفقت منه نعم المسيح .

لاحظ هنا :

(١) فضائل قائد المئة . وهل يخرج شىء صالح من قائد رومانى ؟ هل يخرج شىء مقبول أو شىء ممدوح ؟ تعال وانظر فتجد خيراً جزيلا خارجاً من قائد المئة هذا الذى كانت له الحياة السامية المثالية لاحظ :

١ ـ حديثه للمسيح الذى يفيض محبة والذى ينم عن :

(١) احترامه الخشوعى للرب يسوع المسيح على أساس أنه يقدر و يريد أن يغيث كل المساكين الذين يلجأون اليه . فإنه جاء « يطلب إليه » (أو « ملتمساً » كبعض الترجمات) ، ليس كنعمان السريانى (وكان قائد مئة أيضاً) الذى جاء إلى اليشع يطلب الشفاء بأنفة وكبرياء ، بل جاء بكل تواضع متوسلا . ومن هذا يبدو انه رأى فى المسيح أكثر مما كان يراه الناظر لأول وهلة ، رأى ما يدعو إلى الاجلال والاحترام ، رغم أن الذى كان ينظر نظرة سطحية كان يرى بأنه « لا منظر له ولا جمال » . لا شك فى انه كان لقواد الجيش ، وهم الحاكمون بأمرهم فى المدينة ، كل مظاهر العظمة والجاه . ومع ذلك فإنه إذ تقدم إلى المسيح « متوسلا » قد تنازل من عليائه وأذل من كبريائه ولم يراع أى اعتبار لكرامة مركزه .

(ملاحظة) عندما يتقدم أعظم الرجال إلى المسيح فعليهم أن يتحولوا إلى متوسلين .

إنه يعترف بسيادة المسيح إذ « **يقول ياسيد** » و يلجأ إليه ، وإلى رغبته ، وحكمته ، بتوسل دون الالتجاء إلى الرسميات . لقد عرف بأنه التجأ إلى طبيب حكيم رحيم قادر على شفاء المرض بمجرد تقديم الالتماس . حينما نعترف بحاجياتنا وأمراضنا الروحية بكل تواضع فإننا لابد أن ننال الجواب . إذن فاسكب أمامه شكواك تنسكب عليك الرحمة

(٢) احترامه الحبي لخادمه ــ نقرأ في الكتاب المقدس عن الكثيرين الذين تقدموا للمسيح من أجل أبنائهم ، أما هنا فنجد الحالة الوحيدة التي يتقدم فيها أحد من أجل خادمه « **ياسيد غلامي مطروح في البيت مفلوجاً** » .

(ملاحظة) على السادة أن يعنوا بخدمهم حينما يكونون في ضيقة .

إن مرض الفالج أقعد الخادم عن العمل ، وجعله عبئاً ثقيلا جداً على سيده ، على أنه لم يطرده إذ اعتلت صحته (كما فعل العماليقي إذ ترك عبده ١ صم ٣٠ : ١٣) ، ولم يرسله لأقربائه ، ولم يهمله ، بل سعى وراء أفضل وسيلة لاغاثته . لم يكن ممكناً للعبد أن يعمل لسيده أفضل مما عمله السيد للعبد . كان عبيد قائد المئة مطيعين له ع ٩ ، وهنا نرى علة هذه الطاعة . فقد كان عطوفاً عليهم جداً ، وهذا ما زاد في طاعتهم له . إن كان واجباً علينا أن لا نرفض حق عبيدنا في دعواهم علينا (أى ٣١ : ١٣ و١٥) وجب أن لا نحتقر حقهم في دعوى الله عليهم ، لأننا صورنا على صورة واحدة ، و بيد واحدة ، ونقف معهم في مستوى واحد امام الله ، ولذا فيجب أن لا نضعهم مع « كلاب الغنم » (أى ٣٠ : ١) .

لم يلجأ قائد المئة إلى السحرة والمنجمين لأجل خادمه ، بل لجأ الى المسيح . كان الفالج مرضاً يحار فيه نطس الأطباء ، ولذا فقد كان مجيئه إلى المسيح لطلب الشفاء الذى يحتاج لقوة خارقة للطبيعة دليلا عظيما على ايمانه في قدرة المسيح . لاحظ كيف يبسط حالة خادمه بكل اشفاق كحالة أليمة « **مفلوجا** » أى مصاباً بمرض يجعل المريض عادة عديم الاحساس بالألم ، أما هذا المريض فكان « **متعذباً جداً** » لأنه إذ كان شاباً فان قوة الشباب كانت تصارع المرض وهذا ما جعله في شدة الألم . لم يكن مصاباً بشلل بسيط ، بل بداء « الاسقربوط » . فعلينا إذن أن نعنى بنفوس أبنائنا وخدمنا المصابين بمرض الفالج الروحي ، الذى يجعلهم عديمي الاحساس بالشرور الروحية ، عديمي الحركة في كل ما هو صالح روحياً ، ونأتي بهم الى المسيح بالايمان والصلاة ، ونتقدم بهم إلى واهب الصحة والشفاء

٢ ــ لاحظ اتضاعه الكامل واذلاله لنفسه . بعد أن بين المسيح استعداده للذهاب وشفاء عبده ازداد القائد تواضعا

(ملاحظة) ان النفوس المتضعة تزداد اتضاعا كلما ازدادت نعم المسيح عليها .

لاحظ ماذا كانت لهجة اتضاعه « **ياسيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى** » ع ٨ وهذه تنم عن احتقاره لنفسه واجلاله للمسيح . لم يقل : ليس خادمى مستحقا أن تذهب إلى غرفته المتواضعة فى البيت ، بل قال « لست (أنا) مستحقا أن تدخل تحت سقفى » . كان قائد المئة رجلا عظيما ، ومع ذلك يعترف بحقارته أمام الله

(ملاحظة) شيمة الأفاضل التواضع .

لم يكن فى مظهر المسيح الخارجى شىء من مظاهر العظمة العالمية ، ولكن قائد المئة إذ نظر إليه كنبى ، « بل وأعظم من نبى » ، قدم إليه هذا الاجلال والاحترام .

(ملاحظة) يجب أن نقدر كل التقدير ونحترم كل ما نراه من الله ، حتى فى أولئك الذين هم دوننا من جهة المظاهر الخارجية .

لقد تقدم قائد المئة للمسيح متوسلا ، ولذلك تقدم متواضعاً

(ملاحظة) خليق بنا كلما تقدمنا إلى المسيح ، إلى الله بالمسيح ، أن نتواضع ، أن نحس بحقارتنا ، كخليقة دنيئة ، وخطاة حقيرين مرذولين ، ونشعر بأننا أحقر من أن نعمل أى شىء من أجل الله ، أو نتقبل منه أى خير ، أو نتقدم اليه .

٣ ـــ لاحظ إيمانه العظيم . وعلى قدر تزايد اتضاعه كان إيمانه متزايداً . على قدر ما يكون شعورنا بضعف أنفسنا تكون ثقتنا فى المسيح قوية . كان له إيمان أكيد ليس فقط بأن المسيح قادر على شفاء خادمة بل أيضاً :

(١) بأنه قادر على شفائه من بعيد . لم تكن هنالك حاجة إلى اتصال جسدى كما هو الحال فى عمليات العلاج الطبيعى ، ولا إلى لمس العضو المريض ، بل كان واثقاً أن الشفاء ممكن دون جمع الطبيب والعليل معاً . نقرأ فيما بعد عن أولئك الذين قدموا المفلوج الى المسيح ، رغم الصعوبات الشديدة التى لقوها ، ووضعوه امامه ، فمدح المسيح إيمانهم ، كإيمان **عامل** . أما قائد المئة هذا فإنه لم يقدم غلامه المفلوج ، فمدح المسيح إيمانه كإيمان **واثق** . ان المسيح يقبل الايمان الخالص ، مهما بدا فى أشكال منوعة . وهو يمتدح أشكال التدين المتعددة التى يتخذها البشر ، وبذلك علمنا ان نفعل كذلك نحن أيضا . لقد آمن هذا القائد ـــ ولا شك فى أن إيمانه كان صحيحاً ـــ ان قدرة المسيح غير محدودة ، ولذلك لم يكن أمراً ذا بال ان كان المريض قريباً منه أو

بعيداً عنه . ان بعد المكان لا يمكن أن يعوق معرفة أو قدرة ذاك الذى « يملأ كل مكان » . « ألعلى إله من قريب يقول الرب ولست إلهاً من بعيد » ؟ ار ٢٣ : ٢٣ .

(٢) وأنه قادر على شفائه « **بكلمة** » ، لا يرسل إليه دواء ، أو تعويذة ، بل « **قل كلمة فقط** » وأنا واثق أن « **يبرأ غلامى** » . وهنا يعترف بأن المسيح قدرة إلهية ، سلطاناً ليأمر كل الكائنات وكل قوات الطبيعة . وبهذا السلطان يفعل كل ما أراد فى عالم الطبيعة ، كما خلقه فى البداية بكلمة مقتدرة عندما قال « ليكن نور » . ان القول والعمل أمر ان مختلفان لدى البشر ، ولكن ليس هذا هو الحال مع المسيح الذى هو ذراع الرب لأنه الكلمة الأزلى . فإن قال لأى امرىء استدفىء واشبع (يع ٢ : ١٦) واشف انبعث إليه الدفء والشبع والشفاء فى الحال مع هذه الكلمة

وهنا نرى قائد المئة يوضح إيمانه فى قدرة المسيح بما له من سلطان على جنده كقائد مئة ، وعلى عبيده كسيد . فهو « **يقول لهذا اذهب فيذهب** » الخ . انهم جميعا رهن اشارته وتحت أمره ، ولذلك فإنه بواسطتهم يستطيع إتمام بعض الأمور عن بعد ، لأن لكلمته قوة القانون بإزائهم ، فالجنود المدربون يعرفون أن أوامر قائدهم غير قابلة للمناقشة ، بل واجبة الطاعة . هكذا يستطيع المسيح أن ينطق بالكلمة فتتم فى الحال ، وهو له هذا السلطان على كل الأمراض الجسدية . كان لقائد المئة هذا السلطان على جنده ، رغم انه هو شخصياً « **انسان تحت سلطان** » ، لم يكن قائداً عاماً ، بل قائد فرقة . فالأحرى جداً أن يكون هذا السلطان للمسيح الذى هو رب الأرباب وملك الملوك . كان عبيد قائد المئة خاضعين له جداً ، مستعدين أن يذهبوا و يأتوا حسب أقل إشارة من سيدهم . والآن :

[١] يجب أن نكون جميعاً عبيداً لله كهؤلاء . يجب أن نذهب ونأتى حسب أمره ، حسب إرشاد كلمته ، وحسبما توجهنا أعمال عنايته . يجب أن نركض إلى حيث يرسلنا ، ونعود عندما يأمرنا بالعودة ، ونتمم ما يقيمنا له . « ماذا يقول سيدى لعبده » . عندما تتعارض إرادته مع إرادتنا يجب أن تتم إرادته دون إرادتنا .

[٢] إن أمراض الجسد قد تصبح خادمة للمسيح . إنها تحل بنا عندما يرسلها ، وتتركنا حينما يأمرها . وهى تترك فى أجسادنا وأرواحنا النتائج التى يأمر بها . مما يعزى أتباع المسيح ــ الذين لا تعمل قوته إلا لخيرهم ــ إن لكل مرض رسالته الخاصة ، وهو ينفذ أوامره ، ويخضع لسلطانه ، و يتمم مقاصد نعمته . فلا مبرر أن يرهب المرض أو نتائجه أولئك الذين يرونه فى يد صديق رحيم كهذا .

(٣) وهنا تتبين نعمة المسيح نحو قائد المئة ، لأنه مع الرحيم يكون رحيما .

١ ـــ إنـه يـستجيب لتوسله لدى النطق بأول كلمة . لم يفعل قائد المئة أكثر من أن يشرح حـالـة غـلامـه ، وإذ كـان معتزما أن يلتمس الشفاء سبقه المسيح بهذه الكلمة الطيبة المعزية « أنا آتـي وأشـفـيـه» لم يـقـل « أنا آتى وأراه » ولو نطق بهذه لأظهرته مخلصاً رحيا ، بل قال « أنا آتى وأشـفـيـه » وهـذه تـظـهـره مخلصاً قديراً . لقد كانت كلمة عظيمة ، والأعظم منها قدرته على صنع الخير، فـقـد كـان « الـشـفـاء فـى أجـنـحـتـه » ومجيئه كان شفاء . ان الذين صنعوا معجزات بقوة مستمدة لم يتكلموا هكذا إيجابياً كما فعل المسيح الذى كان يصنع المعجزات بقوته الشخصية كمن لـه سـلـطـان : عـنـدمـا يـستدعى خادم المسيح لمر يض فإنه يستطيع أن يقول « أنا آتى وأصلى من أجـلـه » ، أما المسيح فيقول « أنا آتى وأشفيه » . فجميل جداً أن المسيح يستطيع أن يفعل أكثر مما يـسـتـطيعه خدامنا . كانت أمنية قائد المئة أن يشفى المسيح غلامه ، أما المسيح فيجيب « أنا آتى وأشفيه » ، و بذلك يعبر عن استعداده بأن يهبه نعمة أكثر مما طلب أو افتكر .

(ملاحظة) كثيراً ما فعل المسيح أكثر مما توقعه أبناؤه الذين يتوسلون اليه .

أنظر هنا مثلا من أمثلة تواضع المسيح ، فإنه أراد أن يقوم بز يارة لهذا الجندى المسكين . لم يـشـأ ان يـنـزل لـيـرى ابـن الرجل الشر يف الذى أصر على نزوله (يو ٤ : ٤٧ ـــ ٤٩) ، على أنه يـرتـضـى بـأن يـنـزل لـيرى خادماً مر يضاً . و بذلك يحترم وضاعة شعبه ، و يعطى الناقص كرامة أفـضـل (١ كـو١٢ : ٢٤) . ان تواضع المسيح بارتضائه الذهاب الى بيت قائد المئة قدم اليه مثلا أعـلـى فـى الـتـواضـع فـألزمه على أن يتواضع هو شخصياً بالاعتراف بأنه ليس مستحقاً أن يدخل المسيح تحت سقفه .

(مـلاحـظـة) إن بركات المسيح التى يتنازل بمنحها إيانا يجب أن تز يدنا تواضعاً وانكاراً للذات أمامه .

٢ ـــ ويمتدح ايمانه . و يتخذ منه فرصة لينطق بكلمة رحيمة عن الأمم المساكين ع ١٠ ـــ ١٢ . انـظـر مـا أعـظـم الـنـتـائج التى يستطيع الإيمان القوى المنكر لذاته أن يحصل عليها من المسيح حتى من أجل الجماعات والصالح العام .

(١) أما من جـهـة قـائد المئة نفسه فإنه لم يرحب به فقط (وهذا شرف يحصل عليه كل المؤمـنـين الـحـقيقيين) بل أعجب به ومدحه أيضاً ، وهذا شرف يحصل عليه أبطال المؤمنين كأيوب الذى صرح الرب بأنه « ليس مثله فى الأرض » .

[١] لـقـد أعـجـب به المسيح ، ليس من أجل عظمته بل من أجل فضائله . « فلما سمع يسوع تعجب » لا كأنه رأى شيئاً غر يباً عنه ومدهشاً ، فإنه عرف إيمان قائد المئة ، لأنه هو الذى

أنشاه ، بل كأنه رأى أمراً عظيا وفائقاً ، أمراً نادراً وغير عادى ، وتحدث عنه المسيح كأمر عجيب ، ليعلمنا بماذا نعجب ، لا بمظاهر العظمة العالمية ومباهج الحياة ، بل بجمال القداسة ، والزينة التى هى « قدام الله كثيرة الثمن » .

(ملاحظة) إن عجائب النعمة يجب أن تؤثر فينا أكثر من عجائب الطبيعة أو عجائب الأحداث . والهبات الروحية التى نحصل عليها يجب أن تكون أعظم قيمة من أى شيء نحصل عليه فى هذا العالم ، والأغنياء فى الإيمان ، لا الأغنياء فى الذهب والفضة ، هم الذين يصح أن نقول عنهم انهم « صنعوا كل هذا المجد » تك ٣١ : ١ وكل ما كان عجيباً فى إيمان أى واحد يجب أن يؤول لمجد المسيح ، الذى هو شخصياً سوف « يتعجب منه فى جميع المؤمنين » قريباً ٢ تس ١ : ١٠ لأنه صنع فيهم ولهم « عجائب »

[٢] ومدحه « **للذين يتبعون** » بسبب ما قاله . سوف يعترف المسيح بجميع المومنين أمام البشر فى الدهر الآتى ، أما فى هذا الدهر فإنه يعترف بالبعض منهم باعلاناته العجيبة التى يظهرها لهم ومن أجلهم . « **الحق أقول لكم لم أجد ولا فى أسرائيل إيماناً بمقدار هذا** »

(أولا) وهذا يدل على الشرف الذى ناله قائد المئة ، الذى ولو لم يكن ابناً من صلب ابرهيم إلا أنه كان وارثاً لإيمان ابرهيم ، وهذا ما اكتشفه فيه المسيح .

(ملاحظة) إن ما يبحث عنه المسيح هو الايمان ، وحيثما وجد اكتشفه المسيح ولو كان « مثل حبة الخردل » .

إنه لم يجد « إيماناً بمقدار هذا » فكل الأشياء تقدر بحسب الضمير ، كالأرملة الفقيرة التى قيل عنها أنها « ألقت أكثر من الجميع » لو ٢١ : ٣ . ورغم أن قائد المئة كان أممياً إلا أن المسيح مدحه .

(ملاحظة) يجب أن تكون قلوبنا خالية من كل ضغينة لكى لا نحجم عن أن نعطى المدح الواجب للذين لا ينتمون إلى مبادئنا أو يدخلون ضمن جماعتنا .

(ثانياً) و يدل على العار والخزى اللذين التحف بهما اسرائيل ، الذين كان لهم « التبنى ، والمجد ، والعهود » وكل ما يساعد على الإيمان و يشجعه .

(ملاحظة) إذا أتى ابن الانسان يجد إيماناً قليلا ، ولذلك فإنه يجد ثمراً قليلا .

(ملاحظة) إن البركات التى يحصل عليها البعض ممن لم يكن لنفوسهم سوى وسائط

قليلة تضاعف فى خطية وفى دينونة الكثيرين ممن كان لهم الكثير من وسائط النعمة ولم ينتفعوا بها .

هذا ما قاله المسيح « للذين يتبعون » لعله يبعث فيهم غيرة مقدسة كما قال بولس الرسول رو ١١ : ١٤ . لقد كانوا نسل ابرهيم ، وحرصاً على هذا الشرف ليحذروا من أن يستأصلهم الأمم ، خصوصاً تلك النعمة التى كان ابرهيم فيها مثلا عالياً .

(٢) وأما من جهة الآخرين فقد اتخذ المسيح هذه الفرصة لعمل مقارنة بين اليهود والأمم ، وأخبرهم عن أمرين وقعا موقع الدهشة فى نفوس أولئك الذين تعلموا أن « الخلاص من اليهود » .

[١] ان عدداً عظيما جداً من الأمم ينبغى أن يخلصوا ع ١١ . « **وأقول لكم أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات** » . لقد كان ايمان قائد المئة عينة على تجديد الأمم ، ومقدمة لانضمامهم إلى الكنيسة . وهذا الموضوع طالما مسه الرب يسوع المسيح ، وهنا يتحدث عنه بلهجة التأكيد « **أقول لكم** » أنا الذى أعرف كل البشر . وبمقدار ما سرته هذه الحقيقة بمقدار ما أغضبت اليهود . كانت مجرد الاشارة البعيدة اليها كافية لاثارة غضب الناصريين ضده لو ٤ : ٢٧ و٢٨ . وهنا يعطينا المسيح فكرة :

(أولا) **عن الأشخاص الذين يخلصون : « كثيرون من المشارق والمغارب »** . لقد سبق أن قال فى ص ٧ : ١٤ أن قليلين هم الذين يجدون الطريق المؤدى إلى الحياة ، ومع ذلك يقول هنا ان كثيرين سيأتون . ان الذين يجدون الطريق قليلون فى وقت واحد ، وفى مكان واحد ، ولكنهم حينما يتجمعون يصبحون كثيرين جداً . نحن الآن لا نرى إلا واحداً هنا أو هنالك يأتى إلى النعمة ، ولكننا بعد وقت وجيز سوف نرى رئيس خلاصنا « آت بأبناء كثيرين إلى المجد » عب ٢ : ١٠ . سوف نراه « وقد جاء فى ربوات قديسيه » يه ١٤ . ومعه « جمع كثير لا يستطيع أحد أن يعده » رؤ ٧ : ٩ « شعوب المخلصين » رؤ ٢١ : ٢٤ . انهم سوف يأتون « **من المشارق والمغارب** » من أمكنة متباعدة عن بعضها ، ومع ذلك فإنهم سوف يجتمعون جميعاً عن يمين المسيح ، مركز وحدتهم .

(ملاحظة) ان لله بقية فى كل الأمكنة ، « من مشرق الشمس إلى مغربها » ملا ١ : ١١ سوف يجمع المختارون « من الأربع الرياح » ص ٢٤ : ٣١ . لقد زرعوا فى الأرض ، فتناثر البعض فى كل ركن من أركان الحقل . ان العالم الوثنى منتشر من الشرق إلى الغرب ، وهو المقصود هنا بنوع خاص . ورغم انهم كانوا « غرباء عن عهود الموعد » وقتئذ ، وظلوا هكذا

طويلا ، ولكن من يدرى البقية التى كان قد حفظها لنفسه من بينهم وقتئذ . وكما كانت حالة اسرائيل وقت ايليا إذ كان يرى انه هووحده البقية الباقية (١ مل ١٩ : ١٤) و بعدها سرعان ما تقاطرت إلى الكنيسة كل الأمم (أش ٦٠ : ٣ و٤)

(ملاحظة) عندما نصل إلى السماء نلتقى بالكثيرين جداً فيها ممن كنا لا نتوقعهم ، كما لا نجد الكثيرين ممن كنا نظن انهم سيذهبون اليها

(ثانيا) والمسيح يعطينا فكرة عن **الخلاص نفسه** . انهم « **سيأتون** » ، سيأتون معاً ، سيأتون معاً (يجتمعون) إلى المسيح ٢ تس ٢ : ١

(أ) سوف يقبلون فى ملكوت النعمة على الأرض ، فى عهد النعمة الذى قطع « **مع ابرهيم واسحق و يعقوب** » ، سوف « يتباركون مع ابرهيم المؤمن » الذى صارت بركته للأمم غل ٣ : ٩ و١٤ . وهذا ما جعل زكا ابناً لابرهيم لو١٩ : ٩

(ب) وسوف يقبلون فى ملكوت المجد فى السماء . « سيأتون » بفرح ، طائرين « كالحمام إلى بيوتها » (أش ٦٠ : ٨) . « يتكئون » ليستريحوا من أتعابهم ، كمن قد تمموا واجب يومهم . تدل هذه الكلمة « يتكئون » على حالة الاستقرار الدائم ، لأننا طالما كنا واقفين على أقدامنا فنحن سائرون ، ولكن عندما نتكىء فإننا نقصد الاستقرار . السماء راحة باقية ودائمة ، هى مدينة « باقية » ، والمؤمنون « يجلسون » كمن يتكئون على العروش (رؤ٣ : ٢١) أو على المائدة ، وهذا هو المقصود هنا . يتكئون ليشتركوا فى الوليمة ، وهذا يدل على **ملء** الشركة كما يدل على **حريتها ودالتها لو٢٢ : ٣٠ .**

« **يتكئون مع ابرهيم** » ان الذين كانوا فى هذا العالم متباعدين عن بعضهم البعض ، سواء من جهة المكان أو الزمان أو أية مظاهر خارجية سوف يجتمعون معاً فى السماء ، الأقدمون والحديثون ، اليهود والأمم ، الأغنياء والفقراء . الغنى فى جهنم **سوف يرى** ابرهيم ، أما لعازر فإنه « **يتكىء معه** » ، بل يتكىء فى حضنه .

(ملاحظة) ان اجتماع القديسين معاً فى السماء جزء من سعادة السماء . والذين انتهت اليهم أواخر الدهور وكانوا أكثر الناس انزواء لا يعرف عنهم العالم شيئاً ، سوف يشتركون فى المجد مع الآباء البطاركة الأولين الأبطال .

[٢] ان عدداً عظيما جداً من اليهود سوف يهلكون ع ١٢ . لاحظ هنا :

(أولا) صدور حكم غريب جداً « **وأما بنو الملكوت فيطرحون** » ان اليهود الذين

يصرون على عدم الايمان سوف يقطعون من عضوية الكنيسة المنظورة ، وان كانوا بالمولد « بنى الملكوت » . سوف ينزع منهم « ملكوت الله » الذى افتخروا بأنهم أبناؤه ، ولا يصبحون له شعباً ، ولا ينالون شيئاً من رحمته رو ١١ : ٢٠ ، ٩ : ٣١ . فى ذلك اليوم العظيم لا ينفع الناس انهم كانوا « بنى الملكوت » يهوداً كانوا أم مسيحيين ، لأنهم سوف يدانون لا حسبا كانوا يدعون بل حسبا كانت حقيقة حياتهم . ان كانوا أبناء حقيقيين فهم ورثة رو ٨ : ١٧ ، غل ٤ : ٧ . على ان الكثيرين أبناء حسب المظهر ، أبناء فى العائلة لا أبناء العائلة ، وهؤلاء يحرمون من الميراث . إننا بولادتنا من آباء مسيحيين ندعى « بنى الملكوت » ، ولكن إذا اتكلنا على هذا ، ولم نظهر شيئاً آخر خلافه يدل على اننا أبناء السماء ، فسوف نطرح خارجاً .

(ثانيا) النطق بقصاص غريب لعمال الإثم « **يطرحون الى الظلمة الخارجية** » ظلمة الذين هم من الخارج ، ظلمة الامم الذين كانوا خارج الكنيسة . إلى هذه الظلمة طرح اليهود ، بل إلى أشر منها ، عميت أبصارهم ، وتقست قلوبهم ، وامتلأوا رعباً ، كما يبين الرسول رو ١١ : ٨ ــ ١٠ . شعب كهذا نزع من الكنيسة ، وحلت بهم قصاصات روحية ، هم لا شك فى « ظلمة » دامسة . على أن هذه تشير إلى مدى أبعد ، إلى حالة الخطاة الهالكين فى جهنم ، التى ليست الظلمة الحاضرة إلا مقدمة لها . فإنهم « يطرحون » يبعدون عن الله وعن كل تعزية حقيقية ، « ويطرحون إلى الظلمة » . يوجد فى جهنم نار ولكن بدون نور ، فإنها ظلمة حالكة . ظلمة فى أشد درجاتها . دون أن توجد بقية للنور ، أو أى رجاء فى النور . ليس هنالك أى أثر أو شعاعة من النور . إنها الظلمة الناشئة من الأبعاد عن السماء أرض النور ، والذين هم فى الخارج هم فى مناطق الظلام .

ومع ذلك فهنالك ما هو أشر « **هناك يكون البكاء وصرير الأسنان** » .

(أ) فى جهنم يكون حزن شديد ، ينابيع من الدموع تسكب عبثاً ، آلام مريرة أبدية بسبب الشعور بغضب الله ، تحل بالهالكين

(ب) غيظ شديد . فالخطاة الهالكون يكابدون « صرير الأسنان » حنقاً وغيظاً ، يمتلئون من غضب الرب ، إذ ينظرون بحسد إلى سعادة الآخرين ، ويتأملون برعب فى حالتهم السابقة التى كان ممكناً فيها أن يحصلوا على السعادة الكاملة ، ولكنها قد ولت ومضت .

٣ ــ ويشفى غلامه . إنه لم يمتدح التجاءه إليه فحسب ، بل منحه أيضاً طلبته التى من أجلها التجأ إليه ، وهذه كانت أحسن اجابة ع ١٣ . لاحظ هنا :

(١) ماذا قال له المسيح : لقد قال له ما جعل الشفاء احساناً عظيما له بمقدار ما كان

الخادمة ، بل أعظم . « كما آمنت ليكن لك » نال الخادم شفاء من مرضه ، أما سيده فقد نال تأييداً واستحساناً لإيمانه

(ملاحظة) كثيراً ما يمنح المسيح اجابات مشجعة لشعبه المصلى حينما يتشفعون فى الآخرين . إنه لإحسان عظيم لنا أن يستجاب لنا من أجل الآخرين . فقد « رد الرب سبى أيوب لما صلى لأجل اصحابه » أى ٤٢ : ١٠

كان اكراماً عظيما ذاك الذى وضعه المسيح على قائد المئة حينما وهبه إجابة مطلقة « كما آمنت ليكن لك » . وهل كان ممكناً أن ينال أكثر من هذا ؟ ومع ذلك فإن ما قيل له يقال لنا أجمعين « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » مر ١١ : ٢٤ . أنظر هنا قوة المسيح ، وقوة الإيمان . فكما أن المسيح يستطيع أن **يفعل** كل ما يريد ، كذلك يستطيع المؤمن القوى أن **ينال** ما يريد من المسيح . إن زيت النعمة يتزايد ولا يبطل حتى تنفذ أوعية الإيمان .

(٢) ماذا كانت نتيجة هذا القول . لقد اقتدرت كثيراً صلاة الإيمان ، ولا تزال ، وسوف تستمر إلى الأبد ، تقتدر كثيراً فى فعلها . يتضح من الشفاء الفجائى أنه قد تم بمعجزة ، ويتضح من اتمامه فى نفس الوقت الذى نطق المسيح فيه بكلمته أن المعجزة من صنعه . حالما نطق بالكلمة تم الشفاء « لأنه قال فكان » مز ٣٣ : ٩ . وكان هذا دليلا على قدرته على كل شىء ، على أن له ذراعاً ممدودة . لاحظ أحد الأطباء الحكماء أن الأمراض التى شفاها المسيح كانت بصفة عامة من الأمراض التى يتعذر شفاؤها بأية واسطة طبيعية ، خصوصاً مرض الفالج . « كل نوع من أنواع مرض الفالج ، خصوصاً ما كان منه طويل الأمد . إما أن يكون غير قابل للشفاء ، أو يحتاج لمهارة طبية فائقة الحد ، حتى فى الشبان . لذلك فطالما لاحظت أن كل الأمراض التى قدمت للمسيح للشفاء منها كانت من الأمراض المستعصية التى انقطع كل أمل للبرء منها (١) » .

١٤ ــ ولما جاء يسوع إلى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة ١٥ ــ فلمس يدها فتركتها الحمى . فقامت وخدمتهم ١٦ ــ ولما صار المساء قدموا اليه مجانين كثيرين . فأخرج الأرواح بكلمة وجميع

Mercurialis De Morbis Puerorum Lib. 2 Cap 5 (1)

المرضى شفاهم ١٧ ــ لكي يتم ما قيل باشعياء النبى القائل هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا .

يظن البعض أن هذه الحادثة وكل ما ورد بعدها حتى نهاية الأصحاح التاسع سابقة لعظة المسيح على الجبل ، وذلك تمشياً مع الترتيب الذى راعاه كل من البشير مرقس والبشير لوقا . أما الدكتور لا يتفوت فيعتقد أن هذه الحادثة فقط هي السابقة لعظة المسيح ، وأن ما ورد بعد ذلك أى من ع ١٨ ... الخ لاحق لها .

(١) هنا نرى وصفاً خاصاً لشفاء حماة بطرس التى كانت محمومة . وفى ذلك نلاحظ :

١ ــ المرض نفسه ، وهذا لم يكن مرضاً غير عادى ، فالحميات أكثر الأمراض انتشاراً . ولكن لأن المريض كان من عائلة بطرس ، فقد دونت هذه الحادثة كمثل من أمثلة عناية المسيح الخاصة بعائلات تلاميذه واشفاقه عليها . وهنا نجد .

(١) أن بطرس كان متزوجاً ، ومع ذلك دعى لكي يكون رسولا للمسيح . والمسيح وقر الزيجة باسداء هذا الخير لأقارب زوجة بطرس . إذن فكنيسة روما التى تمنع جميع الخدام من الزواج تناقض هذا الرسول الذى تدعى أنها تستمد منه العصمة .

(٢) أن بطرس كان له بيت « ولما جاء يسوع إلى **بيت بطرس** » مع أن المسيح لم يكن له بيت ع ٢٠ . وهكذا كان التلميذ أفضل من معلمه من ناحية حطام الدنيا .

(٣) أنه كان له بيت فى كفرناحوم ، ولو أنه كان أصلا من بيت صيدا . والمرجح أنه انتقل إلى كفرناحوم لما انتقل اليها المسيح وجعلها مقراً رئيسياً له .

(ملاحظة) جدير بنا أن ننقل اقامتنا لكى نكون قريبين من المسيح وتكون لنا الفرصة للتحدث اليه . فإذا انتقل تابوت العهد وجب على أسرائيل أن يرتحلوا و يسيروا وراءه .

(٤) أن حماته كانت تعيش معه فى بيت واحد . ومن هنا نتعلم أن الزوجين يجب أن يحب كل منهما أقارب زوجه كما يحب أقاربه . والمرجح أن هذه المرأة الصالحة كانت متقدمة فى الأيام ، ومع ذلك فقد أكرمت واعتنى بها بكل رقة ولطف ، كما يليق بالطاعنين فى السن .

(٥) أنها كانت « **مطروحة ومحمومة** » والحميات لا تعفى منها قوة الشباب ولا وهن الشيوخ . كان الفالج مرضاً مزمناً ، والحمى مرضاً حاداً ، ولكن كلاهما قدم للمسيح .

٢ ـــ الشفاء ع ١٥ .

(١) كيف تم . « **لمس يدها** » ليس لكي يتبين المرض كما يفعل الأطباء إذ يجسون النبض ، بل لكي يشفيه . وكان هذا دليلا على شفقته بنا وعطفه علينا . إنه « قادر أن يرثى لضعفاتنا » . وهذا اللمس يبين أيضاً طريقة الشفاء الروحى ، وذلك باستخدام قوة المسيح فى كلمته ، ولمسه إيانا . فالكتاب المقدس ينطق بالكلمة ، والروح القدس يلمس ، يلمس القلب ، يلمس اليد .

(٢) كيف ظهر . إن الذى بين بأنها قد « **تركتها الحمى** » هو أنها « **قامت وخدمتهم** » ومن ذلك يتضح :

[١] ان الرحمة قد كملت . ان الذين يشفون من الحمى بالعلاج الطبيعى يكونون عادة ضعفاء وعاجزين عن العمل فترة طويلة بعد الشفاء . لذلك نجدها قد قامت فى الحال ولها من القوة ما يمكنها من تأدية خدمة البيت لكى يتبين ان الشفاء كان خارقاً للعلاج الطبيعى

[٢] ان الرحمة قد تقدست . والمراحم التى تقدس تكمل فعلا . رغما عن انها نالت كرامة عظمى بهذا الاحسان الخاص إلا أنها لم تشأ أن تظهر بمظهر العظمة ، بل أظهرت استعدادها بأن تكون كأى خادم فى البيت . فعلى الذين يكرمهم المسيح أن يتواضعوا . وهذه المرأة إذ تخلصت من مرضها بحثت عما يجب أن تقدمه إليه من خدمة . فجدير بمن شفاهم المسيح أن يخدموه كل أيام حياتهم كخدامة المتواضعين .

(٢) وهنا نجد وصفاً عاماً للأمراض الكثيرة التى شفاها المسيح . فهذا الشفاء الذى صنعه المسيح لحماة بطرس أتى إليه بمرضى كثيرين . لأن كل واحد بدأ يحدث نفسه : إن كان قد شفى فلاناً فلماذا لا يشفينى أنا ؟ وإن كان قد شفى صديق فلان فلماذا لا يشفى صديقى ؟ هنا يحدثنا الانجيلى :

١ ـــ عما فعل ع ١٦ .

(١) « **أخرج الارواح** » . أخرج الارواح الشريرة « **بكلمة** » كانت للشيطان يد قوية ـــ بسماح من الله ـــ فى تلك الامراض التى عجز عنها كل علاج طبيعى ، كما كان الحال فى قروح أيوب ، خصوصاً فى الامراض العقلية . أما فى الوقت الذى كان المسيح فيه على الارض ، فيبدو بأنه كانت للشيطان سلطة أوسع لتعذيب أجساد البشر ، إذ جاء ابليس « وبه غضب عظيم عالما أن له زمانا قليلا » رؤ ١٢ : ١٢ ، والله بحكمة سمح بهذا لكى تكون هنالك

فرصة أعظم يبين فيها المسيح قوته على الشيطان وان غرضه من المجيء إلى العالم هو لكي ينزع سلطة الشيطان ويحطم قوته و يبطل أعماله . وقد كان نجاحه عظيما كما كان غرضه رحيما

(٢) « **وجميع المرضى شفاهم** » دون استثناء ، مهما كان المرضى وضيعين ، والامراض مستعصية .

٢ ــ كيف تمت بذلك الكتب ع ١٧ . كان إتمام نبوات العهد القديم الغاية العظمى التي وضعها المسيح نصب عينيه ، والبينة العظمى أنه هو المسيا . كان ضمن ما كتب عنه « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) . إلى هذه يشير بطرس ١ بط ٢ : ٢٤ ، ولكنه يفسرها تفسيراً معيناً « الذى حمل هو نفسه خطايانا » . وهنا يشير إليها متى البشير، ولكنه يتجه إتجاها آخر في تفسيرها « **هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا** » . فخطايانا تسبب أسقامنا وأحزاننا . والمسيح حمل الخطية ورفعها عنا باستحقاقات موته ، ورفع الامراض بمعجزات حياته . ومع أن تلك المعجزات التى كان يعملها إذ كان على الارض قد بطلت إلا أننا نستطيع القول إنه « حمل أمراضنا » وقتئذاك حينما « حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة » لان الخطية هى سبب المرض ، وهى فى نفس الوقت شوكته . كثيرة هى الامراض والنكبات التى نعرض لها فى الجسد . ولكننا فى الانجيل نجد ما يعز ينا إذا ما حلت بنا و يعيننا على تحملها ، أكثر مما نجد فى كل كتابات الفلاسفة ، لاننا فى الانجيل نجد أن يسوع المسيح « أخذ اسقامنا وحمل أمراضنا » . إنه حملها أمامنا . مع إنه لم يمرض قط إلا أنه جاع ، وعطش ، وتعب ، واضطرب بالروح ، وحزن . إنه حملها عنا فى آلامه ، وهو يحملها عنا فى رفقه وحنانه ، لأنه « قادر أن يرثى لضعفاتنا » . وهكذا هو يرفعها عنا ، ويجعل نيرها هيناً ، إلا أن كنا نحن لا نر يد

لاحظ قوة التعبير هنا « هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » : لقد أظهر قدرته واستعداده للتدخل فى هذا الأمر ، واهتمامه بعلاج أسقامنا وأمراضنا كطبيبنا . كان هذا النوع من المصائب البشرية موضوع عنايته الخاصة ، التى أظهرها باستعداده لشفاء الأمراض . ولا زالت قوته الآن كما هى ، وعطفه لا زال كما هو ، لأننا واثقون بأن قدرته لقيادة البشر إلى السماء لا زالت كما هى .

١٨ ــ ولما رأى يسوع جموعاً كثيرة حوله أمر بالذهاب إلى العبر ١٩ ــ فتقدم كاتب وقال له يامعلم أتبعك أينما تمضى ٢٠ ــ فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الانسان فليس له

أين يسند رأسه ٢١ ــ وقال له آخر من تلاميذه ياسيد ائذن لى أن أمضى أولاً وأدفن أبى ٢٢ ــ فقال له يسوع اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم .

هنا نرى :

(١) ان يسوع ينتقل إلى الشاطىء الآخر من بحر طبر ية ، و يأمر تلاميذه باعداد سفنهم لهذه الغاية ، وكانوا قد وضعوا اسفنهم تحت تصرفه « **أمر بالذهاب إلى العبر** » ع ١٨ . لم يكن ممكنا أن تحصر بركات شمس البر فى مكان واحد ، بل كان يجب أن تنتشر فى كل مكان ، كان يجب أن يجول يصنع خيراً ، لأن حاجيات النفوس كانت تصرخ إليه قائلة « أعبر وأعنا » أع ١٦ : ٩ . لقد انتقل « **لما رأى جموعاً كثيرة حوله** » . ورغم انه يتبين من هذه أن تلك الجموع الكثيرة كانت تر يده أن يبقى معها إلا أنه عرف بأن هنالك جموعا أخرى تر يده أن يكون معها ويجب أن تعطى هى أيضا نصيبها فيه . لأن قبوله فى مكان معين وخدماته النافعة فيه يجب أن لا تكون حائلا دون الذهاب إلى مكان آخر ، بل بالأحرى باعثاً إليه . بذلك أتيح له أن يختبر الذين إلتفوا « حوله » ليعرف ان كانت غيرتهم ستحملهم على اتباعه والالتفاف حوله إذا ما انتقل تعليمه إلى مكان أبعد . يسر الكثيرون بمثل هذه المساعدات إذا ما كانت قر يبة منهم ولا تكلفهم مشقة الانتقال إليها « إلى العبر » . لذلك عجم المسيح عود أولئك الذين كانت غيرتهم ضعيفة ، أما الكاملون فقد صاروا ظاهر ين

(٢) جديث المسيح مع اثنين لم يرغبا فى التخلف فى ذلك المكان دون اتباعه ، بل كانا مستعدين لاتباعه دون الباقين الذين كانوا يتبعونه من بعيد ، وكانا يرغبان فى الالتصاق به والتتلمذ له ، الأمر الذى يخجل منه الأغلبية ، لأنه كان يتطلب التدقيق التام فى الحياة ، وهذا ما لم يرغبوا فيه ولم تهوه نفوسهم . أما هذان فيبدو انهما كانا يرغبان فى الالتصاق به ، ومع ذلك فقد كان طر يقهما خاطئاً . وقد دون الوحى لنا أمرهما كعينة من العوائق التى تعطل الكثير ين عن الالتصاق بالمسيح ، وكتحذير لنا لكى نتحمل كل مشقة فى سبيل اتباع المسيح لئلا تضيع علينا الفرصة ، ولكى نضع الأساس الكافى لثبات بنائنا

هنا نرى المسيح يعالج نوعين مختلفين من الطباع ، الأول حاد الطبع متعجل ، والثانى بليد متلكىء . وقد كانت التعليمات التى أعطيت مناسبة لكل منهما ، وهى فى نفس الوقت نافعة لنا .

١ ـــ هنا نجد شخصاً متعجلا فى الوعد ، وهو « **كاتب** » ع ١٩ متعلم ، بل عالم ، أحد الذين درسوا الناموس وكانوا يفسرونه . وهؤلاء نجدهم عادة فى الانجيل لا خلاق لهم . وكثيراً ما اقترنوا بالفريسيين كأعداء للمسيح وتعاليمه . « أين الكاتب » ١ كو ١ : ٢٠ يندر أن نجد منهم أحداً قد تبع المسيح ، ومع ذلك نرى هنا واحداً يريد التتلمذ له ، نرى « شاول بين الأنبياء » . لاحظ هنا :

(١) كيف عبر عن استعداده « **يا معلم أتبعك أينما تمضى** » لم يكن ممكناً أن يتكلم إنسان أفضل من هذا . وقد كان استعداده لتكريس حياته للمسيح :

[١] متأهباً جداً ، و يبدو أنه كان من كل قلبه . لم يدعه المسيح إلى ذلك ، ولم يحثه أحد من التلاميذ ، بل تقدم من تلقاء ذاته وبمحض رغبته لكى يكون تابعاً للمسيح عن قرب . لم يكن مدفوعا من أحد بل متطوعا .

[٢] ثابت العزم جداً . و يبدو أنه سبق له التفكير فى هذا الأمر وتوطيد العزم عليه . فإنه لا يقول : إنى أفكر أن أتبعك ، إنى قد وطدت العزم أن أتبعك « يا معلم أتبعك » .

[٣] مطلقا وغير محدود . « أتبعك أينما تمضى » . ليس فقط « الى العبر » بل حتى إلى اقصاء الأرض . مثل هذا الرجل قد نميل إلى الوثوق فيه كل الثقة . ومع ذلك يتبين من إجابة المسيح أنه كان متعجلا فى عزمه ، وأنه كان جسدياً فى غاياته . إما أنه لم يفكر فى الأمر قط ، أو أنه فكر فى ناحية غير التى كان يجب أن يفكر فيها . لقد رأى المسيح يصنع المعجزات ، وكان يأمل بأنه سوف يقيم ملكوتاً زمنياً ، ولذا أراد أن يكون له نصيب فيه قبل الوقت .

(ملاحظة) هنالك بعض القرارات التى يعتزم المرء اتخاذها من ناحية الحياة الروحية ، ولكنها قد يكون الباعث عليها بعض التأثيرات الفجائية والعواطف العابرة ، دون أى ترو أو تأمل عميق . وهذه يكون مصيرها الفشل التام . سرعان ما تنضج وسرعان ما تتعفن .

(٢) كيف اختبر المسيح استعداده ليتبين إن كان مخلصاً فيه أو غير مخلص ع ٢٠ . إنه أراد أن يبين له بأن « **ابن الانسان** » هذا الذى يتلهف على إتباعه « **ليس له أين يسند رأسه** » ع ٢٠ ومن هذا الوصف عن فقر المسيح الشديد نتعلم :

[١] إنه غريب جداً أن ابن الله عندما أتى إلى العالم يضع نفسه هذا الوضع المتواضع جداً لدرجة أن يكون محروماً من المأوى الذى تتآوى اليه أصغر المخلوقات . إن كان قد ارتضى بأن « يأخذ طبيعتنا » فإن المرء يميل إلى الظن بأنه كان يجب أن يأخذها فى أحسن وأمجد مظاهرها وظروفها . لكنه اتخذها فى أسوأ حالاتها . لاحظ هنا :

أولا ــ كيف تجد المخلوقات الدنيئة راحتها . « **للثعالب أوجرة** » ورغم أنها ليست فقط غير نافعة بل مؤذية للانسان إلا أن الله يعد لها أوجرة تأوى اليها . يحاول الانسان إبادتها ولكنها تجد لها مأوى فأوجرتها حصون لها . « **ولطيور السماء أوكار** » رغم أنها لا تعنى بنفسها إلا أنها يعنى بها وتجد لها أوكارها (مز ١٠٤ : ١٧) أوكارها فى الحقل ، و بعضها تجد أوكارها فى البيوت ، فى ديار الرب مز ٨٤ : ٣

ثانياً : كيف أن الرب يسوع لم يجد له مأوى . مما يشجعنا فى الاتكال على الله لسد كل أعوازنا أن الوحوش والطيور تجد كل هذه العناية الطيبة ، ومما يعزينا فى أعوازنا أن ربنا اعتاز من قبلنا .

(ملاحظة) حينما كان الرب يسوع المسيح على الأرض كابد أنواع الفقر « من أجلنا افتقر » . بل افتقر جداً . لم يكن له مقر ، لم يكن له مكان راحة ، لم يكن له بيت ملك له يسند فيه رأسه ، ولا وسادة ملك له يسند عليها رأسه . كان هو وتلاميذه يعيشون على المساعدات التى كانت تقدم اليهم « واخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن » لو ٨ : ٢ . إنه قد قبل هذا ليس فقط لكى يظهر بمظهر التواضع فى كل شىء و يتمم الكتب التى تحدثت عنه بأنه يكون فقيراً بل لكى يبين لنا أن ثروة العالم باطلة الأباطيل ، و يعلمنا بأن ننظر اليها بكل احتقار ، ولكى يشترى لنا أموراً أفضل ، و بذلك « يغنينا » ٢ كو ٨ : ٩

[٢] وغريب جدال أن يصرح هذا التصريح فى هذه المناسبة . فإذا ما تقدم كاتب إلى المسيح ليتبعه كنا نتوقع بأن يشجعه المسيح و يقول له : تعال فأعنى بك . فإن كاتباً واحداً كان يستطيع أن يخدمه أكثر من أثنى عشر صياداً . على أن المسيح رأى قلبه ، وأجابه حسب أفكار قلبه ، و بذلك علمنا كيف نأتى إلى المسيح :

أولا ــ يبدو أن عزم الكاتب جاء فجائياً . والمسيح يريدنا قبل أن نعتزم أى عزم من ناحية الحياة الروحية أن نجلس أولا ونحسب النفقة لو ١٤ : ٢٨ . أن نفعل ذلك بعد تأمل دقيق ، أن نختار طريق التقوى ليس لأنه لا يوجد طريق آخر ، بل لأنه لا يوجد طريق أفضل . ليس امتيازاً للمسيحية أن تأخذ الناس فى غفلة منهم قبل أن يتنبهوا . إن الذين يعتنقون أية عقيدة كرهاً يهجرونها فى تبرم . إذاً فعلى قدر ما نصرف من الوقت فى الشئون الروحية يكون انتاجنا أسرع . وعلى من يريد اتباع المسيح أن يقدر أسوأ الظروف ، وأن يتوقع المصائب والضيقات .

ثانياً ــ و يبدو ان عزمه كان الباعث عليه المطامع العالمية . لقد رأى مقدار آيات الشفاء الكثيرة التى صنعها المسيح ، واستنتج بأنه يتقاضى أجراً كثيراً ، وأنه سوف يجمع ثروة طائلة سريعاً ، ولذلك أراد أن يتبعه مؤملا أن يثرى معه . لكن المسيح صحح خطأه . وأخبره بأنه أبعد ما

يكون عن أن يكون غنياً ، لدرجة انه « ليس له أين يسند رأسه » ، وأنه أن أراد اتباعه وجب أن لا يتوقع بأن يكون نصيبه أوفر حظاً

(ملاحظة) لا يمكن أن يقبل المسيح أي واحد كتابع له إن قصد من اتباعه ناحية عالمية ، أو هدف إلى أية غاية دون السماء .

المرجح جداً أن هذا الكاتب « مضى حزيناً » لأنه فشل في صفقته التي ظنها رابحة . وإن كان اتباع المسيح لا يدر عليه فلن يتبعه .

٢ — وهنا نجد شخصاً آخر متلكئاً في التنفيذ . ان التلكؤ في التنفيذ مضر كالتعجل في العزم . حينما نصرف الوقت الكافي في التأمل ، و بعد ذلك نوطد العزم فعلينا أن لا نؤخر عمل اليوم إلى غد . كان هذا الشخص أحد تلاميذ المسيح فعلا « **وقال له آخر من تلاميذه** » ع ٢١ . أحد أتباعه من بعيد يخبرنا القديس اكليمنضس الاسكندرى — نقلا عن إحدى الروايات القديمة — أنه كان هوفيلبس . و يبدو أنه كان ذا أخلاق أسمى من الأول وميول أنبل . لأنه لم يكن معتداً بذاته أو متسرعاً . ليس الطبع الحاد المتسرع منتجاً في الناحية الروحية . ففي بعض الأحيان يكون الآخرون أولين والأولون آخرين . لاحظ هنا :

(١) الحجة التي قدمها هذا التلميذ ليؤجل اتباع المسيح العاجل ع ٢١ « **ياسيد ائذن لي أن أمضي أولا وأدفن أبي** » قبل أن آتي وأتبعك عن قرب و بصفة دائمة ائذن لي أن أقوم بهذا الواجب الأخير، واجب الولاء نحو أبي ، وفي نفس الوقت يكفيني أن أستمع إليك بين الآونة والأخرى حينما يكون لدى الوقت الكافي . يظن البعض أن أباه كان مريضاً وقتئذاك ، أو على فراش الموت ، أو مات فعلا . و يظن الآخرون انه كان فقط طاعناً في السن ولا ينتظر أن يعمر أطول من ذلك الحد ، ولذا فقد التمس الاذن أن يكون بجانبه وقت مرضه وعند وفاته ودفنه ، و بعدئذ يكون في خدمة المسيح . كان هذا الطلب حسب الظاهر معقولا ، ولكنه مع ذلك كان خاطئاً . فإنه لم تكن لديه الغيرة التي يجب توفرها للخدمة ، ولذلك قدم هذا الالتماس لأنه كان يبدو عذراً مقبولا

(ملاحظة) ان القلب الذى لم تتوفر فيه الرغبة يخلق المعاذير . لأنه حيث توفرت الارادة توفرت الوسيلة .

ولنفرض أن الباعث إلى هذا الالتماس كانت محبته البنوية الصادقة لأبيه و ولاءه التام له ، لكن كان يجب أن تكون الأولوية للمسيح .

(ملاحظة) كثيراً ما كانت الاهتمامات الزائدة عن الحد بالعائلات والأقارب سببا

فى إعاقة البشر عن طريق التقوى ، معطلا لهم فى طريقها . وهذه الواجبات الشرعية كثيراً ما كانت مضرة لنا أجمعين . وكثيراً ما أهملت واجباتنا نحو الله أو أرجئت تحت ستار أيفاء ديوننا للعالم . لهذا كانت الحاجة إلى مضاعفة الحذر فى هذه الناحية

(٢) عدم قبول المسيح لهذا العذر ع ٢٢ « **فقال له يسوع اتبعنى** » ولا شك فى أن قوة خاصة رافقت هذه الكلمة ، كما حدث مع غيره ، فتبعه فعلا ، والتصق به ، كما التصقت راعوث بنعمى ، بينما تنحى عنه الكاتب الوارد ذكره فى العددين السابقين ، كما تنحت عرفه عن نعمى . قال الكاتب للمسيح « أتبعك » ، والمسيح قال لهذا التلميذ « اتبعنى » ، فبمقارنة الاثنين نستنتج أن اتباعنا للمسيح يتم بقوة دعوته لنا ، لا بمقدار وعودنا له « فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » وهو يدعو من يشاء رو ٩ : ١٦

(ملاحظة) ان قدمت الآنية المختارة المعاذير وأبطأت قليلا فى تلبية الدعوة الالهية إلا أن المسيح أخيراً يقبل معاذيرهم و ينتزع منهم عدم رغبتهم و يأتى بهم عند قدميه . لأنه إذا ما دعا المسيح تغلب على كل الصعوبات ، وأعطى الدعوة قوة التنفيذ ١ صم ٣ : ١٠

وحالما سمع المسيح هذه الحجة ألقاها جانباً كحجة غير مقبولة ولا معقولة « **دع الموتى يدفنون موتاهم** » وهذا تعبير مستقى من الأمثال الجارية . دع ميتا يدفن ميتا ، بل دع الاثنين بلا دفن فذلك أولى من أن تتعطل خدمة المسيح . دع الموتى روحيا يدفنون موتى الجسد . دع خدمات العالم لأهل العالم ، ولا تربك نفسك بها . ان دفن الموتى ، وخاصة الوالد ، عمل صالح ، ولكن هذا ليس عملك الآن ، فإنه يمكن أن يقوم به غيرك ممن لم يدع مثلك ، ولم تتوفر فيه مؤهلاتك لخدمة المسيح . ان لك عملا آخر يجب أن تقوم به ، فلا تؤجله

(ملاحظة) يجب أن يكون الولاء لله مقدماً على الولاء للوالدين ، ولو أن هذا الواجب الأخير جزء جوهرى من تديننا .

كان الناموس يقضى بأن النذير لا يحزن بسبب موت أبيه أو أمه لأنه « مقدس للرب » عد ٦ : ٦ — ٨ كذلك كان على الكاهن الأعظم أن لا يتنجس بسبب الموتى ، ولا « لأبيه أو أمه » لا ٢١ : ١١ و ١٢ . والمسيح يتطلب من كل من يريد اتباعه أن « يبغض أباه وأمه » لو ١٤ : ٢٦ ، أى يحبهما أقل من محبته لله . ينبغى أن نهمل — نسبياً — أقرب الأقرباء إذا تعارضت مصلحتهم مع مصلحة المسيح ، لأننا إما أن نقوم بواجبنا من نحوه تعالى أو نتألم من أجل اهمالنا القيام بواجبنا من نحوه .

٢٣ — ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ٢٤ — وإذا اضطراب

عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة . وكان هو نائماً ٢٥ ــ فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين ياسيد نجنا فاننا نهلك ٢٦ ــ فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الايمان . ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم ٢٧ ــ فتعجب الناس قائلين أي إنسان هذا فان الرياح والبحر جميعاً تطيعه

سبق أن أعطى المسيح الأمر لتلاميذه للإقلاع ع ١٨ « أمر بالذهاب إلى العبر » أى عبر بحر طبرية ، إلى كورة الجدريين ، في ملك سبط جاد الواقع شرق الأردن . لقد أراد الذهاب إلى هناك لإنقاذ شخص بائس به لجيئون من الشياطين (مر ٥ : ١ و٢ ، لو ٨ : ٢٦ ٢٧) رغم أنه سبق فعلم ما سيصادفه من إساءة هناك . لاحظ هنا :

١ ــ إنه اختار الذهاب بحراً . لم يكن يكلفه الذهاب براً عناء كبيراً ، ولكنه فضل عبور البحيرة لكي تهيأ لديه الفرصة لاظهار نفسه إله البحر كما هو إله الأرض أيضاً ، ولكي يبين أنه وهب اليه « كل سلطان في السماء وعلى الأرض » . مما يعزى الذين يسلكون في البحار و يتعرضون لاخطارها أن يذكروا أن لهم إلهاً يثقون فيه و يصلون اليه ، وهو يعرف ماذا يتضمنه السلوك في البحار والتعرض لعواصفها . ولكن لاحظ أنه عندما سار في البحر لم يكن له يخت ، أو سفينة ضخمة فاخرة لكي تلازمه ، بل كان يستخدم سفن الصيد التي كانت ملكا لتلاميذه ، لأنه كان فقيراً جداً في جميع نواحي الحياة المادية .

٢ ــ وحالما دخل السفينة « تبعه تلاميذه » لازمه التلاميذ بينما تنحى عنه الآخرون الذين وقفوا على اليابسة ، حيث يطأون بأقدام ثابتة مطمئنة .

(ملاحظة) إن تلاميذ المسيح الحقيقيين هم فقط الذين يكونون مستعدين أن يرافقوه في البحار ، أن يتبعوه وسط الصعوبات والأخطار . ما أكثر الذين يريدون الذهاب إلى السماء براً ، الذين يفضلون الوقوف على اليابسة بأقدام ثابتة أو الرجوع إلى الوراء عن أن يخاطروا و يركبوا بحراً خطراً . على أن الذين يريدون أن يجدوا الراحة مع المسيح في الدهر الآتي يجب أن يتبعوه في هذا الدهر حيث قادهم ، سواء في السفينة ، أو في السجن ، أو في القصر .

لاحظ هنا :

(١) الخطر الذي تعرض له التلاميذ وارتباكهم في هذه الرحلة . وهنا يتبين صدق قول

المسيح الذى نطق به قبل ذلك مباشرة من أن الذين يريدون اتباعه يجب أن يحسبوا حساب الصعوبات ع ٢ .

١ ــ « **وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر** » ع ٢٤ . كان ممكناً أن يمنع المسيح هذه العاصفة ، و يسمح لهم برحلة جيلة ، ولكن هذا لم يكن فيه مجد له أو تثبيت لايمانهم كما كان فى إنقاذهم من العاصفة . كانت العاصفة لأجلهم يو ١١ : ٤ و١٥ . قد يظن البعض إن وجود المسيح معهم كان كفيلا بأن يجعل الجو فى غاية الاعتدال ، ولكن الأمر كان على العكس من ذلك . لأن المسيح أراد أن يبين بأن الذين ير يدون أن يعبروا معه بحر هذا العالم إلى الشاطىء الآخر يجب أن يتوقعوا العواصف فى الطريق . إن الكنيسة « مضطربة » (أو « تهب عليها العواصف » حسب الترجمة الانجليزية) أش ٥٤ : ١١ . فالطبقات العليا فقط هى التى تنعم بالهدوء المستمر ، أما هذا العالم السفلى فإنه دواما مزعج ومنزعج .

٢ ــ إن يسوع المسيح « **كان نائماً** » وسط العاصفة . لم نقرأ قط عن نوم المسيح إلا فى هذه المرة . فإنه كان دائم السهر ، كان يقضى الليل كله فى الصلاة لله . لم يكن هذا نوم عدم الاكتراث ، كنوم يونان وسط العاصفة ، بل نوم الثقة المطلقة . لقد نام لكى يبين أنه كان مثلنا فى كل شىء ما عدا الخطية . فإن كثرة الأعمال التى كان يؤديها جعلته يتعب و ينام ، ولكن لأنه كان بلا خطية فقد كان بلا هم يزعجه أو يقلق راحته أو يقض مضجعه و يوقظه من نومه . إن الذين يستطيعون أن يضطجعوا على فراشهم بضمير طاهر يمكنهم أن يناموا نوماً هادئاً ومريحاً وسط العاصفة (مز ٤ : ٨) كبطرس أع ١٢ : ٦ . لقد نام المسيح فى ذلك الوقت ليمتحن إيمان تلاميذه و يعرف إن كانوا يثقون فيه فى الوقت الذى تظاهر فيه بأنه تخلى عنهم . إنه لم ينم لكى يستريح بقدر ما نام لكى يلزم تلاميذه بأن يوقظوه .

٣ ــ أما التلاميذ المساكين فإنهم انزعجوا جداً ، رغم أنهم كانوا متعودين على البحر ، وفى انزعاجهم « **تقدموا** » إلى معلمهم ع ٢٥ . ولمن يذهبون إلا اليه ؟ ومن حسن حظهم إنه كان قريبا منهم . ثم « **أيقظوه** » بصلواتهم « **قائلين ياسيد نجنا فإننا نهلك** »

(ملاحظة) على الذين ير يدون أن يتعلموا الصلاة ، أن يذهبوا إلى البحر . فإن الأخطار إذا ما أحدقت بهم دفعتهم إلى ذلك الذى يستطيع وحده أن ينقذ فى ساعة الشدة .

كانت هذه الصلاة « **ياسيد نجنا فإننا نهلك** » كلها حيوية .

(١) كانت طلبتهم « **يا سيد نجنا** » . كانوا واثقين بأنه **يستطيع** أن ينجيهم ، ولذا التمسوا منه أن **يريد** . كانت رسالة المسيح إلى العالم « أن يخلص » ، ولكن لا يمكن أن يخلص إلا

« كل من يدعو باسم الرب » أع ٢ : ٢١ وكل الذين يهتمون بالخلاص الأبدى الذى تممه المسيح يستطيعون أن يلجأوا اليه بكل تواضع وثقة للخلاص من الضيقات الوقتية . لاحظ أنهم يدعونه « **ياسيد** » ثم يلتمسون منه « **نجنا** » .

(ملاحظة) إن المسيح لن يخلص إلا الذين يرتضون أن يتخذوه سيداً ورباً . لأنه رئيس ومخلص .

(٢) والحجة التى يقدمونها « **إننا نهلك** »

[١] وهذه كانت لغة الخوف . لقد اعتقدوا بأن حالتهم خطيرة جداً ، و يئسوا من الحياة . كان لهم فى أنفسهم حكم الموت ، ولذا كانت هذه هى حجتهم « إننا نهلك » إن كنت لا تنجينا . فانظر الينا إذن نظرة العطف والشفقة .

[٢] وكانت لغة الحاجة الملحة . كانت صلواتهم حارة ، صلاة أناس يلتمسون إنقاذ حياتهم . فخليق بنا أن نجاهد هكذا ونصارع فى الصلاة . إذاً لقد نام المسيح لكى يدفعهم إلى هذه اللجاجة فى الصلاة .

(٢) قوة المسيح ونعمته تمتدان لإغاثتهم . حينئذ « استيقظ الرب كنائم » مز ٧٨ : ٦٥ . قد ينام المسيح عندما تهب العواصف على كنيسته ، ولكن لن يتثاقل فى نومه ، بل لابد أن يأتى الوقت ، الوقت المناسب والمحدد ، لابد أن يأتى « الميعاد » الذى فيه ينقذ كنيسته المتألمة . مز (١٠٢ : ١٣) .

١ ــ إنه انتهر تلاميذه ع ٢٦ « **ما بالكم خائفين ياقليلى الإيمان** » لم ينتهرهم لأنهم أزعجوه بصلواتهم ، بل لأنهم أزعجوا أنفسهم بمخاوفهم . لقد انتهرهم المسيح أولا ثم نجاهم ، وهذه هى الطريقة التى بها يعدنا لقبول رحمته ، ثم يمنحنا إياها . لاحظ هنا :

(١) إنه لم تعجبه مخاوفهم « **ما بالكم خائفين** » أنتم ياتلاميذى . إن كان الخطاة فى صهيون يخافون ، وإن كان الملاحون الوثنيون ينزعجون فى العاصفة ، فلا يليق بكم أن تخافوا . ابحثوا عن أسباب خوفكم ثم وازنوها .

(٢) اكتشافه علة مخاوفهم « **يا قليلى الإيمان** » . كثيرون ممن لهم الإيمان الخالص يكونون ضعفاء الايمان ، وهذا لا يجدى إلا قليلا .

(ملاحظات) ــ (١) إن تلاميذ المسيح كثيراً ما تعرضوا للانزعاج والخوف فى الأيام

العاصفة ، كثيراً ما أزعجوا أنفسهم لأن الأمور قد ساءت حولهم ، وعذبوا أنفسهم باستنتاجاتهم الخاطئة بأنها ستزداد سوءاً (٢) وأن سبب تغلب المخاوف علينا فى اليوم العاصف هوضعف إيماننا الذى يجب أن يكون كمرساة للنفس ، ويجب أن يستعين بمجذاف الصلاة . فبالايمان نستطيع أن ننظر إلى الشاطىء الامين خلف العاصفة ، ونطمئن أنفسنا بأننا سوف نصل إلى غايتنا (٣) إن مخاوف تلاميذ المسيح فى العاصفة ، وعدم إيمانهم ، وأسباب عدم الايمان ــ كل هذه يبغضها المسيح ، لأنها تسبب الإهانة لاسمه القدوس ، وتخلق الانزعاج فى نفوسهم .

٢ ــ « **وانتهر الرياح** » إن الانتهار السابق قد فعله كإله « النعمة » وسيد القلب ، الذى يستطيع أن يفعل كل ما يشاء « فينا » ، أما هذا الانتهار فقد فعله كإله « الطبيعة » ، وسيد العالم ، الذى يستطيع أن يفعل كل ما يشاء « من أجلنا » . هذه هى نفس القوة التى تهدىء عجيج البحار ، وتبدد كل المخاوف . مز (٦٥ : ٦ و٧) لاحظ هنا :

(١) كيف تم هذا بكل سهولة ، بكلمة خرجت من فيه . لقد أمر موسى المياه بعصاه ، و يشوع بتابوت العهد ، واليشع بعباءة إيليا ، أما المسيح فقد أمرها بكلمة . تأمل فى سلطانه المطلق على كل المخلوقات . هذا ينم عن مجده وعن سعادة الذين يتخذونه لهم نصيباً .

(٢) كيف تم هذا بكل قوة . « **فصار هدوء عظيم** » بغتة . المعتاد أنه بعد العاصفة يدوم اضطراب المياه قليلا . حتى يعود اليها الهدوء . ولكن إذا نطق المسيح بالكلمة فان العاصفة لا تبطل فقط ، بل تتبدد كل نتائجها ، وتتلاشى كل آثارها و بقاياها . إن عواطف الشك والمخاوف فى النفس التى تأتى نتيجة سلطان روح العبودية تنتهى بعض الأحيان « بهدوء عظيم » وعجيب ينشئه روح البنوة .

٣ ــ وهذا أثار دهشتهم ع ٢٧ « **فتعجب الناس** » . لقد كانوا خبيرين بأحوال البحر منذ عهد طويل ، ولم يروا كل أيام حياتهم عاصفة تنتهى فجأة بهدوء عظيم كهذا . كانت هنالك الأدلة على أن الأمر تم بمعجزة . من قبل الرب كان هذا ، وكان عجيباً فى أعينهم . مت (٢١ : ٤٢) . لاحظ :

(١) تعجبهم من المسيح « **أى إنسان هذا** » .

(ملاحظة) إن المسيح منقطع النظير ، وكل شيء فيه يدعو إلى التعجب . ليس حكيم ، أو قدير ، أو محبوب مثله .

(٢) سبب هذا التعجب . « **فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه** » . إن ما يدعو إلى

التعجب هو أن له سلطانا ليأمر « الرياح والبحر » . يدعى البعض أن لهم سلطاناً لشفاء الأمراض ، أما هو فإنه هو وحده الذى يستطيع أن يأمر الرياح . نحن نجهل طريق الريح (يو ٣ : ٨) وبالأحرى نحن نعجز عن أن نتسلط عليه . أما ذاك « المخرج الريح من خزائنه » (مز ١٣٥ : ٧) فانه متى خرج يجمعه « فى حفنتيه » (أم ٣٠ : ٤) . والذى يستطيع أن يفعل هذا يستطيع أن يفعل كل شيء ، يستطيع أن يفعل ما يكفى لازدياد ثقتنا فيه واتكالنا عليه فى أشد العواصف من الداخل أو من الخارج (أش ٢٦ : ٤) . « الرب بالطوفان (أو فوق الطوفان) جلس » مز ٢٩ : ١٠ وهو أقدر « من أصوات مياه كثيرة » مز ٩٣ : ٤ . والمسيح بإصدار أمره إلى البحر بين أنه هو نفسه « المؤسس الأرض » إذ من انتهاره هربت المياه مز ١٠٤ : ٥ — ٨ ، كما فعل الآن إذ هدأت من انتهاره .

٢٨ — ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق ٢٩ — وإذا هما قد صرخا قائلين مالنا ولك يا يسوع ابن الله . أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا ٣٠ — وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى ٣١ — فالشياطين طلبوا اليه قائلين إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير ٣٢ — فقال لهم امضوا . فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير. وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه ٣٣ — أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين ٣٤ — فاذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع . ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم .

هنا نرى حادث إخراج المسيح للشياطين من مجنونين . إن غاية هذا الاصحاح هى أن يبين قوة المسيح الالهية بإظهار سلطانه على الأمراض الجسدية التى نعجز عن التغلب عليها ، وعلى الرياح والأمواج التى نعجز بالأحرى عن قهرها ، وأخيراً على الشياطين التى هى أقوى من الجميع . ليس فى يد المسيح « كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » وكل الأعماق فحسب ، بل فى يده أيضاً مفاتيح الهاوية . لقد أخضع « كل رياسة وسلطان » حتى فى أيام تواضعه ، عربوناً لما كان لابد أن يحدث لدى دخوله إلى مجده أف ١ : ٢١ . بل إنه « جرد الرياسات والسلاطين . أشهرهم جهاراً ظافراً بهم » كو ٢ : ١٥ .

لقد لوحظ بوجه عام فى ع ١٦ أن المسيح « أخرج الأرواح بكلمة » .

وهنا نجد حادثة معينة توضيحاً لهذه الحقيقة . وقد كانت لهذه الحادثة ظروف أبرز مما كان لغيرها . فالمعجزة تمت فى كورة الجرجسيين ، التى يظن البعض أنها بقايا بلاد الجرجاشيين القديمة تث ٧ : ١ . ومع أن المسيح أرسل بصفة خاصة « إلى خراف بيت اسرائيل الضالة » إلا أنه سدد بعض هجماته نحو سكان الحدود ، كما نرى هنا ، لكى يبين غلبته على الشيطان كعينة لغلبته عليه فى أرجاء العالم الوثنى .

وعلاوة على ما تبينه هذه الحادثة بصفة عامة عن سلطان المسيح على الشيطان ، وعن غايته نحو تجريده إياه من قواته الجهنمية ، فانها تبين لنا بصفة خاصة طريقة الأرواح الشريرة فى عداوتها للانسان . أما بخصوص هذا اللجيئون من الشياطين فاننا نلاحظ .

(١) ماذا فعلوه حيث كانوا (٢) وماذا فعلوه حيث اتجهوا .

(١) ماذا فعلوه حيث **كانوا** . وهذا يتضح من حالة هذين المجنونين التعسة . و يظن البعض أنهما كانا رجلا وامرأته ، لأن البشيرين الآخرين (مرقس ولوقا) يتحدثان عن مجنون واحد :

١ — إنهما كان يسكنان « **القبور** » . فمن هناك كانا « **خارجين** » حينما التقيا بالمسيح . إن إبليس إذ صار « له سلطان الموت » (عب ٢ : ١٤) ، لا كديان بل كمنفذ ، سر بأن يتحكم فى أجساد البشر المائتة التى يجد فيها ذكريات انتصاره : ولكن حتى هنا ، فى هذه الأجساد ، حيث ظن أنه قد بلغ ذروة الرفعة والانتصار ، قد دحره المسيح وأخضعه وأذله ، كما حصل فيما بعد إذ دحره أيضاً فوق الجلجثة ، موضع الجمجمة ، التى كان يظن أنه وصل فيها إلى أقصى درجات الانتصار .

كان السكن بين القبور مما يزيد فى بؤس وشقاء المجانين ، و يزيد فى قوة تسلط إبليس عليهم ، كما كان يجعلهم أكثر رعباً لغيرهم ، لأن الناس كانوا عادة ينزعجون لأقل حركة فى القبور .

٢ — وكانا « **هائجين جداً** » لم يكونا هائجين للدرجة التى لا يمكن أن يضبطا فيها فقط ، بل كانا مؤذيين للآخرين ، مرعبين للكثيرين ، وقد أضرا البعض فعلا « **حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق** » .

(ملاحظة) ان الشيطان يحمل الحقد للبشرية ، و يظهر هذا الحقد بأن يدفع البشر لايذاء

بعضهم البعض . والعداوات المتبادلة ، حيث كان ينبغي أن تكون هنالك محبة متبادلة وتعاون متبادل ، ليست إلا نتائج ومظاهر لعداوة الشيطان لكل الجنس البشرى . فهو الذى يجعل الانسان ذئباً أو دباً أو شيطاناً لأخيه الانسان . يقول المثل اللاتينى « الانسان ذئب للانسان » . وحيثما تسلط الشيطان على أى انسان روحياً ، بتلك الشهوات التى تحارب فى أعضائه ، كالكبرياء ، والحسد ، والحقد ، والانتقام ، جعله غير صالح للحياة الاجتماعية ، وغير جدير بها ، بل عدواً لها ، كما كان هذان المجنونان المسكينان

٣ ــ وتحديا المسيح وتنصلا من كل علاقة به ع ٢٩ . من مظاهر سلطان الله على الشياطين انهم رغماً عن الأضرار الكثيرة التى فعلوها لهذين المجنونين و بواسطتها فإنهم لم يستطيعوا اعاقتها عن مقابلة المسيح الذى رتب كل الظروف لكى يقابلهما . كانت يده المقتدرة هى التى جذبت هذه الأرواح النجسة لتمثل فى حضرته ، الأمر الذى كانت ترهبه أكثر من أى شىء آخر فى الوجود . فإن وثقه كانت كفيلة بتقييدها فى الوقت الذى عجزت عنه وثق البشر التى صنعوها خصيصاً لها . ولكنها إذ مثلت فى حضرته احتجت ضد سلطانه المطلق ، وأرغت مز بدة « **مالنا ولك يايسوع ابن الله** » . وهنا نجد :

(١) كلمة واحد نطق بها ابليس **كقديس** ، فإنه وجه الحديث إلى المسيح على أساس أنه هو « **يسوع ابن الله** » . كلمة **طيبة** ، وفى هذا الوقت الذى لم يكن مجد المسيح كابن الله قد أصبح فيه واضحاً جلياً أمام الجميع . وكانت أيضاً كلمة **عظيمة** ، لم يعلنها اللحم والدم إلى بطرس (مت ١٦ : ١٧) . حتى الشياطين تعرف ، وتؤمن ، وتعترف بالمسيح انه « ابن الله » ، ومع ذلك فإنها لا زالت شياطين ، وهذا ما يجعل عداوتها للمسيح أقبح وأشنع ، بل ما يجعلها موضوع عذاب شديد لها . لأنه لولا هذا كيف يمكنها مقاومة ذلك الذى تعرف انه هو « ابن الله » .

(ملاحظة) ليست المعرفة هى التى تميز القديسين عن الشياطين ، بل المحبة ، وذاك الذى يعرف المسيح ومع ذلك يبغضه ، و يرفض الخضوع له ولناموسه ، هو ابن جهنم .

لعلنا نذكر ان الشيطان منذ فترة قصيرة تشكك فى أن المسيح « ابن الله » ، وحاول ان يشكك المسيح أيضاً فى بنو يته لله (ص ٤ : ٣) ، أما الآن فإنه يعترف بها

(ملاحظة) رغم ان أولاد الله قد ينزعجون فى ساعة التجربة بسبب تشكيك الشيطان لهم فى علاقتهم بالله كأب ، إلا أن روح البنوة لا بد ان يزيل كل الشكوك أخيراً و يبعث الطمأنينة إلى قلوبهم

(٢) كلمتين نطق بهما **كابليس** ، كما هو في حقيقته .

[١] كلمة تحدى « **ما لنا ولك** » .

أولا ــ صحيح ان الشياطين ليست لها أية علاقة بالمسيح **كمخلص** « لأنه حقا ليس يمسك الملائكة » التى سقطت (أو لم يأخذ طبيعة الملائكة) عب ٢ : ١٦ . ليست لها أية علاقة به ، لم ينتفعوا به ، وليس لهم أى رجاء فى الانتفاع به . يالعمق هذا السر ، سر المحبة الإلهية ، ان الانسان الساقط له علاقة كبرى بالمسيح ، بينما الملائكة الساقطة ليست لها أية علاقة به . هنا حقاً كان التعذيب الشديد « **قبل الوقت** » إذ اضطرت للاعتراف بالعظمة التى فى المسيح ، ومع ذلك لم تستطع الانتفاع به .

(ملاحظة) من الجائز أن يعترف البشر بالمسيح ابناً لله ومع ذلك لا تكون لهم أية علاقة به ، ولسان حالهم يقول « ما لنا ولك » .

ثانياً ــ وصحيح أيضاً أن الشياطين لا تريد أن تكون لها علاقة بالمسيح **كملك** . فإنها تبغضه ، وهى مملوءة حقداً وضغينة وعداوة له ، وهى تقف بإزائه موقف المقاومة ، وهى تشهر التمرد والعصيان علناً ضد ملكه . بلسان من يتكلم أولئك الذين لا يريدون أن تكون لهم علاقة بانجيل المسيح ، بوصاياه ونواميسه ، الذين يطرحون نيره عن أنفسهم ، ولا يريدونه أن يملك عليهم ، القائلين « لنقطع قيوده ولنطرح عنا ربطه » مز ٢ : ٣ « و يقولون لله إبعد عنا . وبمعرفة طرقك لا نسر » أى ٢١ : ١٤ . حقا انهم لا يتكلمون إلا بلسان الشيطان ، وهم « من أب هو إبليس » وشهوات أبيهم يتممون ، و بلغته ينطقون .

ثالثا ــ ولكن غير صحيح ان الشياطين ليست لها علاقة بالمسيح كديان ، لأنها تعرف هذا جيد المعرفة . كان يجب أن لا تنطق هذه الشياطين بهذه الكلمة « ما لنا ولك » ، لأنها لا تنكر أن ابن الله هو ديان الشياطين ، ولدينونته قد أوثقت « فى سلاسل الظلام » ٢ بط ٢ : ٤ وتحاول التخلص منها ، بل من الأفتكار فيها

[٢] كلمة انزعاج واسترحام « **أجئت إلى هنا لتعذبنا** » لتخرجنا من هذين المجنونين ، وتصدنا عن أن نفعل الأضرار التى نريدها ؟

(ملاحظة) ان اعاقة الشيطان وتقييده عن الأذى تعذيب له ، لأن كل مسرته فى تعاسه البشر وهلاكهم . فخليق بنا أن نحسب فعل الخير سعادة لنا ، وأن ندرك بأن اعاقتنا عن فعل الخير تعذيب لنا سواء من الداخل او من الخارج ؟

(ملاحظتان) ــ (١) هنالك وقت سوف يكابد فيه الشياطين عذابا أشد مما هم فيه الآن ، وهم يعرفون هذا . ان الغاية الرئيسية في اليوم الاخير هي الوقت المحدد لتعذيبهم الكامل ، في توفة (تفتة) (١) المرتبة منذ القديم « للملك ... لابليس وملائكته » (أش ٣٠ : ٣٣ ، مت ٢٥ : ٤١) . ولدينونة ذلك اليوم هم محفوظون ومحروسون ٢ بط ٢ : ٤ . ان تلك الارواح الشريرة الخبيثة ، التي هي سجينة ولكنها لها حرية التحرك هنا وهنالك ، تتجول في الارض وتتمشى فيها بسماح من الله (أي ١ : ٧) ، لا تزال حتى الآن في سلاسل . سلطانها مقصور على الزمن الحاضر ولن تتعداه . في ذلك اليوم تصبح سجينة سجنا مطلقا . انها الآن لها بعض الراحة ، أما في ذلك اليوم فيصير عذابها بلا راحة . هذا ما يسلمون به هنا ، وهم لم يطلبوا أن لا يعذبوا أبداً (واليأس من الراحة هو علة شقائهم) ، ولكنهم يتوسلون أن لا يعذبوا « **قبل الوقت** » . لانهم رغما عن انهم لا يعرفون متى يكون يوم الدينونة ، إلا أنهم عرفوا انه لم يكن قد حان بعد (٢) والشياطين تنتظر نظرة الفزع والرعب إلى تلك الدينونة المخيفة وغيرة النار العتيدة (عب ١٠ : ٢٧) في كل مرة تقترب فيها من المسيح ، وفي كل مرة تصد فيها قوتها وثورتها . ان مجرد التطلع إلى المسيح ، وكلمته التي أمرهم بها أن يخرجوا من المجنونين ، اشعراهم بعذابهم . هكذا نجد أن « الشياطين يؤمنون ويقشعرون » يع ٢ : ١٩ . وعداوتهم لله وللانسان هي مصدر عذابهم ، وهي التي تعذبهم « قبل الوقت » . إن أشر الخطاة الذين أصبح هلاكهم مؤكداً ، لا يمكن أن يقسوا قلوبهم أمام الرعب والفزع حينما « يرون اليوم يقرب » .

(٢) وماذا فعلوه حيث **اتجهوا** ، حينما خرجوا من المجنونين ، ودخلوا في « **قطيع الخنازير** » الذى « **كان بعيداً منهم** » ع ٣٠ . كان هؤلاء « الجرجسيين » يهوداً رغم انهم كانوا يسكنون عبر الأردن . ما لهم والخنازير التي كانت نجسة حسب الناموس ، ولم يكن مسموحاً لهم أن يأكلوها أو يلمسوها ؟ لعلهم ، وقد سكنوا في أطراف البلاد ، كان يعيش بينهم الكثيرون من الأمم ، الذين كانوا يمتلكون « قطيع الخنازير » هذا . أو لعلهم احتفظوا بها لكى تباع بالثمن أو بالمقايضة للرومانيين الذين كانت لهم معاملات كثيرة معهم ، والذين كانوا مغرمين بلحم الخنزير . والآن نلاحظ :

---

(١) كانت توفة (التي في وادي ابن هنوم) تلقى فيها زبالة البلد وتشتعل فيها نيران دائمة (ار ٧ : ٣١) وكانت تشبه بها نيران قصاص الخطية

١ ـــ كيف انقضت الشياطين على الخنازير. رغم أن قطيع الخنازير « **كان بعيداً منهم** » ، وكان يظن انه في مأمن من الخطر، إلا أن الشياطين كانوا يحدقون بأبصارهم اليه لايذائه ، لأنهم يجولون ملتمسين من يبتلعونه أو ما يفترسونه ، ومحاولين انتهاز أية فرصة ، وهم لا يطول بهم البحث حتى يجدوا فريسة . وهنا نجد :

(١) إنهم « **طلبوا** » الاذن بالدخول « **إلى قطيع الخنازير** » ع ٣١ . « **طلبوا إليه** » بكل إلحاح « **إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير** » . و بذلك :

[١] يكشفون عن ميلهم إلى الأذى ، و يبينون أن هذه هي لذتهم . إذن فأولئك الذين « لا ينامون أن لم يفعلوا سوءاً و ينزع نومهم ان لم يسقطوا أحداً » (أم ٤ : ١٦) هم أبناؤهم و يشبهونهم . « إذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير » إلى أي مكان أفضل من مكان العذاب ، إلى أي مكان للأذى . إذا لم يسمح لهم بإيذاء البشر في أجسادهم فليؤذوهم في أملاكهم ، وبهذا يقصدون إيذاء نفوسهم أيضاً بجعل المسيح عبئاً عليهم إذ كان سبباً في خسارة خنازيرهم . هذه هي حيل الحية القديمة الخبيثة .

[٢] يعترفون بسلطان المسيح عليهم . فإنهم لا يستطيعون حتى إيذاء الخنازير دون إذنه وسماحه . والذي يعزي كل شعب الله انه ولو كانت قوة إبليس عظيمة جداً ، إلا أنها محدودة ، ولا تتناسب مع حقده وخبثه (وماذا كانت تصبح حالتنا لو لم تكن كذلك ؟) سيما وانها خاضعة لسلطان الرب يسوع المسيح ، صديقنا الأمين ، ومخلصنا القوي . ومما يعزينا أيضاً ان الشيطان وكل جنوده لا يستطيعون أن يتعدوا الحدود المسموح لهم بها « وقلت إلى هنا تأتي ولا تتعدى . وهنا تتخم (تقف) كبرياء لججك » أي ٣٨ : ١١

(٢) انهم سمح لهم . « **فقال لهم امضوا** » ع ٣٢ كما قال الله للشيطان حينما طلب أن يسمح له بالإساءة الى أيوب

(ملاحظة) كثيراً ما يسمح الله ـــ لأغراض حكيمة وغايات مقدسة ـــ بنجاح مجهودات الشيطان الشريرة ، و يأذنه بإتمام ما يريد من أذى ، وبهذه الطريقة يتمم مقاصده الصالحة . ليست الشياطين مجرد أسرى المسيح فحسب ، بل هم أيضاً عبيده . و يتضح سلطانه عليهم من الضرر الذي يفعلونه ، ومن صدهم عن إتيان أضرار ازيد . وهكذا يتضح انه حتى غضبهم يحمد المسيح ، و بقية غضبهم يتنطق بها (يصدها) مز ٧٦ : ١٠ . لقد سمح المسيح بهذا :

[١] لاقناع الصدوقيين ، الذين كانوا وقتئذ بين اليهود ، والذين انكروا وجود الأرواح ، ولم يريدوا الاعتراف بمثل هذه المخلوقات لعدم امكان رؤيتها . فأراد المسيح بهذا أن يقرب إلى

أذهانهم على قدر الاستطاعة ، بل أن يجعلهم يتحققون بأعينهم من وجود هذه الارواح الشريرة ، ومن كثرتها ، وقوتها ، وشرها ، حتى إذا لم يقتنعوا بهذا صاروا بلا عذر فى عدم إيمانهم . نحن لا نرى الريح ، ولكنه من السخافة ان ننكره ونحن نرى انه يحطم الاشجار . ويهدم المنازل .

[٢] لقصاص الجدر ين الذين ولو كانوا يهوداً إلا أنهم استحلوا أكل لحم الخنزير ، وبذلك صاروا مناقضين للناموس . وعلى أى حال فقد كانت رعايتهم للخنازير تقرب الشر اليهم . ولذلك أراد المسيح أيضاً أن يبين لهم مقدار خطر الشياطين التى أنقذهم منها ، والتى لو تركهم لها لخنقتهم كما خنقت خنازيرهم .

إطاعة لأمر المسيح خرجت الشياطين من المجنونين ، وإذ سمح لهم فإنهم حالما « **خرجوا مضوا الى قطيع الخنازير** » . أنظر كيف ان الشيطان عدو نشيط ، سريع الحركة ، فإنه لا يريد أن يضيع وقتاً فى عمل الشر . لاحظ :

٢ — أين دفعتها حينما انقضت عليها . إنهم لم يؤمروا بأن ينقذوها ولذلك جعلوا « **قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه** » . « وكان نحو ألفين » مر ٦ : ١٣ .

(ملاحظة) إذا دخل الشيطان أى مخلوق فانما ذلك للهلاك . هكذا يدفع الشيطان البشر للخطية ، يدفعهم لارتكاب ما ينفرون منه ، وما يعرفون أنه سيسبب لهم الخزى والحزن ، ياله من مجهود ذلك الذى يبذله الروح الشرير إذ « يعمل فى أبناء المعصية » (أف ٣ : ٢) لأنهم بمثل هذه الشهوات الكثيرة الحمقاء الضارة لا يخطئون ضد النواميس الروحية فحسب بل أيضاً ضد ناموس العقل وضد مصالحهم فى هذه الحياة . وهكذا أيضاً هو يدفعهم الى الهلاك لأنه هو « أبوليون » (أى مهلك) ، « أبدون » (أى هلاك) المهلك الأعظم (رؤ ٩ : ١١) . وإذا تمم البشر شهواته فانهم « يغرقون فى العطب والهلاك » ١ تى ٦ : ٩ . إن إرادة الشيطان هى أن يبتلع و يفترس . فما أتعس حالة الذين « يقتصهم لارادته » . إنهم يندفعون إلى بحيرة أشر من هذا البحر ، بحيرة تتقد بالنار والكبريت . لاحظ :

٣ — ماذا كانت نتيجة هذا على أصحاب الخنازير . لقد وصلت إليهم أنباء هذا الحادث بواسطة رعاة الخنازير ، الذين يبدو أنهم تأثروا من خسارة الخنازير أكثر من أى شىء آخر ، لأنهم لم يمضوا ليتحدثوا عما تم للمجنونين إلا بعد خسارة الخنازير ع ٣٣ « **أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شىء وعن أمر المجنونين** » . لم يكن المسيح قد « دخل إلى المدينة » ، على أن أنباء وجوده خارجها وصلت اليها . و بذلك أراد أن يجس نبضهم ، وماذا كان أثر هذا فى نفوسهم ، وتبعاً لذلك يمكنه أن يتصرف من نحوهم .

(١) إن دهشتهم أخرجتهم منها ليروا يسوع . « **فاذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع** » لكي يستطيعوا أن يقولوا إنهم رأوا شخصاً فعل مثل هذه الأعمال العجيبة . هكذا يخرج الكثيرون لملاقاة يسوع وسط الجماعة ، ولكنهم لا يحبونه محبة خالصة ، ولا يرغبون فى أن يعرفوه .

(٢) وطمعهم جعلهم يرغبون في التخلص منه . بدلا من دعوته إلى مدينتهم ، أو إحضار مرضاهم لشفائهم ، فإنهم « **طلبوا أن ينصرف عن تخومهم** » ، كأنهم اقتبسوا كلمات الشياطين « ما لنا ولك يا يسوع ابن الله » . والآن تم للشياطين ما أرادوا من إغراق الخنازير . فإنهم أغرقوها ، جعلوا القوم يعتقدون أن المسيح هو الذى أغرقها ، و بذلك أوغروا صدورهم من نحوه . لقد أضل الشيطان أبو ينا الأولين بغرس أفكار خاطئة فى عقليهما عن الله ، وأبعد الجرجسيين عن المسيح بالايحاء اليهم أنه أتى إلى كورتهم لابادة ماشيتهم ، وأن اضراره أكثر من فوائده ، لأنه إن كان قد شفى رجلين فقد أغرق ألفى خنزير . هكذا يزرع الشيطان زواناً فى حقل الله ، يصنع أضراراً فى كنيسة الميسح ثم يلقى التبعة على المسيحية ، و يوغر صدور البشر ضدها . لقد طلبوا اليه أن يرحل عنهم ، لئلا بسبب لهم ضربة أخرى كما فعل موسى بمصر .

(ملاحظة) هنالك أشخاص كثيرون جداً يفضلون خنازيرهم على مخلصهم ، و بذلك يخسرون المسيح ، ويخسرون خلاصه . إنهمن يرغبون فى أن يغادر المسيح قلوبهم ، ولا يسمحون لكلمته أن تجد لها مكانا فيهم ، لأنه سيكون هو وكلمته سبباً فى إبادة شهواتهم البهيمية ، تلك الخنازير التى يسلمون أنفسهم اليها فريسة . ويحق للمسيح أن يترك الذين تعبوا منه ، و يقول فيما بعد « ابعدوا عني ياملاعين » لمن يقولون للقدير الآن « ابعد عنا » أى ٢١ : ١٤

الاصحاح التاسع

فى هذا الاصحاح نرى مظاهر رائعة عن سلطان الرب يسوع المسيح وشفقته ، مما يكفى لإقناعنا بأنه قادر أن يخلص إلى التمام كل الذين يتقدمون به إلى الله ، وأن رغبته فى الخلاص لا تقل عن قدرته . و يتبين سلطانه وشفقته هنا من أعمال الرحمة التى صنعها .

(١) بأجساد البشر : فى شفاء المفلوج (ع ٢ ــ ٨) إقامة إبنة الرئيس من الموت ، وشفاء نازفة الدم (ع ١٨ ــ ٢٦) فتح أعين الأعميين (ع ٢٧ ــ ٣١) إخراج الشيطان من رجل مجنون (ع ٣٢ ــ ٣٤) شفاء جميع انواع الأمراض ع ٣٥ .

(٢) بأرواح البشر : فى مغفرة الخطايا ع ٢ ، دعوته لمتى ، واختلاطه بالعشارين والخطاة ع ٩ ــ ١٣ ، مراعاته للحالة النفسية لتلاميذه فيما يختص بواجب الصوم ع ١٤ ــ ١٧ ، الكرازة بالانجيل وارسال المعلمين للكرازة بين الجموع لتحننه عليهم ع ٣٥ ــ ٣٨ .

وهكذا برهن الرب يسوع على أنه ــ ولا شك فى أنه هو ــ طبيب النفس والجسد القدير الأمين ، الذى لديه العلاج الكافى لكل الأمراض فى كلتا الناحيتين ، والذى لأجل هذا ينبغى أن نلجأ اليه ، ونمجده فى أجسادنا وفى أرواحنا التى هى له ، نظير شفقته على كليهما .

١ ــ فدخل السفينة واجتاز وجاء إلى مدينته ٢ ــ وإذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحاً على فراش . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يابنى . مغفورة لك خطاياك . ٣ ــ وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف ٤ ــ فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم ٥ ــ أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك . أم أن يقال قم وامش ٦ ــ ولكن لكى تعلموا أن لابن الانسان سلطاناً على الارض أن يغفر الخطايا . حينئذ قال للمفلوج . قم احمل فراشك وادخل إلى بيتك ٧ ــ فقام ومضى إلى بيته ٨ ــ فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطاناً مثل هذا .

إن كلمات هذا الاصحاح الافتتاحية تلزمنا بالرجوع للكلمات الختامية فى الاصحاح السابق ، حيث نجد أن الجدر يين قد استاءوا أشد الاستياء من خسارة خناز يرهم حتى أنهم رفضوا وجود يسوع بينهم « وطلبوا أن ينصرف عن تخومهم » ولذلك فاننا نراه هنا بالتالى قد « **دخل السفينة واجتاز** » . لقد أمروه أن يغادرهم فحقق رغبتهم ، ولا نقرأ بعد ذلك قط أنه عاد إلى تخومهم . لاحظ هنا :

١ ـــ عدله . فقد غادرهم .

(ملاحظة) إذا لم يرحب بالمسيح فإنه لا ينتظر طو يلا . إنه بعدل يغادر الأمكنة أو الأشخاص الذين يضجرون منه ، ولكنه يلازم **الذين يطمعون فى بقائه معهم و يرحبون به** . « إن غير المؤمن (المسيح) فليفارق » وليتحمل التبعة ١ كو٧ : ١٥ .

٢ ـــ صبره : لأنه لم يترك وراءه قصاصاً مدمراً بسبب ما يستحقونه من أجل تمردهم وعصيانهم واحتقارهم إياه . لقد كان ممكناً له أن يطوح بهم وراء خناز يرهم بعدله ، لأنهم كانوا فى قبضة الشيطان . كانت الإهانة فعلا شديدة جداً ، ولكنه تغاضى عنها . ودون أن يحمل فى قلبه أى حقد أو ضغينة « دخل السفينة واجتاز » كان هذا هو يوم صبره ، فانه « لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » لو٩ : ٥٦ ، لم يأت ليقتل بل ليشفى . إن التأديبات الروحية تتفق بالأكثر مع عصر الانجيل . على أن البعض يلاحظون أنه فى وقت تلك الحروب الدمو ية التى شنها الرومانيون على اليهود ، والتى بدأت بعد تلك الحادثة بوقت وجيز ، كان أول ما عملوه أنهم حاصروا مدينة جدارا التى كان يسكنها هؤلاء الجدر يون .

(ملاحظة) إن الذين يبعدون المسيح عن أنفسهم يقر بون اليهم كل انواع البلايا . و يل لنا إذا غادرنا الله .

ثم إنه « **جاء إلى مدينته** » أى كفرناحوم مقره الرئيسى وقتئذ (مر ٢ : ١) ولذلك دعيت « مدينته » . لقد شهد هو أنه ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى مدينته ، ومع ذلك فقد ذهب اليها ، لأنه لم يطلب كرامة لنفسه ، بل إذ كان فى حالة تواضعه ارتضى أن يكون محتقراً من الشعب . تمت فى كفرناحوم كل حوادث وظروف هذا الإصحاح ، ولذلك جمعت كلها فيها ، رغم أن بعض الحوداث توسطتها كما يروى باقى الأنجيليين . إن كان الجدر يون قد نبذوه فإن أهل كفر ناحوم قبلوه . إن كان البعض قد أساءوا اليه ، فالبعض الآخر قد تمجد فيهم . وإن كان البعض لم ير يدوا فغيرهم قد أراد .

كان أول ما حدث فى كفر ناحوم بعد عودة المسيح اليها ــ كما هو مدون فى هذه الاعداد ــ هو شفاء المفلوج . وهنا نلاحظ :

(١) إيمان أصدقائه . لم تسمح له حالته الصحية بأن يأتى للمسيح بنفسه ، بل محمولا :

(ملاحظة) حتى العرج والمقعدون يمكن أن يؤتى بهم الى المسيح ، الذى لا يمكن أن يرفضهم . إن كنا نفعل على قدر ما نستطيع فإنه يقبل توسلاتنا .

لقد تطلع المسيح الى إيمانهم . لا يستطيع الأطفال الصغار أن يتقدموا للمسيح بأنفسهم ، ولكنه يتطلع الى ايمان مقدميهم ، ولا يمكن أن يصبح هذا الايمان عديم الجدوى . « **راى يسوع إيمانهم** » ايمان المفلوج نفسه ، وإيمان مقدميه . رأى بذرة الايمان ، وإن كان مرضه قد أثر على قواه العقلية وعطل نشاطها .

١ ــ كان إيمانهم قوياً . فقد آمنوا يقيناً أن المسيح يستطيع و يريد شفاءه . وإلا لما تكبدوا كل تلك المشقة فى إحضاره علناً .

٢ ــ وكان إيماناً متواضعاً . لأنه رغماً عن ان المريض كان عاجزاً عن أن يخطو خطوة واحدة فانهم لم يريدوا أن يطلبوا من المسيح أن يأتى اليه ، بل أتوا به ليمثل فى حضرته . الأجدر بنا أن نذهب نحن الى المسيح من أن يأتى هو الينا .

٣ ــ إيمانا فعالا نشيطا . لقد أتوا اليه مؤمنين بقوته وصلاحه ، مقدمين اليه المريض « **مطروحاً على فراش** » الأمر الذى لم يكن ممكنا أن يتم دون عناء كبير .

(ملاحظة) إن الأيمان القوى لا يعبأ بالصعوبات فى سبيل اتباع المسيح .

(٢) عطف المسيح الذى تجلى فيما قاله له « **ثق يابنى مغفورة لك خطاياك** » . كان هذا دواء ناجعا لشخص مريض ، وكان فيه كل الكفاية ليمهد « مضجعه كله فى مرضه » مز ٤١ : ٣ ، ويهون عليه مرضه . هنا لا نجد أى حديث موجه الى المسيح . والمرجح أن المريض المسكين لم يستطع أن يتحدث عن نفسه ، وأن الذين حملوه فضلوا أن يكون حديثهم بالأعمال دون الأقوال ، فقد وضعوه أمام المسيح ، وفى هذا كان كل الكفاية .

(ملاحظة) إن كنا نقدم ذواتنا وأصدقاءنا الى المسيح كموضوع شفقته فإن هذا لن

يكون عبثاً . فالبؤس يصرخ كما تصرخ الخطية ، والرحمة ليست أقل سرعة فى استجابة الدعاء من العدل .

هنا نجد فيما نطق به المسيح :

١ ــ تسمية كريمة « بنى » (ابنى) .

(ملاحظة) إن النصائح والتعزيات التى توجه للمتألمين توجه اليهم كما الى البنين ، لأن الآلام تأديب أبوى ، عب ١٢ : ٥

٢ ــ تشجيعاً كريماً « ثق » (او تشجع) ، اطمئن . ولعل هذا المريض المسكين إذ وجد نفسه طريح الفراش وسط هذا الجمع الغفير ثارت نفسه فى داخله وخشى ولئلا ينتهر بسبب السماح بإحضاره بهذه الحالة . أما المسيح فلا تهمه المظاهر ، ولذلك قال له « ثق » ، سوف تنال كل خير ، لأنه لا يمكن أن يؤتى به أمام المسيح عبثاً . لقد أمره المسيح بأن يثق ، ثم شفاه . إنه يريد ممن يغدق عليهم عطاياه أن يكونوا مطمئنين عندما يطلبونه ، وعندما يركزون فيه ثقتهم ، وأن يتشجعوا .

٣ ــ تعليلا طيباً لهذا التشجيع « **مغفورة لك خطاياك** » . وهذا إما أن يكون :

(١) مقدمة لشفاء الجسد . « مغفورة لك خطاياك » ولذلك فانك ستشفى .

(ملاحظة) كما أن الخطية سبب للمرض ، كذلك غفران الخطية تعزية للشفاء من المرض . ليس هذا معناه أن الخطية تغفر دون أن يزول المرض ، أو أن المرض يزول دون أن تغفر الخطية . ولكن إن كنا ننال نعمة الاصطلاح مع الله مع نعمة الشفاء من المرض ، كان ذلك رحمة عظمى لنا كما حصل مع حزقيا أش ٣٨ : ١٧ .

(٢) أو سبباً للأمر الذى صدر اليه « ثق » سواء شفى من مرضه أو لم يشف . إن كنت لا أبرئك من مرضك الجسدى ولكن أكدت لك مغفرة خطاياك فهل أنت مستعد أن لا تقول بأنك قد طلبتنى عبثاً ؟ وهل تعتقد أن هذا كاف لتعزيتك ولو استمريت فى مرضك ؟

(ملاحظة) إن الذين يتأكدون بنعمة الله من مغفرة خطاياهم يصبح لديهم السبب الكافى ليبتهجوا مهما حل بهم من المتاعب الخارجية أو البلايا العالمية . أنظر أش ٣٣ : ٢٤ .

(٣) مكابرة الكتبة بسبب ما نطق به المسيح ع ٣ « **وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى**

أنفسهم (فى قلوبهم بعضهم لبعض ، همسا فى الأذان) **هذا يجدف** » . أنظر كيف يمكن أن توسم أعظم مظاهر قوة السماء ونعمتها بوصمة العار ، بل كيف توجه اليها أشد هجمات قوات الجحيم . فقد دعى غفران المسيح للخطية تجديفا . ولو لم يكن له هذا السلطان لكان تجديفا فعلا . إذن فالذين ليس لهم سلطان الغفران و يدعون بأنهم يغفرون الخطية إنما هم مجدفون .

(٤) كيف أخرسهم المسيح وأقنعهم بأنه لا مبرر لهذه المكابرة ، وذلك قبل شفاء المريض :

١ ـ وجه اليهم الاتهام . لقد « **علم يسوع أفكارهم** » رغم أنهم لم يرددوها إلا فى داخلهم .

(ملاحظة) إن الرب يسوع المسيح يدرك تمام الادارك كل ما يجول بخاطرنا . والأفكار إن كانت خبيئة ومستورة عن عيون الجميع فهى مكشوفة وعريانة أمام المسيح الكلمة الازلى عب ٤ : ١٣ و١٣ وهو يفهمها من بعيد مز ١٣٩ : ٢ .

لقد استطاع أن يقول لهم مالم يكن ممكناً لأى انسان أن يقوله « **لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم** »

(ملاحظة) ان الأفكار الخاطئة تحمل كثيراً من « الشر » ، لأنها اساءة للرب يسوع المسيح . ولأنه هو ملك القلب ، فإن الأفكار الخاطئة تعتدى على حقوقه ، وتزعزع ملكيته . لذلك فإنه يلاحظها ، و يستاء منها . انها تحمل أصل المرارة عب ١٢ : ١٥ ، تك ٦ : ٥ . والخطايا التى تبدأ وتنتهى فى القلب ، ولا تتعداه ، خطرة كغيرها .

٢ ـ وناقشهم الحساب على أساس هذا الاتهام ع ٥ و٦ حيث نلاحظ :

(١) كيف يثبت و يؤكد سلطانه فى ملكوت النعمة . انه يبين بأن « **لابن الانسان سلطاناً على الارض أن يغفر الخطايا** » . لأجل هذا فإن « الاب قد أعطى كل الدينونة للابن ... وأعطاه (هذا السلطان) أن يدين لأنه ابن الانسان » يو ٥ : ٢٢ و٢٧ . وان كان قد اعطى « سلطاناً ليعطى حيوة أبدية » وهذا هو سلطانه يقيناً يو ١٧ : ٢ فلابد أن يكون له السلطان « أن يغفر الخطايا » . لأن الخطايا هى الحاجز الذى ينبغى أن يزال ، وإلا فلن نستطيع دخول السماء . ان وضع سلطان مغفرة الخطايا فى يد « ابن الانسان » الذى هو عظم من عظامنا مشجع عظيم يجده الخطاة المساكين للتوبة . وان كان قد صار له هذا السلطان وهو « على الأرض » فالأحرى جداً الآن وقد ارتفع إلى يمين الآب « يعطى التوبة وغفران الخطايا » ، وهكذا يصير « رئيساً ومخلصاً » معاً أع ٥ : ٣١

(٢) كيف يقدم الدليل على هذا من سلطانه على مملكة الطبيعة ، أى من سلطانه على شفاء الأمراض . أليس من اليسير « **أن يقال مغفورة لك خطاياك** » كما هو يسير أن يقال « **قم وامش** » ؟ ان من يستطيع شفاء المرض سواء بإعلان كنبى أو بسلطان كإله ، يستطيع أيضاً أن يغفر الخطية .

[١] هذه حجة عامة تثبت أن المسيح كانت له رسالة إلهية . فقد كانت معجزاته ، خصوصاً معجزات الشفاء ، مؤيدة لما قاله عن نفسه انه هو ابن الله . فقد كانت **القوة** التى ظهرت فى معجزات الشفاء دليلا على انه أرسل من الله ، وكانت **الشفقة** التى تجلت فيها دليلا على انه أرسل من الله ليشفى ويخلص .

[٢] وقد تجلت قوة خاصة فى هذه الحادثة . كان مرض الفالج علامة لمرض الخطية . ولذلك أراد وقتئذ أن يبين انه يستطيع شفاء المرض الأصلى بإزالة تلك العلامة المباشرة . كانت هنالك علاقة وثيقة بين الخطية والمرض . ومن كان له السلطان لإزالة القصاص فلا شك فى انه له السلطان لإزالة الخطية . كان أكثر ما يبالى به الكتبة هو التبرير الشرعى الذى كانوا يركزون فيه ثقتهم ، وكانوا يستخفون بتعليم غفران الخطايا الذى قصد المسيح هنا أن يعلى من قدره و يعظم من شأنه ، و يبين أن رسالته العظمى فى العالم هى أن « يخلص شعبه من خطاياهم » .

(٥) الشفاء العاجل لهذا المريض . لقد تحول المسيح من مناقشتهم إلى النطق بكلمة الشفاء له . ان المناقشات التى تكون الحاجة ماسة اليها جداً يجب أن لا تحول دون صنع الخير الذى « تجده يدك لتفعله » جا ٩ : ١٠ . « **حينئذ قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك** » وقد رافقت هذه الكلمة قوة شافية ، محيية ، منشطة ع ٧ « **فقام ومضى إلى بيته** »

(١) لقد أمره المسيح أن يحمل فراشه ، لكى يبين أنه قد شفى شفاء كاملا ، وانه لم يعد بعد فى حاجة أن يحمل على فراشه ، بل انه قد أصبح لديه من القوة ما يمكنه من أن يحمل هو نفسه فراشه

(٢) وأمره بالذهاب إلى بيته ، ليكون بركة لعائلته التى كان عبئاً ثقيلا عليها مدة طويلة . ولم يأخذه معه كمعرض ، كما يفعل فى مثل هذه الحالة من يطلبون مجداً من الناس

(٦) التأثير الذى تركه هذا الحادث فى نفوس الجماهير ع ٨ . انهم « **تعجبوا** » ثم « **مجدوا الله** »

(ملاحظة) يجب أن يكون تعجبنا معيناً لنا على زيادة تمجيد الله الذى يستطيع وحده أن يصنع العجائب .

لقد « مجدوا الله » من أجل ما صنعه لهذا الانسان البائس

(ملاحظة) ان أعمال الرحمة التى تتم للآخرين يجب أن تكون موضوع سبحنا ، ويجب أن نشكر الله من أجلهم ، لأننا أعضاء بعضنا للبعض

ورغم ان القليلين من هؤلاء الجموع هم الذين اقتنعوا حتى آمنوا بالمسيح واتبعوه ، إلا أن الجميع أعجبوا به لا كإله ، أو كابن الله ، بل كانسان أعطى مثل هذا السلطان « ومجدوا الله الذى أعطى الناس **سلطاناً مثل هذا** » .

(ملاحظة) يجب ان يتمجد الله فى كل سلطان يمنح للبشر لصنع الخير . لأن كل سلطان مستمد منه فى الحقيقة . وكل سلطان مستودع فيه كينبوع ، ومودع فيهم كخزانات .

٩ ــ وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى . فقال له اتبعنى . فقام وتبعه ١٠ ــ وبينما هو متكىء فى البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه . ١١ ــ فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ١٢ ــ فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ١٣ ــ فاذهبوا وتعلموا ما هو. إنى أريد رحمة لا ذبيحة . لأنى لم آت لأدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة .

فى هذه الأعداد نرى وصفاً لنعمة المسيح ورحمته نحو العشارين المساكين ، وبنوع خاص لمتى . وان ما فعله لأجساد الشعب كان تمهيداً لما قصده لأرواحهم . والآن نلاحظ هنا :

(أولا) دعوة « متى » كاتب هذه البشارة . فى كل من بشارتى مرقس ولوقا دعى « لاوى » . لأنه جرت العادة أن يدعى الشخص باسمين . ولعل الاسم « متى » هو ما اشتهر به كعشار . ولذلك فإنه فى تواضعه يدعو نفسه به ، مفضلا إياه على الاسم الآخر « لاوى » الأكثر وقاراً واحتراماً . و يظن البعض أن المسيح أطلق عليه هذا الاسم « متى » حينما دعاه ليكون

رسولا ، كما أطلق على سمعان اسم بطرس . وكلمة « متى » معناها « عطية الله » . فالخدام عطايا الله للكنيسة ، وخدمتهم ومواهبهم اللازمة للخدمة هى عطايا الله لهم . لاحظ :

١ ـــ الوضع الذى كان عليه متى حينما أتته دعوة المسيح . لقد كان « **جالساً عند مكان الجباية** » لأنه كان عشاراً لو ٥ : ٢٧ . كان محصلا للضرائب فى مكتب الجمارك بميناء كفرناحوم ، أو محصلا لضريبة الانتاج ، أو محصلا لضريبة الأراضى .

(١) كان قائماً بأعمال وظيفته كباقى الذين دعاهم المسيح .

(ملاحظة) كما يفضل الشيطان أن يأتى بتجاربه للكسالى ، كذلك يفضل المسيح أن يأتى بدعوته للنشطين العاملين الجدين .

(٢) ولكنها كانت وظيفة ذات سمعة سيئة بين الأشخاص المحترمين . لأنها كانت محفوفة بالتجارب الكثيرة والمفاسد العديدة ، ولم يوجد فيها أمين ونزيه إلا القليلون جداً . هنا نجد متى نفسه يعترف بما كان عليه قبل تجديده ، كما فعل بولس (١ تى ١ : ١٣) ، لكى يزداد عظم نعمة المسيح فى دعوته ، ولكى يبين أن لله بقية وسط كل أنواع البشر . لا يمكن أن يكون هنالك أى مبرر لأى انسان فى عدم إيمانه مهما كان عمله العالمى ، لأنه لا يوجد عمل عالمى شرير دون أن يوجد فيه من ينال الخلاص و يتحرر منه ، ولا يوجد عمل مشروع دون أن يوجد فيه من ينال الخلاص و يبقى فيه .

٢ ـــ قوة هذه الدعوة التى أتته دون أن يطلبها . لا يتبين هنا أن متى بحث عن المسيح ، أو أنه كان له أى ميل لأتباعه ، رغم أنه كان من بين أقربائه من قد تتلمذ للمسيح من قبل . على أن المسيح قد سبق فأغدق عليه من بركات صلاحه . فإنه يوجد من الذين لا يطلبونه . لقد تكلم المسيح أولا داعياً متى وقال له ابتعنى . ونحن لم نختره ، بل هو الذى اختارنا . انه قال له « **اتبعنى** » ونفس القوة الإلهية المقتدرة التى رافقت الكلمة « قم واذهب إلى بيتك » ع ٦ لشفاء المفلوج رافقت هذه الكلمة لتجديد حياة متى .

(ملاحظة) ان التجديد **يحصل** فى النفس بواسطة المسيح الذى هو الأصل لكل شيء ، أما كلمته فهى الواسطة . وانجيله هو « قوة الله للخلاص » رو ١ : ١٦

كانت الدعوة فعالة لأنه أطاعها . « **فقام وتبعه** » فى الحال . لم يرفض الدعوة ، ولم يرجىء الطاعة . ان قوة النعمة الإلهية تبعث الطاعة السريعة ، وتتغلب على كل الصعوبات . حينما دعاه المسيح لم تعقه وظيفته ، ولا أرباحها . « لم يستشر لحما ودماً » غل ١ : ١٥ و١٦ . بل ترك وظيفته ، وطوح بكل آماله فى الثراء عن طريقها . ورغماً عن اننا نجد التلاميذ الذين كانوا

صيادين من قبل يعودون لصيد السمك أحياناً فيما بعد فإننا لا نجد متى فى مكان الجباية قط

(ثانيا) حديث المسيح مع العشارين والخطاة بهذه المناسبة . لقد دعا المسيح متى لكى يتعرف بأرباب هذه المهنة . « **وبينما هو متكيء فى البيت** » ع ١٠ . يخبرنا الانجيليان الآخران أن متى «صنع له ضيافة كبيرة فى بيته» ، الأمر الذى عجز عنه الصيادون المساكين لما أتتهم الدعوة . أما هو شخصياً فإنه عندما يتحدث عن هذه الضيافة لا يقول بأن البيت كان بيته ، ولا يقول بأنها كانت ضيافة ، بل يقول « وبينما هو متكيء فى البيت » ، ذلك لأنه آثر الاحتفاظ بذكريات عطف المسيح على العشارين عن الاحتفاظ بذكريات إكرامه للمسيح

(ملاحظة) خليق بنا أن نتحدث قليلا جداً عن أعمالنا الصالحة .

١ ـــ عندما دعا متى المسيح إلى بيته دعا « **تلاميذه** » أيضاً ليكونوا معه

(ملاحظة) على الذين يرحبون بالمسيح أن يرحبوا أيضاً بكل من له ، من أجله ، وأن يفسحوا لهم مكاناً فى قلوبهم

٢ ـــ ودعا أيضاً « **عشارين وخطاة كثيرين** » **ليلتقوا به** . كان أهم ما قصده متى بتصرفه هذا أن يتعرف أصدقاؤه القدماء بالمسيح . كان يعرف بالاختبار مقدار التجارب التى يتعرضون لها ، فرثى لحالهم ، وعرف بالاختبار ما تستطيع نعمة المسيح أن نفعله ، ولم يشأ أن يقطع الأمل من جهتهم

(ملاحظة) ان الذين قد أتوا فعلا إلى المسيح لا يمكن إلا أن يرغبوا فى أن يأتى إليه الآخرون ، ويطمعوا فى بذل بعض الجهد نحو هذه الغاية . والنعمة الحقيقية لا تقنع بأن تتناول طعامها وحدها ، بل تدعو الآخرين أيضاً .

عندما انقطعت رابطة الاخوة بتجديد متى ، للحال امتلأ بيته من العشارين ، ويقيناً أن بعضهم أرادوا اتباع المسيح كما تبعه هو. هكذا فعل اندراوس وفيلبس يو ١ : ٤١ و٤٥ ، ٤ : ٢٩ . أنظر قض ١٤ : ٩

(ثالثا) استياء الفريسيين من هذا ع ١١ ، ومحاكمتهم : « **فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة** » . وهنا نلاحظ :

١ ـــ الاعتراض على المسيح . كان من ضمن آلامه النفسية انه « احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه » عب ١٢ : ٣ . لم يخاصم البشر شخصية أكثر من مخاصمتهم لذاك الذى

جاء لكى يرفع الخصومة العظمى من بين الله والانسان . وهكذا ارتضى بأن يضحى بالكرامة اللائقة بالإله المتجسد التى كانت تقتضى التبرر فى أقواله والاذعان التام والتسليم الكامل السريع لكل ما نطق به ، لأنه رغماً عن أنه لم ينطق بأى كلمة ليست فى محلها فانه كثيراً ما أعترض على اقواله وافعاله . وهكذا علمنا ان نتوقع التعيير والتوبيخ والاعتراض ، وأن نستعد لهذا ، ونتحمله بالصبر

٢ ــ والذين اعترضوا عليه هم الفريسيون ، وهم قوم متكبرون ، مغرورون بأنفسهم ، كثيرو الانتقاد على الآخرين ، بنفس أخلاق أولئك الذين قالوا أيام النبى « قف عندك . لا تدن منى لأنى أقدس منك » أش ٦٥ : ٥ . كانوا حريصين كل الحرص على تجنب **الخطاة** ، لا على تجنب **الخطية** . لم يوجد أكثر منهم غيرة على **صورة** التقوى ، ولم يوجد أكثر منهم عداوة و بغضاً **لقوتها** . كانوا حريصين على حفظ تقليد الشيوخ بمنتهى الدقة ، وهكذا كانوا ينشرون نفس الصفات التى كانت تسودهم وتتملك عليهم

٣ ــ انهم قدموا اعتراضهم لا للمسيح نفسه (لأنهم لم تكن لهم الشجاعة لتقديمه إليه) بل لتلاميذه . كان التلاميذ فى نفس الجماعة أى مع العشارين والخطاة ، لكن الخصومة كانت مع السيد . لانه لولم يوجد هو معهم لما وجدواهم . ثم انهم اعتقدوا أن خطأه هو أشنع من خطأ تلاميذه لأنه كان يعتبر كنبى . واعتقدوا أن كرامته لا تسمح باختلاطه بمثل هذه الجماعة من « العشارين والخطاة » . وإذ استاءوا من المعلم وجهوا الاعتراض إلى التلاميذ

(ملاحظة) على المؤمنين أن يكونوا قادرين أن يبرروا المسيح و يدافعوا عنه وعن تعاليمه ، « مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم » ١ بط ٣ : ١٥ . وطالما كان هو يدافع عنا فى السماء فلندافع نحن عنه على الأرض ، ونجعل عاره عارنا

٤ ــ وكان الاعتراض انه « يأكل مع العشارين والخطاة » . كان الاختلاط بالأشرار يتنافى مع ناموس الله (مز ١١٩ : ١١٥ ، ١ : ١) ، ولعلهم باتهام المسيح بهذه التهمة أمام تلاميذه قصدوا أن يشككوهم فى معلمهم ، وجعلوهم ناقمين عليه ، و يستميلوهم إلى أنفسهم ليكونوا تلاميذاً لهم لأن الملتفين حولهم من طبقة أفضل ، ولأنهم كانوا « يطوفون البحر والبر ليكسبوا دخيلا واحداً » . كان الاختلاط بالعشارين ضد « تقليد الشيوخ » ، ولذلك نظروا إليه كأمر مشين . وقد استاءوا من المسيح بسبب هذا :

(١) لأنهم أرادوا له شراً ، وكانوا يطلبون الفرصة لوصفه على غير حقيقته .

(ملاحظة) من السهل ، كما انه أمر عادى جداً ، أن نستنج أسوأ الاستنتاجات من

أسمى الكلمات وأجل الأعمال .

(٢) لأنهم لم يريدوا خيراً للعشارين والخطاة ، بل حسدوهم من أجل عطف المسيح عليهم ، وساءهم أن يروهم يتوبون .

(ملاحظة) إن الذين لا يحبون أن يكون للآخرين نصيب فى نعمة الله ، يكونون هم أنفسهم بعيدين عن هذه النعمة .

(رابعا) دفاع المسيح عن نفسه وتلاميذه لتبرير حديثهم مع العشارين والخطاة . ويبدو أن التلاميذ إذ كانوا لا يزالون ضعفاء طلبوا جواباً على اعتراض الفريسيين ، ولذلك تقدموا به إلى المسيح الذى أنصت اليه ع ١٢ « **فلما سمع يسوع** » ، أو لعله سمع الفريسيين وهم يهمسون به فى آذان تلاميذه . ليدافع وحده عن نفسه ، وليجب عن نفسه وعنا أيضاً . وفى هذا الدفاع يثبت حقيقتين :

١ ـــ حاجة العشارين الملحة التى كانت تصرخ لطلب معونته ، والتى كانت تبرر حديثه معهم لخيرهم . لقد كانت حاجة الخطاة المساكين الهالكين هى التى أتت بالمسيح من الأرجاء الطاهرة إلى هذه الأرجاء غير الطاهرة ، ونفس الحاجة هى التى أتت به إلى هذه الجماعة التى كان ينظر إليها بأنها غير طاهرة .

(١) إنه يبرهن على حاجة هؤلاء العشارين الملحة : « **لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى** » إن العشارين مرضى ، ويحتاجون إلى من يعينهم ويبرئهم ، الأمر الذى لا يرى الفريسيون ضرورة له ،

(ملاحظات) :

[١] الخطية هى مرض النفس ، والخطاة مرضى روحيون . الفساد الأصلى هو مرض النفس ، والتعديات الفعلية هى جروحها ، أو مضاعفات المرض . وهذا المرض يشوه ، ويضعف ، ويزعج ويتلف ، ويقتل . لكن شكراً لله لأنه ليس عديم الشفاء .

[٢] ويسوع المسيح هو طبيب النفوس الأعظم . فشفاؤه للأمراض الجسدية يشهد أنه أشرق « والشفاء فى أجنحته » . إنه طبيب ماهر ، أمين ، رؤوف . ومهمته هى شفاء المرضى . على الحكماء والصالحين أن يكونوا كأطباء لكل من حولهم ، وهذا ما فعله المسيح . قال سينكا « إن شعور الرجل الحكيم نحو كل من حوله هو شعور الطبيب نحو مرضاه » .

[٣] إن النفوس المريضة بالخطية تحتاج الى هذا الطبيب ، لأن مرضها خطر ، والطبيعة لا تعين نفسها بنفسها ، ولا يستطيع أى إنسان أن يعيننا . ونحن فى أمس الحاجة للمسيح ، لأننا بدونه نهلك هلاكا أبدياً . والخطاة الرقيقو الاحساس يرون حاجتهم اليه ، وبالتبعية يلجأون اليه .

[٤] يوجد أشخاص كثيرون يتوهمون أنهم أصحاء ، ويدعون أنهم لا حاجة لهم إلى المسيح ، وأنهم يستطيعون أن يدبروا أمورهم حسناً بدونه مثل ملاك كنيسة اللاودكيين رؤ ٣ : ١٧ . هكذا لم يشأ الفريسيون أن يعرفوا المسيح وطرقه ، ليس لأنهم لم يكونوا فى حاجة اليه ، بل لأنهم توهموا أنهم أصحاء . أنظر يو ٩ : ٤٠ و٤١ .

(٢) ويبرهن على أن حاجتهم كافية لتبرير تصرفه فى التحدث اليهم بدالة المحبة ، ولذا فلا مبرر للاعتراض عليه أو ملامته . لأن هذه الحاجة كانت تستدعى ضرورة الخدمة التى يجب أن تكون على الدوام مقدمة على مظاهر الديانة الخارجية ، لأن فعل الخير أفضل من مظاهر العظمة أو أية مظاهر خارجية . وتلك الواجبات الادبية والطبيعية يجب أن تكون مقدمة حتى على النواميس الالهية الايجابية والطقسية ، وبالأحرى على وصايا البشر وتقاليد الشيوخ التى قيدت نواميس الله إلى حدود أضيق مما قصده الله . هذا ما يبرهنه المسيح فى ع ١٣ بآية مقتبسة من هو ٦ : ٦ **« إنى أريد رحمة لا ذبيحة »** . كان ذلك الإعتزال الشنيع عن العشارين (الذى أوصى به الفريسيون) أقل من الذبيحة ، أما اختلاط المسيح بهم فكان أكثر من أى عمل من أعمال الرحمة العادية ، ولذلك يجب أن يقدم على الذبيحة . وإن كان فعل الخير لأنفسنا افضل من الذبيحة كما يبين صموئيل (١ صم ١٥ : ٢٢ و٢٣) فبالأولى جداً فعل الخير للآخرين .

لقد دعى هنا اختلاط المسيح بالخطاة « رحمة » . أما السعى لتجديد النفوس فهو اعظم أعمال الرحمة ، لأنه تخليص نفس من الموت . يع ٥ : ٢٠ . لاحظ كيف يقتبس المسيح هذه الحقيقة **« اذهبوا وتعلموا ما هو»** (١)

(ملاحظة) لا يكفى أن نتعلم حرفية الكتاب المقدس ، بل يجب أن نتعلم كيف نفهم « ما هو» أو معناه . والذين تعلموا كيف يطبقون الكتاب المقدس على أنفسهم لتصحيح أخطائهم وليكون دستوراً لتصرفاتهم هم أكثر الناس دراية بمعناه .

وهذه الآية التى اقتبسها المسيح لم تكف فقط لتبرير نفسه بل :

---

(١) « اذهبوا وتعلموا ما يعنيه هذا » حسب الترجمة الانكليزية

[١] بينت مدى الديانة الحقيقة . فهى لا تقوم فى مجرد الممارسات الخارجية ، لا تقوم « بأطعمة وأشربة » عب ٩ : ١٠ ومظاهر القداسة ، ولا تقوم بآراء صغيرة محدودة ومناقشات مشككة ، بل فى فعل كل ما نستطيعه من خير لأجساد وأرواح الآخرين ، فى البر والسلام ، فى « افتقاد اليتامى والأرامل » .

[٢] قضت على رياء الفريسين الذين كانوا يحصرون الديانة فى مجرد ممارسة الطقوس الخارجية دون الالتزامات الأدبية ص ٢٣ : ٢٣ . لقد كانوا يدافعون عن صورة التقوى التى تتفق مع كبريائهم وأطماعهم وشرورهم ، وفى نفس الوقت كانوا يكرهون قوة التقوى التى كانت تقضى بأماتة تلك الشهوات .

٢ — ثم يبين طبيعة وغاية رسالته . ويثبت الغاية التى من أجلها أتى لكى يكون المعلم الأعظم . استمع اليه وهو يقول « **إنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة** » ولذلك يجب أن يختلط بالعشارين

(١) ماذا كانت رسالته : أن يدعو « إلى التوبة » . كانت هذه هى كرازته الأولى ص ٤ : ١٧ . وكان هذا هو اتجاه كل عظاته .

(ملاحظة) إن دعوة الأنجيل هى دعوة للتوبة ، دعوة لنا لتجديد أذهاننا وتجديد طرقنا .

(٢) من هم الذين تنحصر فيهم رسالته . ليسوا هم الأبرار بل الخطاة أى :

[١] أنه لو لم يكن بنو البشر « خطاة » لما كان هنالك مبرر لمجىء المسيح بينهم . فهو ليس مخلص الانسان كإنسان ، بل كإنسان ساقط . ولو أن آدم ظل فى حالة براءته الأصلية لما كنا فى حاجة لآدم الثانى .

[٢] ولذلك فإن اهتمامه الأول ينبغى أن يكون بأول الخطاة . لأنه على قدر ما يكون المرض خطيراً تكون الحاجة للطبيب ماسة . لقد جاء المسيح إلى العالم ليخلص الخطاة ، وخاصة أول الخطاة (١ تى ١ : ١٥) ، لا لكى يدعو الابرار نسبياً — ولو كانوا خطاة — بل أشر الخطاة .

[٣] وعلى قدر شعور الخطاة بحالتهم الخاطئة يكون ترحيبهم بالمسيح وبانجيله . وكان إنسان يختار الذهاب إلى المكان الذى يستحب وجوده فيه لا إلى الجماعة التى تفسح له مكاناً . والمسيح لم يأت راجياً أن ينجح بين جماعة الأبرار ، المغرورين بأنفسهم ظانين أنهم أبرار ، الذين سرعان ما يضجرون من مخلصهم دون أن يضجروا من خطاياهم ، بل أتى إلى جماعة الخطاة ، المتواضعين ، المقتنعين بخطاياهم . اليهم يأتى المسيح ، لأنهم هم الذين يرحبون به .

١٤ ــ حينئذ أتى اليه تلاميذ يوحنا قائلين لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون ١٥ ــ فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون ١٦ ــ ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق . لأن الملء يأخذ من الثوب فيصير الخرق أردأ ١٧ ــ ولا يجعلون خمراً جديدة فى زقاق عتيقة . لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف . بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً .

كانت الاعتراضات التى وجهت للمسيح وتلاميذه فرصة لأجل أحاديثه . وهكذا نجد أن قضية الحق كثيراً ما تخدم حتى من المقاومة التى تلقاها من المخالفين فى الرأى ، وهكذا تخرج حكمة المسيح من الشر خيراً . هذه هى المرة الثالثة فى هذا الأصحاح التى نرى فيها هذه الحقيقة . فإن اعتراضات الكتبة والفريسيين هيأت الفرصة لحديث المسيح عن سلطانه لمغفرة الخطية ، وهيأت الفرصة فى مرة أخرى للتحدث عن استعداده لقبول الخطاة . وهنا نجد أن تصرف أقربائه من نحوه يهيىء الفرصة لحديثه عن محبته لهم .

(أولا) اعتراض تلاميذ يوحنا على تلاميذ المسيح بسبب عدم صومهم كثيراً مثلهم . وكانت هذه التهمة مثلا آخر على تراخيهم فى تدينهم بجانب التهمة السابقة الخاصة بالأكل مع العشارين والخطاة . وكأنهم بهذا قد أوحوا اليهم أن يغيروا ديانتهم بأخرى أكثر تدقيقاً . و يظهر مما ورد فى البشارتين الأخريين (مر ٢ : ١٨ ، لو ٥ : ٣٣) أن تلاميذ الفريسيين اشتركوا معهم . ولدينا من الأسباب ما يكفى للتشكك فيهم واتهامهم بأنهم هم الذين حرضوا تلاميذ يوحنا ، واتخذوهم كلسانهم الناطق ، لأنهم كانوا أكثر اتصالا ومودة للمسيح وتلاميذه ، ولذلك يكون اعتراضهم أكثر قبولا .

(ملاحظة) ليس أمراً مستحدثاً أو مستغرباً أن يلقى الأشرار بذور الشقاق بين الصالحين . وإن كان شعب الله يختلفون فى عواطفهم فإن الأشرار ينتهزون هذه الفرصة للتفرقة بينهم ، ويحاولون أن يجعلوا الواحد يثور ضد الآخر ، و يبعدوا الواحد عن الآخر ، وهكذا يجعلون منهم غنيمة سهلة . وإذا وجدنا تلاميذ يوحنا وتلاميذ المسيح ينقسمون ، فلنعلم أن للفريسيين يداً فى هذا الانقسام من وراء الستار .

كانت الشكوى **« لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً ، وأما تلاميذك فلا يصومون »** من المؤسف جداً أن تصبح الفرائض الدينية ــ التى يجب أن تكون مؤدية لتوطيد دعائم المحبة الطاهرة ــ فرصة للنزاع والانقسام . ولكنها كثيراً ما صارت هكذا ، كما كان الحال هنا ، حيث نجد :

١ ــ كيف افتخروا بأصوامهم « نصوم نحن والفريسيون كثيراً » . لقد رتبت الأصوام فى الكنيسة فى كل الأجيال لنمو الحياة الروحية . كان الفريسيون يكثرون الأصوام ، وكان الكثيرون منهم يصومون مرتين فى الأسبوع ، ومع ذلك فكان أغلبهم مرائين وأشراراً .

(ملاحظة) إن المتدينين الكاذبين ، الذين ينحصر تدينهم فى مجرد الفرائض الخارجية كثيراً ما فاقوا غيرهم فى هذه الفرائض ، بل فى تعذيب أنفسهم ، وإماتة أجسادهم .

كان تلاميذ يوحنا يصومون كثيراً ، وكان بعض السبب فى هذا تمثلا بتصرفات معلمهم الذى « لا يأكل ولا يشرب » ص ١١ : ١٨ . والناس ميالون للاقتداء بقادتهم ، ولو لم يكن الباعث دائماً هو نفس باعث القادة الداخلى . وكان السبب الآخر امتثالا لتعاليم معلمهم عن التوبة .

(ملاحظة) إن أقسى ناحية فى الديانة كثيراً ما روعيت أكثر من غيرها من الذين لا يزالون خاضعين « لروح العبودية » ، مع أنها ــ رغم انها نافعة فى موضعها ــ يجب أن تقودنا إلى حياة التلذذ بعشرة الله والاتكال عليه .

أتى هؤلاء التلاميذ إلى المسيح ليخبروه أنهم يصومون كثيراً ، على الأقل كانوا يعتقدون أن أصوامهم كثيرة .

(ملاحظة) «أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحه» أم ٢٠ : ٦ يميل مدعو المسيحية للإفتخار بممارساتهم الدينية ، سيما إذا كانت غير عادية . وهم لا يفتخرون بها أمام الناس فحسب ، بل يقدمونها أمام الله كحججهم . و يتكلون عليها كبر ذاتى .

٢ ــ كيف وبخوا تلاميذ المسيح لعدم صومهم كثيراً مثلهم « وأما تلاميذك فلا يصومون » . إنهم عرفوا أن المسيح علم تلاميذه أن يكون صومهم فى الخفاء ، وأن يحرصوا على أن لا يظهروا للناس صومهم . لذلك فلم يكن عدلا أن يستنتجوا بأنهم « لا يصومون » لعدم اعلانهم عن صومهم .

(ملاحظة) يجب أن لا نحكم على تقوى أى شخص بما يقع تحت حس العالم ومرآه .

ولكن على فرض أن تلاميذ المسيح لم يصوموا كثيراً أو طويلا مثلهم فلماذا يظنون فى أنفسهم أنهم أكثر تديناً من تلاميذ المسيح ؟

(ملاحظة) من عادة المتدينين الكاذبين أن يجعلوا أنفسهم مقياساً فى التدين يقيسون به الأشخاص والأشياء ، كأن كل الذين يختلفون عنهم غارقون فى الشر ، وكأن كل الذين أتوا أعمالا أقل منهم قد فعلوا أقل من اللازم ، وكل الذين أتوا أعمالا أكثر قد فعلوا أكثر من اللازم . وهذا دليل واضح على أنهم ينقصهم التواضع والمحبة

٣ ـ كيف تقدموا بهذه الشكوى للمسيح

(ملاحظة) إذا ارتكب تلاميذ المسيح أية خطية ، من الخطايا الايجابية أو الخطايا السلبية ، فإن المسيح لابد أن يسمع عنها ، ولابد أن يرجع اليه بشأنها . أيها المسيح هل هؤلاء هم أتباعك ؟ فإن كنا نغار على كرامة المسيح يجب أن نحرص على أن تكون كل تصرفاتنا سليمة .

لاحظ أن الاعتراض على المسيح قدم للتلاميذ ع ١١ ، والاعتراض على التلاميذ قدم للمسيح ع ١٤ . وهذه هى الطريقة لبذر بذور الشقاق والانقسام ، وقل المحبة ، ألا وهى اثارة الشعب ضد الخدام ، والخدام ضد الشعب ، والصديق ضد صديقه .

(ثانيا) دفاع المسيح عن تلاميذه فى هذه الناحية . كان ممكناً أن يوبخ المسيح تلاميذ يوحنا بسبب الشطر الأول من سؤالهم « لماذا نصوم نحن كثيراً » . نعم أنتم خير من يعرف لماذا تصومون ؟ ولكن الحقيقة ان الكثيرين يكثرون من الفرائض الخارجية وهم يندر أن يعرفوا لماذا يمارسونها . ولكنه عوضاً عن هذا يدافع عن تصرف تلاميذه . لأنهم إذ لم يكن لهم ما يقولونه دفاعاً عن أنفسهم كان هو على أتم الاستعداد للدفاع عنهم .

(ملاحظة) كما انه من كرامة الحكمة أن تتبرر من بنيها كذلك من سعادة بنيها أن تبررهم هى أجمعين . لابد أن المسيح يعضدنا فى كل ما نفعله وفق وصيته ومثاله ، ويحق لنا أن نتكل عليه فى اظهار نزاهتنا والدفاع عنا . قال أحدهم « ربى أنت كفيل بالاجابة عنى » .

وهنا يقدم المسيح حجتين للدفاع عنهم تبريراً لعدم صومهم :

١ ـ إنه لم يكن الوقت المناسب للصوم ع ١٥ . « **هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم** » . لاحظ ان اجابة المسيح قد صيغت بكيفية تكفى لتبرير تصرف تلاميذه مع عدم المساس بتعاليم يوحنا أو ديـنونة تلاميذه على تصرفهم . حينما قدم الفريسيون هذا

الاعتراض كانوا يؤملون أن المسيح إما أن يوبخ تلاميذه أو تلاميذ يوحنا ، ولكنه لم يفعل هذا أو ذاك

(ملاحظة) حينما يوجه الينا الانتقاد بغير حق فى أى وقت فعلينا أن نحصر جهدنا فى تبرئة أنفسنا فقط ، لا أن نقابل الشتيمة بالشتيمة ، أو نقذف فى حق الآخرين . قد يكون هنالك اختلاف فى الظروف مما يبررنا فى تصرفاتنا ولا يدين من يختلفون عنا فى تصرفاتهم

ان الحجة مقتبسة من التزام الناس للظهور بمظاهر الفرح والاغتباط طول مدة اقامة احتفالات العرس حيث ينظر فيها الى مظاهر الحزن بأنها سخيفة وغير لائقة كما كان الحال وقت زواج شمشون قض ١٤ : ١٧ . والآن نرى :

(١) إن تلاميذ المسيح هم « بنو العرس » الذين دعوا الى وليمة العرس ، ولقوا فيها **كل** ترحيب . أما تلاميذ الفريسيين فلم يكونوا كذلك ، بل كانوا بنى الجارية المستعبدة غل ٤ : ٢٥ و٣١ ، مستمرين فى عهد الرعب والظلام .

(ملاحظة) إن اتباع المسيح المخلصين الذين لهم روح التبنى تولم لهم وليمة دائمة ، أما الذين لهم روح العبودية والخوف فانهم لا يستطيعون أن يفرحوا طرباً كالشعوب (هو ٩ : ١) .

(٢) إن تلاميذ المسيح كان « العريس معهم » ، الأمر الذى لم يتمتع به تلاميذ يوحنا ، فقد كان معلمهم وقتئذ ملقى فى السجن ، وكانت حياته معرضة للخطر الدائم ، ولذلك كان خليقاً بهم أن يصوموا كثيراً . كان مثل هذا اليوم سيأتى على تلاميذ المسيح **« حين يرفع العريس عنهم »** حين يحرمون من حضوره معهم بالجسد **« فحينئذ يصومون »** . كان مجرد التفكير فى ارتحاله عنهم باعثاً على امتلاء قلوبهم حزناً قبل أن يتركهم يو١٦ : ٦ . أما بعد أن تركهم فقد حلت بهم شدة وضيق ، وهذا ما دعا الى الحزن والصلاة والصوم .

(ملاحظات) :

[١] إن يسوع المسيح هو عريس كنيسته ، وتلاميذه هم « بنو العرس » وقد شبه المسيح نفسه هذا التشبيه فى حديثه مع تلاميذ يوحنا لأن يوحنا استخدم هذا التشبيه حينما دعا نفسه صديق العريس يو٣ : ٢٩ وإذا ما استطاعوا بهذه الإشارة أن يتذكروا ما سبق أن قاله معلمهم ، لأمكنهم أن يجيبوا على أنفسهم بأنفسهم .

[٢] إن حالة بنى العرس عرضة لتغييرات كثيرة فى هذا العالم . قد ينعمون بأوقات الراحة أو يرزحون تحت أعباء الضيقات الشديدة

[٣] إن فرح بني العرس أو حزنهم يتوقف على مقدار اقترابهم من العر يس . حينما يكون معهم فإن سراج الله يضيء فوقهم ، وكل شيء يكون معهم حسناً . ولكنه إن غادرهم — ولو الى برهة وجيزة — فانهم يتضايقون ، و يسيرون مثقلين . إن إشراق الشمس واقترابها يسببان النهار والصيف ، وغروبها وابتعادها يسببان الليل والشتاء . المسيح هو الكل فى الكل فى افراح الكنيسة .

[٤] كل واجب ينبغي أن يؤدى في وقته المناسب . أنظر جا ٧ : ١٤ ، يع ٥ : ١٣ . للحزن وقت وللضحك وقت . وفي كل منها ينبغي أن نسلك حسبما يقتضيه الوقت ، و ينبغي أن نقدم الثمار في الوقت المناسب . في وقت الصوم ينبغي أن نراعي طرق نعمة الله وأيضاً أعمال عنايته من نحونا . هنالك أوقات يدعو فيها الرب الى « البكاء والنوح » أش ٢٢ : ١٢ . ثم يجب أيضاً أن نراعي أي عمل خاص أمامنا مت ١٧ : ٢١ ، أع ١٣ : ٢ .

٢ — إنهم لم تكن لهم القوة الكافية لهذا الواجب . وهذه الحقيقة توضح هنا بتشبيهين . الأول وضع « **رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق** » الأمر الذى يمزق الثوب العتيق ع ١٦ ، والثاني وضع « **خمر جديدة في زقاق عتيقة** » الأمر الذى يشقق الزقاق ع ١٧ . لم يكن في استطاعة تلاميذ المسيح تحمل هذه الواجبات القاسية وقتئذ كتلاميذ يوحنا وتلاميذ الفر يسيين . و يعلل أحدهم سبب هذا بأنه لم يكن فقط بين اليهود طوائف متعددة كالفر يسيين والأسينيين الذين كانوا يعيشون حياة الزهد والتقشف ، كانت هنالك أيضاً « مدارس الأنبياء » الذين كثيراً ما كانوا يعيشون في الجبال والبراري ، وكان الكثيرون منهم نذير ين . ثم كانت لهم أيضاً معاهد علمية خاصة لتدر يب الناس على حياة الزهد الشديد . والمرجح أن الكثير ين من تلاميذ يوحنا وتلاميذ الفر يسيين كانوا من هؤلاء . أما تلاميذ المسيح فقد اختيروا من صناعاتهم مباشرة ، ولم يكونوا متعودين على مثل هذه الحياة الدينية القاسية ، وكانوا غير لائقين لها بعد ، كما أنهم إن دفعوا اليها دفعة واحدة أصبحوا غير لائقين لها بعد ، كما أنهم إن دفعوا اليها دفعة واحدة أصبحوا غير لائقين لعملهم الآخر .

(ملاحظات) :

(١) إن بعض الفرائض الدينية أقسى من غيرها وأشد صعوبة ، كالرقعة الجديدة والخمر الجديدة . وهي تحتاج الى صفاء الذهن لأقصى حد ، كما أن اللحم والدم ينفران منها . ومن أمثلتها الأصوام وما يتبعها من واجبات .

(٢) إن أفضل تلاميذ المسيح يجوز ون دون الطفولة . والأشجار في حديقة المسيح ليست في دور واحد من النمو ، وتلاميذه ليسوا كلهم في فصل واحد ، فالبعض « أطفال في المسيح »

والآخرون بالعون .

(٣) وفى التوصية بممارسة الفرائض الدينية ينبغى أن تراعى حالة الضعف فى صغار المسيحيين ، كما ينبغى أن يكون الطعام الذى يقدم لهم متناسبا مع اعمارهم (١ كو٣ : ٢ ، عب ٥ : ١٢) . كذلك ينبغى أن تكون الخدمة التى تخصص لهم . والمسيح نفسه لم يشأ أن يتحدث الى تلاميذه بما لا يستطيعون احتماله وقتئذ يو١٦ : ١٢ . والمبتدئون فى الحياة الروحية ينبغى أن لا يشقلوا بأقسى الواجبات فى البداية لئلا يفشلوا . هكذا حرص الله من جهة شعبه إسرائيل ، حينما أخرجهم من مصر أن لا يهديهم «فى طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة» خر١٣ : ١٧ و١٨ وهكذا حرص يعقوب أن لا يستكد أولاده ومواشيه تك ٣٣ : ١٣ . وهكذا يعنى المسيح بالصغار فى أسرته والخراف الصغيرة فى قطيعه ، و يقودهم برفق . و بسبب عدم مراعاة هذا الحرص كثيراً ما «تنشق الزجاج فالخمر تنصب» يفشل الكثيرون فى حياتهم الروحية بسبب عدم استخدام الحكمة معهم من بداية الأمر .

(ملاحظة) قد يكون هنالك عمل فوق الطاقة حتى فى عمل الخير، قد يكون هنالك بار بزيادة وقد يتخذ الشيطان بمكره من هذا الإفراط وسيلة للتدمير. جا ٧ : ١٦

١٨ ــ وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد قائلا إن ابنتى الآن ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا ١٩ ــ فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه . ٢٠ ــ وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه ٢١ ــ لأنها قالت فى نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت ٢٢ ــ فالتفت يسوع وأبصرها فقال ثقى ياإبنة ايمانك قد شفاك . فشفيت المرأة من تلك الساعة ٢٣ ــ ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون ٢٤ ــ قال لهم تنحوا . فان الصبية لم تمت لكنها نائمة . فضحكوا عليه ٢٥ ــ فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها . فقامت الصبية . ٢٦ ــ فخرج ذلك الخبر الى تلك الأرض كلها .

وهنا نجد حادثين تاريخيين مقترنين معاً . الأول إقامة ابنة يايرس من الموت ، والثانى

شفاء المرأة نازفة الدم وقت ذهابه إلى بيت يايرس . هذا الحادث الثانى متداخل فى الأول ، لأن معجزات المسيح كانت غزيرة جداً ، فقد كان « عمل الذى أرسله » هو شغله الشاغل .

وإذ كان يتحدث حديثه السابق رداً على اعتراضات الفريسيين دعى لإتمام أعمال الرحمة هذه ع ١٨ : « **وفيما هو يكلمهم بهذا** » ولعله كان مريحاً جداً أن تتوقف هذه المناقشة العنيفة المتعبة ، التى وإن كانت لازمة بعض الاحيان ، إلا أن أولاد الله يسرون بتركها لمباشرة عمل من أعمال الرحمة أو خدمة خشوعية .

(أولا) حديث الرئيس إلى المسيح ع ١٨ . « **إذا رئيس** » رئيس للمجمع « **قد جاء فسجد له** » . ألعل أحداً من الرؤساء آمن به ؟ » يو ٧ : ٤٨ . نعم ، وهنا نجد أحدهم ، وقد كان إيمانه دياناً لعدم إيمان باقى الرؤساء . كان لهذا الرئيس ابنة ، عمرها اثنتا عشرة سنة ، وكانت قد ماتت فى ذلك الوقت مباشرة ، وكانت هذه الفجيعة التى حصلت فى بيته هى الدافع له للمجىء إلى المسيح .

(ملاحظة) فى ضيقنا ينبغى أن نتقدم الى الله . وموت اقاربنا ينبغى أن يدفعنا إلى المسيح حياتنا . وجميل أن يدفعنا اليه أى شيء آخر . وعندما تحل بلية بأحد أفراد الأسرة ينبغى أن لا نجلس منذهلين ، بل يجب أن نخر على الأرض ونسجد كأيوب أى ١ : ٢٠ . وهنا نلاحظ :

١ ــ تواضعه فى حديثه هذا مع المسيح . انه جاء بنفسه إلى المسيح برسالته ، ولم يشأ أن يرسل أحد خدامه .

(ملاحظة) ليس مما يحط من كرامة أعظم الرؤساء أن يمثلوا هم شخصياً فى حضرة الرب يسوع .

ثم انه « سجد له » . جثا على ركبتيه أمامه ، وقدم له كل اجلال واحترام

(ملاحظة) على الذين يريدون أن ينالوا رحمة من المسيح أن يقدموا له الاكرام الواجب .

٢ ــ إيمانه فى حديثه هذا : « **ابنتى الآن ماتت** » ، ورغم انه قد فات الأوان لاستدعاء أى طبيب (لأنه « لا سخافة أعظم من محاولة العلاج بعد الموت » كما يقول المثل اللاتينى) إلا أنه لم يفت الأوان للمسيح ، فهو طبيب بعد الموت ، لأنه هو « القيامة والحياة » . إذاً « **تعال وضع يدك عليها فتحيا** » . هذا أمر فوق القدرة الطبيعية (لأنه كما يقول المثل اللاتينى « إن ذهبت الحياة لا يمكن أن تعود ») ولكنه فى قدرة المسيح ، الذى « له حياة فى ذاته ، ويحيى من يشاء » يو ٥ : ٢١ و٢٦ . كان تصرف المسيح أمراً عادياً وقتئذ ، أما نحن فلا يليق بنا أن نقدم اليه

طلباً كهذا، لأنه طالما كانت هنالك حياة فهناك مجال للصلاة . ولكن إن مات الأصدقاء فقد تقرر الأمر، نحن ذاهبون اليهم وأما هم فلا يرجعون الينا ٢ صم ١٢ : ٢٣ . ولكن عندما كان المسيح هنا على الأرض فإن مثل هذه الثقة لم تكن جائزة فقط بل كانت أيضاً ممدوحة .

(ثانيا) استعداد المسيح لإجابة طلبه ع ١٩ « **فقام يسوع** » في الحال ، وترك الجماعة التي كان يتحدث معها « **وتبعه** » . إنه لم يكن فقط مستعداً لتحقيق رغبته بإقامة ابنته من الموت بل كان أيضاً مستعداً أن يطيب قلبه بالذهاب الى بيته لإقامتها . يقيناً إنه لم يقل « لنسل يعقوب باطلا اطلبوني » أش ٤٥ : ١٩ . لقد رفض الذهاب مع ذلك الرجل العظيم الذى طلب اليه قائلا « ياسيد انزل قبل أن يموت ابنى » يو ٤ : ٤٨ — ٥٠ ، ولكنه ذهب مع رئيس المجمع الذى قال له « تعال وضع يدك عليها فتحيا » . إن تنوع الطرق التى سلكها المسيح فى إتمام معجزاته قد يعزى إلى تنوع نفسية أولئك الذين كانوا يلجأون اليه والتى كان يعلمها تماماً ، لأنه هو فاحص القلوب ، و يتصرف بموجبها . هو يعلم ما فى الانسان ، و يعلم أى طريق ينبغى سلوكه معه .

ولاحظ أن المسيح حينما تبعه ، فعل كذلك « **تلاميذه** » الذين اختارهم ليكونوا فى رفقته دواماً . إنه لم يأخذ تلاميذه معه للظهور بمظهر العظمة أو للاعلان عنه كلما اقترب من أى مكان ، بل لكى يشهدوا معجزات لأنهم كانوا سيكرزون بتعاليمه فيما بعد .

(ثالثا) شفاء المرأة المسكينة نازفة الدم ، وإننى أدعوها مسكينة ، ليس فقط لأن حالتها تستحق العطف والرثاء ، بل لأنها إن كانت تملك شيئا من حطام الدنيا فقد « انفقت كل معيشتها للأطباء » لو ٨ : ٤٤ لعلاجها من مرضها دون أى جدوى . ولذا فإنه مما زاد مصيبتها شدة إنها كانت تملك شيئاً وأصبحت لا تملك شيئا ، وأنها جردت نفسها من كل ثروتها لتسترد صحتها ، ولكنها لم تكسب حتى صحتها . كانت هذه المرأة « **نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة** » ع ٢ ، وهذا المرض لا يضعف الجسم فقط و يتلفه ويجعل الجسم فى حالة ذبول وانحلال ، بل إنه أيضا جعلها غير طاهرة حسب حكم الناموس ، وحرمها من ديار بيت الله ، ولكنه لم يحرمها من الاقتراب من المسيح . لقد تقدمت الى المسيح ، ونالت منه رحمة ، وهو سائر فى الطريق الى بيت الرئيس الذى ماتت ابنته والذى لابد أن يكون قد تقوى إيمانه فى قدرة المسيح . هكذا يتحنن المسيح فيراعى ضعف المؤمنين الضعفاء و ينظر الى كل ظروفهم . لاحظ هنا :

١ — إيمان المرأة العظيم بالمسيح و بقدرته . كانت طبيعة مرضها تعوقها — من باب الاحتشام — عن طلب الشفاء من المسيح صراحة ، كما كان يفعل الآخرون ، ولكنها بباعث خاص من بواعث الايمان اعتقدت أنه لابد أن تكون هنالك قوة تفيض منه للشفاء ، لذلك « قالت فى نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت » إنها لم تر سابقة كهذه فى آيات الشفاء التى صنعها

يسوع ، ولكن لعلها كانت تذكر إقامتة الميت بمجرد لمس عظام اليشع ٢ مل ١٣ : ٢١ . لقد آمنت أنها لابد أن تشفى بمجرد لمس هدب ثوبه ، نهاية طرف الثوب .

(ملاحظة) فى كل ما يتعلق بالمسيح قوة عظمى . كان الدهن الطيب الذى يمسح به رئيس الكهنة يسيل الى طرف ثيابه مز ١٣٣ : ٢ ، هكذا يوجد فى المسيح ملء النعمة ، ومن ملئة نحن جميعاً أخذنا يو ١ : ١٦ .

٢ ــ رحمة المسيح العظمى التى أغدقها على هذه المرأة . إنه لم يرجىء تيار القوة الشافية (كما كان ممكناً أن يفعل) ، بل سمح لهذه المرأة الخجولة أن تختلس شفاء لا يعلم به أحد سواها ، ولو أنها لم يخطر ببالها أنه سوف يكون عليما به . والآن وقد نالت ما تمنت فقد أكتفت بالانصراف ، ولكن يسوع لم يسمح لها بالانصراف عند هذا الحد . انه لم يشأ فقط أن يعظم قوته فى شفائها ، بل أراد أيضاً أن يعظم نعمته فى تعز يتها ومدحها ، ينبغى أن تكون قوة ايمانها سبباً فى مدحها وكرامتها « **فالتفت يسوع وأبصرها** » للحال ع ٢٢ .

(ملاحظة) مما يشجع المسيحيين المتواضعين كل التشجيع أن الذين يخبئون أنفسهم عن أعين البشر يعرفهم المسيح الذى يرى فى الخفاء التجاءهم الى السماء مهما كانت لا تراهم أى عين بشر ية . وهنا نرى :

(١) إنه ملأ قلبها غبطة بهذه الكلمة « **ثقى (١) يا ابنة** » لقد كانت تخشى لئلا لمجيئها خفية ، ولكنها نالت كل تشجيع واطمئنان .

[١] إنه دعاها « ابنة » . لأنه تحدث اليها برقة الأب ، كما تحدث الى المفلوج من قبل ع ٢ الذى دعاه « بنى » .

(ملاحظة) للمسيح تعز يات معدة لبنات صهيون حز ينات الروح كما كانت حنة ١ صم ١ : ١٥ . وكل امرأة مؤمنة هى « ابنة » المسيح ، وسوف يعترف بها ابنة .

[٢] وأمرها بأن تثق . كان لها كل الحق أن تثق بأن المسيح كان قد دعاها « ابنة » .

(ملاحظة) إن تعز يات القديسين مؤسسة على ما نالوه من روح التبنى .

---

(١) « تعزى تعزية طيبة » حسب الترجمة الانكليزية .

كان أمره لها بأن تثق باعثا على امتلاء قلبها ثقة ، كما كانت كلمته التي نطقت بالشفاء باعثة على الصحة .

(ملاحظة) إن إرادة المسيح هي أن يمتلىء شعبة ثقة . وامتيازه هو أن يأمر بالثقة للنفوس المتعبة . هو « خالق ثمر الشفتين . سلام » أش ٥٧ : ١٩ .

(٢) وعظم إيمانها . هذه النعمة تكرم المسيح أكثر من سائر النعم ، ولذلك فانه يضع عليها كرامة عظمى . « **ايمانك قد شفاك** » هكذا قد أصبحت بالإيمان مشهوداً لها عب . ١١ : ٣٩ . وكما أن المسيح يضع على الايمان كرامة أعظم مما يضعه على سائر النعم ، كذلك يضع على المؤمنين المتواضعين كرامة أعظم مما يضعه على سائر المؤمنين ، كما فعل مع تلك المرأة ، التي كان لها إيمان أقوى مما كانت تظن . كان لها كل الحق أن تثق وتتعزى ، ليس فقط لأنها شفيت ، بل أيضاً لأن إيمانها قد شفاها . أي :

[١] انها قد شفيت روحياً . تم فيها ذلك الشفاء الذي هو نتيجة الإيمان وثمرته ، غفران الخطية وعمل النعمة .

(ملاحظة) فعلينا إذن أن نتعزى كثيراً ونغتبط بالبركات الزمنية حينما تكون مقترنة بالبركات الروحية التي تماثلها . لنغتبط بالطعام واللباس حينما ننال بالإيمان خبز الحياة ونلبس المسيح . لنغتبط بالراحة والنوم حينما نستريح في الله بالايمان ، ونسكن فيه مطمئنين . لنغتبط بالصحة والنجاح حينما تكون أرواحنا ناجحة وصحيحة . أنظر أش ٣٨ : ١٦ و٢٧

[٢] وكان شفاؤها الجسدي ثمر الايمان ، ثمر إيمانها ، وهذا ما جعله شفاء معزياً سعيداً حقاً . إن الذين أخرجت منهم الشياطين شفوا بقوة المسيح المطلقة ، والبعض نالوا الشفاء بإيمان الآخرين ع ٢ . أما هذه المرأة فقد قال لها « إيمانك قد شفاك » .

(ملاحظة) في البركات الزمنية نجد تعزية حقيقية لنفوسنا حينما ننالها بالإيمان . إن كنا في طلبها نصلي من أجلها بالايمان ، ناظرين إلى المواعيد ، وواثقين فيها ، إن كنا نطلبها من أجل مجد الله ، خاضعين لمشيئته ، متسعة بها قلوبنا في الايمان والمحبة والطاعة ، فحينئذ نستطيع القول إننا قد نلناها بالايمان .

(رابعا) الحالة التي وجد بيت الرئيس فيها ٢٣ . « **نظر المزمرين والجمع يضجون** » . كان البيت ممتلئاً ضجيجاً ، هذا ما يفعله الموت إذا دخل أي بيت . فالواجبات الضرورية ترجأ في هذه المناسبة حتى يدفن الميت . أتى الجيران ليقدموا تعزياتهم بمناسبة تلك الخسارة ، لتعزية

الوالدين ، واعداد كل ما يلزم لتشييع الجنازة والاشتراك فيها ، سيا وكان اليهود لا يميلون لتأجيلها كثيراً . كان المزمرون ضمن الجمع ــ حسب عادة الأمم ــ بنغماتهم المحزنة ، لز يادة الحزن ، وإثارة أشجان الذين حضروا فى تلك المناسبة . هكذا بعثوا فى النفوس مرارة وحزناً كحزن « الباقين الذين لا رجاء لهم » . انظر كيف يقدم التدين الدواء الناجع ، بينما يقدم عدم التدين السم الناقع . والوثنية تهول الحزن ، أما المسيحية فتخفف من حدته .

أو لعل أولئك المزمر ين حاولوا بالعكس أن يبعدوا الحزن و يفرحوا قلب العائلة ، ولكن « كخل على نطرون من يغنى أغانى لقلب كئيب » أم ٢٥ : ٢٠

لاحظ أن الوالدين اللذين مستها مباشرة نيران التجر بة كانا صامتين ، أما « المزمرون والجمع » الذين دفعوا أنفسهم دفعاً وتظاهروا بالحزن فكانوا « يضجون » .

(ملاحظة) ليس أصحاب أعلى الأصوات أعمق حزناً ، فالأنهار لا يعلو صوتها عادة إلا متى كانت المياه تجرى فى قاعها ضحلة . وكما يقول المثل اللاتينى « الحزن البالغ هو الحزن الصامت » .

على أن الانجيلى حرص على تدو ين هذه العبارة ليسجل بأن الصبية كانت قد ماتت فعلا ، ولم يكن هنالك أقل شك فى ذلك ممن حولها .

(خامسا) تو بيخ المسيح للجمع بسبب هذه الضجة ع ٢٤ . لقد قال لهم « **تنحوا** » .

(ملاحظة) حينما يتغلب حزن العالم يتعذر أحياناً دخول المسيح وتعز ياته . وأولئك الذين يقسون قلوبهم فى الحزن ، ولا ير يدون أن يتعزوا كراحيل ، خليق بهم أن يستمعوا إلى المسيح وهو يخاطب أفكارهم الثائرة قائلا « تنحى » . افسحى المجال لمعزى اسرائيل ، الذى يأتى بتعز يات قو ية (عب ٦ : ١٨) ، قو ية تكفى للتغلب على أحزان العالم وما يتبعها من اضطراب وضجيج إذا ما سمح لذلك المعزى بالدخول إلى النفس .

وهنا يقدم لهم السبب لماذا يجب أن لا يزعجوا أنفسهم ولا يزعجوا بعضهم بعضاً «**إن الصبية لم تمت لكنها نائمة**»

١ ــ كان هذا حقاً فيا يختص بهذه الصبية التى كانت سوف تعاد اليها الحياة بعد ذلك مباشرة . أنها كانت قد ماتت فعلا ، ولكنها لم تكن كذلك فى نظر المسيح الذى عرف فى نفسه ما سوف يفعله ، والذى اعتزم أن يجعل موتها مجرد نوم . لا يوجد فرق كبير بين النوم والموت سوى فى الاستمرار . وهذا الموت كان مقدراً له أن لا يستمر طو يلا ، ولذلك كان مجرد نوم ، كراحة الجسم

فى الليل . إن « الذى يحيى الموتى يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » رو ٤ : ١٧

٢ ــ وهذا المعنى ينطبق على كل الذين يموتون ، سيما الذين يموتون فى الرب .

(ملاحظتان) ــ (١) الموت نوم . لقد اتفقت على هذه التسمية كل الشعوب والألسنة للتخفيف من حدة الموت المرعب ، الذى لا مناص منه ، ولعدم الانزعاج منه ، قيل حتى الملوك الأشرار إنهم رقدوا (ناموا) أو اضجعوا مع آبائهم ، وقيل عن الذين يستيقظون إلى العار للازدراء الأبدى إنهم راقدون فى تراب الأرض دا ١٢ : ٢ . ليس هو نوم الروح ، فإن نشاطها لا يبطل ، بل نوم الجسد ، الذى يضطجع فى القبر هامداً لا يتحرك ، لا يحس بشىء ولا يحس به أحد ، ملتفاً بالظلام والنسيان . النوم موت قصير ، والموت نوم طويل . على أن موت الصديقين ينظر اليه بصفة خاصة بأنه نوم أش ٥٧ : ٢ . قيل عنهم بأنهم « الراقدون بيسوع » ١ تس ٤ : ١٤ إنهم لا يستريحون من متاعب النهار فحسب ، بل يستريحون على رجاء السير ثانية بفرح فى صباح القيامة ، حينما يستيقظون منتعشين ، يستيقظون إلى حياة جديدة ، يستيقظون لكى يلبسوا الثياب الفاخرة والأكاليل المجيدة ، يستيقظون على أن لا يناموا ثانية .

(٢) وهذه الحقيقية تجعلنا نخفف من حدة الحزن على موت أقربائنا الأعزاء . لا تقل إنهم فقدوا ، بل إنهم سبقونا . ولا تقل إنهم قتلوا ، بل إنهم ناموا . والرسول يقرر أنه من السخافة أن نتوهم بأن « الذين رقدوا فى المسيح أيضاً هلكوا » ١ كو ١٥ : ١٨ إذاً فافسح المجال لتلك التعزيات التى يقدمها عهد النعمة ، والتى نجدها لدى التأمل فى حالتنا المستقبلة ، والمجد العتيد أن يستعلن .

والآن ، هل يمكن أن يخطر بالبال أن كلمة معزية كهذه تخرج من فم الرب يسوع يستهزأ بها كما حدث فعلا ؟ « **فضحكوا عليه** » . كان هؤلاء القوم ــ وهم يعيشون فى كفر ناحوم ــ يعرفون أخلاق المسيح ، و يدركون أنه لم يقل كلمة غير حقيقية أو ليست فى محلها ، ولم يتعجل فى النطق بأية كلمة ، و يدركون مقدار الأعمال العظيمة التى فعلها . لذلك فإن لم يدركوا ما قصده بهذه الكلمة كان الواجب على الأقل أن يصمتوا انتظاراً للنتيجة .

(ملاحظة) إن كانت أعمال وأقوال المسيح غير مفهومة فانها يجب أن لا تحتقر لهذا السبب . بل يجب أن نخشع أمام غموض الأقوال الالهية حتى إذا بدت بأنها تناقض ما نحن واثقون منه كل الثقة .

على انه حتى هذا الضحك كان عاملا على تأييد المعجزة . لأنه كان واضحاً كل الوضوح أن الصبية ميتة حتى أنه بدأ أمراً مضحكا إذا قيل شىء آخر خلاف ذلك .

(سادسا) إقامة الصبية من الموت بقوة المسيح ع ٢٥ . « أخرج الجمع » .

(ملاحظة) إن المستهزئين الذين يضحكون على ما يرون أو يسمعون مما يسمو فوق عقولهم غير جديرين بأن يشهدوا أعمال المسيح العجيبة ، التى لا تستند على المظاهر بل على القوة . لقد أقيم كل من ابن أرملة نايين ولعازر على مرأى من الجميع ، أما هذه الصبية فلم تتم إقامتها علناً ، لأن كفر ناحوم التى ازدرت بالمعجزات الأقل أهمية الخاصة باعادة الصحة لم تكن خليقة بأن ترى المعجزات الأعظم الخاصة باعادة الحياة . كان يجب أن لا تلقى هذه الدرر قدام من يدوسونها بأرجلهم .

دخل المسيح « **وأمسك بيدها** » كأنه سيوقظها ، و يعينها على الوقوف ، متابعا التشبيه الذى ذكره بأنها نائمة . لم يكن مسموحا لرئيس الكهنة (الذى كان يرمز للمسيح) بالاقتراب من الميت (لا ٢١ : ١٠ و١١) ، أما المسيح فقد لمس الموتى . كان الكهنوت اللاوى يترك الاموات فى نجاستهم ، ولذلك كان يتباعد عنهم ، لعجزه عن علاجهم . أما المسيح ، وقد كانت له قوة إقامتهم من الموت ، فانه أبعد من أن يتدنس بنجاستهم ، ولذلك لم يأنف من لمسهم.

« وأمسك بيدها **فقامت الصبية** » تمت المعجزة بكل سهولة ، و بكل قوة . لم تتم بالصلاة كما فعل إيليا (١ مل ١٧ : ٢١) واليشع (٢ مل ٤ : ٣٣) بل بلمسة . لقد أتم كل منهما هذه المعجزة كعبد ، أما المسيح فكابن ، كالله ، الذى عنده للموت مخارج مز ٦٨ : ٢٠

(ملاحظة) يسوع المسيح هو رب النفوس ، وهو يأمرها بالخروج و يأمرها بالعودة كما يشاء وأينما شاء . والنفوس الميتة روحيا لا يمكن أن تقوم للحياة الروحية إلا إذا مسكها المسيح باليد . وهذا يتم فى يوم قوته . هو يعيننا على النهوض ، وإلا ظللنا فى موتنا .

(سابعا) إذاعة خبر تلك المعجزة رغم أنها تمت سراً ع ٢٦ ، **فخرج ذلك الخبر إلى تلك الارض كلها »** . كانت موضوع حديث الجميع .

(ملاحظة) إن الكلام عن أعمال المسيح أكثر من التأمل فيها والانتفاع منها . ولاشك فى أن الذين سمعوا عن معجزات المسيح كانوا **مطالبين** بها كالذين شهدوها بأعينهم . ونحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور ولم نر معجزات المسيح ولكن بين أيدينا تاريخ موثوق به عنها ، مطالبون بقبول تعاليمه « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » يو ٢٠ : ٢٩ .

٢٧ ــ وفيما يسوع يجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان و يقولان

ارحمنا ياابن داود ٢٨ ــ ولما جاء الى البيت تقدم اليه الأعميان . فقال لهما يسوع أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا . قالا له نعم ياسيد ٢٩ ــ حينئذ لمس أعينهما قائلا بحسب ايمانكما ليكن لكما ٣٠ ــ فانفتحت أعينهما . فانتهرهما يسوع قائلا أنظرا لا يعلم أحد ٣١ ــ ولكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها ٣٢ ــ وفيما هما خارجان اذا انسان أخرس مجنون قدموه اليه ٣٣ ــ فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس . فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل ٣٤ ــ أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين .

(الاولى) تفتيح أعين أعميين ع ٢٧ ــ ٣١ . إن المسيح هوينبوع النور كما هوينبوع الحياة . وكما أنه بإقامة الموتى قد بين بأنه هوبعينه الذى فى البدء نفخ فى الانسان نسمة حياة ، كذلك بمنح البصر للعمى أظهر بأنه هو نفسه الذى فى البدء أمر بأن يشرق نور من ظلمة . لاحظ هنا .

١ ــ نداء الأعميين الحار للمسيح . لقد كان عائدا من بيت الرئيس إلى مكان إقامته ، « فتبعه » هذا الأعميان ــ كشحاذين ــ « يصرخان » صراخاً متواصلا ع ٢٧ . كان طبيعياً أن من شفى الأمراض بهذه السهولة وبهذا الاقتدار، ثم بلا أجر، يتدفق عليه المرضى . لقد ذاع عنه الخبر بأنه يشفى أمراض العيون كسائر الأمراض الأخرى . لاحظ :

(١) اللقب الذى لقبه به الأعميان « **ارحمنا ياابن داود** » . كان الوعد الذى أعطى لداود أنه من صلبه يأتى المسيا ، وكان هذا الوعد معلوما للجميع ، ولذلك كان المسيا يدعى « ابن داود » . فى ذلك الوقت كان هنالك انتظار عام لظهوره . وقد عرف هذان الأعميان أنه أتى ، واعترفا بهذا في شوارع كفر ناحوم ، واعترفا بأن هذا هو المسيا المنتظر، وهذا ما زاد فى شناعة غباوة وخطية رؤساء الكهنة والفريسيين الذى أنكروا بأنه هو المسيا وقاوموه . إنهما لم يبصراه ولا أبصرا معجزاته ، ولكن « الايمان بالخبر» (أو بالسمع) .

(ملاحظة) إن الذين تسمح إرادة الله بأن يحرموا من البصر الجسدى قد تسمح لهم نعمة الله بأن تستنير عيون أذهانهم (أف ١ : ١٨) لكى يدركوا عظائم الله التى أخفيت عن الحكماء والفهماء

(٢) طلبتها « ارحمنا » . سبق أن قيل إن ابن داود يكون رحيما (مز ٧٢ : ١٢ و١٣) وانه بأحشاء رحمته يفتقدنا المشرق من العلاء لو ١ : ٧٨ .

(ملاحظة) مهما كانت احتياجاتنا وأثقالنا فليست هنالك حاجة أو معونة أهم من أن يكون لنا نصيب في رحمة ربنا يسوع المسيح . وسواء شفانا أم لا فانه يكفينا جداً أن يرحمنا . أما كيف يرحمنا ، أو الطرق التى بها يسبغ رحمته علينا فخير لنا بل من الحكمة أن نتركها لحكمته .

لم يطلب كل واحد من أجل نفسه قائلا « ارحمنى » ، بل طلب الاثنان من أجل بعضهما البعض « ارحمنا » .

(ملاحظة) خليق بمن يشتركون فى نفس الآلام أو نفس المصيبة أن يتحدوا فى الصلاة من أجل النجاة منها . فالشركاء فى الآلام يجب أن يكونوا شركاء فى الصلاة . وفى المسيح كفاية للجميع .

(٣) لجاجتها فى هذه الطلبة « **تبعاه يصرخان** » ، يبدو أنه غض النظر عنهما فى بداية الأمر ليمتحن إيمانهما الذى كان يعرف بأنه قوى ، وأنه أراد أن يبعث الحرارة فى صلاتهما لكى يكون للشفاء قيمة أكثر مما لو أتى لمجرد الكلمة الأولى ، ثم أراد أن يعلمنا اللجاجة فى الصلاة ، وأننا ينبغى أن نصلى كل حين ولا نمل ، وأنه وإن لم تأت الإجابة فى الحال إلا أننا ينبغى أن ننتظرها ، وأن نتتبع العناية الالهية حتى فى خطواتها التى قد يبدو أنها تغافلت عن صلواتنا أو انها تناقضها . لم يشأ المسيح أن يشفيهما علناً فى الطريق ، لأنه أراد أن يبقى خبر هذا الشفاء سراً مكنوناً ع ٣٠ ، ولكنه « **لما جاء إلى البيت** » تبعاه إلى هناك ، « **وتقدما اليه** »

(ملاحظة) إن أبواب المسيح مفتوحة على الدوام للمصلين بإيمان و بلجاجة . كان يبدو أنه من السماجة أن يندفعا إلى البيت وراءه فى الوقت الذى أراد فيه أن يلجأ الى الراحة ، ولكن رقة المسيح رحبت بهما بقدر جسارتهما .

٢ ــ الاعتراف بالايمان الذى انتزعه المسيح منهما فى هذه المناسبة . حينما تقدما اليه لطلب الرحمة سألهما « **أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟** »

(ملاحظة) إن الايمان هو أعظم شرط للحصول على نعم المسيح ، وعلى الذين يريدون أن ينالوا رحمة المسيح أن يؤمنوا ايماناً وطيداً فى قدرته . . ولنكن واثقين تماما أنه يقدر أن يفعل ما نريده منه .

لقد تبعاه ، تبعاه يصرخان ، ولكن السؤال الجوهرى هو « أتؤمنان » . قد تبعث الطبيعة

علـى اللجاجـة ، ولكـن الـنـعـمة فقط هى التى تبعث الايمان ، والبركات الروحية لا تنالها إلا بالايمـان . لقد أظهرا إيمانهما فى وظيفة المسيح « كابن داود » ، وفى رحمته . ولكن المسيح يتطلب أيضاً اعترافا بالايمان فى قدرته « أتؤمنان أنى أقدر» .

(ملاحظة) يريد المسيح أن ينسب اليه كل فضل قدرته ممن يريدون الانتفاع بها .

« أتومـنـان أنـى أقدر أن أفـعـل هـذا » ، أن أمـنح هذه الهبة ، أن أعطى البصر للعميان كقدرتى على شفاء المفلوجين وإقامة الموتى ؟ .

(مـلاحظة) جميل جداً أن نكون محددين فى ممارسة الايمان ، وأن نطبق اعتقادنا فى قدرة الله وإرادتـه الـصـالـحـة والمواعيد العامة على احتياجاتنا الخاصة . « كل الأشياء تعمل معاً للخير» إذاً فهذا الظرف بالذات يعمل للخير إن كانت كل الأشياء تعمل للخير.

« أتـؤمـنـان أنـى أقـدر أن أفـعل هذا » لا كنبى بل بقوتى الشخصية ، وهذا مما يدل على إيمـانهما فـى المـسيح ، ليس على أساس أنه « ابن داود » فقط بل انه « ابن الله » ، لأن امتياز الله هـو أن « يـفـتـح أعين الـعمى » مز ١٤٦ : ٨ ، وهو الذى يعطى البصيرة خر ٤ : ١١ . كان أيوب « عيوناً للعمى » أى ٢٩ : ١٥ ، كان لهم عوضاً عن العيون ، ولكنه لم يمكنه أن يهبهم عيونا .

لا يـزال هذا السؤال يوجه الينا « أتؤمن أنى أقدر أن أفعل هذا » بقوته وفضل شفاعته فى السماء ، وبـعـمـل الـروح الـقدس وقوة النعمة فى القلب ، و بفضل سلطانه على العالم ؟ والايمان بقدرة المسيح ليس معناه الثقة فيها ، بل أيضا تسليم ذواتنا لها ، وتشجيع أنفسنا بها .

وقد كـانـت إجـابـة الأعـمـيين عـلى هذا السؤال سريعة ودون أى تردد « **قالا له نعم ياسيد** » . رغـمـاً عـن أنـه عـلـق نـفـسيهما قليلا ولم يفتحهما فى الحال فانهما نسبا ذلك لحكمته لا لضعفه ، وظلا واثقين فى قدرته .

(مـلاحظة) إن كنوز الرحمة المودعة فى قدرة المسيح مذخرة لخائفيه المتكلين عليه مز ٣١ : ١٩ .

٣ ـــ الـشـفـاء الـذى صـنـعـه المسيح معهما « **حينئذ لمس أعينهما** » ع ٢٩ . لقد فعل هذا لتقوية ايمانهما الذى امتحنه بابطائه . ولكى يبين أنه يهب البصر للنفوس العمياء بنعمته التى ترافق الـكـلـمـة ، وأنـه يـكـحـل الأعين بكحل : ثم أنه علق الشفاء على ايمانهما « **بحسب ايمانكما ليكن لكما** » حينما التمسا الشفاء سأل عن ايمانهما ع ٢٨ « أتومنان أنى أقدر» . لم يستعلم عن ثروتهما ، عما إذا كـانـا يقدران أن يدفعا أتعاب الشفاء ، ولم يستعلم عن مركزهما الاجتماعى ليعرف إن كانت

شهرته ستزداد انتشاراً بشفائها . بل استعلم عن إيمانها والآن وقد اعترفا بإيمانها فإنه يشير الى هذا و يعلق الشفاء عليه : أنا أعلم انكما تؤمنان فعلا ، ولذا فإن قدرتى التى تؤمنان بها ستعمل فيكما « بحسب إيمانكما ليكن لكما » . وهذه تعبر عن :

(١) علمه بإخلاصها فى إيمانها ، وقبوله له ، واستحسانه إياه .

(ملاحظة) إنها لتعزية كبرى للمؤمنين الحقيقيين أن يسوع المسيح يعرف إيمانهم و يسر به . إنه يعرفه ولو كان ضعيفاً ، ولولم يره الآخرون ، ولو تساءلوا عنه هم أنفسهم .

(٢) إصراره على ضرورة إيمانهما . إن كنتما تؤمنان فخذا ما طلبتماه .

(ملاحظة) ان الذين يلجأون ليسوع المسيح يعاملهم حسب إيمانهم . لا حسب ظنونهم ، ولا حسب مظاهرهم ، بل حسب إيمانهم . وهذا معناه أن عديمى الايمان يجب أن لا يتوقعوا بأن ينالوا رحمة من الله ، أما المؤمنون الحقيقيون فليتيقنوا بأنهم ينالون كل النعم المقدمة فى الانجيل ، وتعزياتنا تزداد وتنقص حسبما يكون إيماننا قوياً أو ضعيفاً . نحن لم يضيق علينا فى المسيح ، فلماذا نضيق على أنفسنا .

٤ ــ الوصية التى أوصاهم بها ليحفظوا الأمر سراً ع ٣٠ « **أنظرا لا يعلم أحد** » . لقد أوصاهم هذه الوصية :

(١) لكى يعطينا مثالا فى الوداعة وتواضع القلب ، اللتين اراد أن نتعلمهما منه

(ملاحظة) فى أعمال الخير التى نفعلها ينبغى أن لا نطلب مدح أنفسنا بل مجد الله فقط . ينبغى أن يكون اهتمامنا أن نكون نافعين لا أن يعرف ذلك عنا الآخرون ام ٢٠ : ٦ ، ٢٥ : ٢٧ . هكذا دعم المسيح القاعدة التى قدمها إلينا « لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك » .

(٢) و يظن البعض أن رغبة المسيح فى إبقاء الأمر سراً تبين استياءه من أهل كفر ناحوم الذين رأوا آيات كثيرة ومع ذلك لم يؤمنوا

(ملاحظة) ان إسكات الذين يجب أن يذيعوا أعمال للمسيح دينونة لأى مكان أو أى شعب . ومن العدل أن يحرم المسيح من يصرون على عدم ايمانهم من وسائط الاقناع ، ويمنع النور عمن يغمضون عيونهم عنه .

(٣) وقد فعل ذلك بحكمة لسلامته ، لأنه كان كلما ذاع اسمه بين اليهود ازداد حسد

(٤) و يعلل البعض ذلك تعليلا آخر جديراً بالتأمل قائلين ان السبب فى اخفاء المسيح لمعجزاته بعض الأحيان ، وأمره لتلاميذه فيا بعد بعدم اذاعة شيء عن التجلي ، هو أنه أراد أن لا تعطى الفرصة لليهود للتمادى فى غرورهم الباطل بأن مسيا يجب أن يكون ملكا زمنياً ، الأمر الذى يعطى الفرصة للشعب لاقامة مملكته بالفتن والثورات كما حاولوا مرة أن يفعلوا يو ٦ : ١٥ . ولكن بعد اقامة مملكته الروحية بعد قيامته (التى كانت الدليل الكامل على رسالته) فإن ذلك الخطر كان قد زال ، ولذلك وجب اذاعة هذه الآيات بين كل الشعوب . و يلاحظ هؤلاء المفسرون ان الآيات التى صنعت بين الأمم والجدر يين قد صدرت الأوامر بإذاعتها ، لأن ذلك الخطر لم يكن قائماً بينهم

على أن الكرامة كالظل الذى ان كان يتباعد عمن يتبعه فإنه يتبع من يتباعد عنه ع ٣١ « **ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها** » . وكان الدافع إلى هذا غيرتهما المتأججة لا الحكمة ورغماً عن انه يمكن التماس العذر لهما لأن الباعث كان رغبتهما فى إكرام المسيح ، إلا أنهما لا يمكن تبر يرهما فى هذا العمل الذى كان مناقضا لوصية صريحة . حينما نعترف فى أى وقت بأن وجهة نظرنا وقصدنا هما لمجد الله فينبغى أن نحرص كل الحرص على أن يكون التصرف وفق مشيئة الله .

(الثانية) شفاء « **أخرس مجنون** » . وهنا نلاحظ :

١ ــ حالته ، التى كانت سيئة جداً . كان تحت سلطان الشيطان الذى أعجزه عن الكلام ع ٣٢ . تأمل فى مصائب هذا الدهر ، وكيف تتنوع بلايا المتألمين . فإننا لا نكاد ننتهى من قراءة حادث الأعميين حتى نلتقى بحادث الأخرس . أى شكر ينبغى أن نؤديه لله من أجل نعمة البصر ونعمة الكلام . تأمل فى خبث الشيطان نحو البشر ية ، وكيف يظهره بطرق منوعة . كان خرس هذا الانسان نتيجة جنونة . ولكن كان خيراً له أن يعجز عن التكلم من أن يدفع بأن يقول كأولئك المجنونين « ما لنا ولك » ص ٨ : ٢٩ . فإن الشيطان الأخرس أهون شراً من الشيطان المجدف . حينما يتملك الشيطان شخصاً فإنه يخرسه عن الخير، يخرسه عن الصلاة والتسبيح اللتين يبغضهما الشيطان بغضة تامة . هذا البائس المسكين « **قدموه اليه** » إلى المسيح الذى لم يرحب فقط بمن تقدموا اليه بإيمانهم و بأنفسهم ، بل أيضاً بأولئك الذين قدموا اليه بأصدقائهم و بإيمان غيرهم . ومع أن « البار بالايمان يحيا » حياة أبدية إلا أن المراحم الزمنية يمكن أن تسكب علينا بالنظر لإيمان الذين يتشفعون فينا . لقد قدموه إليه « فيما هما (الأعميان) خارجان » . تأمل كيف كان المسيح لا يمل ولا يكل من عمل الخير، كيف كان الاحسان فى إثر الاحسان . فيه مذخر

كنوز من الرحمة ، الرحمة العجيبة . من هذه الكنوز يمكن أن نغترف البشرية دون أن تنفد

٢ ــ شفاؤه ، الذى تم فجأة « **فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس** »

(ملاحظة) إن شفاء المسيح يستأصل الداء من أساسه ، و يقضى على النتيجة بالقضاء على السبب . فقد انفتحت شفتا الأخرس بتحطيم قوة الشيطان على النفس . وفى تقديس النفس يبرىء المياه بإلقاء ملح فى الينبوع . حينما يخرج المسيح الشيطان من النفس بنعمته يتكلم الأخرس فى الحال . فحينما تجدد بولس قيل عنه « هوذا يصلى » ، إذن فالأخرس تكلم .

٣ ــ نتائج هذا الشفاء .

(١) « **فتعجب الجموع** » . رغماً عن أن القليلين آمنوا ، إلا أن الكثير تعجبوا . إن احساس التعجب يظهر فى عامة الشعب أسرع من أى احساس آخر . سبق بأن تنبىء أن « ترنيمة جديدة » ، أى ترنيمة العهد الجديد ، ينبغى أن ترنم للرب « لأنه صنع عجائب » مز ٩٨ : ١ . لقد قالوا « **لم يظهر قط مثل هذا فى إسرائيل** » . **ولذلك لم يظهر مثل هذا قط فى غير إسرائيل ، لأنه لم ير أى شعب آخر أعمالا عجيبة من أعمال الرحمة كما رأى إسرائيل . سبق أن وجد فى إسرائيل من اشتهر بعمل المعجزات ، أما المسيح فقد فاق الجميع . كانت المعجزات التى صنعها موسى تمس إسرائيل كشعب ، أما معجزات المسيح فكانت تمس أفراداً معينين .**

(٢) « **أما الفريسيون** » فجدفوا ع ٣٤ . حينما عجزوا عن أن يقفوا فى وجه أدلة هذه المعجزات المقنعة نسبوها إلى الشيطان ، كأنها قد صنعت بالتواطؤ مع الشيطان . « **فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين** » . وهذا تفكير من أحط ما يمكن تصوره ، وسوف نتأمل فيه بأكثر توسع فيما بعد ، ونتأمل فى رد المسيح عليه ص ١٢ : ١٥ ، ولكن لنلاحظ هنا فقط كيف أن « الناس الأشرار المزورين سيتقدمون إلى أردأ » ٢ تى ٣ : ١٣ . وهذه هى خطيتهم كما أنه هو قصاصهم . إن اعتراضاتهم على المسيح من أجل إظهار سلطانه لمغفرة الخطايا ع ٣ ، واختلاطه بالعشارين والخطاة ع ١١ ، وعدم الصوم ع ١٤ ، كان لها صورة التقوى والطهارة والغيرة ، وإن كانت تافهة فى حد ذاتها . أما هذا الاعتراض (الذى أسلموا له قصاصاً لهم على الاعتراضات السابقة) فإنه لا يدل على شىء سوى الخبث والضلال والعداوة الجهنمية فى أقصى درجاتها . إنه شيطانى محض ، ولذلك كان من العدل أن يقال عنه انه لا يغتفر . لأن الجموع تعجبوا فيجب أن يقول الفريسيون شيئاً يحقر من شأن المعجزة ، وهذا كل ما استطاعوا قوله

٣٥ ــ وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها .

ويكرز ببشارة الملكوت . ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب ٣٦ ــ ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها ٣٧ ــ حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون ٣٨ ــ فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده

وهنا نجد :

(أولا) خاتمة للوصف السابق عن تعليم المسيح ومعجزاته ع ٣٥ « **وكان يطوف المدن كلها والقرى يعلم ويكرز**» . وهذه تقريباً نفس الآية التى سبق أن رأيناها فى ص ٤ : ٢٣ . كانت تلك الآية (٤ : ٢٣) ممهدة لما دون عن تعاليم المسيح الممتازة (ص ٥ ــ ٧) وآيات الشفاء التى صنعها (ص ٨ و٩) . وهنا تكرر بكل كياسة فى ختام تلك التعاليم وهذه الآيات لزيادة التأكيد ، كأن الانجيلى أراد أن يقول « إننى أرجو الآن بعد ذكر كل هذه التفاصيل أن أكون قد وضحت الأمر جلياً بأن المسيح علم وشفى . لأننى قد دونت لكم بعضاً من عظاته وقليلا من حوادث الشفاء التى أجراها ، وهذه وتلك قد تمت برهاناً على صدق تعاليمه . « وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا » يو ٢٠ : ٣١

يظن البعض أن هذه كانت جولة ثانية فى الجليل كالأولى ، وانه افتقد ثانية أولئك الذين سبق أن كرز بينهم . ورغما عن أن الفريسيين اعترضوا عليه وقاوموه فإنه استمر فى عمله ، وكان « **يكرز ببشارة الملكوت** » . لقد سبق أن أخبرهم عن ملكوت النعمة والمجد والآن يدخلهم فى ملكوت وسيطهم ، هذه بشارة فعلا ، بشارة طيبة أخبار مفرحة عن فرح عظيم .

لاحظ كيف كان المسيح فى تعليمه يشير:

١ ــ للمدن المجهولة . إنه لم يذهب فقط للمدن العظيمة والغنية بل أيضا للقرى الوضيعة المجهولة ، هنالك علم شفى « **وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى** » إن نفوس أكثر الناس احتقاراً من العالم ثمينة جداً فى عينى المسيح ــ وينبغى أن تكون كذلك فى أعيننا ــ كنفوس أعظمهم عزاً وجاهاً . « الغنى والفقير يتلاقيان » فى المسيح (أم ٢٢ : ٢) ، ساكن المدينة وساكن القرية .

٢ ــ للعبادة الجمهورية . فقد كان « **يعلم فى مجامعها** » .

(١) لكى يشهد لضرورة الاجتماعات العامة حتى ولو كان فيها شىء من الفساد « غير

تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة » عب ١٠ : ٢٥

(٢) لكى تكون له فرصة الكرازة هناك ، حيث يجتمع الشعب ليسمع . وحتى بعد تأسيس الكنيسة المسيحية ، وتشييد أماكن العبادة المسيحية ، فإن الرسل كثيراً ما كانوا يعلمون فى مجامع اليهود . إن حكمة الرجل العاقل هى التى تجعله ينتفع بكل ما بين يديه .

(ثانيا) مقدمة للاصحاح التالى بخصوص إرسال تلاميذه للكرازة . أنه « **رأى الجموع** » ع ٣٦ ليس فقط الجموع التى تبعته ، بل أيضاً الجماهير الكثيرة التى رأى أنها سوف تعمر البلاد . رأى كيف تغص المدن والقرى بالجموع ، كيف كان كل مجمع يكتظ بالكثيرين ، وكيف كانت الجماهير الغفيرة تتجمع عند الأبواب . كانت الأمة قد تكاثر عددها جداً فى ذلك الوقت ولم يكن هذا سوى نتيجة بركة الله لابراهيم .. وإذ رأى المسيح الجموع :

١ ــ أشفق عليهم وعنى بأمرهم ع ٣٦ : « **تحنن عليهم** » لا من الناحية الجسدية كما تحنن على العمى والعرج والمرضى ، بل من الناحية الروحية . عز عليه أن يراهم جهلاء ، غير مكترثين ، مشرفين على الهلاك بسبب عدم البصيرة .

(ملاحظة) إن يسوع المسيح صديق عطوف شفوق يتحنن على النفوس العزيزة . هنا تحن أحشاؤه بصفة خاصة ، وأن شفقته على النفوس هى التى جاءت به من السماء الى الأرض ، وهى التى رفعته من الأرض إلى الصليب . والبؤس هو الدافع للرحمة . وأشد بؤس هو بؤس النفوس الخاطئة التى تدمر نفسها بنفسها . وشفقة المسيح تزداد نحو من تقل شفقتهم بأنفسهم . وهذا ما ينبغى أن يكون موقفنا نحن أيضاً . وأعظم شفقة مسيحية هى الشفقة بالنفوس . هكذا كان يفعل المسيح .

أنظر ما الذى بعث على هذه الشفقة .

(١) إنهم « **كانوا منزعجين** » مهمومين ، متألمين ، مثقلين . كانوا « ضالين » كما يترجمها البعض ، انحلت الربط بعضهم من بعض وقصفت عصا الاخاء زك ١١ : ١٤ . كانوا فى أشد الحاجة لاغاثة نفوسهم ، ولم يكن هنالك من يصلح لهذا . لقد ملأهم الكتبة الفريسيون بالآراء الباطلة ، وثقلوهم بتقليد الشيوخ ، ودفعوهم إلى أخطاء فاحشة كثيرة ، ولم يعلموهم واجباتهم ، ولم يرشدوهم إلى مدى الناموس الالهى أو طبيعته الروحية . ولذلك أصبحوا « منزعجين » (أو « خائرى القوى » حسب الترجمة الانكليزية ، أو « معذبين » حسب ترجمة اليسوعيين) لأنه أية صحة روحية أو حياة أو قوة يمكن أن تكون فى تلك النفوس التى تفتات بالخرنوب والرماد بدلا من خبز الحياة ؟ إن كانت النفوس العزيزة لا تتغذى بكلمة الحق تخور

قواها أمام الواجبات التي ينبغي أن تؤديها ، والتجارب التي يتحتم مقاومتها ، والآلام التي يجب تحملها .

(٢) وكانوا « منطرحين كغنم لا راعي لها » هذا التعبير مقتبس من ١ مل ٢٢ : ١٧ وهو يمثل لنا الحالة الأليمة للمحرومين من مرشدين مخلصين أمناء لارشادهم في الناحية الروحية . لا توجد خليقة أكثر عرضة للتية من الغنم ، وإذا ضلت فلا يوجد أضعف منها ، إذ تصبح عديمة الحيلة ، عرضة للأخطار ، لا تعرف كيف تعود الى حظيرتها . والنفوس الخاطئة ، كالغنم الضالة ، تحتاج الى رعاة لتردها . أدعى معلمو اليهود وقتئذ أنهم رعاة ، ومع ذلك قال المسيح عن اليهود « لا راعي لهم » ، لأن أولئك الرعاة كانوا كالعدم ، بل أشر من العدم ، كانوا رعاة كسالى ، يبددوهم بدلا من أن يردوهم ، أكلوا الشحم ولبسوا الصوف وذبحوا السمين ولم يرعوا الغنم . فانطبق عليهم الوصف الوارد في أر٢٣ : ١ الخ ، حز ٣٤ : ٢ الخ .

(ملاحظة) إن حالة من لا رعاة لهم على الاطلاق ، أو لهم رعاة أشرار لا يبالون بما للمسيح وبالنفوس بل بأنفسهم ، هي حالة تستحق العطف والرثاء .

٢ — وحث تلاميذه للصلاة من أجلهم . إن شفقته دفعته لتدبير بعض الوسائط لخير هذه الجموع . يبدو مما ورد في لو٦ : ١٢ و١٣ أنه في هذه المناسبة قضى وقتاً طويلا في الصلاة قبل إرسال تلاميذه .

(ملاحظة) ينبغي أن نصلي من أجل من نشفق عليهم .

وإذ تحدث مع الله من أجلهم نراه يلتفت إلى تلاميذه ويخبرهم

(أ) بحقيقة الحالة الراهنة « **الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون** » كان الجموع يحتاجون إلى تعليم صالح ، ولكن لم يكن هنالك سوى القليل من المعلمين الصالحين .. كانت هنالك أعمال كثيرة ينبغي إتمامها ، وخير جزيل ينبغي إتمامه ، ولكنها تفتقر إلى الأيدي العاملة .

[١] كان مما يشجع أن « الحصاد كثير » . لم يكن أمراً غريباً أن تكون هنالك جماهير كثيرة تحتاج الى التعليم ، ولكن الغريب أن من كانوا في حاجة اليه كانوا يلحون في طلبه ، الأمر الذي لا يحصل كثيراً . كان الذين يتلقون تعليما سيئاً يتوقون لتعليم صالح . كانت أشواق الشعب ملتهبة ، وهذا من أكبر الأمور المطمئنة .

(ملاحظة) من النعم العظيمة أن تجد الشعب يحبون التعاليم الصالحة . عندئذ تتعطف الأودية براً (أي تمتلىء قمحاً) مز ٦٥ : ١٣ و يكون هنالك رجاء في وفرة الحصاد . هذه حاجة

ملحة وفرصة سانحة تستدعى عناية مضاعفة وحرصاً شديداً للانتفاع بها . ينبغى أن يكون يوم الحصاد يوم كد وجهاد .

[٢] وكان مؤسفاً جداً أن « الفعلة قليلون » ، أن يتناثر القمح و يتلف ، و يتعفن فوق سطح الأرض لعدم وجود الحصادين . كان مؤسفاً أن يكون المتهاونون المتكاسلون كثيرين ، أما النشطون فقليلون جداً .

(ملاحظة) مما يسيء إلى الكنيسة أن يتعطل دولاب الأعمال الصالحة ، أو يعمل متباطئاً ، بسبب افتقاره إلى عمال صالحين . وحينما تكون هذه حالتها فإن « الفعلة » الذين يكونون بها ينبغى أن يزدادوا نشاطا فى الخدمة .

(٢) بالواجب عليهم فى هذه الحالة ع ٣٨ « **فاطلبوا من رب الحصاد** » .

(ملاحظة) إن الأوقات الأليمة ، وحالة النفوس المحزنة ، و ينبغي أن تبعث على الصلاة . وعندما تبدو الأمور ميئسة فينبغي أن تزداد صلواتنا ، وعندئذ تقل شكوانا وتقل مخاوفنا .

ثم ينبغى أن تكون صلواتنا متفقة مع حالة الكنيسة الراهنة . و ينبغى أن نعرف من الظروف المحيطة ليس فقط ما ينبغى أن يفعله اسرائيل بل أيضا ما ينبغى أن يصلوا من أجله .

(ملاحظات) [١] الله هو « رب الحصاد » ، « أبى الكرام » يوحنا ١٥ : ١ . والكرم هو « كرم رب الجنود » أش ٥ : ٧ . وجمع الحصاد هو له ومن أجله ومن أجل خدمته ومجده . « أنتم فلاحة الله » ١ كو٣ : ٩ ، « يا دياستى و بنى بيدرى » أش ٢١ : ١٠ وهويرتب كل ما يتعلق « بالحصاد » حسبما يشاء ، متى وأين يعمل « الفعلة » ، ويحدد مقدار ساعات العمل . ومما يعزى كل محبى الخير للحصاد أن الله نفسه يرأس العمل ، وهو بلا ريب يرتب كل شيء على أحسن وجه .

[٢] إن الخدام هم فعلة فى حصاد الله ، ويجب أن يكونوا كذلك . فالخدمة عمل ، ويجب أن تؤدى على هذا الأساس . وهى عملية الحصاد وهذا عمل ضرورى ، عمل يتطلب أن يتم كل شيء فى وقته ، و يتطلب كل اجتهاد لكى يتم كاملا . ولكنه عمل مسر « يحصدون بالابتهاج » مز١٢٦ : ٥ ، وفرح الذين يكرزون بالانجيل يشبه « بالفرح فى الحصاد » أش ٩ : ٢ و٣ . « والحاصد يأخذ أجرة » يو٤ : ٣٦ . « وأجرة الحصادين » الذين يعملون فى حقل لا يمكن أن ترجأ كأجرة حصادى العالم يع ٥ : ٤ .

[٣] وعمل الله هو أن « يرسل فعلة » فالمسيح هو الذى يقيم الخدام أف ٤ : ١١ . هو

الذى يعين الخدمة ، و يعطى المواهب ، و يقدم الدعوة . لذلك فإن الذين يزجون بأنفسهم دون أن يعين لهم الله الخدمة ، و يعطيهم المواهب اللازمة لها ، و يقدم لهم الدعوة لا يمكن أن يعترف بهم كفعلة ، أو يعطيهم أجر الفعلة . « كيف يكرزون إن لم يرسلوا » رو ١٠ : ١٥ .

[٤] وكل الذين يحبون المسيح و يريدون خلاص النفوس يجب أن يظهروا ذلك بصلواتهم الحارة لله لكى « يرسل فعلة لحصاده » فعلة أكثر حكمة وإخلاصاً ونشاطاً ، سيا حينما يرى نتيجة خدمتهم فى تجديد الخطاة و بنيان القديسين ، لكى يهبهم روح الخدمة ، و يدعوهم اليها و ينجحهم فيها ، لكى يهبهم حكمة لربح النفوس ، لكى « يدفع (كما يترجمها البعض) « فعلة لحصاده » مما يدل على عدم رغبتهم للتقدم للخدمة بسبب ضعفهم وشر الناس ومقاومة الأعداء الذين يحاولون أن يدفعوهم عن الحصاد . ولكننا يجب أن نصلى لوضع حد لكل مقاومة من الداخل أو من الخارج .

وقد أمر المسيح أحباءه بهذه الصلاة قبل إرسال تلاميذه للحصاد مباشرة .

(ملاحظة) من أحسن العلامات على أن الله مزمع أن يسكب نعمة خاصة على شعب أن يحرك قلوب الذين لهم دالة أمام عرش النعمة لكى يصلوا من أجلها مز ١٠ : ١٧ .

لاحظ أيضاً أن المسيح قال هذا لتلاميذه الذين كانوا سيعملون كفعلة . يجب أن يصلوا :

أولا ــ لكى يرسلهم الله « هأنذا أرسلنى » أش ٦ : ٨

(ملاحظة) إن الارسال الذى يأتى نتيجة الصلاة يكون أدعى للنجاح . قيل عن بولس إنه « إناء مختار » بعد أن قيل عنه « هوذا يصلى » أع ٩ : ١١ و١٥ .

ثانياً ــ لكى يرسل آخرين أيضاً .

(ملاحظة) ليس واجباً على الشعب فقط بل على الخدام أيضاً أن يصلوا لازدياد عدد الخدام . ورغماً عن ان محبة الذات تجعل أولئك الذين يطلبون ما هو لأنفسهم يفضلون أن يكونوا وحدهم (لأنه كلما قل عدد الخدام زادت المصلحة الشخصية) فإن الذين يطلبون ما هو للمسيح يتمنون ازدياد عدد الفعلة ، لكى يتم عمل أوفر ولو نقصت مصلحتهم الشخصية .

الاصحاح العاشر

هذا الاصحاح هو بمثابة عظة الرسامة التى ألقاها الرب يسوع المسيح حينما رقى تلاميذه الاثنى عشر إلى درجة الرسولية.
نرى فى ختام الاصحاح السابق أنه قد حثهم وحث غيرهم لكى يصلوا أن يرسل الرب فعلة، وهنا نجد استجابة سريعة لهذه الصلاة، فهو يستجيب فى الوقت الذى تتكلم فيه. وكل ما نصلى لأجله حسب إرشاد المسيح يوهب لنا. هنا نجد: (١) الارسالية العامة التى كلفوا بها ع ١ (٢) أسماء الأشخاص الذين عهدت اليهم هذه المهمة ع ٢ — ٤ (٣) التعليمات التى أعطيت اليهم وهى فى غاية الأهمية (أولا) بخصوص الخدمات التى يجب أن يؤدوها، كرازتهم، عمل المعجزات، الأشخاص الذين يجب أن يتوجهوا إليهم، كيف يجب أن يتصرفوا، وبأية طريقة يتقدمون ع ٥ — ١٥ (ثانياً) بخصوص الآلام التى سيتحملونها. فيخبرهم عن الآلام التى يتحملونها وعن الأشخاص الذين يتحملونها منهم. ثم يرشدهم عن الطريق الذى يسلكونه حينما يضطهدون، ويشجعهم لتحمل هذه الآلام بالصبر ع ١٦ — ٤٢. وهذه الارشادات وإن كانت قد وجهت مبدئياً للتلاميذ إلا أنها نافعة لكل خدام المسيح الذين سوف يكون المسيح معهم بكلمته كل الأيام وإلى انقضاء الدهر.

١ — ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف ٢ — وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه: الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه. يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ٣ — فيلبس وبرثولماوس توما ومتى العشار. يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس ٤ — سمعان القانوى ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه.

فى هذه الأعداد نجد:

(أولا) من هم الذين أقامهم المسيح رسلا أو سفراء له: هم تلاميذه ع ١ «**ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر**». كان قد دعاهم قبل ذلك ببعض الوقت ليكونوا تلاميذا له، أتباعه المباشرين، وملازميه المستمرين، وكان قد وعدهم وقتئذ يجعلهم صيادى الناس، وهذا الآن يتمم وعده.

(ملاحظة) إن المسيح يهب عادة أمجاده ونعمه بالتدريج، «كنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل» أم ٤ : ١٨.

كان المسيح كل ذلك الوقت السابق محتفظاً بالاثنى عشر:

١ ـــ تحت الاختبار. رغماً عن أنه يعرف ما فى الانسان، وعرف كل ما كان بهم يو ٦ : ٧٠ إلا أنه سلك هذا الطريق ليكون قدوة لكنيسته.

(ملاحظة) إن الخدمة مهمة خطيرة، لذلك يجب أن يختبر الخادم بعض الوقت قبل أن يعهد اليه بها «ليختبروا أولا» ١ تى ٣ : ١٠ لذلك ينبغى أن لا توضع يد على أحد بالعجلة، بل ليوضع تحت الفحص والاختبار، لأن خطايا بعض الناس تتقدمهم وأما البعض فتتبعهم ١ تى ٥ : ٢٢ و٢٤.

٢ ـــ تحت الإعداد. كان فى كل ذلك الوقت يعدهم لهذا العمل العظيم.

(ملاحظة) إن الذين يختارهم المسيح لأى عمل و يدعوهم اليه يعدهم اليه أولا بالمقياس الذى يراه.

(١) وهو قد أعدهم بجعلهم معه.

(ملاحظة) إن أفضل إعداد للخدمة هو التعرف إلى المسيح والوجود معه. فعلى الذين يريدون خدمة المسيح أن يكونوا معه «إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى» يو١٢ : ٢٦. قبل أن يبشر بولس بين الأمم لم يعلن له المسيح فقط بل أيضاً أعلن فيه غل ١ : ١٦. يجب أن نحصل على هذه الشركة اللازمة للخدمة ونحتفظ بها بأعمال الايمان الحية ومداومة الصلاة والتأملات الروحية.

(٢) وتعليمهم. لقد لبثوا معه كطلبة، أو تلاميذ. وعلاوة على انتفاعهم بكرازته العامة فإنه كان يعطيهم دروساً خاصة. لقد فتح لهم الكتاب المقدس، وفتح ذهنهم لفهمه. ولهم قد أعطى أن يعرفوا أسرار ملكوت السماء، التى اعلنت اليهم بغاية الوضوح.

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يعلموا أن يتعلموا أولا. يجب أن يأخذوا لكى يعطوا. يجب أن يكونوا قادرين أن يعلموا آخرين أيضاً ٢ تى ٢ : ٢. يجب أن تعطى اليهم حقائق الانجيل أولا قبل أن يرسلوا ليكونوا خدام الانجيل. وإعطاء الناس «سلطاناً» للكرازة وهم غير قادرين على الكرازة ليس إلا استهزاء بالله و بالكنيسة، وذلك مثل «من يرسل كلاماً عن يد جاهل» أم ٢٦ : ٦. وقبل أن يرسل المسيح تلاميذه «علمهم» ص ٥ : ٢ و بعد ذلك عندما وسع مهمتهم أعطاهم تعاليم اغزرأع ١ : ٣.

(ثانيا) ماذا كانت المهمة التى عهد اليهم بها .

١ ــ إنـه « دعا » تلاميذه اليه ع ١ . لقد دعاهم فيا سبق لكى يتبعوه ، أما الآن فدعاهم ليـقـتربوا منه ، دعاهم ليزدادوا اقتراباً منه ، لتكون لهم دالة أكثر، لكى لا يكونوا بعيدين عنه فيا بعد . إن الذين يتضعون يرتفعون . كان الكهنة فى العهد القديم يقتربون من الله أكثر من الشعب ، وهـكـذا الحـال مع خدام العهد الجديد ، فإنهم مدعوون للاقتراب من المسيح ، وهذا إن كان شرفاً عظيا لهـم فـإنه يجب أن يملأهم رهبة إذ يذكرون أن المسيح يتقدس فى القريبين منه لا ١٠ : ٣ . ومما يـلاحـظ أن التلاميذ لما كانوا فى حاجة الى التعليم « تقدموا » إلى المسيح من تلقاء أنفسهم ص ٥ : ١ ، أما الآن ، وكان مزمعاً أن يرسمهم ، فقد « دعاهم » .

(مـلاحـظة) على تلاميذ المسيح أن تكون رغبتهم فى التعلم أكثر من رغبتهم فى التعليم . وان كـنـا نحس بجهلنا فعلينا أن ننتهز كل فرصة لنتعلم ، وبنفس هذا الاحساس ينبغى أن ننتظر الـدعـوة ، الدعوة الواضحة ، قبل أن نتعهد بتعليم الآخرين ، لأنه « لا يأخذ أحد هذه الوظيفة (أو « الـكرامة » حسب النص اليونانى . أنظر هامش الكتاب) بنفسه . بل المدعو من الله » عب ٥ : ٤ .

٢ ــ « **وأعـطـاهـم سـلـطـاناً** » بـاسـمه ليأمروا الناس بالطاعة . وتأييداً لهذا السلطان أعطاهم أيضاً قوة لإخراج الشياطين .

(مـلاحـظـة) إن كـل سـلـطان شرعى مستمد من يسوع المسيح . فانه قد اعطى اليه كل سلطان بدون تحديد « والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله » رو١٣ : ١ .

وقـد خـلـع المـسيـح بـعضاً من كرامته على خدامه كما خلع موسى بعضاً من كرامته على يشوع .

(ملاحظة) من أقوى الأدلة على ملء السلطان الذى استخدمه المسيح كوسيط أنه وهب جزءاً مـن سـلـطـانـه لمن استخدمهم ، وجعلهم قادرين على أن يعملوا باسمه نفس الآيات التى عملها هو.

ثم إنه أعطاهم سلطاناً **على أرواح نجسة** » وكذلك على « **كل مرض** » .

(ملاحظة) إن القصد من خدمة الانجيل هو قهر الشيطان وشفاء العالم .

أرسـل هـؤلاء المـعـلـمـون وهم خلو من كل المظاهر الخارجية لتزكيتهم . كانوا خالين من

الشروة ، والعلم ، وألقاب الشرف . وكان مظهرهم وضيعاً جداً . لذلك كان لابد من أن يعطوا سلطاناً غير عادى لتمييزهم عن الكتبة .

(١) « أعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها » .

(ملاحظة) إن السلطان المعطى لخدام المسيح موجه مباشرة إلى الشيطان ومملكته . وإن الشيطان كروح نجس ينفث سمومه فى التعاليم المضلة رؤ ١٦ : ١٣ والنجاسة الفعلية ٢ بط ٢ : ١٠ . وقد أعطى للخدام السلطان لمهاجمة الشيطان فى كل من هاتين الناحيتين . وإن كان المسيح قد أعطاهم السلطان لإخراج الشيطان من أجساد البشر فلم يكن ذلك إلا علامة على ما أعطوا من سلطان لهدم مملكته الروحية وكل أعمال ابليس ، الأمر الذى لأجله أظهر ابن الله ١ يو ٣ : ٨ .

(٢) وأعطاهم سلطاناً لكى « **يشفوا كل مرض** » خولهم عمل المعجزات تأييداً لتعليمهم ، ليثبتوا أن هذا التعليم من الله ، فكان عليهم أن يجروا معجزات نافعة إثباتاً لتعليمهم لكى يبرهنوا أن التعليم ليس صادقا فقط بل أيضاً مستحقاً لكل قبول ، وأن غاية الانجيل هى الشفاء والخلاص . كان الكثير من معجزات موسى للهدم والتدمير ، والمعجزات التى ادعاها البعض كانت للتظاهر. أما المعجزات التى أجراها المسيح وأمر رسله بإجرائها فكانت كلها للبنيان ، وكانت كلها تبين أنه ليس فقط المعلم الأعظم ، بل أيضا مخلص العالم . لاحظ مدى ذلك السلطان : « كل مرض وكل ضعف » بدون استثناء حتى الأمراض التى تعتبر غير قابلة للشفاء ، والتى يعجز فيها الأطباء .

(ملاحظة) فى نعمة الانجيل يوجد بلسان لكل الجروح ودواء لكل الأمراض والقروح . ومهما كانت الأمراض الروحية خبيثة أو مستعصية فان فى قدرة المسيح ما يكفى للبرء منها . إذاً فينبغى أن لا نقول بأنه لا يوجد رجاء . أو أن الجرح متسع جداً وغير قابل للشفاء .

(ثالثا) عدد وأسماء الذين أرسلوا ، الذين أقيموا رسلا ، أى مرسلين أو سفراء . كلمتا « الملاك » و « الرسول » يعبران عن شىء واحد ، عن شخصية أرسلت فى مهمة معينة ، أو سفير . كل الخدام الأمناء مرسلون من المسيح . على أن الذين أرسلوا أولا ، الذين أرسلوا منه مباشرة ، دعوا بصفة خاصة « رسلا » رؤساء الوزارات فى مملكته . على أنهم لم يكونوا وقتئذ إلا أطفالا فى رسوليتهم ، ولم يصلوا إلى درجة الرسولية الكاملة إلا عند صعود الرب إلى السماء ، فإنه « إذ صعد الى العلاء ... أعطى البعض أن يكونوا رسلا » أف ٤ : ٨ و١١ . والمسيح نفسه دعى رسولا (عب ٣ : ١) لأنه أرسل من الآب وهكذا أرسل تلاميذه يو ٢٠ : ٢١ . والأنبياء دعوا مرسلى الله .

١ ــ كان عددهم إثنى عشر، إشارة إلى أسباط إسرائيل، و بنى يعقوب الذين كانوا رؤساء هذه الأسباط. ينبغى أن تكون كنيسة العهد الجديد هى إسرائيل الله، و ينبغى دعوة اليهود اليها أولا، و ينبغى أن يكون الرسل آباء روحيين، يلدون نسلا للمسيح. ينبغى أن يرفض إسرائيل حسب الجسد لعدم أمانتهم. لذلك أقيم هؤلاء الاثنا عشر لكى يكونوا آباء لإسرائيل جديد. ينبغى أن يدين هؤلاء الاثنا عشر بتعليمهم أسباط إسرائيل الاثنى عشر لو ٢٢ : ٣٠. كان هؤلاء هم الاثنا عشر كوكباً المكونون لإكليل الكنيسة رؤ ١٢ : ١ وأساسات أورشليم الجديدة الاثنا عشر رؤ ٢١ : ١٢ و١٤ وكان يرمز إليهم الاثنا عشر حجراً كريما التى كانت توضع على صدرة هرون، والاثنا عشر قرصاً التى كانت توضع على مائدة خبز الوجوه، والاثنا عشر عين ماء التى وجدت فى ايليم. كان هؤلاء هم المحلفون (وقد أضيف إليهم بولس ليزدادو قوة) الذين وقفوا بين ملك الملوك و بين الجنس البشرى. وفى هذا الاصحاح نجد أن المهمة تعهد اليهم من ذاك الذى أعطيت اليه كل الدينونة.

٢ ــ وهنا سجلت أسماؤهم، وكان ذلك شرفاً عظيما لهم. على أنهم كان ينبغى أن يفرحوا بالأحرى أن أسماءهم كتبت فى السماوات لو ١٠ : ٢٠ بينما دفنت فى التراب أسماء عظماء وأبطال الأرض. لاحظ هنا :

(١) إنه يوجد بين هؤلاء الإثنى عشر رسولا من لا نعرف عنهم شيئا من الكتاب المقدس سوى أسمائهم مثل برثولماوس، وسمعان القانوى، ومع ذلك كانوا خدام أمناء للمسيح وكنيسته.

(ملاحظة) ليس كل خدام المسيح متساوين فى الصيت، وليس كل أعمالهم متساوية فى الشهرة.

(٢) إن أسماءهم ذكرت اثنين اثنين، لأنهم أرسلوا فى أول الأمر اثنين اثنين، «فاثنان خير من واحد» جا ٤ : ٩ إذ أن كلا منهما يفيد الآخر، و باتحادهما يصيران أكثر نفعاً فى خدمة المسيح وربح النفوس. ما ينساه الواحد يذكره الآخر. وعلى فم شاهدين تقوم كل كلمة. كان ستة منهم كل اثنين إخوة : بطرس وأندراوس، يعقوب و يوحنا، يعقوب الآخر ولباوس.

(ملاحظة) ينبغى الاحتفاظ بالصداقة والمودة بين الأقرباء، والانتفاع بها فى الناحية الروحية. وكم هو جميل جداً إن كان الإخوة بالجسد يصبحون إخوة بالروح. وإن كانت كل من هاتين الصلتين تقوى الأخرى.

(٣) إنه ذكر إسم «**بطرس**» أولا، أنه أول من دعى لاتباع المسيح أولأنه كان هو أكثرهم إقداما، وكان فى مناسبات كثيرة يتحدث نيابة عنهم، ولأنه كان مزمعاً أن يصير رسول

الختان . على أن هذا لم يكسبه سلطة فوق الباقين ، كما أنه لا تشتم من هذا أية رائحة للرئاسة التى خلعها عليه البعض ، أو انه طالب بها فى هذه الجامعة المقدسة .

(٤) وذكر إسم « **متى** » (كاتب هذه البشارة) مقترنا باسم « **توما** » ع ٣ ولكن باختلاف (فى ناحيتين) مع ما ورد فى مرقس ٣ : ١٨ ، لوقا ٦ : ١٥ . ففى كل من هذين الانجيلين ذكر اسم متى أولا ، و يبدو من ذلك أن متى دعى قبل توما . أما هنا (فى إنجيل متى) فقد وضع إسم توما أولا فى القائمة التى دونها بيده .

(ملاحظة) خليق بتلاميذ المسيح أن يقدموا بعضهم بعضاً فى الكرامة .

الناحية الثانية أن كلا من مرقس ولوقا دعاه « متى » أما هنا فانه يدعو نفسه « **متى العشار** » جابى المكوس ، أو محصل الضرائب أو الجمارك . الذى دعى من هذه المهنة المعيبة ليكون رسولا .

(ملاحظة) جدير بمن نالوا من المسيح كرامة مضاعفة أن ينظروا إلى الصخر الذى منه قطعوا ، وأن يذكروا دواماً حالتهم السابقة قبل دعوة المسيح إياهم ، لكى بذلك يحتفظوا بتواضعهم ، ولكى تزداد النعمة الإلهية مجداً . كان متى الرسول هو متى العشار .

(٥) إن سمعان دعى « **القانوى** » نسبة إلى قانا الجليل التى ولد فيها على الأرجح ، أو سمعان « الغيور » التى يظن البعض أنها هى ما تعنيه لفظة « القانوى » (١) .

(٦) إن « **يهوذا الأسخر يوطى** » يذكر فى النهاية دواماً ، و يذكر مقترناً بوصمة العار هذه « **الذى أسلمه** » ، الأمر الذى يدل على أن المسيح عرف من البداءة مقدار تعاسته ، وأن به شيطاناً ، وأنه سوف يسلمه . ومع ذلك اختاره المسيح بين الرسل لكى لا يكون أمراً مدهشاً للكنيسة أو ميئساً لها إذا ارتكبت أقبح الرذائل يوما ما وسط أقدس الهيئات . مثل هذه الصخور كثيراً ما وجدت فى ولائمنا المحبية ، ووجد الزوان وسط الحنطة ، والذئاب وسط الخراف . على أنه لابد أن يأتى اليوم الذى يكشف فيه كل شىء ، و يعزل المراؤون . ثم إن وجود يهوذا بين الا ثنى عشر رسولا لم يحقر من شأن الرسولية ولم يقلل من قيمة زملائه طالما كان شره مختفيا ولم يظهر بعد .

---

(١)لفظة قانوى لا تشير الى موضع بل هى كلمة كلدانية معناها غيور (قاموس الكتاب المقدس)

٥ ــ هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ٦ ــ بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ٧ ــ وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات ٨ ــ أشفوا مرضى . طهروا برصاً . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا ٩ ــ لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ــ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق أجرته ١١ ــ وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق . وأقيموا هناك حتى تخرجوا ١٢ ــ وحين تدخلون البيت سلموا عليه ١٣ ــ فان كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه . ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم اليكم ١٤ ــ ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم ١٥ ــ الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة .

وهنا نجد التعليمات التى أعطاها المسيح لتلاميذه عندما عهد اليهم بهذه المهمة . وسواء أعطيت اليهم هذه التعليمات فى حديث واحد أو على جملة مرار فان ذلك ليس ذا أهمية . بهذه التعليمات « **أوصاهم** » . لما بارك يعقوب بنيه قيل بأنه « أوصاهم » ، ولما أوصى المسيح تلاميذه بهذه الوصايا أمر لهم بالبركة . لاحظ هنا :

(أولا) الأشخاص الذين أرسلهم اليهم . صدرت التعليمات لهؤلاء السفراء عن الأمكنة التى يتوجهون إليها .

١ ــ أن لا يذهبوا إلى الأمم أو السامريين . « **إلى طريق أمم لا تمضوا** » أو إلى أى طريق خارج عن أرض إسرائيل ، مهما كانت الاغراءات . يجب أن لا يدفع الانجيل للأمم إلا بعد أن يرفضه اليهود . أما السامريون الذين كانوا هم البقية الباقية من ذلك الشعب الخليط الذى وضعهم ملك أشور فى السامرة فإن مملكتهم كانت تقع بين يهوذا والجليل ، لذلك لم يكن ممكناً تجنب الطريق إلى السامرة ، ولكنهم صدر اليهم الأمر « **وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا** » .

لقد أبى المسيح إعلان نفسه للأمم أو للسامريين ، لذلك وجب على الرسل أن لا يكرزوا بينهم . إذا رفض أى مكان إنجيل المسيح فان المسيح يرفض إعلان نفسه إليه . على أن هذا المنع لم يكن إلا فى إرساليتهم الأولى ، ولكنهم بعد ذلك صدر إليهم الأمر أن يذهبوا إلى العالم أجمع و يعلموا كل الأمم .

٢ ـ « **بل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** » . إليهم وجه المسيح خدمته ص ١٥ : ٢٤ . لأنه كان « خادم الختان » رو ١٥ : ٨ لذلك كان يجب أن يوجه الرسل (أتباعه وسفراؤه) كل خدمتهم إليهم . يجب أن تبذل الجهود الأولى للخلاص نحو اليهود أع ٣ : ٢٦ .

(ملاحظة) لقد عنى المسيح عناية خاصة ببيت إسرائيل ، « فهم أحباء من أجل الآباء » رو ١١ : ٢٨ . كان ينظر إليهم بعطف كخراف ضالة ، يجب أن يجمعهم ـ كراع ـ من طرق الشر والخطية التى انحرفوا اليها ، والتى إن لم يرجعوا منها ضلوا إلى النهاية أنظر أر ٢ : ٦

كان الأمم أيضاً خرافاً ضالة ١ بط ٢ : ٢٥ . وقد لقب المسيح أولئك الذين أرسلوا إليهم بهذا اللقب لكى يزيدهم نشاطاً فى خدمتهم ، فإنهم أرسلوا الى بيت إسرائيل (الذين كانوا فى عداده منذ عهد قريب) الذين يجب أن يُشفقوا عليهم و يظهروا كل الاستعداد لإغاثتهم .

(ثانيا) خدمة الكرازة التى عينها لهم . انه لم يرسلهم دون أن يحملهم رسالة معينة . كلا ، فإنه قال لهم « **وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا** » ع ٧ . كان يجب أن يكونوا مبشرين متجولين . وحيثما ذهبوا كان يجب أن ينادوا ببداءة الانجيل قائلين « **قد اقترب ملكوت السموات** » . وليس هذا معناه أن لا يقولوا شيئاً آخر ، بل أن يكون هذا هو رأس الموضوع ، ثم يتوسعون فى شرحه . دعوا الناس يعرفون أن ملكوت المسيا ، الذى هو الرب فى السماء ، يجب أن يؤسس الآن حسبما جاء فى الكتب ، الأمر الذى يتطلب أنهم يجب أن يتوبوا عن خطاياهم و يتركوها لكى يؤهلوا لامتيازات هذا الملكوت .

قيل فى مر ٦ : ١٢ « فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا » الأمر الذى كان يتفق مع تطبيق هذا التعليم الخاص باقتراب ملكوت السموات . لذلك كان يجب أن ينتظروا أن يسمعوا قريباً عن هذا المسيا (الذى طال انتظاره) أكثر مما سمعوا ، يجب أن يكونوا مستعدين لقبول تعاليمه ، والإيمان به ، والخضوع لنيره . كانت المناداة بهذا كنور الصباح الذى يبشر بقرب شروق الشمس . وكانت هذه المناداة تختلف كل الاختلاف عن مناداة يونان التى كانت تتضمن اقتراب الخراب والهلاك يونان ٣ : ٤ . كانت تتضمن اقتراب الخلاص « لأن خلاصه قريب من خائفيه . الرحمة والحق التقيا . البر والسلام تلاثما » مز ٨٥ : ٩ و١٠ . « اقترب ملكوت

السموات » ليس هذا معناه فقط مجيء الملك شخصياً ، (الأمر الذى يجب أن لا نركز فيه كل تفكيرنا) بل أيضاً تأسيس ملكوت روحى فى قلوب البشر ولو لم يكن حاضراً بالجسد

كانت هذه هى نفس الكرازة التى نادى بها كل من يوحنا المعمدان والمسيح نفسه من قبل .

(ملاحظة) يحتاج البشر إلى تأكيد الحقائق الصالحة مراراً وتكراراً . وإذا ما نودى بها وسمعت بعواطف جديدة فإننا نجدها كأنها جديدة . ان المسيح فى الانجيل هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد عب ١٣ : ٨

وبعد ذلك حينما سكب الروح القدس ، وتأسست الكنيسة ، أتى فعلا « ملكوت السموات » هذا الذى قيل عنه هنا انه قد اقترب .

على أن « ملكوت السموات » ينبغى أن يظل موضوع كرازتنا . لقد أتى الآن ، ينبغى أن نخبر البشر انه أتى إليهم ، و ينبغى أن نقدم إليهم وصاياه وامتيازاته ، ونخبرهم أيضاً أن ملكوت المجد آت ، الذى ينبغى أن نتحدث عنه بأنه قد اقترب ، ونحثهم للاجتهاد فى الحصول عليه.

(ثالثا) السلطان الذى أعطاه إياهم لتأييد تعليمهم ع ٨ . حينما أرسلهم للكرازة بنفس التعاليم التى نادى بها من قبل أعطاهم السلطان لتأييدها بنفس الختم الإلهى الذى لا يمكن أن يكذب . والآن وقد أتى الملكوت فليس ذلك الختم ضرور ياً . لأن طلب القوة لعمل المعجزات الآن هو بمثابة وضع الأساسات مرة أخرى بعد إقامة البناء . الآن وقد استقر الأمر ، وقدمت الأدلة الكافية لتأييد تعاليم المسيح بالمعجزات التى عملها المسيح ورسله ، فإن طلب معجزات أكثر هو تجربة لله . هنا نجد أن التعليمات تعطى للرسل :

١ — لاستخدام سلطانهم فى عمل الخير . لم يقل لهم : اذهبوا وانقلوا الجبال ، أو اطلبوا ناراً من السماء ، بل « **اشفوا مرضى . طهروا برصا** » . لقد أرسلوا ليكونوا بركة للعالم ، ولكى يبينوا لنا أن المحبة والخير هما روح وجوهر الانجيل الذى خرجوا لينادوا به ، وهما روح وجوهر الملكوت الذى استخدموا لتأسيسه . من ذلك يتضح انهم كانوا خدام الله الصالح الذى يعمل الخير والصلاح ، والذى تتغلغل رحمته فى ثنايا كل أعماله ، وان غاية التعاليم التى نادوا بها كانت أن يشفوا المرضى ، و يقيموا موتى الخطية ، ولعله قال لهم من أجل هذا « **أقيموا موتى** » لأننا ولو لم نقرأ انهم أقاموا موتى قبل قيامة المسيح إلا أنهم كانوا وسائط لإقامة الكثير ين إلى الحياة الروحية .

٢ — فى عمل الخير مجاناً « **مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا** » . ان الذين أعطى إليهم السلطان

لشفاء كل الأمراض كانت لهم الفرصة للاثراء . لأنه من ذا الذى لا يشترى مثل هذا الشفاء الميسور الأكيد بأى ثمن ؟ لذلك حذرهم المسيح من انتهاز الفرصة للانتفاع مادياً بالسلطان الذى أعطى إليهم لعمل المعجزات . يجب أن يشفوا مجاناً ، أن يظهروا عملياً طبيعة ملكوت العهد الجديد ، انه ليس قائماً فقط على مجرد النعمة ، بل على النعمة المجانية رو ٣ : ٢٤ . « مجاناً بنعمته » . « اشتروا بلا فضة و بلا ثمن » دواء ناجعاً أش ٥٥ : ١

والسبب فى هذا انكم « **مجاناً أخذتم** » لم تكلفهم قوة شفاء المرضى شيئاً ، لذلك ينبغى أن لا ينتفعوا منها انتفاعاً مادياً . ولولم يكن سيمون الساحر يرجو الحصول على ربح مادى من وراء مواهب الروح القدس لما عرض أن يشتريها بالمال أع ٨ : ١٨ .

(ملاحظة) إن مجرد تأملنا فى مجانية نعم المسيح علينا ينبغى أن يحملنا على عمل الخير مجاناً للآخرين

(رابعا) المؤونة التى ينبغى أن يتزودوا بها فى هذه الرحلة . هذا أمر جدير بالتفكير فيه عند إرسال أى سفير . وهنا يخبرهم المسيح :

١ ــ إنهم يجب أن لا يدبروا لأنفسهم شيئاً ع ٩ و١٠ . « **لا تقتنوا ذهباً ولا فضة** » . وكما انهم يجب أن لا يقتنوا ثروة من وراء خدمتهم كذلك يجب أن لا ينفقوا عليها القليل الذى يملكونه . كانت هذه التعليمات مقصورة على الإرسالية الحالية . وقد أراد بها المسيح أن يعلمهم :

(١) أن يتصرفوا حسبما تمليه عليهم حكمتهم البشرية . لقد كانت رحلتهم قصيرة ، وكانوا مزمعين أن يرجعوا سريعاً لمعلمهم ، ولمقرهم الأصلى ، فلماذا يثقلون أنفسهم إذن بما ليسوا فى حاجة إليه ؟

(٢) أن يتصرفوا معتمدين على العناية الإلهية . ينبغى أن يتعلموا كيف يعيشون دون أن يهتموا لحياتهم . ص ٦ : ٢٥ الخ

(ملاحظة) على الذين يخرجون مرسلين من المسيح أن يعتمدوا عليه ــ أكثر من سواهم ــ ليقدم لهم كل حاجياتهم . لا شك فى أنه لا يدع من يخدمونه يحتاجون . فإن الذين يستخدمهم لا يشملهم برعاية خاصة فقط لحمايتهم بل أيضا يعنى بهم عناية خاصة لسد كل أعوازهم . لأن اجراء المسيح يفضل عنهم الخبز . وطالما كنا أمناء لله ولخدمتنا ، ونحرص على تأديتها على أكمل وجه ، فإن لنا كل الحق لنلقى كل همنا عليه . « يهوه يرأه » تك ٢٢ : ١٤ فلنترك للرب لكى يدبر لنا ولكل من لنا حسبما يراه صالحاً .

٢ — يجب أن يتوقعوا بأن الذين أرسلوا اليهم يدبرون لهم كل ما يحتاجونه ع ١٠ « **الفاعل مستحق أجرته** » . يجب أن لا يتوقعوا الحصول على طعامهم بمعجزة كما كان الحال مع إيليا ، بل ليتكلوا على الله ليحنن قلوب الذين أرسلوا اليهم ليعطفوا عليهم و يدبروا لهم حاجياتهم . إن كان الذين يخدمون المذبح يجب أن لا يقتنوا ثروة من المذبح ، إلا أنهم لهم الحق أن يعيشوا من المذبح و يعيشوا عيشة مريحة ١ كو ٩ : ١٣ و ١٤ . خليق بهم أن يحصلوا على حاجياتهم من عملهم . والخدام هم « فعلة » ويجب أن يكونوا كذلك ، وكل من كان كذلك فهو « مستحق أجرته » لكي لا يضطر لمباشرة أى عمل آخر للحصول على طعامه . وكما أن المسيح أراد من تلاميذه أن لا يشكوا فى عناية الله بهم هكذا أرادهم أن لا يشكوا في عناية ذويهم بهم وامدادهم بكل ما يحتاجون . إن كنتم تكرزون بينهم وتعملون لهم الخير فلا شك فى أنهم يقدمون لكم كل ما تحتاجون من طعام وشراب . وإذا ما فعلوا هذا فلا تطمعوا فى الكماليات ، لأن الله سوف يعطيكم أجركم فيما بعد ، ولابد أن تنالوه فى نفس الوقت .

(خامسا) الاجراءات التى ينبغى اتباعها فى تصرفاتهم مع أى كان ع ١١ — ١٥ . كانوا مزمعين أن يخرجوا إلى حيث لا يعلمون ، دون أن يتلقوا دعوة من أى شخص ، ودون أن يتوقع أحد مجيئهم ودون أن يعرفوا أحداً ، ودون أن يعرفهم أحد . بل أن موطنهم كان بلاداً غريبة . فأية قاعدة يسيرون عليها ؟ أى طريق يسلكون ؟ لم يشأ المسيح أن يرسلهم دون أن يزودهم بالتعليمات الكافية . وهنا نرى هذه التعليمات :

١ — إن المسيح يرشدهم كيف يسلكون إزاء من كانوا غرباء عنهم ، كيف يتصرفون .

(أ) فى المدن والقرى الغريبة « **أية مدينة أوقرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق** »

[١] يفهم من هذا أنه كان يوجد فى كل مكان من هم أكثر ميلا لقبول الانجيل والذين ينادون به ، رغم أن ذلك الوقت كان وقتاً للفساد العام والارتداد .

(ملاحظة) فى أشر الأوقات وأفسد الأمكنة يمكننا أن نحيى الرجاء بأنه يوجد من يتميزون عن غيرهم ، من هم أفضل من أقربائهم من يستطيعون مقاومة التيار ، من هم كالحنطة وسط التبن . لقد كان فى بيت نيرون قديسون .

« افحصوا من فيها مستحق » من يوجد خوف الله أمام أعينهم ، من أحسنوا الانتفاع بما لديهم من نور ومعرفة . إن أفضل الموجودين لا يستحقون من أنفسهم تقديم الانجيل اليهم . على أنه

يوجد من يعطون أذناً صاغية للرسل ورسالتهم أكثر من غيرهم ، ولا يدوسون هذه اللآلىء بأرجلهم .

(ملاحظة) مما يشجع الخدام و يوجههم التوجيه الحسن فى اتصالهم بالبشر أن يجدوا الميول لكل ما هو حسن . ومما يبعث على الرجاء بنجاح الكلمة أن توجه للذين لديهم الاستعداد لقبولها . ومما يبعث على السرور أن أمثال هؤلاء موجودون فى كل مكان .

[٢] يجب أن « يفحصوا » جيداً للعثور على هؤلاء . لا أن يفحصوا للعثور على أفضل فندق ، فالفنادق العامة لم تكن تصلح لمن لا يحملون نقوداً ع ٩ ولا ينتظرون الحصول على نقود ع ٨ . بل يجب أن يفكروا فى الإقامة فى المنازل الخاصة ، مع من يرحبون بهم ولا ينتظرون سوى أجر نبى ، أو أجر رسول ، أى صلواتهم وتعاليمهم .

(ملاحظة) على الذين يخدمون الانجيل أن لا يتذمروا من التضحيات التى يتطلبها ، وأن لا يرجوا أى ربح مادى من ورائه فى هذا العالم .

لقد أمرهم المسيح لا أن يبحثوا عمن هو غنى بل عمن هو مستحق ، لا عن أكثر الرجال جاهاً بل عن أفضلهم أخلاقاً .

(ملاحظة) حيثما توجه تلاميذ المسيح يجب أن يبحثوا عن أفضل رجال المكان و يتعرفوا بهم . لأننا إذا ما اتخذنا الله إلهاً لنا وجب أن نتخذ شعبه شعباً لنا (راعوث ١ : ١٦) . وكل واحد يسر بمن يكون على شاكلته . كان بولس فى كل رحلاته يبحث عن الاخوة — إن وجدوا — حيثما حل أع ٢٨ : ١٤

و يفهم من هذا أنهم إن بحثوا عمن هو مستحق فإنهم لا بد واجدون . فإن من كان أفضل من غيره لا بد أن يكون معروفاً ، ولا بد أن يخبرهم أى واحد . هنا يعيش رجل أمين وصالح ونزيه . لأن الصفات الطيبة تفصح عن نفسها كالرائحة الزكية التى تعطر كل أرجاء البيت . كان كل واحد يعرف بيت الرائى ١ صم ٩ : ١٨

[٣] يجب أن يلبثوا فى بيت من يجدونه مستحقاً « **أقيموا هناك حتى تخرجوا** » وهذا يتضمن أنهم يجب أن لا يقيموا فى كل مدينة إلا وقتاً قصيراً ، ولذلك فلا حاجة للانتقال من بيت إلى بيت ، بل ليلبثوا فى أى بيت أوجدتهم فيه العناية حتى يخرجوا من تلك المدينة . لا غرابة إذا حامت الشكوك حول حسن نية الذين يحبون كثرة التنقل من بيت إلى بيت .

(ملاحظة) خليق بتلاميذ المسيح أن ينتفعوا أحسن انتفاع من الحالة الراهنة ، وأن يلبثوا

فيها ، وأن لا يغيروها بسبب أية مضايقة .

(٢) في البيوت الغريبة . حينما يجدون بيت من هو مستحق فليسلموا عليه وقت دخولهم « **وحين تدخلون البيت سلموا عليه** » كونوا أسبق من أهل العالم في هذه المجاملات العامة ، علامة على تواضعكم . لا تظنوا أنه أمر محقر لكم أن تدعوا أنفسكم لأي بيت ، ولا تبالغوا في التدقيق في الرسميات إذا ما دعيتم لأي بيت . سلموا على الأسرة :

[١] لكي تفتحوا الباب للحديث ، ومن ثم تقدمون اليها رسالتكم . إننا نستطيع أن نتدرج من الحديث العادي إلى الحديث الذي يكون صالحاً للبنيان دون أن يتنبه السامع .

[٢] لكي تتأكدوا إن كانت ترحب بكم أم لا . فإنكم لا بد أن تحسوا إن كانت التحية جافة أم صادرة من عمق القلب . فان من لا يتقبل تحيتكم قبولا حسناً لا يتقبل رسالتكم قبولا حسناً ، وغير الأمين وغير الحكيم في القليل هو كذلك أيضا في الكثير . لو١٦ : ١٠ .

[٣] لكي تنالوا ثقتها . سلموا على من في البيت لكي يروا بأنكم وإن كنتم جادين فانكم لستم مكتئبين .

(ملاحظة) تعلمنا المسيحية بأن نكون مؤدبين نحو من نختلط بهم ، وأن نأسرهم بلطفنا .

ورغماً عن أن الرسل خرجوا يسندهم سلطان ابن الله نفسه ، إلا أن التعليمات التي تلقوها لم تتضمن أنهم إذا دخلوا بيتاً أصدروا اليه أوامرهم ، بل سلموا عليه وحيوه . لأن طريقة المسيحية أن تطلب بالحرى « من أجل المحبة » لا أن تأمر (فليمون ٨ و٩) .

تجذب النفوس الى المسيح أولا « بحبال البشر » ثم تحفظ معه « بربط المحبة » هو١١ : ٤ . حينما قدم بطرس بشارة الانجيل أولا الى كرنيليوس ـــ الأممي ـــ حياه كرنيليوس أولا (أنظر أع ١٠ : ٢٥) لأن الأمم كانوا يهتمون بما يهتم به اليهود .

وبعد أن يسلموا على من في البيت بطريقة مسيحية يجب أن يحكموا عليهم من كيفية رد التحية ، ثم يتصرفوا حسبما يتفق ونتيجة الحكم .

(ملاحظة) إن عين الله فوقنا تلاحظ أي نوع من الإكرام نقدمه الى المؤمنين الصالحين والخدام الصالحين . « **إن كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه . ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم اليكم** » ع ١٣ يتضح من هذا إذن أنهم بعد أن يفحصوا عمن هو مستحق ع ١١ ربما يكونون قد استقروا عند غير المستحق .

(ملاحظة) مع أنه من الحكمة أن نصغى للرأى العام إلا أنه من الحماقة الاعتماد عليه. فيجب أن نستعمل الحكمة فى حكمنا، وأن نرى بأعيننا. «حكمة الذكى فهم طريقه» بنفسه أم ١٤ : ٨.

قصد المسيح بهذه القاعدة:

(أولا) إراحة ضمائر الرسل. كانت التحية العادية «سلام لكم». وإذ استخدموها تحولت الى بشارة، لأن الذى تمنوه هو سلام الله، سلام ملكوت السموات. والآن لئلا تتبلبل عقولهم بسبب توجيه هذه البركة للجميع، مستحقين وغير مستحقين، لوجود الكثيرين من غير المستحقين، فقد أوصاهم المسيح بهذه الوصية منعاً للارتباك. لقد أخبرهم أن هذه الطلبة أو الأمنية يجب أن تقدم للجميع، كما وجه الانجيل للجميع بلا تمييز، وانهم يجب أن يتركوا الأمر لله الفاحص القلوب والمطلع على السرائر، لكى يحدد النتيجة. إن كان البيت مستحقاً حصد ثمرة بركتكم، وإلا فلم يحصل لكم ضرر، ولن تخسروا ثمرتها، بل الى حضنكم يرجع، كصلاة داود من أجل أعدائه الجاحدين مز ٣٥ : ١٣.

(ملاحظة) خليق بنا أن نحسن الظن بالجميع، أن نصلى بإخلاص وأمانة لأجل الجميع، أن نكون مؤدبين ولطفاء نحو الجميع، لأن هذا هو الواجب من ناحيتنا، وبعد ذلك نترك لله ــ من ناحيته ــ أن يحدد النتيجة التى سوف تحل بهم.

(ثانياً) إرشادهم. إذا اتضح بعد أن تسلموا عليهم أنهم مستحقون فعلا، فازدادوا اتصالا بهم، وهكذا «فليأت سلامكم عليهم». اكرزوا لهم بالانجيل، نادوا لهم بسلام المسيح. أما إذا كان الأمر بالعكس، إذا قابلوكم بجفاء، وأغلقوا الأبواب فى وجوهكم «فليرجع سلامكم اليكم». ليرجع اليكم بقدر ما فيكم من سلام. استردوا ما قلتموه وتنحوا عنهم. فإنهم باحتقارهم تحيتكم حكموا على أنفسهم بأنهم غير مستحقين لباقى بركاتكم، وحرموا أنفسهم منها.

(ملاحظة) كثيراً ما يخسر البشر البركات العظمى بسبب إهمالهم بعض الأمور التى قد ترى تافهة وقت الاختبار. هكذا أضاع عيسو البكورية تك ٢٥ : ٣٤، وشاول المملكة ١ صم ١٣ : ١٣ و١٤.

٢ ــ ويرشدهم كيف يتصرفون نحو الذين يرفضونهم ع ١٤ «**من لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم**» ربما يتوهم الرسل أنهم وقد حملوا مثل هذه التعاليم ليكرزوا بها، ومثل هذا السلطان لعمل المعجزات لتأييد تعاليمهم، فلا شك فى أنهم سوف ينالون ترحيباً عاماً من الجميع. لذلك أنبأهم المسيح مقدماً بأنهم سوف يلتقون بمن يحتقرهم ويهزأ بهم وبرسالتهم.

(ملاحظة) على أتقى وأقوى الذين ينادون بالانجيل أن يتوقعوا أنهم قد يلتقون بمن لا يصغى اليهم أو لا يظهر أية علامة لاحترامهم . كثيرون هم الذين يصمون آذانهم حتى عن الأحداث المفرحة ، الذين لا يستمعون الى صوت الحواة الراقين رقى حكيم مز ٥٨ : ٥ .

لاحظ ان المسيح قال لهم بأنهم لا يقبلونكم ولا يسمعون كلامكم .

(ملاحظة) إن الازدراء بالانجيل والازدراء بخدام الانجيل يتمشيان معاً عادة ، وكل منهما يفسر بأنه ازدراء بالمسيح . وعلى هذا الاساس ينال قصاصه .

وفى هذه الحالة نجد :

(١) الارشاد الذى تلقاه الرسل عن كيفية تصرفهم . « **اخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة** » .

(ملاحظة) إن الانجيل لا ينتظر طويلا لدى من يبعدونه عن أنفسهم .

وعند خروجهم ينبغى **أن ينفضوا غبار أرجلهم** :

[١] علامة على بغض شرهم ، الذى كان كريهاً جداً لدرجة أنه دنس الأرض التى مشوا عليها ، ولذلك وجب أن ينفضوا الغبار عن أرجلهم كأمر دنس . كان واجباً أن لا تكون هنالك أية علاقة أو شركة بين الرسل و بينهم ، وكان واجباً أن لا يحملوا معهم حتى غبار مدينتهم . «عمل الزيغان أبغضت . لا يلصق بى» مز ١٠١ : ٣ كان على النبى أن لا يأكل خبزاً ولا يشرب ماء فى بيت إيل ١ مل ١٣ : ٩ .

[٢] إعلاناً للغضب عليهم . كان ذلك علامة على أنهم انحطوا وتسفلوا كالتراب ، ولذلك فان الله ينفضهم . كان غبار أرجل الرسل الذى تركوه وراءهم شاهداً عليهم ، ودليلا على أن الانجيل قد كرز به بينهم مر ٦ : ١١ . قارن هذا بما ورد فى يع ٥ : ٣ . لاحظ أيضاً كيف أطيعت هذه الوصية حرفيا أع ١٣ : ٥١ ، ١٨ : ٦ .

(ملاحظة) إن الذين يحتقرون الله وإنجيله يحتقرون .

(٢) القضاء الذى صدر ضد أمثال أولئك المعاندين ع ١٥ « **ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة** .

(ملاحظات)

[١] هنالك يوم آت للدينونة ، فيه يحاسب يقيناً كل الذين رفضوا الانجيل ، مهما هزأوا به الآن . وكل الذين لا يريدون أن يسمعوا التعاليم المؤدية لنجاتهم سوف يضطرون لسماع الحكم القاضى بهلاكهم . إن دينونتهم مؤجلة الى ذلك اليوم .

[٢] هنالك درجات مختلفة للقصاص فى ذلك اليوم . كل آلام جهنم لا تحتمل ، ولكن هنالك ما هو أشد من غيره . بعض الخطاة يغوص فى جهنم أعمق من غيرهم ، وضربات أكثر يضربون .

[٣] ودينونة من يرفضون الانجيل سوف تكون فى ذلك اليوم أشد هولا وأقسى من دينونة سدوم وعمورة . قيل عن سدوم إنها سوف تكابد عقاب نار أبدية . يه ٧ . على أن هذا العقاب سوف يكون أشد لمن يحتقرون الخلاص العظيم . كان أهل سدوم وعمورة أشراراً جداً تك ١٣ : ١٣ . وكان الأمر الذى ملأ مكيال إثمهم أنهم لم يقبلوا الملاكين اللذين أرسلا اليهم بل أساءوا اليهما تك ١٩ : ٤ و٥ ولم يسمعوا لكلامهما ع ١٤ . ومع ذلك فانه سيكون لهم حالة أكثر احتمالا مما لأولئك الذين لا يقبلون خدام المسيح ولا يسمعون لكلامهم . سوف يكون غضب الله عليهم أكثر اشتعالا ، وسوف تكون وخزات ضمائرهم أقسى عندما يتأملون فى حالتهم . سوف يكون لهذه الكلمات «يا ابنى أذكر» (لو ١٦ : ٢٥) وقع مرعب جداً فى نفوس الذين أعطيت اليهم فرص طيبة لقبول الحياة الأبدية وفضلوا عليها الموت . وصف إثم إسرائيل حين لم يقبلوا خدام الله الأنبياء الذين أرسلهم اليهم أنه أشنع من إثم سدوم حز ١٦ : ٤٨ و٤٩ ، فكم يكون إثمهم أشنع اذ أرسل اليهم ابنه النبى الأعظم .

١٦ — ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام ١٧ — ولكن احذروا من الناس . لأنهم سيسلمونكم الى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم ١٨ — وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم ١٩ — فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون . لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به ٢٠ — لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم ٢١ — وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم ٢٢ — وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى . ولكن

الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص ٢٣ ــ ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . فانى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الانسان .

٢٤ ــ ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده ٢٥ ــ يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده . إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته ٢٦ ــ فلا تخافوهم . لأن ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف ٢٧ ــ الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور. والذى تسمعونه فى الأذن نادوا به على السطوح ٢٨ ــ ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم ٢٩ ــ أليس عصفوران يباعان بفلس . وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم ٣٠ ــ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة ٣١ ــ فلا تخافوا . أنتم أفضل من عصافير كثيرة ٣٢ ــ فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات ٣٣ ــ ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات

٣٤ ــ لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض . ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً ٣٥ ــ فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ ــ وأعداء الانسان أهل بيته ٣٧ ــ من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى ٣٨ ــ من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ٣٩ ــ من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها ٤٠ ــ من يقبلكم يقبلنى ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى ٤١ ــ من يقبل نبياً باسم نبى فأجر نبى يأخذ ومن يقبل باراً باسم بار فأجر بار يأخذ ٤٢ ــ ومن

سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره

تشير كل هذه الآيات لآلام خدام المسيح فى خدمتهم ، التى يعلمهم المسيح أن يتوقعوها و يستعدوا لها . ثم يعلمهم أيضا كيف يتحملونها ، وكيف يستمرون فى عملهم فى وسطها . يشير هذا الجزء من الموعظة إلى مدى أبعد من إرساليتهم الحالية . لأننا لا نجد أنهم قد التقوا بصعوبات كبرى أو اضطهادات شديدة أيام وجود المسيح معهم ، كما أنهم لم يكن فى قدرتهم تحملها . على أن المسيح هنا ينذرهم مقدماً بالضيقات التى سوف يلقونها حينما تتسع إرساليتهم بعد قيامته ، وحينما يؤسس فعلا ملكوت السموات الذى كان قد اقترب وقتئذ . كانوا لا يحملون وقتئذاك إلا بمظاهر العظمة الخارجية والسلطان ، أما المسيح فيخبرهم بأنهم يجب أن يتوقعوا آلاما أشد مما دعوا اليها إلى ذلك الوقت ، وأنهم سوف يكونون سجناء فى الوقت الذى توقعوا أن يكونوا فيه أمراء . حسن جداًأن نعرف الضيقات التى سوف تلاقينا لكى نتدبر أمرنا مقدماً ، ولكى لا نفتخر كأننا قد القينا السرع مع أننا لا نزال نكبح به جماح أنفسنا .

هنا نجد أمر ين مختلطين معا (اولا) نبوات بالضيقات (ثانيا) نصائح وتعز يات بإزائها .

(اولا) نبوات بالضيقات التى سوف يلتقى بها التلاميذ فى خدمتهم . رأى المسيح مقدماً آلامهم كما رأى أيضا آلامه وأرادهم أن يتابعوا مسيرهم كما تابع هو أيضاً مسيره وقد أنبأهم بها مقدماً ليس فقط لكى لا تكون موضع اندهاشهم أو صدمة لإيمانهم ، بل لكى إذا ما حدثت إتماماً لنبوته كانت مؤ يدة لايمانهم .

هنا يخبرهم أية آلام سوف يتحملون ، وممن يتحملونها .

١ — أية آلام يتحملون . يقيناً أنها متاعب شديدة ، لأنه « **وها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب** » ع ١٦ وماذا يتوقعه قطيع الغنم الوديعة ، الضعيفة ، التى لا حول لها ولا قوة ، العديمة الرعاية ، إذا ما وجدت وسط قطيع من الذئاب المفترسة ، سوى أن تمزقها وتلتهمها .

(ملاحظة) إن الأشرار كالذئاب ، طبيعتهم هى الا تلاف والالتهام . وشعب الله ، سيما خدامه ، كغنم وسطهم ، يخالفونهم فى طبيعتهم وأميالهم ، معرضون لأخطارهم ، وطالما كانوا فر يسة سهلة لهم .

كان يبدو أنه ليس من باب الشفقة من جانب المسيح أن يعرض من تركوا كل شيء ليتبعوه لاخطار كهذه . ولكنه عرف أن المجد المحفوظ لخرافه حينما يقفون عن يمينه فى ذلك اليوم العظيم سوف يكون مكافأة كافية لهم عن آلامهم وعن خدماتهم أيضاً . هم « كغنم فى وسط ذئاب » هذه حقيقة مرعبة ، ولكن ما يعزيهم أن المسيح هو الذى أرسلهم ، لأن من يرسلهم كفيل بحمايتهم وتدعيمهم . ولكنه يخبرهم بما يجب أن يتوقعوه لكى يكونوا على علم بأسوأ الظروف .

(أ) يجب أن يتوقعوا بأن يكونوا مبغضين « **وتكونون مبغضين من الجميع من أجل أسمى** » ع ٢٢ وهذا أصل سائر البلايا والآلام ، و ياله من أصل مر .

(ملاحظة) إن من يحبهم المسيح يبغضهم العالم . إن كان العالم قد أبغض المسيح بلا سبب يو ١٥ : ٢٥ فلا غرابة إن أبغض من يحملون صورته ويخدمون قضيته .

نحن نبغض كل شيء كر يه تعافه النفس ، وهم قد حسبوا « كأقذار العالم و وسخ كل شيء » ١ كو ٤ : ١٣ . ونحن نبغض كل ما هو متعب ومؤذ ، وهم قد حسبوا مكدرى العالم ١ مل ١٨ : ١٧ ومعذبى اخوتهم رؤ ١١ : ١٠ . من المؤلم جداً أن نكون مبغضين ، وأن نكون موضوع عداوة شديدة كهذه ، ولكن ذلك « من أجل اسمى » الأمر الذى إن دل على السبب الحقيقى للبغض مهما ادعى المبغضون ، فإنه ينطق بالتعز ية للمبغضين ، فإنهم لم يبغضوا إلا لسبب حسن ، وهم لهم صديق صالح يشترك معهم فى الكراهية ، بل يعتبر كراهية العالم لأولاده بسبب صلتهم به .

(٢) ويجب أن يتوقعوا أن ينظر اليهم كفاعلى شر . إن خبثهم لا يهدأ ، ولا يمكن مقاومته . وهم سوف لا يحاولون الايقاع بكم فحسب بل سوف ينجحون فى محاولاتهم ع ١٧ و١٨ « **لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم** » . « سيسلمونكم إلى مجالس » القضاء التى تعنى بحفظ الأمن العام .

(ملاحظة) كثيراً ما ألحق الأذى بالصالحين تحت ستار القانون والعدل ، « موضع الحق هناك الظلم وموضع العدل هناك الجور » والاضطهاد جا ٣ : ١٦

يجب أن لا يتوقعوا فقط الاضطهاد من الولاة الأصاغر فى المجالس ، بل أيضاً من كبار الولاة والملوك « **وتساقون أمام ولاة وملوك** » . كان المثول أمام الولاة والملوك بمثل هذه التهم الشنيعة ــ كما حدث كثيراً مع تلاميذ المسيح ــ أمراً مرعبا جداً وخطراً ، لأنه « كزمجرة الأسد حنق الملوك » أم ١٩ : ١٢ وفى سفر أعمال الرسل نجدهم يقفون هذا الموقف إتماماً لما أنبأهم به المسيح .

(٣) يجب أن يتوقعوا الموت ع ٢١ « **وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم و يقتلونهم** » . سيسلمونكم إلى الموت حينا يظهر نفسه بأنه « ملك الأهوال » أى ١٨ : ١٤ . سوف يثور حنق الأعداء إلى هذا الحد ، لأن دماء القديسين هى التى يتعطشون اليها . أما القديسون فإنهم يقفون ثابتين بإيمانهم وصبرهم متوقعين هذا . « لست أحتسب لشيء ولا نفسى ثمينة عندى » وحكمة المسيح هى التى تسمح بهذا ، لأنه يعرف كيف يجعل دماء الشهداء ختم الحق و بذار الكنيسة . بهذا الجيش النبيل ممن « لم يحبوا حياتهم حتى الموت » غلب الشيطان ، وازداد ملكوت المسيح انتشاراً رؤ١٢ : ١١ . لقد حكم عليهم بالموت كمجرمين ، وهذا ما قصده الأعداء . ولكن الواقع أنهم كانوا ضحايا (فى ٢ : ١٧ ، ٢ تى ٤ : ٦) ومحرقات ، ضحايا من أجل الاعتراف بالله والشهادة لحقه وقضيته .

(٤) ويجب أن يتوقعوا وسط هذه الآلام أن تلصق بهم أشنع التهم و ينعتوا بأقذار الاسماء . إن المقاومين والمضطهدين لا يتورعون عن أن يلصقوا أشر التهم بمن ير يدون افتراسهم لكى يبرروا قسوتهم عليهم . وأشر هذه التهم أنهم يدعونهم « بعلز بول » رئيس الشياطين ع ٢٥ « **إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلز بول فكم بالحرى أهل بيته** » . إنهم يصورونهم كمتآمر ين ورؤساء عصابة مملكة الظلمة . وطالما كان كل إنسان يبغض الشيطان ، فإنهم يحاولون أن يجعلوهم كريهين فى أعين كل البشر ية ، أنظر وتعجب كيف يمكن أن يخدع العالم فيعتقد :

[١] أن ألد أعداء الشيطان أصدقاء له (أى للشيطان) فالرسل الذين هدموا مملكة الشيطان دعوا شياطين . وهكذا اتهمهم البشر ليس فقط بما لا يعرفونه بل أيضاً بما يبغضونه ويحار بونه على خط مستقيم .

[٢] وإن أخلص أصدقاء الشيطان أعداء له وأنهم لا يخدمون مصالحه بل يتظاهرون بأنهم يحار بونه . كثيراً ما رأينا أقرب الناس للشيطان يتهمون غيرهم بهذه التهمة ، وأن يصورون الشيطان على ملابس الآخر ين يكون الشيطان مالكا على قلوبهم . فجميل جداً أن يكون هنالك يوم آت فيه ينكشف كل ما خفى كما يتضح مما ورد فى ع ٢٦

(٥) وتصور هذه الآلام هنا بأنها سيف وانقسام ع ٣٤ و٣٥ « **لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً** » سلاماً وقتياً وراحة خارجية . فقد ظنوا أن المسيح أتى ليهب كل أتباعه ثروة وقوة فى هذا العالم . أما المسيح فيقول لهم : كلا ، فإنى ما جئت لألقى سلاماً أرضيا ، أما السلام السماوى فتيقنوا أنه يوهب لكم . جاء المسيح ليهبنا سلاماً مع الله ، سلاما فى ضمائرنا ، سلاما مع اخوتنا ، ولكن « فى العالم سيكون لكم ضيق » .

(ملاحظة) إن الذين يتوهمون بأن خدمتهم للانجيل تنجيهم من الضيق فى العالم يخطئون

فهم القصد من الانجيل ، لأنه يعرضهم يقينا للضيق والتعب . لو أن كل العالم قبل المسيح ، لوجد بالتالى سلام عام وشامل . ولكن طالما كان هنالك الكثيرون الذين يرفضونه (وهؤلاء ليسوا فقط أبناء هذا الدهر بل هم أيضا نسل الحية) فعلى أولاد الله الذين دعوا للخروج من هذا العالم أن يتوقعوا بأن يذوقوا مرارة عداوتهم .

[١] لا تتوقعوا « **سلاماً بل سيفاً** » . جاء المسيح لكى يعطى **سيف الكلمة** الذى به يحارب تلاميذه العالم ، ولهذا السيف أعطيت **قوة الغلبة** (رؤ ٦ : ٤ ، ١٩ ، ٢١) ، ولكى يعطى أيضا **سيف الاضطهاد** ، الذى به يحارب العالم تلاميذه إذ يمتلىء قلبه حقداً بسبب سيف الكلمة أع ٧ : ٥٤ و يشتد عذابه بسبب شهادة شهود المسيح رؤ ١١ : ١٠ ، ولهذا السيف أعطيت **قوة البطش والقسوة** . لقد أرسل المسيح الانجيل الذى يعطى الفرصة لإشهار هذا السلاح ، ولذلك يحق أن يقال بأنه أرسل هذا السلاح . وهو سمح لكنيسته بالآلام لامتحان شعبه وتزكية إيمانهم ، ولملء مكيال إثم أعدائهم .

[٢] لا تتوقعوا سلاما بل إنقساماً ع ٥٣ « **جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها** » . ليست نتيجة الكرازة بالانجيل هذه غلطة الانجيل ، بل غلطة الذين لا يقبلونه . حينما يصدق البعض كلامكم والبعض الآخر لا يصدقون فإن إيمان الذين يصدقون يدين من لا يصدقون فيصبح هؤلاء أعداء لمن يصدقون .

(ملاحظة) إن أشد العداوات التى قامت بين البشرية هى التى نشأت بسبب الخلافات الدينية . لم تظهر عداوة أشد من عداوة المضطهدين الظالمين ، ولم يظهر ثبات كثبات المضطهدين المظلومين .

هكذا يخبر المسيح تلاميذه أية آلام يتحملون ، وكانت هذه كلمات أليمة الوقع . لأنهم إن تحملوا هذه استطاعوا تحمل أى شيء آخر .

(ملاحظة) لقد كان المسيح عادلا وأميناً جداً من نحونا إذ أخبرنا بأسوا ما يمكن أن نتحمله فى سبيل خدمته ، وهو يريدنا أن نقف نفس هذا الموقف مع أنفسنا إذ نجلس ونحسب النفقة .

٢ ــ ثم يخبرهم عمن يتحملون هذه الآلام على أيديهم ، يقيناً أنه من المستحيل أن يستكين هؤلاء الأعداء الألداء أمام تلك التعاليم التى تتضمن « بالناس المسرة » كما تتضمن مصالحة العالم لله . بل أن كل هذه الآلام سوف تلحق بالمنادين بالانجيل ممن تقدموا اليهم منادين

لهم بالخلاص . « أهل الدماء يبغضون الكامل . أما المستقيمون فيسألون عن نفسه » أم ٢٩ : ١٠ ولذلك فإن السماء تضطهد جداً على الأرض لأن الأرض تحت سلطان جهنم أف ٢ : ٢

هذه الآلام الشديدة سوف يتحملها تلاميذ المسيح :ـــ

(١) من البشرع ١٧ « **احذروا من الناس** » . ينبغى أن تكونوا فى غاية الحذر حتى ممن يشتركون معكم فى الطبيعة البشرية . هكذا وصل الانحطاط والفساد بهذه الطبيعة حتى قيل فى المثل اللاتينى « الانسان ذئب للانسان » . قد تجد الانسان فى دهائه كانسان ، وفى قسوته ووحشيته كالوحوش ، وبعيداً كل البعد عن الانسانية .

(ملاحظة) إن حقد وضغينة وعداوة الاضطهاد تحول الناس إلى وحوش ، إلى شياطين . قيل عن بولس فى أفسس إنه حارب وحوشاً فى شكل الناس ١ كو ١٥ : ٣٢

من أمر النتائج التى وصل اليها العالم أن تقدم النصيحة لأخلص أصدقائه بأن يحذروا من الناس . ومما يزيد فى قسوة آلام خدام المسيح أنها تنشأ ممن هم عظم من عظامهم ، الذين خلقوا من دم واحد . من هذه الناحية يكون المضطهدون الظالمون أشنع من الوحوش ، لأنهم يفترسون الذين هم من جنسهم . فالمثل اللاتينى يقول « حتى الوحوش تتفق فيما بينها » . من المؤلم جداً أن يقوم علينا « الناس » (مز ١٢٤) الذين يصح أن نتوقع منهم العطف والرعاية ، « الناس » وكفى ، مجرد « الناس » ، « الناس » لا القديسون ، « الانسان الطبيعى » ا كو ٢ : ١٤ ، « أهل (ناس) الدنيا » مز ١٧ : ١٤ إن القديسين أكثر من مجرد بشر ، هم قد « اشتروا من بين الناس » رؤ ١٤ : ٤ ، لذلك فإنهم مبغضون منهم . وأن طبيعة الإنسان إذا لم تتقدس تصبح أحط طبيعة فى الوجود بعد طبيعة الشيطان . « إنهم بشر » ، لذلك فهم خليقة ضعيفة ، مائتة ، لا تستطيع الاعتماد على نفسها . « ثم إنهم (مجرد) بشر » مز ٩ : ٢٠ ، لذلك « من أنت حتى تخاف من إنسان يموت ومن ابن الانسان الذى يجعل كالعشب » أش ٥١ : ١٢

احذروا من الناس » الذين تعرفونهم من رجال السنهدرم ، الذين رفضوا المسيح ١ بط ٢ : ٤

(٢) من الناس الذين يتظاهرون بالدين ، الذين « لهم صورة التقوى » . إنهم « **فى مجامعهم يجلدونكم** » فى مجامعهم التى يجتمعون اليها لعبادة الله ، ولا تمام فرائضهم الدينية . لذلك اعتقدوا بأنهم أن جلدوا خدام المسيح كان هذا جزءاً من عبادتهم . جلد بولس خمس مرات فى المجامع ٢ كو ١١ : ٢٤ . وكان اليهود ـــ تحت ستار الغيرة لموسى ـــ أشد المضطهدين للمسيح والمسيحية ، معتقدين أن هذه الاضطهادات مما تقتضيه ديانتهم .

(ملاحظة) لقد عانى تلاميذ المسيح أشد الآلام على أيدى المضطهدين الغيورين غيرة جسدية الذين جلدوهم فى مجامعهم ، وجروهم خارجاً وقتلوهم « ظانين أنهم بذلك يقدمون خدمة لله » يو ١٦ : ٢ ، وقائلين « ليتمجد الرب » أش ٦٦ : ٥ ، زك ١١ : ٤ و٥

على أن المجامع إذ تصادق على هذه الاضطهادات فإن الاضطهادات تدنسها بلا شك .

(٣) من العظماء ، والذين فى يدهم السلطان . لم يكتف اليهود بجلدهم ، وكان هذا أقصى ما تصل اليه سلطتهم الباقية ، ولكنهم لما رأوا أنهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى أبعد من هذا أسلموهم إلى السلطات الرومانية ، كما فعلوا بالمسيح يو ١٨ : ٣٠ « **وتساقون أمام ولاة وملوك** » ع ١٨ . الذين إذ لهم سلطان أوسع يستطيعون أن يلحقوا بكم أذى أعظم . يستمد « الولاة والملوك » سلطانهم من المسيح (أم ٨ : ١٥) ويجب أن يكونوا خداماً له ، وحماة لكنيسته ، ولكنهم طالما استخدموا سلطانهم ضده ، وتمردوا عليه ، واضطهدوا كنيسته . كثيراً ما قام ملوك الأرض ضد ملكوته مز ٢ : ١ و٢ : أع ٤ : ٢٥ و٢٦

(ملاحظة) كثيراً ما كان من نصيب الصالحين أن يصبح العظماء أعداء لهم .

(٤) من جميع الناس ع ٢٢ « **وتكونون مبغضين من الجميع** » من جميع الأشرار ، وهؤلاء هم الأغلبية ، لأن « العالم كله قد وضع فى الشرير » ١ يو ٥ : ١٩ . قليلون هم الذين يحبون قضية المسيح العادلة و يعترفون بها و يعضدونها ، لذلك يحق القول بأن محبيها « مبغضون من الجميع » . « الكل قد زاغوا معاً » لذلك فانهم « يأكلون شعبى » مز ١٤ : ٣ و٤ . على قدر ما يزداد الابتعاد عن الله تكون العداوة ضد القديسين . فى بعض الأحيان تظهر العداوة فى أوقات خاصة أكثر من سائر الأوقات ، على أن هذا السم كامن فى قلوب جميع « أبناء المعصية » . العالم يبغضكم ، لأنه تبع الوحش رؤ ١٣ : ٣ . « كل انسان كاذب » رو ٣ : ٤ لذلك يبغض الحق .

(٥) من الأقرباء . « **وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت** » ع ٢١ . بهذه المناسبة يختلف الانسان مع أبيه « **جئت لأفرق الانسان ضد أبيه** » ع ٣٥ . بل إن الجنس الضعيف الرقيق سوف يصبح ضمن المضطهدين والمضطهدين : سوف تقوم الابنة المضطهدة ضد أمها المؤمنة « **والأبنة ضد أمها** » ، حيث كان يظن أن المحبة الطبيعية والواجبات البنوية تحول دون أى أنقسام وتقضى على كل تفرقة . ولذلك فلا غرابة إن قامت « **الكنة ضد حماتها** » ، لأنه كثيراً ما فتشت المحبة الفاترة عن أية فرصة للنزاع . و بوجه عام إن « أعداء الانسان أهل بيته » ع ٣٦ . فالذين يجب أن يكونوا أصدقاء الانسان يثورون ضده لاعتناقه المسيحية ، سيما إذا ما أصر على الإلتصاق بها وقت الاضطهاد ، و ينضمون لمن يضطهدونه .

(ملاحظة) كثيراً ما تحطمت أقوى ربط المحبة العائلية والصداقة الأخوية بسبب اشهار العداء ضد المسيح وتعاليمه. هكذا وصلت حدة التحامل على الديانة الحقيقية، والغيرة للديانة الكاذبة حتى نسيت كل الاعتبارات الأخرى، ونسيت أقوى ربط المحبة الطبيعية، وتقست القلوب البشرية، فقدم البشر فلذات أكبادهم للاحتراق بنار مولوك. والذين يقومون و يتآمرون على الرب وعلى مسيحه يقطعون حتى قيودهما و يطرحون عنهم ربطهما مز ٢ : ٢ و٣. وعروس المسيح تتحمل أقسى الآلام بسبب غضب بني أمها عليها نش ١ : ٦. فالآلام التي يتحملها الانسان من أقربائه أشد هولا، لا شيء يحز في النفس أكثر منها، «لأنه ليس عدو يعيرني فاحتمل. ليس مبغضي تعظم علي فأختبيء منه. بل أنت انسان عديلي ألفي وصديقي» مز ٥٥ : ١٢ و١٣. ومثل هذه العداوة لا تطفأ نارها عادة «الأخ أمنع من مدينة حصينة (١) والمخاصمات كعارضة قلعة» أم ١٨ : ١٩. وتاريخ الشهداء — القديم والحديث — حافل بامثال هذه العداوات. و يبدو بوجه عام أن «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون» ٢ تي ٣ : ١٢، وأنه «بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله» أع ١٤ : ٢٢

(ثانيا) ومع هذه النبوات بالضيقات نجد هنا نصائح وتعزيات نافعة في وقت التجربة. صحيح أنه أرسلهم وكانوا معرضين للخطر المحقق، ولكنه سلحهم بالتعاليم والمشجعات الكفيلة بأن تحفظهم وتسندهم لتحمل كل هذه التجارب بصبر وارتياح وانشراح.

والآن لنتأمل فيما قاله :

١ — من باب النصيحة والارشاد في عدة نواح.

(أ) «**كونوا حكماء كالحيات**» ع ١٦. يظن البعض بأنها تؤول إلى هذا المعنى «قد تكونون كالحيات» قد تكونون حريصين ومتيقظين وعلى جانب عظيم من الحيلة والدهاء، فلا مانع من أن تكونوا كذلك «كونوا حكماء كالحيات»، على شرط أن لا تؤذوا أحداً «بسطاء كالحمام». ولكن الأرجح أنها نصيحة، يحثنا فيها المسيح على الاقتداء بحكمة الحكماء الذين يعرفون طريقهم وعلى أن نكون نافعين في كل الأوقات سيما في أوقات الشدائد والمحن والآلام. «فكونوا» أو «لذلك كونوا»، «لذلك». أي لأنكم معرضون للمخاطر «كغنم في وسط ذئاب»، «كونوا حكماء كالحيات». لا حكماء كالثعالب التي تنصب حكمتها على تضليل

---

(١) أو «الأخ إذا أسئ اليه صارت ترضيته أصعب من مدينة حصينة» حسب الترجمة الانكليزية

الآخرين بل « كالحيات » التى تنحصر حكمتها فى الدفاع عن نفسها ، وطلب النجاة . إن تلاميذ المسيح مبغضون ومطاردون « كالحيات » وهلاكهم يبحث عنهم على الدوام ، لذلك فإنهم فى حاجة إلى حكمة « الحيات » .

(ملاحظة) إن كان تلاميذ المسيح وخدامه وشعبه معرضين هكذا للمتاعب فى هذا العالم فانه لا يريدهم أن يعرضوا أنفسهم اليها بلا مبرر ، بل أن يستعملوا كل الوسائط الشرعية لنجاتهم . وقد قدم لنا المسيح مثلا لهذه الحكمة ص ٢١ : ٢٤ و٢٥ ، ٢٢ : ١٧ و ١٨ و١٩ ، يو٨ : ٦ و٧ عدا المرات الكثيرة التى نجا فيها من أيدى أعدائه إلى أن حانت الساعة .

أنظر أيضاً مثلا من أمثلة حكمة بولس أع ٢٣ : ٦ و٧ . فى سبيل الدفاع عن حق المسيح ينبغى أن نكون مستعدين لبذل الحياة ، وتضحية كل ملذاتها ، ولكن ينبغى أن لا نكون مسرفين ومبذرين فى التضحية . من حكمة الحية أن تخبىء رأسها لكى لا تسحق ، أن تسد أذنها لكى لا تستمع إلى صوت الحواة مز ٥٨ : ٤ و٥ . وأن تختبىء فى محاجىء الصخر . وفى هذه الناحية ينبغى أن نكون « حكماء كالحيات » ينبغى أن نكون « حكماء » فلا نجلب المتاعب على أنفسنا ، « حكماء » لنصمت فى وقت الشر ، ولكى لا نسىء إلى أحد .

(٢) « **وبسطاء كالحمام** » (« غير مؤذين » حسب الترجمة الانكليزية) . كونوا لطفاء وودعاء وغير سريعى الإنفعال . لا يكفى أن لا تؤذوا أحداً ، بل لا تحملوا أية ضغينة لأحد . كونوا بلا مرارة « كالحمام » . وهذه الوصية يجب أن تتمشى دواماً مع سابقتها . لقد أرسلوا « فى وسط ذئاب » ، لذلك يجب أن يكونوا « حكماء كالحيات » ، ولكنهم أرسلوا « كغنم » ، لذلك يجب أن يكونوا « بسطاء (غير مؤذين) كالحمام » . يجب أن نكون حكماء فلا نؤذى أنفسنا ، و بالحرى لا نؤذى أى شخص آخر . يجب أن نستخدم بساطة الحمامة فنتحمل عشرين إساءة ، لا خداع الحية ولا نرد الإساءة بإساءة واحدة .

(ملاحظة) يجب أن يكون الإهتمام الدائم لكل تلاميذ المسيح أن يكونوا بسطاء ، لا يسببون عثرة فى القول أو فى الفعل ، سيما للأعداء الذين هم فى وسطهم . إننا فى حاجة لروح الحمامة حينما نكون محاطين بالطيور الجارحة ، لكى لا نثير غضبها ، أو يثور غضبنا منها . لقد تمنى داود أن تكون له أجنحة الحمامة ليطير بها بعيداً و يستريح ، لا أن تكون له أجنحة النسور . والروح نزل مثل حمامة واستقر على المسيح . وكل المؤمنين يشتركون فى روح المسيح ، الروح الوديع الهادىء كالحمامة ، الذى يعطى للمحبة والسلام ، لا للحرب والخصام .

(٣) **احذروا من الناس** » ع ١٧ كونوا متيقظين وحذرين على الدوام ، وتجنبوا المعاشرات الخطرة . كونوا حريصين فى كل ما تقولون وتفعلون ، ولا تبالغوا فى الثقة فى أمانة

الـنـاس . ولا تـغتروا بالمظاهر الخداعة . « لا تأتمنوا صاحباً . لا تثقوا بصديق . احفظ أبواب فك عن المضطجعة فى حضنك » مى ٧ : ٥

(مـلاحـظـة) خـلـيـق بـالصالحين أن يكونوا حر يصين ، لأننا قد تعلمنا أن « نكف عن الانـسـان » أش ٢ : ٢٢ . فالعالم الذى نعيش فيه قد وضع كله فى الشر ير ، حتى اننا لا نستطيع ان نـعـرف تـمـامـاً مـن هم الذين يصح أن نضع فيهم ثقتنا . وان كان معلمنا قد سلم بقبلة ، ومن أحد تلاميذه ، فخليق بنا أن « نحذر من الناس » ، من الاخوة الكذبة .

(٤)« **لا تهـتـمـوا كـيـف أو بمـا تـتكلمون** » ع ١٩ . حينما تمثلون أمام الولاة قفوا بغاية الأدب والاحـتـشـام ، ولـكـن لا تـر بكوا أنفسكم بالتفكير كيف تنجون أنفسكم . فكروا تفكيراً حـكـيما ، ولـكـن لا يليق بأن تفكروا تفكيراً مر بكا ومزعجاً . إلقوا هذا الإهتمام على الله ، كما هو واجـب أن تـلـقـوا عليه ذلك الاهتمام الآخر « ماذا تأكلون وماذا تشر بون » . لا تحاولوا أن يكون كـلامـكـم مـنـمـقـاً ، لـكـى تـنـالوا استحسان الناس . لا تحاولوا اختيار التعبيرات الغر يبة ، غير المـألـوفـة ، لتبين بلاغتكم ، التى لا تصلح إلا لكى تستر قضية ضعيفة ، أما القضية القو ية فإنها لا تحـتـاج إلـى طـلاء . والـتـجـاؤك إلـى مثل هذه الطر يقة ينم عن ضعف حجتك ، كأن قضيتك لا تـكـفـى لـلـتحدث عن نفسها . أنتم تعلمون علم اليقين الأساس الذى تسيرون عليه ، لذلك فإنكم لابـد أن تجـدوا الـكـلـمـات المناسبة . لم يتكلم قط أى انسان امام الولاة والملوك أفضل من أولئك الـثلا ثة فتية الأبطال الذين لم يهتموا مقدماً كيف أو بما يتكلمون ، بل قالوا بكل ثبات « يانبو خذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر » دا ٣ : ١٦ ، أنظر مز ١١٩ : ٤٦

(٤) « **لا تهـتـمـوا كـيـف أو بمـا تتكلمون** » ع ١٩ . حينما تمثلون أمام الولاة قفوا بغاية الأدب والاحـتـشـام ، ولـكـن لا تـر كـبوا أنفسكم بالتفكير كيف تنجون أنفسكم . فكروا تفكيراً حـكـيما ، ولـكـن لا يليق بأن تفكروا مر بكا ومزعجاً . إلقوا هذا الإهتمام على الله ، كما هو واجب أن تـلـقـوا عـليه ذلك الاهتمام الآخر « ماذا تأكلوا وماذا تشر بون » . لا تحالوا أن يكون كلامكم مـنـمـقـاً ، لكى تنالوا استحسان الناس ، لا تحاولوا اختيار التعبيرات الغر بية ، غير المألوفة ، لتبين بلاغـتـكـم ، الـتـى لا تـصـلـح إلا لكى تستر قضية ضعيفة ، أما القضية القو ية فإنها لا تحتاج إلى طـلاء . والتجاؤك إلى مثل هذه الطر يقة ينم عن ضعف حجتك ، كأن قضيتك لا تكفى للتحدث عـن نـفـسـهـا . أنتم تـعلمون علم اليقين الأساس الذى تسيرون عليه ، لذلك فإنكم لابد أن تجدوا الـكـلـمـات المـنـاسـبـة . لم يـتـكلم قط أى انسان أمام الولاة والملوك أفضل من أولئك الثلا ثة فتية الأبطال الذين لم يهتموا مقدماً كيف أو بما يتكلمون ، بل قالوا بكل ثبات « يانبو خذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر » دا ٣ : ١٦ ، أنظر مز ١١٩ : ٤٦

(ملاحظة) يجب على تلاميذ المسيح أن يحرصوا كيف **يسلكون** حسنا أكثر من حرصهم كيف **يتكلمون** حسناً . وأن يحرصوا كيف **يحتفظون** بنزاهتهم أكثر من حرصهم كيف **يظهرونها** . وأقوى حجة هي تصرفاتنا لا كلماتنا الجوفاء

(٥) « ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى » ع ٢٣ وهكذا ارفضوا الذين يرفضونكم و يرفضون تعاليمكم ، وجربوا غيرهم لعلهم يقبلونكم و يقبلون تعاليكم ، اهربوا لنجاتكم .

(ملاحظة) يجوز لتلاميذ المسيح فى أوقات الخطر الشديد ، بل يجب عليهم أن يهربوا لنجاتهم حينما يفتح لهم الرب بعنايته باباً للنجاة . وان من يهرب قد يجاهد مرة أخرى . ليس أمراً معيباً أن كان جنود المسيح يتركون الميدان ، على شرط أن لا يتركوا مبادئهم ، يجوز لهم أن يهربوا من الخطر ، على شرط أن لا يهربوا من الخدمة .

لاحظ عناية المسيح بتلاميذه فى اعداده أمكنة للاعتزال فيها ، أو للتحصن فيها ، إذ أن تلك العناية ترتب بأن لا يقوم الاضطهاد فى كل الأمكنة فى وقت واحد . ان حمىَ وطيس الاضطهاد « فى هذه المدينة » وجدوا راحة فى « الأخرى » . والفرص التى يقدمها الله لنا ينبغى أن نستخدمها ولا نحتقرها ، ولكن ينبغى على الدوام أن لا نخرج عن هذه القاعدة : أن لا نلجأ للوسائل الخاطئة غير الشرعية للنجاة ، وإلا كانت باباً لم يفتحه الله . ولنا أمثلة كثيرة على هذه القاعدة فى تاريخ المسيح وتاريخ الرسل . ولتطبيق كل هذه الأمثلة على حالاتنا الخاصة نحتاج إلى الحكمة للارشاد « الحكمة نافعة للانجاح » (أو « للارشاد » حسب الترجمة الانكليزية) جا ١٠ : ١٠

(٦) « لا تخافوهم » ع ٢٦ لأنهم لا يستطيعون إلا أن **« يقتلوا الجسد »** ع ٢٨

(ملاحظة) ليس واجباً على تلاميذ المسيح فحسب ، بل مما يعزيهم ، أن لا يخافوا أقوى خصومهم . والذين يخافون الله بالحق لا يليق بهم أن يخافوا الانسان . والذين يخافون من أقل خطية لا يليق بهم أن يخافوا من أشد المتاعب . « خشية (خوف) الانسان تضع شركا » أم ٢٩ : ٢٥ شركا مربكا ومزعجاً ، يهدد سلامنا ، شركا مغرياً ، نجذب به للشر . لذلك يجب أن نحرص منه كل الحرص ، ونجاهد ضده ، ونصلى لكى لا نقع فيه . ومهما تحرجت الأوقات ، واشتدت الأزمات ، وعظمت الضيقات ، وثار الأعداء ، فلا مبرر للخوف ، « لذلك لا نخشى ولو تزعزعت الأرض » مز ٤٦ : ٢ طالما كان لنا إله صالح كهذا ، وحق صالح كهذا ، «ورجاء صالح بالنعمة » كهذا ٢ تس ٢ : ١٦

نعم ، ان الكلام سهل ، ولكن حينما يحين وقت المحاكمات ، والجلد والسجون ، والسيوف والنـار، فإن هذه الأمور المرعبة تكفى بأن تجعل أقوى القلوب تفزع وترتد إلى الوراء ، سيما إذا تبين انه من الممكن تجنبها بالتقهقر والرجوع إلى الخلف بمنتهى السهولة . ولذلك فلكى يحصننا المسيح ضد هذه التجارب نراه يقدم لنا هنا :

[١] سبباً معقولا أن لا نخاف . وهذا السبب يرجع إلى أن قوة الأعداء محدودة . انهم « **يقتلون الجسد** » هذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه حنقهم . إلى هذا الحد يستطيعون أن يصلوا ، إذا سمح لهم الله ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يتعدوه . « **ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها** » أو يلحقوا بها أى أذى ، والنفس هى الانسان . من هذا يتضح أن النفس لا تضطجع نائمة عند الموت كما يتوهم البعض ، ولا تحرم من موهبة التفكير والإدراك . والإكان قتل الجسد قتلا للنفس أيضاً . إن النفس تقتل إذا فصلت عن الله وعن محبته التى هى حياتها ، وتصبح آنية غضبه . وهذا أبعد من أن يصل إليه سلطانهم . قد تفصلنا الشدة والضيق والاضطهاد عن كل العالم ، ولكنها لا تفصلنا عن الله ، لا تعوقنا عن أن نحبه ، ولا تعوقه عن أن يحبنا رو ٨ : ٣٥ و٣٧ . فإن أردنا أن نعنى بنفوسنا ، كلآلئنا ، فعلينا أن لا نخاف من البشر الذين لا يقوى سلطانهم على سلبها منا ، فإنهم لا يقدرون إلا أن « يقتلوا الجسد » الذى سيموت سريعاً من تلقاء ذاته ، « ولكنهم لا يقدرون أن يقتلوا النفس » التى تتمتع بذاتها و بإلهها رغم أنوفهم . إنهم لا يستطيعون إلا أن يحطموا الغلاف الخارجى . تحدى مرة شخص وثنى أحد الطغاة الظالمين بهذا القول : انك تستطيع أن تسىء إلى غلاف أنا كساركوس الخارجى ، ولكنك لن تستطيع أن تسىء إلى أنا كساركوس نفسه . إن اللؤلؤة الكثيرة الثمن لن تمس . لقد أوضح سنيكا بأنك لن تستطيع أن تؤذى الرجل الحكيم الصالح ، لأن الموت نفسه ليس شراً حقيقياً له ، حين قال « إن كنا بكل هدوء ورباطة جأش نواجه ذلك الحد النهائى الذى لن يستطيع الطغاة الظالمون أن يتعدوه ، والذى ينتهى عنده سلطانهم ، فإننا نعلم أن الموت ليس شراً ، لأنه لا يسبب أقل ضرر» .

[٢] علاجاً نافعاً . وهو خوف الله . « **خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم** »

(ملاحظات) — (الأولى) إن جهنم هى هلاك للنفس والجسد . ليست هى ملاشاة لأحدهما ، بل هى تعذيب لكليهما ، هى دمار للانسان كله . وإذا هلكت النفس هلك الجسد أيضاً . لقد أخطأ كلاهما ، فالجسد هو العامل لإغراء النفس على الخطية ، وهو آنيتها فى إرتكابها ، ولذا فلابد أن يتحملا العذاب الأبدى معاً

(الثانية) وهذا الهلاك ينشأ من قدرة الله ، فإنه « يقدر أن يهلك » . هو « هلاك أبدى

مـن وجـه الـرب ومـن مجد قوته » ٢ تس ١ : ٩ ، به « يبين قوته » ليس فقط سلطانه على الحكم ، بل أيضاً قدرته على تنفيذ الحكم رو ٩ : ٢٢

(الـثالثة) لذلك ينبغي على الجميع أن يخافوا الله ، حتى أفضل القديسين فى هذا العالم . « فـإذ نحن عـالمون الـرب نـقـنع الناس » أن يقفوا أمامه بخوف ورعدة ٢ كو ٥ : ١١ . وان كان سـخـطه كخوفه فينبغي أن يكون خوفه كسخطه ، سيا وأنه ليس من يعرف قوة غضبه « من يعرف قـوة غـضـبك . وكخوفك سخطك » مز ٩٠ : ١١ وإن كان آدم فى حالة براءته قد خوف بالتهديد ، فـيـنـبـغـى أن لا يـظـن أحـد مـن تـلامـيذ المسيح أنه ليس فى حاجة إلى الخوف المقدس كرادع . « طـوبـى لـلانـسان المتقى (الخائف) دائماً » أم ٢٨ : ١٤ . قيل عن « إله ابرهيم » (الذى كان وقتئذ ميتاً) انه هو « هيبة (خوف) اسحق » الذى كان لا يزال حياً تك ٣٢ : ٤٢ و٥٣

(الـرابـعـة) إن تملك على القلب خوف الله ، وخوف سلطانه صارا أعظم علاج للخوف مـن الانـسان . ان الوقوع تحت غضب كل العالم أهون من الوقوع تحت غضب الله . لذلك « ينبغى أن يـطـاع الله أكثر من الناس » وهذه ليست قاعدة عادلة فحسب ، بل هى أيضا أدعى لسلامتنا . إن الذين يخافون من انسان يموت ينسون الرب صانعهم أش ٥١ : ١٢ و١٣ ، نح ٤ : ١٤

(٧) « الـذى أقـولـه لـكـم فـى الـظـلـمة قولوه فى النور » ع ٢٧ . مهما قابلتكم الأخطار فاستمروا فى خدمتكم مذيعين الانجيل ومنادين به لكل العالم ، متذكرين أن هذه هى رسالتكم . لـيـس مجـرد غـرض الأعـداء إبادتكم بل إبادة هذه الرسالة ، لذلك انشروها على قدر استطاعتكم مهما كانت النتائج . « الذى أقوله لكم قولوه » .

(مـلاحـظـة) إن ما سلمه الينا الرسل هو نفس ما استلموه من يسوع المسيح عب ٢ : ٣ . انهم تكلموا بما أخبرهم به ، لا أكثر ولا أقل

وهـؤلاء الـسـفـراء استلموا تعليمهم فى السر ، « فى الظلمة » ، فى الأذان ، فى الزوايا ، فـى أمـثـال . لـقـد كلم المسيح علانية بأمور كثيرة ، وفى الخفاء لم يتكلم بشي يخالف ما تكلم به عـلانية يو ١٨ : ٢٠ أما التعاليم الخاصة التى أعطاها لتلاميذه بعد القيامة « المختصة بملكوت الله » فـقـد همـس بهـا فـى الأذن أع ١ : ٣ . لأنـه وقـتـئـذ لم يعلن نفسه علانية : ولكنهم ينبغى أن يذيعوا رسالتهم علانية ، « **فى النور... على السطوح** » ، لأن تعاليم الانجيل تخص الجميع (أم ١ : ٢٠ و٢١ ، ٨ : ٢ و٣) لذلـك « مـن لـه أذنان للسمع فليسمع » . كان أول إعلان للكنيسة عن قبول الأمم « على السطح » أع ١٠ : ٩

(مـلاحـظـة) لا يـوجد فى إنجيل المسيح أى جزء يحتاج إلى أن يخفى لأى سبب « فكل

مشورة الله » ينبغى أن تذاع أع ٢٠ : ٢٧ . ينبغى أن تذاع كاملة و بكل وضوح للجميع .

٢ ـــ من باب التعزية والتشجيع . وهنا نجد المسيح يقدم الكثير من التعاليم للغرض السالف الذكر ، ولكنها قليلة بالنسبة للمتاعب الكثيرة التى كانت سوف تقابلهم أثناء خدمتهم ، و بالنسبة لضعفهم وقتئذ ، الذى لم يكن يمكنهم حتى من تحمل مجرد التفكير فى تلك المتاعب دون معونة قوية . لذلك نرى المسيح يبين لهم هنا لماذا ينبغى أن يتشجعوا ولا يخافوا .

(١) هنا نجد كلمة واحدة خاصة بارساليتهم الحالية ع ٢٣ « **الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الانسان** » ع ٢٣ . كان عليهم أن يكرزوا بأن ملكوت « ابن الانسان » المسيا ، قد إقترب ، وكان عليهم أن يصلوا « ليأت ملكوتك » والآن يخبرهم بأنهم لا يكملون مدن إسرائيل ، مصلين وكارزين هكذا ، حتى يكون هذا الملكوت قد أتى برفعة المسيح وسكب الروح . وقد كان مما يعزيهم .

[١] إن كل ما يقولونه يتم . لقد قالوا : إن ابن الانسان آت ، وهوذا قد أتى . إن المسيح « مقيم كلمة عبده ومتمم رأى رسله » أش ٤٤ : ٢٦

[٢] أن يتم سريعاً .

(ملاحظة) مما يعزى خدام المسيح أن وقت عملهم قصير ، و ينتهى سريعاً . فلكل أجير يومه . والعمل لابد أن يتم فى وقت قصير

[٣] وأنهم عندئذ يرفعون إلى مراكز أسمى ، متى أتى ابن الإنسان يلبسون قوة من الأعالى . لقد أرسلوا الآن كسفراء ومبعوثين فى منطقة محدودة ، ولكنهم بعد وقت قصير تتسع ارساليتهم فتشمل كل العالم .

(٢) وهنا نجد كلمات كثيرة تخص عملهم بصفة عامة ، والضيقات التى سوف يلتقون بها فى عملهم ، وهى كلمات طيبة ومعزية .

[١] إن آلامهم سوف تكون « **شهادة لهم وللأمم** » ع ١٨ (أو « شهادة ضدهم وضد الأمم » حسب الترجمة الانجليزية . أو « شهادة عليهم وعلى الأمم » كما ورد فى هامش الكتاب) . عندما تنقلكم المجامع اليهودية إلى الولاة الرومانيين لكى يحكموا عليكم بالموت فإن انتقالكم هكذا من محكمة لأخرى يساعد على جعل شهادتكم أكثر ذيوعاً ، و يعطيكم الفرصة لتقديم الانجيل للأمم كما لليهود . نعم إنكن تشهدون لهم وضدهم بنفس المتاعب التى تتحملونها .

(ملاحظة) إن شعب الله ، وخاصة خدامه ، هم شهوده أش ٤٣ : ١٠ ليس فقط بما يتممونه من خدمات ، بل أيضاً بما يتحملونه من تضحيات . لهذا سموا شهداء ، أى شهود للمسيح بأن تعاليمه لا يتسرب اليها الشك من جهة يقينيتها أو من جهة قيمتها . وكونهم شهود له يجعلهم شهوداً ضد الذين يقاومونه و يقاومون انجيله . وكما أن آلام الشهداء تشهد لحق الانجيل الذين يعترفون به ، فإنها تشهد كذلك لعداوة مضطديهم ، وهى فى كلتا الحالتين تشهد ضدهم ، وسوف تكون حجة ضدهم فى اليوم العظيم حين يدين القديسون العالم . وستكون حيثيات الحكم « بما أنكن فعلتموه بهؤلاء فبى فعلتم » . وان كانت آلامهم شهادة فجدير بهم أن يحتملوها بفرح . لأن شهادتهم لا تتم حتى يأتى أولئك رؤ ١١ : ٧ . وإن كانوا شهود المسيح فخليق بهم أن يتحملوا ما يصادفونه من متاعب وأوجاع .

[٢] إنهم سيحظون فى كل المناسبات برفقة الله الخاصة لهم ، ومعونة روحه القدوس العاجلة ، سيا حينما يدعون لحمل شهادتهم أمام « ولاة رملوك » . قال لهم المسيح « **لأنكن تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به** » . أختير تلاميذ المسيح « من بين جهلاء العالم » فقد كانوا غير متعلمين ، ولذلك كان يحق لهم أن يشكوا فى كفاءتهم ، سيا إذا دعوا للمثول أمام العظماء . حينما أرسل موسى إلى فرعون اعتذر قائلا « لست أنا صاحب كلام » خر ٤ : ١٠ وعندما وكل ارميا على الشعوب اعترض قائلا « إنى ولد » ار ١ : ٦ ، ١٠

وللرد على ما قد يقدم من هذه الأفكار:

(أولا) نرى أن المسيح يعدهم هنا بأنهم « يعطون بما يتكلمون به » ، لا قبل الحاجة ببعض الوقت ، بل « فى تلك الساعة . انهم سيرتجلون الكلام بلا استعداد ، ومع ذلك سيصيبون الهدف ، كأنهم قد درسوا موضوع الحديث دراسة وافية .

(ملاحظة) حينما يدعونا الله لنتحدث عنه فخليق بنا أن نعتمد عليه ليعلمنا ما نتكلم به ، حتى فى أسوأ الظروف .

(ثانياً) و يؤكد لهم بأن الروح ت القدس هو الذى يقدم لهم كل ما يحتاجون من حجج . « **لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم** » ع ٢٠ . إنهم لم يتركوا لأنفسهم فى ظرف كهذا ، ولكن الله تعهد بأن ينوب عنهم ، فإن روح الحكمة تكلم فيهم ، كما تكلمت أعمال عنايته أحيانا نيابة عنهم ، وفى كلتا الحالتين بعثوا اقناعا حتى فى عقول مضطهديهم . لقد وهبهم الله قدرة ليس فقط على التكلم فى الموضوع المناسب ، بل أيضا على التكلم بغيرة مقدسة . ونفس الروح الذى أعانهم فى المنبر أعانهم أمام المحاكم . وكل الذين لهم

هذا الشفيع (المحامى) . الذين يقول لهم الله ما قاله لموسى « اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به » خر ٤ : ١٢ لا يمكن إلا أن يكسبوا قضيتهم .

[٣] إن « **الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص** » ع ٢٢ . مما يعزينا جداً هنا أن نجد :

(أولا) أنه لابد أن تكون هنالك نهاية لتلك المتاعب . إنها قد تدوم إلى أجل طويل ، ولكنها لن تدوم إلى الأبد . قال المسيح عن نفسه « لأن ما هو من جهتى له انقضاء » لو ٢٢ : ٣٧ فينبغى أن نعزى أنفسنا بذلك . يقول المثل اللاتينى « وهذه أيضا سوف يضع الله لها حداً » .

(ملاحظة) مما يعيننا على تحمل المتاعب بالصبر أن ننظر إلى أن مدتها محدودة . « هنالك يكف المنافقون عن الشغب . وهناك يستريح المتعبون » أى ٣ : ١٧ . وسوف يعطينا الله « آخرة ورجاء » أر ٢٩ : ١١ . قد تبدو الضيقات متعبة « كأيام الأجير » أى ٧ : ١ ، ولكن شكراً لله لأنها ليست دائمة .

(ثانيا) وهى محتملة أثناء مدة بقائها . وكما أنها ليست أبدية فهى ليست مما لا يحتمل . إنها يمكن تحملها ، وتحملها « إلى المنتهى » لأن المتألمين سوف يحملون ـــ إذ يكونون تحت عبئها ـــ على الأذرع الأبدية ، والقوة سوف تكون مناسبة للحاجة ١ كو ١٠ : ١٣ .

(ثالثا) وسيكون الخلاص هو الجزاء الأبدى لكل من « يصبر الى المنتهى » . إن الجو عاصف ، والطريق وعر ، ولكن سعادة الوطن سوف تعوض عن كل شيء . لقد كان التطلع الى اكليل المجد أقوى مشجع للقديسين فى تحمل آلامهم فى كل الأجيال ٢ كو ٤ : ١٦ و١٧ و١٨ ، عب ١٠ : ٣٤ . هذا لا يشجعنا فقط على أن نصبر ، بل يحثنا على أن نصبر إلى المنتهى . إن الذين يصبرون الى حين ، وفى وقت التجربة يرتدون (لو ٨ : ١٣) يضيع كل تعبهم هباء ، ويخسرون كل ما ربحوه . أما المثابرون فهم وحدهم الذين يضمنون الاكليل . « كن أمينا الى الموت » وعندئذ تعطى « أكليل الحياة » رؤ ٢ : ١٠ .

[٤] ومهما كانت الآلام التى يلقاها تلاميذ المسيح فانها لا تزيد عما لقيه سيدهم من قبل ع ٢٤ و٢٥ « **ليس التلميذ أفضل من المعلم** » . فى بشارة يوحنا ص ١٣ : ١٦ نجد هذه العبارة تعطى للتلاميذ كحجة لكى لا يحجموا عن تأدية أتفه الخدمات كغسل أرجل بعضهم البعض . وهنا يقدمها حجة لكى لا يتعثروا أمام أشد المتاعب والضيقات . وفى يو ١٥ : ٢٠ يذكرهم بهذا القول . جرى هذا التعبير مجرى الأمثال « ليس التلميذ أفضل من المعلم » لذلك ينبغى أن لا يتوقع نصيباً أوفر .

(ملاحظات) ــ (الأولى) إن يسوع المسيح هو معلمنا ، معلمنا الذى يقوم بتعليمنا ، ونحن تلاميذه لنتعلم منه . معلمنا الذى يقودنا ، ونحن عبيده لنطيعه . هو « رب البيت » كما يمكن أن يفهم من النص اليونانى ، وله السلطان المطلق فى كنيسته ، التى هى بيته .

(الثانية) إن ربنا ومعلمنا يسوع المسيح لقى إساءات كثيرة من العالم ، فقد لقبوه بعلزبول (إله الذباب) وهو اسم رئيس الشياطين ، واتهموه بأنه متحالف معه . إنه ليتعذر علينا الحكم عما هو أشد تعجبا : أهو شر البشر الذين أساءوا هذه الإساءات للمسيح ، أم صبر المسيح الذى سمح بأن يساء الى شخصه هكذا ، فيلقب بإله الذباب وهو إله المجد ، و بإله المجد ، و بإله عقرون وهو ملك اسرائيل ، و برئيس قوات الظلمة وهو رئيس الحياة و باعث النور ، أن يتهم بتحالفه مع الشيطان وهو مهلكه ، ورغم كل ذلك نراه قد « احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه » عب ١٢ : ٣ .

(الثالثة) إن افتكارنا فى الإساءات التى لقيها المسيح من هذا العالم تبعثنا على أن نتوقع لأنفسنا نظيرها ، ونستعد لها ، ونتحملها بالصبر . فلا نستغربن ان كان الذين أبغضوه يبغضون أتباعه من أجله . ولا نستصعبن أن كان الذين سوف يصبحون عما قريب شركاء فى مجده يصبحون الآن شركاء فى آلامه . لقد شرب المسيح الكأس المرة كسابق لنا ، فلنكن مستعدين للاقتداء به ، فان حمله للصليب هون علينا الأمر .

[٥] إنه « **ليس مكتوم لن يستعلن** » ع ٢٦ قد يكون المقصود بهذا :

(أولا) إعلان الانجيل لكل العالم . هل « تنادون به » ع ٢٧ لأنه ينبغى أن ينادى به ؟ إن الحقائق التى أخفيت الآن عن بنى البشر كألغاز سوف تذاع لكل الأمم فى لغاتها (أع ٢ : ١١) . « فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا » أش ٥٢ : ١٠ .

(ملاحظة) من أكبر المشجعات لمن يعملون عمل المسيح أنه لابد أن يتم . فان الله يعنى بتعجيله .

(ثانيا) أو إعلان براءة خدام المسيح المتألمين الذين يلقبون ببعلزبول . إن صفاتهم الحقيقية مستورة الآن بسبب الاتهامات الباطلة ، ولكن مهما كانت براءتهم وصفاتهم السامية النبيلة مكتومة الآن فانها لابد أن تستعلن . قد تستعلن بعض الأحيان فى هذا العالم بدرجة عظيمة جداً حينما يضىء بر القديسين كالنور بسبب الحوادث المتتابعة . ولكنها على أى حال ستستعلن فى ذلك اليوم العظيم حينما يعلن مجدهم لكل العالم والملائكة والناس الذين هم منظر لهم الآن ١ كو

٤ : ٩ . سوف يدحرج كل عارهم ، أما نعمهم وخدماتهم المكتومة الآن فانها سوف تستعلن ١ كو ٤ : ٥ .

(ملاحظة) مما يعزى شعب الله أثناء إساءات البشر ونميماتهم وافتراءاتهم أنه ستكون هنالك قيامة للأسماء كقيامة الأجساد في اليوم الأخير حينما يضيء الأبرار كالشمس . فعلى خدام المسيح أن يعلنوا حقه بأمانة و يتركوا له الأمر لكي يعلن نزاهتهم في الوقت المناسب .

[٦] إن الله يعنى بقديسيه في آلامهم بصفة خاصة ع ٢٩ — ٣١ . جميل جداً أن نلجأ الى مبادئنا الأولى ، سيما إلى عقيدة عناية الله العامة التى نبسط جناحيها لتظلل كل الخليقة ، وكل أعمالها ، حتى أدقها وأتفهها . إن نور الطبيعة يعلمنا هذا ، و يالها من تعزية لكل البشر ، سيما كل الصالحين ، الذين يستطيعون بالإيمان أن يدعوا الله أباً لهم ، الذى يعنى بهم عناية خاصة . وهنا نرى :

(أولا) مدى عناية الله العامة التى تشمل كل الخليقة ، حتى أصغرها ، وأقلها شأناً ، كالعصافير ع ٢٩ . هذه الطيور الصغيرة قليلة الأهمية ، حتى أنها لا تباع بالواحدة ، « **فالعصفوران يباعان بفلس** » بل إن « خمسة عصافير تباع بفلسين » لو ١٢ : ٦ ومع ذلك فانها غير محرومة من عناية الله . « **واحد منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم** » أى :

١ — إنها لا تحط « على الأرض » لتلتقط حبة حنطة دون أن يكون « أبوكم » قد اعدها لها بعناية . في الجزء المقابل لهذه الآية في بشارة لوقا (ص ١٢ : ٦) نرى هذا التعبير « وواحد منها ليس منسياً أمام الله » ليس منسياً من عنايته فانه « يقوتها » مت ٦ : ٢٦ . والآن لنتيقن بأن الذى يقوت العصافير لا يمكن أن يسمح بأن يهلك القديسون جوعاً .

ب — إنها « لا تسقط على الأرض » ميتة ، سواء أكان الموت طبيعياً أو عنوة ، دون ملاحظة الله منها كانت جزءاً تافهاً من الخليقة فإن موتها تلحظه العناية الألهية ، فبالأولى جداً موت تلاميذه ، لاحظ أن العصافير التى تحلق في الجو « تسقط على الأرض » إذا ماتت ، فالموت يضع أعلى المخلوقات الى الأرض . يظن البعض أن المسيح يشير هنا الى العصفورين اللذين كانا يستعملان في تطهير الأبرص لا ١٤ : ٤ — ٦ ، واللذين كانا يذبح أحدهما و بذلك « يسقط على الأرض » ، أما الآخر فكان يطلق حياً . كان يبدو أن أحد العصفورين يذبح عرضاً ، إذ كان الشخص المكلف يأخذ أحدهما كيفما شاء ، أما الله فانه بعنايته كان يحدد أيهما الذى يجب أن يذبح . فان كان الله ينظر بعين عنايته للعصافير لأنها خليقته ، ألا ينظر اليكم بالأحرى يا أبناءه . وإن كان العصفور لا يموت « بدون أبيكم » ، فيقيناً أن الإنسان — المسيحى الخادم ، حبيب الله ، ابنه — لا يمكن أن يموت بدون أبيكم . لا يمكن أن يسقط العصفور في شبكة الصياد ، أو يموت

ببتدقيه ، و بالتالى لا يمكن أن يباع فى السوق إلا بتدبير العناية الإلهية . وأعداؤكم كالصيادين الماكرين ، ينصبون لكم فخاخاً ليرموكم فى الدجى ، ولكنهم لا يستطيعون أن يمسوكم بأذى إلا بسماح من الله . لذلك لا تخشوا الموت ، لأن أعداءكم لا سلطان لهم عليكم إن لم يعطوا من فوق . والله يستطيع أن يحطم سهامهم ويمزق شباكهم مز ٣٨ : ١٢ ١٥ ، ٦٤ : ٤ — ٧ . ويجعل أنفسنا تنفلت مثل العصفور مز ١٢٤ : ٧ . إذن « **فلا تخافوا** » ع ٣١ .

(ملاحظة) إن فى عقيدة عناية الله ما يكفى لتبديد كل مخاوف شعب الله : « **أنتم أفضل من عصافير كثيرة** » . كل إنسان بصفة عامة أفضل من العصافير ، لأن سائر المخلوقات خلقت من أجل الانسان ، وجعلت تحت قدميه مز ٨ : ٦ — ٨ . فبالأولى تلاميذ يسوع المسيح ، لأنهم « أفاضل الأرض » ، مهما احتقروا واستهين بهم كأنهم لا يوازون عصفوراً واحداً .

(ثانيا) الرعاية الخاصة التى تشمل بها العناية الالهية تلاميذ المسيح ، خصوصاً فى آلامهم ع ٣٠ « **وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة** » : هذا تعبير جرى مجرى الأمثال ، يدل على مبلغ عناية الله بكل ما يتعلق بشعبه ، حتى بأدق الأمور وأتفهها . لا ينبغى أن يكون هذا موضوع تعجب وتساؤل ، بل باعثا على تشجيعنا لنعيش حياة الاتكال المستمر على عناية الله التى تتدخل فى كل الظروف ، دون أن يقلل هذا من شأن المجد اللانهائى ، أو يؤثر على الراحة اللانهائية أو يزعج العقل الأزلى . وإن كان الله يحصى شعورهم فبالأولى جداً يحصى رؤوسهم ، و يعنى بحياتهم ، وراحتهم ، ونفوسهم . هذه تتضمن أن الله يعنى بهم أكثر من عنايتهم بأنفسهم . إن الذين يحرصون على إحصاء أموالهم و بضاعتهم ومواشيهم ، لا يفكرون فى إحصاء شعور رؤوسهم . أما الله فإنه يحصى شعور رؤوس شعبه ، « وشعرة من رؤوسهم لا تهلك » لو ٢١ : ١٨ ، لا يلحقهم أقل أذى إلا بإذنه ، فالقديسون لهم قيمة عظمى فى نظر الله ، وحياتهم ثمينة جداً لديه ، وموتهم عزيز عنده .

[٧] إنه عما قريب سوف يعترف فى يوم الانتصار بالذين يعترفون به الآن فى يوم التجربة . أما الذين ينكرونه فإنه سوف ينكرهم إلى الأبد و يرفضهم رفضاً قاطعاً ع ٣٢ ، ٣٣ « **فكل من يعترف بى قدام الناس اعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات الخ** » .

(ملاحظتان) — (الأولى) أنه أمر واجب أن نعترف بالمسيح « قدام الناس » ، وإذا ما أدينا هذا الواجب وجدناه فيما بعد سعادة لا توصف وكرامة لا تقدر .

(أولا) ليس واجبا علينا فقط أن نؤمن بالمسيح بل أيضا أن نعترف بهذا الايمان فى تحمل الآلام من أجله ، إذا دعينا لذلك ، كما نعترف به فى خدمته . ينبغى أن لا نخجل من علاقتنا

بالمسيح ، وخدمتنا له ، وانتظارنا إياه ، لأنه بذلك يظهر اخلاص إيماننا ، و يتمجد اسمه ، و يبنى الآخرون .

(ثانياً) ومهما عرضنا هذا للعار والهوان والآلام الآن فاننا سوف نكافأ عنه مكافأة جزيلة جداً « فى قيامة الأبرار» حينما نحظى بالسعادة التى لا يعبر عنها والشرف العظيم إذ نسمع المسيح يقول « أعترف أنا به » وهل نطمع فى أكثر من هذا ؟ ولو كان هذا دودة حقيرة فى الأرض إلا أنه من خاصتى ، أحد أحبائى ، الذين أحبونى وأحببتهم ، الذين اشتريتهم بدمى ، وجددتهم بروحى « أعترف أنا أيضا به قدام أبى » وهذه أعظم بركة له . أذكرعنه كلمة طيبة حينما يظهر « قدام أبى » لينال حكمه ، أقدمه قدام أبى . إن الذين يكرمون المسيح يكرمهم هذا الاكرام . إنهم يكرمونه « قدام الناس » ، وهذا أمر تافه ، أما هو فإنه يكرمهم « قدام أبيه » ، وهذا أمر جليل .

(الثانية) إنه أمر خطر أن ينكر أى شخص المسيح « قدام الناس » . لأن الذين يفعلون هذا سوف ينكرهم فى ذلك اليوم العظيم حينما يكونون فى أشد الحاجة اليه . إن الذين لا يريدون أن يعترفوا به سيداً لا يعترف بهم خداما . « فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط » ص ٧ : ٢٣ . كان الاعتراف بالمسيح فى العصور الأولى للمسيحية يعرض المرء لتضحية أعز ما يمتلك فى هذا العالم ، ولذلك فقد كان محكا للاخلاص أكثر مما هو الآن حيث تحف خدمة المسيح بعض الامتيازات العالمية .

[٨] إن أساس تلمذتهم يرتكز على الوضع الخاص الذى يجعل الآلام هينة على نفوسهم ، فالمسيح اختارهم ليكونوا اتباعه على أساس استعدادهم لتحمل الآلام ٣٧ — ٣٩ . لقد أخبرهم فى بادىء الأمر أنهم إن لم يكونوا مستعدين لترك كل شيء من أجله فلا يستحقونه . إن البشر لا تخور عزائمهم أمام الصعوبات التى تعترضهم حتما فى سبيل خدماتهم العالمية ، والتى حسبوا حسابها حينما ابتدأوا بهذه الخدمات ، وهم إما أن يقبلوا بإرتياح هذه المتاعب والصعوبات ، أو يخسروا امتيازات وأرباح هذه الخدمات . وفى الخدمة المسيحية ينبغى أن نعرف بأن الذين لا يكونون مستعدين لتضحية كل مصلحة أخرى من أجل خدمة المسيح فإنهم لا يكونون مستحقين لشرف تلك الخدمة وسعادتها . إن الذين لا يخضعون لشروط التجارة لا يمكن أن ينتفعوا بأرباحها . والآن قد قررت الشروط : فإن كانت المسيحية تستحق شيئاً فهى تستحق كل شيء . ولذلك فإن الذين يعتقدون فى صحتها يجدون أنفسهم فى الحال مستعدين لدفع الثمن . والذين يتقبلونها كمصدر سعادتهم يضحون بكل شيء فى سبيلها . والذين لا يقبلون المسيح على أساس هذه الشروط فليتركوه متحملين تبعة عملهم .

(ملاحظة) من أكبر المشجعات لنا أن نذكر بأن كل ما نتركه أو نخسره أو نتحمله من أجل المسيح لا يعود علينا بأى ضرر. وكل ما نضحيه من أجل هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن فلنتأكد بأن التضحية فى محلها .

وتتضمن تلك الشروط بأن المسيح يجب أن يفضل على كل شخص وعلى كل شيء .

(أولا) على أقرب وأعز الأقرباء . « **من أحب أباً أو أماً .. ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى** » بين هؤلاء الأقرباء لا يوجد مجال كبير للحسد ، بل المجال للمحبة ، ولذا فقد ذكر المسيح هذه القرابات كأكثر ما يكون تأثيراً علينا . فالأبناء يجب أن يحبوا آباءهم ، والآباء يجب أن يحبوا أبناءهم ، ولكنهم إن أحبوهم أكثر من المسيح فانهم لا يستحقونه . وكما اننا ينبغى أن لا يعوقنا عن المسيح بعض أقربائنا ، الأمر الذى حدثنا عنه فى ع ٢١ ، ٣٥ ، ٣٦ كذلك ينبغى أن لا نرتد عنه بسبب محبتنا لهم . ينبغى أن يكون المسيحيون كاللاوى « الذى قال عن أبيه وأمه لم أرهما » تث ٣٣ : ٩

(ثانيا) على راحتنا وسلامتنا « **ومن لا يأخذ صليبه و يتبعنى فلا يستحقنى** » . لاحظ هنا . (١) على الذين يريدون أن يتبعوا المسيح أن يتوقعوا الصليب ويحملوه (٢) وفى حمل الصليب ينبغى أن نتبع المسيح ونتمثل به ، ونحمله كما حمله هو (٣) ومن أكبر المشجعات حينما نلتقى بالصليب أن نذكر أننا بحمله نتبع المسيح الذى أرانا الطريق ، وأننا إذا تبعناه بأمانة فإنه يقودنا وسط الآلام ، لكى نتمجد معه .

(ثالثاً) على الحياة نفسها ع ٣٠ . « **من وجد حياته يضيعها** » من يظن أنه « وجد حياته » حينما ينقذها ويحفظها بانكار المسيح فانه « يضيعها » بالموت الأبدى . ولكن « **من أضاع حياته من أجلى** » من يفضل بأن يضحيها عن أن ينكر المسيح فإنه « **يجدها** » فى حياة أبدية . إن أكثر الناس احتقاراً لهذا العالم الحاضر هم أكثرهم استعداداً للعالم الآخر .

[٩] إن المسيح نفسه يدافع عنهم بأن يظهر نفسه صديقاً لكل أصدقائهم ، و يكافىء كل من يظهر لطفاً نحوهم فى أى وقت ع ٤٠ — ٤٢ . « **من يقبلكم يقبلنى** » .

(أولا) يفهم من هذه العبارة ضمناً أنه رغماً عن أن الأغلبية سوف ترفضهم فانهم سوف يلتقوق بالبعض ممن يقبلونهم و يرحبون بهم ، و يرحبون برسالتهم فى قلوبهم ، و يرحبون بالمرسلين فى بيوتهم من أجل الرسالة . ولماذا يعرض الانجيل إلا إن كان البعض يقبلونه حينما يرفضه الآخرون . فى أسوأ الأوقات توجد بقية حسب اختيار النعمة . وخدام المسيح لن يضيع تعبهم هباء .

(ثـانـيـا) و يسوع المسيح يعتبر أن كل ما يعمل بخدامه الأمناء ـــ سواء من أعمال الرحمة أو القـسـوة ـــ يعمل به شخصياً ، ويحسب نفسه أنه يعامل كما يعاملون . « من يقبلكم يقبلنى » . إن الـكـرامـة أو الاسـاءة الـتـى تـلـحق بالسفير تلحق بالملك الذى أرسله ، وما الخدام إلا « سفراء المـسـيـح » . أنـظر كيف أن المسيح يقبل ممن يظهرون له الولاء والاحترام . إن شعبه وخدامه بيننا على الدوام . وهو معهم « كل الأيام إلى انقضاء الدهر » .

بل إن الاكـرام يـزداد تـصـاعـداً « **ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى** » فالأمر لا يقتصر على أن المسيح يعتبر أن ما يقدم من إكرام لتلاميذه يقدم له شخصياً ، بل أن الأب يعتبر أن كل ما يـعـمـل بـالمـسـيـح يـعـمـل به هو أيضاً . ان الذين يكرمون خدام المسيح لا يكرمون ملائكة فحسب « وهـم لا يـدرون » ، بـل يكرمون المسيح أيضا ، بل الله الآب ، « وهم لا يدرون » كذلك ، كما يظهر من ص ٢٥ : ٢٧ « متى رايناك جائعاً الخ » .

(ثـالـثـا) وحـتـى إذا كانت أعمال الرحمة التى تعمل لتلاميذ المسيح تافهة جداً ، إلا إنه مـتـى وجـدت الـفـرصـة لا تمامها ، ولم يكن فى الاستطاعة عمل أى شىء أكثر منها ، فانها تكون مـقـبـولـة فـى عـيـنـى الله ، حـتـى ولو كانت « **كأس ماء بارد فقط** » مقدم الى « **أحد هؤلاء الـصـغـار** » ع ٤٢ . إنهـم « صـغـار » فـقراء وضعفاء ، محتاجون بين آونة وأخرى إلى ما ينعشهم . يرضيهم أقل شىء . قد تكون الحاجة ماسة جداً ، حتى يعتبر « كأس ماء بارد » منة عظمى .

(مـلاحـظة) إن أعمال الرحمة التى تعمل لتلاميذ المسيح تقدر قيمتها فى كتب المسيح لا بحـسـب قـيـمة العطية بل بحسب محبة عواطف المعطى . هذا هو السبب الذى جعل لفلسى الأرملة قـيـمـة عـظـمـى لـو ٢١ : ٣ و٤ . ولهـذا فـان الأغـنـيـاء الحـقيقيين فى النعمة أغنياء فى الأعمال الصالحة ، ولو كانوا فقراء فى العالم .

(رابـعـاً) إن أعمال الرحمة التى تعمل لتلاميذ المسيح ، والتى يتقبلها ، يجب أن تعمل مع **الـتـطـلـع** إلـى المـسيح ومن أجله . يجب أن يقبل النبى « **باسم نبى** » والبار « **باسم بار** » وأحد هـؤلاء الـصـغـار « **باسم تلميذ** » ، لا لأنهم متعلمون ، أو أذكياء ، ولا لأنهم أقرباؤنا أو جيراننا ، بـل لأنهم أبرار وهكذا يحملون صورة المسيح ، لأنهم أنبياء وتلاميذ وهكذا هم مرسلون من المسيح . أن التطلع ـــ بإيمان ـــ إلى المسيح هو الذى يعطى قيمة لأعمال الرحمة التى تعمل لخدامه ، ويجعلها مقبولة . فالمسيح لا يبالى بأى أمر إلا إن كنا نتممه من أجله . قال سينكا « إن كنت تريدنى أن أكـون مـدينا لك بأية خدمة تقدمها فيجب أن لا تتمم الخدمة فقط بل يجب أن تقنعنى أنك تعملها من أجلى » .

(خامسا) إن أعمال الرحمة التى تعمل لشعب المسيح وخدامه لا تقبل فقط بل تكافأ بسخاء. هنالك أمر جزيل للذين يقدمون لتلاميذ المسيح أية خدمة. إذا قدم للرب فانه يرده اليهم مع ربا، لأنه «ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة» عب ٦ : ١٠

١ ـ إنهم سينالون أجراً، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يضيع هذا الأجر «**الحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره**» إنه لا يقول بأنهم **يستحقون** أجراً، فاننا لا نستحق أى شيء كأجر من يد الله، بل إنهم **ينالون** أجراً من نعمة الله المجانية، وأنهم «لا يضيع أجرهم» بأى حال من الأحوال، كما يضيع أجر الخدمات الصالحة عادة بين البشر لعدم أمانة الذين يجب أن يقدموا الأجر، أو لأنهم سريعو النسيان. قد يتأخر الأجر، وسوف يتأخر الأجر الكامل حتى قيامة الأبرار، ولكنه لن يضيع بأى حال من الأحوال ولن يكون الأبرار خاسرين بسبب هذا التأخير.

٢ ـ وهذا الأجر «**أجر نبي ... أجر بار**» أى (١) الأجر الذى يعطيه الله للنبى وللبار. فالبركات التى تمنح لهم تفيض على أصدقائهم (٢) أو الأجر الذى يعطيه بواسطة الأنبياء والأبرار استجابة لصلواتهم (تك ٢٠ : ٧) «إنه نبى فيصلى لأجلك» هذا «أجر نبى». أو بواسطة خدماتهم، فحينما يعطى تعاليم الكلمة وتعزياتها للذين يعطفون على خدام الكلمة فانه حينئذ يرسل «أجر نبى». إن أجر النبى بركات روحية فى السماويات، وإذا عرفنا كيف نقدرها حسبناها أجراً صالحاً.

الأصحاح الحادى عشر

فى هذا الأصحاح نجد (١) نشاط المسيح الدائم، الذى لا يكل، فى عمله العظيم ألا وهو الكرازة بالانجيل ع ١ (٢) حديثه مع تلاميذ يوحنا عن أنه هو المسيا ع ٢ ـ ٦ (٣) الشهادة السامية التى شهدها المسيح ليوحنا المعمدان ع ٧ ـ ١٥ (٤) الوصف المؤلم الذى يصف به ذلك الجيل بوجه عام، و بعض الأماكن الخاصة، وذلك بمناسبة نجاح خدمة يوحنا وخدمته ع ١٦ ـ ٢٤ (٥) شكره للآب بصدد الخطة الحكيمة الرشيدة التى اتبعها نحو إعلان أسرار الانجيل العظمى ع ٢٥ و٢٦ (٦) دعوته السامية للخطاة المساكين ليأتوا اليه و يتعلموا منه و يقبلوا قيادته و ينالوا خلاصه ع ٢٧ ـ ٣٠ .

لا تجد في أى مكان آخر في الكتاب المقدس تعليماً عن أهوال و يلات الانجيل لتحذيرنا، أو حلاوة نعمة الانجيل لتشجيعنا أكثر من هذا الأصحاح الذى يضع أمامنا الموت والحياة، اللعنة والبركة

١ ـ ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثنى عشر انصرف من هناك ليعلم و يكرز فى مدنهم ٢ ـ أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ٣ ـ وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ٤ ـ فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران ٥ ـ العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون ٦ ـ وطوبى لمن لا يعثر فى

يضع البعض الآية الأولى من هذا الأصحاح فى نهاية الأصحاح السالف كخاتمة له بلا مسوغ كاف

١ ـ قيل هنا عن عظة الرسامة التى ألقاها المسيح على تلاميذه والمدونة فى الأصحاح السالف بأنها « **أمره** » لهم

(ملاحظة) إن إرسالية المسيح تتضمن أوامره . فكرازتهم بالانجيل لا يسمح لهم بها فقط بل هى أمر لهم . لم تكن أمراً ترك لحريتهم، بل كانت الضرورة موضوعة عليهم ١ كو ٩ : ١٦ . والمواعيد التى وعدوا بها متضمنة فى هذه الأوامر، لأن عهد النعمة « كلام أوحى (أمر) به » مز ١٠٥ : ٨ .

لقد « **أكمل أمره** »

(ملاحظة) ان التعاليم التى يعطيها المسيح تعاليم كاملة . وهويتابع عمله .

٢ ــ ولما قال المسيح كل ما يجب أن يقال لتلاميذه « **انصرف من هناك** » . و يبدو أنهم كانوا لا ير يدون قط أن ينصرفوا عن معلمهم حتى ينصرف هوعنهم و يتركهم ، كما تتنحى الأم أو المربية عن الطفل لكى تدعه يتعلم كيف يمشي وحده . أراد المسيح وقتئذ أن يعلمهم كيف يعيشون وكيف يخدمون دون وجوده معهم بالجسد . كان خيراً لهم أن ينصرف المسيح عنهم بعض الوقت لكى يستعدوا لانصرافه الطو يل عنهم ، ولكى يعتمدوا على أيديهم بمعونه الروح القدس (تث ٣٣ : ٧) ، فلا يكونوا دواماً أطفالا .

لم يعطنا الكتاب إلا وصفاً موجزاً عما فعلوه نتيجة إرسال المسيح إياهم . الأرجح انهم ذهبوا إلى اليهودية (لأن الجليل كانت قد تمتعت أكثر من غيرها بالكرازة بالانجيل إلى ذلك الوقت) منادين بتعاليم المسيح ، وصانعين معجزات باسمه . على انهم كانوا لا يزالون يعتمدون عليه شخصياً ، لأنهم لم يغيبوا عنه طو يلا . وهكذا تمرنوا على خدمتهم العظمى تدريجياً .

٣ ــ والمسيح انصرف « **ليعلم و يكرز** » فى المدن التى أرسل تلاميذه اليها أمامه ليصنعوا معجزات وآيات (ص ١٠ : ١ ــ ٨) وهكذا يوقظون أشواق الشعب ، و يعدونهم لاستقباله . وهكذا « أعد طر يق الرب » . فيوحنا أعده بدعوة الشعب للتوبة ، لكنه لم يصنع معجزات . والتلاميذ فعلوا أكثر ، فإنهم صنعوا آيات للتأييد

(ملاحظة) إن التوبة والإيمان يعدان الشعب لبركات ملكوت السموات التى يهبها المسيح .

لاحظ ان المسيح حينما « اعطاهم سلطاناً » ليصنعوا آيات انصرف هوإلى التعليم والكرازة ، كأن هذه المهمة أكثر كرامة . وما الآيات إلا تمهيد للتعليم . ان شفاء الأمراض خلاص للجسد ، أما الكرازة بالانجيل فهى خلاص للروح . طلب المسيح من تلاميذه أن يكرزوا (ص ١٠ : ٧) ومع ذلك فإنه هونفسه لم يهمل الكرازة . وهولم يقمهم للخدمة لراحته هو، بل لراحة البلاد ، ولم تكن اقامتهم للخدمة سبباً فى أن يقل نشاطه . لذلك فإن الذين يضعون النير على أعناق الآخرين لكى يستريحوا هم إنما يختلفون عن المسيح كل الاختلاف

(ملاحظة) إن ازدياد عدد الخدام فى عمل الرب يجب أن لا يكون حجة لإهمالنا بل

باعثاً على زيادة نشاطنا . وكلما ازداد نشاط الآخرين وجب أن يزداد نشاطنا . لأنه مهما ازداد عدد الخدام فلا يزال الحقل متسعاً جداً .

لاحظ انه ذهب ليعلم « **في مدنهم** » التي كانت مكتظة بالسكان . لقد طرح شبكة الانجيل حيث يتكاثر السمك . الحكمة تنادى « في المدينة » (أم ١ : ٢١) « عند ثغر (مدخل) المدينة » (أم ٨ : ٣) . في مدن اليهود ، في مدن من استخفوا به ، الذين قد أعطيت لهم الفرصة الأولى رغم ذلك .

لا يدون لنا الكتاب شيئاً عن مضمون كرازته ، ولكنها على الأرجح تدخل ضمن نطاق عظة الجبل . على أننا بعد ذلك مباشرة نجد الانجيلي يدون لنا بعض التفاصيل عن الرسالة التي أرسلها يوحنا المعمدان إلى المسيح ورد المسيح عليها ع ٢ ــ ٦ . رأينا فيما سبق أن المسيح سمع عن آلام يوحنا ص ٤ : ١٢ . والآن يخبرنا البشير متى أن يوحنا في سجنه سمع عن أعمال المسيح . لقد « **سمع في السجن بأعمال المسيح** » . ولا شك في أنه أغتبط بسماعه عنها ، لأنه كان صديقا مخلصا للعريس يو ٣ : ٢٩

(ملاحظة) عندما تنزوى آلة نافعة فإن الله يعرف كيف يقيم بدلها آلات كثيرة .

استمرت الخدمة رغم الزج بيوحنا في السجن ، وهذا لم يزد في آلامه ، بل بعث في نفسه تعزية كبرى في وثقه . لا شيء يبعث تعزية في نفوس شعب الله في آلامهم بقدر ما يسمعون « بأعمال المسيح » ، سيما إذا ما اختبروها في نفوسهم . هذا يحول السجن الى قصر ، والمسيح يعلن محبته بأية طريقة من الطرق لمن يتألمون من أجل الضمير . لم ير يوحنا أعمال المسيح ، ولكنه سمع عنها بسرور وطوبى لمن لم يروا بل سمعوا فقط ومع ذلك آمنوا .

وإذ سمع يوحنا المعمدان بأعمال المسيح « **أرسل اثنين من تلاميذه** » اليه . وهنا نرى تفصيل ما جرى بينهم من حديث .

(أولا) السؤال الذى وجهاه اليه : « **أنت هو الآتي أم ننتظر آخر** » كان هذا سؤالا خطيراً وجوهرياً . أأنت هو المسيا المنتظر أم لا ، أأنت هو المسيح ؟ أخبرنا .

١ ــ كان مجيء المسيا متوقعاً كقضية مسلمة . كان هذا أحد الأسماء التي عرف بها لدى قديسي العهد القديم « الآتي » مز ١١٨ : ٢٦ لقد أتى ، ولكن هنالك مجيئاً آخر لا زلنا نتوقعه .

٢ ــ و يفهم من حديثهما بأنه إن لم يكن هو الآتي وجب عليهما انتظار آخر .

(ملاحظة) يجب أن لا نمل من انتظار الآتى ، أو نقول إننا لن ننتظره فيما بعد حتى نأتى لنتمتع به . بل لننتظره مهما أبطأ ، لأنه لابد أن يأتى الآتى ، ولولم يكن فى وقتنا .

٣ ــ و يفهم أيضاً من حديثهما بأنهما إذا اقتنعا بأنه هو، زال عنهما كل شك ، واكتفيا به ، ولم ينتظرا آخر .

٤ ــ لذلك سألا « أنت هو » . لقد سبق أن قال يوحنا عن نفسه « لست أنا المسيح » يو ١ : ٢٠ ، والآن :

(١) يظن البعض أن يوحنا بعث بهذا السؤال لكى يقتنع هو شخصياً . صحيح أنه سبق أن شهد شهادة سامية جداً عن المسيح فقد صرح بأنه هو « ابن الله » يو ١ : ٣٤ ، وأنه هو « حمل الله » يو ١ : ٢٩ ، وهو « الذى يعمد بالروح القدس » يو ١ : ٣٣ ، وأنه « أرسله الله » يو ٣ : ٣٤ . وهذه كلها حقائق سامية . ولكنه أراد أن يزداد تأكداً بأنه هو المسيا الموعود به والمنتظر منذ أجيال طو يلة .

(ملاحظة) فى كل الأمور التى تتعلق بالمسيح والخلاص بواسطته خليق بنا أن نكون متأكدين كل التأكد .

لم يظهر المسيح بمظاهر العظمة والقوة كما كان متوقعاً ، وهذا ما أعثر تلاميذه ، وربما يوحنا أيضاً . وقد رأى المسيح ظلا لهذا فى ثنايا ذلك السؤال ، يؤ يد هذا قوله « وطوبى لمن لا يعثر فى » .

(ملاحظة) ليس أمراً هيناً ، حتى على الصالحين ، أن يقاوموا الأخطاء الشائعة .

(٢) وربما كانت ظروف يوحنا وقتئذاك هى الباعثة على شكوكه . فقد كان سجيناً ، ولعله قد خامرته هذه الشكوك : إن كان يسوع حقا هو المسيا ، فلماذا وأنا صديقه وسابقه أكابد هذا الضيق الذى أعانيه منه زمن طو يل ، ورغم ذلك فإنه لم يفتقدنى قط ، ولم يهتم بى ، ولا أرسل إلى أحداً ، ولا سأل عنى ، ولا فعل شيئا يخفف عنى مرارة السجن أو ينقذنى منه ؟ لا شك فى أنه كان هنالك مبرر لعدم ز يارة الرب يسوع ليوحنا فى السجن ، لئلا يبدو بأن هنالك محالفة بينهما . ولكن يوحنا أول ذلك بأنه إهمال له ، وربما أحدث هذا صدمة لإيمانه فى المسيح

(ملاحظات) ــ (الأولى) حيث وجد الايمان الحقيقى قد يكون ممتزجا ببعض الشكوك . فليس الصالحون كلهم فى درجة واحدة من قوة الإيمان (الثانية) والضيقات من أجل المسيح ــ سيما إذا طالت ــ محك للإيمان قد لا يحتمل فى بعض الأحيان (الثالثة) إن بقايا شكوك

الصالحين قد تطل برأسها فى إحدى ساعات التجربة وتوجه الأسئلة عن الحقائق الرئيسية التى كان يظن بأنها مقررة وثابتة و يقينية . « هل إلى الدهور يرفض الرب » مز ٧٧ : ٧

على أننا نرجو أن لا يكون إيمان يوحنا قد هوى الى هذا المستوى ، فإنه إنما أراد أن يقوى إيمانه و يز يده ثباتاً .

(ملاحظة) إن أفضل القديسين فى حاجة لأفضل الوسائط لتقوية إيمانهم والتحصن ضد تجربة الشك . فابراهيم آمن ، ومع ذلك طلب علامة تك ١٥ : ٦ و٨ ، هكذا فعل جدعون قض ٦ : ٣٦ و٣٧ .

(٣) على أن البعض الآخر يظنون أن يوحنا أرسل تلميذيه إلى المسيح بهذا السؤال لإقناعهما لا لإقناعه هو شخصياً . لاحظ بأن تلاميذه كانوا ملتصقين به ، يمثلون أمامه ، مستعدين لتلقى تعليماته رغم أنه كان سجيناً . فإنهم أحبوه ، ولم ير يدوا أن يتركوه . والآن :

[١] لقد كانا ضعيفين فى المعرفة متذبذبين فى إيمانهما ، وفى حاجة للتعليم والتثبيت ، وفى هذه الناحية كانا متحز بين بعض التحزب لأنهما إذ كانا يغاران على معلمهما كان يغاران من معلمنا ، كانا لا يميلان للاعتراف بيسوع بأنه المسيا لأنه غطى على يوحنا ، ولا ير يدان تصديق معلمهما لأنه تكلم بما ليس فى مصلحته أو مصلحتهما . قد ينحرف حكم الصالحين تمشياً وراء مصلحتهم . بذلك أراد يوحنا تصحيح أخطائهما ورغب فى أن يقتنعا تمام الاقتناع كما اقتنع هو من قبل .

(ملاحظة) يجب على الأقو ياء أن يراعوا ضعفات الضعفاء ، وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم لمساعدتهم . وإن كنا لا نستطيع مساعدة أنفسنا فلنطلب النجدة ممن يستطيعون « وأنت متى رجعت ثبت إخوتك » لو ٢٢ : ٣٢ .

[٢] كان يوحنا كل الوقت يبذل كل ما فى وسعه لتحو يل تلاميذه إلى المسيح كأنه يرقى بهم من المدرسة الابتدائيه إلى الجامعة . ولعله سبق فرأى موته يقترب ، ولذلك أراد أن يزداد تلاميذه تعرفاً بالمسيح الذى سوف يتركهم لعنايته .

(ملاحظة) يجب أن يكون الشغل الشاغل للخدام أن يأتوا بكل شخص للمسيح . وعلى الذين ير يدون التأكد من تعاليم المسيح أن يلجأوا اليه ، لأنه جاء لكى يهبنا بصيرة . وعلى الذين ير يدون النمو فى النعمة أن يكثروا الأسئلة .

(ثانيا) وهنا نجد إجابة المسيح على هذا السؤال ع ٤ — ٦ . لم تكن إجابة مباشرة

وصريحة كما حدث حينما قال « أنا الذى أكلمك هو» ، على أنها كانت إجابة حقيقية ، إجابة فعلية . فالمسيح يريدنا أن نفتش على إدلة حقائق الانجيل المقنعة ، وأن نبذل الجهد للوصول إلى المعرفة .

١ ـــ إنه يوجه أنظارهما لما سمعا ورأيا ، الأمر الذى يجب أن يحدثا عنه يوحنا ، لكى يتخذ من هذا الحديث فرصة ليعلمهما تعليما أوفى و يقنعهما من نفس كلامهما . **« اذهبا أخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران »** .

(ملاحظة) يجب أن نلجأ إلى حواسنا فى الشئون التى من أجلها خلقت .

« اذهبا أخبرا يوحنا »

(١) « بما تنظران » من قوة معجزات المسيح . أنتما تنتظران كيف **أن « العمى يبصرون والعرج يمشون الخ »** وذلك بمجرد كلمة واحدة من يسوع . كانت معجزات المسيح تعمل علناً ، وعلى مرأى من الجميع ، لأنها لم تكن تخشى أقوى فحص منزه عن الغرض . يقول المثل اللاتينى « الحق لا يحاول أن يتستر» . يجب النظر اليها :

[١] كأعمال قوة إلهية . بن يستطيع أن يسود أو يقهر قوة الطبيعة سوى إله الطبيعة . تحدث المرنم عن تفتيح أعين العمى بأنه اختصاص الله وحده مز ١٤٦ : ٨ . إذن فالمعجزات هى ختم السماء الواضح ، ولا يمكن أن يكون التعليم الذى تعلنه إلا من الله ، لأن قوته لا يمكن أن تتناقض مع حقه . ولا يمكن أن يعقل أن يضع ختمه على أمر كاذب ، وإن كانت الأمور العجيبة المضللة تؤيد التعاليم الباطلة فان المعجزات الحقيقية تؤيد الرسالة الإلهية . هكذا كانت معجزات المسيح ، وهى لا تدع أى مجال للشك فى أنه كان مرسلا من الله ، وأن تعليمه كان تعليم الذى أرسله .

[٢] كإتمام للنبوات الإلهية . سبق أن تنبأ أشعيا (ص ٣٥ : ٥ و٦) إن إلهنا يأتى «حينئذ تتفتح عيون العمى الخ » . والآن إذا كانت أعمال المسيح تطابق كلمات النبى ، والواضح أنها تطابقها ، فلا شك فى أن هذا هو إلهنا الذى انتظرناه ، الذى يأتى ومعه الجزاء (ص ٣٥ : ٤) ، هذا هو الذى كنا فى أمس الحاجة اليه .

(٢) أخبراه « بما تسمعان » من كرازة انجيله التى ترافق معجزاته . يأتى الايمان بالسمع ولو تأيد بالنظر . أخبراه :

(١) إن **« المساكين يبشرون)** كما يقرأها البعض . مما يؤيد إرسالية المسيح الإلهية إن

الذين استخدمهم لتأسيس ملكوته كانوا فقراء مساكين ، ليس لديهم أى شيء من المؤهلات العالمية ، ولذلك فلم يكن ممكنا لهم تأدية رسالتهم ما لم يكونوا مدعمين بقوة إلهية .

(٢) إن « المساكين يبشرون » كان المستمعون لكرازة المسيح من هذه الطبقة التى احتقرها الكتبة والفريسيون ونظروا اليها بكل ازدراء ، والتى كان يأبى معلمو اليهود تعليمها لعجزهم عن أن يدفعوا لهم أجراً . كان أنبياء العهد القديم يرسلون فى أغلب الأحيان للملوك والولاة ، أما المسيح فكان يكرز للمساكين . سبق أن تنبأ النبى بأن « أذل (أفقر) الغنم » ينتظرونه زك ١١ : ١١ .

(ملاحظة) إن تنازل المسيح العجيب وعطفه وحدبه على المساكين أدلة على أنه هو الذى كان يجب أن يأتى للعالم بمراحم إلهنا . سبق أن تنبأ النبى بأن ابن داود سوف يكون ملك المساكين مز ٧٢ : ٢ و٤ و١٢ و١٣ .

وقد يكون المقصود بها ، لا مساكين العالم الفقراء ، بل « المساكين بالروح » وبذلك يتم الكتاب « لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين » (أو « الودعاء » حسب الترجمة الأنكليزية) أش ٦١ : ١ .

(ملاحظة) من أدلة رسالة المسيح الإلهية أن تعليمه بشارة حقيقية ، أخبار مفرحة للمنسحقين الحقيقيين حزناً على خطاياهم ، والمتواضعين الحقيقيين بروح إنكار الذات . لمثل هؤلاء يحفظ الله دواماً رحمته .

[٣] ان « المساكين » يقبلون بشارة الانجيل ، وان الانجيل يعمل فيهم . انهم يبشرون ، يقبلون الانجيل و يرحبون به ، يختمر فيهم ، يصبون فيه كأنهم يصاغون فى قالب .

(ملاحظة) إن تأثير الانجيل العجيب دليل على انه من أصل إلهى .

المساكين يتأثرون به . لقد اشتكى الأنبياء من المساكين « لأنهم لم يعرفوا طريق الرب » أر ٥ : ٤ . فإنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا فيهم . أما انجيل المسيح فقد نفذ إلى عقولهم غير المهذبة .

٢ ـــ و يغبط من لا يعثرون فيه « **وطوبى لمن لا يعثر فى** » ع ٦ . هذه البراهين على ارسالية المسيح واضحة جداً حتى أن الذين لا يصرون على غلق قلوبهم أمامه ، ولا يعثرون فيه ، لا يمكن إلا أن يقبلوا تعاليمه ، و بذلك يطوبون و يصيرون سعداء فيه

(ملاحظتان) ـــ (الأولى) هناك أمور كثيرة فى المسيح قد يتعثر بها الجهلاء وغير المفكرين ، هنالك بعض الظروف التى من أجلها يرفضون الانجيل . ان بساطة مظهره ، نشأته فى

الناصرة ، فقره المادى ، حقارة اتباعه ، الاستخفاف الذى قوبل به من العظماء ، صرامة تعاليمه ، عدم ملاءمتها للجسد والدم ، الآلام التى يجرها الاعتراف باسمه — هذه تنفر منه الكثيرين ، الذين لولا ذلك لرأوا الله فيه . لذلك يمكن القول انه « قد وضع لسقوط كثيرين (حتى) فى اسرائيل » لو ٢ : ٣٤ وانه « صخرة عثرة » ١ بط ٢ : ٨

(الثانية) طوبى للذين يتغلبون على هذه العثرات . « طوبى لمن لا يعثر فى » . هذا التعبير يتضمن انه ليس أمراً هيناً التغلب على تلك العثرات ، وان عدم التغلب عليها أمر خطر . أما الذين رغم هذه العقبات يؤمنون بالمسيح فإن إيمانهم يزداد فى « المدح والكرامة والمجد » ١ بط ١ : ٧

٧ — وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا . أقصبة تحركها الريح ٨ — لكن ماذا خرجتم لتنظروا . إنساناً لابساً ثياباً ناعمة . هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك ٩ — لكن ماذا خرجتم لتنظروا . أنبياً . نعم أقول لكم وأفضل من نبى ١٠ — فان هذا هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك ١١ — الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه ١٢ — ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه ١٣ — لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا ١٤ — وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى ١٥ — من له أذنان للسمع فليسمع

هنا نجد الثناء العظيم الذى خلعه الرب يسوع على يوحنا المعمدان ، ليس فقط تكريماً له بل أيضاً تكريماً لعمله . لقد أدرك المسيح بأن بعضاً من تلاميذه قد ينتهزون فرصة السؤال الذى وجهه يوحنا إلى معلمهم فيظنون بأنه ضعيف ومتردد ومناقض لنفسه . ولمنع هذا نرى المسيح هنا يبين صفاته الحقيقية .

(ملاحظة) يجب علينا أن نزيل الشبهات التى تحوم حول أسماء أصدقائنا وكل الظنون

الردية ، وأن ننتهز كل فرصة ــ سيا تلك التى تكشف عن إحدى نواحى الضعف ــ فنتحدث حديثا طيبا عن الذين يستحقون المدح والثناء ونعطيهم ثمر أيديهم .

لقد شهد يوحنا للمسيح حينما كان (يوحنا) على مسرح الخدمة والمسيح معتزلا لم يظهر بعد ، والآن وقد ظهر المسيح علانية وتوارى يوحنا فقد شهد يسوع ليوحنا

(ملاحظة) يجب على الذين نالوا شهرة حسنة أن يز يدوها بالتعظيم من شهرة الآخر ين الذين يستحقون الثناء ولكن ظروفهم قد جعلت أسماءهم تتوارى . هذا هو اعطاء الكرامة لمن يستحق الكرامة .

لقد وضع يوحنا نفسه لكى يرفع المسيح (يو٣ : ٢٩ و٣٠ ، مت ٣ : ١١) ، جعل نفسه كلا شىء لكى يكون المسيح كل شىء ، والآن نرى المسيح يعظم يوحنا

(ملاحظة) ان الذين يتضعون يرتفعون ، والذين يكرمون المسيح يكرمهم ، والذين يعترفون به قدام الناس يعترف بهم ، و بعض الأحيان « قدام الناس » أيضا ، فى هذا العالم

لقد أكمل يوحنا الآن شهادته ، والآن يمدحه المسيح .

(ملاحظة) إن المسيح يحفظ كرامة لخدامه حينما يتممون عملهم يو ١٢ : ٢٦ .

وفى هذا المدح الذى مدح به المسيح يوحنا نلاحظ :

(أولا) أن المسيح تحدث بهذا الحديث السامى عن يوحنا لا على مسمع من تلاميذ يوحنا بل « **بينما ذهب هذان** » . « فلما مضى رسولا يوحنا الخ » لو٧ : ٢٤ بعد انصرافهما مباشرة . لم يرد أن يظهر بأنه يتملق يوحنا ، كما أنه لم يشأ أن يصل هذا المدح اليه .

(ملاحظة) مع أننا يجب أن لا نتأخر عن أن نقدم لكل واحد ما يستحقه من مدح تشجيعاً له ، إلا أننا يجب أن نتجنب كل ما تشتم منه رائحة التملق ، أو ينجم عنه خطر انتفاخه . فإن الذين ماتوا عن العالم فى نواح أخرى قد يتعثرون إذا ما سمعوا مديحهم بأنفسهم . الكبر ياء رذيلة ممقوتة يجب أن لا نغذيها سواء فى أنفسنا أو فى الآخر ين .

(ثانياً) أن ما تحدث به المسيح عن يوحنا لم يقصد به مدحه فقط بل منفعة الشعب أيضا ليحيوا ذكرى خدمات يوحنا التى قوبلت بكل ترحيب ، ولكنها مع الأسف نسيت فيما بعد ، شأنها فى ذلك شأن سائر الخدمات المماثلة . لقد ابتهجوا بنوره ساعة ، وقتاً قصيراً جداً يو ٥ : ٣٥ . والآن

فكروا « ماذا خرجتم إلى البر ية لتنظروا » . وجهوا هذا السؤال لأنفسكم .

١ — لقد كرز يوحنا في « البر ية » وتقاطرت اليه الجموع رغم **بعد المكان وخشونته** وعدم توفر الراحة فيه . إذا انتقل المعلمون إلى أية زاو ية أو ركن فخير لنا أن ننتقل وراءهم من أن نبقى بدونهم . وإن كان تعليم يوحنا جديراً بتكبد كل تلك المشقة لسماعه فانه جدير بأن يعنى بتذكره . وعلى قدر المشقات التى نتكبدها لسماع الكلمة يجب أن يزداد حرصنا على الانتفاع بها .

٢ — إنهم خرجوا اليه لينظروه . ليشبعوا أنظارهم بمنظره غير العادى ، لا ليشبعوا أنفسهم بتعاليمه المغذية . خرجوا لينظروه من باب حب الاستطلاع ، لا بواعز من ضمائرهم .

(ملاحظة) كثيرون ممن يسمعون الكلمة يأتون لكى ينظروا ولكى ينظرهم الناس ، أكثر مما يتعلمون و يعرفون . يأتون لكى يجدوا ما يتحدثون به أكثر مما يجدون ما يحكمهم للخلاص .

ثم أن المسيح وجه اليهم السؤال عن الغاية من خروجهم الى البر ية « ماذا خرجتم إلى البر ية لتنظروا » .

(ملاحظة) إن الذين يحضرون لسماع الكلمة سوف يوجه اليهم السؤال عن الغاية من حضورهم ، وعما استفادوا من الحضور . نحن نظن بأن كل شىء ينتهى بانتهاء العظة . كلا بل أن أهم واجب يبدأ بانتهائها . فانه بمجرد انتهائها يوجه الينا هذا السؤال : ماذا استفدته من هذه الخدمة ؟ ما الذى أتى بك الى هنا ؟ هل أتيت على سبيل العادة ، أم لمجرد مرافقتك لبعض الخلان ؟ أم كان الدافع هو الرغبة فى تمجيد الله والحصول على بعض الخير لنفسك ؟ ما الذى حصلت عليه ، أية معرفة أو نعمة أو تعز ية ؟ « ماذا خرجتم لتنظروا » .

(ملاحظة) حينما نقرأ أو نسمع الكلمة ينبغى أن نستوثق من أن غرضنا صالح ومستقيم

(ثالثا) لننظر كيف مدح المسيح يوحنا . إنهم لم يعرفوا كيف يجيبون المسيح على اسئلته ، لذلك أجابهم المسيح . حسناً ، سأر يكم أى إنسان كان يوحنا المعمدان .

١ — كان إنساناً ثابتاً لا يتزعزع ، لم يكن « **قصبة تحركها الريح** » **أنتم** كنتم كذلك فى آرائكم عنه ، أما هو فلم يكن كذلك . لم يكن مزعزعاً فى مبادئه ، ولا معوجاً فى سيرته ، بل كان ثابتا كالطود الراسخ . إن الضعفاء كالقصبة يتزعزعون كالقصبة ، أما يوحنا فكان قوى الروح أف ٤ : ١٤ . حينما هبت عليه ر يح مديح الناس من جهة ، وعصفت عليه ثورة غضب هيرودس من الجهة الأخرى ، بقى ثابتاً كما هو، لم يتغير فى أى جو من الأجواء . وأن الشهادة

التى شهد بها عن المسيح لم تكن شهادة شخص متزعزع كالقصبة ، شهادة شخص له رأيه اليوم وله رأى مخالف غداً ، لم تكن شهادة شخص متقلب ، كلا بل أننا لنستنتج مما ورد فى يو ١ : ٢٠ أنه كان ثابتاً فى شهادته . « فاعترف ولم ينكر وأقر » ظل مصراً عليها يو ٣ : ٢٨ . لذلك فان السؤال الذى بعث به على يدى تلميذيه لا يمكن أن ينم عن أى شك فى صحة ما سبق أن قرره . ولأنه لم يكن كقصبة فقد هرعت اليه الجماهير الغفيرة .

(ملاحظة) إن العزم الثابت لن يؤثر عليه شىء قط ، لا استحسان البشر ولا غضبهم .

٢ ــ كان إنساناً منكراً لذاته ميتاً عن العالم . أكان « **إنساناً لابساً ثياباً ناعمة** » ؟ لو كان كذلك لما خرجتم **إلى البرية** لتنظروه بل إلى **قصور الملوك** . لقد خرجتم لتنظروا شخصاً « لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد » . تدل سيماؤه ورداؤه على أنه ميت عن عظمة العالم وتنعمات الجسد ، وتتفق ملابسه مع « البرية » التى عاش فيها والتعاليم التى نادى بها أى التوبة . وإلا فلا تظنوا بأن ذاك الذى زهد هكذا فى ملذات العالم يمكن أن يغير رأيه بسبب أهوال السجن ، و يتساءل الآن إن كان يسوع هو المسيا أم لا .

(ملاحظة) ان الذين عاشوا حياة التضحية وإنكار الذات لا يتزحزحون بسهولة عن ثباتهم بسبب أية اضطهادات .

لم يكن « انساناً لابساً ثياباً ناعمة » ، فأمثال هؤلاء « **هم فى بيوت الملوك** »

(ملاحظة) خليق بالبشر ــ مهما اختلفت مظاهرهم ــ أن يكونوا ثابتين فى أخلاقهم وفى مراكزهم . فالوعاظ يجب أن لا يحاولوا الظهور بمظهر العظماء . ومتوسطو الحال يجب أن لا يطمعوا فى **ارتداء** ملابس الذين هم فى بيوت الملوك . الحكمة تعلمنا أن نكون على حال واحدة دون أن نتغير .

ظهر يوحنا فى مظهر خشن غير محبب ، ومع ذلك تقاطرت اليه الجموع

(ملاحظة) ان ذكر ياتنا لغيرتنا الأولى فى سماع كلمة الله يجب أن تزيدنا غيرة فى خدماتنا الحالية . ينبغى أن لا نسمح لأى واحد أن يقول بأننا قد عملنا كثيراً وتحملنا كثيراً بلا جدوى ، قد ركضنا وتعبنا عبثاً .

٣ ــ وكان أعظم ما مدحه به هو وظيفته وخدمته . وهنا نال كرامة أعظم من أية مؤهلات أو ميزات شخصية . لذلك توسع المسيح فى الحديث عن هذه الناحية وأغدق عليه الثناء كاملا .

(١) لقد كان « **نبياً . نعم ... وأفضل من نبى** » ع ٩ . هكذا سبق أن تحدث هو (أى يوحنا) عن النبى الأعظم ، الذى شهدت له كل الأنبياء . قال يوحنا عن نفسه إنه لم يكن ذلك النبى ، ذلك النبى العظيم ، المسيا نفسه . والآن نرى المسيح ، ذلك القاضى العادل المقتدر ، يقول عنه بأنه « أفضل من نبى » ، لقد اعترف يوحنا عن نفسه بأنه أدنى من المسيح ، فاعترف عنه المسيح بأنه أسمى من سائر الأنبياء .

لاحظ بأن سابق (ممهد الطريق) المسيح لم يكن ملكا ، بل نبياً ، لئلا يبدو بأن مملكة المسيا مؤسسة على قوة أرضية . كان نبياً ممتازاً ، أفضل من أنبياء العهد القديم . كلهم عملوا فضلا ، أما يوحنا فقد فاق عليهم جميعاً . لقد رأوا يوم المسيح عن بعد ، وكانت رؤياهم لابد أن تقضى وقتاً طويلا حتى تتحقق ، أما يوحنا فقد رأى فجر اليوم ، رأى الشمس وهى تشرق ، وأخبر البشر عن المسيا كواحد واقف بينهم . تنبأ الأنبياء عن المسيح ، أما يوحنا فقد أشار بأصبعه إليه . لقد قالوا « هوذا العذراء تحبل » ، أما هو فقد قال « هوذا حمل الله » .

(٢) وكان هو نفسه الذى تنبأ عنه الأنبياء بأنه سيكون سابق المسيح ع ١٠ « **هذا هو الذى كتب عنه** » . لقد تنبأ عنه الأنبياء الآخرون ، لذلك كان أفضل منهم . تنبأ عنه ملاخى « هأنذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى » هنا نجد بعض مجد المسيح يوضع عليه ، إن أنبياء العهد القديم تحدثوا وكتبوا عنه ، وهذا المجد يناله أيضاً جميع القديسين ، إن أسماءهم قد صارت مكتوبة فى سفر حياة الخروف رؤ ٢١ : ٢٧ . كان امتياز يوحنا الذى خص به دون سائر الأنبياء أنه صار المذيع لقدوم المسيح . لقد كان مرسلا (ملاكا) ، أرسل فى إرسالية عظمى . كان مرسلا واحداً من ألف (أى ٣٣ : ٢٣) ، استمد كرامته ممن أرسله . هو « ملاكى (أو رسولى) ، لذلك فقد أرسل **من الله ، وأرسل أمام ابن الله** .

كانت مهمته ان يهيىء طريق المسيح ، يعد الشعب لقبول المخلص ، وذلك بأن يكشف لهم خطاياهم وشقاءهم وحاجتهم لمخلص . وهذا ما قاله هو عن نفسه « يو ١ : ٢٣ » ، وما يقوله المسيح الآن عنه . وقصد بذلك لا التعظيم من شأن خدمة يوحنا فحسب ، بل أيضاً إيقاظ التفات الشعب لها ، إذ كانت ممهدة الطريق لمسيا .

(ملاحظة) إن الروابط المتبادلة بين أعمال وأقوال الله وموافقتها معاً وإشارة بعضها للبعض الآخر تضفى عليها جمالا رائعاً .

إن الذى جعل يوحنا يسمو على أنبياء العهد القديم أنه جاء قبل المسيح مباشرة .

« ملاحظة » كلما ازداد المرء اقتراباً من المسيح ازدادت كرامته .

(٣) **«لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان»** ع ١١ . **لقد** عرف المسيح كيف يقدر الأشخاص حسب درجات قيمتهم ، وهو يفضل يوحنا على كل من سبقه ، على كل « المولودين من النساء » بالتناسل الطبيعي . يفضله على كل من أقامه للخدمة في كنيسته ، حتى على موسى نفسه ، لأنه بدأ يكرز بتعاليم الانجيل عن مغفرة الخطية للتائبين الحقيقيين ، ولأنه أعلنت إليه رؤى من السماء أوضح من أى شخص آخر ، فإنه رأى السموات قد انفتحت ، ورأى روح الله نازلا .

ثم إنه صادف نجاحاً عظيما فى خدمته ، فكل الأمة تقريباً خرجت اليه ، كذلك لم يقم شخص آخر لغاية أنبل ، ولم يأت شخص آخر لرسالة أسمى من يوحنا ، ولم يلق أى شخص ترحيباً بتعاليمه أكثر منه . كان بين المولودين من النساء الكثيرون ممن كانت لهم شخصيات عظيمة فى العالم ، على أن المسيح يفضل يوحنا عليهم .

(ملاحظة) لا تقاس العظمة بالمظاهر أو المجد العالمى ، ولكن أعظم الناس قدراً هم أعظمهم قداسة و بركة ، هم من كانوا عظماء أمام الرب كما كان يوحنا لو ١ : ١٥ .

على أن هذا المدح السامى عن يوحنا له حدود عجيبة جداً **« ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه »**

[١] فى ملكوت المجد . كان يوحنا رجلا عظيما وصالحاً ، ولكنه كان لا يزال فى حالة الضعف وعدم الكمال ، ولذلك كان دون القديسين الممجدين وأرواح الأبرار المكملين .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) هنالك درجات للمجد فى السماء ، ففيها من هم « أصغر » من غيرهم . مع أن كل الأوانى ممتلئة على السواء إلا أنها كلها ليست فى حجم واحد وسعة واحدة (الثانية) و « أصغر » قديس فى السماء « أعظم » من أعظم قديس على الأرض ، و يعرف أكثر منه ، ويحب أكثر ، و يسبح الله أكثر ، و ينال منه أوفر . القديسون الذين على الأرض أفاضل مز ١٦ : ٣ ، أما الذين فى السماء فهم أفضل جداً . وأفضل من فى هذا العالم أقل من الملائكة مز ٨ : ٥ ، أما الأصغر هناك فهو « مثل ملاك الرب » ، الأمر الذى يشوقنا لتلك الحالة السعيدة التى فيها « يكون العاثر (الضعيف) مثل داود » زك ١٢ : ٨ .

[٢] والأرجح أن « ملكوت **السموات** » يقصد بها هنا ملكوت **النعمة** ، عصر الانجيل فى كمال قوته وطهارته . والأصغر فى هذا الملكوت أعظم من يوحنا . يظن البعض أن الإشارة هنا ترجع إلى المسيح نفسه ، الذى كان أصغر سناً من يوحنا ، وأصغر منه شأناً كما كان يرى من حديثه إذ كان دواماً يتكلم عن نفسه بكل تواضع « أما أنا فدودة لا إنسان » مز ٢٢ : ٦ ، ولكنه

رغم ذلك كان « أعظم من يوحنا » . وهذا يتفق مع ما قاله يوحنا « الذى يأتى بعدى صار قدامى لأنه كان قبلى » يو ١ : ١٥) أو « قد جعل قبلى لأنه أقدم منى » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « تقدم على » حسب الترجمة الانكليزية) .

ولكن الأفضل تفسيرها على أساس أنها تشير إلى الرسل وخدام العهد الجديد ، الأنبياء الانجيليين . والمقارنة هنا بينهم و بين يوحنا لا تقوم على أساس قداستهم الشخصية ، بل على أساس مركزهم ووظيفتهم . فيوحنا كان يكرز بالمسيح الآتى أما هم فكرزوا ليس فقط بالمسيح الذى أتى ، بل بالمسيح المصلوب والممجد . شهد يوحنا فجر يوم الانجيل ، ولهذا كان أفضل من الأنبياء السابقين ، ولكنه أخذ قبل أن يشهد ظهر ذلك اليوم ، قبل أن ينشق الحجاب ، قبل موت المسيح وقيامته وانسكاب الروح القدس . لذلك فإن أصغر الرسل والانجيليين « افضل من يوحنا » بسبب ما أعلنت لهم من رؤى أعظم ، و بسبب إرساليتهم فى مهمة أسمى . لم يعمل يوحنا أية معجزات ، أما الرسل فأتوا منها الكثير .

وأساس هذه الأفضلية يرتكز على أفضلية العهد الجديد عن العهد القديم . لذلك فإن خدام العهد الجديد يفضلون على خدام العهد القديم لأن خدمتهم أفضل ٢ كو ٣ : ٦ الخ .

وصل يوحنا إلى القمة فى عهده . وصل إلى أسمى ما كان يسمح به العهد الذى وجد فيه . ولكن الأصغر فى العهد الأسمى أرفع من الأول فى العهد الأدنى . فالقزم على الجبل يرى أكثر مما يراه أعلى رجل فى الوادى .

(ملاحظة) إن كل عظمة البشر الحقيقية مستمدة من المسيح وتعزى إلى إعلان المسيح لهم . وأفضل البشر ليسوا أفضل مما يريدهم أن يكونوا . كم نحن مدينون بالشكر لله لأننا نعيش فى عصر ملكوت السموات ، فى عصر النور والمحبة . وعلى قدر عظمة الامتيازات التى تقدم الينا تزداد دينونتنا إن قبلنا نعمة الله باطلا

(٤) وكان الثناء العظيم على يوحنا المعمدان أن الله اعترف بخدمته ، وجعلها ناجحة بشكل عجيب لتحطيم الصخور تمهيداً للطريق وإعداد الشعب لأجل ملكوت السموات . « **من أيام يوحنا المعمدان** (من أيام ظهوره) **إلى الآن** » ، ولم يكن قد مضى أكثر من عامين ، تم خير جزيل ، فقد ازداد الاقتراب من المسيح الذى هو المركز ، « **ملكوت السموات يغصب** » كاغتصاب المدينة إذ يأخذها الجيش بالسيف ، أو اغتصاب جماعة للبيت ، « **والغاصبون يختطفونه** » . ومعنى هذه الآية نجده فى المناسبة المماثلة فى لو ١٦ : ١٦ « ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه اليه » (أو « يغصب نفسه إليه » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية) . لقد أثرت خدمة يوحنا فى الجماهير الكثيرة وتتلمذوا له . وهؤلاء كانوا :

[١] ممن لا رجاء فيهم . كان يظن بأن الذين جاهدوا للحصول على مكان فى هذا الملكوت لا رجاء ولا حق لهم فيه . لذلك كان ينظر إليهم بأنهم متطفلون ، وأنهم دخلوا من طريق ملتو أو خاطىء . عندما يطرد « بنو الملكوت » منه و يدخل اليه الكثيرون « من المشارق والمغارب » حينئذ يقال بأن « ملكوت السموات يغصب » . قارن هذا بما ورد فى ص ٢١ : ٣١ و٣٢ . لقد آمن العشارون والزناة بيوحنا الذى رفضه الكتبة والفريسيون ، وهكذا دخلوا ملكوت الله قبلهم ، اغتصبه الأولون بينما احتقره الآخرون .

(ملاحظة) ليس كسراً لنواميس الحق أن ندخل السماء قبل من هم أفضل منا . ومما يدل على فضل وسمو الانجيل منذ بداءته أنه قد دفع إلى حياة القداسة كثيرين ممن لم يكن فيهم أى رجاء .

[٢] ممن أكثروا الالحاح واللجاجة . ينم هذا الاغتصاب عن قوة الالحاح والرغبة الملحة والمساعى الجدية التى بذلها أولئك الذين تتبعوا خدمة يوحنا ، وإلا لما كانوا قد سعوا إليها متكبدين مشقة الانتقال اليها من مسافات شاسعة . و ينم أيضاً عن مقدار الغيرة المضطرمة المطلوبة من كل الذين يريدون أن يجعلوا السماء قبلة انظارهم .

(ملاحظة) على الذين يريدون دخول ملكوت السموات أن يجاهدوا للدخول . فهذا الملكوت يتطلب حرباً مقدسة ، يتطلب إنكار الذات ، تقويم كل اعوجاج فى الحياة أو التواء فى التفكر ، تجديد الحياة ، يتطلب إتمام مهمات شاقة ، وتحمل مشقات جسيمة ، يتطلب قوة تجاهد ضد الطبيعة الفاسدة . ينبغى أن نركض ، ونجاهد ونصارع ، « ونكتئب » ، وكل ذلك يسير جداً بجانب الجعالة التى نربحها ، والانتصار على المقاومات الداخلية والخارجية .

« والغاصبون يختطفونه » إن الذين يريدون التمتع بالخلاص العظيم يندفعون إليه برغبة ملحة ، و يبحثون عنه بأى ثمن مهما كانت التضحية ، ولا يتركون مكانهم دون الحصول على البركة تك ٣٢ : ١٦ . فعلى من يريدون أن يجعلوا دعوتهم واختيارهم ثابتين أن يبذلوا كل اجتهاد ٢ بط ١ : ١٠ . وملكوت السموات لم يقصد به أن يكون للكسالى المتهاونين بل أن يكون راحة للمجدين الذين يضنيهم الجهاد . ياله من منظر مجيد : ليتنا نستطيع أن نرى جمعاً أكثر يحاولون أن يدفعوا بعضهم بعضاً عن ملكوت السموات فى تنابذ ممقوت ، بل أن يدفعوا أنفسهم إليه فى تنافس مقدس محمود .

(٥) وكانت خدمة يوحنا بدءاً لعصر الانجيل كما يتضح مما ورد فى مر ١ : ١ ، أع ١ : ٢٢ . وهذا نتبينه هنا من أمرين :

[١] فى يوحنا بدأ عصر العهد القديم أن يتوارى ع ١٣ : « **لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا** » . إلى ذلك الوقت ظلت تلك الخدمة فى ملء قوتها وسلطانها ، ولكنها منذ ذلك الوقت بدأت فى الاضمحلال . ومع أن التزامات ناموس موسى لم تنقص حتى موت المسيح ، إلا أن إعلانات العهد القديم بدأت تغطى عليها إعلانات ملكوت السموات الأكثر وضوحاً . ولأن نور الأنجيل (كنور الطبيعة) كان يجب أن يتقدم شر يعة الانجيل ويمهد الطر يق اليها ، لذلك فإن نبوات العهد القديم انتهت (لم تنته فى مدتها بل فى كمالها) أمام وصاياه . لهذا فعندما يقول المسيح « إن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا » فإنه بهذا يبين : ـــ

(أولا) كيف قام نور العهد القديم . إنه قام فى « الناموس والأنبياء » الذين تحدثوا ـــ ولو بطر يقة مظلمة ـــ عن المسيح وملكوته . لاحظ أنه قيل هنا بأن « الناموس » تنبأ ـــ كالأنبياء ـــ عن ذاك الذى كان سوف يأتى . يقول الانجيلى فى لو ٢٤ : ٢٧ إن المسيح « ابتدأ من موسى » . لقد تنبيء عن المسيح فى العلامات الموسو ية الصامتة كما فى أقوال الأنبياء الصارخة ، وأعلن ليس فقط فى النبوات المكتوبة بل أيضاً فى الرموز الشخصية الحقيقية . فشكراً لله لأننا نجد تعاليم العهد الجديد تفسر نبوات العهد القديم ، كما نجد نبوات العهد القديم تؤيد وتوضح تعاليم العهد الجديد (عب ١ : ١) . وكل منهما تتطلع للأخرى كالكرو بين اللذين كانا فوق تابوت العهد .

أعطى الناموس بموسى منذ أمد بعيد ، ولم يكن هنالك أنبياء مدة ثلاثة أجيال قبل يوحنا ، ومع ذلك قيل بأن كلا منهما تنبأ « إلى يوحنا » (حتى أيام يوحنا) لأن الناموس كان لا يزال يمارس ، وموسى والأنبياء تقرأ .

(ملاحظة) لا يزال الكتاب المقدس يعلم الى اليوم ولو مات كاتبوه . مات موسى والأنبياء ، مات الرسل والانجيليون (زك ١ : ٥) « وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد » ١ بط ١ : ٢٥ . لا يزال الكتاب المقدس يتحدث بوضوح وجلاء ولو طال صمت كاتبيه فى التراب .

(ثانياً) كيف وضع هذا النور جانباً . عندما قال إنهم « إلى يوحنا تنبأوا » فإنه من هذا يفهم ضمناً أن مجدهم قد غطى عليه المجد الأعظم ، وأن نبواتهم قد فاقتها شهادة يوحنا « هوذا حمل الله » إن نور الصباح يجعل نور الشمعة قليل الأهمية حتى قبل أن تشرق الشمس . ونبواتهم عن مسيح سوف يأتى ضاع وقتها حينما قال يوحنا إنه قد أتى .

[٢] وفيه بدأ فجر يوم العهد الجديد ع ١٤ . « **فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى** » . كان يوحنا هو حلقة الا تصال بين العهدين ، كما كان نوح حلقة الا تصال بين العالمين . كانت خاتمة نبوات العهد القديم « هأنذا أرسل اليكم ايليا » ملا ٤ : ٥ و٦ . ظلت هذه قائمة كنبوة حتى أيام

يوحنا ، و بعد أن تحولت إلى حقيقة تاريخية فقد بطلت عن أن تكون نبوة .

(أولا) يتحدث المسيح عن أن يوحنا المعمدان هو ايليا العهد الجديد كحقيقة عظمى . ليس ايليا بنفسه وشخصه ، كما كان يتوقع اليهود ، فهذا ما قد أنكره هو نفسه (يو ١ : ٢١) ، بل الذى كان لابد أن يأتى بروح ايليا وقوته (لو ١ : ١٧) أى مثله فى الطباع والصفات ، ينادى بالتوبة و يقرنها بالأهوال كما هى عادة النبوات ، و يرد قلوب الآباء إلى الأبناء .

(ثانيا) و يتحدث عنه كحقيقة لا تقبل التصديق بسهولة ممن ركزوا كل انتظارهم ورجائهم فى مملكة المسيا الأرضية . يشك المسيح فى قبولهم لهذه الحقيقة « **إن أردتم أن تقبلوا** » و يوبخهم بسبب تعنتهم ، فإنهم قد تلكأوا فى قبول أعظم الحقائق التى لا تتفق وعواطفهم مع أنها لم تكن قط مناقضه لمصلحتهم ،

أو « إن أردتم أن تقبلوه » أو تقبلوا خدمة يوحنا كايليا المنتظر ، فإنه يصبح ايليا لكم ، ليرد كم و يعد قلوبكم للرب .

(ملاحظة) إن حقائق الانجيل إما أن تكون رائحة حياة أو رائحة موت حسبما يتقبلها البشر . المسيح هو المخلص ، و يوحنا هو إيليا ، للذين يقبلون الحق الخاص بهما .

(وأخيراً) يختم الرب يسوع المسيح هذا الحديث بطلب خطير يلفت فيه أنظار السامعين ع ١٥ « **من له أذنان للسمع فليسمع** » وهذه تتضمن أن تلك الأمور غامضة وعسرة الفهم ولذلك فإنها تسترعى الالتفات ، ولكنها جليلة القدر عظيمة النتائج ولذلك فإنها تستحق كل قبول . ليعلم هذا كل البشر : إن كان يوحنا هو الذى تنبأ عنه الأنبياء فيقيناً أن نهضة عظيمة جداً على الأبواب ، وملكوت المسيا اقترب ، وسيدهش العالم قريباً إذ يشهد تغييراً سعيداً . هذه أمور تستحق منكم كل التفات ، لذلك فإنكم جميعاً مطالبون بالإصغاء لما أقول .

(ملاحظة) إن أمور الله على جانب عظيم من الأهمية ، وكل « من له أذنان للسمع » ، ليسمع أى شيء ، خليق به أن يسمع هذا . يفهم من هذا ضمناً أن الله لا يطلب منا شيئاً أكثر من أن نحسن استعمال المواهب التى سبق أن أعطانا إياها ، وننميها . إنه يطلب ممن له أذنان أن يسمع ، وممن له عقل أن يتعقل . ولذلك فإن كان الناس جهلاء فليس ذلك لأنهم تنقصهم القوة بل الإرادة . وإن كانوا لا يسمعون فلأنهم يسدون آذانهم كالصل (الأفعى) الأصم مز ٥٨ : ٤

١٦ ــ وبمن أشبه هذا الجيل . يشبه أولاداً جالسين فى الأسواق

ينادون إلى أصحابهم ١٧ ـــ و يقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا ١٨ ـــ لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب . فيقولون فيه شيطان ١٩ ـــ جاء ابن الانسان يأكل و يشرب . فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر. محب للعشارين والخطاه . والحكمة تبررت من بنيها .

٢٠ ـــ حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب ٢١ ـــ ويل لك يا كورزين . ويل لك يا بيت صيدا . لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ٢٢ ـــ ولكن أقول لكم إن صور وصيداء تكون لها حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لكما ٢٣ ـــ وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية . لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم ٢٤ ـــ ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لك .

بينما كان المسيح مسترسلا في الثناء على يوحنا المعمدان وخدمته نراه يتوقف هنا فجأة لكي يوجه التعنيف القارس للذين لم ينتفعوا بخدمة يوحنا أو خدمته هو شخصياً أو رسله . وهنا نلاحظ بمن يقارن هذا الجيل ع ١٦ ـــ ١٩ . أما عن الأمكنة الخاصة التي مكث فيها فإننا نلاحظ هنا أيضا بمن يقارنها ع ٢٠ ـــ ٢٤

(أولا) عن ذلك الجيل ، جماعة اليهود وقتئذ . صحيح أن الكثيرين منهم دخلوا ملكوت السموات ، ولكن الأكثرية بقيت في عنادها وعدم إيمانها . كان يوحنا رجلا عظيما وصالحاً ، ولكن الجيل الذي وقعت قرعته ليعيش في وسطه كان مجدبا لأقصى حد ، وغير جدير به .

(ملاحظة) أن شر الأمكنة التي يعيش فيها الخدام الصالحون يضفي عليهم جمالا رائعاً . كان أعظم مدح وصف به نوح أنه كان باراً في جيله تك ٦ : ٩ ، ٧ : ١

وإذ مدح يوحنا فإنه يؤنب من كان يعيش بينهم ولو ينتفعوا بخدمته .

(ملاحظة) على قدر ما يستحق الخادم من المدح والثناء ، على قدر ذلك يستحق الشعب من اللوم إذا استخفوا به . وهكذا سيكون الحال أيضا يوم الحساب

هـذا يوضحه الرب يسوع المسيح هنا بمثل ، كأنه لم يجد شبيها مناسبا يشبهه به « وبمن أشبه هذا الجيل » .

(ملاحظة) لا توجد سخافة أشد أو غباوة أكثر ممن يجدون تعاليم سامية لا ينتفعون منها . ومن المتعذر أن نجد ما نشبههم به .

هذه الإستعارة مأخوذة من عادة كانت سارية بين أطفال اليهود فى ألعابهم ، إذ كانوا ـــ كعادة الأطفال ـــ يقلدون البالغين فى أفراحهم وأحزانهم . ولكن لأن هذه الأفراح والأحزان كانت مجرد دعابة لذلك لم يكن لها أى تأثير عليهم ، كما لم يكن لخدمة يوحنا المعمدان أو خدمة المسيح أى تأثير على ذلك الجيل . وهنا يشير بنوع خاص للكتبة والفريسيين المغرورين بأنفسهم . فلكى يذل من كبريائهم وغرورهم يشبههم بأطفال ، و يشبه تصرفاتهم بلعب الأطفال .

ولعل أفضل ما يوضح هذا المثل الملاحظات الخمس التالية : ـــ

(الملاحظة الأولى) إن إله السماء يستخدم الوسائل المتعددة والطرق المنوعة لتجديد وخلاص النفوس المسكينة . هو « يريد أن جميع الناس يخلصون » ، ولذلك لا يترك حجراً على حجر إلا و ينقضه للوصول إلى هذه الغاية . إن الغاية العظمى التى يرمى إليها هى أن يصيغ إرادتنا فى قالب طاعة إرادة الله . ولأجل هذه فإنه يحاول أن يبعث فينا المؤثرات الكافية بما يكشفه لنا من إعلانات عن نفسه . ولأن لديه مؤثرات متعددة فإنه يستخدم طرقاً متعددة ، وهذه وإن اختلفت بعضها عن بعض إلا أنها كلها ترمى إلى غاية واحدة ، والله يقصد بها قصداً واحداً .

قيل فى هذا المثل إنه زمر لنا ، وناح لنا : « **زمرنا لكم ... نحنا لكم** » . لقد زمر لنا فى مواعيد الانجيل الثمينة الكافية بأن تحيي الرجاء فينا . وناح لنا فى تهديدات الناموس المخيفة الكافية بأن تبعث الرعب فينا . وهذا لكى يخيفنا من خطايانا و يقربنا إلى شخصه . لقد زمر لنا فى أعمال عنايته الصالحة والرحيمة ، وناح لنا فى المصائب والنكبات الشديدة . وصارت هذه ممتزجة بتلك . لقد علم خدامه أن يغيروا أصواتهم (غل ٤ : ٢٠) فيتكلمون أحياناً كصوت الرعد من جبل سينا ، وأحياناً أخرى بالصوت الهادىء الخفيف من جبل صهيون .

وتفسيراً لهذا المثل يبسط أمامنا نوعا الخدمة المختلفين : خدمة يوحنا وخدمة المسيح اللذين كانا نورين عظيمين لذلك الجيل :

(١) فمن الناحية الأولى « **جاء يوحنا (نائحاً) لا يأكل ولا يشرب** » ، لا يختلط بالشعب ، ولا يأكل معهم ، بل متوحداً فى صومعته فى البرية ، حيث « كان طعامه جراداً

وعسلا برياً » . كان من المنتظر أن شخصاً كهذا يكون كافياً لكى يؤثر فيهم ، لأن حياة متقشفة صارمة كهذه كانت تناسب جداً تلك التعاليم التى نادى بها ، والخادم الذى تتفق أعماله مع أقواله يكون منتجا . ومع ذلك فإن تعاليم مثل هذا الخادم ليست منتجة فى كل الظروف

(٢) ومن الناحية الأخرى « **جاء ابن الانسان يأكل و يشرب** » وهكذا زمر لهم . فالمسيح اختلط بكل أصناف البشر دون أن يراعى أى خطر . كان أنيساً ودوداً للجميع ، سهل الوصول للكل ، لا يتجنب أية جماعة ، يحضر الولائم والأعياد ، يختلط بالفريسيين والعشارين لعل هذا يؤثر فى من لم يؤثر فيهم تحفظ يوحنا . فالذين لم تروعهم عبوسة يوحنا تجتذبهم ابتسامة المسيح ، الذى منه تعلم بولس أن يصير « للكل كل شىء » ا كو ٩ : ٢٢ . على أن المسيح بحريته لم يدن يوحنا قط ، كما أن يوحنا لم يدنه ولو اختلفت وجهة نظر كل منهما تمام الاختلاف

(ملاحظة) مهما اتضحت تصرفاتنا بأنها صالحة ومستقيمة فيجب أن لا يكون هذا سبباً فى دينونة الآخرين . قد تكون هنالك « أنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل » ١ كو ١٢ : ٥ و٦ . « ولكنه لكل واحد يعطى اظهار الروح للمنفعة » ع ٧ .

لاحظ بنوع خاص أن خدام الله تتنوع مواهبهم . فقدرة وذكاء وكفاءة البعض تختلف عما هى فى الآخرين . وبينما نجد البعض بوانرجس (أبناء الرعد) نجد الآخرين برنابا (أبناء التعزية) . « ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه » ١ كو ١٢ : ١١ . لذلك يجب أن لا ندين هذا أو ذاك ، بل لنمدح كلا منهما ، ونشكر الله من أجل كليهما ، الذى يسلك سبلا متعددة في التصرف مع الأشخاص ذوى الأمزجة المتعددة لكى يخضع الخطاة أو يتركوا بلا عذر ، وبذلك يتمجد الله فى كلتا الحالين

(الملاحظة الثانية) إن الطرق المختلفة التى يتخذها الله لتجديد الخطاة غير مثمرة ولا منتجة مع الكثيرين . « **لم ترقصوا ... لم تلطموا** » لم يؤثر فيكم التأثير المطلوب هذا أو ذاك . إن الوسائل الخاصة ــ كما هو الحال فى الأدوية ــ لها غاياتها الخاصة التى يجب أن تتحقق ، وتأثيراتها الخاصة التى يجب الخضوع لها ، وذلك لنجاح المقصد الأسمى . فإن كان الناس لا يقيدهم الناموس ، ولا تجذبهم المواعيد ، ولا تخيفهم التهديدات ، لا توقظهم أجل الأمور ، ولا تغريهم أعذب الأشياء ، ولا تروعهم أروع الأحداث ، ولا تحرك مشاعرهم أوضح الحقائق ، إن كانوا لا يصغون لصوت الانجيل ، أو العقل ، أو الاختبارات ، أو أعمال العناية ، أو الضمير ، أو المصلحة ، فأى شىء آخر يمكن أن يعمل ؟ « احترق المنفاخ من النار فنى الرصاص . باطلا صاغ الصائغ والأشرار لا يفرزون » أر ٦ : ٢٩ . كثيراً ما كان تعب الخدام بلا جدوى (أش ٤٩ : ٤)

والأمر من ذلك أنه كثيراً ما قبلت نعمة الله باطلا ٢ كو ٦ : ١

(ملاحظة) مما يعزى الخدام الأمناء بعض التعزية حينما يرون أن أتعابهم لم تصادف إلا نتائج محدودة أن يذكروا بأنه ليس أمراً جديداً أن لا يصل أفضل الوعاظ فى العالم وأفضل العظات إلى الغاية المرجوة . « من صدق خبرنا » إن كان « من دم القتلى ، ومن شحم الجبابرة » رجعت قوس هذين القائدين العظيمين (المسيح و يوحنا) إلى الوراء (٢ صم ١ : ٢٢) فلا عجب إن رجعت قوسنا إلى الوراء ، وإن تنبأنا على العظام الجافه ولم نجد سوى أثر محدود .

(الملاحظة الثالثة) إن الأشخاص الذين لا ينتفعون من وسائط النعمة هم ملتوون ، و ينتقدون خدام الله الذين يحملون إليهم تلك الوسائط . ولأنهم لا ينتفعون هم أنفسهم فإنهم يأتون كل ما يستطيعون من أذى بإقامة العثرات فى سبيل الكلمة والخدام الأمناء الذين ينادون بها . إن الذين لا يطيعون الله ولا يتبعونه يسيئونه و يسلكون ضد مشيئته . هكذا فعل « هذا الجيل » . فلأنهم أصروا على عدم الإيمان بالمسيح و يوحنا ، وعدم الاعتراف بهما — كما كان يجب أن يفعلوا — كأسمى من عرفوا ، فقد أقاموا أنفسهم للاساءة إليهما ، والتشهير بهما كأسوأ البشر .

(١) أما عن يوحنا المعمدان فقالوا « **فيه شيطان** » . لقد نسبوا تقشفه وتحفظه إلى داء السوداء (ماليخوليا) وأنه به مس من الجنون . لماذا نصغى إليه ، وهو شخص مصاب بالوساوس ، مليء بالأوهام ، ومتسط عليه أوهام جنونية .

(٢) وأما عن يسوع المسيح فقد نسبوا حريته واختلاطه بالجميع إلى الرغبة فى إطلاق العنان لشهوات الجسد « **هوذا إنسان أكول وشريب خمر** » . وهل هنالك تفكير أكثر قبحاً وفساداً من هذا . هذه هى التهمة التى كانت توجه للابن المعاند المتمرد تث ٢١ : ٢٠ « هو مسرف وسكير » ولكن لا يمكن أن توجد هنالك تهمة أكثر زوراً وبهتانا وكذباً من هذه ، لأن المسيح « لم يرض نفسه » رو ١٥ : ٣ ، كما أنه لم يوجد على الأرض شخص عاش مثل هذه الحياة ، حياة إنكار الذات ، وإماته الشهوات ، واحتقار العالم ، كما عاش المسيح . وذاك الذى قيل عنه إنه « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة » عب ٧ : ٢٦ ، نراه يتهم هنا بأنه متحالف معهم ومتدنس بهم .

(ملاحظة) إن البراءة التى لا تشوبها شائبة والسمو الذى لا نظير له والقداسة المطلقة لا تعفينا دواما من سهام اللسان . بل قد تكون أفضل مواهب الإنسان وأجل أعماله التى لا غاية لها إلا البنيان سبباً فى توجيه أشنع الانتقادات اليه . وقد تكون أفضل أعمالنا باعثة على توجيه أشنع التهم الينا كخصوم داود مز ٦٩ : ١٠ .

صحيح أن المسيح كان ــ بمعنى معين ــ « صديقاً للعشارين والخطاة » أفضل صديق عرفوه ، لأنه « جاء إلى العالم ليخلص الخطاة » ، أشر الخطاة . هكذا قال بانفعال ذاك الذى لم يكن عشاراً وخاطئاً بل فريسياً وخاطئاً . ولكن هذا كان ، ولا يزال ، وسوف يظل إلى أبد الدهور ، موضوع فخر المسيح . أما الذين حولوه وجعلوه موضوع تعييره فقد خسروا بركاته .

(الملاحظة الرابعة) إن سبب هذا الجواب المريع والاعوجاج الشنيع فى الشعب الذين عاشوا و يعيشون فى عهد النعمة أنهم يشبهون « **أولاداً جالسين فى الأسواق** » إنهم جهلاء كالأولاد . عنيدين كالأولاد ، غير مكترثين ويميلون إلى اللهو والعبث كالأولاد ، ولو أنهم أظهروا أنهم رجال فى الفهم لكان هنالك بعض الرجاء فيهم . أما « الأسواق » التى يجلسون فيها فإنها للبعض مكان للبطالة والكسل ص ٢٠ : ٣ وللآخرين مكان للمشاغل العالمية يع ٤ : ١٣ ، وللجميع مكان للصخب أو اللهو واللعب . لهذا فإذا سألت عن سبب عدم انتفاع الناس من وسائط النعمة وجدت أنه لتكاسلهم وإهمالهم وعدم أكتراثهم وعدم الرغبة فى تحمل أى عناء . أو لأن عقولهم وأيديهم وقلوبهم يشغلها العالم باهتماماته الكثيرة التى « تخنق الكلمة » ثم تخنق نفوسهم أخيراً حز ٣٣ : ٣١ ، عاموس ٨ : ٥ . ثم أيضاً لأنهم يحاولون أن يحولوا تفكيرهم عن كل ما هو جليل . هذه هى حالتهم فى « الأسواق » ، وهنالك يجلسون . فى هذه تتركز عقولهم ، وفيها يعتزمون البقاء .

(الملاحظة الخامسة) ومع أن وسائط النعمة تهمل وتحتقر من الكثيرين ، من الأكثرية ، إلا أنه توجد بقية تنتفع منها بالنعمة وتحقق الغاية المرجوة منها لمجد الله وخير نفوسهم . « **والحكمة تبررت من بنيها** » . المسيح هو « الحكمة » ، فيه مذخر جميع كنوز الحكمة كو ٢ : ٣ ، والقديسون هم الأبناء الذين أعطاهم الله إياه عب ٢ : ١٣ . والانجيل هو « الحكمة » هو « الحكمة التى من فوق » يع ٣ : ١٧ ، والمؤمنون الحقيقيون تتجدد حياتهم بها ، و يولدون من فوق أيضاً ، هم بنون حكماء ، حكماء من جهة أنفسهم ، ومن جهة مصالحهم الحقيقية ، لا كأولاد جهلاء جالسين فى الأسواق .

. أما بنو الحكمة هؤلاء فإنهم يبررون الحكمة ، إنهم يتممون مقاصد نعمة المسيح ، ويحققون مطالبها ، ويخضعون للطرق المنوعة التى تتخذها ، و يتأثرون بها ، وهكذا يبرهنون على حكمة المسيح فى اتخاذه هذه الطرق . فى إنجيل لوقا ٧ : ٢٩ نجد توضيحاً لهذا « وجميع الشعب إذ سمعوا والعشارون برروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا » ، ومرحبين بعدئذ بانجيل المسيح .

(ملاحظة) إن نجاح وسائط النعمة يبرر حكمة الله فى اختيار هذه الوسائط ، و يبين حماقة من يتهمونه بالجهل فى اختيارها . إن شفاء كل مريض يحترم أوامر الطبيب و يتبعها يبرر حكمة الطبيب ، لذلك فإن الرسول بولس لا يستحى بانجيل المسيح لأنه مهما كان فى نظر

الآخرين فانه « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن » رو ١ : ١٦ . وإن كان الصليب قوة الله وحكمة الله للمدعوين (ولغيرهم عثرة وجهالة ١ كو ١ : ٢٣ و٢٥) لذلك فان أقصى ما يصبون إليه هو معرفة صليب المسيح ١ كو ٢ : ٢ ، وأقصى ما يفخرون به هو فاعليته غل ٦ : ١٤ . وهنا تتبرر الحكمة من بنيها .

إن بنى الحكمة هم شهودها فى هذا العالم أش ٤٣ : ١٠ ، وسوف يبرزون كشهود فى ذلك اليوم عندما تتمجد الحكمة ــ التى يبررها القديسون الآن ــ فى القديسين و يتعجب منها فى جميع المؤمنين ٢ تس ١ : ١٠ . وإن كان عدم إيمان البعض يعير المسيح إذ يجعله كاذباً فان إيمان الآخرين يمجده إذ يختم أنه صادق وأنه أيضا حكيم ١ كو ١ : ٢٥ . لابد أن يتبرر ليس عدل الله فحسب بل أيضا حكمته إذا ما تكلم وإذا ما قضى ، وذلك سواء عملنا على تحقيق هذا أو لم نعمل .

هذا هو الوصف الذى يصف به المسيح ذلك الجيل ، وذلك الجيل لم ينته بعد ، بل لا يزال متتابعا ، لأنه كما كان هكذا كان ولا يزال كما هو، لا زلنا نشهد ما قيل فى القديم فالبعض يقتنعون بما يقال والبعض لا يؤمنون أع ٢٨ : ٢٤

(ثانيا) أما عن الأمكنة الخاصة التى شهدها المسيح أكثر من غيرها فانه يطبق عليها بصفة خاصة ما ذكره عن ذلك الجيل بصفة عامة وذلك لكى يثير حماسها « حينئذ ابتدأ يوبخ المدن . . . إلخ » ع ٢٠ . إنه كان قد بدأ يكرز فيها قبل ذلك الحين بوقت طويل ص ١٤ : ١٧ ، ولكنه لم يبدأ بتوبيخها إلا الآن .

(ملاحظة) لا يليق اتخاذ الوسائل العنيفة قبل اللطيفة . فالمسيح لا يميل للتعنيف ، بل يعطى بسخاء ولا يعير حتى يستحق الخطاة كل توبيخ منه بسبب عنادهم وقساوة قلوبهم . والحكمة تنادى أولا ، ولكن عند احتقار ندائها فانها توبخ أم ١ : ٢٠ و٢٣ و٢٤ . والذين يبدأون بالتوبيخ لا يسلكون حسب القاعدة التى وضعها المسيح .

١ ــ الخطية التى اتهمت بها . لم تكن التعدى على الناموس الأدبى ، وإلا لكان قد أحالها إلى الانجيل لتجد فيه البرء ، بل كانت خطية ضد الانجيل ، أى الناموس الشافى ، وهذه الخطية كانت عدم التوبة « **لأنها لم تتب** » . هذه هى الخطية التى يوبخها لأجلها ، و يعيرها بسببها ، كأشنع ما يمكن أن يتصور ، مما يدل على منتهى الجحود .

(ملاحظة) إن الإصرار على عدم التوبة هو الخطية المدمرة العظمى للجماعات التى تتمتع بالانجيل ، والتى سوف يوبخ الخطاة إلى الأبد من أجلها أكثر من غيرها .

كان التعليم الأعظم الذى نادى به يوحنا المعمدان ، والمسيح ، والرسل ، هو التوبة . وكان القصد الأعظم سواء من التزمير أو النوح هو التأثير على الشعب ليغيروا عقولهم وطرقهم ، و يتركوا خطاياهم و يرجعوا إلى الله . وهذا ما لم ير يدوه .

إنه لم يقل : لأنها لم تؤمن بأن المسيح معلم أتى من الله (فالبعض كان لهم إيمان كهذا) ، بل قال « لأنها لم تتب » ، فإن إيمانهم لم يعمل على تغيير قلوبهم ، وإصلاح حياتهم . لقد و بخها المسيح من أجل خطاياهم الأخرى لكى يقودها إلى التوبة . ولكن عندما لم تتب ابتدأ يو بخها من أجل هذا لأنها لم ترد بأن تبرأ . ابتدأ يو بخها لكى تو بخ نفسها ، ولكى ترى أخيراً حماقتها بسبب هذه الخطية التى جعلت حالتها الأسيفة ميئسة والجرح عديم الشفاء .

٢ ـ شناعة هذه الخطية . فإن هذه كانت هى « **المدن التى صنعت فيها أكثر قواته** » كانت فيها إقامته الرئيسية وقتا طو يلا .

(ملاحظة) تتمتع بعض الأماكن بوسائط النعمة بوفرة وقوة وطهارة أكثر من غيرها . والله يهب نعمته حسبما يراه كرب الطبيعة وإله النعمة .

كان ينبغى على هذه المدن إذ شهدت « قواته » لا أن تقبل تعاليمه فحسب بل أيضاً أن تطيع نواميسه ، لأن شفاء الأمراض الجسدية يجب أن يؤدى إلى شفاء النفوس ، ولكن هذه القوات لم تكن لها هذه النتيجة المرجوة

(ملاحظة) كلما اشتدت المحرضات للتوبة ازدادت خطية عدم التوبة شناعة ، وازدادت المحاسبة صرامة ، لأن المسيح يسجل القوات التى تصنع بيننا ، كما يسجل الأعمال الرحيمة التى تعمل من أجلنا ، والتى يجب أن تقتادنا أيضاً إلى التوبة رو ٢ : ٤ .

(١) وهنا يذكر على سبيل المثال « كورز ين و بيت صيدا » ع ٢١ و٢٢ . لكل منها و يلها « **و يل لك ياكورز ين . و يل لك يا بيت صيدا** » . جاء المسيح إلى العالم ليباركنا ، ولكن أن احتقرت تلك البركة فاللعنة محفوظة، واللعنة التى يرسلها الله أشد الو يلات رعباً . كانت تقع هاتان المدينتان على بحر الجليل ، الأولى على الشاطىء الشرقى ، والثانية على الغربىّ . كل منها عظيمة فى ثروتها وعدد سكانها . وكانت بيت صيدا قد رفعت أخيراً إلى درجة مدينة بواسطة فيلبس رئيس الربع . ومنها اختار المسيح ثلاثة من رسله على الأقل . هكذا وجهت عناية فائقة إلى تلك الأماكن . ولكن لأنها « لم تعرف زمان افتقادها » فقد استحقت تلك الو يلات التى لصقت بها حتى انها سرعان ما تقوضت أركانها بعد ذلك مباشرة وأصبحت قرى وضيعة حقيرة . هكذا تخرب الخطية المدن بشكل مروع ، وهكذا تتم كلمة المسيح يقيناً .

وهنا يقارن المسيح كورزين و بيت صيدا بصور وصيدا ، وهما مدينتان بحريتان طالما قرأنا عنهما في العهد القديم ، كانتا قد أخربتا ولكنهما كانتا قد ابتدأتا تزدهران مرة أخرى . هاتان المدينتان تشرفان على بحر الجليل ، ولكن سمعتهما كانت كريهة لدى اليهود بسبب العبادة الوثنية والشرور الأخرى التي كثرت فيها . كان المسيح يذهب أحياناً إلى « نواحى (تخوم) صور وصيدا » مت ١٥ : ٢١ ولكنه لم يذهب إليهما بالذات قط ، لأنه لو فعل ذلك لعده اليهود عملا بغيضاً جداً . لذلك نرى المسيح لكى يوبخ تلك المدن و يقنعها و يذلها يبين هنا : ــ

[١] انه ما كان ممكناً لصور وصيدا أن تكونا شريرتين مثل كورزين و بيت صيدا . لو أن نفس الكرازة ونفس المعجزات تمت فيها « **لتابتا قديماً في المسوح والرماد** » كنينوى . لقد عرف المسيح العارف قلوب الجميع انه لو كان قد ذهب اليها وعاش فيها وكرز لها لأنتج خيراً أكثر . ومع ذلك فقد بقى حيث كان بعض الوقت لكى يشجع خدامه بأن يفعلوا هكذا ولو لم يجدوا النجاح المطلوب

(ملاحظة) بين بنى المعصية يوجد بعض يسهل التأثير عليهم أكثر من غيرهم . ومما يزيد في شناعة عدم توبة الذين يتمتعون بمزيد من وسائط النعمة ليس فقط انه يوجد غيرهم ممن يتمتعون بنفس الوسائط قد انتفعوا بها بل انه يوجد كثيرون جداً آخرون كان ممكنا أن ينتفعوا بها لو أنهم وجدوها . أنظر حز ٣ : ٦ و٧ .

لقد أبطأت توبتنا ، أما توبتهم فكان ممكناً أن تكون أسرع ، كان ممكنا أن يتوبوا منذ وقت طويل « قديماً » . أن توبتنا ضعيفة وسطحية ، أما توبتهم فكان ممكناً أن تكون عميقة وجدية « في المسوح والرماد » .

ومع ذلك فينبغى أن نلاحظ ــ بكل توقير واجلال لسلطان الله المطلق ــ إن الصوريين والصيدونيين سيهلكون بعدل في خطيتهم ، رغم انهم لو كانت لهم وسائط النعمة لتابوا ، وذلك لأن الله ليس مديناً لأى انسان

[٢] ولذلك فإن صور وصيدا لن تعانيا من الشقاء ما تعانيه كورزين و بيت صيدا ، ولكنهما « **تكون لها حالة أكثر احتمالا يوم الدين** » ع ٢٢

(ملاحظات) ــ (الأولى) في « يوم الدين » يتعين مصير بنى البشر الأبدى بقضاء لن يخطىء قط ولن يتغير قط . إما أن يكون هذا المصير السعادة أو الشقاء بدرجاتها المختلفة . لذلك قيل عنه « الدينونة الأبدية » عب ٦ : ٢ لأنها تحدد المصير الأبدى .

(الثانية) وفى تلك الدينونة سنحاسب عن كل وسائط النعمة التى تمتعنا بها فى هذه الحياة ، فإننا سوف لا نسأل فقط كيف كنا أشراراً ، بل كم كان ممكناً أن نكون أفضل لو أردنا أش ٥ : ٣ و٤

(الثالثة) ومع أن حالة كل الذين يهلكون لا تحتمل إلا أن حالة من اعطى إليهم إعلان كامل عن قوة ونعمة المسيح ولم يتوبوا سوف تكون أشد هولا عن الباقين . إن نور الانجيل وصوته يفتحان قلوب كل الذين يسمعونه و يقو يان مواهبهم ، إما لقبول غنى النعمة الإلهية ، أو (فى حالة الاستخفاف بالنعمة) الغضب الإلهى بأوفر غزارة . وإن كانت وخزات الضمير القاسية هى عذاب جهنم فإنها لابد أن تكون جهنم حقيقة لمن كانت لهم الفرصة للدخول إلى السماء . « يابنى أذكر » هذا .

(٢) وهنا نجد المسيح بوجه التو بيخ بشدة إلى كفر ناحوم ع ٢٣ « **وأنت يا كفرناحوم** » ارفعى يدك واسمعى القضاء الذى يحل بك . تشرفت كفرناحوم ــ أكثر من سائر مدن إسرائيل ــ بإقامة المسيح فيها فى أكثر الأوقات . كانت ــ كشيلوه فى القديم ــ المكان الذى اختاره لإسكان اسمه فيه ، وكان نصيبها كنصيب شيلوه أر ٧ : ١٢ و١٤ . كانت معجزات المسيح الطعام اليومى ، ولذلك استخف بها ــ كالمن فى القديم ــ ودعيت طعاماً سخيفاً . لقد ألقى عليهم المسيح دروساً كثيرة وثمينة وجميلة عن النعمة بلا جدوى ، ولذلك فإنه هنا يلقى عليهم درساً مرعباً مروعاً عن الغضب ، والذين لا ير يدون أن يسمعوا الأول سيضطرون لأن يسمعوا الثانى .

وهنا نرى مصير كفر ناحوم :

[١] ينطق به المسيح مجرداً عن أى اعتبار آخر . « **وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاو ية** »

(ملاحظتان) ــ (الأولى) إن الذين يتمتعون بالانجيل بقوة وطهارة يرتفعون به إلى السماء . به ينالون مجداً عظيما للدهر الحاضر ، وامتيازاً عظيما للأبدية . إنهم يرفعون إلى السماء . أما إذا ظلوا متمسكين بالأرض فينبغى أن لا يلوموا سوى أنفسهم إن كانوا لا يرفعون للسماء .

(الثانية) إذا لم ينتفع من امتيازات و بركات الانجيل هوت بالخطاة إلى جهنم . إن امتيازاتنا الخارجية لن تخلصنا وحدها ، وإذا لم تكن قلوبنا وحياتنا مطابقة لها تضاعفت المحاسبة . وعلى قدرما ازداد عمق الهاو ية ازداد خطر السقوط إليها . إذاً « فلا تستكبر بل خف » ، لا تكن متراخيا بل مجداً . أنظر أى ٢٠ : ٦ و٧

[٢] ثم يقارنه بمصير سدوم . وهى مدينة أكثر شهرة من غيرها ، سواء من جهة الخطية أو الخراب الذى حل بها ، ومع ذلك فالمسيح يخبرنا هنا :

(أولا) إن الوسائط التى استخدمت فى كفر ناحوم كان ممكناً أن تخلص سدوم . لو أن هذه القوات صنعت بين أهل سدوم مع شرهم المستطير لتابوا و بقيت مدينتهم إلى اليوم شاهدة لرحمة الله المخلصة بدلا من أن تظل إلى اليوم عبرة وشاهدة للعدل المدمر . يه ٧

(ملاحظة) بالتوبة الحقيقية تغفر أعظم الخطايا و يرفع أشد قصاص ، حتى قصاص سدوم .

أرسل الملائكة لسدوم ومع ذلك اندثرت ، ولكن لو كان المسيح قد أرسل إليها « لبقيت إلى اليوم » . إذاً فطوبى لنا لأن العالم العتيد لم يخضع لملائكة بل للمسيح ٢ : ٥ . ولو أن لوط أتيح له أن يصنع قوات ومعجزات لما بدا فى أعين القوم كمازح تك ١٩ : ١٤

(ثانيا) لذلك فإن هلاك سدوم سيكون أخف من هلاك كفرناحوم فى ذلك اليوم العظيم . سوف تحاسب سدوم عن خطايا كثيرة ، ولكن ليس عن خطية رفض المسيح كفرناحوم . وإن كان الانجيل « رائحة موت » ، رائحة مميتة ، فإنه رائحة موت مضاعف ، « رائحة موت لموت » ، موت شديد ٢ كو ٢ : ١٦ . وقد قال المسيح قولا مماثلا عن سائر الأمكنة لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة » . ونحن الذين فى أيدينا الآن الكلمة المكتوبة ، والانجيل يكرز به ، والفرائض الانجيلية تمارس بيننا ، ونعيش فى عصر الروح القدس ، إن لنا امتيازات لا تقل عن امتيازات كورزين و بيت صيدا وكفرناحوم ، وسوف يكون الحساب بمقدارها . لهذا قيل بحق أن معلمى هذا الجيل الحاضر ــ سواء ذهبوا إلى السماء أو إلى جهنم ــ سوف يكونون اعظم المدينين فى كلتا الحالين . فإذا ذهبوا إلى السماء كانوا اعظم المدينين للرحمة الإلهية من أجل تلك الوسائط الغزيرة التى أوصلتهم هناك . وإذا ذهبوا إلى جهنم كانوا أعظم المدينين للعدل الإلهى من أجل تلك الوسائط الغزيرة التى كان ممكناً أن تحفظهم من الذهاب إلى هناك

٢٥ ــ فى ذلك الوقت أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال ٢٦ ــ نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك ٢٧ ــ كل شىء قد دفع إلى من أبى . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا

أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له ٢٨ ــ تعالوا إلى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم ٢٩ ــ احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم ٣٠ ــ لأن نيرى هين وحملى خفيف

فى هذه الأعداد نرى المسيح يتطلع إلى السماء، شاكراً الآب من أجل عظمة و يقينية عهد الفداء، ثم يتطلع حوله إلى الأرض واهباً كل بنى البشر امتيازات و بركات عهد النعمة.

(أولا) هنا نرى المسيح يشكر الله من أجل عطيته لأولئك الأطفال الذين أعلن إليهم سر الانجيل «**وأعلنتها للأطفال**» ع ٢٥. «**أجاب يسوع وقال**». لقد دعيت جواباً، رغم أنها لم تتقدمها كلمات أخرى سوى كلماته هو، ذلك لأنها إجابة معز ية للتأملات المحزنة السابقة، وكان جميلا جداً أن توضع فى كفة الميزان مقابل سابقاتها. لا شك فى أن خطية تلك المدن الأثيمة وهلاكها سببا حزناً للرب يسوع، فلم يكن هنالك مناص من أن يبكى عليها كما بكى على أورشليم (لو ١٩ : ٤١). فى هذا وجد تعز ية، ولكى يجد تعز ية أقوى حولها إلى شكر لأنه رغم ما مضى لا تزال هنالك بقية ولو كانت أطفالا أعلنت إليهم أسرار الانجيل. «فينضم إليه إسرائيل فأتمجد (١)» أش ٤٩ : ٥

(ملاحظة) حينما يكون كل ما حولنا غير مشجع فإننا بالتطلع إلى فوق نحو الله نجد مشجعات عظيمة.

من المحزن أن نرى كيف أن معظم البشر لا يبالون بسعادتهم، ولكن مما يعزى أن نعرف بأن الله الحكيم الأمين يعمل رغم ذلك على دوام مجد اسمه. «أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب».

(ملاحظة) إن الشكر جواب لائق للأفكار الأليمة المزعجة، ويمكن أن يكون وسيلة فعالة لتهدئتها، وتسابيح الحمد علاج شاف للنفوس الحائرة، وتعين على الشفاء من الحزن والكآبة. وحينما لا نجد جواباً آخر لبواعث الحزن والخوف فلنلجأ لهذا «أحمدك أيها الآب» لنشكر الله لأن الحالة ليست أسوأ مما هى عليه الآن.

---

(١) أو «ولولم ينضم إسرائيل فانى أتمجد» حسب الترجمة الانكليز ية

وفى حمد المسيح هذا نلاحظ :

١ ــ اللقب الذى يوجهه لله « **أيها الآب رب السماء والأرض** » .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) حرى بنا فى كل مرة نقترب فيها من الله ــ سواء كان بالتسبيح والحمد أو بالصلاة ــ أن نتطلع اليه كأب ، وأن نتمسك بهذه العلاقة ، ليس فقط حين طلب البركات التى نحتاجها بل أيضاً وقت الشكر من أجل البركات التى نلقاها . وحينما تقبل البركات كعلامة على محبة الآب وكعطايا من يدى الآب فحينئذ تزداد حلاوة وتز يد القلب اتساعا فى الحمد . « شاكر ين الآب » كو ١ : ١٢ . خليق بالأبناء أن يكونوا شاكر ين ، وأن يقولوا « أحمدك أيها الآب » كما يقولون « أتوسل اليك أيها الآب » .

(الثانية) وحينما نتقدم لله كأب لنذكر أيضاً بأنه « رب السماء والأرض » وهذا يلزمنا أن نتقدم إليه بكل وقار كرب الكل ، وأيضاً بكل ثقة كرب قادر أن يهبنا كل ما نحتاج أو نر يد ، وقادر أن يدفع عنا كل شر ويهبنا كل خير . لقد بارك المسيح ــ ممثلا فى ملكى صادق ــ الله كمالك السماوات والأرض تك ١٤ : ١٩ . وفى كل تشكراتنا من أجل البركات التى نجدها فى النهر لنعطه المجد من أجل الكفاية المطلقة الكائنة فى المنبع .

٢ ــ الأمور التى من أجلها يحمد الآب : « **لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء (ومع) ذلك أعلنتها للأطفال** » . « هذه » دون أن يحددها ، على أنها تعنى بركات الانجيل ، ما هو لسلامنا لو ١٩ : ٤٢ . وهو يتحدث عنها بلهجة التأكيد « هذه » لأنها كانت تشغل تفكيره ، ويجب أن تشغل تفكيرنا نحن أيضاً . كل شيء عداها نفاية .

(ملاحظات) ــ (الملاحظة الأولى) كانت أسرار الانجيل الأبدى ، ولا تزال ، مخفاة عن الكثير ين من « الحكماء والفهماء » الذين اشتهروا بالعلم والحكمة العالمية . فقد كان البعض من أعظم العلماء وأقدر السياسيين أعظم الجهلاء بأسرار الانجيل . « فالعالم لم يعرف الله بالحكمة » ١ كو ١ : ٢١ . بل إن الانجيل طالما لقى الهجمات من « العلم الكاذب الاسم » ١ تى ٦ : ٢٠ ، وأكثر الناس دراية بالأمور الحسية والعالمية أكثرهم جهلا بالامور الروحية بصفة عامة . قد يغوص البعض فى أعماق الطبيعة ، و يتعمقون فى الشئون السياسية ، ولكنهم قد يجهلون أسرار ملكوت السموات ، و يتخبطون بشأنها بسبب عدم اختبارهم قوتها .

(الملاحظة الثانية) و بينما تجد « حكماء وفهماء » العالم فى ظلام دامس من جهة أسرار الانجيل فإن « الأطفال » فى المسيح يعرفونها المعرفة المقدسة المخلصة . « وأعلنتها للأطفال » هكذا كان تلاميذ المسيح ، وضيعى الأصل ، وضيعين من ناحية التعليم ، لم يكن فيهم العالم ، أو الفنان ،

أو السياسى ، بل كانوا عديمى العلم وعاميين أع ٤ : ١٣ . وهكذا تعلن « خفيات الحكمة أنها مضاعفة الفهم » أى ١١ : ٦ إلى « الأطفال والرضع » لكى يؤسس حمداً من أفواههم مز ٨ : ٣ . وعلماء العالم لم يختاروا للكرازة بالانجيل بل « اختار الله جهال العالم » ١ كو ١ : ٢٧ .

(الملاحظة الثالثة) والفرق بين الجهال والاطفال هو من صنع الله : —

[١] فهو الذى أخفى هذه عن الحكماء والفهماء . هو الذى أعطاهم ذكاء وعلوماً ومعرفة بشرية أكثر من غيرهم فافتخروا بها ، واتكلوا عليها ، ولم يتطلعوا إلى أبعد منها ، ولذلك حرمهم الله بعدل من روح الحكمة والاعلان ، ومن ثم صار صوت أخبار الانجيل غريباً عنهم رغم سمعهم إياه . ليس الله هو المنشىء لجهلهم وحماقتهم ، ولكنه يتركهم لانفسهم ، فتصبح خطيتهم قصاصاً لهم و يتبرر الله فيها . أنظر يو ١٢ : ٣٩ و٤٠ ، رو ١١ : ٧ و٨ ، أع ٢٨ : ٢٦ و٢٧ . ولو أنهم أكرموا الله بالحكمة والفهم اللذين حصلوا عليهما لمنحهم معرفة هذه الامور الافضل . ولكن لانهم خدموا شهواتهم بهما فقد أخفى هذه المعرفة عن قلوبهم .

[٢] وهو الذى أعلنها للأطفال . المعلنات لبنينا تث ٢٩ : ٢٩ ، ولهم يعطى فهماً لقبول هذه الأسرار وقبول فاعليتها . وهكذا « يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » يع ٤ : ٦

(الملاحظة الرابعة) إن هذا التدبير موكول كله لسلطان الله المطلق . وهذا ما يشير اليه المسيح نفسه « **نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك** » . هنا يشير المسيح لتدخل إرادة الآب فى هذا الأمر « نعم أيها الآب » ليتخذ الله الطريق الذى يراه ليمجد ذاته ، وليستخدم الوسائل التى يرتضيها لاتمام عمله . فنعمته ملك له ، وله أن يمنحها أو يمنعها كما يشاء . نحن لا نستطيع أن نعلل لماذا جعل بطرس الصياد رسولا وليس نيقوديموس الفريسى الذى كان رئيساً لليهود ، رغم أنه هو أيضاً آمن بالمسيح . ولكن « هكذا صارت المسرة أمام » الله . نطق المسيح بهذا على مسمع من تلاميذه ليبين لهم أنهم لم يميزوا لأى استحقاق فيهم ، بل لمجرد مسرة الله . هو الذى ميزهم .

(الملاحظة الخامسة) وهذه الطريقة لمنح النعمة الإلهية ينبغى أن نعترف بها بكل شكر وحمد كما فعل المسيح . ينبغى أن نشكر الله (١) لأن هذه قد أعلنت . قد أعلن السر الذى كان مخفى منذ الأجيال والدهور . لنشكره لأن هذه لم تعلن لجماعة قليلة بل لا بد أن تذاع لكل العالم (٢) لأنها قد أعلنت « للأطفال » لأن الودعاء والمتواضعين تجملوا بهذا الخلاص ، ولأن هذه الكرامة توجت من احتقرهم العالم (٣) ومما يعظم النعمة التى وهبت لهم أن هذه أخفيت عن الحكماء والفهماء . فالامتياز فى النعمة يزيد فى التزاماتنا . وكما بارك أيوب الرب حينما أخذ ،

مثل ما باركه حينما أعطى كذلك ينبغي أن نباركه لاخفاء هذه عن الحكماء والفهماء مثل ما نباركه لاعلانها للأطفال . لا لأن ذلك سبب تعاسة الحكماء والفهماء بل لأنه أحد الطرق لاذلال النفس وتحطيم الكبرياء وتسكيت كل جسد ، ولكي تزداد القوة الإلهية والحكمة الإلهية ضياء .
أنظر ١ كو ١ : ٢٧ ، ٣١

(ثانيا) والمسيح هنا يهب بركات الانجيل هذه للجميع ، وهذه هي الأمور التي أعلنت للأطفال ع ٢٥ الخ . لاحظ هنا :

١ — المقدمة الرائعة التي تمهد لهذه الدعوة ، وذلك لكي يلفت أنظارنا اليها ، ولكي يشجعنا على الامتثال لها . هنا يبرز المسيح سلطانه لكي « تكون لنا تعزية قوية » إذا ما « التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا » عب ٦ : ١٨ وسترى هنا كيف أن له السلطان ليهب هذه البركات .

هنا يضع أمامنا أمرين ع ٢٧ :

(١) ارساليته من الرب « كل شيء قد دفع إلي من أبي » المسيح كإله ، مساو للآب في القوة والمجد . ولكنه كوسيط استلم قوته ومجده من الآب ، « قد أعطى كل الدينونة للابن » يو ٥ : ٢٢ قد أعطى اليه أن يؤسس عهداً جديداً بين الله والانسان ، وأن يهب سلاماً وسعادة للعالم المتمرد حسبما يراه لائقاً . قد تعين بأن يكون هو الوحيد المطلق التصرف ، وأن يؤسس هذا التدبير العظيم . لأجل هذا « دفع اليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض » (مت ٢٨ : ١٨) « سلطان على كل جسد » يو ١٧ : ٢ سلطان ليدين يو ٥ : ٢٢ ، ٢٧ لذلك فما يشجعنا على التقدم للمسيح أنه قد اعطى اليه أن يقبلنا ، وأن يهبنا ما نتقدم لأجله ، وأن « كل شيء قد دفع اليه » لأجل هذه الغاية ، من ذاك الذي هو « رب الكل » . كل سلطان ، وكل الكنوز في يديه . لاحظ أن الآب دفع كل شيء في يدي الرب يسوع ، إذن فلندفع نحن أيضاً كل ما لدينا في يديه ، و بذلك يتم كل شيء . لقد جعله الله أن يكون هو المصالح المبارك الذي « يضع يده على كلينا » أى ٩ : ٣٣ . وكل ما علينا هو أن نقبل بل أن نخضع لحكم الرب يسوع ، لكي تنتهي الخصومة الذميمة ونتصالح مع الله .

(٢) وحدانيته مع الآب : « **ليس أحد يعرف الآب إلا الابن . ولا أحد يعرف الابن إلا الآب** » وهذا يزيدنا راحة وطمأنينة . إن الرب يسوع المسيح ليست لديه السلطة فقط بل أيضا القدرة على إتمام رسالته . إن اتمام عمل الفداء من اختصاص كل من الآب والابن على السواء ، « مشورة السلام بينهما كليهما » زك ٦ : ١٣ لذلك يجب أن يشجعنا بأن نثق أنهما على تفاهم تام في هذا الأمر كما في غيره . وإن كان الآب يعرف الابن ، والابن يعرف الآب ، فلن

يمكن أن يحصل أى خطأ فى هذا الأمر ، كما يحصل عادة بين البشر إذ تنقض الاتفاقات و يلغى ما تم من اجراءات بسبب سوء فهم الواحد للآخر . « الابن فى حضن الآب » منذ الأزل يو ١ : ١٨ « كنت عنده صانعاً » أم ٨ : ٣٠ لذلك « ليس أحد يعرف الآب إلا الابن » وكذلك أيضا **« من أراد الابن أن يعلن له »** .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) إن سعادة البشر هى فى معرفة الله ، هى « حياة أبدية » ، هى كمال المخلوقات العاقلة .

(الثانية) وعلى الذين يريدون معرفة الله أن يلجأوا للرب يسوع المسيح . لأن « إنارة معرفة مجد الله (تضىء) فى وجه يسوع المسيح » ٢ كو ٤ : ٦ . نحن مدينون للمسيح من أجل كل الاعلانات التى لنا عن إرادة الله الآب ومحبته منذ أخطأ آدم . ولا يمكن أن يكون للانسان الخاطىء قدوم مباشر لدى الإله القدوس إلا بوسيط يو ١٤ : ٦

٢ ــ وهنا نجد الهبة نفسها المقدمة الينا ، كما نجد دعوة لقبولها . بعد تلك المقدمة الرائعة لا ينتظر إلا أن نجد أمراً جليلا . هى كلمات « صادقة ومستحقة كل قبول » . هى « كلام به نخلص » أع ١١ : ١٤ . هنا توجه الينا الدعوة لقبول المسيح كاهناً وملكا ونبياً ، لكى نخلص ، لكى يعلمنا ويملك علينا تمهيداً لهذا الخلاص .

(١) ينبغى أن نأتى ليسوع المسيح كراحتنا ، ونلقى بأنفسنا بين أحضانه لنستريح فيه ع ٢٨ **« تعالوا إلى يا جميع المتعبين »** لاحظ :

[١] صفات المدعوين « جميع المتعبين والثقيلى الأحمال » . هذه كلمة فى وقتها للمعيى ([1]) أش ٥٠ : ٤ . على الذين يشكون من ثقل الناموس الطقسى ، الذى كان نيراً لا يحتمل ، وازداد ثقلا بتقليد الشيوخ (لو ١١ : ٤٦) ، أن يأتوا للمسيح فيستريحوا ، إذ أنه أتى ليحرر كنيسته من ذلك النير ، ليبطل التزامات تلك الطقوس الناموسية ، و يأتى بطريقة أخرى للعبادة أكثر نقاء وأعمق روحانية .

ولكن الأرجح أن المقصود هو ثقل الخطية ، إثمها وسلطانها .

(ملاحظة) إن الذين يدعون للراحة فى المسيح هم فقط كل الذين يشعرون بالخطية كثقل ، و يئنون تحتها ، الذين لا يقتنعون بإثم الخطية فقط ، بإثم خطيتهم الشخصية ، بل أيضاً

---

(١) « لأعرف أن أغيث المعنى بكلمة فى وقتها » حسب الترجمة الانجليزية

تستحق نفوسهم بسببها ، الذين يتألمون حقيقة من أجل خطاياهم ، يتعبون من خدمة العالم والجسد ، الذين يرون بأن حالتهم محزنة وخطرة بسبب الخطية ، ينزعجون و ينتحبون بسببها كافرايم (أرميا ٣١ : ١٨ ــ ٢٠) والابن الضال (لو١٥ : ١٧) والعشار (لو١٨ : ١٣) وسامعى بطرس (أع ٢ : ٣٧) و بولس (أع ٩ : ٤ ، ٦ ، ٩) والسجان (أع ١٦ : ٢٩ ، ٣٠) هذا تمهيد لازم للصفح والغفران والسلام . فالمعزى يجب أولا أن أن يقنع و يبكت (يو١٦ : ٨) إن افترس فهو يشفى وان ضرب فهو يجبر (هو٦ : ١) .

[٢] الدعوة نفسها : « **تعالوا إلى** » إن ذلك المظهر المجيد الذى أعلن لنا عن عظمة المسيح (ع ٢٧) كرب الكل قد يروعنا ويخيفنا منه ، ولكن انظر هنا كيف يمسك الصولجان الذهبى لكى نلمس نحن طرفه فنحيا .

(ملاحظة) من واجب بل من مصلحة الخطاة التعابى والثقيلى الأحمال أن يأتوا للمسيح . ينبغى أن نقبله كطبيبنا الشافى وشفيعنا ونخضع لحكمه وسلطانه ، تاركين كل ما يعطلنا عنه ، مرتضين بكل سرور أن يخلصنا بالطريقة التى يراها ، والشروط التى يختارها .

تعالوا واطرحوا عليه ذلك الحمل الذى أنتم مثقلون تحته . هذه هى دعوة الانجيل : « الروح والعروس يقولان تعال ... ومن يعطش فليأت ومن يرد » « فليأت » رؤ ٥ : ١٧

[٣] البركة التى وعد بها الذين يأتون « **وأنا أريحكم** » . إن المسيح لنا كنوح الذى يدل اسمه على الراحة ، لأنه « يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا » تك ٥ : ٢٩ . يقيناً أن الراحة طيبة ، سيا للمتعبين والثقيلى الأحمال جا ٥ : ١٢ .

(ملاحظة) إن الرب يسوع المسيح يهب راحة أكيدة للنفوس المتعبة التى تتقدم إليه بإيمان حى لطلبها ، « راحة » من انزعاج الخطية ، مع سلام عميق فى الضمير . « راحة » من سلطان الخطية ، مع تنظيم قوى النفس ومنح قوة لضبط النفس . « راحة » فى الله ، وتلذذ النفس بمحبته مز ١١ : ٦ و٧ . هذه هى الراحة التى بقيت لشعب الله (عب ٤ : ٩) التى بدأت فى النعمة وتكملت فى المجد .

(٢) ينبغى أن نأتى ليسوع المسيح كملكنا خاضعين له ع ٢٩ « **احملوا نيرى عليكم** » . هذه ينبغى أن تتمشى مع سابقتها ، لأن المسيح رفع لكى يكون « رئيساً ومخلصاً » أع ٥ : ٣١ « وكاهناً على كرسيه » زك ٦ : ١٣ . إن « الراحة » التى يعد بها هى تحرر من عناء وعبودية الخطية ، لا التحرر من خدمة الله بل التزام بالدين الذى ندين به له .

(مـلاحـظـة) كما أن المـسيح يعد تاجا لرؤوسنا هكذا يعد نيراً لأعناقنا ، وهو يريدنا أن نقبل هذا النير ونحمله .

إن دعـوة الـتـعـابـى والـثـقـيـلـى الأحمـال لحمل نير على أعناقهم يبدو كأنه إضافة ضيق للـمـتـضايقين . على أن هذا التناقض الظاهرى يزول حينما نذكر أن المسيح يقول إن هذا النير نيره هـو « نيرى » وكأنه يقول : أنتم تحت نير يجعلكم متعبين وثقيلى الاحمال ، فانفضوا عنكم هذا النير وجـربـوا نيرى الذى يريحكم . قيل عن العبيد إنهم « تحت نير » ١ تى ٦ : ١ وكذلك الرعية ١ مل ١٢ : ١٠ . لـذلـك فـإن قـبـول نير المـسيح معناه أن نرتضى بأن نكون عبيداً ورعية له ، ومن ثم أن نـتـصـرف الـتصرف اللائق ، وذلك بأن نطيع جميع وصاياه من كل القلب ، ونخضع بسرور لجميع أحكامه وتصرفاته معنا . معناه أن نطيع انجيل المسيح ونخضع للرب .

إنـه نير المـسـيـح ، الـنير الـذى رسمه وحدده ، النير الذى حمله هو نفسه قبلنا ، لأنه « تعلم الطاعة مما تألم به » ، النير الذي يشترك معنا فى حمله ، لأنه « يعين ضعفاتنا » رو ٨ : ٢٦ .

إن الـنير يـتـضـمـن بعض المشقات ، ولكن إذا كان لا بد للحيوان من سحب العربة فإن النير يعينه كثيراً . إن كل وضايا الله فى مصلحتنا ، فلنقبل هذا النير لكى نسلك فيه .

وحمل الـنير يـتطلب العمل ، لذلك ينبغى أن نكون مجدين ونشطين . و يتطلب الخضوع ، لـذلـك يـنـبـغـى أن نكوْن متواضعين وصابرين . و يتضمن الرفقة لأننا لا بد من أن نحمل النير مع رفـقـائـنـا ، لـذلـك يـنـبـغـى أن نحـتـفـظ بـشـركة القديسين . « وكلام الحكماء كالمناسيس (أى المناخس) » للذين يحملون النير (جا ١٢ : ١١) .

والآن هـذه أصعب نقطة فى درسنا ، ولذلك يزيدها المسيح إيضاحاً ع ٣٠ « **نيرى هين وحملى خفيف** » فلا مبرر للخوف منه .

[١] إن نير وصـايـا المـسيح « نير هين » والأصل اليونانى لكلمة « هين » لا يحمل معنى الخـفـة فـقـط بـل أيضـاً اللطف . إنه نير حلو وجميل ومريح . لا شىء فيه من المرارة للكتف الذى يحـمـله ، لا شىء فيه يؤذينا ، بل بالعكس إن فيه الكثير مما ينعشنا . إنه نير مبطن بالمحبة . هذه هى طـبـيـعـة كل وصايا المسيح : إنها معقولة فى حد ذاتها ، نافعة لنا ، كلها تلخص فى كلمة واحدة ، كـلـمـة عذبة ، هى « المحبة » . إن المساعدات التى يهبنا إياها قوية ، والمشجعات التى نلقاها منه فـى غـايـة المـناسبة ، والتعزيات التى نجدها فى طريق تأدية الواجب عظيمة ، حتى أننا نستطيع الـقـول حـقـاً إنـه نير جميل . إنه « هين » للطبيعة الجديدة ، « هين للفهيم » أم ١٤ : ٦ . قد يكون عسيراً فى بداية الأمر ، ولكنه هين فيما بعد . فمحبة الله ورجاء السماء يجعلانه هيناً .

[٢] ونير صليب المسيح « حمل خفيف » خفيف جداً ، أى المصائب التى تأتينا من المسيح كبشر ، والتى تأتينا من أجل المسيح كمسيحيين . والمعنى الثانى هو المقصود بنوع أخص . ليس هذا الحمل فى حد ذاته مبهجاً بل متعباً ، ولكن لأنه حمل المسيح فهو « خفيف » . عرف بولس عنه الكثير فدعاه « خفة ضيقتنا » ٢ كو ٤ : ١٧ . إن الشعور برفقة الله لنا (أش ٤٣ : ٢) وعطف المسيح (أش ٦٣ : ٩ ، دا ٣ : ٢٥) ومعاونات الروح القدس وتعزياته بنوع خاص (٢ كو ١ : ٥) هذه تجعل احتمال الآلام من أجل المسيح هيناً وخفيفاً . إذا كثرت المصائب وطالت كثرت التعزيات وطالت أيضا . فليكن هذا معزياً لنا فى ضيقاتنا ، ومشجعا لنا فى كل ما نجده من مثبطات للعزائم سواء فى خدماتنا أو فى آلامنا . لأننا إن خسرنا أشياء من أجل المسيح فلن نخسر بسببه شيئاً .

(٣) و ينبغى أن نأتي ليسوع المسيح كمعلمنا ونسعى للتعلم منه « **وتعلموا منى** » ع ٢٩ . لقد أنشأ المسيح مدرسة عظمى ودعانا لنكون تلاميذه . فعلينا أن نلتحق بهذه المدرسة ، ونكون فى زمرة تلاميذه ، ونتلقى كل يوم التعاليم التى يلقنها إلينا بكلمته و بروحه القدوس . علينا أن نتأمل كثيراً فى أقواله ، ونكون مستعدين لاستخدامها فى كل الظروف والمناسبات . علينا أن نسلك كما سلك ، ونتبع خطواته ١ بط ٢ : ٢١ .

يرى البعض أن العبارة التالية « **لأنى وديع ومتواضع القلب** » هى الدرس الخاص الذى طلب منا أن نتعلمه من مثال المسيح . ينبغى أن نتعلم منه كيف نكون ودعاء ومتواضعى القلب ، وأن نتخلص من كبريائنا وحدة الطبع اللتين تبعداننا عن شبهه ومثاله . ينبغى أن نتعلم من المسيح كما نتعلم المسيح (أف ٤ : ٢٠) لأنه هو معلم وهو درس ، هو المرشد وهو الطريق ، هو الكل فى الكل .

هنا نجد سببين للتعلم من المسيح .

[١] « **لأنى وديع ومتواضع القلب** » و بالتالى جدير بتعليمكم .

(أولا) هو « وديع » وقادر أن « يترفق بالجهال » عب ٥ : ٢ الذين قد يحتد عليهم الآخرون . كم من معلمين مقتدرين تراهم حادى الطبع ومتعجلين ، الأمر الذى يثبط عزائم المتباطىء الأذهان . أما المسيح فيعرف كيف يحتمل أمثال هؤلاء ، و يفتح أذهانهم . ولقد كانت تصرفاته مع تلاميذه الاثنى عشر عينة لهذا . فقد كان وديعاً طويل الأناة نحوهم ، وخلق منهم شخصيات غاية فى السمو . ورغم ما بدا منهم من عدم الاكتراث والتناسى فإنه لم يكن يتطرف فى إظهار غباوتهم .

(ثانياً) « ومتواضع القلب » . إنه يتنازل ليعلم أفقر التلاميذ و يعلم المبتدئين . فقد اختار تلاميذه لا من البلاط الملكى ، ولا من المدارس ، بل من شاطىء البحر ، إنه يعلم المبادىء الأولية ، التى هى كاللبن للأطفال ، و يتنازل ليعلم أبسط العقول ، هو درج (علم المسير) افرايم هو ١١ : ٣ . من ذا الذى يعلم مثله ؟ من أكبر المشجعات لنا أن نتتلمذ لمعلم كهذا . وكما أن هذا التواضع وتلك الوداعة تؤهلانه ليكون معلماً فإنهما خير المؤهلات للذين ير يدون أن يتعلموا منه ، « يعلم الودعاء طرقه . يدرب الودعاء فى الحق » مز ٢٥ : ٩ .

[٢] « **فتجدوا راحة لنفوسكم** » وهذا الوعد مقتبس من أر ٦ : ١٦ لأن المسيح كان يسره التحدث بلغة الأنبياء لكى يبين التوافق بين العهدين .

(ملاحظتان) — (الأولى) إن أسمى راحة تبتغى هى راحة النفس ، هى أن تبيت النفس فى الخير (أو « فى الراحة » حسب الترجمة الانكليز ية) مز ٢٥ : ١٣ .

(الثانية) والطر يق الوحيد ، وهو الأكيد ، لنجد راحة لنفوسنا هو الجلوس عند قدمى المسيح والاستماع لكلمته . إن طر يق تأدية الواجب هو الطر يق للراحة . والفهيم يجد راحة فى معرفة الله و يسوع المسيح ، واطمئناناً كاملا ، لأنه يجد فى الانجيل الحكمة التى طالما بحث عنها عبثاً فى كل الخليقة أى ٢٨ : ١٢ . إننا نعرض نفوسنا لخطر جسيم إذا ما تركنا الحقائق التى يعلمها المسيح . والعواطف تجد راحة فى محبة الله و يسوع المسيح ، لأنها تجد فيها كل الاطمئنان كما تجد السلام الكامل والثقة المطلقة . وهذه كلها تتكمل فى السماء حيث نرى الله بالعيان ونتمتع به ، نراه كما هو ، ونتمتع به تمتعا كاملا . هذه الراحة يستمتع بها مع المسيح كل الذين يتعلمون منه .

هذه هى خلاصة دعوة الانجيل وهباته . هنا يخبرنا الانجيلى فى كلمات قصيرة ماذا يطلبه منا المسيح ، وهو يتفق مع ما قاله الله عنه مراراً وتكراراً : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا » .

الأصحاح الثانى عشر

فى هذا الاصحاح نرى (١) توضيح المسيح للوصية الرابعة الخاصة بيوم السبت وتطهيرها من تلك الآراء الخاطئة التى ألصقها بها معلمو اليهود ، مبيناً أن المهام الضرورية وأعمال الرحمة يجوز أن تعمل فى ذلك اليوم ع ١ ــ ١٣ (٢) حكمة الرب يسوع وتواضعه وإنكاره لذاته فى إتمام معجزاته ع ١٤ ــ ٢١ (٣) رد المسيح على اعتراضات الكتبة والفريسيين وافتراءاتهم ، فانهم نسبوا قدرته على إخراج الأرواح إلى تحالفه مع الشيطان ع ٢٢ ــ ٣٧ (٤) رد المسيح على الكتبة والفريسيين . تحدوه وطلبوا منه أن يظهر لهم آية من السماء ليجربوه ع ٣٨ ــ ٤٥ (٥) المسيح يذكر من هم أقاربه ع ٤٦ ــ ٥٠

١ ــ فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع .
فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل و يأكلون ٢ ــ فالفريسيون لما
نظروا قالوا له هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت ٣ ــ
فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ ــ كيف
دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل
للكهنة فقط ٥ ــ أوما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى
الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء ٦ ــ ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم
من الهيكل ٧ ــ فلو علمتم ما هو. إنى أريد رحمة لا ذبيحة . لما حكمتم
على الأبرياء ٨ ــ فان ابن الانسان هو رب السبت أيضاً ٩ ــ ثم
انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم ١٠ ــ وإذا انسان يده يابسة
فسألوه قائلين هل يحل الابراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه ١١ ــ
فقال لهم أى انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا فى
السبت فى حفرة أفما يمسكه و يقيمه ١٢ ــ فالانسان كم هو أفضل من
الخروف . إذاً يحل فعل الخير فى السبوت ١٣ ــ ثم قال للانسان مد يدك
فمدها . فعادت صحيحة كالأخرى

كان معلمو اليهود قد أفسدوا الكثير من الوصايا بالتطرف فى تفسيرها أكثر مما قصد بها. وقد اكتشف المسيح هذا الخطأ وصححه (ص ٥) فى عظته على الجبل. أما الوصية الرابعة فقد كان خطأهم فيها انهم ضيقوا فى تفسيرها.

(ملاحظة) من عادة الأشخاص فاسدى الذهن أن يظنوا بأنهم بغيرتهم فى الشئون الطقسية ومظاهر العبادة الخارجية يكفرون عن تراخيهم فى الحياة الأدبية. على أن لعنة الله تنصب على الذين يضيفون كما على الذين يحذفون من أقوال هذا الكتاب رؤ ٢٢ : ١٨ و١٩، أم ٣٠ : ٦

والآن نرى ان ما أراد المسيح أن يبينه لنا هو أن الأعمال التى تحتمها الضرورة وأعمال الرحمة جائزة يوم السبت، الأمر الذى كان اليهود يترددون فيه فى كثير من المناسبات. وإن اهتمام المسيح المتواصل لتفسير الوصية الرابعة يتضمن الحث على حفظ أحد الأيام السبعة كوصية مقدسة. لأنه لم يكن هنالك داع لتفسير ناموس يكون مقضياً عليه بالزوال سريعاً. ولكنه لا شك قد قصد بذلك أن يقرر مبدأ ينفع كنيسته كل الأجيال. وهذا يعلمنا أن سبتنا المسيحى وإن كان خاضعاً لترتيب الوصية الرابعة إلا أنه ليس خاضعاً لوصايا وتقاليد شيوخ اليهود

المعتاد أن يقرر معنى أى ناموس حسب الأحكام التى توضع فى الحالات التى تحدث فعلا، وهذا ما حدث فى تقرير معنى هذه الوصية. هنا نجد حادثين يدوتان معا لهذه الغاية. ومع أن الحادثين حصلا فى وقتين مختلفين، ومن نوعين مختلفين، ولكنهما يؤديان إلى غاية واحدة

(الأول) إذ برر المسيح تلاميذه فى قطف سنابل القمح يوم السبت، بين أن الأعمال التى تقضى بها الضرورة جائزة فى ذلك اليوم. لاحظ هنا :

١ — ما الذى فعله التلاميذ. كانوا يتبعون معلمهم يوم سبت فى حقل حنطة. ولعلهم كانوا ذاهبين إلى المجمع ع ٩، لأنه لم يكن من اللائق بتلاميذ المسيح أن يسيروا سير الكسل فى يوم كهذا، ثم انه قيل عنهم انهم جاعوا. على ان جوعهم لا يعيب السيد ولا يدل على انه أهملهم. والأرجح انهم كانوا منهمكين فى واجبات السبت حتى انهم نسوا أن يأكلوا خبزاً، وانهم صرفوا وقتاً طويلا فى صلواتهم الصباحية حتى لم يبق وقت لتناول طعام الصباح، بل خرجوا صائمين، لأنهم لم يريدوا الذهاب إلى المجمع متأخرين. وقد رتبت العناية أن يجوزوا «بين الزروع» لكى يجدوا كفايتهم.

(ملاحظة) لله طرق كثيرة لسد أعواز شعبه، وهو يعنى بهم عناية خاصة عندما يكونون ذاهبين إلى بيته، كما كان يعنى قديماً بالذاهبين إلى أورشليم للعبادة (مز ٨٤ : ٦ و٧) الذين

يصير لهم وادى البكاء ينبوعا إذ يملأه المطر ماء . وطالما كنا فى طريقنا لتأدية واجبنا فإننا نرى « يهوه يراه » (أى الرب يرى أو يدبر) تك ٢٢ : ١٤ . فليدبر لنا الله وحده .

وإذ كانوا فى حقول الحنطة « **ابتدأوا يقطفون سنابل** » . كان ناموس الله يسمح بهذا (تث ٢٣ : ٢٥) لكى يعلم الشعب محبة اخوتهم دون التمسك بحق ملكية أشياء تافهة كهذه يمكن أن ينتفع بها الآخرون . كانت هذه مساعدة ضئيلة للمسيح وتلاميذه ، ولكنها كانت أفضل ما يمكن تقديمه ، وقد قنعوا بها .

٢ ــ ما الذى أعثر الفريسيين فى هذا . كان مجرد طعام تافه للصباح ومع ذلك فإن الفريسيين لم يتركوهم يتناولونه فى هدوء . لم يوبخوهم لتعديهم عن ملك غيرهم (فإنهم لم يكونوا غيورين للحق والعدل) بل وبخوهم لقطف السنابل « **فى السبت** » . لأن قطف السنابل وفركها فى ذلك اليوم كان غير مسموح بها مطلقاً حسب تقاليد الشيوخ ، لأنها كانا يعتبران نوعاً من الحصاد

(ملاحظة) ليس أمراً جديداً أن يساء الظن فى تصرفات تلاميذ المسيح البريئة وينظر إليها كغير جائزة ، سيما ممن يغارون لاختراعاتهم وأوامرهم التى يحاولون فرضها على غيرهم

شكاهم الفريسيون لمعلمهم لأنهم فعلوا « **ما لا يحل فعله** »

(ملاحظة) إن الذين يحرمون ما لم يحرمه الله ليسوا أصدقاء للمسيح أو تلاميذه

٣ ــ ماذا كانت إجابة المسيح على اعتراض الفريسيين . لم يكن ممكنا للتلاميذ أن يتكلموا كثيراً عن أنفسهم ، سيما وان الذين اعترضوا عليهم كان يبدو عليهم بأنهم مدققون كل التدقيق فى تقديس السبت ، ولذا فكانوا يظنون انه من الأنسب أن يعترفوا بتعديهم . أما المسيح فقد جاء لكى يحرر أتباعه ليس فقط من رجاسات الفريسيين ، بل أيضا من اتهاماتهم الباطلة . ولذلك فكان لابد أن يدافع عنهم ، ويبرر تصرفاتهم ، ولو كانت فى ظاهرها اعتداء على الشريعة .

(١) انه يبررهم بذكر بعض السوابق التى يعتبرها الفريسيون أنفسهم صالحة

[١] فيبرز حادثة قديمة لداود الذى فعل فى وقت الحاجة ما لم يكن ممكناً أن يفعله فى وقت آخر ع ٣ و٤ « **أما قرأتم** » رواية (١ صم ٢١ : ٦) أكل داود « **خبز التقدمة الذى لم يحل أكله (إلا) للكهنة فقط** » كأمر الناموس (لا ٢٤ : ٥ ــ ٩) . إنه مخصص « لهرون و بنيه » ، « وأما الأجنبى فلا يأكل » منه خر ٢٩ : ٣٣ ومع ذلك أعطاه الكاهن لداود ورجاله . لأنه وإن لم

يذكر صراحة استثناء حالات الضرورة إلا أن هذا مفهوم ضمناً في هذا وفي سائر الطقوس الأخرى . لم يكن الباعث الذى دفع داود لأكل خبز الوجوه مركزه السامى ، فإن عزيا الذى اعتدى على وظيفة الكهنوت فى كبرياء قلبه ضرب بالبرص من أجل هذا مع أنه كان ملكا ٢ أى ٢٦ : ١٦ الخ . إنما كان الدافع الجوع . إن العظماء لا ينالون شهوتهم ، أما الوضيعون فإن الرب يتطلع إلى حاجياتهم . الجوع إحساس طبيعى لا يمكن التغلب عليه ، بل يجب إشباعه ، ولا يمكن إشباعه إلا بالطعام ، « الرب للجسد » وإن كان يسمح بالتجاوز عن بعض ما رسمه فى حالة الشدة فبالأولى جداً يمكن التجاوز عن تقليد الشيوخ .

(ملاحظة) يمكن أن يعمل فى أوقات الضرورة ما لا يعمل لله فى غيرها . هنالك نواميس لا تخضع لها الضرورة لأنها ناموس لنفسها . فالناس «لا يستخفون (لا يحتقرون) بالسارق لو سرق ليشبع وهو جوعان » بل يشفقون عليه أم ٦ : ٣٠ .

[٢] ثم يقدم مثلا مما كان يحدث يومياً مع الكهنة ، وهذا ما كانوا يقرأونه **أيضاً فى « التوراة »** ، وبموجبه سرت العادة بصفة مستمرة ع ٥ « **إن الكهنة فى الهيكل** » يقومون بخدمات متعددة فى السبت ، كالذبح والسلخ وحرق الحيوانات المقدمة للذبائح ، وهم بهذه « **يدنسون السبت** » ومع ذلك لا يعتبرون قط أنهم تعدوا الوصية الرابعة ، لأن خدمة الهيكل كانت تتطلبها وتبررها . هذا يتضمن أن الخدمات الضرورية جائزة يوم السبت ، ليس فقط لأود الحياة بل أيضاً لخدمة السبت ، كدق الجرس لدعوة الشعب ، والسفر الى الكنيسة ، وما ماثل ذلك . إن راحة السبت قد جعلت لخدمة عبادة السبت لا لتعطيلها .

(٢) و يبررهم بالحجة ، مقدماً ثلاثة براهين قوية :

[١] « **إن ههنا أعظم من الهيكل** » ع ٦ إن كانت خدمة الهيكل قد بررت ما فعله الكهنة لإتمامها فبالأولى تبرر خدمة المسيح ما فعله التلاميذ إتماماً لها . كان اليهود يحترمون الهيكل احتراماً فائق الحد ، فقد كان « يقدس الذهب » ، وكانت تهمة اسطفانوس أنه كان « يتكلم كلاماً ضد هذا الموضع المقدس » أع ٦ : ١٣ . أما المسيح فى حقل الحنطة فقد كان « أعظم من الهيكل » ، لأنه لم يحل فيه رمزياً بل حل « كل ملء اللاهوت جسدياً » كو ٢ : ٩ .

(ملاحظة) إن كان كل ما نعمله نتممه باسم المسيح وله فلابد أن يكون مقبولا أمام الله بسرور مهما انتقده البشر .

[٢] والله « يريد رحمة لا ذبيحة » ع ٧ . إن النواميس الأدبية مفضلة على النواميس الطقسية . وناموس المحبة الملوكى الطبيعى وناموس البقاء مفضلان على النواميس الطقسية .

اقتبست هذه الآية من هو٦ : ٦ . وقد سبق أن استعملت فى ص ٩ : ١٣ لإظهار ضرورة الرحمة بنفوس البشر ، وهنا تستعمل لإظهار ضرورة الرحمة بأجسادهم . لقد رتبت راحة السبت لخير الإنسان من ناحية جسده تث ٥ : ١٤ . فيجب أن لا تفسر أية وصية تفسيراً يجعلها تناقض الغاية الرئيسية منها . « **لو علمتم ما هو** » لو علمتم كيف يجب أن يكون الإنسان رحيا لتألمتم للظرف الذى دفع بهؤلاء ليفعلوا هذا لكى يشبعوا جوعهم ، « **ولما حكمتم على الأبرياء** » .

(ملاحظات) ــ (الأولى) إن الجهل هو سبب التسرع فى انتقاداتنا للآخرين البعيدة عن روح المحبة (الثانية) لا يكفى أن نعرف الكتب المقدسة بل يجب أن نسعى لمعرفة معناها « ليفهم القارىء » (الثالثة) وجهل معنى الكتب المقدسة مخز بنوع خاص لمن يقومون بتعليم الآخرين .

[٣] « **ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً** » ع ٨ . هذه الوصية وسواها من الوصايا الأخرى موضوعة فى يدى المسيح ليغيرها أو يقويها أو يستغنى عنها كما يراه مناسباً . بالابن خلق الله العالم ، و به رسم السبت ، و به أعطى الوصايا العشر على جبل سيناء ، وله قد أعطى كل سلطان لإجراء أى تغيير يراه لازماً ، و بصفة خاصة لأنه « هو رب السبت » فإن له السلطان أن يغير هذا اليوم لكى يكون يوم للرب ، يوم الرب يسوع . وإن كان يسوع هو « رب السبت » فخليق بأن يكون اليوم وكل خدماته مكرسة له . و بسبب هذا السلطان نرى المسيح هنا يرتب بأن أعمال الضرورة الحقيقية ــ لا الادعائيه أو الوهمية ــ جائزة فى يوم السبت . وهذا التفسير يوضح بجلاء أنه قصد به أن تكون له صفة الدوام . يقول المثل اللاتينى « الشواذ تؤيد القاعدة » .

وإذ أبكم المسيح الفريسيين وتخلص منهم « **انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم** » ع ٩ ، مجمع هؤلاء الفريسيين ، الذى ترأسوا فيه والذى كان يقصده عندما أثاروا هذا الجدل معه .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) لنحذر لئلا يصادفنا فى طريقنا الى واجباتنا المقدسة ما يجعلنا غير مستعدين لها أو يعطلنا عن تأديتها بأمانة وحق . لنتقدم فى الطريق لواجباتنا رغم حيل الشيطان الذى يحاول « بمنازعات أناس فاسدى الذهن » (١ تى ٦ : ٥) و بطرق أخرى أن يعرقل مساعينا و يعطلنا عن سيرنا (الثانية) علينا أن لا نرجع إلى الوراء ونتعطل عن العبادة الجمهورية بسبب الأحقاد أو المنازعات الشخصية . فرغم أن الفريسيين وجهوا هذا الانتقاد المر بخبث إلى المسيح إلا أنه « جاء الى مجمعهم » ، يصل الشيطان الى غرضه إن كان بما يثيره من المنازعات بين الأخوة ينجح فى إبعادهم كلهم أو بعضهم عن المجمع وشركة المؤمنين .

(الثانى) والمسيح بشفاء « **إنسان (كانت) يده يابسة** » فى السبت يبين أن أعمال الرحمة جائزة بل خليقة بأن تؤدى فى ذلك اليوم . تمت أعمال الضرورة بواسطة التلاميذ ،

وبررهم المسيح في صنعها . أما أعمال الرحمة فتممها هو نفسه . فأعمال الرحمة هي أعماله الضرورية ، لأن طعامه وشرابه أن يعمل الخير . هو نفسه قال « ينبغي لي أن أبشر » لو ٤ : ٤٣ . وقد دون البشير حادث الشفاء هذا إذ كان يهدف أن يبين الوقت الذي تم فيه ، أي يوم السبت . وهنا نرى :

١ ــ المصيبة التي كان هذا الرجل البائس رازحاً تحتها . كانت يده يابسة فعجز عجزاً تاماً عن تحصيل رزقه بعمل يديه . يقول القديس جيروم إن انجيل متى في العبرانية الذي تستعمله طائفة الناصريين وطائفة الابيونيين يضيف على رواية هذا الإنسان ذي اليد اليابسة أنه كان بناء ، ولذا تقدم للمسيح قائلا « سيدي ، إني بناء ، وكنت أقتات من عملي ، فأتوسل اليك يا يسوع أن تشفي يدي ، لكي لا أضطر أن أستعطي . كان هذا الإنسان البائس في المجمع .

(ملاحظة) على الذين لا يستطيعون أن يعملوا إلا القليل من أعمال العالم ، أو الذين ليست لديهم مشاغل عالمية كثيرة ، أن يزدادوا في الاهتمام بأمر نفوسهم . كالأغنياء ، والمتقدمين في السن ، والضعفاء .

٢ ــ سؤالا تهكمياً وجهه الفريسيون الى المسيح أمام هذا الرجل . « **فسألوه قائلين هل يحل الابراء** » لا نجد هنا أي طلب وجهه هذا الرجل إلى المسيح لشفائه ، ولكنهم لاحظوا أن المسيح بدأ يوجه اليه نظره ، وعرفوا أنه من عادته أن « يوجد من الذين لم يطلبوه » ، ولذلك سبقوا خيره بشرهم ، ووجهوا هذا السؤال ليكون عثرة في سبيل عمل الخير « **هل يحل الابراء في السبوت** » . طال نقاش اليهود في كتبهم عما إذا كان يحل للطبيب ممارسة عمله في هذا اليوم ، مع أن الأمر بديهي جداً لا يليق بأن يكون موضوع نقاش ، ولذلك يحل للأنبياء الابراء في هذا اليوم بل يحل لذاك الذي أظهر قوة إلهية وصلاحاً مطلقاً في كل ما عمله من هذا القبيل ، وأظهر بأنه « مرسل من الله » . أيخطر ببال أحد قط أن يسأل إن كان يحل لله أن يبرىء ، أن يرسل كلمته فيشفي (مز ١٠٧ : ٢٠) ؟ صحيح أن المسيح كان وقتئذ « تحت الناموس » إذ خضع له باختياره ولكنه لم يكن قط خاضعاً لوصايا الشيوخ .

« هل يحل الإبراء » .

جميل جداً أن نتساءل عما إذا كان هذا العمل يحل أم لا ، ولن نجد من نلجأ اليه بتوجيه هذا السؤال أفضل من المسيح . على انهم وجهوا السؤال لا لكي يتعلموا منه بل « **لكي يشتكوا عليه** » . إن قال يحل الابراء في السبوت اتهموه بنقض الوصية الرابعة ، لأن الفريسيين مسخوا هذه الوصية حتى أنهم كانوا لا يصرحون بأي إجراء علاجي يوم السبت إلا إذا كانت الحياة

مهددة بالخطر. أما إن قال بأنه لا يحل اتهموه بالتحيز إذ كان منذ وقت وجيز قد برر تلاميذه فى قطف سنابل القمح فى هذا اليوم .

٣ ــ إجابة المسيح على هذا السؤال بالرجوع الى أنفسهم والى آرائهم الشخصية وممارستهم ع ١١ و١٢ . إن كان لإنسان « **خروف واحد** » (وخسارة الخروف الواحد ليست بالخسارة الجسيمة) و يسقط « **فى يوم السبت فى حفرة أفما يمسكه و يقيمه** » ؟ لا شك فى أنهم يفعلون هذا ، ويجدون فى الوصية الرابعة ما يجيزه . يجب أن يفعلوه لأن « الصديق يراعى نفس بهيمته » أم ١٢ : ١٠ . وهم من جانبهم يفضلون أن يفعلوه عن أن يخسروا خروفا واحداً . هل المسيح تهمه الخراف ؟ نعم تهمه فانه يعنى بحياة الانسان والحيوان ، و يدبر لكل منهما قوته . على أنه يقول هذا من أجلنا ١ كو٩ : ٩ ، ١٠ ومن هنا يقيم الحجة « **فالإنسان كم هو أفضل من الخروف** » ليست الخراف مسالمة فحسب ، ولكنها أيضاً نافعة . ومن أجل هذا يعنى بها عناية خاصة . على أن الانسان يفضل عليها بما لا يقاس .

(ملاحظة) إن الانسان من حيث كيانه أفضل جداً من أفضل الحيوانات غير الناطقة وأكثر قيمة . فالإنسان خليقة عاقلة ، قادر على معرفة الله ومحبته وتمجيده ولذلك فهو أفضل من الخروف . لهذا فإن ذبيحة الخروف لا يمكن أن تكفر عن خطية النفس .

إن الذين يعنون بتربية وتعليم وحياة وطعام خيولهم وكلابهم أكثر من عنايتهم بالمساكين ، بل ربما بأهل بيتهم ، لا يفهمون هذا قط .

من هنا يستخلص المسيح حقيقة ، تبدو لأول وهلة أنها معقولة جداً ومستحقة كل قبول « **إذاً يحل فعل الخير فى السبوت** » لقد سألوا « هل يحل الابراء » فبرهن المسيح على أنه يحل فعل الخير ، وليحكم من أراد أن يحكم إن كان الابراء كالذى تممه المسيح فعل خير أم لا .

(ملاحظة) هنالك طرق أخرى « فعل الخير » فى السبوت أكثر من واجبات عبادة الله المباشرة ، كافتقاد المرضى ، وإغاثة المساكين ، وتخفيف آلام المتألمين ، وتقديم أية مساعدة عاجلة تطلب . هذا هو « فعل الخير » وهذا يجب فعله بدافع المحبة وحب الخير ، بروح التواضع مع انكار الذات ، بروح سامية سماوية . هذا هو « الإحسان » أو عمل الخير الذى يقبله الله تك ٤ : ٧

٤ ــ شفاء المسيح للرجل رغم استياء الفريسيين الذى رآه مقدماً ع ١٣ . رغم عجزهم عن الرد على حجج المسيح فقد أصروا على عداوتهم وسوء ظنهم . على أن المسيح لم يبال بكل ذلك بل استمر فى خدمته .

(ملاحظة) ينبغي أن لا يهمل تأدية الواجب أو تهمل فرص عمل الخير خوفاً من إعثار أى امرىء .

وهنا نلاحظ طبيعة الشفاء . فقد قال للرجل « **مد يدك** » أبذل الجهد الذى فى قدرتك « **فمدها . فعادت صحيحة كالأخرى** » . كان لهذا الشفاء ــ كغيره من حوادث الشفاء الأخرى التى فعلها المسيح ــ معنى روحى .

(١) إن أيدينا بالطبيعة « يابسة » ، فاننا من أنفسنا عاجزون كل العجز عن عمل أى شيء من الخير .

(٢) والمسيح وحده هو الذى يستطيع شفاءنا بقوة نعمته . هو يشفى اليد اليابسة بأن يهب حياة للنفس الميتة ، هو يعمل فينا أن نريد وأن نعمل .

(٣) ولكى يشفينا فإنه يأمرنا أن نمد أيدينا لكى نستخدم قوانا الطبيعية ونعمل على قدر استطاعتنا ، أن نمد أيدينا فى الصلاة لله ، أن نمدها لكى نمسك بالمسيح بالإيمان ، أن نمدها فى المساعى المباركة .

لم يكن ممكنا لهذا الانسان أن يمد يده اليابسة من تلقاء ذاته ، كما لم يكن ممكناً للمفلوج أن يقوم ويحمل فراشه ، أو لعازر أن يخرج من القبر . على أن المسيح أمره بأن يمد يده . إذاً فان أوامر الله لنا بأن نتمم الواجبات التى نعجز عن إتمامها من أنفسنا ليست سخافة وليست ظلماً كما لم يكن سخافة أو ظلماً الأمر الذى صدر لذلك الانسان أن يمد يده . لأن الأمر يكون دواماً مصحوباً بالنعمة التى توهب بالكلمة . « ارجعوا عند توبيخى . هأنذا أفيض لكم روحى » أم ١ : ٢٣ . لذلك فان الذين يهلكون هم بلا عذر، كما أن هذا الرجل لو لم يحاول أن يمد يده لما برأ . وكما أن ذلك الإنسان لا يمكن أن ينسب الشفاء لمد يده كذلك ليس للذين يخلصون ما يفتخرون به بل هم مدينون ــ كهذا الرجل ــ لقوة المسيح ونعمته .

١٤ ــ فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه ١٥ ــ فعلم يسوع وانصرف من هناك . وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً ١٦ ــ وأوصاهم أن لا يظهروه ١٧ ــ لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل ١٨ ــ هوذا فتاى الذى اخترته حبيبى الذى سرت به نفسى . أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق ١٩ ــ لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع

أحد فى الشوارع صوته ٢٠ ــ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء . حتى يخرج الحق إلى النصرة ٢١ ــ وعلى اسمه يكون رجاء الأمم

كما كانت هنالك أدلة على عظمة المسيح وسط مظاهر اتضاعه الفائقة ، كذلك أعطى أدلة على اتضاعه وسط مظاهر عظمته الفائقة وحينما هيأت له الأعمال العظمى التى أجراها فرصة لاظهار عظمته فانه أظهر بأنه « أخلى نفسه » . هنا نرى :

(أولا) ضغينة الفريسيين القبيحة ضد المسيح ع ١٤ . فانهم إذ أغاظتهم أدلة معجزاته المقنعة « **خرجوا وتشاوروا عليه لكى يهلكوه** » . انهم اغتاظوا ليس فقط لأن مجده غطى على مجدهم بسبب معجزاته بل أيضاً لأن التعاليم التى نادى بها كانت ضد كبريائهم وريائهم ومصالحهم الشخصية ، ولكنهم ادعوا بأنهم استاءوا لكسره السبت ، الأمر الذى كان يعتبره الناموس جريمة شنيعة خر ٣٥ : ٢

(ملاحظة) ليس أمراً جديداً أن نرى أشر الخطايا ترتدى أنعم رداء .

لاحظ خطتهم . فإنهم « تشاوروا » بصددها ، فكروا فى أنفسهم للوصول إلى الطريقة المثلى لإتمامها على أحسن وجه ، تشاوروا معاً بصددها فى مؤامرة محكمة لكى يشجعوا بعضهم بعضاً ولكى يعاونوا بعضهم بعضاً .

ثم لاحظ قسوتهم فانهم لم يتشاوروا لكى يسجنوه أو يبعدوه بل « لكى يهلكوا » ذاك الذى أتى لكى تكون لنا حياة . يا لها من إهانة بالغة تلك التى وجهوها لربنا يسوع المسيح أن يسعوا لاهلاكه كمتعد على الناموس ومفسد لبلاده ، وهو أعظم بركة لها ومجد لشعبه اسرائيل .

(ثانيا) انسحاب المسيح بهذه المناسبة والعزلة التى اختارها لا لكى يتجنب خدمته بل لكى يتجنب الخطر المحدق به ، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد ع ١٥ « **وانصرف من هناك** » كان ممكناً أن ينقذ نفسه بمعجزة . ولكنه اختار أن يتمم ذلك بالطريقة العادية بالهروب والاعتزال لأنه أراد ــ فى هذا الظرف وغيره ــ أن يخضع لضعفات طبيعتنا غير الخاطئة . هنا نراه يتواضع حتى أنه هرب من مخلوقات ضعيفة ، وهكذا أراد أيضاً أن يقدم مثالا للقاعدة التى وضعها لنا « متى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى » . لقد قال المسيح وفعل ما كان يكفى لاقناع أولئك الفريسيين لو حكموا العقل أو تنبهوا للمعجزات ، ولكنهم بدلا من أن يقتنعوا قسوا قلوبهم وثاروا ولذلك تركهم بلا شفاء أر ٥١ : ٩

لم يعتزل يسوع من أجل نفسه ، ولا تلمس مبرراً ليترك الخدمة ، كلا ، فان عزلته كانت مليئة بالخدمات ، وكان كل حين يصنع خيراً حتى فى الأوقات التى كان يهرب فيها بسبب عمل الخير . وهكذا أعطى مثالا لخدامه لكى يعملوا ما يستطيعون عمله إذا لم يتمكنوا من إتمام كل ما يريدونه ، ولكى يستمروا فى التعليم حتى إذا ما دفعوا إلى زوايا النسيان .

لما أبعد الفريسيون ومعلمو الشعب المسيح عنهم ، وألزموه بأن ينصرف عنهم ، ازدحم حوله عامة الشعب « **تبعته جموع كثيرة** » وبحثوا عنه حتى وجدوه . قد يرى البعض فى هذا تحقيراً له لأنه لم يلتف حوله إلا عامة الشعب ، ولكن هذا فى الواقع كان مجداً له أن يرحب به و يتحمس له أولئك الذين لم تطمس بصائرهم التحزبات أو مظاهر العالم الكاذبة . حتى أنهم كانوا مستعدين لا تباعه أينما ذهب ومهما كلفهم هذا من مخاطر . وكان أيضاً من مجد نعمته أن المساكين يبشرون ، وأنه قبل الذين قبلوه « **وشفاهم جميعاً** » . لقد أتى المسيح إلى العالم ليكون طبيباً عاما ، كالشمس للعالم السفلى ، والشفاء فى أجنحته . ومع أن الفريسيين اضطهدوا المسيح لعمل الخير إلا أنه استمر فيه ، ولم يسمح بأن يعانى الشعب أسوأ نتائج شر قادته .

(ملاحظة) إن كان البعض قساة من نحونا فيجب أن لا يكون هذا مبرراً لقساوتنا على الآخرين .

كان المسيح يعرف كيف يوفق بين النفع والعزلة ، لقد « **شفاهم جميعا** » ، ومع ذلك (ع ١٦) « **أوصاهم أن لا يظهروه** » . وهذه قد ينظر إليها :

١ ــ كتصرف حكيم . فلم تكن المعجزات فى حد ذاتها هى التى هيجت الفريسيين بقدر ما تحدث عامة الشعب عنها ع ٢٣ و٢٤ ، لذلك فإن المسيح مع رغبته فى عدم الامتناع عن عمل الخير أراد أن يعمله بكل هدوء على قدر المستطاع لكى لا يثير حفيظتهم من جهة ولكى لا يعرض نفسه لخطرهم من الجهة الأخرى

(ملاحظة) إن كان الحكماء والصالحون يطمعون فى عمل الخير فإنهم لا يطمعون فى أن يتحدث عنه الناس ، لأنهم لا يسعون الى مدح الناس بل إلى رضاء الله . وفى وقت الآلام والاضطهاد إن كان يطلب منا أن نستمر فى تأدية واجبنا بكل جرأة وشجاعة إلا أننا يجب أن نتحين الفرص المناسبة لتأديته بحيث لا نزيد اشتعال غضب من يتحينون الفرصة ضدنا أكثر من اللازم « كونوا حكماء كالحيات » مت ١٠ : ١٦

٢ ــ كتصرف فيه دينونة عادلة للفريسيين ، الذين لم يكونوا مستحقين أن يسمعوا عن

المزيد من معجزاته ، إذ استخفوا بما رأوه منها . فإنهم بإغلاق أعينهم عن أن يروا النور فوتوا على أنفسهم بركاته .

٣ ــ كتصرف يدل على التواضع وإنكار الذات . مع أن من ضمن مقاصد المسيح من معجزاته أن يبرهن على أنه هو المسيا ، و بذلك يدفع البشر للايمان به ، ومن أجل هذا كان من اللازم أن تعرف هذه المعجزات ، إلا أنه في بعض الأحيان كان يطلب من الشعب أن لا يظهروها لكي يعطينا مثالا في التواضع ، ولكي يعلمنا أن لا نذيع صلاحنا أو نفعنا ، وأن لا نتوق إلى اذاعتها . أراد المسيح أن يكون تلاميذه بعكس من كانوا يعملون كل أعمالهم « لكي ينظرهم الناس » .

(ثالثا) إتمام الكتب في كل هذا ع ١٧ « **لكي يتم ما قيل بأشعيا النبي القائل** » . اعتزل المسيح واختفى حتى ــ رغم انه توارى ــ تتم كلمة الله ، وتزداد وضوحاً ومجداً ، الأمر الذي كان يسعى اليه . أما السفر الذي قيل هنا بأنه يتم فهو أشعيا ص ٤٢ : ١ ــ ٤ وقد دون الرسول هذا الاقتباس بتوسع في ع ١٨ ــ ٢١ . والغاية من هذه الآيات أن تبين كيف أن ر بنا يسوع المسيح وديع وهادىء ، ومع ذلك كيف كان يجب أن يكون ناجحاً في مهمته ، الأمر الذي يتبين من الفقرات السابقة . لاحظ هنا :

١ ــ مسرة الآب بالمسيح ع ١٨ « **هوذا فتاي الذي اخترته : حبيبي الذي سرت به نفسي** » . ومن هنا نتعلم :

(١) أن مخلصنا كان عبد الله (فتاي = عبدي . أنظر أيضا أش ٤٢ : ١) في عمل الفداء العظيم . لقد سلم نفسه لمشيئة الآب (عب ١٠ : ٧) وأقام نفسه لخدمة مقاصد نعمته ومصلحة مجده ، بترميم الثغرة التي عملها الانسان بارتداده . وكعبد كان أمامه عمل عظيم لا تمامه ، وأمانة عظمى أؤتمن عليها . كان من ضمن تواضعه إنه ولو « لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله » إلا أنه بسبب عمل الخلاص أخذ صورة عبد وأخذ ناموسا واحتمل العار والآلام « مع كونه ابناً تعلم الطاعة » عب ٥ : ٨ . كان شعاره « الخدمة » .

(٢) إن الرب يسوع المسيح أختير من الله كمن يليق وحده لا تمام عمل الفداء العظيم . هو « فتاي الذي اخترته » . لم يكن ممكناً لأحد سواه أن يقوم بعمل الفادي ، خليق بأن يلبس اكليل الفادي . كان « مختاراً من بين الشعب » مز ٨٩ : ١٩ ، مختاراً بالحكمة السرمدية ، لهذه الخدمة والكرامة ، اللتين لم يكن بين البشر أو الملائكة من هو خليق بهما ، لم يكن أحد سوى المسيح ، « لكي يكون هو متقدما في كل شيء » كو ١ : ١٨ . لقد اختير المسيح لهذا العمل الجليل ، و باختياره صار رئيس المختار ين ، لأن الله « اختارنا فيه » أف ١ : ٤

المزيد من معجزاته ، إذ استخفوا بما رأوه منها . فإنهم بإغلاق أعينهم عن أن يروا النور فوتوا على

(٣) إن يسوع المسيح هو حبيب الله « **حبيبي** » ، ابنه الحبيب . إنه كإله كائن « فى حضن الآب » منذ الأزل يو ١ : ١٨ ، كان « كل يوم لذته » أم ٨ : ٣٠ . كان بين الآب والابن قبل الزمن حديث ازلى لا يدرك وحب متبادل وهكذا قيل « الرب قنانى أول طريقه » أم ٨ : ٢٢ . وكوسيط أحبه الآب ، إذاً فحينما سر الرب بأن يسحقه وارتضى هو بهذا أحبه الآب يو ١٠ : ١٧

(٤) إن يسوع المسيح هو الذى سر به الآب « **الذى سرت به نفسى** » وهذه تعبر عن أقصى مسرة يمكن تصورها . لقد أعلن الآب بصوت من السماء إنه هو ابنه الحبيب الذى سرت به نفسه . سر به لأنه كان هو الذى تعهد بكل رضا وسرور للقيام بهذا العمل العجيب الذى وضعه الله فى قلبه . وفيه سر بنا نحن أيضاً ، لأنه « جعلنا مقبولين فى المحبوب (١) » أف ١ : ٦ . كل البركات التى يمكن أن ينالها الانسان الساقط من الله مؤسسة على مسرة الله بيسوع المسيح ، لأنه « ليس أحد يأتى إلى الآب إلا به » يو ١٤ : ٦

٢ — وعد الآب له فى أمرين :

(١) أن يكون ذا جدارة تامة بمهمته . « **أضع روحى عليه** » ، « روح الحكمة والمشورة » أش ١١ : ٢ و٣ إن الذين يدعوهم الله لأية خدمة يعدهم لها اعداداً كاملا ، وبهذه الطريقة يتبين انه دعاهم لها كما كان الحال مع موسى خر ٤ : ١٢ . المسيح كإله مساو للآب فى القوة والمجد ، وكوسيط « أخذ من الآب كرامة ومجداً » ٢ بط ١ : ١٧ ، أخذ لكى يعطى . وكل ما أعطاه الآب اياه لأجل مهمته يلخص فى هذا : إنه وضع روحه عليه . هذا هو « زيت الابتهاج » الذى مسحه به الله أكثر من شركائه عب ١ : ٩ . لقد أخذ الروح بلا كيل يو ٣ : ٣٤

(ملاحظة) كل الذين يختارهم الله و يسر بهم لابد أن يضع عليهم روحه ، وحيثما وهب محبته وهب قدراً من مثاله

(٢) أن يكون ناجحاً موفقاً فى مهمته . إن الذين يرسلهم الله لابد أن يعترف بهم . سبق أن أعطى إليه هذا الوعد « ومسرة الرب بيده تنجح » أش ٥٣ : ١٠ وهنا نرى وصفاً لهذه المسرة الناجحة .

---

(١) لمدح مجد نعمته التى بها جعلنا مقبولين فى المحبوب (حسب الترجمة الانكليزية)

[١] « **يخبر الأمم بالحق** » لقد كرز المسيح بشخصه لمن كانوا يجاورون الشعوب الوثنية (أنظر مر ٣ : ٦ — ٨) و برسله أظهر انجيله (وهو ما يسمى هنا حقه) للعالم الأممي (الوثنى) . إنه لم يتمم طريق الخلاص ، أو « الحق » الذى أوكل له ، ككاهننا الأعظم فقط ، بل أذاعه وأخبر به كنبينا الأعظم أيضاً . سوف يخبر بالانجيل للأمم ، فهو القاعدة للسلوك والتصرفات ، لتقويم وتهذيب قلوب البشر وحياتهم . كانت « فرائض الله وأحكامه (١) » قاصرة على اليهود فقط مز ١٤٧ : ١٩ ولكن كثيراً ما نادى أنبياء العهد القديم أن الأمم سوف يخبرون بها ، ولهذا ما كان يليق بأن يكون هذا الأمر موضع دهشة كما حصل لليهود الذين لم يؤمنوا ، و بالأحرى ما كان يليق بأن يكون موضع غضبهم وغيظهم

[٢] « **وعلى اسمه يكون رجاء الأمم** » ع ٢١ سيخبرهم بالحق حتى يلتفتوا إلى ما يقوله ويهتموا به ، فيكون أثره انهم يتكلون عليه ، و يكرسون أنفسهم إليه ، و يسلكون حسب هذا الحق .

(ملاحظة) إن الغرض الأسمى من الانجيل هو أن يقود البشر ليجعلوا رجاءهم على اسم يسوع المسيح ، اسمه يسوع ، مخلص ، ذلك الاسم العزيز الذى سمى به ، الذى هو طيب مسكوب ، « الرب برنا » .

هنا نرى الاقتباس مأخوذا من الترجمة السبعينية . أما النص العبرى (أش ٤٢ : ٤) فهو كالآتى « وتنتظر الجزائر شريعته » . قيل عن جزائر الأمم (تك ١٠ : ٥) إن الذين سكنوها هم بنو يافث الذى قيل عنه (تك ٩ : ٢٧) « ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام » وهذا ما تم الآن حينما « تنتظر الجزائر » (كما يقول النبى) أو « الأمم » (كما يقول البشير) شريعته ، « وعلى اسمه يكون رجاؤها » . قارن هاتين معاً ، ولاحظ بأن الذين « ينتظرون شريعته » معتزمين السير بحسبها هم فقط الذين يستطيعون أن يجعلوا رجاءهم على اسم المسيح بكل ثقة . لاحظ أيضاً أن الشريعة التى ننتظرها هى شريعة الإيمان ، شريعة الرجاء فى اسمه ، « وهذه هى وصيته (العظمى) أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح » ١ يو ٣ : ٢٣

٣ — النبوات المتعلقة به ، و بقيامه بمهمته بكل هدوء ووداعة ع ١٩ و٢٠ . لأجل هذه بصفة خاصة اقتبست هذه الآيات بمناسبة اعتزال المسيح واختفائه .

---

(١) هى نفس الكلمة المترجمة « حقه »

(١) إنـه يقوم بمهمته بدون ضوضاء أو تظاهر . « **لا يخاصم ولا يصيح** » لا يأتى المسيح أو ملكوته بمراقبة لو ١٧ : ٢٠ و٢١ . لما ادخل البكر إلى العالم لم يكن ذلك بعظمة وفخامة واحتفالات رائعة ، ولم يدخل بصفة رسمية أو علنية ، ولا تقدمه المنادون لينادوا به ملكا . « كان فى العالم ولم يعرفه العالم » . لقد أخطأ الذين كانوا يمنون أنفسهم بمخلص ذى عظمة عالمية وجاه وجلال .

« **لا يسمع أحد فى الشوارع صوته** » لم يناد المنادى قائلا هوذا المسيح هنا أو هوذا هناك . كان يتكلم بصوت هادىء خفيف ، يجذب الجميع ، ولكن لا يرعب أحداً . لم يحاول أن يحدث صوتاً أو ضوضاء ، ولكنه أتى بسكون كالندى . كل ما تكلم به وما فعله كان بكل تواضع وإنكار ذات . ملكوته روحى ، لذلك لم يقدم بالعنف أو القوة أو المظاهرات الكاذبة . كلا فإن « ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة » ا كو ٤ : ٢٠

(٢) إنـه يقوم بمهمته بدون قسوة أو صرامة ع ٢٠ « **قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء** » يظن البعض أن المقصود بهذه صبره فى احتمال الأشرار . فإنه كان من الميسور أن يحطم هؤلاء الفريسيين بنفس السهولة كتحطيم قصبة مرضوضة ، و يطفئهم بنفس السرعة كاطفاء فتيلة مدخنة ، ولكنه لن يفعل هذا حتى يوم الدينونة حينما يصبح كل اعدائه موطئاً لقدميه .

و يظن الآخرون أنها تشير إلى قوته ونعمته فى احتمال الضعفاء . وعلى العموم أن قصد انجيله هو تأسيس طريقه للخلاص تحث على الاخلاص ولو كان هنالك ضعف شديد ، فهو لا يحتم توفر الطاعة التى بلا خطية بل يقبل القلب المستقيم الراغب .

أما عن الأشخاص المخصوصين الذين يتبعون المسيح فى وداعة وخوف ورعدة فلاحظ :

[١] كيف توصف حالتهم هنا . إنهم مثل « قصبة مرضوضة وفتيلة مدخنة » . إن المبتدئين فى الحياة المسيحية ضعفاء مثل قصبة مرضوضة ، وضعفهم يضايق كفتيلة مدخنة . إن لهم حياة ضعيفة ولكنها كقصبة مرضوضة ، ولهم حرارة ضعيفة ولكنها كفتيلة مدخنة . كان تلاميذ المسيح إلى ذلك الوقت ضعفاء ، ولا يزال الكثيرون ممن يحتلون مكانا فى كنيسته ضعفاء فالنعمة والصلاح فيهم كقصبة مرضوضة ، والفساد فيهم كفتيلة مدخنة ، كفتيلة الشمعة إذا أطفئت وظلت مدخنة .

[٢] شفقة الرب يسوع المسيح وعطفه عليهم . إنه لن يبعث اليأس فى نفوسهم ، كذلك لا يرفضهم ولا يرذلهم . لن تكسر القصبة المرضوضة أو توطأ بالأقدام ، بل تسند وتدعم ، حتى

تصبح قوية كالأرز أو تزهو كالنخلة مز ٩٢ : ١٢ . حينما توقد الشمعة للمرة الأولى لا تنطفئ بل تزداد اشتعالا رغم انها فى البداية تدخن فقط دون أن تشتعل . « و يوم الأمور الصغيرة » هو يوم الأمور النفيسة ، لذلك لا يزدرى به بل يعتبره يوم الأمور العظيمة زك ٤ : ١٠

(ملاحظة) إن الرب يسوع المسيح يعامل الذين لديهم نعمة حقيقية بكل رقة وعطف ولطف حتى ولو كانوا ضعفاء فيها أش ٤٠ : ١١ ، عب ٥ : ٢ . هو لا يذكر فقط أننا تراب ، بل أيضا اننا جسد .

[٣] النتيجة الطيبة ، وهى تتضمن فى هذا « حتى يخرج الحق إلى النصرة » . لابد أن ينتصر ذلك الحق الذى أظهره للأمم ، وهو قد « خرج غالباً ولكى يغلب » رؤ ٦ : ٢ . لابد أن تنتصر الكرازة بالانجيل فى العالم ، وقوة الانجيل فى القلب . والنعمة لابد أن تقضى على الفساد وتتكمل أخيراً فى المجد . وحق المسيح لابد أن يخرج إلى النصرة ، لأنه متى حوكم لابد أن يغلب . « إلى الأمان يخرج الحق » كما وردت فى أش ٤٢ : ٣ . فالأمان والنصرة واحد ، لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه

٢٢ ــ حينئذ أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس . فشفاه حتى أن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر ٢٣ ــ فبهت كل الجموع وقالوا ألعل هذا هو ابن داود ٢٤ ــ أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين ٢٥ ــ فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وكل مدينة أو بيت مقسم على ذاته لا يثبت ٢٦ ــ فان كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته . فكيف تثبت مملكته ٢٧ ــ وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون . لذلك هم يكونون قضاتكم ٢٨ ــ ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله ٢٩ ــ أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى و ينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولا وحينئذ ينهب بيته ٣٠ ــ من ليس معى فهو على . ومن لا يجمع فهو يفرق ٣١ ــ لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس . وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ٣٢ ــ ومن قال

كـلـمـة عـلى ابن الانسان يغفر له . وأما من قال على الروح القدس فلن يغـفـر لـه لا فـي هـذا الـعالم ولا فى الآتى ٣٣ ــ اجعلوا الشجرة جيدة وثـمـرهـا جـيـداً . أو اجـعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً لأن من الثمر تعرف الـشـجرة ٣٤ ــ يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار. فـانـه من فضلة القلب يتكلم الفم ٣٥ ــ الانسان الصالح مـن الـكنز الـصـالـح فـى القلب يخرج الصالحات . والانسان الشر ير من الـكنز الـشـر يريخرج الشرور ٣٦ ــ ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يـتـكـلـم بها الـنـاس سـوف يـعـطون عنها حساباً يوم الدين ٣٧ ــ لأنك بكلامك تتبرر و بكلامك تدان

فى هذه الأعداد نرى :

(أولا) انـتـصار المسيح المجيد على الشيطان الرجيم بالشفاء الرحيم الذى تم لمر يض كان تحت سلطانه وفى قبضته بسماح من الله ع ٢٢ . لاحظ هنا :

١ ــ إن حـالـة هذا الرجل كانت أليمة جداً ، فهو « **مجنون** » . لقد حدثت حالات كثيرة مـن هـذا القبيل أيام المسيح أكثر من المعتاد لكى تزداد قدرة المسيح مجداً ، و يزداد قصده وضوحاً ، وذلـك بـمـقـاومـة الـشـيـطـان وتجـر يده من سلطته ، ولكى يتبين بوضوح أكثر أنه أتى « لكى ينقض أعمال ابليس » ١ يو ٣ : ٨ . كان هذا المجنون « **أعمى وأخرس** » . وهذه حالة محزنة . فلم يكن يـقـدر أن يـرى لـيـعين نـفـسـه أو يـكـلـم الآخـر يـن لـيساعدوه . إن النفس الرازحة تحت سلطان الـشـيـطـان ، الاسـيـرة فـى قـبـضـة يـده ، هى عمياء من جهة الأمور الإلهية ، وخرساء أمام عرش الـنـعـمـة ، لا ترى شيئاً ولا تنطق بشىء فى هذه الناحية . لأن الشيطان يعمى عين الإيمان و يسد شفتى الصلاة .

٢ ــ وكان الشفاء عجيباً ، وزاد فى غرابته انه كان مفاجئاً « **فشفاه** »

(ملاحظة) إن شفاء النفوس قهر للشيطان وانتزاع لقوته وإخضاع له .

وإذا ما أز يلت العلة أز يلت النتيجة ، فإن « **الأعمى الأخرس تكلم وأبصر** »

(مـلاحظة) إن رحمة المسيح هى على خط مستقيم عكس خبث الشيطان ، ومحبته عكس

حقد الشيطان . وعندما تتحطم قوة الشيطان فى النفس تنفتح العينان لتر يا مجد الله ، وتنفتح الشفتان لتنطقا بسبحه

(ثانيا) الاقناع الذى بعثه هذا فى الشعب ، كل الشعب ، فإنهم ذهلوا « **فبهت كل الجموع** » . لقد صنع المسيح معجزات شتى من هذا القبيل فيما مضى ، على أن أعماله إذا ما تكررت كثيراً فإنها من أجل تكرارها لا تقل غرابة ولا تدعو لدهشة أقل . لقد استنتج الجموع من هذا الحادث « **ألعل (أليس) هذا هو ابن داود** » المسيا المنتظر ، الذى يخرج من صلب داود ؟ أليس هذا هو الذى ينبغى أن يأتى ؟ قد يفهم من هذا السؤال :

١ ـــ إنه سؤال استفهامى . لقد سألوا « ألعل هذا هو ابن داود » ولكنهم لم ينتظروا الاجابة . كان التأثير مقنعا ولكنه كان وقتيا . كان السؤال الذى بدأوا به طيبا ، ولكن يبدو أنه سرعان ما ضاع أثره ، ولم يستمر طو يلا . يجب أن تحمل مثل هذه الاقتناعات إلى العقل ، وعندئذ تحمل إلى القلب

٢ ـــ أو سؤال تأكيدى « ألعل هذا هو ابن داود » يقيناً إنه هو ، ولا يمكن إلا أن يكون هو . فمثل هذه المعجزات تبرهن تماماً أن مملكة مسيا فى دور التكو ين الآن

كان الذين استخلصوا هذه النتيجة من معجزات المسيح هم « الجموع » ، أضعف أنواع المستمعين . قد يقول الملحدون إن السبب فى ذلك هو لأنهم كانو أقل تدقيقاً من الفر يسيين . كلا فحقيقة الأمر كانت فى غاية الوضوح ، لا تحتاج إلى بحث دقيق ، لكن السبب إنهم كانوا أقل تأثراً بمصالحهم العالمية وأقل تعصباً . كانت هذه الحقيقة العظمى (وهى أن المسيح هو المسيا ومخلص العالم) فى غاية السهولة والوضوح حتى أن أبسط الناس لم يجهلوها « حتى الجهال لا يضلون » أش ٣٥ : ٨ . كل الذين طلبوها وجدوها . كان من ضمن مظاهر تنازل النعمة الإلهية أن ما أخفى عن الحكماء والفهماء أعلن للأطفال . لم يعرف العالم الله بالحكمة ، فاختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء

(ثالثا) إعتراض الفر يسيين الذميم ومماحكتهم ع ٢٤ . كان الفر يسيون يدعون أنهم أكثر علماً بالناموس وأكثر غيرة عليه من سائر الشعب ، ومع ذلك كانوا ألد الأعداء للمسيح وتعاليمه . كانوا يفخرون بما حصلوا عليه من شهرة بين الشعب . وهذه قد زادت من كبر يائهم ، وعظمت سلطتهم ، وملأت جيوبهم . وحينما سمعوا الجموع يقولون « ألعل هذا هو ابن داود » إغتاظوا من هذا جداً أكثر من غيظهم من المعجزة نفسها ، فإن هذا جعلهم يغارون من المسيح ، و بالتالى أدركوا أنه كلما إزداد احترام الناس له نقص احترامهم لهم بطبيعة الحال ، لذلك حسدوه كما حسد شاول داود بسبب النشيد الذى تغنت له به النساء ١ صم ١٨ : ٧ و٨

(ملاحظة) إن الذين يربطون سعادتهم بمديح الناس لهم يعرضون أنفسهم لقلق مستمر كلما سمعوا كلمة طيبة تقال عن الآخرين .

إن ظل المجد والكرامة لازم المسيح الذى هرب منه ، ولكنه هرب من الفريسيين الذين كانوا يجدون فى أثره . لقد قالوا « **هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين** » ولذلك فهو ليس ابن داود . لاحظ :

١ ــ كيف تحدثوا عن المسيح باحتقار « هذا » أو « هذا المرء » (حسب الترجمة الانكليزية) كأن اسمه العزيز الكريم ، الذى هو « دهن مهراق » ، لا يستحق أن يذكر على شفاههم . مما يدل على كبريائهم وغطرستهم وحسدهم الشيطانى . إنهم كلما ازداد الناس تبجيلا للمسيح ازدادوا هم بذل الجهد لتحقيره . إنه لشر عظيم أن يتحدث الانسان عن الصالحين بازدراء لمجرد فقرهم

٢ ــ وكيف تحدثوا عن معجزاته باحتقار . لم يكن ممكناً أن ينكروا الأمر الواقع ، فقد كان واضحاً وضوح الشمس أن الشياطين أخرجت بكلمة المسيح ، كذلك لم يكن ممكناً أن ينكروا إنه أمر خارق للطبيعة . وإذ اضطروا للتسليم بهذه الحقيقة لم يكن ممكناً أن ينكروا النتيجة الحتمية إن « هذا هو ابن داود » سوى بافتراض أن المسيح « لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول » ، أى أن هنالك محالفة بين المسيح والشيطان ، و بالتالى أن الشيطان لم يخرج ، بل اعتزل اختياراً ، وتوارى برضائه ولقصد معين . أو إنه إذا كان هنالك اتفاق بينه و بين الشيطان الرئيسى فقد كانت له سلطة لإخراج الشياطين الصغرى . هل يمكن أن تكون هنالك سخافة أشد بطلا وزوراً وبهتاناً من هذه أن يتحالف ذلك الذى هو الحق نفسه مع أب الكذابين ومصدر الكذب لخداع العالم . كان هذا آخر ملجأ ، أو بالحرى آخر حيلة ، يلجأ إليها أولئك الذين أصروا على عنادهم وأغمضوا عيونهم عن أوضح الأدلة

لاحظ أنه بين الشياطين يوجد رئيس ، رئيس عصابة للارتداد عن الله والتمرد عليه . ولكن هذا الرئيس هو « بعلزبول » أى إله الذباب ، أو إله مزبلة . « كيف سقطت يا زهرة بنت الصبح » أش ١٤ : ١٢ ، كيف سقطت فأصبحت إله الذباب بعد أن كنت ملاك نور . ولكنك لست إله الذباب فحسب بل أنت رئيس الشياطين أيضاً ، رئيس عصابة الأرواح السفلى .

(رابعا) إجابة المسيح على هذا التلميح الدنىء ع ٢٥ ــ ٣٠ « **فعلم يسوع أفكارهم** » .

(ملاحظة) إن المسيح يعلم ما نفكر فيه فى أى وقت ، يعلم ما فى الانسان يو ٢ : ٢٥ ،

يفهم أفكارنا من بعيد مز ١٣٩ : ٢

يبدو أن الفريسيين خجلوا بأن يظهروا أفكارهم ، ولذا حفظوها لأنفسهم . ولم يتوقعوا إمكان اقناع الشعب بها ، ولذا حفظوها لتسكين ضمائرهم .

(ملاحظة) ما أكثر الذين يقصون عن واجباتهم بسبب الأفكار التى يخجلون من إظهارها ، والتى لا يمكن أن تخفى على يسوع المسيح .

والمرجح أن الفريسيين تحدثوا عن أفكارهم بعضهم لبعض لكى يقسوا قلوب بعضهم البعض . وقد قيل هنا إن كلمات المسيح كانت إجابة لأفكارهم ، لأنه علم من أية عقلية انبعثت كلماتهم وعلى أية مبادىء كانت مؤسسة . لذلك فانها لم تصدر بتسرع ، بل كانت نتيجة شر متأصل .

كانت إجابة المسيح على هذه التهمة قوية ومقنعة لكى يستد كل فم بالحجة والبرهان قبل أن يستد بالنار والكبريت . هنا نرى ثلاث حجج يوضح بها يسوع سخافة هذا التفكير :

١ ــ إنه لأمر غريب جداً وغير قابل للتصديق مطلقاً أن يخرج الشيطان بمحالفة كهذه ، إذ يترتب عليها أن مملكة الشيطان تصبح « **منقسمة على ذاتها** » ، وهذا أمر لا يمكن تصوره نظراً لدهاء الشيطان الشديد ع ٢٥ و٢٦

(١) هنا تبسط أمامنا قاعدة معروفة ، وهى أن الخراب العام فى كل الجماعات هو نتيجة الانقسامات المتبادلة « **كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب** » وكذلك كل أسرة . قال سيسرو « تبقى الأسرة قوية والجماعات ثابتة طالما كانت العداوات والانقسامات لا تقوض أركانها » . إن الانقسامات تنتهى عادة بالخراب . إذا تصادمنا نتحطم ، وإذا انقسمنا بعضنا على بعض أصبحنا فريسة سهلة للعدو المشترك . و بالأحرى « إذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً فأنظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضاً » غل ٥ : ١٥ . لقد عرفت الكنائس والشعوب هذه الحقيقة المرة عملياً :

(٢) تطبيقها على الحالة الراهنة ع ٢٦ « **فان كان الشيطان يخرج الشيطان** » إن اختلف رئيس الشياطين مع الشياطين الأدنى تحطمت كل المملكة سريعاً . بل إن تحالف الشيطان مع المسيح أدى ذلك إلى خرابة حتما . لأن قصد المسيح الظاهر والهدف الذى كانت ترمى اليه تعاليمه ومعجزاته هما تقويض أركان مملكة الشيطان ، كمملكة للظلمة ، والشر ، والعداوة لله ، وإقامة ملكوت النور والقداسة والمحبة على أنقاضها . لقد نقض المسيح « أعمال

ابليس » على أساس أنه متمرد على الله يبطش بنفوس البشر . لذلك كانت أعظم سخافة يمكن تصورها الادعاء بأن بعلزبول يفكر تفكيراً كهذا . وإن تحالف مع المسيح « **فكيف تثبت مملكته** » لأنه يكون بذلك قد عمل على نقضها .

(ملاحظة) إن لابليس مملكة ، مصالح عامة ، ضد الله والمسيح يحاول بأقصى ما يستطيع من جهد وقوة أن يثبتها . وهو لا يمكن أن يعمل لمصلحة المسيح . بل لابد أن يقهر و يتحطم بقوة المسيح لذلك فلا يمكن أن يخضع له أو يطاوعه . « أية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال » للمسيح مع بعلزبول ٢ كو ٦ : ١٤ و١٥ . سوف يبيد المسيح مملكة ابليس ، ولكن لا داعى لكى يتمم هذا بمثل هذه الوسائل الصغيرة كأن يجرى محالفة سرية مع بعلزبول . فانه ينبغى أن تتم هذه النصرة بوسائل أنبل . ليجمع رئيس الشياطين كل قواته ، ليستخدم كل سلطانه ودهائه ، وليحكم مؤامراته على قدر استطاعته ، ورغم كل ذلك فانه لن يستطيع أن يثبت أمام المسيح ، ومملكته لن تثبت .

٢ ـــ ولم يكن غريباً قط أو أمراً لا يقبل التصديق أن تخرج الشياطين بروح الله :

(١) لأنه إن لم يكن كذلك « **فآبناؤكم بمن يخرجون** » . كان بين اليهود من يخرجون الشياطين أحياناً باستخدام اسم الله العلى ، أو إله ابراهيم واسحق و يعقوب . يحدثنا يوسيفوس عن بعض الذين فعلوا هذا فى عصره . كذلك نقرأ عن « اليهود الطوافين المعزمين » ع ١٩ : ١٣ وعن البعض ممن أخرجوا شياطين باسم المسيح مع أنهم كانوا لا يتبعونه مر ٩ : ٣٨ أو لم يكونوا أمناء له مت ٧ : ٢٢ هؤلاء لم يدنهم الفريسيون ، بل نسبوا ما فعلوه لروح الله ، وافتخروا به هم وأمتهم . لذلك كان روح الحقد والحسد هو الباعث على اعترافهم بأن الآخرين أخرجوا الشياطين بروح الله وأن المسيح فعل ذلك بمحالفة مع بعلزبول .

(ملاحظة) إن طريقة الأشرار ، سيا الذين يضطهدون المسيح والمسيحية ، هى أن يستقبحوا فيمن يبغضونهم نفس الأمر الذى يستحسنونه ويمدحونه فيمن يحبونهم . وانتقادات الحسد لا تتطلع إلى الأعمال بل إلى الأشخاص ، ولا تهتدى بالمنطق بل بالتحيز والتعصب .

على أن أولئك الذين كانوا يحابون الوجوه ، ولم يعرفوا فى حكمهم شيئاً آخر ، لم يكونوا خليقين بالجلوس على كرسى موسى . « **لذلك هم يكونون قضاتكم** » . إن تناقضكم مع أنفسكم سيقوم ضدكم يوم الدينونة العظيم ، ويحكم عليكم و يدينكم .

(ملاحظة) نحن فى يوم الدينونة العظيم لا نحاسب على كل خطية فحسب بل أيضاً على كل ما يزيدها شناعة ، وسوف تقوم ضدنا بعض آرائنا القويمة والصالحة وتظهر تحزبنا وتحيزنا .

(٢) وكان اخراج الشياطين هذا علامة على اقتراب ملكوت الله وظهوره ع ٢٨ « **ولكن إن كنت بروح الله اخرج الشياطين** » يقيناً كما هو الحاصل فعلا ، فينبغى أن تستنتجوا أن ملكوت المسيا على وشك القيام بينكم الآن حتى وإن كنتم لا تريدون قبوله : « **فقد أقبل عليكم ملكوت الله** » . برهنت المعجزات الأخرى التى عملها المسيح على أنه « مرسل من الله » ، أما هذه فقد برهنت على أنه مرسل من الله لإبادة مملكة ابليس وأعماله . لقد تم الآن بشكل ظاهر ذلك الوعد العظيم أن « نسل المرأة يسحق رأس الحية » تك ٣ : ١٥ . إذاً فقد بدأ الآن ذلك العهد المجيد ، عهد ملكوت الله الذى طال انتظاره . وإن استخففتم به فذلك لهلاككم .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) إن تحطيم قوة ابليس يتم بروح الله ذلك الروح الذى يعمل لاطاعة الإيمان ، و يقضى على مصلحة الروح الذى يعمل فى أبناء المعصية وعدم الإيمان .

(الثانية) إن اخراج الأرواح تمهيد لملكوت الله . إن كانت مصلحة الشيطان فى النفس لا تصد بالوسائل المألوفة أو الوسائل الخارجية فحسب بل أيضاً تلاشى بروح الله كمقدس فلا شك فى أنه « قد أقبل ملكوت الله » على هذه النفس ، ملكوت النعمة ، عربون ملكوت المجد .

٣ ــ إن مقارنة معجزات المسيح ــ سيما هذه المتعلقة باخراج الشياطين ــ بتعاليمه والقصد من دعوته المباركة توضح أنه أبعد من أن يكون متحالفا مع الشيطان ، بل أنه كان فى عداوة ظاهرة معه ع ٢٩ « **كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى و ينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولا** » وحينئذ يتصرف بأمتعته كما يشاء . كان العالم ــ الجالس فى الظلمة والموضوع فى الشرير فى قبضه الشيطان وتحت سلطانه ، كبيت فى قبضة رجل قوى وتحت سلطانه . هكذا الحال مع كل نفس غير متجددة ، هنالك يستقر الشيطان ، وهنالك يتحكم .

(١) كان القصد من انجيل المسيح أن يحطم بيت الشيطان الذى حفظه فى العالم كشخصية قوية ، أن يحول البشر « من ظلمات إلى نور» من الخطية إلى القداسة ، من هذا العالم إلى عالم أفضل ، « من سلطان الشيطان إلى الله » أع ٢٦ : ١٨ ، أن ينقل ملكية النفوس .

(٢) وتبعاً لهذا القصد ربط القوى حينما أخرج الأرواح النجسة بكلمته . وهكذا انتزع السيف فى يد الشيطان لكى ينتزع منه سلطانه . تعلمنا تعاليم المسيح كيف نفسر معجزاته ، فعندما بين كيف استطاع اخراج الشياطين من أجساد البشر بكل سهولة واقتدار فإنه بذلك يشجع كل المؤمنين لكى يثقوا بأنه مهما اشتدت قوة الشيطان التى يعبث بها فى نفوس البشر فان المسيح بنعمته يستطيع تحطيمها . هو لا بد أن « ينهب أمتعته » لأنه قد تبين أنه يستطيع أن يربطه . عندما رجعت الأمم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الحى ، عندما تبرر وتقدس بعض من أشر الخطاة

وأصبحوا من أعظم القديسين ، حينئذ نهب المسيح بيت الشيطان . وسوف نرى أنه سينهبه أكثر فأكثر.

٤ ــ ومن هنا يفهم ضمناً أن هذه الحرب المقدسة التى شنها المسيح بعنف ضد الشيطان ومملكته كانت بحيث لا تسمح بالحياد ع ٣٠ **« من ليس معى فهو علي »** لقد تعلمنا أنه فى الخلافات البسيطة التى قد تنشأ بين تلاميذ المسيح يجب علينا أن نلطف من شأن المسائل المختلف عليها وأن نسعى للسلام بأن نحسب « من ليس علينا » (أو من هو ضدنا) أنه معنا لو ٩ : ٥٠ . أما فى الخصومة الشديدة القائمة بين المسيح والشيطان فينبغى أن لا نفكر فى السلام كذلك ينبغى أن لا نلتمس المعاذير لمن يقف على الحياد ، فإن من لم يكن **مع** المسيح من كل القلب فهو **عليه** ، ومن كان بارداً بازاء قضية المسيح نظر اليه كعدو . متى كانت الخصومة بين الله والبعل وجب أن لا يعرج المرء بين الفرقتين (١ مل ١٨ : ٢١) . ليست هنالك حدود متاخمة بين المسيح و بليعال ، لأنه كما أن ملكوت المسيح فى اتجاه مضاد لمملكة الشيطان إلى الأبد فهو أيضاً فى حالة انتصار أبدى عليها . ولذلك ففى هذه الحالة لا يوجد سكون (ركود) لجلعاد فى عبر الأردن ولا إقامة راكدة لأشير على ساحل البحر . قض ٥ : ١٦ و١٧ . علينا أن نكون فى جانب المسيح بكليتنا ، بمنتهى الأمانة ، و بكل ثبات . هذا هو الجانب السليم ، وسوف نتحقق أخيراً أنه هو الجانب الأمين . أنظر خر ٣٢ : ٢٦

والعبارة الأخيرة تتمشى مع نفس المعنى **« ومن لا يجمع فهو يفرق »** .

(ملاحظات) ــ (١) كانت ارسالية المسيح إلى العالم أن يجمع ، يجمع فى حصاده ، يجمع من أعطاهم الآب إياه يو ١١ : ٥٢ و أف ١ : ١٠

(٢) والمسيح يتوقع بل يطلب ممن معه أن يجمعوا معه ، أن لا يكتفوا بضم أنفسهم اليه بل أن يبذلوا كل ما فى وسعهم ليجمعوا الآخرين أيضا اليه ، وبهذا يقوى ملكوته .

(٣) إن الذين لا يعملون كغيورين على مملكة المسيح لانمائها ينظر اليهم و يعاملون كمعطلين لها ، إن كنا لا نجمع فاننا نفرق . لا يكفى الامتناع عن عمل الضرر بل يجب أن نفعل الخير .

وهكذا اتسعت الثغرة بين المسيح والشيطان إذ بين أنه لم تكن هنالك محالفة بينهما كما توهم الفريسيون .

(خامسا) وهنا نرى حديثاً للمسيح بهذه المناسبة عن خطية اللسان . **« لذلك أقول لكم »** و يبدو أنه قد تحول من الفريسيين إلى الشعب ، ومن المناقشة إلى التعليم . أما عن خطية

الفريسيين فانه يحذر الشعب من ثلاثة أنواع من اللسان . لأن مصائب الآخرين نصائح لنا :

١ ــ إن كلمات التجديف على الروح القدس هى أشر أنواع خطايا اللسان ، ولا يمكن أن تغفر ٣١ و٣٢

(أ) هنا نرى تأكيداً مباركا للصفح عن كل الخطايا بالشروط المتضمنة فى الانجيل . هذا ما يقوله لنا المسيح ــ ونعم ما يقول ــ إن أعظم الخطايا لا يمكن أن تحول دون قبول الله لنا إن كنا نتوب توبة صادقة ونؤمن بالانجيل : « **كل خطية وتجديف يغفر للناس** » . إن كانت الخطية « كالدودى والقرمز» أش ١ : ١٨ ، إن كانت شنيعة فى طبيعتها وزادتها ظروفها قبحاً وشناعة ، إن تكررت مراراً كثيرة جداً ، بل حتى إن كانت قد « لحقت السماء » رؤ١٨ : ٥ فان « عند الرب الرحمة » مز ١٣٠ : ٧ ورحمته أعلى من السموات . والرحمة تمتد حتى تغطى التجديف ، وهو خطية تلحق مباشرة اسم الله وكرامته . والرسول بولس رحم مع أنه كان قبلا مجدفاً ١ تى ١ : ١٣ إذن فخليق بنا أن نردد القول « من هو إله مثلك غافر الإثم » مى ٧ : ١٨ وحتى « **من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له** » كما حصل الذين هزأوا به عند موته ، الذين تاب الكثيرون منهم فنالوا رحمة .

وهنا يقدم المسيح مثلا لكل بنى البشر ، لكى يكونوا مستعدين للصفح عن كل ما يقال عنهم ، فيقول كل منهم « وأما أنا فكأصم لا أسمع » مز ٣٨ : ١٣

لاحظ قول المسيح « يغفر للبشر » لا للشياطين . فان كانت كل خطية تغفر للبشر كانت هذه محبة سامية لكل الجنس البشرى أعظم من الملائكة الذين سقطوا .

(٢) ومن تلك يستثنى « **التجديف على الروح القدس** » الذى صرح المسيح عنه هنا بأنه هو الخطية الوحيدة التى لا يمكن أن تغفر. لاحظ هنا .

[١] ما هى هذه الخطية ؟ هى التكلم على الروح القدس . انظر مقدار شر اللسان إذ يرتكب الخطيئة التى لا تغفر . « **فعلم يسوع أفكارهم** » ع ٢٥ . ليس المقصود هنا كل كلام ضد أقنوم الروح القدس ، أو بعض أعماله الخاصة ، أو مجرد مقاومة عمله الداخلى فى الخاطىء نفسه وهذا هو المعنى المقصود هنا ، وإلا « فمن يستطيع أن يخلص » ؟ تقضى قوانين بعض البلاد أن العفو العام يجب دواماً أن يفسر فى جانب الرحمة التى هى القصد الرئيسى فى الحكم بالعفو العام . ولذلك يجب عدم التوسع فى الاستثناءات أكثر من اللازم . والانجيل هو نطق بالعفو العام ، فلا يستثنى أحد باسمه ، أو بصفاته بل فقط من يجدفون على الروح القدس . وهذه يجب تفسيرها فى أضيق حدود معانيها . كل الخطاة المتغطرسين ينتزعون أنفسهم من دائرة العفو العام ، والإيمان ،

والتوبة . ولذلك وجب عدم التوسع فى الاستثناءات الأخرى . وقد استثنى هذا التجديف ليس لنقص فى رحمة الله أو كفاية المسيح بل لأنه يترك الخاطىء حتما فى الخيانة وقساوة القلب وعدم التوبة ، ولنا الحق أن نعتقد بأن كل من يؤمن أن يسوع هو ابن الله و يرغب مخلصاً بأن يكون له نصيب فى استحقاقاته ورحمته فهو بعيد عن هذه الخطية . وكل الذين يخشون أن يكونوا واقعين فيها يبرهنون على أنهم لم يرتكبوها .

قال أحد المفسرين إن المسيح لم يتحدث عما قيل أو عمل وقتئذ بل عما سيرتكب مستقبلا (مر ٣ : ٢٨ ، لو ١٢ : ١٠ (١)) أما من جدفوا على المسيح حينما كان هنا على الأرض ودعوه « شريب خمر » مت ١١ : ١٩ ، « المضل » مت ٢٧ : ٦٣ ، وقالوا إنه « يجدف » وأمثال هذه ، فقد يلتمس لهم بعض العذر بسبب اتضاعه فى مظهره ، وتحامل الأمة عليه ، ولأن برهان رسالته الإلهية لم يكن قد تكمل بعد إلا بعد الصعود . ولذلك فانهم بالتوبة يغفر لهم والأرجح أنهم قد اقتنعوا عند سكب الروح القدس ، كما حصل للكثيرين من قاتليه الخونة .

ولكن إن كانوا بعد منح الروح القدس بمواهبه الداخلية ، روح الاعلان والتكلم بألسنة وغير ذلك ، كما حصل مع التلاميذ ، قد ظلوا فى التجديف على الروح القدس كروح شرير فلا رجاء لهم ، ولا ينتظر أنهم قد آمنوا بالمسيح .

أولا ــ لأن مواهب الروح القدس هذه التى ظهرت فى الرسل كانت آخر برهان قصد الله استخدامه لتأييد الانجيل ، وكان قد ادخرها بعد الطرق السابقة .

ثانياً ــ لأن هذه كانت أقوى البراهين وكانت أولى بالاقناع من المعجزات نفسها .

ثالثاً ــ لأن من يجدفون على عهد الروح القدس هذا لا يمكنهم أن يأتوا للايمان بالمسيح ، ومن ينسبونها لتواطئه مع الشيطان كما قال الفريسيون عن المعجزات فأى شىء يمكن أن يقنعهم ؟ هذه أقصى حدود الخيانة والجحود وقساوة القلب ، ولذلك لا يمكن أن تغفر ، لأنه بها تخفى التوبة عن عينى الخاطىء .

[٢] الحكم الذى صدر ضدها **« لن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى »** . وكما كان الحال فى الكنيسة اليهودية وقتئذ إذ أن النفس التى كانت ترتكب خطية بتعمد (بيد رفيعة) كان لا يقبل عنها كفارة (عد ١٥ : ٣٠) كذلك الحال فى عهد نعمة الانجيل الذى طالما عبر عنه

---

(١) وردت الآيتان فى النص الانكليزى بصيغة المستقبل

الكتاب المقدس بأنه هو « العالم الآتى » فإنه لا يمكن أن تكون هنالك مغفرة لمن داس دم العهد وازدرى بروح النعمة عب ١٠ : ٢٦ ــ ٢٩ . لا علاج للخطية الموجهة مباشرة ضد الدواء . هنالك مثل يقول « لا مقدس لمن ينتهكون حرمة المعابد » .

أو « لن يغفر له الآن » فى ضمير الخاطىء ، ولا فى ذلك اليوم العظيم حينما تذاع المغفرة .

أو أن هذه خطية تعرض الخاطىء للقصاص الزمنى والأبدى ، للغضب الحاضر و « الغضب الآتى » .

٢ ــ والمسيح يتحدث هنا عن كلمات شريرة أخرى ، هى ثمار الفساد المتملك على القلب وتخرج منه ع ٣٣ ــ ٣٥ . قيل فى ع ٢٥ إن يسوع علم أفكارهم ، وهنا نراه يتحدث واضعاً إياها (أى هذه الأفكار) نصب عينيه لكى يبين أنه لم يكن غريبا أن ينطقوا بكلمات شريرة كهذه إن كانت قلوبهم مليئة بمثل هذه العداوة والحقد والخبث ، التى طالما حاولوا إخفاءها تحت ستار الظهور بمظر أنهم أبرار . إذن فالرب يسوع المسيح يشير إلى الينبوع ليبرئه ، لأنه إذا ما تقدس القلب ظهر فى كلماتنا .

(١) القلب هو الأصل أو الشجرة ، واللغة هى الثمار ع ٣٣ . إن كانت طبيعة الشجرة جيدة كانت الثمار بالتالى طيبة . وحيثما كانت النعمة هى المتملكة على القلب كانت اللغة هى لغة كنعان . وبالعكس حيثما كانت الشهوة هى المتملكة على القلب فإن الكلمات لا بد أن تفضحها . والرئتان المريضتان تجعلان التنفس سقيما . ولغة البشر تظهر المملكة التى ينتمون إليها ، وكذلك تظهر « من أى روح » هم . « **اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً** » اجعلوا القلب طاهراً وحينئذ تكون الشفتان طاهرتين والحياة طاهرة . « **أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً** » نستطيع أن نجعل شجرة برية شجرة جيدة بتطعيمها بشجرة جيدة ، وبعدئذ تصبح الثمار جيدة . ولكن إن ظلت الشجرة كما هى ظل الثمر رديا مهما زرعتها فى أجود تربة ورويتها بأكثر كمية من المياه .

(ملاحظة) لن تتجدد الحياة ما لم يتغير القلب .

كان هؤلاء الفريسيون يخجلون من إظهار أفكارهم الشريرة التى فكروا بها عن يسوع المسيح . ولكن المسيح يظهر هنا ضمناً أنهم عبثاً يحاولون إخفاء أصل المرارة الذى فى قلوبهم الحامل أفسنتيناً ومرارة إن كانوا لا يسعون لأمانته .

(ملاحظة) يجب أن يكون اهتمامنا بأن نكون فعلا صالحين أكثر من اهتمامنا بأن نظهر صالحين من الخارج .

(٢) والقلب هو الينبوع والكلمات هى الأنهار ع ٣٤ « **من فضلة القلب يتكلم الفم** » كما أن الأنهار فضلة (فيض) الينابيع . قيل عن القلب الشرير إنه ينبع شره « كما تنبع العين مياهها » أر ٦ : ٧ . « عين مكدرة و ينبوع فاسد » (كما يتحدث سليمان أم ٢٥ : ٢٦) ينبعان حتما مياهاً قذرة . والكلمات الشريرة نتيجة طبيعية حتمية للقلب الشرير . ولا يستطيع أى شىء آخر سوى ملح النعمة — إذا ما طرح فى العين — أن يبرئ المياه ، و يصلح الكلام ، و يطهر الكلمات الردية . ولأنهم كان ينقصهم هذا الملح فقد كانوا أشراراً . و « **كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار** » كانوا أولاد (نسل) الأفاعى ، هذا ما لقبهم به يوحنا المعمدان (مت ٣ : ٧) وكانوا لا يزالون هكذا . لأنه « هل يغير الكوشى جلده » ؟ كان الناس ينظرون إلى الفريسيين كأنهم نسل القديسين ، ولكن المسيح يدعوهم « **أولاد الأفاعى** » ، « نسل الحية » التى تحمل عداوة للمسيح وانجيله ، والآن ماذا ينتظر من « أولاد الأفاعى » سوى ما هو سام وخبيث ؟ أيمكن أن يكون الأفعى غير سام ؟

(ملاحظة) من القبيح تنتظر القبائح كما قال المثل قديما « من الأشرار يخرج شر » ١ صم ٢٤ : ١٣ « لأن اللئيم يتكلم باللؤم » أش ٣٢ : ٦. والذين هم أشرار فى أنفسهم لا يقدرون ولا يريدون أن يتكلموا بالصالحات كما يجب النطق بها .

لقد أراد المسيح أن يعرف تلاميذه أى نوع من البشر سيعيشون بينهم لكى يعرفوا ماذا يجب أن يتوقعوه منهم . كان ينبغى أن يكونوا كحزقيال الذى كان « ساكناً بين العقارب » حز ٢ : ٦ . ولذلك كان يجب أن لا يستغربوا إذا ما لدغوا منهم .

(٣) والقلب هو « **الكنز** » والكلمات هى ما يخرج من ذلك الكنز ع ٣٥ ومنه تخرج صفات الانسان التى يحكم عليها .

[١] إن صفة « **الانسان الصالح** » هى أنه له « **الكنز الصالح فى القلب** » ومنه « **يخرج الصالحات** » حسبما تسمح الفرصة . إن النعمة ، والتعزيات ، والاختبارات ، والمعرفة الصالحة ، والعواطف الصالحة ، والعزم الصالح — هذه هى « الكنز الصالح فى القلب » . وكلمة الله المختبئة فى القلب ، وناموس الله المكتوب فيه ، والحقائق الإلهية الساكنة فيه والمتملكة عليه ، هى كنز فيه ، لها قيمتها العظيمة ، محفوظة فى أمان ، ومحفوظة سراً — كالأشياء المختزنة لدى الانسان الصالح فى بيته — ولكنها معدة للاستخدام فى كل المناسبات .

« الانسان الصالح » متى كان معداً بهذه الكيفية « يخرج الصالحات » كما كان يوسف يخرج من مخازنه . يتكلم بالصالحات ، لمجد الله و بنيان الآخرين . أنظر أم ١٠ : ١١ و١٤ و٢٠ و٢١ و٣١ و٣٢ . هذا هو معنى القول « يخرج الصالحات » .

يتظاهر البعض بأن لديهم كنوزاً صالحة فينفقون نفقات طائلة ولكنهم سرعان ما يفلسون . و يتظاهر الآخرون بأن لديهم كنوزاً صالحة ، ولكنهم لا يعطون أى برهان عليها . هم يرجون أن تكون فى داخلهم ولكن كلماتهم وتصرفاتهم لا تدل عليها . « إيمان بدون أعمال ميت » . ولدى البعض « كنوز صالحة » من الحكمة والمعرفة ، ولكنها مكبوتة ، لا « يخرجون منها شيئاً » . لديهم وزنات ، ولكنهم لا يعرفون كيف يتاجرون بها . إن المسيحى الكامل فى هذا الصدد يحمل صورة الله ، الذى قيل عنه إنه « صالح و يفعل الصلاح » .

[٢] وصفة « **الإنسان الشرير** » إن له « **كنزاً شريراً** » فى قلبه ، ومنه « **يخرج الشرور** » . إن الشهوات والمفاسد المستقرة فى القلب والمتملكة عليه هى الكنز الشرير ، الذى يخرج منه الخاطىء الكلمات الردية والأعمال الشريرة لإهانة الله وإيذاء الآخرين . أنظر تك ٤ : ٥ و١٢ ، مت ١٥ : ١٨ ــ ٢٠ ، يع ١ : ١٥ . على أن « كنوز الشر » أم ١٠ : ٢ لا بد أن تؤول إلى « كنوز الغضب » .

٣ ــ والمسيح هنا يتحدث عن « الكلمات الردية » و يبين أى شر فيها ع ٣٦ و٣٧ . أما الكلمات التى نطق بها الفريسيون فكان فيها شر أكثر . خليق بنا أن نفكر كثيراً فى يوم الدينونة ، لكى يكون هذا ضابطاً لألسنتنا . لنتأمل :

(١) كيف أننا سنحاسب بصفة خاصة فى ذلك اليوم عن خطايا اللسان : حتى عن « **كل كلمة بطالة** » (أو حديث بطال) « **يتكلم بها الناس** » فانهم « **سوف يعطون عنها حساباً** » . وهذا يتضمن :

[١] إن الله يلاحظ كل كلمة نقولها ، حتى الكلمات التى لا نلاحظها نحن أنفسنا . أنظر مز ١٣٩ : ٤ « لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها كلها » حتى إن قيلت بلا روية أو بلا قصد فإن الله يلاحظها .

[٢] إن الكلمات الباطلة ، العاطلة ، عديمة الجدوى ، السخيفة التى لا ترمى إلى أى قصد صالح ، تغضب الله ولا تصلح للبنيان . إنها ثمار قلب عاطل فارغ . هذه الكلمات « البطالة » هى « ككلام السفاهة والهزل » المحرمة أف ٥ : ٤ . هذه هى الخطية التى يندر أن يخلو منها الكلام الذى لا يفيد والأحاديث التى لا ينتفع بها أى ١٥ : ٣ .

[٣] إننا لا بد أن نعطى قريباً حساباً عن هذه الكلمات البطالة . سوف تقوم هى شاهدة علينا لتثبت أننا عبيد بطالون لم نتاجر بمواهب العقل والكلام التى هى بعض الوزنات التى

اؤتمنا عليها . إن كنا لا نتوب عن كلماتنا البطالة ، وإن كان حسابنا عنها لا يوفى بدم المسيح هلكنا .

(٢) كيف ستكون الدينونة دقيقة وفق هذا الحساب ع ٣٧ « **لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان** » هذه قاعدة عامة للحكم بين البشر ، وهنا تطبق على دينونة الله .

(ملاحظة) إن نوع أحاديثنا ــ صالحة كانت أو غير صالحة ــ سوف يكون شاهداً لنا أو علينا فى ذلك اليوم العظيم . فالذين يظهرون بأنهم متدينون ، ولكنهم لا يلجمون ألسنتهم ، سوف يفتضح أمرهم بأنهم قد خدعوا ذواتهم بارتداء ثوب الديانة الكاذب يع ١ : ٢٦

يظن البعض أن المسيح هنا يشير إلى كلمات اليفاز أى ١٥ : ٦ « إن فمك يستذنبك لا أنا وشفتاك تشهدان عليك » أو بالأحرى إلى كلمات سليمان « الموت والحياة فى يد اللسان » أم ١٨ : ٢١

٣٨ حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية ــ ٣٩ فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبى ــ ٤٠ لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ــ ٤١ رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان . وهوذا أعظم من يونان ههنا ــ ٤٢ ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه . لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان . وهوذا أعظم من سليمان ههنا ٤٣ ــ إذا خرج الروح النجس من الانسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد ــ ٤٤ ثم يقول ارجع إلى بيتى الذى خرجت منه فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً ــ ٤٥ ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك . فتصير أواخر ذلك الانسان أشر من أوائله . هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير.

الأرجح أن هؤلاء الفريسيين الذين تحدث اليهم المسيح هنا لم يكونوا هم الذين جدفوا

عـليـه ع ٢٤ ولم يـر يـدوا تـصديق العلامات التي أعطاها . بل كانوا جماعة أخرى منهم رأوا أنه لا مبـرر لـعدم تصديقها ، ولكنهم لم ير يدوا الاقتناع بها ولا الاعتراف بأدلتها إن لم يعطهم برهاناً آخر حسبما طلبوا . لاحظ هنا :

(أولا) حـديثهم اليه ع ٣٨ . لقد حيوه بهذا اللقب « **يامعلم** » مدعين احترامه ، ولكنهم فـي الـواقـع قـصـدوا اهـانته . ليس كل الذين يدعون المسيح « معلماً » خداماً حقيقيين للمسيح . كان طلبهم « **نر يد أن نرى منك آية** » . كان معقولا جداً أن يروا آية ، أن يثبت إرساليته الإلهية بـالمـعـجـزات . أنظر خر ٤ : ٨ و٩ . لقد أتى لكي يؤسس شر يعة أخرى مؤ يدة بالمعجزات ، لذلك كـان ضـرور يـاً أن يـقدم الأدلة . ولكنه لم يكن معقولا مطلقاً أن تطلب آية الآن بعد أن قدم فعلا عدة آيات أثبتت بكل وضوح أنه « مرسل من الله » .

(مـلاحـظـة) مـن طـبيعة الأشخاص المتكبر ين أن يملوا إرادتهم على الله ثم يتخذون هذه حجة لعدم الولاء له . على أن إثم المرء لن يصلح أبداً أن يكون حجة له .

(ثانياً) إجابته على هذا الحديث .

١ ــ إنـه يحكم على الطلب بأنه لغة « **جيل شر ير وفاسق** » ع ٣٩ . إنه يوجه التهمة لا إلـى « **الـكـتـبـة والفر يسيين** » فحسب ، بل إلى كل أمة اليهود . كانوا جميعا مثل قادتهم ، نسل فـاعـلـى الإثم . كـانوا جيلا شر يراً فعلا ، لم يكتفوا بأن يقسوا قلوبهم ضد معجزات المسيح المقنعة ، بل أقاموا أنفسهم للاساءة اليه ، والازدراء بمعجزاته . كانوا « جيلا فاسقاً » .

(١) كـجيل فسق . تسفلوا عن إيمان وطاعة أجدادهم حتى أضطر ابرهيم واسرائيل لعدم الاعتراف بهم . انظر أش ٥٧ : ٣

(٢) أو كـزوجـة فـاسـقـة . هـجروا الله الذى خطبوا له بالعهود الكثيرة . لم يكونوا وقتئذ مـتنجسين بنجاسة العبادة الوثنية كما كانوا قبل السبى ، ولكنهم ترددوا إلى الخيانة وكل إثم ، وهذه نجـاسـة أيـضـاً . لم يـطـلـبـوا آلهة من صنع أنفسهم بل طلبوا آيات من اختراع أنفسهم ، وهذا كان فسقاً .

٢ ــ إنـه يـرفـض اعـطـاءهـم آيـة أخـرى أكثر مـا سـبـق أن أعـطاهم سوى « **آية يونان النبى** » .

(مـلاحـظـة) مع أن المسيح مستعد دواما ليسمع و يستجيب الرغبات الطاهرة والصلوات

البريئة إلا أنه لا يمكن أن يحقق الشهوات الفاسدة والأميال المنحرفة فالذين يطلبون رديا لا يأخذون يع ٤ : ٣

لقد أعطيت الآيات لمن طلبوها لتثبيت إيمانهم كابرهيم وجدعون ، أما من طلبوها لتبرير عدم إيمانهم فقد منعت عنهم .

كان ممكناً أن يقول المسيح بحق : لن يروا آية أخرى . ولكن أنظر إلى صلاحه العجيب ، فقد قال :

(١) إن نفس الآيات سوف تظل تكرر لزيادة فائدتهم وإقناعهم .

(٢) وسوف يعطون آية أخرى تختلف عن كل هذه الآيات ، ألا وهى « قيامة المسيح من بين الأموات بقوته » وهى التى دعيت هنا « **آية يونان النبى** » . كانت هذه باقية لإقناعهم ، وكان مقصوداً بها أن تكون الحجة العظمى لاثبات أن المسيح هو المسيا ، لأنه بها « تعين ابن الله بقوة » رو ١ : ٤ . لقد فاقت هذه الآية سائر الآيات ، كملتها وتوجتها . « إذا لم يصدقوا » الآيات السابقة صدقوا هذه خر ٤ : ٩ ، وإن لم تكف هذه لإقناعهم فلا يكفى أى شيء لاقناعهم . ومع ذلك فان عدم إيمان اليهود وجد مخرجاً للمخلص من هذه أيضاً بقولهم « إن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه » . لأنه ليس عمى أشد من عمى الذين يصرون على أن لا يروا .

أما هذه الآية ، آية يونان النبى ، فانه يزيدها ايضاحاً هنا ع ٤٠ « **كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال** » ثم خرج سالماً سليما ، هكذا يبقى المسيح فى القبر مدة مماثلة ثم يقوم .

[١] كان القبر للمسيح كبطن الحوت ليونان . هنالك ألقى (المسيح) فدية عن النفوس التى كاد يبتلعها العاصف ، وهنالك رقد كأنه فى « جوف الهاوية » يونان ٢ : ٢ ، و بدا كأنه حجب عن وجه الله .

[٢] ولبث فى القبر مدة مماثلة لمدة إقامة يونان فى بطن الحوت « ثلاثة أيام وثلاث ليال » . لا ثلاثة أيام كاملة وثلاث ليال كاملة والأرجح أن يونان لم يبق مدة كاملة كهذه ، بل جزءاً من ثلاثة أيام طبيعية كما يستفاد من النص اليونانى . دفن المسيح بعد ظهر اليوم السادس وقام صباح اليوم الأول . هذه لهجة عادية للحديث ، أنظر ١ مل ٢٠ : ٢٩ ، أش ٤ : ١٦ ، ٥ : ١ ، لو ٢ : ٢١ . لبث يونان هذه المدة سجيناً من أجل خطاياه ، ولبث المسيح مدة مماثلة من أجل خطايانا .

[٣] وكما عزى يونان نفسه فى بطن الحوت بالثقة الكاملة بأنه سيعود لينظر إلى هيكل قدس الله . يونان ٢ : ٤ هكذا قيل صراحة عن المسيح حينما رقد فى القبر إن جسده « يسكن على رجاء » لثقته بأنه لن يرى فساداً أع ٢ : ٢٦ و٢٧

[٤] وكما أخرج يونان من سجنه فى اليوم الثالث وأتى ثانية إلى أرض الأحياء من بين جماعة الأموات (لأنه قيل عن « الأخيلة » أى « الأموات » إنها تحت المياه أى ٢٦ : ٥) هكذا كان يجب أن يعود المسيح إلى الحياة فى اليوم الثالث ، و يقوم من قبره ، ليذيع الانجيل إلى الأمم .

٣ ــ والمسيح ينتهز هذه الفرصة ليبين الحالة الأليمة لذلك الجيل الذى عاش فيه وأخلاقه المنحطة ، الجيل الذى رفض أن ينصلح ، ولذلك لم يكن ممكناً إلا أن يكون هالكا . ثم يصف حالتهم كما ستكون فى يوم الدينونة ، الذى فيه يظهر كل شىء بكل وضوح والذى يكون فيه الحكم نهائياً . يظهر الأشخاص والأشياء الآن بمظاهر خادعة ، والأخلاق والأوضاع هنا قابلة للتغيير . لذلك إن أردنا تقديراً مضبوطا فليكن بحسب مقياس الدينونة الأخيرة : فالأشياء لا تكون حقيقية إلا إن كانت أبدية .

والآن نرى المسيح يمثل شعب اليهود :

(١) كجيل يدينه « **رجال نينوى** » الذين إذ « **تابوا بمناداة يونان** » تقوم توبتهم « فى الدين » وتدينه ع ٤١ . ستكون قيامة المسيح آية يونان النبى لهم ، ولكنها سوف لا يكون لها ذلك التأثير الطيب عليهم كما كان لمناداة يونان على رجال نينوى ، إذ دفعتهم إلى التوبة التى نجتهم من الهلاك . أما اليهود فانهم يتقسون فى عدم إيمانهم فيعجلون فى هلاك أنفسهم . وفى يوم الدينونة تذكر توبة رجال نينوى لتزيد فى شناعة الذين كرز لهم المسيح قديما والذين يكرز لهم بالمسيح الآن ، و بالتالى لتزيد فى دينونتهم . وذلك لأن المسيح أعظم من يونان ، « **وهوذا أعظم من يونان ههنا** » .

[١] فيونان كان إنساناً معرضاً للآلام ، ولآلام الخطية مثلنا . أما المسيح فهو ابن الله .

[٢] و يونان كان غريباً فى نينوى ، وحل وسط غرباء يحقدون على بلاده ، أما المسيح فجاء إلى خاصته حينما كرز لليهود ، و بالأحرى حينما يكرز به لمن يدعون مسيحيين ، المدعوين باسمه .

[٣] و يونان نادى بعظة قصيرة واحدة لم تنل منه اهتماما شديداً إذ نادى بها وهو يجوز

الطرق ، أما المسيح فيجدد دعوته ، جلس وعلم . علم فى الجامع .

[٤] و يونان لم يكرز بشيء سوى الغضب والهلاك بعد أربعين يوما ، لم يقدم إرشاداً أو تعليما أو تشجيعا على التوبة . أما المسيح فانه بجانب التحذير الذى حذرنا به مما يكتنفنا من أخطار فقد بين لنا ما يجب أن نتوب عنه ، وأكد لنا قبول الله إيانا عند التوبة « لأنه قد اقترب ملكوت السموات » .

[٥] و يونان لم يعمل أية معجزة لتأييد تعليمه ، ولم يظهر حسن النية لأهل نينوى ، أما المسيح فصنع معجزات كثيرة ، وكل معجزات الرحمة ، ورغم ذلك فان رجال نينوى « تابوا بمناداة يونان » ، أما اليهود فلم يؤثر فيهم تعليم المسيح .

(ملاحظة) إن صلاح الذين ليست لديهم سوى مساعدات وامتيازات قليلة لنفوسهم يزيد فى شناعة فساد الذين لديهم مساعدات أوفر وامتيازات أغزر . والذين فى الغسق يدركون ما هو لسلامهم يخجلون من يتعثرون فى الظهيرة .

(٢) كجيل يدان من « **ملكة التيمن** » أى ملكة الجنوب ، أو ملكة شبا ع ٤٢ . سوف يخجلهم رجال نينوى لعدم توبتهم ، وتخجلهم ملكة شبا لعدم إيمانهم بالمسيح . « **لقد** « **أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان** » ومع ذلك فالناس لا يرتضون بأن يأتوا و يسمعوا حكمة المسيح وهو « **أعظم من سليمان** » من جميع الوجوه :

[١] فملكة شبا لم تتلق دعوة لكى تأتى إلى سليمان ، ولا وعداً بالترحيب بها ، أما نحن فاننا مدعوون للمجيء إلى المسيح والجلوس عند قدميه لنسمع كلمته .

[٢] وسليمان كان مجرد رجل حكيم ، أما المسيح فهو الحكمة نفسها ، الذى فيه « مذخر كل كنوز الحكمة » .

[٣] وملكة شبا كانت لديها صعوبات كثيرة لكى تذللها : كانت أمرأة ، لا تتحمل الأسفار ، سيما وقد كانت الرحلة طويلة وخطرة . وكانت ملكة ، وماذا كان عساه يحصل لبلادها فى غيابها ، أما نحن فليست لدينا مثل هذه الهموم لتعطلنا .

[٤] ولم تكن متأكده أن الأمر يستحق مثل هذه الرحلة الطويلة . فالإشاعات كثيراً ما كانت أكثر من الحقيقة . ولعلها كانت تنعم ببعض الحكماء فى بلادها أو بلاطها وكان فيهم الكفاية لتعليمها . ومع ذلك إذ أنها سمعت بشهرة سليمان أرادت أن تراه . أما نحن فاننا لا نأتى إلى المسيح ، **يحيطنا الغموض والتخمين** .

[٥] وهي « أتت من أقاصي الأرض » ، أما نحن فالمسيح في وسطنا ، وحكمته قريبة منا . هو واقف على الباب يقرع .

[٦] و يبدو أن الحكمة التي أتت لأجلها ملكة شبا كانت مجرد الفلسفة والحنكة السياسية . أما الحكمة التي نجدها في المسيح فهي الحكمة للخلاص .

[٧] وقد كانت مهمتها قاصرة على سماع حكمة سليمان ، إذ لم يكن في وسعه أن يهبها حكمة . أما المسيح فانه يهب حكمة لمن يأتي إليه . بل إنه هو نفسه يصير من الله لهم حكمة ١ كو ١ : ٣٠ .

فان كنا — أمام كل هذه الاعتبارات — لا نستمع إلى حكمة المسيح فان اندفاع ملكة شبا لكي تأتي وتسمع حكمة سليمان يقوم ضدنا في يوم الدين و يديننا ، لأن يسوع المسيح أعظم من سليمان .

(٣) كجيل صمم على أن يبقى في قبضة الشيطان وتحت سلطانه رغم كل الطرق التي استخدمت لا نتزاعهم من بين يديه وإنقاذهم من سلطانه . لقد شبهوا بإنسان خرج منه الشيطان ولكنه عاد إليه بقوة مضاعفة ع ٤٢ — ٥٤ . دعي الشيطان هنا « **بالروح النجس** » لأنه فقد كل طهارته ، ولأنه يسر بكل أنواع النجاسة بين البشر ، ويحضهم عليها . والآن لنلاحظ :

[١] إن المثل يبين لنا تملك الشيطان على أجساد البشر . عندما أخرج المسيح شيطانا مؤخراً ، وقال القوم « إنه به شيطانا » ، بين إلى أي حد كانوا تحت سلطة الشيطان . وهذا برهان آخر على أن المسيح لم يخرج الشيطان بتحالفه مع الشيطان ، وإلا لكان قد عاد ثانية سريعا لمن خرج منه . ولكن إخراج المسيح إياه كان نهائياً ، وتم بكيفية لا تسمح له بالعودة ثانية . فاننا نراه يأمر الروح الشرير قائلا « اخرج منه ولا تدخله أيضا » مر ٩ : ٢٥ . لعل الشيطان كان معتاداً أن يداعب الذين تسلط عليهم . فكان يخرج و يعود بقوة أشد . لذلك كانت فترات الهدوء لمثل هؤلاء الأشخاص تعقبها نوبات عنيفة جداً . « **إذا خرج** » الشيطان لا يهدأ ، لأنه لا ينام إن لم يفعل سوءاً أم ٤ : ١٦ « **يجتاز في أماكن ليس فيها ماء** » كشخص في غاية الحزن والكآبة ، « **يطلب راحة ولا يجد** » حتى يعود ثانية . حينما أخرج المسيح اللجئون من الإنسان طلبوا إليه أن يسمح لهم بالدخول في الخنازير ، حيث لم يجتازوا مدة طويلة في أماكن ليس فيها ماء ، بل اندفعوا إلى البحيرة في الحال .

[٢] وتطبيق هذا المثل يجعله يمثل جسم الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية . « **هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير** » يقاوم انجيل المسيح الآن وسوف يرفضه نهائيا . يقول احد

المفسرين إن الشيطان الذى طرد من الكثيرين من اليهود بخدمة المسيح وخدمة تلاميذه طلب راحة بين الأمم الذين كان المسيحيون مزمعين أن يطردوا الشيطان من أشخاصهم ومن هياكلهم . و يقول مفسر آخر إنه لم يجد بين العالم الوثنى إقامة جميلة محبوبة يرتضيها كما وجد فى قلوب اليهود . لذلك فانه يعود إليهم ، لأن المسيح لم يجد منهم قبولا ولأنهم كانوا بعناد قلوبهم وتماديهم فى شرورهم لا يزالون مستعدين لقبول الشيطان أكثر من الأول . لهذا تملك عليهم تملكا دائماً فصارت حالة الشعب أسوأ مما كانت عليه قبل مجيء المسيح بينهم ، أو أسوأ مما كانت لولم يخرج اشيطان .

وهنا يوصف جسم تلك الأمة .

(أولا) كشعب مرتد . بعد السبى البابلى بدأوا ينصلحون ، وتركوا أصنامهم ، وظهروا بمظهر التدين . ولكنهم سرعان ما فسدوا ثانية . ومع أنهم لم يعودا للوثنية إلا أنهم ترددوا فى كل أنواع النجاسة والفساد ، وصاروا أسوأ مما كانوا ، وأضافوا إلى شرورهم شراً أعظم باحتقارهم ومقاومتهم للمسيح وانجيله .

(ثانيا) كشعب مهيأ للهلاك . صدر أمر جديد للانتقام من تلك الأمة المنافقة وشعب سخط الله (أش ١٠ : ٦) وكان أنتقام الرومانيين منهم أشد من أى انتقام آخر لأن خطاياهم كانت أشد قبحاً وشناعة . لذلك « أدركهم الغضب إلى النهاية » ١ تس ٢ : ١٥ و١٦

فليكن هذا إنذاراً لكل الشعوب والكنائس ، لكى يحذروا من ترك محبتهم الأولى ، من إهمال أى عمل إصلاحى بدأ بينهم ، والعودة إلى الشرور التى تركوها ، لئلا « **تصير أواخرهم أشر من أوائلهم** » .

٤٦ ــ وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه واخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه ٤٧ ــ فقال له واحد هوذا أمك واخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ٤٨ ــ فأجاب وقال للقائل له . من هى أمى ومن هم أخوتى ٤٩ ــ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمى واخوتى ٥٠ ــ لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى .

خرجت من فم المسيح أقوال كثيرة سامية نافعة . وحتى الكلمات العابرة كانت نافعة للبنيان كعظاته الرسمية ، كما نرى هنا لاحظ :

(أولا) كيف أتت إلى المسيح أثناء تعليمه « **أمه واخوته ووقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه** » ع ٤٦ و٤٧ ، وقد نقل إليه الجموع هذه الرغبة . لا داعى للسؤال عن شخصية هؤلاء الاخوة الذين أتوا مع أمه ، وهل هم الاخوة الذين « لم يكونوا يؤمنون به » يو ٧ : ٥ ، ولا عن مهمتهم التى لأجلها قدموا ، هل كانت بدافع الاشفاق عليه لكى لا يجهد نفسه أكثر من اللازم فى التعليم ، أو لتحذيره من أن يعثر الفريسيين بتعليمه و بذلك يجلب على نفسه المتاعب ، كأنهم يستطيعون أن يعلموه الحكمة .

لقد كان إلى ذلك الوقت « يكلم الجموع »

(ملاحظة) كانت كرازة المسيح كلاماً سهلا بسيطاً عادياً ، يتناسب مع عقلية سامعيه وأحوالهم .

لقد استهزىء بما سبق أن تحدث به ، ومع ذلك استمر فى حديثه

(ملاحظة) يجب أن لا يكون الاضطهاد الذى نلقاه فى خدمتنا سبباً فى إقصائنا عنها .

لقد كف عن الاستمرار فى الحديث مع الفريسيين لأنه رأى أنه لا فائدة من الحديث معهم ، ولكنه استمر يتحدث مع عامة الشعب الذين كانت لديهم رغبة فى التعلم إذ لم يكونوا مغرورين بمعرفتهم كالفريسيين .

(ثانياً) تصرفه إزاء هذه الرغبة ع ٤٨ ــ ٥٠

١ ــ لم يشأ قطع حديثه بالخروج اليهم . كان منحصراً فى خدمته حتى أنه لم يشأ أن يعطله عنها أية اعتبارات . « **من هى أمى ومن هم اخوتى** » . ليس هذا معناه أن تفتر محبتنا لأقربائنا أو لا نحترم آباءنا ، بل أن كل شىء حسن فى وقته . جا ٣ : ١١ وليتأجل الواجب الأقل أهمية أمام الواجب الأهم . حينا يتعارض احترامنا لأقربائنا مع خدمة الله ومع فرص عمل الخير . لنقل عن أبينا « لم أره » كما قال لاوى تث ٣٣ : ٩ . لنبغض أقرب أقربائنا أى لنحب المسيح أكثر منهم لو ١٤ : ٢٦ . يجب أن يكون لواجبنا من نحو الله المقام الأول .

لقد قدم لنا المسيح هذا كمثال . فان غيرة بيته أكلته لدرجة أنه لم ينس نفسه فحسب بل نسى أعز أقربائه . ويجب أن لا نتألم من أصدقائنا أو نحسب ذلك لهم شراً إن كانوا يفضلون ارضاء الله عن ارضائنا . بل يجب أن نكون مستعدين للصفح عن التغافل عنا إن كان الباعث له الغيرة لمجد الله وخير الآخرين . نعم يجب أن ننكر ذواتنا ونضحى برغبات قلوبنا بدلا من أن نفعل ما قد يعوق أصدقاءنا عن واجباتهم من نحو الله أو يحولهم عنها .

٢ ـــ وانتهز الفرصة ليبين علاقته الروحية بتلاميذه ، الأمر الذى لأجله لم يشأ أن يقطع حديثه وتعليمه . لقد فضل إفادة تلاميذه عن ارضاء أقاربه . لاحظ :

(١) وصف المسيح لتلاميذه . كانوا يصنعون مشيئة أبيه . « **من يصنع مشيئة أبى الذى في السموات هو أخى وأختي وأمي** » لا يسمعونها فقط أو يعرفونها أو يتحدثون عنها ، بل « يصنعونها » لأن إتمام مشيئة الله هو أحسن اعداد للتلمذة (يو ٧ : ١٧) وأحسن برهان عليها (مت ٧ : ٢١) ، لأنه بهذا يتبين أننا حقاً تلاميذه .

لا يقول المسيح « من يصنع مشيئتى » لأنه لم يأت لكى يتمم مشيئته منفصلة عن مشيئة الآب . إن مشيئته ومشيئة الآب واحدة . ولكنه يحيلنا على مشيئة أبيه لأنه وهو على الأرض كثيراً ما كان يشير اليها يو ٦ : ٣٨

(٢) عظمة تلاميذ المسيح « هو أخى وأختى وأمى » . كان تلاميذه ، الذين تركوا كل شيء ليتبعوه واعتنقوا تعاليمه ، في منزلة أقرب أقربائه بالجسد . لقد فضلوا المسيح عن أقربائهم ، تركوا آباءهم ص ٤ : ٢٢ ، ١٠ : ٣٧ ، والآن لكى يعوضهم عما خسروه و يبين أنهم لم يضحوا بأية محبة ، يقول إنهم كأقرب أقربائه . ألم ينالوا بذلك ـــ من ناحية الكرامة ـــ مئة ضعف ؟ ص ١٩ : ٢٩ . كان من باب الاعزاز والتشجيع أن يقول المسيح « **ها أمى واخوتى** » على أن هذا لم يكن أمتيازاً انفردوا به وحدهم ، بل خص به أيضاً جميع القديسين .

(ملاحظة) إن كل المؤمنين المطيعين هم أقرباء المسيح . إنهم يرتدون اسمه ، يحملون صورته ، يشتركون فى طبيعته ، يصبحون من عشيرته . وهو يحبهم ، يتحدث اليهم بكل حرية كأقرب أقربائه ، يرحب بهم على مائدته ، يعنى بهم ، يعولهم ، يلاحظ بأن لا يعوزهم أى شيء يليق لهم . وحينما مات ترك لهم ميراثاً عظيما ، والآن وهو فى السماء يحتفظ بصلته بهم ، وسوف يأخذهم اليه أخيراً ليكونوا جميعاً معه ، و يقضى لهم حق الولى كاملا دون نقصان (راعوث ٣ : ١٣) ، ولا يخجل من أقربائه المساكين ، بل يعترف بهم أمام الناس والملائكة ، وأمام أبيه .

الاصحاح الثالث عشر

في هذا الاصحاح نرى :

(١) الاحسان الذى اضفاه المسيح على بنى وطنه بالكرازة بملكوت السموات بينهم ع ١ و٢ . لقد علمهم بأمثال ، وهنا يبين سبب اختياره لهذه الطريقة من التعليم ع ١٠ ــ ١٧ ، ثم نرى الانجيلى يبين سببا آخر ع ٢٤ و٣٥ فى هذا الاصحاح نجد ثمانية امثال قصد بها تمثيل ملكوت السموات ، وطريقة غرس ملكوت الانجيل فى العالم ونموه ونجاحه . فى الاناجيل الاخرى توضحت جليا و بدون امثال حقائق ذلك الملكوت العظمى ونواميسه . اما هنا فتتوضح بأمثال بعض الظروف الخاصة ببدئه وتقدمه .

١ ــ هنا نجد مثلا يبين المعطلات التى تعوق البشر عن الانتفاع بكلمة الانجيل ، ومن هم الذين لا تتحقق غايته فيهم بسبب حماقتهم وغباوتهم . وهذا هو مثل انواع الارض الاربعة المبينة فى ع ٣ ــ ٩ والوارد تفسيره فى ١٨ ــ ٢٣

٢ ــ ثم نجد مثلين قصد بهما ان يبينا بأنه لابد ان يكون هنالك مزيج بين الخير والشر فى كنيسة العهد الجديد ، يستمر حتى الفرز العظيم بينهما يوم الدينونة وهما مثل الزوان المبين فى ع ٢٤ ــ ٣٠ ، والذى فسر كطلب التلاميذ والوارد تفسيره فى ع ٣٦ ــ ٤٣ ، ومثل الشبكة المطروحة فى البحر ع ٤٧ ــ ٥٠

٣ ــ وهنا مثلان قصد بهما ان يبينا بأن كنيسة المسيح تكون صغيرة فى البداية ولكنها على مر الايام تكون جسما عظيما جداً . وهما مثل حبة الخردل ع ٣١ و٣٢ ومثل الخميرة ع ٣٣

٤ ــ وهنا مثلان قصد بهما ان يبينا بأنه على الذين يريدون الخلاص بالانجيل ان يكونوا مستعدين لتضحية كل شىء فى سبيله ، وانهم لن يخسروا بذلك شيئا ، وهما مثل الكنز المخفى فى الحقل ع ٤٤ ومثل اللؤلؤة الكثيرة الثمن ع ٤٥ و٤٦

٥ ــ وهنا مثل قصد به ارشاد التلاميذ للانتفاع من التعاليم التى سلمها اليهم لفائدة الاخرين . وهذا هو مثل رب البيت الصالح ٥١ و٥٢

(٢) استهزاء بنى وطنه به بسبب وضاعة أهله ع ٥٣ ــ ٥٨

١ ــ فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر ٢ ــ فاجتمع اليه جموع كثيرة حتى انه دخل السفينة وجلس . والجمع كله وقف على الشاطىء ٣ ــ فكلمهم كثيراً بأمثال قائلا هوذا الزارع قد خرج ليزرع ٤ ــ وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق . فجاءت الطيور وأكلته ٥ ــ وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة . فنبت حالا اذ لم يكن له عمق أرض ٦ ــ ولكن لما أشرقت الشمس احترق . وإذ لم يكن له اصل جف ٧ ــ وسقط آخر على الشوك . فطلع الشوك وخنقه ٨ ــ وسقط آخر على الارض الجيدة فأعطى ثمراً بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين ٩ ــ من له اذنان للسمع فليسمع .

١٠ ـــ فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثال ١١ ـــ فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لاولئك فلم يعط ١٢ ـــ فان من له سيعطى و يزاد . وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه ١٣ ـــ من اجل هذا اكلمهم بأمثال . لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون ١٤ ـــ فقد تمت فيهم نبوة إشعيا القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون ١٥ ـــ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم و يسمعوا بآذانهم و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم ١٦ ـــ ولكن طوبى لعيونكم لانها تبصر . ولآذانكم لانها تسمع ١٧ ـــ فانى الحق اقول لكم ان انبياء وابراراً كثيرين اشتهوا ان يروا ما انتم ترون ولم يروا . وان يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا .

١٨ ـــ فاسمعوا انتم مثل الزارع ١٩ ـــ كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه . هذا هو المزروع على الطريق ٢٠ ـــ والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذى يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح ٢١ ـــ ولكن ليس له اصل فى ذاته بل هو الى حين فاذا حدث ضيق او اضطهاد من اجل الكلمة فحالا يعثر ٢٢ ـــ والمزروع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمة . وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر ٢٣ ـــ واما المزروع على الارض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة و يفهم . وهو الذى يأتى بثمر فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلا ثين .

هنا نجد المسيح يعظ حيث نلاحظ :

١ ـــ متى القى المسيح هذه العظة ؟ كانت فى نفس اليوم الذى القى فيه عظة الاصحاح السالف « فى ذلك اليوم » كان لا يكل فى عمل الخير واتمام أعمال من أرسله .

(ملاحظة) كان المسيح يعظ من بدء النهار إلى نهايته . وقد علم كنيسته هذا الدرس بقدوته . «فى الصباح ازرع زرعك وفى المساء لا ترخ يدك» جا ١١ : ٦ . وعظة المساء التى نالت أصغاء تاما لا تمنع قط عظة الصباح ، بل هى بالأحرى تزيدها قوة وثباتا . ورغم ما لقيه المسيح فى الصباح من مقاومة وسخرية من اعدائه وتعطل من أحبائه إلا أنه استمر فى عمله ، وفى أواخر النهار لا نجده يقابل بمثل هذه المثبطات العزائم . إن الذين يقتحمون المصاعب فى خدمة الله بالشجاعة والغيرة قد يجدون أنها لا تعود ثانية كما كانوا يخشون . قاوموها فتهرب منكم .

٢ ــ لمن ألقاها ؟ كان قد « اجتمع اليه جموع كثيرة » وهؤلاء كانوا هم المستمعين ، وهنا لا نجد أحداً من الكتبة والفريسيين . لم يكن لديهم مانع من أن يستمعوا اليه اذا ما علم فى مجمعهم (ص ١٢ : ٩ و١٤) ولكنهم ظنوا أنهم أرفع من أن يستمعوا الى عظة تلقى « على الشاطىء » حتى ولو كان المسيح نفسه هو الذى يلقيها ، والواقع أنه كان خيراً له أن يتجنبوه من أن يرافقوه . لأنه استطاع الآن ــ وقد كانوا بعيدين عنه ــ أن يعلن بكل هدوء و بدون اى اعتراض .

(ملاحظة) إذا قلت مظاهر التقوى قد تزداد قوتها احيانا : « المساكين يبشرون »

حينما جلس المسيح «عند البحر اجتمع اليه جموع كثيرة» فى الحال . حيث وجد الملك وجدت الحاشية ، حيث وجد المسيح وجدت الكنيسة ، ولو كان « عند البحر»

(ملاحظة) على الذين يريدون الانتفاع من الكلمة ان يتتبعوها فى كل تنقلاتها . واذا انتقل التابوت فانتقل وراءه .

كان الفريسيون يبذلون كل جهدهم باتهاماتهم الباطلة وافتراءاتهم السافلة لإقصاء الشعب عن المسيح ، ولكنهم كانوا لا يزالون يتبعونه بنفس الكثرة .

(ملاحظة) لابد ان يتمجد المسيح رغم كل مقاومة ، ولا بد ان تتقاطر الجموع لإ تباعه .

٣ ــ أين ألقاها ؟

(١) كان مكان اجتماعه «عند البحر» . لقد خرج من البيت (لأنه لم يتسع لكل المستمعين) إلى الخلاء . كان مما يؤسف له أن لا يتوفر لمعلم كهذا مكان ليعلم فيه ، فسيح فخم مريح ينسق كأحدى دور التمثيل الرومانية . ولكنه كان وقتئذ فى حال اتضاعه . وهنا ــ كما فى كل شىء آخر ــ نراه ينكر نفسه ولا يطالب بالمجد اللائق به . وكما لم يكن له اين يسند رأسه كذلك لم يكن له اين يلقى تعاليمه . وبهذا يلقى علينا درساً بصدد المظاهر الخارجية للعبادة ان لا

نطمع فى الأبنية الفخمة بل نحسن الانتفاع بكل ما تسمح لنا به عنايته . لما ولد المسيح تقاطرت اليه الجموع عند المذود . والآن نراهم يتجمعون اليه عند البحر ، على الشاطىء ، حيث يستطيع أن يأتى اليه كل انسان بكل حرية . ذاك الذى كان هو الحق نفسه لم يتطلع إلى الزوايا كما كان يفعل الوثنيون بصدد أسرارهم « الحكمة تنادى فى الخارج . فى الشوارع تعطى صوتها » أم ١ : ٢٠

(٢) وكان منبره سفينة . لا كمنبر عزرا « الذى عملوه لهذا الأمر » (نح ٨ : ٤) بل تحولت السفينة لهذا الغرض لعدم وجود أفضل منها « **حتى أنه دخل السفينة وجلس** » . لا يوجد مكان غير مناسب لمعلم كهذا يشرف و يقدس أى مكان بوجوده فيه . فعلى الذين يكرزون بالمسيح ان لا يخجلوا حتى وإن كانت الامكنة التى يعظون فيها وضيعة وغير مريحة .

يلاحظ البعض ان الشعب جلسوا على الأرض الجافة والثابتة ، اما المعلم فكان معرضاً للخطر إذ كان على المياه . إن الخدام معرضون للمتاعب . هنا توفر لديه منبر حقيقى على السفينة .

٤ ــ **ماذا وكيف** وعظ ؟

(١) « **كلمهم كثيراً** » يبدو انه تكلم أكثر مما هو مدون هنا . على ان ما تكلم به كان ضرورياً ، كان لسلامنا ، كان يتصل بملكوت السموات . لم يتحدث المسيح بأمور تافهة بل جوهرية . خليق بنا أن نعطى اصغاء تاماً لما يكون لدى المسيح الكثير ليكلمنا به ، لكى لا نفوت أى شىء .

(٢) وما تكلم به كان « **بأمثال** » . يعبر المثل أحياناً عن أقوال حكيمة مأثورة بقصد التعليم . أما فى الأناجيل فإنه بصفة عامة يعبر عن تشبيه او مقارنة بقصد توضيح بعض الحقائق الروحية السماوية بعبارات مستقاة من الأمور العالمية . كانت طريقة التعليم هذه كثيرة الاستعمال لا بواسطة معلمى اليهود فحسب بل أيضاً بواسطه العرب وسائر حكماء المشرق . وكانت نافعة جداً لأنها كانت مقبولة . استعملها مخلصنا كثيراً ، ونزل بها إلى مستوى تفكير الشعب وقوة اداراكهم . طالما مثل الله أمثالا بيد عبيده الأنبياء . هو ١٢ : ١٠ ولكن كانت الفائدة ضئيلة . والآن يستعمل التشابيه بابنه . و يقيناً أنهم لابد ان يحترموا ذاك الذى يتكلم من السماء بأمور سماوية ومع ذلك يلبسها التعابير العالمية . أنظر يو ٣ : ١٢ وهنا نرى :

(أولا) سبب تعليم المسيح بأمثال ، أظهر التلاميذ بعض التعجب من هذه الطريقة لأنه إلى ذاك الوقت لم يستعملها كثيراً فى تعليمه ، ولذلك سألوا « **لماذا تكلمهم بأمثال** » لأنهم كانوا يرغبون حقاً فى أن يسمع الشعب و يفهموا . إنهم لم يقولوا « لماذا تكلمنا » (لأنهم كانوا يعرفون كيف يمكن أن يحصلوا على تفسير الأمثال) بل « لماذا تكلمهم » .

(مـلاحظة) يجب ان نهتم ببنيان الآخرين اهتمامنا ببنيان أنفسنا من كلمة الوعظ . وإن كنا نحن أقوياء فيجب أن نحتمل ضعف الضعفاء .

وعـن هذا السؤال يجيب المسيح بتوسع ع ١١ ــ ١٧ حيث يخبرهم أنه علم بأمثال لأن بها تـصبح الأمور الإلهية أكثر وضوحا وسهولة للذين يريدون أن يتعلموا ، وفى نفس الوقت تصبح أكثر صعـوبـة وغـمـوضـا للـجـهـلاء بارادتهم . وهكذا يصير الانجيل « رائحة حياة » للبعض « ورائحة مـوت » للآخرين . المثل كعمود السحاب والناريشع ظلاما ناحية المصريين فيبعث فى نفوسهم الحيـرة والارتباك ، ولكنه يشع نوراً ناحية الاسرائيليين فيبعث فى نفوسهم تعزية وسلاما ، وهكذا يخدم غرضا مزدوجا . النور الواحد ينير أعين البعض و يبهر أعين الآخرين . والآن لنلاحظ :

١ ــ إن الـسـبـب يـبـسـط أمـامـنـا فـى ع ١١ « **لأنه قد اعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات وأما لأولئك فلم يعط** » . أى :

(١) إن للتـلامـيـذ معرفة ، وأما للشعب فليست لهم معرفة . أنتم تعرفون فعلا بعض هذه الأسـرار ولا حـاجـة لكم أن تتعلموا بهذه الطريقة العادية المألوفة . أما الشعب فجهلاء ، لا يزالون أطفـالا ، ويجب ان تـعـطى إليهم التعاليم بهذه الطريقة بأمثال واضحة لعدم إمكانهم تلقى التعليم بطـريـقـة أخرى . لأنهـم وإن كـانـت لهم أعين لكنهم لا يعرفون كيف يستعملونها ، هذا هو رأى بعض المفسرين .

(٢) او أن الـتـلامـيـذ كانوا يميلون جداً لمعرفة أسرار الانجيل ، و يريدون فحص الأمثال لـكـى يهتدوا عن طريقها إلى المزيد من معرفة تلك الأسرار . أما المستمعون العاديون الذين اكتفوا بمـجـرد الـسـمـع ولم يريدوا أن يكلفوا أنفسهم مشقة التطلع الى ما هو ابعد من ذلك او السؤال عن مـعـنـى الامـثـال فانهم لا يمكن ان يزدادوا تقدماً فى الحكمة ، وهكذا يتحملون بعدل تبعة إهمالهم . المثل قشرة خارجية تحفظ بداخلها ثمرة شهية للمجتهد ، ولكنها تحفظها من الكسول .

(مـلاحـظـة) هـنـالـك أسرار فى ملكوت السموات « و بالاجماع عظيم هو سر التقوى » . فـتـجـسـد المـسـيـح ، وتـبـريرنا وتقديسنا بفضل اتحادنا بالمسيح ، وكل عمل الفداء من بدايته إلى نهـايـتـه ، هذه « أسرار» لم يكن ممكناً كشفها سوى بإعلان إلهى (١ كو١٥ : ٥١) . وقد أعلنت وقـتـئـذ جـزئـيـا للـتـلاميذ ، ولكنها لن تعلن اعلاناً كاملا قبل ان ينشق الحجاب . على ان اسرار الانجيل يجب ان لا تثبط عزائمنا عن البحث وراءها بل بالعكس يجب ان تشجعنا .

[١] لـقـد وهـب لتلاميذ المسيح ان يعرفوا هذه الاسرار . فالمعرفة اولى هبات الله ، وهى هبة مميزة (أم ٢ : ٦) وقد وهبت للرسل لأنهم كانوا ملازمى المسيح وأتباعه الدائمين .

(ملاحظة) كلما ازددنا اقتراباً من المسيح واتصالا به ازددنا معرفة لأسرار الانجيل .

[٢] وهذه الهبة تعطى لكل المؤمنين الحقيقيين الذين لهم معرفة اختبار ية بأسرار الانجيل ، وهذه بلا شك أفضل معرفة . إن مبادىء النعمة فى القلب تجعل الانسان سر يع الفهم فى مخافة الرب ، وفى الايمان بالمسيح ، ومعانى الأمثال . و بدون هذا كان نيقوديموس أعمى لدى التحدث اليه عن الولادة الثانية ولو كان معلماً فى إسرائيل .

[٣] هنالك من لم تعط لهم هذه المعرفة « ولا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطى من السماء » يو ٣ : ٢٧ . وليكن معلوما بأن الله ليس مديناً لأى أحد ، فنعمته ملك له ، وهو يمنحها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء (رو ١١ : ٣٥) واختلاف هذا عن ذاك يعزى لسلطان الله المطلق كما سبق ان راينا فى ص ١١ : ٢٥ و٢٦ .

٢ ــ وهذا السبب يزداد إيضاحاً من القاعدة التى يتبعها الله فى توز يع هباته . فهو يهبها لمن ينمونها ، ولكنه ينتزعها ممن يدفنونها . والقاعدة بين البشر انهم يفضلون ايداع اموالهم لدى من ينمون ثروتهم بنشاطهم وجدهم واجتهادهم عن ايداعها لدى من تسببوا فى نقصها بتكاسلهم .

(١) هنا نجد وعداً لمن له ، لمن له نعمة حقيقية حسب اختيار النعمة ، لمن له أية نعمة ويحسن استخدامها . وهذا الوعد يتضمن ازدياد ما عنده « **من له سيعطى و يزاد** » . إن عطايا الله عر بون لعطايا اعظم ، وحيثما وضع الاساس بنى عليه . لقد استخدم تلاميذ المسيح ما كان لهم من معرفة فحصلوا على فيض اغزر بانسكاب الروح القدس أع ٢ . ومن كان له إخلاص النعمة حصل على فيض النعمة « كنور مشرق يتزايد و ينير الى النهار الكامل » أم ٤ : ١٨ « يوسف ــ يتزايد » تك ٣٠ : ٢٤ .

(٢) وهنا نجد تهديداً لمن ليس له ، لمن ليست له رغبة فى النعمة ، لمن لا يحسن استخدام ما لديه من نعم وهبات ، من ليس له اصل ، من ليس له مبدأ راسخ ، من له ولكن لا يستخدم ما عنده . هذا يؤخذ منه ما عنده او ما يبدو انه عنده « **واما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه** » . اوراقه تذبل ، مواهبه تتعفن ، وسائط النعمة التى لديه ولا يستخدمها تؤخذ منه . ينتزع الله وزناته من ايدى الذين يبدو انهم سيفلسون سر يعاً .

٣ ــ وهذا السبب يفسر بصفة خاصة بالاشارة الى نوعى البشر الذين كان يختلط بهم المسيح .

(١) كان البعض جهلاء بإرادتهم ، وهؤلاء أدهشتهم الأمثال ع ١٣ « **لأنهم مبصر ين**

لا يبصرون » لقد اغمضوا عيونهم امام نور تعاليم المسيح الواضح كل الوضوح ، لذلك تركوا الآن في الظلام . إذ رأوا شخص المسيح ولم يروا مجده ، لم يروا أي اختلاف بينه و بين اى انسان عادى . إذ رأوا معجزاته وسمعوا تعاليمه . لم يروا ولم يسمعوا بانتباه او بتطبيق التعاليم على انفسهم ، كذلك لم يفهموا . « **وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون** » ،

(ملاحظتان) ــ (الأولى) ما أكثر الذين يرون نور الانجيل و يسمعون صوته ولكنه لا يصل الى قلوبهم قط ، وليس له موضع فيهم (الثانية) من العدل ان ينتزع الله النور ممن يغمضون اعينهم امامه لكى يترك لجهالتهم اولئك الذين ير يدون ان يكونوا جهلاء ، ولكى يكون تصرف الله هذا معهم سببا فى تعظيم نعمته المميزة لتلاميذه

وفى هذا تتم الكتب ع ١٤ و١٥ كما ورد فى أش ٦ : ٩ و١٠ ، سبق أن تنبأ النبى الانجيلى (الذى تحدث بكل وضوح عن نعمة الانجيل) عما سيلقاه الانجيل من احتقار، وعن نتائج هذا الاحتقار، إلى هذا يشير العهد الجديد ست مرات على الاقل ، مبيناً أن الدينونة الروحية ستكون فى العهد الجديد أعم ، كما تكون أكثر هولا وإن كانت أهدأ صوتا . إن ما قيل عن الخطاة فى عهد أشعيا تم فى من كانوا فى عصر المسيح ، ولا يزال يتم كل يوم ، لأنه إن كان قلب الانسان الأثيم لا يزال يحتفظ بنفس الخطية ، فان يد الله العادلة توقع نفس القصاص . وهنا نرى :

أولا : وصفاً لإصرار الخطاة على عمي بصائرهم وقساوة قلوبهم ، أى على خطيتهم ، « **لأن قلب هذا الشعب قد غلظ** » أو « سمن » كما يفهم من المعنى الأصلي للكلمة . وهذه تدل على الانغماس فى الشهوة كما تدل على فقد الاحساس (مز ١١٩ : ٧٠) إذ صاروا مطمئنين بازاء كلمة الله وقضيبه ، ومستهزئين مثل يشورون ، فانهم سمنوا ورفسوا . تث ٣٢ : ١٥ . وإذا ما أصبح القلب هكذا ثقيلا فلا غرابة إذا ما صارت الأذن ثقيلة السمع « **آذانهم قد ثقل سماعها** » فلا يسمعون قط همس الروح ، ولا يبالون بنداء الكلمة العالى الصوت حتى إن كانت الكلمة قريبة منهم ، ولا يتأثرون به ، « يسدون آذانهم » مز ٥٨ : ٤ و٥ ولأنهم أصروا على أن يكونوا جهلاء فقد أغلقوا حاستى التعلم (السمع والنظر) ، لأنهم أيضا « **أغمضوا عيونهم** » مصر ين على أن لا يروا النور آتياً إلى العالم حينما أشرق شمس البر ، بل أغلقوا نوافذهم ، « لأنهم أحبوا الظلمة اكثر من النور» يو ٣ : ١٩ ، ٢ بط ٣ : ٥ .

ثانيا ــ وصفاً لذلك العمى التأديبى الذى هو قصاص عادل لهذه الحالة « **تسمعون سمعاً ولا تفهمون** » سوف لا تكون هنالك فائدة من وسائط النعمة التى لديكم . إن كانت هذه الوسائط لا زالت عندكم رحمة بالآخرين ، فانها لا بركة فيها لكم وذلك قصاصا لكم . إن أتعس

حالة يكون فيها الانسان في بداية جهنم في هذا العالم ان يعيش وسط أجل وسائط النعمة بقلب ميت غبي عديم الاحساس . إن كنت تسمع كلمة الله ، وترى اعمال عنايته ، ومع ذلك لا تفهم ولا تدرك إرادته في هذه او تلك ، فهذه اعظم خطية واعظم دينونة لاحظ ان عمل الله هو ان يعطي قلباً فهيا ، ولكنه كثيراً ما يحرم منه — كقصاص عادل — أولئك الذين اعطاهم آذانا سامعة وعيونا مبصرة ولم ينتفعوا بها . هكذا يختار الله مصائب (١) الخطاة (أش ٦٦ : ٤) ، و يوثقهم بالخراب المروع بتسليمهم لشهوات قلوبهم مز ٨١ : ١١ و١٢ « اتركوه » هو ٤ : ١٧ « لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد » تك ٦ : ٣ .

ثالثاً — النتائج المروعة . « لئلا يبصروا » . لا يبصرون لأنهم لا يلتفتون ولا يرجعون . و يقول الله إنهم لا يبصرون لأنهم لا يرجعون « لئلا يرجعوا فأشفيهم .

(ملاحظات) — (الأولى) إن النظر والسمع والفهم لازمة للرجوع والتجديد . لأن الله لما يعمل بنعمته يعامل البشر كبشر ، كمخلوقات عاقلة . فيجذب بربط البشر ، و ينير القلب بفتح الأعين ، و يرجع « من سلطان الشيطان إلى الله » بأن يرجع أولا « من ظلمات إلى نور » أع ٢٦ : ١٨ (الثانية) وكل الذين يرجعون إلى الله بالحق لابد ان يشفيهم . إن رجعوا أشفيهم ، أخلصهم ، لذلك فهلاك الخطاة لا يعزى لله بل لأنفسهم ، لأنهم بغباوة توقعوا أن يشفوا دون ان يرجعوا (الثالثة) من العدل أن يمنع الله نعمته عمن رفضوا مطالبها وقاوموا قوتها زمانا طويلا ومراراً كثيرة . لقد قسى فرعون قلبه مدة طويلة خر ٨ : ١٥ و٣٢ و بعد ذلك قساه الله خر ٩ : ١٢ ، ١٠ : ٢٠ . فلنخف لئلا نفقد النعمة الالهية نهائيا اذا ما ابتدأنا بأن نخطيء ضدها .

(٢) والآخرون دعوا فعلا ليكونوا تلاميذ المسيح ، وكانوا راغبين رغبة صادقة في التعلم منه ، فتعلموا من هذه الأمثلة وتقدموا جداً في المعرفة ، سيا عندما فسرت فصارت الحقائق الإلهية أكثر وضوحا وسهولة ، أكثر فهما ، وأجدر بتذكرها ع ١٦ و١٧ « عيونكم تبصر وآذانكم تسمع » . رأوا مجد الله في شخص المسيح ، وسمعوا فكر الله في تعاليم المسيح . رأوا كثيراً ورغبوا في أن يسمعوا أكثر ، ولذلك كانوا مستعدين لقبول تعاليم أخرى ، وكانت لهم الفرصة لهذا لملازمتهم للمسيح دواما ، لذلك كانوا يحصلون عليها ، ويحصلون معها على النعمة ، من يوم إلى يوم . هذه يتحدث عنها المسيح :

[١] كبركة « طوبى لعيونكم لانها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع » هي سعادة وغبطة لكم ، وهي سعادة أنتم مدينون بها لنعمة الله و بركتة الخاصة . سبق أن وعد بهذه البركة أنه في

---

(١) أو « ضلالاتهم » حسب الترجمة الانكيزية

أيام المسيا « لا تحسر (لا تظلم) عيون الناظرين وآذان السامعين تصغى » أش ٣٢ : ٣ . إن عيون اقل المؤمنين الذين يعرفون اختبار يا نعمة المسيح تطوب اكثر من عيون اعلم العلماء واخطر الفلاسفة البعيدين عن الله ، الذين يشبهون الآلهة التى يعبدونها التى « لها أعين ولا تبصر » . « طوبى لعيونكم » :

(ملاحظة) تقوم السعادة الحقيقية على فهم اسرار ملكوت السموات فهماً صحيحا والانتفاع منها . « الأذان السامعة والعين الباصرة الرب صنعهما كلتيهما » فى من تقدسوا ، هما عمل نعمته أم ٢٠ : ١٢ ، هما عمل مبارك سوف يكمل بقوة حينما ينظر « وجهاً لوجه » أولئك الذين ينظرون « الآن فى مرآة فى لغز » ١ كو١٣ : ١٢

ولكى يوضح المسيح هذه السعادة تحدث كثيراً عن تعاسة الذين تركوا فى الجهل . « إنهم مبصرون لا يبصرون » ، أما أنتم « فطوبى لعيونكم » .

(ملاحظة) إن معرفة المسيح نعمة مميزة لمن يحصلون عليها . ولهذا السبب فإنها أكثر الزاماً (أنظر يو ١٤ : ٢٢) .

كان مفروضاً أن يعلم التلاميذ غيرهم ولذلك منحت لهم هذه النعمة أن تعلن اليهم الحقائق الإلهية بأكثر وضوح . سوف يبصر المراقبون « عينا لعين » أش ٥٢ : ٨

[٢] كبركة فائقة ، اشتهاها أنبياء وأبرار كثيرون ولكن لم يعطوها ع ١٧ « **الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا** » . كان يشتهى قديسو العهد القديم — الذين اعلنت اليهم بعض انوار الانجيل — و يتوقون من كل قلوبهم أن تعلن لهم اعلانات أزيد . لم تكن سوى الرموز ، الظلال ، النبوات عن تلك الأمور ، ولكنهم اشتهوا أن يروها هى نفسها ، وأن يروا نهايتها الجيدة ، وأن يروا لبها وأعماقها المجيدة التى لم يستطيعوا إمعان النظر اليها . اشتهوا أن يروا الخلاص العظيم ، تعزية اسرائيل ، ولكنهم لم يروها ، لأنه لم يكن قد حل بعد ملء الزمان .

(ملاحظات) — (الاولى) إن الذين يعرفون عن المسيح شيئا لا يمكن إلا أن يطمعوا فى المزيد (الثانية) إن اعلانات النعمة الإلهية لا تعطى — حتى للأنبياء والأبرار — إلا حسب الظروف التى يكونون فيها . مع أنهم كانوا محبوبى السماء ، وأودعت اليهم اسرار الله ، إلا أنهم لم يروا ما اشتهوا رؤيته ، لأن الله قصد أن لا يظهرها وقتئذاك . ونعمة لا تسبق مشورته . إذاً فقد كان ولا يزال هناك مجد عتيد أن يعلن ، أمور محفوظة « لكى لا يكملوا بدوننا » عب ١١ : ٤٠ (الثالثة) لتحريضنا على الشكر وحضنا على الاجتهاد . خليق بنا أن نتأمل فيما نتمتع به من

وسائط وما أعلن لنا من إعلانات فى هذا العهد الجديد أكثر مما أعطى وأعلن لمن عاشوا فى العهد القديم ، سيا اعلان الكفارة عن الخطية ، ونتأمل فيما يتميز به العهد الجديد عن القديم (٢ كو ٣ : ٧ الخ ، عب ١٢ : ١٨) ، وأن ندرك بأن انتفاعنا يجب أن يكون بنسبة امتيازاتنا

(ثانيا) وفى هذه الأعداد نرى أحد الأمثلة التى نطق بها مخلصنا ، مثل الزارع والبذار ، نرى المثل نفسه وتفسيره . إن أمثلة المسيح مستقاة من الأشياء العادية المألوفة ، لا من الآراء أو المعتقدات الفلسفية ، ولا من مناظر الطبيعة غير العادية حتى ولو أمكن تطبيقها على الأمور الراهنة ، بل من الأمور الواضحة كل الوضوح التى تشاهد كل يوم ، وتقع تحت حس أبسط الناس . والكثير منها مستقى من الخدمات التى يمارسها الفلاح كهذا المثل ومثل الزوان . وقد اختار المسيح أن يفعل هذا (أولا) لكى تصبح الروحانيات بهذه الوسيلة أكثر وضوحاً ، ولكى تقرب الى أذهاننا بالتشابيه المألوفة (ثانيا) لكى تلبس الممارسات العادية ثوب الروحانية بهذه الوسيلة ، ولكى نتخذ نحن من هذه الأشياء التى تقع تحت أبصارنا دواماً فرصة للتأمل بلذة فى الحقائق الإلهية . وهكذا عندما تكون أيدينا أكثر مشغولية بالعالميات يمكن ــ ليس فقط رغم هذه المشاغل العالمية بل أيضا بمساعدتها ــ أن نرفع قلوبنا إلى السماء . وهكذا تتكلم إلينا كلمة الله ببساطة وتحدثنا بسهولة أم ٦ : ٢٢

إن مثل الزارع واضح جداً ع ٣ ــ ٩ . وتفسيره يقدمه الينا المسيح نفسه وهو خير من يعرف المقصود به . عندما سأل التلاميذ « لماذا تكلمهم بأمثال » ع ١٠ تضمن هذا السؤال رغبتهم فى تفسير المثل للشعب . ولم يكن أيضا مهينا لمعرفتهم أن يطلبوا هذا التفسير لأنفسهم . فهم الرب يسوع المسيح الفكرة وأفهمهم المثل ، موجها حديثه للتلاميذ ، ولكن على مسمع من الجموع ، لأن الكتاب لا يذكر بأنه صرفهم إلى ذلك الوقت ع ٣٦ . « **فاسمعوا أنتم مثل الزارع** » ع ١٨ ، لقد سمعتموه ، ولكن لنراجعه مرة أخرى .

(ملاحظة) من النافع جداً ومما يعيننا على فهم الكلمة والانتفاع بها أن نستمع مراراً لما سبق أن سمعناه (فى ٣ : ١)

لقد سمعتم المثل ، ولكن اسمعوا تفسيره

(ملاحظة) حينما نفهم ما نسمع فاننا عندئذ **فقط** نجيد سمع الكلمة ونجيد الغرض من سمعها . وإن لم نفهمها فكأننا لم نسمعها نح ٨ : ٢ . صحيح ان الله هو الذى يمنح الفهم ، ولكن واجبنا هو ان نسمح لعقولنا بأن تفهم .

فلنتأمل إذاً فى المثل وتفسيره

(١) البذار المزروع هو كلمة الله ، التي دعيت هنا « **كلمة الملكوت** » ع ١٩ . والمقصود « بالملكوت » هنا « ملكوت السموات » . أما ممالك العالم فلا يليق تسميتها « بالملكوت » إذا ما قورنت بملكوت السموات . يأتي الانجيل من ذلك « الملكوت » و يقود إليه . كلمة الانجيل هي كلمة الملكوت ، هي كلمة الملك ، وحيث وجدت هذه وجدت القوة والسلطان جا ٨ : ٤ هي قانون نحكم به . هذه الكلمة هي البذار المزروع ، قد يبدو انه مادة ميتة جافة ، ولكنه محمل بالحصاد . هي زرع لا يفنى ١ بط ١ : ٢٣ ، هي الانجيل الذى يثمر فى النفوس كو ١ : ٥ و٦

(٢) والزارع الذى يبذر البذار هو ربنا يسوع المسيح إما بشخصه أو بخدامه (أنظر ع ٣٧) . والشعب هم فلاحة الله ، والخدام عاملون مع الله ١ كو ٣ : ٩ . والوعظ للجموع هو زرع الحنطة . نحن لا نعلم التربة التي يجب ان تستقر فيها ، ولكن يجب أن نتأكد من جودتها ونظافتها كما يجب ان نقدم لها البذار الكافية . وزرع الكلمة هو زرع الشعب لحقل الله ، بنى بيدره أش ٢١ : ١٠

(٣) والتربة التى تزرع فيها البذار هي قلوب بني البشر التي تختلف بحسب أنواعها وأميالها ، و باختلافها يختلف نجاح الكلمة

(ملاحظة) ان قلب الانسان كالتربة ، من الممكن تحسينه ، ومن الممكن أن يعطى ثماراً صالحة . ومن المؤسف أن يبقى مقفراً ، أو يكون كحقل الكسلان أم ٢٤ : ٣٠ . والنفس هى المكان المناسب لكلمة الله لتستقر فيه ، وتعمل ، وتحكم . وتأثيرها هو على الضمير ، فهى تنير سراج الله هذا . وكما نكون تكون الكلمة لنا . يقول المثل اللاتينى « يتوقف القبول على المستقبل (١) » . وكما هو الحال مع الأرض ، فإن بعض انواع التربة مهما بذلت الجهود فيها وألقيت أجود أنواع البذار لا تعطى ثمراً ، أما التربة الجيدة فإنها تعطى محصولا وافراً ، كذلك الحال مع قلوب البشر التي تمثل اخلاقهم المختلفة هنا بأربعة انواع من التربة ، ثلاثة منها ردية ونوع واحد فقط هو الجيد

(ملاحظة) ان عدد السامعين غير المثمرين كبير جداً حتى بين من سمعوا المسيح نفسه . « من صدق خبرنا ؟ » انها لصورة مؤلمة تلك التي يصورها لنا هذا المثل عن الجموع التى تسمع الانجيل ، إذ يبين لنا ان الربع فقط هم الذين يثمرون ثماراً كاملة . كثيرون هم الذين توجه إليهم الدعوة العامة ، ولكن قليلون هم الذين يظهر فيهم الاختيار الازلى بتأثير تلك الدعوة ص ٢٠ : ١٦

---

(١) Recipitur ad modum recipientis - The reception depends upon the receiver

والآن لنلاحظ صفات هذه الأنواع الأربعة من التربة .

[١] الأرض التى **« على الطريق »** ع ٤ ــ ١٩ . كانت لديهم طرق فرعية « بين الزروع » ص ١٢ : ١ ولم يكن ممكنا للبذار التى تسقط عليها أن تدخل باطن الأرض . لذلك **« جاءت الطيور وأكلته »** . كان المكان الذى وقف عليه سامعو المسيح وقتئذ يمثل أخلاق معظمهم ، فالرمل الذى على شاطىء البحر كان للبذار كالأرض التى « على الطريق » . لاحظ هنا :

أولا ــ أى صنف من السامعين يشبه الأرض التى « على الطريق » . هم « كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم » والذنب ذنبهم ان كانوا لا يفهمون . فإنهم لا يلتفتون إليها ، ولا يتمسكون بها ، لا يأتون بنية الانتفاع بها ، كما أن الأرض التى على الطريق لا يقصد بها أن يزرع ، يأتون أمام الله كما يأتى شعبه ، ويجلسون أمامه كما يجلس شعبه . ولكن ذلك لمجرد الظهور ، لكى يراهم الآخرون ولكى ينظرهم الآخرون . لا يفكرون فيما يقال ، بل يدخل من أذن ويخرج من الأخرى ، دون أن يترك أى تأثير .

ثانياً ــ كيف يصبحون سامعين غير مثمرين « **يأتى الشرير** (أى ابليس) **ويخطف ما قد زرع فى قلبه** » أن أمثال هؤلاء السامعين المتراخين المهملين المستهترين يصبحون فريسة سهلة للشيطان ، الذى هو أكبر لص لسرقة التعليم كما انه أكبر قاتل للنفوس ، ولابد أن يخطف منا الكلمة ان لم نحرص على ان نحفظها كما تخطف الطيور البذار التى تقع على الأرض التى لم تحرث قبل إلقائها ولم تمهد بعد إلقائها . إن كنا لا نحرث الأرض البور بإعداد قلوبنا للكلمة وإخضاعها لها وتوجيه كل إلتفاتنا إليها ، وإن كنا لا نغطى البذار بعد ذلك بالتأملات والصلاة ، إن كنا لا « نتنبه أكثر إلى ما سمعنا » عب ٢ : ١ ، فإننا نصبح كالأرض التى على الطريق

(ملاحظة) إن الشيطان عدو لدود يبذل كل ما فى وسعه لكى لا ننتفع من كلمة الله ، ولا يحقق أغراضه أكثر من السامعين غير المنتبهين ، الذين يفكرون فى أشياء أخرى فى الوقت الذى كان يجب أن يفكروا فيما هو لسلامهم

[٢] الأرض المحجرة **« وسقط آخر على الأماكن المحجرة »** ع ٥ و٦ وهى تمثل حالة السامعين الذين يذهبون إلى ما هو أبعد من السابقين ، أى الذين تؤثر فيهم الكلمة بعض التأثير الحسن ولكنه لا يدوم

(ملاحظة) من الممكن أن نكون أحسن بكثير من الآخرين ، ومع ذلك لا نكون فى درجة الجودة المطلوبة ، قد نسبق الآخرين ومع ذلك لا نلحق السماء .

والآن لنلاحظ الآتى بصدد هؤلاء السامعين الذين يمثلون بالأرض المحجرة .

اولا ــ إلى أى مدى وصلوا .

١ ــ إنهم « **يسمعون الكلمة** » إنهم لا يحولون لها القفا ولا يحولون عنها الأذن .

(ملاحظة) إن مجرد سمع الكلمة لا يوصلنا الى السماء ، إن كنا نتكل على مجرد السمع ، حتى ولو سمعنا كثيراً ، أو سمعنا باهتمام .

٢ ــ إنهم يسرعون فى الاستماع « **حالا يقبلها** » أى مستعد لقبولها ، « **فنبت حالا** » ع ٥ ظهر على وجه الأرض اسرع من ظهور ما زرع فى الارض الجيدة .

(ملاحظة) كثيراً ما يبدأ المراؤون بداية المسيحيين الحقيقيين بصدد مظاهر التقوى ولكنهم كثيراً ما رجعوا إلى الوراء سر يعاً .

« حالا يقبلها » ، دون فحصها ، يبلعها دون مضغها ، و بعد ذلك لا يمكن أن يكون هنالك هضم جيد . إن الذين يمتحنون كل شيء هم الذين يتمسكون بالحسن ١ تس ٥ : ٢١

٣ ــ يقبلونها « **بفرح** » .

(ملاحظة) يسر الكثيرون بسماع عظة طيبة ، ولكنهم مع ذلك لا ينتفعون منها . قد يتلذذون بالكلمة ومع ذلك لا يتغيرون ولا يسلكون بموجبها . قد يذوب القلب تحت الكلمة ولكنه لا يذوب بها ، و بالأحرى لا يذوب وتصاغ فيها كما تذوب المادة وتراق فى القالب الذى تصاغ فيه . يذوق الكثيرون كلمة الله الصالحة عب ٦ : ٥ و يقولون إنهم يجدون فيها حلاوة ، ولكن قد تكون هنالك شهوة محبوبة جاثمة تحت اللسان لا تتفق مع الكلمة ، ولذلك لا يلقونها من أفواههم .

٤ ــ يبقون « إلى حين » كالاندفاع الشديد الذى يظل طالما كان تأثير القوة باقياً ، ولكنه يتوقف لما ينفذ ذلك التأثير .

(ملاحظة) يبقى الكثيرون « إلى حين » ولكنهم لا يلبثون إلى النهاية . ولذلك لا ينالون السعادة التى وعد بها فقط من يثابر ومن « يصبر الى المنتهى » ص ١٠ : ٢٢

لقد سعوا حسناً ولكن عائقا صدهم غل ٥ : ٧

ثانيا ــ كيف فشلوا فلم يعطوا ثمراً ، كالبذار التى إذ ليس لها عمق ارض تستمد منها

الرطوبة احترقت من حرارة الشمس . والسبب هو:

١ ــ **« ليس له أصل في ذاته »** ليست لهم مبادىء ثابتة مستقرة فى حكمهم على الأشياء ، ليست لهم عزيمة ثابتة فى إرادتهم ، وليست لهم عادات متأصلة فى ميولهم ، لا شيء ثابت يعتمدون عليه فى مظاهرهم .

(ملاحظتان) ــ (الاولى) قد تكون هنالك مظاهر التقوى الخضراء ولكن لا يكون هنالك أصل للنعمة . قد يكون القلب قاسيا أما التربة الملموسة أو الليونة المحسوسة فانما هى سطحية . هم كالحجر لا يتأثرون . ليس لهم أصل ، لم يتحدوا بالايمان مع المسيح الذى هو أصلنا . لا يستمدون منه شيئا ولا يعتمدون عليه فى شيء .

(الثانية) حيث لا مبدأ فلا تنتظر مثابرة حتى وإن توفرت المظاهر . والذين لا أصل لهم لا يلبثون إلا إلى حين .

٢ ــ ولما تأتى أوقات التجربة يفشلون **« فاذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر»** فى الطريق عثرة لا يستطيع أن يتخطاها ولذلك فانه يفر هارباً ، وهكذا تتلاشى كل ادعاءاته .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) بعد نسيم الفرصة العليل كثيراً ما تهب عاصفة الاضطهاد لتميز الذين قبلوا الكلمة باخلاص من غيرهم . لما تصير كلمة ملكوت المسيح كلمة صبره رؤ ٣ : ١٠ فحينئذ يصير الامتحان لمعرفة الذين يحفظونها والذين لا يحفظونها رؤ ١ : ٩ فمن الحكمة أن نستعد لمثل هذا اليوم .

(الثانية) حينما تأتى أوقات الشدة فان الذين لا أصل لهم سرعان ما يعثرون . إنهم فى بداية الأمر يتحاجون مع مظاهر العبادة التى لهم ثم يتركونها ، يظنونها خاطئة ثم يهجرونها . لهذا نقرأ عن « عثرة الصليب » غل ٥ : ١١

لاحظ أن الاضطهاد يشبه فى المثل بالشمس المحرقة ع ٦ فالشمس التى تدفىء وتنعش ما له أصل طيب هى بعينها تحرق ما ليس له اصل . وكلمة المسيح ، وكذلك صليب المسيح ، للبعض « رائحة حياة لحياة » وللآخرين « رائحة موت لموت » . ونفس الاضطهادات والضيقات التى تدفع البعض للارتداد والهلاك تنشىء للآخرين « ثقل مجد أبدى » . والتجارب التى تزعزع البعض تثبت الآخرين فى ١ : ١٢

لاحظ كيف يتم سقوطهم سريعاً. كما ينضجون سريعاً فإنهم يتلفون سريعاً . وما نحصل عليه بدون تأمل أو روية سرعان ما يطير. يقول المثل « سريعاً يجيء سريعاً يذهب » .

[٣] الأرض الشائكة « **وسقط آخر على الشوك** » والشوك حارس جيد للحنطة إذا كان في السياج ولكنه عدو لدود إن وجد في الحقل . « **فطلع الشوك** » وهذه تتضمن انه لم يكن ظاهراً وقت زرع الحنطة ، أو لم يكن ظاهراً إلا قليلا ، و بعد ذلك اتضح انه خانق ع ٧ « **وخنقه** » . هذه البذار امتدت أبعد من السابقة لأن للأرض أصلا . وهي تمثل حالة من لا يكفون كلية عن تدينهم ولكنهم لا ينتفعون منه قط . فان ما ينالونه من خير من الكلمة تقوى عليه أمور العالم . حالة الرخاء تتلف الكلمة في القلب كحالة الاضطهاد تماما ، بل وأشد لأنها تعمل بسكون وهدوء . الحجارة تتلف الأصل ، والشوك يتلف الثمار

وما هي هذه الأشواك الخانقة :

أولا ــ « **هم هذا العالم** » الاهتمام بالعالم الآخر يزيد في نشاط وحيوية ونمو هذه البذار، أما الاهتمام بهذا العالم فانه يخنقها . حسنا شبهت الاهتمامات العالمية بالشوك لأنها دخلت مع الخطية وهي ثمار اللعنة . الشوك نافع في مكانه ليسد الثغرات ، ولكن على من يمر عليه كثيراً أن يحذر منه كل الحذر ٢ صم ٢٣ : ٦ و٧ . إنه يلتف حول أي شيء ، يؤلم ، يخدش ، « ونهايته للحريق » عب ٦ : ٨ . هذا الشوك يخنق البذار الجيدة

(ملاحظة) إن الاهتمامات العالمية تعطلنا جداً عن الانتفاع بكلمة الله وعن التقدم في الحياة المسيحية . إنها تلتهم قوة النفس التي يجب أن تبذل في الأمور الروحية ، تحولنا عن واجباتنا ، تربكنا في واجباتنا ، وتسبب لنا أكبر الضرر فيا بعد . إنها تطفيء شرارة المحبة الصالحة والعواطف الطيبة . والذين يهتمون و يضطربون لأجل أمور كثيرة يهملون عادة ذلك الأمر الواحد الذي نحن أمس الحاجة اليه

ثانياً ــ **غرور الغنى**» إن الذين باهتمامهم واجتهادهم قد أنموا ثروتهم و بدا إليهم أن الخطر الناشيء من هم الفقر قد زال يجب أن يعرفوا انهم وان ظلوا « سامعين للكلمة » فانهم لا يزالون في التجربة أر ٥ : ٤ و٥ ، وعسير عليهم أن يدخلوا ملكوت السموات . انهم معرضون لأن يمنوا أنفسهم بما ليس في الثروة ، و يتكلوا عليها و يتلذذوا بها لذة طائشة . وهذا يخنق الكلمة كما يخنقها هم الفقر. لاحظ بأن الخطر ليس في الغنى بقدر ما هو في « غرور الغنى » . ولا يمكن للغنى أن يخدعنا إلا حينما نضع فيه ثقتنا ونركز فيه آمالنا ، وحينئذ فانه يخنق الكلمة

[٤] الأرض الجيدة ع ٨ « **وسقط آخر على الأرض الجيدة** » . ومما يؤسف له أن

البـذار الجيـدة لا تـلقى دواما أرضاً جيدة لكى لا يكون هنالك تلف أو خسارة . « والمزروع على الأرض الجيدة هو الذي يسمع الكلمة و يفهم » ع ٢٣ .

(مـلاحـظـة) رغـم انه يوجد كثيرون يقبلون نعمة الله باطلا وكلمة نعمته عبثاً إلا أن لله بقية يقبلون نعمته أحسن قبول لأن كلمة الله « لا ترجع فارغة » أش ٥٥ : ١٠ و١١

والـذى ميز هـذه الأرض الجيدة عن سواها يلخص فى كلمة واحدة : الأثمار . بهذا يتميز المسيـحيـون الحقيقيون عن المرائين . انهم « يثمرون للبر» . « بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فـتـكـونـون تـلاميـذى » يـو ١٥ : ٨ . لم يـقل ان هذه الأرض الجيدة كانت خالية من الحجارة أو الأشـواك ، بـل لم يـكن فيها ما يعطلها عن الأثمار . ليس القديسون فى هذا العالم خالين خلواً تاما من بقايا الخطية ، ولكنهم متحررون من سيادتها

اما السامعون الذين تمثلهم الأرض الجيدة فهم :

أولا ــ الـسامعون الأذكياء « يسمع الكلمة و يفهم » . لا يفهمون معنى الكلمة ومغزاها فـقط بل يفهمون ما يعنيهم منها . يفهمونها كما يفهم رجل الأعمال عمله . يعامل الله البشر بكلمته كبشر ، بطريقة معقولة ، و يتملك على الإرادة والعواطف بفتح الذهن للفهم . أما الشيطان الذى هو « سارق ولص » فانه « لا يدخل من (هذا) الباب بل يطلع من موضع اخر »

ثانياً ــ السامعون المثمرون ، مما يدل على فهم جيد . « **هو الذى يأتى بثمر**» . إن الثمرة للبـذرة هى جسدها ، هى محصول رئيسى فى القلب والحياة ، تتفق مع بذرة الكلمة التى نتقبلها . حينما نسلك بحسب الكلمة ، حينما يكون تفكيرنا ورائحة حياتنا حسب الانجيل الذى قبلناه ، حينما نعمل بما نتعلم ، فاننا حينئذ نثمر .

ثـالـثـاً ــ والجـمـيـع لا يـثـمـرون بـنـسبة واحدة « **فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين** »

(مـلاحـظـة) بين المـسيحيين المثمرين يوجد من هو أكثر أثماراً من غيره ، وحيثما وجدت الـنـعـمة الحقيقية وجدت درجات لها . فالبعض يتفاضلون عن غيرهم فى المعرفة والقداسة . وكل تلاميذ المسيح لا يمكن أن يكونوا فى حالة واحدة . يجب ان نهدف الى الدرجة القصوى لكى نثمر مـئـة ضـعـف كما كان الحال فى أرض اسحق تك ٢٦ : ١٢ مكثرين فى عمل الرب يو ١٥ : ٨ . عـلى انه ان كانت الأرض جيدة ، والثمار جيدة ، والقلب أمينا ، والحياة متفقة معه ، فان الذين لا يـثـمـرون سوى ثـلاثين لابـد أن يـكـونوا مقبولين امام الله ، والثمار تكثر لحسابهم ، لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة .

وأخيراً ـــ يختم المثل بدعوة خطيرة للاصغاء ع ٩ « من له أذنان للسمع فليسمع »

(ملاحظة) لا يمكن استخدام حاسة السمع فى شيء أفضل من سماع كلمة الله . يميل البعض لسمع الأنغام الشجية لأن آذانهم « بنات الغناء » (أو « بنات الموسيقى » حسب الترجمة الانكليزية) جا ١٢ : ٤ ، وهل هنالك أشجى من كلمة الله . ويميل الآخرون لسماع الأنباء الحديثه أع ١٧ : ٢١ وهل هنالك أنباء ككلمة الله

٢٤ ـــ قدم لهم مثلا آخر قائلا . يشبه ملكوت السموات انساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله ٢٥ ـــ وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى ٢٦ ـــ فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزوان أيضاً ٢٧ ـــ فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت فى حقلك . فمن أين له زوان ٢٨ ـــ فقال لهم . انسان عدو فعل هذا . فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه ٢٩ ـــ فقال لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه ٣٠ ـــ دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد . وفى وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزماً ليحرق . وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى

٣١ ـــ قدم لهم مثلا آخر قائلا . يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها فى حقله ٣٢ ـــ وهى اصغر جميع البذور . ولكن متى نمت فهى أكبر البقول . وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها

٣٣ ـــ قال لهم مثلا آخر . يشبه ملكوت السموات خميرة اخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ٣٤ ـــ هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال . وبدون مثل لم يكن يكلمهم ٣٥ ـــ لكى يتم ما قيل بالنبى القائل سأفتح بأمثال فى وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم

٣٦ ـــ حينئذ صرف يسوع الجموع وجاء الى البيت . فتقدم اليه تلاميذه قائلين فسر لنا مثل زوان الحقل ٣٧ ـــ فأجاب وقال لهم .

الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان ٣٨ ــ والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو بنو الشرير ٣٩ ــ والعدو الذى زرعه هو ابليس . والحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة ٤٠ ــ فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم ٤١ ــ يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الاثم ٤٢ ــ ويطرحونهم فى أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ٤٣ ــ حينئذ يضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم . من له أذنان للسمع فليسمع

فى هذه الأعداد نرى :

(أولا) سببا آخر لتعليم المسيح بأمثال ع ٣٤ و٣٥ « **هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال** » لأنه لم يكن قد حان الوقت لإعلان أسرار الملكوت بأكثر وضوح . لكى يلفت المسيح أنظار الجموع و يبقيهم منتظرين فقد كلمهم بأمثال « **وبدون مثل لم يكن يكلمهم** » أى وقتئذ وفى هذه العظة .

(ملاحظة) يجرب المسيح كل الوسائل والطرق للاحسان إلى نفوس البشر والتأثير عليها . فان لم يتعلموا و يتأثروا بالتعليم الواضح جرب معهم الأمثال .

والسبب الذى يقدم الينا هنا هو « **لكى يتم ما قيل بالأنبياء** » . والفقرة المقتبسة هنا هى جزء من افتتاحية ذلك المزمور التاريخى ٧٨ : ٢ « افتح بمثل فمى » . وما يذكره المرنم داود أو آساف فى ذلك المزمور يطبق هنا على عظات المسيح . وتلك السابقة توضح هذه الطريقة من التعليم ، وتزيل عنه العثرات التى تعثر بها البعض . هنا نرى :

١ ــ مادة تعليم المسيح . أنه علم « **بمكتومات منذ تأسيس العالم** » كان سر الانجيل مكتوما لدى الله ، فى مشورته وتدبيره « منذ الدهور» أف ٣ : ٩ . أنظر أيضا رو ١٦ : ٢٥ ، ١ كو ٢ : ٧ ، كو ١ : ٢٦ . إن كنا نلتذ بما هو مدون فى بطون التاريخ القديم و بإعلان الأسرار الخفية ، فخليق بنا أن نرحب بالانجيل الذى يحوى فى طياته مثل هذا القدم ومثل هذه الأسرار الخفية . فقد كان « منذ الدهور» ملفوفا فى الرموز والظلال التى زالت الآن ، وهذه المكتومات قد اعلنت فصارت « المعلنات لنا ولبنينا » تث ٢٩ : ٢٩ .

٢ ــ كيفية تعليم المسيح . لقد علم بأمثال ، بأقوال حكيمة ولكن بطريقة تمثيلية تعين على الأصغاء وتوجيه الالتفات والتدقيق في البحث . تسمى حكم سليمان المليئة بالتشبيهات أمثلة أو أمثالا . وهى نفس الكلمة المستعملة هنا . ولكن « هوذا أعظم من سليمان ههنا » كما جاء فى سائر الأشياء ، هوذا الذى اذخرت فيه كل كنوز الحكمة .

(ثانيا) مثل الزوان وتفسيره . ويجب أن يسيرا معاً لأن التفسير يوضح المثل ، والمثل ينير التفسير . لاحظ هنا :

١ ــ طلب التلاميذ من معلمهم لتفسير المثل لهم ع ٣٦ « **حينئذ صرف يسوع الجموع** » ونخشى أن يكون الكثيرون انصرفوا كما حضروا دون أن يستفيدوا شيئاً . لقد سمعوا صوت كلمات . وكان هذا كل ما فى الأمر . من الحزن أن نرى الكثيرين يخرجون من العظات بكلمات النعمة فى آذانهم ولكن بدون عمل النعمة فى قلوبهم .

ثم إن المسيح « **جاء إلى البيت** » لا ليستريح بل ليتحدث حديثاً خاصاً مع تلاميذه الذين قصد فى كل تعاليمه تعليمهم بصفة خاصة . كان مستعداً لصنع الخير فى كل مكان ، وكان التلاميذ ينتهزون الفرصة « **فتقدم اليه تلاميذه** » .

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يكونوا حكماء فى أى شىء أن يكونوا حكماء لإدراك الفرص التى بين أيديهم وانتهازها ، سيما فرص التحدث إلى المسيح ، التحدث اليه وحده ، فى تأملات وصلوات سرية . جميل جداً ــ حينما ننصرف من الاجتماعات العامة ــ أن نتحدث بما سمعنا ، وأن نعين بعضنا بعضا على فهم وتذكر ما سمعنا والتأثر به ، لأننا كثيراً ما خسرنا فائدة معظم العظات بالتحدث عنها بالأحاديث الباطلة غير المجدية . أنظر لو ٢٤ : ٣٢ ، تث ٦ : ٦ و٧ . وجميل بصفة خاصة أن نسأل خدام الكلمة عن معنى الكلمة « لأن شفتى الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود » مل ٢ : ٧ . والأحاديث الخاصة تعيننا كثيراً على الانتفاع بالتعاليم العامة ، فان كلمة ناثان « أنت هو الرجل » هى التى مست قلب داود .

كان طلب التلاميذ إلى معلمهم « **فسر لنا مثل زوان الحقل** » وهذا يتضمن اعترافا بجهلهم ، الأمر الذى لم يخجلوا منه ، لعلهم فهموا ما يرمى اليه المثل بصفة عامة ، ولكنهم أرادوا أن يفهموه بأكثر تفصيل ، وأن يتأكدوا من أنهم فهموه فهما صحيحا .

(ملاحظة) إن الذين يحسون بجهلهم و يرغبون رغبة خالصة فى التعلم هم الذين يؤهلون لتعليم المسيح . إنه « يعلم الودعاء » مز ٢٥ : ٧ و٨ ولكنه لابد أن يطلب لأجل هذا . إن كان أحد يعوزه تعليم فليطلب من الله .

فسر المسيح المثل السابق دون أن يطلب ذلك منه ، أما هذا المثل فنراهم يطلبون منه تفسيره .

(ملاحظة) يجب أن نحسن استخدام المراحم التى ننالها لإرشادنا إلى ما نصلى لأجله ، ولتشجيعنا فى الصلاة . وحينما يتحنن علينا الله بالشعاعة الأولى من النور والعطية الأولى من النعمة يجب أن نصلى كل يوم لكى ننمو فى كل منهما .

٢ ــ التفسير الذى قدمه المسيح للمثل إجابة لطلبهم . وما أعظم استعداد المسيح لإجابة مثل هذه الرغبات لتلاميذه . والهدف الذى يرمى اليه المثل هو أن يمثل لنا الحالة الراهنة والمستقبلة لملكوت السموات . كنيسة العهد الجديد . وهو يبين لنا عِناية المسيح بها ، وعداوة الشيطان لها ، وما فيها من اختلاط الخير بالشر فى هذا العالم ، والفصل بينهما فى العالم الآخر .

(ملاحظة) إن الكنيسة المنظورة هى ملكوت السموات . ومع أنه يوجد فيها الكثيرون من المرائين إلا أن المسيح يملك فيها كملك . ولابد أن يكون فيها بقية وهم رعايا السماء و ورثة السماء ، ومنهم تتخذ اسمها لأنهم أسمى عنصر فيها ، إذاً فالكنيسة هى « **ملكوت السموات** » على الأرض .

لنتأمل فى تفاصيل تفسير المثل :

(١) « **الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان** » يسوع المسيح هو رب الحقل ، « رب الحصاد » الذى يزرع الزرع الجيد . حينما « صعد إلى العلاء أعطى عطايا » للعالم ، ليس للخدام الصالحين فحسب بل لكل الناس الصالحين .

(ملاحظة) كل ما يوجد فى العالم من زرع جيد هو آت من يد المسيح ، وهو الذى زرعه . فالحقائق التى يكرز بها ، والنعم التى تغرس ، والنفوس التى تقدس ، هذه كلها زرع جيد ، وكلها منسوبة للمسيح . والخدام آلات فى يد المسيح ليزرعوا زرعا جيداً ، هم يخدمون بمعرفته وتحت إرشاده ، و يتوقف نجاح أتعابهم على بركته فقط . فخليق بنا أن نقول : إن المسيح لا سواه هو الذى يزرع الزرع الجيد ، هو « ابن الانسان » ، واحد منا ، لكى لا يرعبنا خوفه ، « ابن الانسان » ، الوسيط ، ذو السلطان العظيم .

(٢) « **والحقل هو العالم** » عالم البشر . حقل فسيح . جدير بأن يثمر ثماراً جيدة . ومما يؤسف له كل الأسف أنه يثمر ثماراً ردية بهذه الكثرة . العالم هنا هو الكنيسة المنظورة ، وهى منتشرة فى كل أرجاء العالم ، غير محصورة فى أمة واحدة . لاحظ أنها دعيت فى المثل « حقله » ، فالعالم حقل المسيح لأن كل شيء أعطى اليه من الآب ، وكل ما للشيطان فى العالم من سلطان

أو مصالح إنما هو مغتصب ، وعندما يأتى المسيح ليملك فإنه يأتى كمن له الحق فى ذلك . هو حقله ، ولذلك يعنى بزرع الزرع الجيد فيه .

(٣) « **والزرع الجيد هو بنو الملكوت** » القديسون الحقيقيون هم :

[١] « بنو الملكوت » ليس فى الظاهر فقط كما كان اليهود (ص ٨ : ١٢) بل بالحق ، هم اليهود فى الداخل ، الاسرائيليون بالحق ، الذين بالايمان والطاعة اتحدوا بيسوع المسيح ، ملك الكنيسة الأعظم .

[٢] هم « الزرع الجيد » ولذلك فقيمتهم ثمينة كزرع أى بذار مز ١٢٦ : ٦ . البذار (الزرع) هى مادة الحقل ، هكذا الزرع المقدس أش ٦ : ١٣ . البذار تبذر ، هكذا القديسون ، فإنهم يشتتون ، الواحد هنا والآخر هنالك ، ولو أنهم فى بعض الأماكن قد يكونون مكدسين أكثر مما هم فى أماكن أخرى . والزرع هو الذى ينتظر منه الثمار . والثمار التى يرجوها الله من هذا العالم ، ثمار المجد والخدمة ، ينتظرها من القديسين . الذين زرعهم لنفسه فى الأرض هو ٢ : ٢٣ .

(٤) « **والزوان هو بنو الشرير** » هنا نجد صفات الخطاة ، المرائين وكل الدنسين والأشرار .

[١] هم بنو ابليس ، لأنه هو الشرير . ومع أنهم لا يعترفون باسمه إلا أنهم يحملون صورته ، يتممون شهواته ، ومنه يتلقون تعليمهم . هو يحكم عليهم ، و يعمل فيهم أف ٢ : ٢ ، يو ٨ : ٤٤ .

[٢] وهم زوان فى حقل هذا العالم . لا يصنعون خيراً ، بل يصنعون شراً وأذى . هم غير نافعين فى ذواتهم ومؤذين للزرع الجيد ، سواء بإغراءاتهم أو باضطهاداتهم . هم حشائش فى الحديقة ، لهم نفس الأمطار ، ونفس الشمس ، والتربة ، التى يتمتع بها الزرع الجيد ، ولكنهم غير نافعين لأى شىء . « **الزوان فى وسط الحنطة** » .

(ملاحظة) لقد سمح الله أن يكون الخير والشر مختلطين فى هذا العالم ، لكى يمارس الخير و يترك الشر بلا عذر . و ياله من فرق بين الأرض والسماء .

(٥) « **والعدو الذى زرعه هو إبليس** » هو عدو لدود للمسيح ولكل صلاح ، عدو لمجد الله الصالح ، وعدو لراحة وسعادة كل الصالحين . هو عدو لحقل العالم الذى يجعله ملكا له بزرع زوانه فيه . منذ صار هو نفسه روحاً شريراً فانه يبذل أقصى جهده لازدياد الشر ، وقد جعل هذا شغله الشاغل . قاصداً بهذا تعطيل عمل المسيح .

أما عن زرع الزوان فاننا نلاحظ الآتى :

[١] إنه زرع « فيما الناس نيام » نفس الحكماء الذين كان يمكن أن يدرأوا هذا الخطر بما لهم من سلطان ، ونفس خدام الله الذين كان يمكن أن يتلافوه بتعليمهم .

(ملاحظة) إن الشيطان ينتهز كل الفرص المناسبة و يضع يده على كل ظرف لكى ينشر الرذيلة والفساد . وإن الضرر الذى يلحقه بأشخاص معينين إنما يتم حينما ينام الضمير والعقل ، حينما يتغافلان عن حراستهما . إذاً فإننا فى أشد الحاجة للصحو والسهر ١ بط ٥ : ٨

وكان ذلك فى الليل ، لأنه هو وقت النوم .

(ملاحظة) إن الشيطان يملك « على ظلمة هذا الدهر» . هذا يعطيه فرصة لزرع الزوان مز ١٠٤ : ٢٠

وكان « فيما الناس نيام » ولم يكن هنالك علاج لهذه الحالة لأنه لابد للناس من أن يناموا .

(ملاحظة) كما أنه من المستحيل أن يمنع الفلاح — وهو نائم — عدوه من اتلاف حقله كذلك من المستحيل أن نمنع وجود المرائين فى الكنيسة .

[٢] ولما انتهى العدو من زرع الزوان « **مضى** » ع ٢٥ لكى لا يعرف من ذا الذى فعل هذا .

(ملاحظة) عندما يأتى الشيطان أشر ما عنده يبذل أقصى جهده لاخفاء نفسه ، لأن مقاصده تتعطل إن رؤى وهو يدبرها . ولذلك فإنه عندما يأتى لزرع الزوان « يغير شكله إلى شبه ملاك نور» ٢ كو ١١ : ١٣ و١٤ . « مضى » (أو « انصرف إلى سبيله » حسب الترجمة الانكليزية) كأنه لم يفعل أى ضرر، « كذلك طريق المرأة الزانية . أكلت ومسحت فمها وقالت ما عملت إثماً » أم ٣٠ : ٢٠

لاحظ كيف يكون ميل الساقطين إلى الخطية ، فانه إذا زرع العدو الزوان وانصرف إلى سبيله نما الزوان من تلقاء ذاته وأتلف الحنطة . بينما إذا زرع الزرع الجيد فلا بد من العناية به ، وسقيه واحاطته بسياج ، وإلا عجز عن اعطاء الثمر.

[٣] والزوان لم يظهر إلا بعد أن « **طلع النبات وصنع ثمراً ، حينئذ ظهر الزوان أيضا** » ع ٢٦ . هناك قدرعظيم جداً من الشر مخفى فى قلوب البشر ، وهو يظل مخفى طويلا تحت

ستار التدين ، ولكنه لابد أن يظهر أخيراً . والزوان ـ كالزرع الجيد ـ يظل مدة تحت الثرى ، ثم يظهر نبتاً صغيراً ، ومن العسير تمييزها عن بعضها . ولكن حينما يأتي وقت الامتحان ، حينما يأتي وقت الثمر ، حينما يأتي وقت عمل الخير الذى يقتضى مقابلة الصعوبات واقتحام الأخطار ، عندئذ تستطيع التميز بين المخلصين والمرائين ، حينئذ تستطيع أن تقول : هذه حنطة وذلك زوان .

[٤] وعندما تنبه اليه الخدم شكوا إلى سيدهم ع ٢٧ « **ياسيد اليس زرعا جيداً زرعت فى حقلك** » . لا شك فى ذلك ، فكل شذوذ فى الكنيسة لا يمكن أن يعزى للمسيح . وخليق بنا أن نتساءل بدهشة بصدد الزرع الذى يزرعه المسيح « **من أين له زوان** » من أين أتى هذا الزوان ؟

(ملاحظة) إن قيام الأخطاء ، وانتشار المعاصى ، ونمو المفاسد تسبب حزناً عظيما وألماً ممضاً لكل خدام المسيح ، سيما لخدامه الأمناء ، الذين يجب أن يتعلموا من هنا إن واجبهم يقتضى أن يرفعوا شكواهم من هذه الحالة إلى صاحب الحقل . من المحزن أن نرى مثل هذا الزوان ، ومثل هذه الحشائش ، فى جنة الرب ، أن نرى الأرض الجيدة تتلف ، والزرع الجيد يختنق ، والتعيير يلحق باسم المسيح وكرامته كأن حقله هو « حقل الكسلان (الذى) قد علاه كله القريص وقد غطى العوسج وجهه » أم ٢٤ : ٣١

[٥] وللحال تنبه السيد وعرف الذى فعل هذا ع ٢٨ « **إنسان عدو فعل هذا** » إنه لا يلقى التبعة على الخدام ، لأن ذلك كان فوق مقدورهم ، وقد فعلوا ما استطاعوا لمنعه .

(ملاحظة) سوف لا يدين المسيح خدامه الأمناء النشطين إذا ما اختلط الشر بالخير والمراءون بالمخلصين فى حقل الكنيسة و ولهذا يجب أن لا يوبخهم البشر . « لابد من (مثل هذه) العثرات » ونحن غير مسئولين عنها إن كنا نقوم بواجبنا ولم نحصل على النتيجة المرغوبة . إنهم لا يلامون وإن ناموا ، على شرط أن لا يحبوا النوم ، كذلك لا يلامون إن زرع الزوان ، على شرط أن لا يكونوا هم الذين زرعوه ، أو سقوه ، أو سمحوا به .

[٦] وكان الخدام متعجلين فى طلب استئصال هذا الزوان « **أتريد أن نذهب ونجمعه** » فى الحال .

(ملاحظة) إن غيرة خدام المسيح المتعجلة والمندفعة قبل استشارة سيدهم قد تتسبب أحياناً فى اقتلاع كل من يحسبونهم زواناً فيعرضون الكنيسة للخطر : « يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء » لو ٩ : ٥٤

[٧] أما السيد فانه بكل حكمة منع هذا ع ٢٩ « **فقال لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه** »

(ملاحظة) ليس من المتيسر لأى انسان التميز بكل دقة بين الحنطة والزوان ، فانه قد يخطىء . ولذلك اقتضت حكمة المسيح ونعمته أن يفضل بالأحرى السماح ببقاء الزوان عن أية طريقة أخرى تعرض الحنطة للخطر . صحيح أن الأشرار الفاجرين يجب توبيخهم ، وانه يجب علينا تجنبهم ، وأن « بنى الشرير » الظاهر شرهم يجب منعهم من بعض الفرائض الخاصة . إلا أنه قد تقرر خطأ بعض التأديبات أو يبالغ فى تطبيقها ، فتسبب إيلاما للكثيرين من الأتقياء الحقيقيين . لذلك يجب مراعاة كل الحيطة والاعتدال فى توقيع التأديبات الكنسية وفى استمرارها لئلا تداس الحنطة إن لم تحصد فى أوانها . وكما أن « الحكمة التى من فوق طاهرة » فهى أيضاً « مسالمة » يع ٣ : ١٧ ، ولذلك يجب عدم قطع المقاومين بل تعليمهم ، وتعليمهم « بوداعة » ٢ تى ٢ : ٢٥ . والزوان إن بقى تحت وسائط النعمة قد يصبح حنطة جيدة ، لذلك فتأنوا عليه .

(٦) « **والحصاد هو انقضاء العالم** » ع ٣٩ هذا العالم له انقضاء ، إن بقى طويلا فلن يدوم الى الأبد ، والزمن سوف يبتلع فى الأبدية عن قريب . عند انقضاء العالم يكون هنالك يوم عظيم للحصاد ، يوم الدينونة ، وعند الحصاد يكون الكل قد نضجوا واستعدوا أن يحصدوا . فى ذلك اليوم العظيم يكون الأبرار والأشرار قد تهيأوا كلهم للحصاد رؤ ٦ : ١١ . إنه يوم « حصيد الأرض » رؤ ١٤ : ١٥ . فى وقت الحصاد يحصد الحصادون الكل أمامهم دون أن يتركوا خلفهم حقلا واحداً أو قطعة واحدة ، هكذا ينبغى أن يدان كل واحد (رؤ ٢٠ : ١٢ و١٣) . لقد أعد الله حصاداً (هو ٦ : ١١) وهذا الحصاد لن يفشل تك ٨ : ٢٢ . فى وقت الحصاد يحصد كل إنسان ما زرع ، سوف يتبين نوع أرض كل إنسان و بذاره ، ومقدار ذكائه وكده . أنظر غل ٦ : ٧ و٨ . حينئذ يعود بالترنم من زرعوا زرعا جيداً مز ١٢٦ : ٥ و٦ يعودون بفرح الحصاد أش ٩ : ٣ فى الوقت الذى فيه تجد « الكسلان الذى لا يحرث بسبب الشتاء يستعطى فى الحصاد ولا يعطى » أم ٢٠ : ٤ و يصرخ « يارب يارب » ولكن بدون جدوى ، وفى اليوم الذى فيه نجد الذين زرعوا للجسد « يهرب الحصيد فى يوم الضربة المهلكة والكآبة العديمة الرجاء » أش ١٧ : ١١ .

(٧) « **والحصادون هم الملائكة** » سوف يستخدمون فى اليوم العظيم لتنفيذ أحكام المسيح العادلة ، سواء للمدح أو للادانة ، كخدام عدله ص ٢٥ : ٣١ . إن الملائكة خدام مطيعون للمسيح وأعداء رحومون للأشرار ، وأصدقاء مخلصون لجميع القديسين . هم خدام حكماء أقوياء نشطون ولذلك فهم خليقون باستخدامهم فى مهمة كهذه . وإن كان « الحاصد يأخذ أجرة » فلن تغفل أجرة الملائكة عن أتعابهم « لكى يفرح الزارع والحاصد معا » يو ٤ : ٣٦ وهذا « فرح فى السماء أمام ملائكة الله » .

(٨) وعذابات جهنم هى النار التى يطرح فيها الزوان والتى فيها يحترقون . فى اليوم العظيم يحصل الفرز ، و ياله من بون شاسع وقتئذ . وسيكون هذا اليوم يوما خطيراً حقا .

[١] وقتئذ « **يجمع الزوان** » سوف يكلف الحصادون (ومهمتهم الرئيسية جمع الحنطة) أولا يجمع الزوان « **وفى وقت الحصاد أقول للحصادين أجمعوا أولا الزوان** »

(ملاحظة) إن كان الأبرار والأشرار مجتمعين معا فى هذا العالم بدون تمييز فانهم فى اليوم العظيم يفرزون بعضهم عن بعض . فى ذلك الوقت لا يكون هنالك زوان وسط الحنطة ، لا خطاة وسط القديسين . حينئذ تستطيع التمييز بكل وضوح بين الأبرار والأشرار ، الأمر الذى قد يتعذر هنا أحيانا . مل ٣ : ١٨ ، ٤ : ١ .

والمسيح لا يتأنى دائماً مز ٥٠ : ١ . إنهم سوف « **يجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم** » . وعندما يبتدىء يكمل . كل تلك التعاليم الفاسدة ، والعبادات العاطلة ، والممارسات الباطلة ، التى سببت العثرات ، وأساءت للكنيسة ، واعثرت ضمائر الكثيرين ، سوف يشجعها الديان العادل فى ذلك اليوم ، وتتلاشى « بظهور مجيئه » ٢ تس ٢ : ٨ ، سوف يحترق كل الخشب والعشب والغش ١ كو ٣ : ١٢ . وعندئذ و يل لفاعلى الإثم ، الذين يتجرون به ، و يصرون عليه . ليس فقط من يكونون فى نهاية ملك المسيح على الأرض ، بل فى كل الأجيال . ولعل ما ورد هنا يشير الى ما جاء فى صف ١ : ٣ « أنزع المعاثر مع الأشرار » .

[٢] وعندئذ يحزمون حزما ع ٣٠ « **اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزما** » سوف يجمع معا فى ذلك اليوم كل الخطاة الذين على شاكلة بعضهم بعضا . سوف يكون هنالك حزمة من الملحدين ، وحزمة من النهمين ، وحزمة من المضطهدين ، وحزمة كبيرة من المرائين . إن من اشتركوا معا فى الخطية سيشتركون فى الخزى والعار والآلام ، وهذا مما يز يد فى شقائهم ، كما أن شركة القديسين المجدين سوف تز يد فى سعادتهم . فلنصل كما صلى داود : يارب لا تجمع مع الخطاة نفسى » مز ٢٦ : ٩ . بل لتكن « محزومة فى حزمة الحياة مع الرب الهنا » ١ صم ٢٥ : ٢٩ .

[٣] ومن ثم « **يطرحونهم فى أتون النار** » وهكذا تكون نهاية الأشرار ، فعلة الإثم ، الذين هم فى الكنيسة كالزوان فى الحقل ، إنهم لا يصلحون لشىء سوى النار . اليها يذهبون ، لانها أليق مكان لهم .

(ملاحظة) إن جهنم أتون نار ، تشتعل بغضب الله ، وتظل مشتعلة بما يلقى فيها من حزم الزوان ، التى تظل مشتعلة ابداً دون أن تتلاشى .

وهنا يخرج من دائرة التشبيه الى وصف تلك الالام المعدة للأشرار « **وهناك يكون البكاء وصرير الأسنان** » آلام بلا راحة ، وغضب بلا رحمة ، ومصائب بلا شفاء ــ هذا هو القصاص الذى لا نهاية له المعين لنفوس الأشرار . فإذ نحن عالمون هذه الأهوال فلنقتنع بأن نكف عن عمل الإثم ٢ كو ٥ : ١١

(٩) والسماء هى المخازن التى تجمع فيها حنطة الله فى يوم الحصاد « أما الحنطة فاجمعوها الى مخزنى » هذا ما قيل فى المثل ع ٣٠ .

(ملاحظات) ــ (الأولى) إن الصالحين هم الحنطة فى حقل هذا العالم ، أثمن ما فى الحقل (الثانية) وهذه الحنطة سوف تجمع قريبا ، تجمع من وسط الزوان والأعشاب ، سوف يجمع الجميع فى محفل عظيم ، كلى قديسى العهد القديم ، وكل قديسى العهد الجديد دون أن يفقد احد « اجمعوا الى أتقيائى » مز ٥٠ : ٥ (الثالثة) وكل حنطة الله سوف تستقر معا فى مخازن الله . سوف تسكن نفوس مخصوصة معاً عند الموت مثل كدس ([1]) القمح (أى ٥ : ٢٦) أما التجمع العام فسيكون فى انتهاء الزمان ، سوف تجمع معاً حنطة الله ولا يبقى بعد منها شيء مبعثر . سوف تجمع الحنطة ولا تبقى بعد معرضة للرياح أوعوامل الجو المختلفة ، للخطية والأحزان والآلام . لا تبقى بعد بعيدة فى الحقل ، بل قريبة فى المخازن . نعم إن السماء « مخزن » مت ٣ : ١٢ فيه لا تفرز الحنطة من زوان المعاشرات الردية فحسب بل أيضاً تنقى من تبن فسادها الشخصى .

وفى تفسير المثل نرى هذه الحقيقة الرائعة ع ٤٣ » **حينئذيضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم** » .

أ ــ إن مجدهم الحاضر هو أن الله ابوهم « الآن نحن أولاد الله » (١ يو ٣ : ٢) « وأبونا الذى فى السموات » هوملك هناك . عندما صعد المسيح إلى السماء صعد الى ابيه وأبينا يو ٢٠ : ١٧ . هى بيت أبينا ، بل قصر أبينا ، عرشه رؤ ٣ : ٢١

ب ــ والمجد المحفوظ لهم هو أنهم سوف « يضيئون كالشمس فى ذلك الملكوت » . انهم هنا متوارون ومختبئون ومستترون كو ٣ : ٣ ، جمالهم يحجبه فقرهم . وحالتهم الظاهرية الوضيعة تغطى عليهم ضعفاتهم والتعييرات التى تلصق بهم . أما حينئذ فانهم يضيئون كالشمس من خلف الغيمة القاتمة . عند الموت يضيئون لأنفسهم ، وفى اليوم العظيم يضيئون جهاراً أمام كل العالم ، تصير أجسادهم « على صورة جسد مجد » المسيح ، يضيئون بالانعكاس ، بنور مستمد من مصدر

---

(١) الكدس الحب المحصود المجموع كالقمح

النور، سوف يتكلل تقديسهم و يعلن تبر يرهم ، سوف يعترف بهم الله أبناء له و يفتح سجل كل خدماتهم وآلامهم من أجل اسمه . سوف يضيئون كالشمس أمجد كل الكائنات المنظورة . شبه مجد القديسين فى العهد القديم بضياء الجلد والكواكب دا ١٢ : ٣ أما هنا فيشبه بضياء الشمس ، لأن الحياة والخلود قد ازدادتا نوراً بالانجيل أكثر مما كانا فى عهد الناموس . إن الذين يضيئون كأنوار فى هذا العالم لكى يتمجد الله سوف يضيئون كالشمس فى العالم الآخر لكى يتمجدوا هم أنفسهم .

وهنا يختم ربنا حديثه — كالسابق — بدعوة للانتباه « **من له أذنان للسمع فليسمع** » هذه أمور تقضى سعادتنا سماعها ، و يقضى واجبنا الأصغاء اليها .

(ثالثا) وهنا نجد مثل حبة الخردل ع ٣١ و٣٢ . والغرض من هذا المثل أن يبين بأن بداءة الانجيل تكون صغيرة ولكن نهايته الأخيرة عظيمة جداً . بهذه الطريقة تقوم فى العالم كنيسة العهد الجديد ، ملكوت الله بيننا ، وبهذه الطريقة تعمل النعمة فى القلب ، ملكوت الله فى داخلنا ، فى أشخاص معينين .

والآن لنلاحظ الآتى بخصوص عمل الانجيل :

١ — إنه بصفة عامة ضعيف وصغير فى البداية ، مثل « **حبة خردل ... وهى أصغر جميع البذور** » . كانت تبدو مملكة المسيا — التى كانت وقتئذ فى دور التكوين — صغيرة جداً ، فالمسيح وتلاميذه كانوا يبدون بالنسبة لعظمة العالم « كحبة خردل » ، كأنهم « ضعفاء العالم » . فنى اماكن معينة يكون بزوغ نور الانجيل كالفجر ، وفى نفوس معينة يكون فى البداية « كيوم الأمور الصغيرة » كقصبة مرضوضة . والمؤمنون الجدد كالحملان الرخصة التى يجب أن يحملها الراعى فى حضنة أش ٤٠ : ١١ . قد يكون هنالك إيمان قليل ولكن به « نقائص » كثيرة (١ تس ٣ : ١٠) . والأنات التى لا ينطق بها قد تكون قليلة . قد تكون هنالك بداية للحياة الروحية مع بعض النشاط ولكن يندر أن يلاحظ

٢ — ولكنه مع ذلك فى نمو مستمر . لقد تأصلت مملكة المسيح بشكل عجيب ، وانضم اليها الكثيرون ، وولدت فيها أمم حالا رغم المقاومات التى لقيتها من الجحيم ومن الأرض . حيث وجدت النعمة الحقيقية فى أى نفس فانها لابد أن تنمو ، ولو بطريقة غير محسوسة . فحبة الحنطة صغيرة ، ولكنها مع ذلك بذرة لها طبيعة النمو . والنعمة سوف تتأصل وتزداد ضياء أم ٤ : ١٨ . والعادات الطيبة سوف تتثبت ، والمعرفة تزداد استنارة ، والايمان يزداد توطيداً ، والمحبة تزداد التهاباً . هذا هو نمو البذار .

٣ — وأخيراً يصل الى درجة عظيمة من القوة والنفع : « **متى نمت** » الى حد النضوج

« **تصير شجرة** » عظيمة جداً . لقد أصلت الكنيسة أصولها ككرمة نقلت من مصر « **فلأت الأرض** » مز ٨٠ : ٨ — ١١ . والكنيسة تشبه شجرة عظيمة تتآوى فيها طيور السماء ، فيلجأ اليها شعب الله لينالوا منها طعاما وراحة ، وظلا وملجأ . لما تكون مبادىء النعمة حقيقية فانها فى بعض الأشخاص تدوم وتتكمل أخيراً . والنعمة لما تنمو تصبح قوية وتأتى بأعظم النتائج . والمسيحيون الذين ينمون فى النعمة يجب أن يطمعوا بأن يكونوا نافعين للآخرين كما تصير حبة الخردل نافعة للطيور عندما تنمو ، لكى يزداد انتفاع الذين يعيشون قرب ظلهم أو تحته . هو ١٤ : ٧

(رابعا) وهنا نجد مثل الخميرة ع ٣٣ . والغرض من هذا المثل يشبه تماماً ما قصد بالمثل السابق ، وهو أن يبين بأن الانجيل يجب أن يسود وأن ينجح تدريجياً ، ولكن بهدوء ودون أن يشعر أحد . فتعاليم الانجيل كالخميرة وتعمل كالخميرة فى قلوب الذين يقبلونها « **يشبه ملكوت السموات خميرة** » .

١ — « **اخذتها امرأة** » كانت من صنعها . إن الخدام يستخدمون فى تخمير الأمكنة بالانجيل وتخمير النفوس . المرأة هى الإناء الأضعف ، ولنا هذا الكنز فى مثل هذه الانية .

٢ — « **وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق** » القلب كالدقيق ناعم ولين ، والقلب الرقيق هو الذى ينتفع بالكلمة . إن وضعت الخميرة وسط القمح دون طحنه لا تعمل أى عمل ، والانجيل فى النفوس التى لم تتضع ولم تنسحق من اجل الخطية لا يعمل عملا ما . الناموس يطحن القلب وبعد ذلك يخمره الانجيل .

« **ثلاثة أكيال دقيق** » أى كمية وافرة ، فان « خميرة صغيرة تخمر العجين كله » .

والدقيق يجب أن يعجن قبل وضع الخميرة . وكما أن قلوبنا يجب تنسحق فانها يجب أن تبتل بالماء ، و يبذل معها بعض الجهود لاعدادها للكلمة حتى تعمل عملها فيها .

والخميرة يجب أن تخبأ فى القلب مز ١١٩ : ١١ ، لا للاحتفاظ بسريتها (لأنها لابد أن تظهر) بقدر ما هو لضمان بقائها . يجب أن تكون الكلمة موضوع تفكيرنا الداخلى وتأملاتنا العميقة ، يجب أن نحفظها فى قلوبنا كما كانت تحفظ مريم أقوال المسيح فى قلبها لو ٢ : ٥١

لما تخبىء المرأة الخميرة فى الدقيق فان القصد من ذلك هو أن تنقل للدقيق مذاقها وخواصها . هكذا يجب أن نكتنز الكلمة فى نفوسنا لكى نتقدس بها يو ١٧ : ١٧

٣ — وإذ تخبأ الخميرة فى العجين فانها تعمل عملها فيه ، إنها تخمره . « كلمة الله حية وفعالة » عب ٤ : ١٢ . والخميرة تعمل بسرعة هكذا تعمل الكلمة ، وإن كان تدريجياً . لقد

عملت عباءة إيليا تغييراً « مفاجئاً » فى اليشع ١ مل ١٩ : ٢٠ وهى تعمل بهدوء ودون أن يشعر أحد (ملا ٤ : ٢٦) ومع ذلك فهى تعمل بقوة لا تقاوم . وهى تعمل عملها بدون ضوضاء ، لأن هذه، هى طريقة الروح القدس (١) ، ولكنها تعمله يقيناً . خبيء الخميرة فى العجين وعندئذ يعجز العالم كله عن تعطيلها من أن تنقل اليه مذاقها وخواصها ، ومع ذلك لا يرى احد كيف تتم عملها ، انما يختمر العجين كله تدريجياً .

(١) هذا ما حصل فى العالم . فان الرسل بتعاليمهم خبأوا خميرة صغيرة وسط العالم الفسيح الأرجاء فكانت لها نتيجة عجيبة . لقد خمرت المسكونة وفتنتها ، أو « قلبتها رأساً على عقب » (كبعض الترجمات) أع ١٧ : ٦ ، و بالتدريج أحدثت تغييراً عجيباً فى مذاقه وخواصه وأذيع الانجيل فى كل مكان ٢ كو ٢ : ١٤ ، رو ١٥ : ١٩ . هكذا كانت هذه الخميرة فعالة لا بالقوة الظاهرة ، ولذلك لم تفعل بالقوة التى يمكن مقاومتها وغلبتها ، بل بروح رب الجنود الذى لن تستطيع أن تقف أمامه أية قوة فى الوجود .

(٢) وهذا ما يحصل فى القلب . فانه عندما يأتى الانجيل للنفس :

[١] يحدث تغييراً عجيبا ، لا فى المادة ، لأن العجين يبقى كما هو، بل فى الصفات . يجعلنا نظهر بغير ما اعتدنا الظهور به ، ويجعل الأشياء تبدو أمامنا خلاف ما اعتادت الظهور به . رو ٨ : ٥

[٢] ويحدث تغييراً عاماً . يبعث تأثيره فى كل قوى النفس ومواهبها ، و يغير حتى اختصاصات أعضاء الجسد . رو ٦ : ١٣

[٣] وهذا التغيير يجعل النفس تشترك فى طبيعة الكلمة كما يشترك العجين فى طبيعة الخميرة . إننا نسلم للكلمة كأننا نصاغ فيها رو ٦ : ١٧ نتغير الى الصورة عينها ٢ كو ٣ : ١٨ كأثر الختم على الشمع . يقدم لنا الانجيل رائحة الله والمسيح والنعمة المجانية والعالم الآخر، وهذه تشتمها النفس . هو كلمة الايمان والتوبة والقداسة والمحبة ، وهذه تبعثها الكلمة فى النفس . هذه الرائحة تقدم الينا دون أن يشعر بها أحد لأن حياتنا مستترة ، وتوهب الينا دون إمكان فصلها لأن النعمة نصيب صالح لن ينزع ممن توهب لهم . عندما يختمر العجين يرسل الى الفرن مع الخميرة . إن المتاعب والضيقات والمصائب تقترن عادة بهذا التغيير، ولكن القديسين يصيرون بها أهلا لأن يكونوا خبزاً لمائدة سيدنا .

---

(١)جا ١١ : ٥ « لست تعلم ما هى طريق الريح » أو « الروح » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانجليزية .

٤٤ ــ أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفى فى حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل .

٤٥ ــ أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة ٤٦ ــ فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها .

٤٧ ــ أيضاً يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع ٤٨ ــ فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية . وأما الأردياء فطرحوها خارجاً ٤٩ ــ هكذا يكون فى انقضاء العالم . يخرج الملائكة و يفرزون الأشرار من بين الابرار ٥٠ ــ و يطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الاسنان .

٥١ ــ قال لهم يسوع أفهمتم هذا كله . قالوا نعم ياسيد ٥٢ ــ فقال لهم . من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء .

فى هذه الآيات نجد أربعة أمثلة قصيرة : ــ

(الأول) مثل الكنز المخفى فى حقل . حتى الآن كان يشبه ملكوت السموات بأشياء صغيرة لأن بدايته صغيرة ، ولكن لئلا يتخذ أحد الفرصة من هذه فينظر باحتقار اليه نراه يصفه فى هذا المثل والذى يليه بأنه عظيم القيمة فى حد ذاته وعظيم النفع للذين يقبلونه و يكونون مستعدين للسير حسب مقتضياته . هنا يقول عنه انه « **يشبه كنزاً مخفى فى حقل** » يمكن أن يكون لنا إن أردنا

١ ــ إن يسوع المسيح هو الكنز الحقيقى . فيه نجد وفرة من كل ما هو نفيس ونافع ، مما يمكن أن يكون نصيباً لنا . « كل الملء » (كو ١ : ١٩ ، يو ١ : ١٦) ، « كنوز الحكمة والعلم »

كو ٢ : ٣ ، كنوز البر والنعمة والسلام ، هذه مكتنزة لنا فى المسيح ، فان اتخذناه لنا نصيباً كانت هذه كلها لنا نصيباً

٢ ـــ والانجيل هو الحقل المخفى فيه هذا الكنز. هو مخفى فى كلمة الانجيل ، فى انجيل العهد القديم وانجيل العهد الجديد . هو مخفى فى فرائض الانجيل كما أن اللبن مخفى فى الثدى ، والنخاع فى العظام ، والمن فى الندى ، والماء فى البئر (أش ١٢ : ٣) . إنه ليس مخفى فى جنة مغلقة أو ينبوع مقفل بل فى حقل ، فى حقل مكشوف . كل من يرد فليأت وليفتش الكتب ، وليحفر فى هذا الحقل (أم ٢ : ٤) . وكل ما وجدناه من مناجم غنية فهو لنا ان سلكنا الطريق المستقيم

٣ ـــ إنه لأمر عظيم جداً أن نكتشف الكنز المخفى فى هذا الحقل ونقدر قيمته التى لا يعبر عنها . إن السبب فى أن الكثيرين يحتقرون الانجيل ، ولا يقبلون ما يتطلبه من نفقة واخطار هو لأنهم ينظرون فقط إلى سطح الحقل ، ويحكمون بموجب ما يرون ، ولذلك فانهم لا يرون شيئاً من السمو فى التعاليم المسيحية أسمى من تعاليم الفلاسفة . فأثمن الكنوز توجد فى باطن الأرض التى تبدو أكثر جدباً . ولذلك فانهم لا يرغبون فى الأرض ، بل لا يريدون أن يتكبدوا ما تتطلبه من نفقة . « ما حبيبك من حبيب (١) » نش ٥ : ٩ . بماذا يفضل الكتاب المقدس عن أى كتاب آخر؟ بماذا يفضل انجيل المسيح عن فلسفة أفلاطون أو تعاليم كونفوشيوس ؟ على أن الذين « فتشوا الكتب » ليجدوا فيها المسيح « والحياة الأبدية » يو ٥ : ٣٩ قد اكتشفوا فى هذا الحقل كنوزاً جعلته أثمن كثيراً جداً

٤ـــ والذين يرون هذا الكنز فى الحقل ، و يقدرون قيمته ، لا يهدأ لهم بال أبداً حتى يحصلوا عليه بأى ثمن . فان الذى وجد هذا الكنز « أخفاه » وهذا يدل على غيرة مقدسة لئلا يجيب منه عب ٤ : ١ . فلنحرص كل الحرص ولنلاحظ (عب ١٢ : ١٥) لئلا يحول الشيطان بيننا و بينه .

إنه يفرح به حتى قبل اتمام الشراء « **ومن فرحه مضى** » . و يفرح لوجود صفقة كهذه ، ولأنه فى حالة تمكنه من طلب يسوع . « لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب » مز ١٠٥ : ٣

و يعتزم شراء الحقل « **واشترى ذلك الحقل** » إن الذين يرحبون بما يعرضه الانجيل و يقبلون شروطه يشترون هذا الحقل ، يجعلونه ملكاً لهم من أجل الكنز غير المنظور الذى فيه . لتتجه

---

(١) « ماذا يزيد حبيبك عن اى حبيب آخر » حسب الترجمة الانكليزية ، أو « ما فصل حبيبك على الاحباء » حسب ترجمة اليسوعيين .

أبصارنا إلى المسيح إذ نقرأ الانجيل . لا يقتضى الأمر أن نصعد الى السماء ، فالمسيح قريب منا فى الكلمة .

ولشدة رغبته فيه « **مضى وباع كل ما كان له** » فعلى الذين يريدون الحصول على خلاص المسيح أن يكونوا مستعدين لترك كل شيء لكى يتأكدوا من الحصول عليه ، يجب أن يحسبوا كل شيء خسارة لكى يربحوا المسيح و يوجدوا فيه

(الثانى) مثل « **اللؤلؤة الكثيرة الثمن** » ع ٤٥ و٤٦ وهذا يتفق فى مرماه مع مثل الكنز السابق . وهكذا تكرر الحلم مرتين لأن الأمر مقرر وأكيد . تك ٤١ : ٣٢

(ملاحظات) ١ — كل بنى البشر منشغلون « **بطلب لآلىء حسنة** » . فالواحد يطلب الغنى ، والآخر يطلب الكرامة ، والآخر يطلب العلم . لكن الأغلبية يخدعون و ينشغلون بالأمور الزائفة كأنها لآلىء

٢ — و يسوع المسيح « لؤلؤة كثيرة الثمن » ، لؤلؤة لا تقدر قيمتها ، تجعل من يحصل عليها غنياً ، غنياً حقيقة ، غنيا فيما لله . عندما نحصل عليها يكون لدينا ما يكفى ليجعلنا سعداء ، هنا وإلى الأبد .

٣ — والمسيحى الحقيقى « **تاجر** » روحى ، يطلب ويجد هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، لا يقنع بأى شيء إلا بطلب يسوع والتلذذ بعشرته ، يتوسع فى تجارته معتزماً أن يكون غنيا روحيا .

« **مضى واشتراها** » لم يفكر فقط فى شرائها ، بل اشتراها فعلا . ماذا ننتفع من معرفة المسيح ان كنا لا نعرفه ملكا لنا ، ان لم يصر لنا حكمة ١ كو ١ : ٣٠

٤ — وعلى الذين يريدون الحصول على خلاص المسيح أن يكونوا مستعدين لتضحية كل شيء من أجله ، وترك كل شيء لا تباعه . كل ما يتعارض مع المسيح أو لا يتفق مع محبتنا له وخدمتنا إياه يجب أن نتركه بسرور ، مهما كان عزيزاً علينا . قد يشترى المرء ذهبا بثمن غال جداً ، ومع ذلك لا يشترى هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن .

(الثالث) مثل « **الشبكة المطروحة فى البحر** » ع ٤٧ — ٤٩

١ — فى هذا المثل نلاحظ :

(١) إن العالم أشبه ببحر متسع ، وإن بنى البشر أشبه « بدبابات بلا عدد . صغار حيوان

مع كبار» في ذلك البحر مز ١٠٤ : ٢٥ . والبشر في حالتهم الطبيعية « كسمك البحر كدبابات لا سلطان لها » حب ١ : ١٤ .

(٢) والكرازة بالانجيل أشبه بطرح الشبكة في البحر لاصطياد شيء منه لمجد ذاك الذى له السلطان على البحر. والخدام هم « صيادو الناس » الذين يستخدمون لطرح هذه الشبكة وجذبها . وعندما يلقون الشبكة على كلمة المسيح فانهم حينئذ يفلحون . وإلا فصيرهم الفشل « تعبنا ولم نمسك شيئا » .

(٣) وهذه الشبكة « **جامعة من كل نوع** » كما يحصل عادة عند طرح الشباك الكبيرة في البحر. في الكنيسة المنظورة توجد الأسماك كما توجد الأعشاب والأقذار.

(٤) يأتي وقت تمتلىء فيه هذه الشبكة وتجذب الى الشاطىء « **فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء** » يأتي وقت يتمم الانجيل الغاية التى أرسل من أجلها ، ونحن واثقون أنه لن يرجع فارغا أش ٥٥ : ١٠ و١١ . إن الشبكة في دور الامتلاء الآن . وهي في بعض الأحيان تمسك سمكا أسرع من بعض الأوقات الأخرى ، ولكنها على أي حال لا زالت في دور الامتلاء وستجذب الى الشاطىء عندما « يتم سر الله » رؤ ١٠ : ٧ .

(٥) وعند امتلاء الشبكة واصعادها الى الشاطىء تتم عملية الفرز بين الجياد والأردياء التي جمعت فيها « فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء **وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية . وأما الأردياء فطرحوها خارجا** » عندئذ يفرز بين المسيحيين المرائين والمسيحيين الحقيقيين . يجمع الجياد الى أوعية ، كشيء ثمين ، ولذلك يحفظون بكل حرص ، أما الأردياء فيطرحون خارجا ، كشيء غث هزيل رذيل لا قيمة له ، ولا نفع ، وبئست هى حالة من يطرحون خارجا في ذلك اليوم . طالما كانت الشبكة في البحر فلا يعرف ما فيها ، والصيادون أنفسهم لا يعرفون ، ولكنهم يخرجونها بكل حرص بما فيها من أجل الجياد التي فيها ، هكذا عناية الله من أجل الكنيسة المنظورة ، وهكذا يجب أن تكون عناية خدام الله بالنفوس التى عهدت اليهم ولو اختلطت .

٢ ـ وهنا نجد تفسير الجزء الأخير من المثل ، أما الجزء الأول فهو واضح كل الوضوح إذ أننا نرى الكنيسة المنظورة « **جامعة من كل نوع** » . أما الجزء الأخير فيشير إلى المستقبل ولذلك فهو يفسر بأكثر تدقيق ع ٤٩ و٥٠ « **هكذا يكون في انقضاء العالم** » عندئذ ، وعندئذ فقط يكون يوم الفرز والكشف . يجب أن لا نتوقع أن يكون ما في الشبكة سمكاً جيداً . هذا سيكون حال الأوعية ، أما الشبكة فالسمك فيها مختلط . لاحظ هنا :

(١) تمييز الأشرار من الأبرار. يخرج ملائكة السماء ليفعلوا ما لم يستطع فعله ملائكة

الكنائس « **يفرزون الأشرار من بين الأبرار** » . ولا داعى للسؤال عن كيفية الفرز طالما كانوا قد تلقوا المهمة والتعليمات من ذاك الذى يعرف كل البشر ، و يعرف بنوع خاص الذين هم له والذين ليسوا له ، و يكفى أن نكون واثقين انه لن يحصل خطأ أو تعثر فى أية ناحية من الناحيتين .

(٢) مصير الأشرار عندما يفرزون على هذا النحو « **يطرحونهم فى أتون النار** »

(ملاحظة) إن الشفاء الأبدى سوف يكون يقيناً نصيب من يعيشون بين المقدسين ولكنهم شخصيا يموتون غير مقدسين

هذا نفس ما سبق أن رأيناه فى ع ٤٢

(ملاحظة) إن المسيح نفسه طالما تحدث عن عذاب الجحيم كقصاص أبدى للمرائين . وما أحوجنا لمن يذكرنا مراراً وتكراراً بهذه الحقيقة المنبهة

(الرابع) وهنا مثل رب البيت الصالح ، وقد قصد به تدعيم سائر الأمثلة

١ ــ كانت المناسبة التى ذكر فيها المثل هى المهارة التى أبداها التلاميذ فى التعلم ، واستفادتهم من هذه العظة بصفة خاصة

(١) فقد سألهم « **أفهمتم هذا كله** » وهذا يتضمن بأنهم إن لم يكونوا قد فهموا لكان هو مستعداً لتفهيمهم ما لم يفهموه

(ملاحظة) يريد المسيح من كل من يقرأون و يسمعون الكلمة أن يفهموها ، لأنهم كيف يمكن أن ينتفعوا بها بغير ذلك . لهذا فمن النافع لنا عندما نقرأ أو نسمع الكلمة أن نمتحن ذواتنا أو نمتحن لمعرفة ما إذا كنا قد فهمناها . وليس تحقيراً لتلاميذ المسيح أن يعلموا . والمسيح يدعونا لنتعلم منه ، وعلى الخدام أن يساعدوا كل من يريد أن يوجه أى سؤال عما سمع

(٢) وهم أجابوه « **نعم ياسيد** » . وعندنا ما يبعث على الاعتقاد بأنهم قالوا الصدق ، لأنهم عندما لم يفهموا طلبوا التفسير ع ٣٦ . وقد كان تفسير ذلك المثل مفتاحاً لبقية الأمثلة

(ملاحظة) إن إجادة فهم عظة جيدة واحدة يساعدنا على فهم غيرها ، لأن الحقائق النافعة تفسر بعضها بعضاً « والمعرفة هينة للفهيم » أم ١٤ : ٦

٢ ــ أما غاية المثل فكانت امتداح هذه المهارة .

(ملاحظة) إن المسيح مستعد لتشجيع كل تلميذ فى مدرسته راغب فى التعليم ، مهما كان ضعيفاً ، ومستعد أن يسمعه القول : نعم ما فعلت وما قلت

(١) إنه يمتدحهم كأن كلا منهم «كاتب متعلم فى ملكوت السموات» كان التلاميذ وقتئذ يتعلمون لكي يعلموا ، وكان المعلمون بين اليهود هم الكتبة . فعزرا الذى « هيأ قلبه ليعلم اسرائيل » قيل عنه بأنه « كاتب ماهر» عز ٧ : ٦ و ١٠ وخادم الانجيل الحكيم الأمين الآن يدعى كاتبا أيضا ، ولكنه للتمييز يدعى « كاتبا متعلما فى ملكوت السموات » ، خبيراً بحقائق الانجيل وقديراً على تعليمها .

(ملاحظتان) ــ (الأولى) إن الذين تقتضى وظيفتهم تعليم غيرهم هم فى حاجة أن يكونوا متعلمين تعلما طيبا . وإن كانت شفتا الكاهن تحفظان معرفة فان عقله يجب أولا أن يمتلىء معرفة (الثانية) وتعليم خادم الانجيل يجب أن يكون « فى ملكوت السموات » الذى يجب أن ينحصر فيه اهتمامه . قد يكون المرء فيلسوفا قديراً وسياسيا محنكا ، ولكنه إن لم يكن متعلما فى ملكوت السموات صار خادما عاطلا

(٢) و يشبههم برب بيت صالح « يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » ثمار العام الماضى والعام الحاضر ، وفرة من كل نوع ، لاستمتاع أصدقائه نش ٧ : ١٣ . لاحظ هنا :

[١] ماذا يجب أن تكون بضاعة الخادم : كنوز جديدة وعتيقة . إن الذين لديهم فرص كثيرة ومختلفة يحتاجون أن يدخروا لأنفسهم ــ فى أيام ادخارهم ــ من الحقائق الجديدة والعتيقة ، من العهد القديم والعهد الجديد ، من العلوم القديمة والعلوم العصرية ، « لكى يكون انسان الله كاملا متأهباً » ٢ تى ٣ : ١٦ و ١٧ . إن كلا من الاختبارات القديمة والملاحظات الحديثة نافعة ، ويجب أن لا نقنع بملاحظاتنا القديمة بل أن نضيف اليها أيضا الجديد . من يعش يتعلم .

[٢] كيف يجب أن يستخدمها . يجب أن « يخرج » منها . فالادخار يجب أن يكون للاخراج ، لفائدة الآخرين . يقول المثل اللاتينى « إن كنت تدخر فيجب أن لا يكون لنفسك » . كثيرون ممتلئون ولكنهم لم يفتحوا كنوزهم (أى ٣٢ : ١٩) ، لهم وزنات ولكنهم دفنوها . أمثال هؤلاء هم عبيد بطالون . وإن كان المسيح نفسه أخذ لكى يعطى فحرى بنا نحن أيضا ، وعندئذ يزاد لنا . وعندما « نخرج » فان الجدد والعتقاء تصلح مجتمعة ، الحقائق القديمة ولكن بطرق جديدة وتعبيرات جديدة ، و بصفة خاصة بعواطف جديدة

٥٣ ــ ولما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك ٥٤ ــ ولما

جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ٥٥ ــ أليس هذا ابن النجار. أليست أمه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ٥٦ ــ أو ليست اخواته جميعهن عندنا. فمن أين لهذا هذه كلها ٥٧ ــ فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ٥٨ ــ ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم

هنا نرى يسوع فى وطنه. كان يجول يصنع خيراً، ومع ذلك لم يترك مكاناً حتى يكمل فيه شهادته. لقد رفضه أهل وطنه مرة ولكنه يعود اليهم مرة اخرى

(ملاحظة) المسيح لا يأخذ رافضيه بكلمتهم الأولى بل يكرر نداءاته لمن طالما رفضوها.

وفى هذه الناحية ــ كما فى غيرها ــ يشبه المسيح اخوته، فقد كانت له محبة طبيعية نحو وطنه. قال سنيكا « كل واحد يحب وطنه، ليس لأنه جميل بل لأنه وطنه ». أما المعاملة التى لقيها هذه المرة فكانت كسابقتها تماماً باحتقار واستهزاء. لاحظ هنا :

(أولا) كيف عبروا عن احتقارهم له. عندما « **كان يعلمهم فى مجمعهم بهتوا** ». ليس لأنهم تأثروا من التعليم فى حد ذاته، أو أعجبوا به، بل انهم تعجبوا أن يكون هذا هو تعليمه، معتقدين بأنه غير جدير بهذا التعليم. هنا نراهم يعيرونه بأمرين :

١ ــ عدم تهذيبه تهذيبا مدرسيا. لقد اعترفوا بأنه كانت لديه حكمة وعمل أعمالا عظيمة، ولكن السؤال كان هذا « **من أين لهذا هذه الحكمة والقوات** »، لأنهم كانوا يعلمون أنه لم ينشأ عند أقدام معلميهم، ولم يدخل مدرسة أو جامعة قط، ولم يحصل على أية درجة جامعية، ولم يدع من الناس « سيدى سيدى ».

(ملاحظة) تميل النفوس الوضيعة المتحاملة أن تحكم على الناس من ثقافتهم وتتساءل عن أصلهم لا عن عقولهم

« من أين لهذا هذه القوات » هل أتى بها حقاً، ألم يتعلم السحر والشعوذة ؟ وهكذا عكسوا الآية فنظروا إلى ما كان يجب أن يكون موضع فخر له وجعلوه موضع نقد. لأنهم لو لم يتعمدوا أن يكونوا عميانا لأستنتجوا بأن ذاك الذى قدم هذه الأدلة عن الحكمة والقوات غير

العادية دون أن يكون متعلما لابد أن يكون قد أتاها بقوة إلهية

٢ ــ وضاعة وفقر أقربائه ع ٥٥ و٥٦

(١) إنهم عيروه بأبيه . « **أليس هذا ابن النجار** » . نعم هذا ما عرف به ، وأى ضرر في هذا . إنه لا يحقره أن ينتسب الى صانع شريف . إنهم لم يذكروا (ولو أنهم ربما عرفوا ذلك) أن هذا النجار كان « من بيت داود » لو١ : ٢٧ وأنه « ابن داود » مت ١ : ٢٠ . فمع انه كان نجاراً إلا انه كان انسانا من بيت كريم . إن الذين يريدون أن يتصيدوا أسباب النزاع يتغاضون عن النواحى الشريفة والسامية و يثبتون أنظارهم فقط فيما قد يبدو محقراً . إن بعض النفوس الخسيسة لا يعتبرون أى غصن إن لم يكن أسمى غصن فى قمة الشجرة حتى إن كان الغصن من أصل يسى (أش ١١ : ١)

(٢) وعيروره بأمه . وأى شر يستطيعون أن يلصقوه بها . نعم لقد كانت « **تدعى مريم** » وهذا كان اسماً عادياً جداً ، وكلهم عرفوها ، وعرفوا انها سيدة من أحد بيوت عامة الشعب ولم تكن من بيت أحد العظماء أو تحمل لقب إحدى العظيمات ، بل كان اسمها مجرد « مريم » . وهذا صار سبب تعيير له ، كأن الناس لا تقدر قيمتهم إلا بالألقاب والأحساب ، وهى أمور ما أتفهها لقياس قيمة المرء الحقيقية .

(٣) وعيروه باخوته الذين كانوا يعرفون أسماءهم « **يعقوب و يوسى وسمعان ويهوذا** » وهؤلاء ولو انهم كانوا صالحين إلا أنهم كانوا فقراء ، ولذلك احتقروهم ، واعتبروا المسيح محتقراً بسببهم . كان هؤلاء على الأرجح أبناء يوسف من زوجة سابقة (١) ، أو أن لهم قرابة أخرى به فتربوا معه فى نفس الأسرة . ولذلك فاننا لا نجد شيئاً فى الكتاب بصفة خاصة عن دعوة الثلاثة من هؤلاء الذين كانوا من الاثنى عشر (أى يعقوب وسمعان ويهوذا الذى هو تداوس) ، لأنهم لم يكونوا فى حاجة الى دعوة صريحة للتعرف بالمسيح الذى كان زميلهم منذ الصبا

(٤) وأيضاً « **أو ليست أخواته جميعهن عندنا** » . كان يجب أن يزدادوا حباً وتقديراً له لأنه كان واحداً منهم ، ولكنهم احتقروه لهذا السبب . لقد « عثروا به » اصطدموا بصخور العثرة هذه ، لأنه وضع « كعلامة تقاوم » لو٢ : ٣٤ ، أش ٨ : ١٤

(ثانيا) وانظر كيف استنكر هذه المعاملة ع ٥٧ و٥٨

١ ــ إنها لم تشغل قلبه . لم يبال بها كثيراً إذ أنه عاش على الأرض « مستهيناً بالخزى » عب ١٢ : ٢ . و بدلا من أن يجسم الاهانة ، أو يعبر عن استيائه الشديد منها ، أو يرد على اتهاماتهم

الحمقاء بما يستحقونه ، نجده يعزوها بكل هدوء إلى طبع بنى البشر العادى وعادتهم فى أن يقللوا من شأن الأمور السامية جداً أن كانت رخيصة ومألوفة . هذه هى العادة المألوفة بين الجميع **« ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه »**

(ملاحظتان) ــ (الأولى) يجب أن تقدم الكرامة للأنبياء من الجميع ، فرجال الله رجال عظماء ، ورجال كرامة ، و يستحقون الإكرام والتوقير. وإن كان الأنبياء لا ينالون كرامة كان هذا أمراً غريباً حقاً . (الثانية) و بالرغم من هذا فانهم أقل احتراماً وتوقيراً فى وطنهم ، بل أكثر عرضة للحسد أحياناً . فكل ما هو مألوف محتقر

٢ ــ وكانت نتيجتها انها منعته وقتياً عن متابعة قواته **« ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم »**

(ملاحظة) إن عدم الايمان هو أكبر عائق لنعم المسيح . « عند الله كل شيء مستطاع » مت ١٩ : ٢٦ هذا بصفة عامة ، أما من جهة التخصيص « فكل شيء مستطاع للمؤمن « مر ٩ : ٢٣ . الانجيل هو « قوة الله للخلاص » ولكنه لا يمكن أن يكون كذلك إلا « لكل من يؤمن » رو ١ : ١٦ . لذلك فان كانت لم تصنع فينا « قوات كثيرة » فليس ذلك لنقص فى قوة المسيح أو نعمته بل لعدم توفر الإيمان فينا .

« إنكم بالنعمة مخلصون » هذه إحدى القوات ، ولكن ذلك « بالإيمان » أف ٢ : ٨

الاصحاح الرابع عشر

سبق أن قال يوحنا المعمدان عن المسيح أنه ينبغي أن يزيد وانى أنا أنقص يو٣ : ٣٠ . وهنا نرى كوكب الصباح يتناقص ليختفى ، وشمس البر تتزايد مشرقة نحو نورها الكامل ، هنا نرى :

(١) استشهاد يوحنا : سجنه من أجل أمانته لهيرودس ع ١ ــ ٥ وقطع رأسه إرضاء لهيروديا ع ٦ ــ ١٢ (٢) معجزات المسيح (أ) إشباع خمسة آلاف أتوا إليه ليتعلموا منه وذلك بخمسة أرغفة وسمكتين ع ١٣ ــ ٢١ (ب) سير المسيح على الأمواج فى عاصفة ليذهب إلى تلاميذه ع ٢٢ ــ ٣٣ (ج) شفاء المرضى بمجرد لمس هدب ثوبه ع ٣٤ ــ ٣٦ ــ وهكذا نراه قد خرج ، بل استمر ، غالبا ولكى يغلب ، أو بالحرى شافياً ولكى يشفى .

١ ــ فى ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع ٢
ــ فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك
تعمل به القوات .

٣ ــ فان هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى
سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه ٤ ــ لأن يوحنا كان يقول له
لا يحل أن تكون لك ٥ ــ ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب . لأنه كان
عندهم مثل نبى ٦ ــ ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا فى
الوسط فسرت هيرودس ٧ ــ من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها ٨
ــ فهى إذ كانت قد تلقنت من أمها قالت اعطنى ههنا على طبق رأس
يوحنا المعمدان ٩ ــ فاغتم الملك . ولكن من أجل الاقسام والمتكئين معه
أمر أن يعطى ١٠ ــ فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن ١١ ــ فأحضر
رأسه على طبق ودفع الى الصبية . فجاءت به إلى أمها ١٢ ــ فتقدم
تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه . ثم أتوا وأخبروا يسوع .

هنا نرى رواية استشهاد يوحنا حيث نلاحظ :

(أولا) المناسبة التى من أجلها ذكرت هذه الرواية هنا ع ١ و٢ وفيها نرى :

١ — الوصف الذى قدم إلى هيرودس عن المعجزات التى صنعها يسوع . **« فى ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع** (أو الحاكم الأول للجليل) **خبر يسوع »** (أو صيت يسوع) حسب الترجمة الانكليزية . « فى ذلك الوقت » ، أى حينما احتقره أهل وطنه بسبب ضعته وعدم ظهور مجده ، ابتدأ يذيع صيته لدى البلاط الملكى .

(ملاحظة) إن الله يكرم الذين يحتقرون من أجله ، والانجيل كالبحر ، يكسب فى مكان ما يخسره فى مكان آخر .

كان المسيح وقتئذ يعلم و يصنع المعجزات منذ أكثر من سنتين ، ولكن يبدو أن هيرودس لم يسمع عنه إلا فى ذاك الوقت ، وفى ذاك الوقت فقط سمع عن صيته .

(ملاحظة) من سوء حظ « عظماء هذا الدهر » إنهم فى غالب الأحيان بعيدون عن طريق سماع أفضل الأمور « التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر » ١ كو ٢ : ٨ ، ١ : ٢٦ .

كان تلاميذ المسيح قد أرسلوا وقتئذ إلى الخارج للكرازة وصنع المعجزات باسمه ، وهذا أدى الى انتشار صيته كثيراً جداً ، الأمر الذى كان علامة على انتشار الانجيل بواسطتهم بعد صعوده .

٢ — النتيجة التى استنتجها من هذا ع ٢ **« فقال لغلمانه »** الذين أخبروه بصيت يسوع ، قال لهم بلهجة الواثق **« هذا هو يوحنا المعمدان . قد قام من الأموات »** وإما أن ضمير هيرودس كان خلواً من الروح الصدوقية « لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة » أع ٢٣ : ٨ ، أو أن ضمير هيرودس الاثيم قد تغلب على آرائه فى هذه المرة (كما هى عادة الملحدين) فاستنتج وقتئذ — سواء اعتقد أن هنالك قيامة أموات أم لا — أن « يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات » . لما كان يوحنا حياً « لم يفعل آية واحدة » يو ١٠ : ٤١ ، ولكن هيرودس استنتج أنه إذ قام من الأموات قد لبس قوة أعظم مما كانت له عندما كان حيا . وحسنا فعل إذ تحدث عن القوات التى افترض أنه أجراها ، فهو لم يقل « قواته » بل « تعمل به القوات » . ولاحظ هنا عن هيرودس :

(١) كيف فشل فيما قصده من قطع رأس يوحنا . لقد ظن بأنه إن أتيح له إبعاد هذه الشخصية المقلقة من الطريق استطاع ان يستمر فى خطاياه بلا إزعاج و بلا رقيب . ولكنه لم يكد

يفعل هذا حتى سمع أن يسوع وتلاميذه يكرزون بنفس التعاليم الصافية التى نادى بها يوحنا ، والأكثر من ذلك أن التلاميذ كانوا يؤ يدونها بالمعجزات التى صنعوها باسم سيدهم .

(ملاحظة) قد تكم أفواه خدام الله ، و يسجنون و يبعدون ، و يقتلون ، ولكن كلمة الله لا يمكن أن تداس . الأنبياء لا يحيون إلى الأبد ولكن كلمة الله تبقى إلى الأبد زك ١ : ٥ و٦ . أنظر أيضا ٢ تى ٢ : ٩ . قد يقيم الله احياناً خداما أمناء كثيرين من رماد أحد الخدام . هذا هو الرجاء المتوقع من أشجار الله « إن قطعت » أى ١٤ : ٧ ــ ٩ .

(٢) كيف امتلأ خوفاً بلا مبرر وذلك لمجرد أن ضميره كان ملوثا . وهكذا يصرخ الدم ليس فقط « من الأرض » التى سفك فيها ، بل أيضا من قلب الشخص الذى سفكه ، ويجعله مزعجا لنفسه ولكل من حوله . إن الضمير الملوث يفترض كل شيء مزعج ، ويجذب إلى نفسه كل ما يقترب منه كالدوامة . هكذا نرى أن « الشر يريهرب ولا طارد » (أى دون أن يجد أحد يطارده) أم ٢٨ : ١ . « هناك خافوا خوفا » حيث لا خوف مز ١٤ : ٥ . كان ممكنا لهيرودس بعد استعلام بسيط أن يتبين بأن يسوع هذا كان فى الوجود قبل موت يوحنا المعمدان بوقت طويل ، ولذلك فانه لا يمكن أن يكون هو يوحنا منبعثا من الموت ، و بذا لا يخدع نفسه . ولكن الله بعدل تركه لهذا الخبل .

(٣) كيف انه رغم ذلك تقسى فى شره . لأنه رغم اقتناعه بأن يوحنا كان نبيا ، ومعترفا به من الله ، فانه لم يظهر أقل علامة للندم أو الحزن من أجل خطيته التى ارتكبها بقتله . الشياطين يؤمنون و يقشعرون ولكنهم لا يؤمنون و يتوبون قط .

(ملاحظة) قد يكون هنالك فزع الاقتناع الشديد ولكن لا يوجد التجديد والخلاص .

(ثانيا) الرواية نفسها عن سجن واستشهاد يوحنا . إن هذه الآلام الاستثنائية التى تحملها أول كارز بالانجيل تبين بوضوح أن وثقا وشدائد تنتظر كل من ينادى به . كما مات أول قديس فى العهد القديم شهيداً مات أول خادم فى العهد الجديد شهيداً وإن كان سابق المسيح قد عومل هذه المعاملة فعلى أتباعه أن لا يتوقعوا بأن يلاطفهم العالم و يدللهم . لاحظ هنا :

١ ــ أمانة يوحنا فى توبيخ هيرودس ع ٣ و٤ . كان هيرودس أحد الذين استمعوا إلى يوحنا مر ٦ : ٢٠ ولذلك كان يوحنا أشد جرأة عليه .

(ملاحظة) إن خدام الله ــ وهم بحكم مركزهم ملزمون بأن يو بخوا ــ يجب أن يو بخوا بصفة خاصة أولئك الذين اؤتمنوا عليهم فلا يحملوا لأجلهم خطية (لا ١٩ : ١٧) ، فان لديهم أنسب الفرص لمعالجة أمرهم ، ومنهم يتوقعون كل قبول .

كانت الخطية الخاصة التى وبخه من أجلها تزوجه بامرأة أخيه فيلبس . إنه لم يتزوج بأرملته ، فهذا لم يكن يعتبر جريمة ، بل بزوجته . كان فيلبس وقتئذ حياً ، فاغتصب هيرودس زوجته منه واحتفظ بها لنفسه . هنا نرى مضاعفات للشر: الزنى ، مضاجعة الأهل المحرم الزواج بهن ، علاوة على الإساءة الى فيلبس الذى كانت له إبنة من هذه المرأة . ومما زاد خطيته شناعة أنه كان أخاه ، أخاه من أبيه لا من أمه . أنظر مز ٥٠ : ٢٠

لأجل هذه الخطية وبخه يوحنا ، لا بالإشارات البعيدة أو الغامضة ، بل بعبارات واضحة كل الوضوح « **لا يحل أن تكون لك** » إنه يتهمه بها كخطية . لم يقل « ليس من الكرامة » أو « ليس لائقا » بل « لا يحل » . إن إثم الخطية باعتبارها تعدى الناموس » هو أسوأ ما فيها . كان هذا هو إثم هيرودس ، خطيته المحبوبة ، ولذلك تحدث اليه يوحنا المعمدان عنها بصفة خاصة .

(ملاحظتان ـــ (الأولى) إن ما هو محرم على سائر الشعب بمقتضى ناموس الله محرم أيضا بمقتضى نفس الناموس على الرؤساء والملوك وأعاظم الناس . وعلى حكام البشر أن لا ينسوا بأنهم هم أنفسهم ليسوا إلا بشراً وخاضعين لله . « لا يحل » لك ـــ كما لأحقر شخص من رعاياك ـــ أن تدنس امرأة شخص آخر . ليس هنالك امتياز حتى لأعظم الملوك او الدكتاتوريين أن يتعدوا نواميس الله .

(الثانية) إن كان الولاة والعظماء يتعدون ناموس الله فيليق جداً أن يخبروا بتعديهم على أيدى رجال مستقيمين بطرق مستقيمة . وكما أنهم ليسوا أعلى من أوامر كلمة الله فإنهم كذلك ليسوا أعلى من توبيخات خدامه : صحيح أنه لا يليق أن « يقال للملك يا لئيم » أى ٣٤ : ١٨ أو أن يقال للأخ « رقا » أو « يا أحمق » ، لا يليق أن يقال له هكذا طالما كان فى حدود وظيفته مباشراً عمله . ولكنه يليق بمن من حقهم التوبيخ أن يخبروه بتعديه ، أن يقولوا له « أنت هو الرجل » ، لأنه قيل فى الآية التالية مباشرة (أى ٣٤ : ١٩) إن الله (وما خدامه الأمناء إلا سفراءه ووكلاءه) « لا يحابى بوجوة الرؤساء ولا يعتبر موسعاً (غنيا) دون فقير » .

٢ ـــ سجن يوحنا من أجل أمانته ع ٣ . **فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا** » إذ كان مستمراً فى الكرازة والتعميد ، وضع حداً لخدمته « **وأوثقه وطرحه فى سجن** » لإشباع شهوته فى الانتقام من جهة ، ومن جهة أخرى « **من أجل هيروديا** » لإرضائها ، إذ كانت أكثر حنقاً عليه من هيرودس .

(ملاحظتان) ـــ (الأولى) إن لم تفد التوبيخات الأمينة أثارت الغضب عادة ، إن لم تأت بنتيجة طيبة اعتبرت إهانة ، والذين لا يخضعون أمام التوبيخ يطيرون الى وجه الموبخ و يبغضونه كما كان أخآب يبغض ميخا ١ مل ٢٢ : ٨ . أنظر أم ٩ : ٨ ، ١٥ : ١٠ و١٢ . يقول

المثل اللاتينى « الحق ينتج بغضة ».

(الثانية) ليس جديدا على خدام الله أن يلقوا الشر من أجل عمل الخير والشدائد تنتظر بنوع أخص من هم أكثر أمانة وإخلاصا وغيرة فى تأدية خدمتهم أع ٢٠ : ٢٠ و٢٣ . هكذا كان الحال مع أنبياء العهد القديم . (انظر ٢ أى ١٦ : ١٠ ، ٢٤ : ٢٠ و٢١)

ولعل بعضاً من أصدقاء يوحنا قد لاموه إذ اعتبروه متهوراً وطائشا فى توبيخ هيرودس وأخبروه أنه أفضل له أن يصمت من أن يثير غضب هيرودس الذى يعرف أخلاقه جيداً ، و بذلك أرادوا أن يحرموه من حريته . ولكن ما كانت تلك الحكمة التى تعوق الناس عن تأدية واجباتهم كقضاة او خدام او اصدقاء مسيحيين . واعتقد أن ضمير يوحنا لم يوبخه من أجل ما فعل ، ولكن شهادة ضميره له هونت عليه وثقه وشدائده إذ أنه تألم فى عمل الخير لا « كمتداخل فى امور غيره » ١ بط ٤ : ١٥

٣ ــ العائق الذى منع هيرودس من أن يتمادى فى غضبه ضد يوحنا ع ٥

(١) « **إنه أراد أن يقتله** » ولعله لم يقصد هذا فى بداية الأمر عندما سجنه ، ولكن شهوة الانتقام تزايدت تدريجيا حتى وصلت الى هذا الحد

(ملاحظة) إن طريق الخطية ، سيما خطية الاضطهاد ، طريق زلقة منحدرة الى أسفل ، واذا ما انحرف المرء عن احترام خدام المسيح مرة واحدة وصل به الأمر أخيراً إلى اقتراف الجرائم التى كان يظن قبلا أنه أولى له أن يكون كلباً من أن يأتيها ٢ مل ٨ : ١٢ و١٣

(٢) ولكن الذى منعه من ذلك أنه « **خاف من الشعب لأنه (يوحنا) كان عندهم مثل نبى** » لم يكن لأنه خاف الله ، لأنه لو كان خوف الله أمام عينيه لما كان قد سجنه . ولا لأنه خاف يوحنا ، ولو أنه كان يهابه سابقاً مر ٦ : ٢٠ ، فإن شهواته تغلبت على هذه الناحية . بل لأنه خاف من الشعب . كان يخاف على نفسه ، وعلى سلامته وسلامة ملكه الذى إذا أساء التصرف فيه جعله مكروهاً من الشعب ، كما كان يعلم أن عواطفهم ضده قد وصلت الى درجة الغليان ويخشى أن تنفجر إذا قتل نبيا كهذا .

(ملاحظتان) ــ (الاولى) إن للظالمين المستبدين مخاوفهم . والذين هم « رعب للجبابرة » حز ٣٢ : ٢٧ ، أو يدعون أنهم كذلك ، كثيراً ما كانوا رعبا لأنفسهم . وعندما يلتهبون رغبة فى أن يخافهم الشعب فإنهم كثيراً ما يخافونه .

(الثانية) وإذا ما امتنع الأشرار عن أشر تدابيرهم فليس ذلك خوفا من الله بل خوفا على

مصالحهم الشخصية . وكما أن حرصهم على راحتهم واسمهم وثروتهم وسلامتهم يعوقهم عن الكثير من واجباتهم ، فإنه يعوقهم أيضا عن الكثير من الخطايا التى لولا ذلك ما عاقهم عنها أى عائق . وهذه إحدى الوسائل التى بها يحفظ الخطاة من التمادى فى الشر جا ٧ : ١٧ . إن خطر الخطية الذى يظهر للعقل البشرى لمجرد الأوهام يؤثر على البشر أكثر من ذاك الذى يظهر للإيمان . فهيرودس خاف لئلا يثير قتل يوحنا فتنة وثورة بين الشعب ، وهذا ما لم يحدث ، ولكنه لم يخف قط من أن يثير ثورة فى ضميره ، وهذا ما حدث ع ٢ . يخشى الناس أن يؤخذوا بشرهم الذى لا يخافون أن يدانوا لأجله .

٤ ــ مؤامرة قتل يوحنا . لقد ظل طويلا ملقى فى السجن دون أن يحاكم أو يطلق سراحه بكفالة وفقاً للقانون الرومانى الذى يكفل الحرية للرعية . و يظن أنه لبث فى السجن سنة ونصف وهى تعادل تقريبا مدة خدمته العلنية . والآن نرى وصفا لإخراجه من السجن ليس بأية وسيلة أخرى سوى الموت الذى يجمع معا كل المسجونين « فلا يسمعون صوت المسخر » فيما بعد . أى ٣ : ١٨ .

دبرت هيروديا المؤامرة ، فشهوة الانتقام فيها تعطشت إلى دماء يوحنا ، ولم ترتض بأقل من هذا . إذا ما أعقيت الشهوات الجسدانية تحولت الى أقسى العواطف الوحشية . كانت تلك التى سكرت « من دم القديسين » امرأة ، امرأة زانية ، أم الزوانى رؤ ١٧ : ٤ ــ ٦ . اجتهدت هيروديا أن يكون قتل يوحنا بطريقة محكمة بحيث تصون سمعة هيرودس وتسكن غضب الشعب . فإن عذرا هزيلا أفضل من لا شيء . ولكننى أميل إلى الاعتقاد بأن هيرودس نفسه كانت له يد فى المؤامرة . ورغم ادعائه الدهشة والحزن لما طلبت رأس يوحنا فانه كان يعلم من قبل الطلبة التى كانت ستقدمها الصبية . أما ادعاؤه الوفاء بالاقسام والاحترام للضيوف فلم يكن إلا مجرد تصنع وإيهام . أما إن كان قد فوجيء بالمؤامرة دون أن يكون له سابق علم بها فانه على أى حال متهم بها كلها لأنه كان ممكنا له أن يحبطها ولم يرد . وإن كانت إيزابل هى التى دبرت قتل نابوت لكن طالما كان آخاب قد وضع يده على املاكه فقد اعتبر بأنه هو القاتل ١ مل ٢١ : ١٩ . كذلك إن كانت هيروديا قد دبرت قطع راس يوحنا فان هيرودس ليس فقط شريكا فى الجريمة بل هو القاتل الأول إذ قد رضى بذلك وسر به . وان كان المنظر قد اختفى من وراء الستار فلننظر الآن كيف مثل على المسرح . وهنا نرى :

(١) تنعم هيرودس برقص الفتاة فى يوم ميلاده . يبدو أن الاحتفاء بميلاد هيرودس بدت فيه كل مظاهر العظمة العالمية . كان يجب أن تكون هنالك حفلة رقص حسب العادة إكراماً لذلك اليوم . ولتحية المتكئين رقصت أمامهم ابنة هيروديا ، ولأنها كانت ابنة الملكة فقد كان ذلك تفضلا وتنازلا عظيما منها .

(ملاحظة) إن أوقات الأفراح الجسدية والتنعمات العالمية هى أوقات مناسبة لإتمام المقاصد الشريرة ضد شعب الله . عندما يمرض الملك « من سورة الخمر يبسط يده مع المستهزئين » هو ٧ : ٥ لأن « فعل الرذيلة عند الجاهل » لازمة لديه « كالضحك » أم ١٠ : ٢٣ . والفلسطينيون « لما طابت قلوبهم » دعوا شمشون ليسخروا منه قض ١٦ : ٢٥ . ومذبحة بار يس تمت يوم عرس .

هذه الفتاة « سرت هيرودس » برقصها . لا نعلم من اشترك معها ، ولكن لم يسر هيرودس سوى رقصها .

(ملاحظة) يميل القلب العاطل الخالى من النعمة أن يهوى شهوات الجسد والعين ، ولما تكون هذه حالته فانه لابد واصل الى تجارب اشد ، لأن الشيطان بذلك يتملك . أنظر أم ٢٣ : ٣١ ــ ٣٣ . كان هيرودس وقتئذ فى نشوة الطرب ، ولم يكن هنالك شيء أنسب له مما يشبع غروره الباطل .

(١) تهور هيرودس وحماقته فى الوعد الذى أعطاه لهذه الفتاة الخليعة « **أن مهما طلبت يعطيها** » وقد تأيد هذا الوعد « **بقسم** » ع ٧ . كان هذا إسرافاً شديداً فى الالتزام الذى ارتبط به هيرودس والذى لا يليق برجل حصيف يخشى أن يؤخذ بكلام فيه أم ٦ : ٢ ولا يليق برجل صالح « يخاف الحلف » جا ٩ : ٢ . لقد كان وضع هذا الصك غير محدود القيمة فى يدها وتمكينها بأن تسحب بمقتضاه على قدر ما تشاء مكافأة أكثر من اللازم لنشوة طرب دنيئة . واننى أميل الى الاعتقاد بأنه لم يكن ممكناً لهيرودس أن يصل الى هذه الدرجة من السخافة والسفه لو لم يكن قد سبق أن تلقى التعليمات من هيروديا والفتاة .

(ملاحظة) إن الوعود المصحوبة بأقسام فخاخ خطيرة ، وإن أعطيت بتهور وطياشة كانت نتيجة فساد داخلى وسببت عدة تجارب لذلك لا تحلف البتة لكى لا تضطر للقول « إنه سهو » جا ٥ : ٦ .

(٣) الطلب الأجرامى الذى قدمته الفتاة بقطع راس يوحنا المعمدان ع ٨ « **اعطنى ههنا على طبق راس يوحنا المعمدان** » وهذا ما « **كانت قد تلقنته من أمها** » من قبل .

(ملاحظة) ما أتعس الأبناء الذين يشير عليهم والدوهم » « بفعل الشر » كأخزيا ، ٢ أى ٢٢ : ٣ و يرشدونهم الى الخطية و يشجعونهم عليها ، و يقدمون إليهم قدوة سيئة . فالطبيعة الفاسدة تنتعش وتحيا بالتعاليم الفاسدة أكثر مما يكبح جماحها وتموت بالتعاليم الصالحة . وعلى الأبناء أن لا يطيعوا والديهم إلا في « الرب » وإن أمروهم بارتكاب الخطية فعليهم أن يقولوا كاللاوى « الذى قال عن ابيه وامه لم أرهما » تث ٣٣ : ٩

وإذ منحها هيرودس هذه السلطة المطلقة وزودتها أمها بالتعليمات اللازمة « اعطنى ههنا على طبق راس يوحنا المعمدان » . لعل هيروديا خشيت أن يمل منها هيرودس (ففى الشهوات الجسدية كثيراً ما يعاف المرء الشيء المرغوب بعد قليل) وعندئذ يتخذ من توبيخ يوحنا المعمدان حجة لطردها ، ولذلك أرادت أن تتخلص من يوحنا لكى تتفادى هذا الموقف . إذاً يجب قطع راس يوحنا المعمدان . هذا هو نوع الموت الذى كان ينبغى أن يمجد الله به ، وهذا هو نوع الموت الذى كان ينبغى أن يموته اول خادم بعد بدء الانجيل . ومع أن الشهداء كابدوا انواعا مختلفة من الموت وليس موتاً مشرفاً وسهلا كهذا ، إلا أن هذا النوع وضع لجميع الباقين رؤ ٢٠ : ٤ حيث نقرأ عن « نفوس الذين قتلوا (١) من أجل شهادة يسوع »

وليس ذلك فقط ، فانه علاوة على إشباع شهوة الانتقام ينبغى أيضاً إشباع شهوة المجون والهزل ، ينبغى أن تعطى رأس الشهيد « على طبق » مغمور بالدماء كما تقدم اللحوم على طبق فى الولائم ، كتحفة تقدم فى نهاية الوليمة يجب أن لا يحاكم ، أو تسمع كلمته علناً ، ولا تتخذ أية اجراءات للقانون او العدل ، فقد حوكم وحكم عليه بالموت ونفذ الحكم كل ذلك فى لحظة . كان خيراً له أن يموت عن العالم لكى لا يكون الموت موضع دهشة له ولو كان مفاجئا يجب أن تعطى الرأس للصبية لتعتبر ذلك مكافأة لها على رقصها ، وهى لم ترغب فى شيء أكثر

(٤) إجابة هيرودس لهذا الطلب ع ٩ « **فاغتم الملك** » أو على الأقل تظاهر بذلك « ولكن من أجل الأقسام والمتكئين أمر أن يعطى » ، وهنا نرى :

[١] إنه تظاهر باحترام يوحنا « فاغتم الملك »

(ملاحظة) كثيرون يرتكبون الخطية بتأسف ، ولكنهم لا يتأسفون أسفاً حقيقياً من أجل خطيتهم . هم يحزنون لأنهم يخطئون ولكنهم أبعد ما يكونون عن الحزن المقدس ، يخطئون باشمئزاز ومع ذلك يستمرون فى الخطية .

---

(١) أو « قطعت رؤوسهم » حسب الترجمة الانكليزية .

يظن البعض أنه كان هنالك سبب واحد لغم الملك هو أن ذلك اليوم كان يوم مولده ، ولذلك يعتبر سفك الدم فيه تشاؤما لأنه كبقية المناسبات السعيدة يجب أن يتميز بشيء من أعمال الرحمة والعفو. يقول المثل اللاتينى « نحن نحتفى بيوم الميلاد فيجب ان لا يكون فيه أى أثر للمنازعات او الخصومات » .

[٢] وتظاهر باحترام الأقسام وتصنع بالأدب والاحتشام . يجب أن يفعل شيئا من أجل الاقسام .

(ملاحظة) من الخطأ الشنيع أن نظن بأن القسم الشرير يبرر الفعل الشرير.

كان المفهوم ضمنا ــ ولهذا لم يكن فى حاجة للتصريح به علنا ــ انه مرتبط بأن يفعل لها ما كان شرعيا ونبيلا . اما وانها طلبت العكس فكان ممكنا له أن يعلن ــ وكم كان يكون نبيلا لو فعل بأن القسم أصبح لا قيمة له ولا أثر له ، وأن كل التزام من ناحيه أصبح باطلا . لن يستطيع أى امرىء أن يضع نفسه تحت أى التزام لارتكاب الخطية ، لأن الله قد سبق فوضعنا تحت التزام قوى أن لا نخطىء .

[٣] وهنا نرى انحطاطاً حقيقياً امتثالا للصحبة الشريرة . لقد رضخ هيرودس للطلب ليس من أجل مجرد الاقسام بل لأنها كانت علنية ، ثم أيضا « من أجل المتكئين معه » . لقد أجاب الطلب لكى لا يظهر امامهم بأنه نقض عهده .

(ملاحظة) يحرص الكثيرون على كرامتهم أكثر من حرصهم على ارضاء ضميرهم .

والأرجح أن من اتكأوا معه سرهم أيضا رقص الفتاة مثله ، ولذلك أرادوا ترضيتها بأى ثمن ، ولعلهم أيضا ارتضوا معها بقطع رأس يوحنا المعمدان . وعلى أى حال فإنه لم يوجد بينهم شخص واحد أخذته النخوة وتدخل ــ كما كان يحتم عليهم الواجب ــ لمنع الجريمة كما فعل رؤساء يهوياقيم أر ٣٦ : ٢٥ . ولو كان البعض من عامة الشعب حاضرين لافتدوا يوحنا كما افتدوا يوناثان من قبل . ١ صم ١٤ : ٤٥

[٤] وهنا نرى الحقد الحقيقى ضد يوحنا يفضح نفسه بهذه الموافقة ، وإلا لكان قد وجد مبرراً كافيا ليتبرأ من وعده .

(ملاحظة) مع أن الشرير لا تعوزه الحجة إلا أن حقيقة الأمر هى أن « كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته » يع ١ : ١٤

ولعل هيرودس إذ تأمل في الاسراف في وعده الذى كان ممكنا أن تستند عليه الفتاة لطلب مبلغ عظيم من المال الذى أحبه أكثر جداً من يوحنا المعمدان ، فرح بأن تعطى طلبة الفتاة ، وأسرع فى اصدار الأمر لقطع رأس يوحنا ، والأرجح أن الأمر لم يكن كتابة بل شفويا . وهكذا نراه يستخف إلى هذا الحد بهذه الحياة الثمينة « **امر أن يعطى** » .

[٥] قتل يوحنا تنفيذاً للوعد ع ١٠ « **فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن** » . والأرجح أن السجن كان قريبا ، عند باب القصر. واليه أرسل أحد الضباط لقطع رأس ذلك الرجل العظيم . يجب قطع رأسه على عجل ارضاء لهيروديا التى كانت على أحر من الجمر حتى ينفذ الأمر. تم ذلك ليلا ، لأنه يبدو أنه كان بعد العشاء . وتم فى السجن ، لا فى المكان المعتاد للقتل ، خوفا من حصول ثورة وهكذا سفكت دماء الكثيرين من الشهداء الأبرياء فى زوايا ، وعندما يأتى الرب مطالبا بالدماء فإن هذه الأمكنة من الأرض « تكشف دماءها ولا تغطى قتلاها فيما بعد » أش ٢٦ : ٢١ ، مز ٩ : ١٢

هكذا أسكت ذلك الصوت ، وأطفئت تلك الشعلة المنيرة ، وهكذا قدم ذلك النبى ، ايليا العهد الجديد ، ضحية على مذبح شهوات امرأة فاجرة . وهكذا نرى ذاك العظيم فى عينى الرب يموت كموت أحمق ، يداه كانتا مربوطتين ورجلاه وضعتا فى سلاسل نحاس كالسقوط أمام بنى الإثم سقط ٢ صم ٣ : ٣٣ و٣٤ . لقد كان شهيداً حقيقيا بكل ما فى الكلمة من معان . لم يمت بسبب الاعتراف بإيمانه بل بسبب تأدية واجباته . ومع أن عمله قد تم بسرعة إلا أنه قد أكمل ، والشهادة تمت لأنه لم يكن إلى ذلك الوقت قد قتل أحد من شهود الله . وقد أخرج الله من ذلك الاستشهاد هذا الخير وهو أن تلاميذه الذين ظلوا ملازمين له طول أيام حياته ولو كان فى السجن التصقوا بالرب يسوع بشدة بعد موت معلمهم .

٥ ـــ كيفية التصرف بجسد هذا القديس العظيم والشهيد الجليل . فانه إذ فصلت الرأس عن الجسد :

(١) أحضرت الصبية الرأس إلى أمها « **جاءت به إلى أمها** » ظافرة منتصرة علامة على انتصار حقدها وخبثها وانتقامها ع ١١ : و يروى أحدهم أن هيروديا لما دفع اليها راس يوحنا المعمدان تصرفت فيها بكل وحشية إذ صارت تنخس اللسان بإبرة .

(ملاحظة) إن العقول التى تلطخت بالدماء تسرها مناظر الدماء التى يقشعر منها ذوو العواطف الرقيقة . وفى بعض الأحيان تبلغ شهوة الانتقام بالظالمين حد الجنون فيمثلون بجثث القديسين شر تمثيل مز ٧٩ : ٢ . وعندما يقتل شهود الله « يشمت بهم الساكنون على الأرض و يتهللون » رؤ ١١ : ١٠ ، مز ١٤ : ٤ و٥

(٢) وأما الجسد « **فتقدم تلاميذه ورفعوه ودفنوه** » و بعد ذلك « **أتوا واخبروا يسوع** » باكين نائحين . لقد صام تلاميذ يوحنا كثيراً لما كان معلمهم فى السجن ، إذ كان « العريس قد رفع عنهم » وصلوا بحرارة لنجاته كما صلت الكنيسة من أجل بطرس أع ١٢ : ٥ . كانوا يتصلون به بسهولة في السجن ، وفي ذلك وجدوا تعزية ، ولكنهم كانوا يتمنون أن يطلق سراحه لكى يعلم آخرين . أما الآن فقد وجدوا أن آمالهم انهارت فجأة . ينوح التلاميذ و يبكون بينما العالم يفرح . ولننظر الآن ماذا فعله التلاميذ

[١] إنهم دفنوا الجسد .

(ملاحظة) إن الاكرام واجب لخدام المسيح ليس فقط فى حياتهم بل أيضاً لأجسادهم وذكرياتهم بعد مماتهم . ففى حالة أول شهيدين فى العهد الجديد يلاحظ بصفة خاصة أنهما دفنا بوقار واجلال ، إذ دفن يوحنا المعمدان تلاميذه واستفانوس رجال أتقياء أع ٨ : ٢

[٢] إنهم « أتوا وأخبروا يسوع » . ليس لكى يهرب لنجاته (فلا شك فى أنه سمع الخبر من آخرين لأنه دوى فى كل أرجاء المملكة) بل لكى ينالوا منه العزاء ولكى يقبلهم ضمن تلاميذه الأخصاء .

(ملاحظات) — (الأولى) عندما تحل بنا أية شدة فى أى وقت فمن واجبنا بل من ضمن امتيازاتنا أن نعلم المسيح بها . فانه مما يرفع عن نفوسنا كابوس اثقالها أن نفتح صدورنا لذاك الصديق الذى نجد معه كل حريتنا . إن مات أحد الأقرباء أو مرر حياتنا بقسوة ، إن حلت بنا أية كارثة فلنأت ونخبر يسوع الذى يعرف كل شيء من قبل ، ولكن يسره أن يعرف منا كل ما يثقل نفوسنا المتعبة .

(الثانية) لنحذر من أن تموت تقوانا بموت خدامنا . فانه لما مات يوحنا لم يرجع تلاميذه كل إلى خاصته بل اعتزموا مواصلة جهادهم . لما يضرب الرعاة فلا مبرر لكى تتبدد الرعية طالما كان أمامهم « راعى الخراف الاعظم » ليذهبوا اليه ، فانه « هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد » عب ١٣ : ٨ و٢٠ ويجب أن يكون انتقال الخدام الأمناء سببا فى أن نزداد اقترابا من المسيح .

(الثالثة) والنعم التى نتمتع بها لما نغالى فى تقديرها قد تؤخذ منا لأنها تفصل بيننا و بين المسيح وتميل الى أن تنتزع من قلوبنا المحبة الواجبة له فقط . كان يوحنا قد وجه تلاميذه الى المسيح منذ مدة طويلة وحولهم اليه ، ولكنهم لم يستطيعوا ترك معلمهم القديم طالما كان حياً ، لذلك رفع عنهم ليذهبوا إلى يسوع الذى كانوا يحسدونه أحياناً لأجل يوحنا . خير لنا أن تدفعنا

للمسيح الفاقة والخسائر من أن لا نذهب اليه اطلاقا . أن اخذ عنا معلمنا فإنه مما يعزينا أن لنا معلما فى السماء .

يروى يوسيفوس هذه الرواية عن موت يوحنا المعمدان (١) و يضيف اليها أن جيش هيرودس قد سحق سحقا شديداً فى حربه مع ارتياس (Aretas) ملك بتريا (Petrea) الذى كان هيرودس متزوجا ابنته ونبذها ليتزوج بهيروديا . و يقول يوسيفوس أيضا إن هذه الهزيمة اعتبرها جميع اليهود قصاصا عادلا من الله لقتله يوحنا المعمدان . ثم أن هيرودس إذ جافى الامبراطور بإيعاز من هيروديا خلع من الملك ونفى هو وزوجته الى ليون فى فرنسا ، وكان هذا — كما يقول يوسيفوس — قصاصا عادلا من أجل اصغائه لايحاءات زوجته . ثم يروى أخيراً عن هذه الفتاة ، ابنة هيروديا ، انها إذ كانت تسير على الثلج فى الشتاء تشقق الثلج فانزلقت هى فى وسطه حتى رقبتها التى قطعتها أطراف الثلج الحادة . وهكذا قطعت رأسها اقتصاصا منها لأجل رأس المعمدان . وان صحت هذه الرواية اعتبرت تدخلا عجيبا من العناية الإلهية

١٣ — فلما سمع يسوع انصرف من هناك فى سفينه الى موضع خلاء منفرداً . فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن

١٤ — فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً فتحنن عليهم وشفى مرضاهم ١٥ — ولما صار المساء تقدم اليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى . اصرف الجموع لكى يمضوا الى القرى و يبتاعوا لهم طعاماً ١٦ — فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا . أعطوهم أنتم ليأكلوا ١٧ — فقالوا له ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان ١٨ — فقال ائتونى بها إلى هنا ١٩ — فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب . ثم أخذ الارغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع ٢٠ — فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة ٢١ — والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد

---

(١) Antiquit. Lib. 18, cap. 7

اتفق الانجيليون الأربعة على ذكر معجزة اشباع المسيح للخمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين . وان اتفاقهم على ذكر هذه المعجزة فقط يتضمن أن فيها ما يستحق الانتباه . لاحظ هنا

(أولا) هروع الجموع إلى المسيح عندما اعتزل « **إلى موضع خلاء** » ع ١٣ . لقد اعتزل « **منفرداً** » عندما « **سمع** » لا خبر موت يوحنا ، بل الأفكار التى كونها هيرودس عنه انه « هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات » . لذلك خاف منه هيرودس وأبغضه . انصرف يسوع الى جهة بعيدة ليخرج من دائرة اختصاصه .

(ملاحظة) فى أوقات الخطر من اللائق أن نهرب لحياتنا لما نجد الباب مفتوحاً للنجاة ، إلا إن كانت هنالك دعوة خاصة لتعريض حياتنا للخطر .

لم تكن ساعة يسوع قد أتت بعد ، ولذلك لم يكن هنالك مبرر لدفع نفسه للآلام . كان ممكناً أن ينجى نفسه بقوة إلهية ، ولكن لأنه قصد أن يجعل حياته قدوة لنا تصرف كإنسان ، لذلك « **انصرف من هناك فى سفينة** » . ولكن لأنه « لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل » فإنه لما « **سمع الجموع تبعوه مشاة** » من كل مكان . هكذا كانت للمسيح مكانة خاصة فى قلوب الجموع حتى ان انصرافه عنهم جذبهم اليه بأكثر رغبة . وهنا ــ كما فى الكثير من المناسبات الأخرى ــ نرى الكتب تكمل انه « له يكون خضوع (١) شعوب » تك ٤٩ : ١٠ . و يبدو أن الجموع ازدحمت حول المسيح بعد استشهاد يوحنا أكثر مما كانت قبل استشهاده . فى بعض الأحيان تؤول آلام القديسين الى زيادة تقدم الانجيل فى ١ : ١٢ . وحقاً ان دماء الشهداء بذار الكنيسة . والآن وقد أكملت شهادة يوحنا فقد بدأت الجموع تتذكرها وتنتفع بها أكثر من قبل

(ملاحظتان) ــ (١) عندما ينصرف عنا المسيح وكلمته فخير لنا أن نتبعه مهما وجدنا من مقاومات اللحم والدم ، مفضلين الفرص اللازمة لأرواحنا على كل المصالح العالمية مهما كانت . عندما ترون التابوت يرتحل ارتحلوا وسيروا وراءه يش ٣ : ٣ .

---

(١) أو « اجتماع » حسب الترجمة الانكليزية

(٢) والذين يشتهون حقاً « اللبن العقلى العديم الغش » الذى لكلمة الله (١ بط ٢ : ٢) لا يعبأون بالصعوبات التي قد يجدونها لدى ملازمتهم إياها . إن وجود المسيح وانجيله يجعل الصحراء لا مكاناً محتملا فقط بل أيضاً محبوباً ، يجعل البرية كعدن أش ٥١ : ٣ ، ٤١ : ١٩ و٢٠

(ثانيا) عطف ربنا يسوع المسيح واشفاقه على من تبعوه ع ١٤

١ ــ إنه « خرج » وظهر لهم علنا . ومع انه اعتزل لسلامته ولراحته إلا انه خرج من عزلته لما رأى الجموع راغبين فى أن يسمعوه ، كمن يرتضى بالتعب وتعريض حياته للخطر من أجل خير النفوس « لأن المسيح أيضاً لم يرض نفسه » رو ١٥ : ٣

٢ ــ ولما « **أبصر جمعاً كثيراً تحنن عليهم** »

(ملاحظة) إن منظر الجموع الكثيرة قد يحرك العواطف . فعندما يرى المرء جموعا كثيرة ، و يفكر فى عدد النفوس الكثيرة الثمينة الخالدة التى أمامه والتى يخشى أن يكون أغلبها مهملين ومنساقين إلى الهلاك ، لا يسعه إلا أن يحزن و يكتئب . ومن مثل المسيح فى التحنن على النفوس « لأن مراحمه لا تزول » مراثى ٣ : ٢٢

٣ ــ وهو لم يتحنن عليهم فقط بل أغاثهم ، فقد كان الكثيرون منهم مرضى ، وهو فى رحمته وشفقته شفاهم « **فتحنن عليهم وشفى مرضاهم** » لأنه أتى إلى العالم لكى يكون الشافى الأعظم . و بعد برهة كان الجميع جائعين ، وهو فى تحننه أشبعهم

(ملاحظة) فى كل البركات التى يمنحها لنا المسيح يكون الباعث له « محبته ورأفته » أش ٦٣ : ٩

(ثالثا) الحركة التى عملها التلاميذ لصرف الجموع وتغاضى المسيح عنها

١ ــ « **لما صار المساء** » أشار التلاميذ إلى المسيح ليصرف الجموع « **اصرف الجموع** » ، فقد ظنوا انهم قضوا النهار على أحسن ما يمكن أن يكون وقد حان الوقت لينصرفوا

(ملاحظة) كثيراً ما يحرص تلاميذ المسيح على إظهار حكمتهم أكثر من اظهار غيرتهم . وكثيراً ما يحرصون على اظهار تفكيرهم الكثير فى الأمور الروحية أكثر من محبتهم الكثيرة

٢ ــ ولم يشأ المسيح أن يصرفهم جائعين كما كانوا ، أو يؤخرهم أكثر بلا طعام ، أو يكبدهم مشقة شراء طعام لأنفسهم . بل أمر تلاميذه ليقدموا اليهم طعاماً . والمسيح فى كل تصرفاته قد أظهر رقة نحو الشعب أكثر من تلاميذه . لأن مراحم أكثر الناس رقة وشفقة لا تقاس بجانب مراحم القدير . أنظر كيف يرفض المسيح أن يفترق عمن يعتزمون الالتصاق به « **لا حاجة لهم أن يمضوا** »

(ملاحظة) إن الذين لهم المسيح لهم كل الكفاية ، ولا حاجة لهم أن يمضوا لطلب السعادة أو العيش من المخلوقات . والذين جعلوا غرضهم الأمر « الواحد » الألزم لا حاجة لهم أن يهتموا و يضطربوا لأجل أمور كثيرة . ثم ان المسيح لا يكبد تابعيه نفقة لا مبرر لها بل يجعل اتصالهم به بلا نفقة وميسوراً

ولكن ان كانوا جائعين فهم مضطرون للانصراف لأن الجوع لا تقف أمامه قوانين ، لذلك « **أعطوهم أنتم ليأكلوا** » .

(ملاحظة) « الرب للجسد » لأنه « عمل يديه » وهو ملك له . هو نفسه لبس جسداً لكى يشجعنا فى الاتكال عليه لامدادنا بحاجاتنا الجسدية . ولكنه يعنى بالجسد عناية خاصة عندما يستخدم لخدمة الروح فى خدمته . ان كنا نطلب أولا « ملكوت الله » ونجعل ذلك اهتمامنا الرئيسى فيحق لنا أن نتكل على الله ليزيد لنا كل الأشياء الأخرى حسبما يراه مناسبا ، ويحق لنا أن نلقى كل همنا عليه فيما يختص بهذه الأمور الاخرى . لقد تبع هؤلاء المسيح ليختبروه ، مدفوعين بغيرة وقتية ، ومع ذلك عنى المسيح بهم كل هذه العناية ، فبالأحرى جداً يسد أعواز الذين يتبعونه من كل قلوبهم

(رابعا) كمية الطعام الضئيلة جداً التى قدمت من أجل هذه الجموع الغفيرة . وهنا يجب مقارنة كمية الطعام بعدد الضيوف

١ ــ كان عدد الضيوف « **خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد** » والأرجح أن عدد النساء والأولاد كان لا يقل عن عدد الرجال ان لم يكن أكثر . كان هذا عدداً عظيما من المستمعين الذين علمهم المسيح ، ونعتقد انهم أصغوا بانتباه . ولكن رغم كل تلك الغيرة والاهتمام يبدو أن أغلبية المستمعين لم يخرجوا بشىء ، وانهم انصرفوا ولم يعودوا يتبعونه فيما بعد لأن « كثيرين

يـدعـون وقـلـيلين ينتخبون » . يجب أن نقيس مقدار قبول الكلمة بمقياس تجديد سامعيها لا بمقياس عدد السامعين ، ولو أن هذا أيضاً منظر طيب وعلامة طيبة

٢ ــ وكـانـت كـمـيـة الـطعام لا تذكر بالمرة بجانب عدد الضيوف ، فقد كانت « **خمسة أرغـفـة وسمـكتين** » . كان التلاميذ قد حملوا كمية الطعام هذه لاستعمالها لأنفسهم إذ كانوا قد اعـتـزلـوا فـى ذلـك الموضع الخلاء . كان ممكناً للمسيح أن يشبعهم بمعجزة ، ولكن لكى يقدم لنا مـثـالا لـضرورة تقديم الطعام لأهل بيتنا فضل أن يقدم الطعام لجماعته بطريقة عادية . هنا لا نجد طـعـامـا وافـراً أو انواعا مختلفة أو أطايب ، فإن صنفا من السمك لم يكن شيئا غير مألوف لمن كانوا صـيـادى سمك ، ولكنه كان طعاما مناسبا للاثنى عشر ، سمكتان لعشائهم وخبز كاف ربما ليوم أو اثـنين . لم تكن هنالك خمر أو مسكر ، بل مجرد ماء صاف من الأنهار الجارية فى البرية ، وكان هذا خير شراب مع طعامهم . ومع ذلك فمن هذا أشبع المسيح الجموع .

(ملاحظة) على الذين لا يوجد لديهم إلا القليل أن يسعفوا الآخرين منه عند الضرورة ، وهذه هى الطريقة لكى يصير القليل كثيراً . « هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية » مز ٧٨ : ١٩ نعم أنه ان أراد يقدر أن يرتب مائدة شهية غنية

(خـامـسـا) الـتوزيع السخى على الجموع من هذا الطعام ع ١٨ و١٩ « **ائتونى بها إلى هنا** »

(مـلاحـظـة) إن الـطـريـقة لبركة ما لدينا ، بركة حقيقية لأنفسنا ، هى أن نأتى به الى المسيح ، لأن كل شىء يقدس بكلمته و بالصلاة اليه ١ تى ٤ : ٥ . وكل ما نضعه فى يدى ربنا يـسوع لـكـى يـتـصرف فيه كما يشاء يزداد و يتبارك وتسترده منه فنجد فيه لذة مضاعفة . وكل ما نـعـطـيـه لفعل الخير يجب أن نقدمه الى المسيح أولا ، لكى يتكرم و يقبله منا . و يتفضل و يباركه للذين سيعطى لهم ، وهذا هو معنى « ان نفعله كما للرب » .

اما عن هذا الطعام المعجزى فنلاحظ :

١ ــ إجـلاس الـضـيـوف . ع ١٩ « **فـأمـر الجـموع أن يتكئوا** » ومعنى هذا انهم كانوا واقـفين أثـنـاء وعـظـه ايـاهـم ، وهـو وضع الاحترام والاستعداد للتحرك . وهل يمكن اعداد مقاعد للجـمـيـع ؟ لـيـتـكـئـوا « **على الـعـشـب** » . حـيـنما أراد احشويرس أن يظهر « غنى مجد ملكه

ووقار جلال عظمته » في وليمة ملكية لجميع رؤسائه وشرفاء البلدان ورؤسائها كانت الأسرة أو المقاعد « من ذهب وفضة على بجزع من بهت ومرمر ودر ورخام أسود » أس ١ : ٣ — ٦ . أما ربنا يسوع المسيح فقد أظهر الآن غنى ملك أمجد ووقار جلال عظمة أسمى ، وسلطان حتى على الطبيعة . على اننا هنا لا نرى مفارش تبسط ، أو أطباقاً وفوطاً تقدم ، أو ملاعق وشوكا وسكاكين تجهز ، أو مقاعد للجلوس ، بل كأن المسيح قد قصد أن يعيد العالم الى البساطة التي كانت لآدم في الفردوس ، وبالتالي الى براءته الأولى وسعادته السابقة ، لذلك « أمر أن يتكئوا على العشب » . وإذ فعل كل شيء على هذا الوجه ، بلا فخامة أو مظاهر عالمية عظيمة ، فقد أظهر بكل وضوح أن « مملكته ليست من هذا العالم » وانها « لا تأتي بمراقبة »

٢ — طلب البركة . انه لم يختر واحداً من تلاميذه لطلب البركة ، بل هو بنفسه « **رفع نظره نحو السماء وبارك** » وشكر ، سبح الله من أجل الطعام الموجود وطلب أن يباركه للجموع . وما كان طلب البركة سوى أمر منه بالبركة . لأن صلاته كانت « كمن له سلطان » كما كان وعظه . وفي هذه الصلاة والشكر قد نظن أن قصده الوحيد كان بركة هذا الطعام ، ولكنه هنا يعطينا أيضاً درساً عظيما عن شكر الله وطلب البركة وقت تناول الطعام ، لأن كل خليقة الله الجيدة يجب أن تؤخذ مع الشكر ١ تي ٤ : ٤ . فصموئيل بارك الوليمة ١ صم ٩ : ١٣ . أنظر أيضاً أع ٢ : ٤٦ و٤٧ ، ٢٧ : ٣٤ و٣٥ . هذا هو معنى الأكل والشرب لمجد الله ١ كو ١٠ : ٣١ وشكر الله رو ١٤ : ٦ والأكل أمام الله كما فعل موسى وحموه خر ١٨ : ١٢ و١٥ . وعندما بارك يسوع « رفع نظره نحو السماء » ليعلمنا اننا في الصلاة يجب أن نوجه أنظارنا الى الله كأبينا الذي في السموات ، وعندما نتقبل أية بركة يجب أن نرفع انظارنا نحو السماء ، كأننا نتقبلها من يد الله ونعتمد عليه لبركتها .

٣ — توزيع الطعام . كان رئيس المتكأ هو نفسه رئيس الموزعين لأنه « **كسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع** » وبهذا قصد المسيح أن يضفي كرامة على تلاميذه لكي ينالوا الإكرام والتبجيل « كعاملين معه » ، ولكي يبين أيضاً كيف يعطى الطعام الروحي ، أي كلمة الله ، للعالم ، فإنه يقدم من المسيح ، على أساس انه هو المصدر الأصلي ، على أيدي خدامه . وما قصده المسيح للكنائس أرسله لعبده يوحنا رؤ ١ : ١ و٤ . وهم سلموا كل ما تسلموه من الرب ، سلموا ما تسلموه فقط ١ كو ١١ : ٢٣ . وخدام المسيح لن يستطيعوا أن يملأوا قلوب الناس ما لم يملأ هو أيديهم أولا . وما أعطاه لتلاميذه يجب عليهم أن يعطوه للجموع ، لانهم وكلاؤه « ليعطوهم الطعام في حينه » مت ٢٤ : ٤٥ . ومبارك الله لأنه مهما كثر عدد الجموع فهنالك ما يكفي للجميع و يكفي كل واحد على انفراد .

٤ — تكاثر الطعام . وهذا ما لوحظ في النتيجة فقط لا في شكله . هنا لم تذكر أية كلمة

قالها المسيح ليتضاعف بها الطعام . إن مقاصد المسيح وأفكار قلبه لابد ان تتم ولو لم يفصح عنها . ولكن الأمر الذى لوحظ هو انّ الطعام تكاثر لا فى تراكمه فى البداية بل فى توزيعه . وكما تكاثر زيت الأرملة فى سكبه هكذا تكاثر الطعام فى التكسير . هكذا تنمو النعمة باستخدامها ، وبينا تنفذ الأشياء الأخرى بالاستعمال فان المواهب الروحية تزداد بالاستعمال . إن الله يقدم بذاراً للزارع ، ولكنه لا يكثر البذار المختزن بل البذار المزروع ٢ كو ٩ : ١٠ . هكذا « يوجد من يفرق فيزداد » أم ١١ : ٢٤ ، يوجد من يفرق و يزداد على قدر ما يفرق .

(سادسا) اشباع كل الجموع من ذلك الطعام . ومع أنه كان لا يذكر بالمرة بالنسبة لعدد الآكلين إلا أنه كان فيه الكفاية وأكثر من الكفاية .

١ ــ كان فيه الكفاية . « **فأكل الجميع وشبعوا** » .

(ملاحظة) إن الذين يطعمهم المسيح لابد أن يشبعهم ، لذلك نجد هذا الوعد مز ٣٧ : ١٩ « يشبعون » .

وكما كان فيه الكفاية للجميع حتى « أكل الجميع » ، هكذا كان فيه الكفاية لكل واحد حتى « شبعوا » . ومع أنه لم يكن هنالك إلا القليل إلا أنه كان هنالك الكفاية ، ما يكفى لوليمة .

(ملاحظة) إن بركة الله تستطيع أن تجعل القليل كثيراً ، كما أنه إذا لم يبارك الله ما عندنا فاننا نأكل وليس إلى الشبع حج ١ : ٦

٢ ــ وكان فيه أكثر من الكفاية . « **ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة** » قفة لكل رسول . وهكذا استردوا ما أعطوه وأكثر جداً مما أعطوه . وحسناً فعلوا إذ جمعوا الكسر لتكفى مرة أخرى . وهذا ما أظهر المعجزة وعظمها . و بين أن ما يقدمه المسيح لخاصته ليس شحيحاً وضئيلا بل غنياً ووافراً ، « يفضل عنه الخبز » لو ١٥ : ١٧ ، ملء فائض . كان تكثير اليشع للأرغفة يشبه هذه المعجزة من بعض النواحى ، ولكن هيهات أن يشبهها من جميع النواحى . وقد قيل حينئذاك « يأكلون و يفضل عنهم » ٢ مل ٤ : ٤٣

إن نفس القوة الإلهية هى التى تكثر البذار فى الأرض كل عام ولو اختلفت الطريقة ،

« وتعطى الأرض غلتها » ، فيجمع مضاعفاً ما بذر ضئيلا . « من قبل الرب كان هذا » (١) (مز ١١٨ : ٢٣) إن كل ما فى الطبيعة قائم بالمسيح ، وهو « حامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (عب ١ : ٣)

٢٢ ــ وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة و يسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع ٢٣ ــ وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى . ولما صار المساء كان هناك وحده ٢٤ ــ وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج . لأن الريح كانت مضادة ٢٥ ــ وفى الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشياً على البحر ٢٦ ــ فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال . ومن الخوف صرخوا ٢٧ ــ فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا . أنا هو. لا تخافوا ٢٨ ــ فأجابه بطرس وقال ياسيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى اليك على الماء ٢٩ ــ فقال تعال . فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع ٣٠ ــ ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلا يارب نجنى ٣١ ــ ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له ياقليل الايمان لماذا شككت ٣٢ ــ ولما دخلا السفينة سكنت الريح ٣٣ ــ والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله .

وهنا نرى تفصيلا لمعجزة أخرى صنعها يسوع لاغاثة أحبائه وتابعيه ، هى مشيه على الماء للذهاب إلى تلاميذه . فى المعجزة السابقة تصرف كرب الطبيعة مستخدما قوتها لسد حاجة أولئك المحتاجين لمساعدته ، وفى هذه المعجزة يتصرف كرب الطبيعة متسلطاً على قوتها لاغاثة من كانوا فى خطر وهلع . لاحظ :

(١) أو « هذا هو عمل الرب » حسب الترجمة الانكليزية .

(أولا) صرف يسوع لتلاميذه وللجموع بعد اشباعهم بمعجزة لقد « **ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر** » . ع ٢٢ . يبين الانجيلى يوحنا سبباً معيناً للاسراع فى فض هذا الاجتماع ، وهو أن الشعب إذ تأثروا جداً بمعجزة الأرغفة اعتزموا « أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا » يو٦ : ١٥ . ولكى يتفادى هذا الموقف صرف الجموع فى الحال ، وأبعد التلاميذ لئلا يشتركوا معهم ، وهونفسه « انصرف أيضا الى الجبل وحده » يو٦ : ١٥

عندما « جلسوا للأكل والشرب » لم يقوموا للعب (خر ٣٢ : ٦) بل انصرف كل إلى عمله .

١ ــ صرف يسوع الجموع « حتى **يصرف الجموع** » . وهنا تتضمن شيئا من الفطنة فى صرفهم ، فقد صرفهم مزودين بالبركة ، وببعض كلمات التحذير والارشاد والتعزية التى تبقى معهم .

٢ ــ ثم إنه « ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة » أولا ، لأن الشعب لم يكن ممكنا أن يتحرك إن لم ينصرف التلاميذ . ولقد تلكأ التلاميذ فى الانصراف ، ولم يكن ممكناً أن ينصرفوا إن لم يكن قد « ألزمهم » . لم يريدوا الذهاب إلى البحر بدونه . « إن لم يسر وجهك (معنا) فلا تصعدنا من ههنا » (خر٣٣ : ١٥) . ولم يريدوا أن يتركوه وحده دون وجود أحد معه لخدمته أو سفينة لانتظاره . ولكنهم انصرفوا إطاعة لأمره .

(ثانيا) اعتزال المسيح فى إثر ذلك ع ٢٣ « **وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى** » . لاحظ هنا :

١ ــ إنه كان « منفرداً » . لقد اعتزل فى موضع منعزل ، وهنالك بقى منفرداً . ورغم أنه كانت أمامه خدمات كثيرة يؤديها للآخرين إلا أنه اختار العزلة أحياناً ليقدم لنا مثلا نحتذيه . إن الذين لا يعنون بالعزلة ليسوا من أتباع المسيح ، ولا يعرفون كيف ينعمون فى العزلة عندما لا يجدون أحداً آخر يتحدثون اليه أو ينعمون به سوى الله وقلوبهم .

٢ ــ وكان منفرداً « ليصلى » . كانت الصلاة شغله الشاغل فى هذه العزلة . ومع أن المسيح كإله هو رب الكل ، والكل يصلون اليه ، إلا أنه كانسان « اخذ صورة عبد » كان يصلى . وهنا يقدم لنا المسيح مثلا للصلاة السرية وتأديتها سراً وفق القاعدة التى رسمها لنا (مت ٦ : ٦) . ولعله كان فى ذلك الجبل مكان خاص للعبادة السرية أو على الأقل مكان ممهد ، فقد كان من عادة اليهود أن تكون لديهم أمثال هذه الأمكنة . ولاحظ بأن التلاميذ عندما ذهبوا إلى البحر

ذهب معلمهم ليصلى . وعندما كان بطرس على وشك أن « يغربل كالحنطة » صلى المسيح لأجله .

٣ — ثم أنه ظل منفرداً مدة طويلة . « **ولما صار المساء كان هناك وحده** » و يبدو أنه ظل هناك حتى قبيل الصباح « **الهزيع الرابع** » . لقد أقبل الليل ، وكان ليلا عاصفاً ، ومع ذلك استمر يصلى .

(ملاحظة) حسن جداً ، على الأقل في بعض الأوقات ، أن نقضى وقتاً طويلا في الصلاة السرية ، ونعطى أنفسنا المجال المتسع « لسكب قلوبنا أمام الرب » ، وذلك في المناسبات الخاصة ، وعندما نجد في قلوبنا الرغبة المتأججة للصلاة . يجب أن لا نعطل الصلاة (أى ١٥ : ٤) (١)

(ثالثا) الحال التى كان فيها التلاميذ المساكين في ذلك الوقت . « **وأما السفينة فكانت قد صارت وسط البحر معذبة من الأمواج** » ع ٢٤ . وهنا نلاحظ :

١ — إنهم كانوا قد صاروا وسط البحر لما بدأت العواصف . قد يكون الجو صافيا في بدء رحلتنا ثم تهب علينا العواصف قبل الوصول إلى الميناء التى نقصدها . إذاً « فلا يفتخرن من يشد كمن يحل » ١ مل ٢٠ : ١١ بل ليتوقع العواصف الشديدة بعد الهدوء الطويل

٢ — كان التلاميذ وقتئذ حيث أرسلهم المسيح ومع ذلك لقوا تلك العاصفة . لو أنهم هربوا من وجه معلمهم ومن خدمتهم كما فعل يونان عندما اعترضته العاصفة لكان حالهم مروعاً جداً . ولكنهم كان لديهم أمر صريح من معلمهم للذهاب إلى البحر في ذلك الوقت ، ثم أنهم كانوا ذاهبين لمباشرة خدمتهم .

(ملاحظة) ليس جديداً على تلاميذ المسيح أن يلقوا العواصف في طريق خدمتهم ، وأن يرسلوا إلى البحر عندما يكون معلمهم قد سبق فرأى بعض العواصف . ولكن عليهم أن لا يظنوا بأن هذه قسوة منه ، فانهم لا يعلمون ما هو صانع الآن ولكنهم سيفهمون فيما بعد . إنه قصد بذلك اظهار ذاته بالنعمة العجيبة جداً لهم ولأجلهم .

---

(١) « أما أنت فتنافى المخافة وتناقض التقوى لدى الله » أو « وتنقض عبادة الله » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « وتعطل الصلاة أمام الله » حسب الترجمة الانكليزية .

٣ ــ وكان مثبطاً لعزائمهم أن لا يكون المسيح معهم وقتئذ كما كان معهم فى عاصفة سابقة . فمع أنه كان نائما فى المرة السابقة الا أنهم أيقظوه فى الحال ص ٨ : ٢٤ . أما الآن فانه ليس معهم على الاطلاق . وهكذا عود المسيح تلاميذه أولا على الصعوبات الأخف ثم الأشد ، وبذلك مرنهم تدريجيا على أن يعيشوا « بالإيمان لا بالعيان » .

٤ ــ ومع « **أن الريح كانت مضادة** » والأمواج تخبطهم فانهم لم يحاولوا الرجوع ثانية بل بذلوا كل ما فى وسعهم ليتقدموا إلى الأمام وذلك لأنهم كانوا قد تلقوا الأمر من معلمهم بالذهب « إلى العبر » .

(ملاحظة) إن كانت الصعوبات والشدائد تزعجنا أثناء تأدية واجبنا فانها يجب أن لا تثنينا عن تأديته ، بل يجب أن نتقدم إلى الأمام ونحن نجوز فى وسطها .

(رابعا) اقتراب المسيح منهم وهم فى هذه الحالة ع ٢٥ . وهنا نرى أدلة :

١ ــ على صلاحه فانه ذهب اليهم كشخص عالم بحالتهم ، ومهتم بهم اهتمام الوالد بأبنائه .

(ملاحظة) إن حاجة الكنيسة وشعب الله القصوى هى زيارة المسيح وظهوره لهم .

على أنه لم يأتهم إلا « فى الهزيع الرابع » أى حوالى الساعة الثالثة صباحاً التى يبدأ فيها الهزيع الرابع . كان ظهور الرب لاسرائيل فى البحر الأحمر « فى هزيع الصبح » خر ١٤ : ٢٤ وهكذا كان ظهوره لتلاميذه . إن « حافظ إسرائيل لا ينعس ولا ينام » ، وعند الاقتضاء « يسير فى الظلام » لاغاثة شعبه فى الوقت المناسب .

٢ ــ وعلى قدرته فانه « **مضى اليهم ماشياً على البحر** » هذا دليل على سلطان المسيح المطلق على كل المخلوقات ، فكلها تحت موطىء قدميه وتحت أمره . وهى تنسى طبيعتها وتغير صفاتها التى نقول إنها أساسية . ولا داعى لكى نتساءل كيف تم هذا ، أكان بتجمد سطح المياه ، فانه إن أراد الله « تجمدت اللجج فى قلب البحر » خر ١٥ : ٨ ، أو بإيقاف جاذبية جسمه الذى شع بالمجد وقت التجلى عندما أراد . وإنما يكفى القول إن هذه المعجزة دليل على قدرته الالهية لأن امتياز الله هو أنه « يمشى على أعالى البحر » أى ٩ : ٨ « ويمشى على أجنحة الريح » مز ١٠٤ : ٣ . وذاك الذى « جعل أعماق البحر طريقا لعبور المعذبين » أش ٥١ : ١٠ جعلها الآن طريقا لعبور الفادى نفسه الذى هو رب الكل يظهر واضعا رجله على البحر والأخرى على الأرض رؤ ١٠ : ٢ . ونفس القدرة التى جعلت الحديد يطفو ٢ مل ٦ : ٦ هى التى ظهرت الآن . « مالك أيها

البحر» لقد فعلت هذا «من قدام الرب» مز ١١٤ : ٥ و٧ . «فى البحر طريقك» مز ٧٧ : ١٩ .

(ملاحظة) يستطيع المسيح أن يتخذ أى طريق يشاء لانقاذ شعبه .

(خامسا) وهنا نرى وصفاً لما جرى بين المسيح وأحبائه المضطربين عند اقترابه منهم .

١ — بينه وبين كل التلاميذ . وهنا نرى :

(١) كيف ازدادت مخاوفهم ع ٢٦ «**فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال**» . و يظهر أن الاعتقاد بوجود وظهور الأشباح (أو الأرواح) كان يسود الجميع عدا الصدوقيين الذى سبق أن حذر المسيح تلاميذه من تعليمهم بهذا الصدد ، ومع ذلك فلا شك فى أن الكثيرين من هذه الأشباح المزعومة لم تكن إلا من صنع أوهام الناس ومخاوفهم . وهؤلاء التلاميذ قالوا «إنه خيال» فى الوقت الذى كان يجب أن يقولوا فيه «إنه الرب» ولا يمكن أن يكون سواه .

(ملاحظات) — (الأولى) قد يكون حتى ظهور الانقاذ واقترابه سبب اضطراب وحيرة شعب الله الذين قد يكونون أحيانا أكثر اضطرابا عندما يكونون أقل عرضة للخطر ، بل عندما يكونون أكثر تمتعا بنعمة الله ورحمته كما حدث مع موسى خر ٣ : ٦ و٧ . وتعزيات «روح التبنى» قد يسبقها مخاوف «روح العبودية» رو ٨ : ١٥ .

(الثانية) وظهور الروح أو توهم ظهورها ، لا يمكن إلا أن يسبب الاضطراب والفزع بسبب البعد الشاسع بيننا وبين عالم الأرواح ، والجهاد المتواصل الذى للأرواح الصالحة معنا والعداوة الشديدة التى للأرواح الشريرة معنا . أنظر أى ٤ : ١٤ و١٥ . وكلما ازدادت صلتنا بالله أبى الأرواح وازداد حرصنا على أن نحفظ أنفسنا فى محبته ازدادت مقدرتنا على مواجهة تلك المخاوف .

(الثالثة) ومخاوف واضطرابات الصالحين ناشئة من اخطائهم وإساءة فهمهم للمسيح وشخصه وصفاته وعمله . كلما ازددنا معرفة لاسمه ازددنا اتكالا عليه مز ٩ : ١٠ .

(الرابعة) إن أقل الأمور تسبب لنا الاضطراب أثناء العاصفة . وإن كانت هنالك «من خارج خصومات» فلا عجب إن كانت هنالك «من داخل مخاوف» ٢ كو ٧ : ٥ .

ولعل التلاميذ توهموا أن الذى أثار العاصفة روح شرير .

(ملاحظة) إن معظم الأخطار التى تنشأ عن الاضطرابات الخارجية متسببة عن مقدار ما تبعثه من الاضطرابات الداخلية .

(٢) كيف انتزعت هذه المخاوف ع ٢٧ . لقد هدأ نفوسهم فى الحال بأن أظهر لهم أخطاءهم . لما كانوا يصارعون الأمواج أبطأ بعض الوقت فى إنقاذهم ، ولكنه أسرع فى إغاثتهم لإنقاذهم من مخاوفهم لما ازداد الخطر. فانه فى الحال هدأ العاصفة بكلمته « **تشجعوا . أنا هو. لا تخافوا** »

[١] لقد صحح أخطاءهم بأن عرفهم بنفسه كما عرف يوسف إخوته بنفسه « أنا هو» . لم يذكر اسمه كما فعل مع بولس إذ قال له « أنا يسوع » . لأن بولس لم يكن يعرفه إلى ذلك الوقت ، أما هؤلاء التلاميذ فقد كان يكفى أن يقول لهم « أنا هو» فانهم كخرافه عرفوا صوته يو ١٠ : ٤ كمريم المجدلية يو ٢٠ : ١٦ . ولم تكن هنالك حاجة أن يسألوا : من أنت ياسيد ، « هل لنا أنت أو لأعدائنا » يش ٥ : ١٣ : فكانوا يستطيعون أن يقولوا مع العروس هذا هو « صوت حبيبى » نش ٢ : ٨ ، ٥ : ٢ لأن المؤمنين الحقيقيين يعرفونه بعلامة طيبة . وكان يكفي أن يبعث فى نفوسهم الطمأنينة ليعرفوا من ذا الذى قد رأوه .

(ملاحظة) إن المعرفة الحقيقية ، سيما معرفة المسيح ، تمهد الطريق للتعزية الحقيقية .

[٢] وشجعهم ضد مخاوفهم . « أنا هو» ولذلك : —

(أولا) « تشجعوا » انتزعوا من قلوبكم كل خوف واطمئنوا إن كان تلاميذ المسيح لا يتشجعون ولا يبتسمون وسط الزوبعة فالذنب ذنبهم لأن يسوع لا يريدهم إلا أن يكونوا متشجعين .

(ثانيا) « لا تخافوا » .

(أ) لا تخافوا منى إذ عرفتم الآن إنى أنا هو. يقيناً إنكم لا تخافون لأنكم تعرفون أننى لا أقصد بكم أى ضرر.

(ملاحظة) لا يمكن أن يكون المسيح سبب فزع واضطراب الذين يظهر ذاته لهم . وإذا ما عرفوه جيد المعرفة بطل الفزع .

(ب) لا تخافوا من العاصفة ، من الرياح والأمواج مهما اشتدت وهددت بالخطر. لا

تخافوها طالما كنت قريباً منكم . أنا هو الذى أهتم بكم ، ولا يمكن أن أقف قبالتكم وأراكم تهلكون .

(ملاحظة) لا شيء يزعج من يكون المسيح بقربهم ومن يثقون أنه هو لهم . وحتى الموت نفسه لا يزعجهم .

٢ — بينه و بين بطرس ع ٢٨ — ٣١ وهنا نلاحظ :

(١) شجاعة بطرس وتشجيع المسيح له على هذه الشجاعة .

[١] كانت جرأة من بطرس أن يتجاسر على الذهاب إلى المسيح « **على الماء** » ع ٢٨ . « **ياسيد . إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى اليك** » . كانت الشجاعة أعظم ما تميز به بطرس ، وهذه هى التى دفعته أكثر من غيره للتعبير عن محبته للمسيح ، مع أن الآخرين لم تقل محبتهم للمسيح عنه .

أولا — كان من دلائل محبة بطرس للمسيح أنه رغب فى الذهاب اليه . حينما رأى المسيح الذى لا شك فى أنه هو و باقى التلاميذ كانوا يتمنون أن يكون معهم أثناء الزوبعة اندفع نحوه . إنه لم يقل « مرنى أن أمشى على الماء » لرغبته فى المعجزة ذاتها ، بل « مرنى أن آتى اليك » لرغبته فى الوجود مع المسيح . دعنى آتى اليك بأية طريقة من الطرق .

(ملاحظة) إن المحبة الحقيقية تجتاز النيران والمياه لتندفع نحو المسيح إن دعيت لسلوك هذه المخاطر

كان المسيح ذاهباً اليهم لاغاثتهم وانقاذهم ، أما بطرس فقال « ياسيد مرنى أن آتى اليك »

(ملاحظة) إن كان المسيح يأتينا من باب الرحمة فعلينا أن نتقدم للقائه من باب الواجب . وهنا يجب أن نكون مستعدين لنركب المخاطر معه ولأجله . وعلى الذين يريدون التمتع بالمسيح كمخلص أن يذهبوا اليه بالايمان .

كان المسيح قد تغيب عنهم وقتاً ما ، وهنا يتبين سبب تغيبه ، وهو لكى يكون لقاء التلاميذ له وقت عودته لقاء حاراً إذ نكون العودة فى الوقت المناسب .

(ملاحظة) عندما يترك المسيح شعبه لحظة فانهم يرحبون بعودته من كل قلوبهم . وعندما

تجد النفوس الكريمة حبيبها أخيراً بعد بحث طويل فإنها تمسكه ولا ترخيه (نش ٣ : ٤)

ثانياً — وكان من دلائل يقظة بطرس وحذره وحرصه على مراعاة إرادة المسيح أنه لم يرغب في الذهاب اليه بدون ضمان . إنه لم يقل « إن كنت أنت هو فسآتى » بل « أن كنت أنت هو فمرنى أن آتى » .

(ملاحظة) يجب على أشجع الشجعان أن ينتظروا حتى يتلقوا الدعوة للمخاطرة ، وعلينا أن لا نتسرع فى الزج بأنفسنا وسط المخاطر. وإن لم تكن رغبتنا فى خدمة المسيح وتحمل الآلام من أجله مسترشدة بارادته ودعوته وأمره فإنها لا تفسر بالاستعداد بل بالعناد . وليس لنا أن نتوقع الآن أمثال هذا الضمان الخارق العادة الذى أعطى لبطرس ، بل علينا أن نسترشد بالقواعد العامة التى تتضمنها كلمة الله ، والتى عند تطبيقها على الحالات الخاصة نجد أن « الحكمة نافعة للانجاح ([١]) » (جا ١٠ : ١٠) مع بعض الاعلانات الإلهية .

ثالثاً — وكان من دلائل إيمان بطرس وثباته أنه تجاسر على المشى على الماء إذ أمره المسيح . فان كان قد ترك السفينة الآمنة وألقى بنفسه فى براثن الموت ، وإن كان قد هزأ بالأمواج التى فزع منها منذ وقت قصير، فان ذلك ينم عن اتكاله الوثيق على قدرة المسيح وكلمته . أية صعوبات أو اخطار تستطيع أن تقف أمام إيمان كهذا وغيرة كهذه ؟

[٢] وكان كرماً بل تنازلا من المسيح أن يوافقه على طلبه ع ٢٩ كان محتملا أن يحكم على هذا الاقتراح بالحماقة والتسرع ، بل بالكبرياء والخيلاء . أيتجاسر بطرس أن يفعل كما فعل معلمه ؟ على أن المسيح عرف أن الباعث لهذا الطلب لم يكن سوى المحبة الخالصة المتدفقة من نحوه ، ولذلك تكرم وقبلها .

(ملاحظة) يسر المسيح بكل مظهر من المظاهر التى تعبر عن محبة شعبه له ولو اختلطت بضعفات كثيرة ، ثم أنه يسمو بها الى اسمى ما يمكن .

أولا — لقد أمره بالمجىء اليه « **فقال تعال** » عندما طلب الفريسيون آية لم يرفض طلبهم فقط بل ونجهم لانهم طلبوا ذلك لتجربة المسيح . ولكن عندما طلب بطرس آية نالها لأنه طلبها

---

(١) أو « للارشاد » حسب الترجمة الانكليزية

بقصد وضع ثقته فى المسيح . إن دعوة الانجيل هى « تعال تعال إلى المسيح ، اجترىء على تسليم كل ما فى يدك الى المسيح ، واعهد اليه بحفظ حياتك . خاطر واذهب اليه وسط البحر العاصف والعالم المضطرب » .

ثانياً — وحمله لما ذهب اليه « **ومشى على الماء** » . إن شركتنا نحن المؤمنين الحقيقيين مع المسيح تمثل فى أنه « أحيانا مع المسيح وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماو يات » أف ٢ : ٥ و٦ ، وأننا صلبنا معه غل ٢ : ٢٠ . والآن يبدو لى أنها تمثل فى هذه الرواية بمشيهم معه على الماء . فاننا بقوة المسيح نرفع فوق مستوى العالم ، ونمكن من أن ندوس عليه ، ونحفظ من أن نغرق فيه ونبتلع فيه ، ونغلبه ١ يو ٥ : ٤ بالإيمان فى غلبة المسيح يو ١٦ : ٣٣ ونصلب عنه مع المسيح غل ٦ : ١٤ . تأمل فى حياة المغبوط بولس وهو يمشى على الماء مع يسوع ، و يعظم انتصاره به ، و يطأ على كل الأمواج المتلاطمة وهو يعتبرها غير قادرة أن تفصله عن محبة المسيح رو ٨ : ٣٥ الخ . وهكذا يصبح بحر العالم كبحر من زجاج ، متجمداً لكى يحمل المؤمنين وكل الغالبين ، يقفون عليه وهم يرتلون رؤ ١٥ : ٢ و٣

لقد مشى على الماء لا لمجرد التسلية واللهو والافتخار ، بل لكى يذهب الى يسوع ، وعندئذ حملته المياه بكيفية عجيبة .

(ملاحظة) عندما تلتصق نفوسنا به فإن يمينه تعضدنا . هذا ما اختبره داود مز ٦٣ : ٨ . لقد وعدنا بالمساعدات الخاصة فى سيرنا الروحى ، ويجب أن لا نتوقعها إلا فى هذا المجال . فحينما يحمل الله اسرائيل على أجنحة النسور يكون ذلك لكى يأتى بهم اليه خر ١٩ : ٤ . كذلك نحن لا نستطيع الذهاب الى يسوع إلا إن كنا محمولين بقوته . و بقوته نحن نصارع معه ، ونتبعه ، « ونسعى نحو الغرض » محفوظين بقوة الله ، التى يجب أن نعتمد عليها كبطرس حينما مشى على الماء . ثم أنه لا خوف من الغرق طالما كنا « محمولين على الأذرع الأبدية » .

(٢) وهنا نرى جبن بطرس ، وتوبيخ المسيح له من أجله ، واغاثته . لقد أمره المسيح بالذهاب اليه ليس فقط لكى يمشى على الماء فيعرف قوة المسيح ، بل أيضاً لكى يغرق فيعرف ضعفه هو . وكما أنه أراد تشجيع إيمانه هكذا أراد تحطيم ثقته فى نفسه وتخجيله منها . لاحظ هنا :

[١] خوف بطرس الشديد ع ٣٠ « **خاف** » . إن الايمان الشديد والشجاعة العظيمة قد يمتزجان بالخوف . فعلى الذين يستطيعون القول « أؤمن ياسيد » أن يقولوا « أعن عدم إيمانى » مر ٩ : ٢٤ لا « يطرح الخوف الى خارج » سوى « المحبة الكاملة » ١ يو ٤ : ١٨ . كثيراً ما يفشل الصالحون فى النعم التى اشتهروا بها والتى يكونون متمتعين بها وقت الفشل ، وذلك لكى يتضح

لهم انهم لم يبلغوا بعد . كان بطرس قوياً جداً فى البداءة ولكن قلبه خانه فيما بعد . إن طول مدة التجربة يكشف عن ضعف الايمان ، وهنا نرى :

أولا — سبب هذا الخوف « **رأى الريح شديدة** » . لما كان بطرس مثبتاً أنظاره فى المسيح وفى كلمته وقوته « مشى على الماء » باتزان . ولكنه إذ بدأ يفكر فى الخطر المحدق به و يلاحظ كيف رفعت المياه عجيجها ، عندئذ خاف .

(ملاحظة) إن التطلع الى الصعوبات بالعين الحسية أكثر من التطلع إلى وصايا الله ومواعيده بعين الايمان هو أساس كل مخاوفنا الزائدة عن الحد ، سواء فيما يتعلق بشئوننا الشخصية أو بالشئون العامة . كان ابرهيم قوياً فى الايمان لأنه « لم يعتبر جسده » رو ٤ : ١٩ لم يفكر فى الاستحالات الميئسة التى كانت تعترض الوعد ، بل ثبت نظره فى قوة الله ، ولذلك فإنه « على خلاف الرجاء آمن على الرجاء » رو ٤ : ١٨ . « لما رأى بطرس الريح شديدة » كان يجب أن يتذكر ما سبق أن رآه (مت ٨ : ٢٧) حينما أطاعت الرياح والبحر المسيح . ولكننا إن كنا « نخاف ... ونفزع دائما كل يوم » فذلك لأننا « ننسى الرب صانعنا » أش ٥١ : ١٢ و١٣

ثانياً — تأثير هذا الخوف . « **ابتدأ يغرق** » . لقد قوى على الماء لما كان الإيمان قوياً ، ولكنه « ابتدأ يغرق » لما ضعف الإيمان .

(ملاحظة) إن سبب غرق أرواحنا هو ضعف إيماننا . ونحن « بقوة الله محروسون » ١ بط ١ : ٥ . ولذلك فعندما تنحنى نفوسنا وتئن فى داخلنا فالعلاج الوحيد هو أن نترجى الله مز ٤٣ : ٥

الأرجح أن بطرس إذ نشأ صياداً كان يجيد العوم يو ٢١ : ٧ ولعله اتكل على ذلك جزئياً عندما طرح بنفسه فى البحر، فإن لم يستطع المشى على الماء استطاع العوم . على أن المسيح سمح بأن يبتدىء أن يغرق لكى يدرك أن نجاته لا تتوقف على أية مهارة من ناحيته بل على يمين المسيح وذراع قدسه (مز ٩٨ : ١) وكان من رحمة المسيح العظيمة نحوه عندما خار إيمانه أنه لم يتركه يغرق نهائياً « ويهبط فى الأعماق كحجر» خر ١٥ : ٥ بل أعطاه الفرصة ليصرخ قائلا « **يارب نجنى** » . وهكذا تكون عناية المسيح نحو المؤمنين الحقيقيين ، فإنهم مهما كانوا ضعفاء لا يمكن إلا أن يبدأوا فى الغرق . والإنسان لن يغرق نهائياً ، ولن يهلك نهائياً إلا عندما يكون فى جهنم . لما آمن بطرس استطاع أن يمشى على الماء ، وقد تمت معه ، كما تتم مع غيره ، تلك القاعدة الثابتة « حسب إيمانك ليكن لك » .

ثالثا — والعلاج الذى لجأ اليه فى محنته هو العلاج القديم المجرب المعتمد ، وهو الصلاة . فإنه صرخ قائلا « يارب نجنى » لاحظ هنا :

(١) كيفية صلاته . كانت صلاة حارة ملحة « صرخ » .

(ملاحظة) إذا ضعف الإيمان وجب أن تقوى الصلاة . لقد علمنا الرب يسوع المسيح ان « نقدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات » في وقت الشدة عب ٥ : ٧ . إن الشعور بالخطر يجعلنا نصرخ ، والشعور بالاعتماد على الله يجعلنا نصرخ اليه .

(٢) وكانت مادة صلاته سديدة ومتجهة نحو الغرض . فإنه « صرخ قائلا يارب نجني » . المسيح هو المنجي والمخلص العظيم ، وقد جاء لكي يخلص ، وعلى الذين يريدون النجاة والخلاص أن لا يأتوا اليه فقط بل أن يصرخوا اليه أيضا من أجل النجاة والخلاص . ونحن لن نصل إلى ذلك إلا حينما نجد أنفسنا قد ابتدأنا نغرق ، فالشعور بالحاجة يدفعنا اليه .

[٢] رحمة المسيح العظمى نحو بطرس في خوفه هذا . مع أن إيمان بطرس في جرأته الأولى كان ممتزجاً بشيء من الغطرسة ، ومع أن إيمانه في خوره الأخير كان ممتزجاً بشيء من الشك ، إلا أن المسيح لم يتخل عنه .

أولا — لأنه نجاه . إنه « استجابه بجبروت خلاص يمينه » مز ٢٠ : ٦ . إذ أنه « **في الحال مد يده وأمسك به** »

(ملاحظة) إن الوقت الذي ينقذنا فيه المسيح هو عندما نبتدىء بأن نغرق مز ١٨ : ٤ — ٧ . إنه يعيننا عندما تستد أمامنا كل الأبواب . ولا تزال يد المسيح ممتدة لكل المؤمنين لكي تحفظهم من الغرق . والذين قد اعترف بهم بأنهم خاصته وانتشلهم « كشعلة منتشلة من النار » زك ٣ : ٢ فإنه ينتشلهم من الماء أيضاً . وإن كان يبدو بأنه قد أخلى يده فليس ذلك حقيقياً لأن خرافه « لن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يده » يو ١٠ : ٢٨ . فلا تخف لأنه لن يتخلى عن خاصته . وإن انقاذنا من مخاوفنا (التي لولا نعمته لأبتلعتنا) تعزى الى ذراع قوته ونعمته مز ٣٤ : ٤

ثانياً — وبخه . إنه يوبخ و يؤنب من يحبهم و ينجيهم . « **ياقليل الإيمان لماذا شككت** »

(ملاحظات) — (١) قد يكون الايمان صادقاً ومع ذلك ضعيفاً . كان إيمان بطرس في البداية كحبة الخردل كافيا ليأتي به فوق المياه ، ولكن لأنه لم يكن كافياً ليحمله فوق المياه طويلا فقد قال له المسيح بأنه « قليل الإيمان » (٢) إن شكوكنا ومخاوفنا المثبطة لعزائمنا تعزى كلها إلى ضعف إيماننا ، فأنت إن كنت قليل الإيمان شككت . وعمل الإيمان هو اكتساح الشكوك ،

الشكوك الحسية ، فى يوم عاصف ، لكى يحفظ الرأس فوق المياه . وكلما ازداد الايمان قلت الشكوك (٣) إن ضعف إيماننا وتغلب شكوكنا يحزنان الرب يسوع المسيح . صحيح إنه لا يرفض ضعفاء الايمان ، ولكن صحيح أيضاً أنه لا يسر بالإيمان الضعيف سيما فى أقرب القريبين منه .

« لماذا شككت ؟ » ما الداعى لذلك ؟

(ملاحظة) إن شكوكنا ومخاوفنا سرعان ما تتبدد أمام السؤال الدقيق عن اسبابها . لأنه لدى التأمل فى كل الظروف يتبين أنه لا مبرر إطلاقاً لتلاميذ المسيح أن تخامرهم الشكوك ، حتى ولا فى اليوم العاصف ، لأنه متأهب دواما لنجدتهم .

(سادسا) تسكين العاصفة « **ولما دخلا السفينة سكنت الريح** » ع ٣٢ . لما دخل المسيح السفينة وصلوا فى الحال إلى الشاطىء . مشى المسيح على المياه حتى وصل السفينة ثم دخلها ، مع أنه كان ممكنا أن يمشى بنفس السهولة الى الشاطىء . ولكن حينما تكون الوسائل العادية ميسورة فلا مبرر لانتظار المعجزات . ومع أن المسيح ليس فى حاجة لأية وسيلة لإتمام عمله ولكنه يسر باستخدامها . ولاحظ بأن المسيح إذ دخل السفينة دخل معه بطرس . إن شركاء المسيح فى صبره شركاؤه فى ملكوته رؤ ١ : ٩ . والذين يمشون معه يملكون معه . والذين يتألمون معه ينتصرون معه .

« ولما دخلا السفينة سكنت الريح » لأنها أتمت عملها ، عمل الامتحان . إن من « جمع الريح فى حفنتيه وصر المياه فى ثوب » هو الذى « صعد إلى السموات ونزل » أم ٣٠ : ٤ وهو الذى يجعل « الريح العاصفة صانعة كلمته » مز ١٤٨ : ٨ . إذا دخل المسيح نفساً سكن الرياح والعواصف التى فيها ، وأمر بالسلام . متى رحبنا به هدأت كل العوامل الثائرة . والطريق للحصول على الهدوء هو أن نعرف بأنه هو الله ، وأنه هو « الرب معنا » .

(سابعا) الولاء الذى قدم للمسيح على أثر ذلك ع ٣٣ . « **والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله** » لقد تعلموا فائدتين من هذه المحنة ومن هذه النجاة :

١ — فقد كانت تلك فرصة لتثبيت إيمانهم فى المسيح وإقناعهم تماما بأنه قد « حل فيه ملء اللاهوت » ، لأنه لم يكن ممكناً لأحد أن يكثر الأرغفة إلا خالق العالم ، ولم يكن ممكناً لأحد أن يمشى على مياه البحر إلا مدبره . لذلك تمسكوا بهذا الدليل القوى واعترفوا بايمانهم « بالحقيقة أنت ابن الله » . كانوا قد عرفوا من قبل إنه هو « ابن الله » ، أما الآن فقد ازدادت معرفتهم بهذه

الحقيقة . بعد أن يصارع الايمان الشكوك قد يزداد نشاطا بعض الأحيان ، وبممارسته يزداد قوة . الآن أصبحوا يعرفون هذا « بالحقيقة » .

(ملاحظة) من النافع لنا أن « نعرف صحة (حقيقة) الكلام الذى علمنا به » لو ١ : ٤ . فحينما يرى الايمان كل شىء بوضوح ، و يستطيع القول « بالحقيقة » ، و يصل إلى اقتناع كلى ، عندئذ ينمو.

٢ ــ وانتهزوا الفرصة ليعطوه المجد اللائق باسمه . إنهم لم يعترفوا فقط بهذه الحقيقة العظمى بل تأثروا بها أيضا « وسجدوا له » .

(ملاحظة) إن أعلن المسيح لنا مجده وجب أن نرده له مز ٥٠ : ١٥ « أنقذك فتمجدنى » . وقد أفصحوا عن عبادتهم وولائهم للمسيح بهذا القول « بالحقيقة أنت ابن الله » .

(ملاحظة) يجب أن يكون موضوع عقيدتنا هو موضوع تسبيحنا . فالايمان يتضمن المبادىء الرئيسية للعبادة ، والعبادة هى ثمار الايمان الحقيقية . « يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن » والذى يؤمن بالله لابد أن يأتى عب ١١ : ٦ .

٣٤ ــ فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت ٣٥ ــ فعرفه رجال ذلك المكان فأرسلوا إلى جميع تلك الكورة المحيطة وأحضروا اليه جميع المرضى ٣٦ ــ وطلبوا اليه أن يلمسوا هدب ثوبه فقط . فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء .

وهنا نرى وصفا لبعض المعجزات بالجملة صنعها المسيح فى العبر فى **« أرض جنيسارت »** أينما ذهب المسيح صنع خيراً . كانت جنيسارت بقعة من الأرض واقعة بين بيت صيدا وكفرناحوم ، وإما أن تكون قد استمدت اسمها من « بحيرة جنيسارت » لو ٥ : ١ أو تكون البحيرة هى التى استمدت اسمها من تلك الناحية . ومعنى الاسم « وادى الأغصان » . لاحظ هنا :

(اولا) جرأة وإيمان **« رجال ذلك المكان »** . كان هؤلاء أشرف من الجرجاسيين جيرانهم الذين كانت تقع بلادهم على نفس البحيرة ، والذين طلبوا من المسيح « أن يذهب

عنهم » لأنهم أحسوا بأنهم ليسوا فى حاجة اليه ، أما أهل جنيسارت فقد رجوه أن يعينهم إذ أحسوا بأنهم فى حاجة اليه . عندما نعرف كيف ننتفع من المسيح فإنه يعتبر ذلك أعظم إكرام نقدمه له . وهنا يخبرنا الإنجيلى .

١ ــ كيف تقدم « رجال ذلك المكان » إلى المسيح : إنهم عرفوه . « فعرفه » الأرجح ان معجزة مشيه على المياه التى أذاعها من كانوا فى السفينة قد ساعدت على زيادة الترحيب به فى تلك الجهة . ولعل المسيح قصد بالمعجزة أمراً واحداً لأن له مقاصد سامية فى كل ما يفعل . لقد « عرفوا » هذه المعجزة والمعجزات الاخرى التى صنعها يسوع ، ولذلك تقاطروا إليه .

(ملاحظة) إن الذين يعرفون اسم المسيح يلجأون اليه . ولو ان الناس ازدادت معرفتهم بالمسيح لما هجروه كما يفعلون الآن . وعلى قدر ما يعرف تكون الثقة فيه .

« فعرفوه » أى عرفوا أنه موجود بينهم ، وأنه سوف لا يقضى بينهم إلا وقتا قصيراً .

(ملاحظة) إن معرفة اليوم الذى تتاح لنا فيه الفرصة هى خطوة طيبة نحو الانتفاع بها . كانت « دينونة العالم » إن المسيح « كان فى العالم ولم يعرفه العالم » يو ١ : ١٠ . وأورشليم لم تعرف لو ١٩ : ٤٢ على أنه كان هنالك قوم عرفوه عندما كان بينهم . خير لنا أن نعرف أن نبيا بيننا من أنه نعرف أن نبيا كان بيننا (حز ٢ : ٥) .

٢ ــ كيف أتوا بآخرين إلى المسيح بإعلان جيرانهم عن مجيء المسيح إلى تلك الناحية . « **فأرسلوا إلى جميع تلك الكورة المحيطة** » .

(ملاحظة) على الذين عرفوا المسيح أن يبذلوا كل ما فى وسعهم ليأتوا أيضا بغيرهم إلى معرفته . علينا أن لا نتناول الطعام الروحى وحدنا ، ففى المسيح ما يكفى الجميع ، أما الاحتكار فلا منفعة منه . وعندما تكون هنالك فرصة للحصول على الخير لنفوسنا فعلينا أن نأتى بأكبر عدد لمشاركتنا . فمن الممكن أن ينتفع بالفرص عدد أكبر مما نظن لو انهم وصلتهم الدعوة لانتهازها .

« ارسلوا إلى جميع تلك الكورة » لأنها كانت كورتهم ، ولأنهم أرادوا خيرها .

(ملاحظة) إننا لا نستطيع اظهار محبتنا لبلادنا أكثر من أن نعمل على زيادة انتشار معرفة المسيح فيها . والجوار فرصة لصنع الخير يجب انتهازها . فعلينا أن نبذل الجهد لتقريب جيراننا إلى المسيح ، على الأقل بقدوتنا

٣ ــ ماذا عملوا مع المسيح . لم يقصدوا أن يتعلموا منه فقط بل أن يشفوا مرضاهم .

« وأحضروا إليه جميع المرضى » . إن لم تدفعهم إلى المسيح محبتهم له ولتعاليمه فقد دفعتهم إليه محبتهم لأنفسهم . لو أننا طلبنا ما هو لأنفسنا حقاً ، ما هو لسلامنا وخيرنا ، لطلبنا ما هو للمسيح . فعلينا أن نكرمه ونرضيه بأن نأخذ منه نعمة و براً .

(ملاحظة) إن المسيح هو الشخص الوحيد الذى يجب أن نأتى بمرضانا إليه ، فلمن يذهبون سوى للطبيب الأعظم « شمس البر الذى فى أجنحته الشفاء » .

٤ ــ كيف قدموا اليه طلبهم . « **طلبوا اليه أن يلمسوا هدب ثوبه فقط** » ع ٣٦ . إنهم تقدموا إليه :

(١) بلجاجة شديدة : « طلبوا إليه » . حرى بنا أن نطلب من الله الشفاء طالما كان هو يطلب إلينا بواسطة خدامه لنقبل إليه لنشفى

(ملاحظة) إن أعظم البركات وأعمال الرحمة تنال من المسيح بالطلب والتوسل . « اسألوا تعطوا » .

(٢) بتواضع عظيم . لقد أتوا إليه شاعرين بالبون الشاسع بينهم و بينه ، وطالبين إليه بكل تواضع أن يعينهم . وإن رغبتهم فى مجرد لمس هدب ثوبه لدليل على أنهم حسبوا أنفسهم غير مستحقين أن يبالى بهم و ينطق بكلمة واحدة لشفائهم أو يلمسهم لمسة واحدة ، ولكنهم حسبوه فضلا عظيما منه إن سمح لهم بأن « يلمسوا هدب ثوبه » . فى الشرق يظهر القوم احترامهم لملوكهم وعظمائهم بتقبيل أكمام ثيابهم أو اهدابها .

(٣) بثقة شديدة فى قدرته المطلقة ، دون أن يخامرهم أقل شك فى أنهم سيشفون ولو بمجرد لمس هدب ثوبه ، وفى أنهم سينالون منه عطفا شديداً بمجرد الاقتراب منه . إنهم لم يتوقعوا أن « يردد يده فوق الموضع (أو الشخص) فيشفى » المرضى كما كان يتوقع نعمان السريانى الأبرص ٢ مل ٥ : ١١ ، ولكنهم كانوا واثقين أنه كانت تشع منه قوة شافية لابد أن تشفى كل من يقترب منه . فى تلك البلاد شفيت المرأة نازفة الدم بمجرد أن « مست هدب ثوبه » وامتدح إيمانها مت ٩ : ٢٠ ــ ٢٢ . ولعلهم لهذا السبب طلبوا نفس الطلب

(ملاحظة) إن اختبارات الآخرين فى اقترابهم من المسيح يجب أن توجهنا وتشجعنا على الاقتراب منه . وخليق بنا أن نستخدم نفس الوسائل والطرق التى انتفع بها من سبقونا

(ثانيا) نجاحهم فى طلبهم هذا الذى قدموه إلى المسيح . لم يطلبه نسل يعقوب هؤلاء

باطلا ، لأن « جميع الذين لمسوه نالوا الشفاء »

(ملاحظات) — (١) إن الشفاء الذى يمنحه المسيح شفاء كامل ، والذين يشفيهم يشفيهم إلى التمام . فكل أعماله كاملة غير منقوصة . وإن كانت أعمال الشفاء الروحى غير كاملة فى البداءة ولكن لا شك فى « أن الذى ابتدأ عملا صالحاً يكمله » فى ١ : ٦

(٢) وهنالك فى المسيح قوة شافية كافية لكل من يطلبونها منه مهما كثر عددهم . فإن ذلك الطيب الثمين الذى انسكب على رأسه « نزل إلى طرف ثيابه » مز ١٣٣ : ٢ . وأقل المؤسسات المسيحية — كهدب ثوبه — ينسكب عليها فيض نعمته ، فهو « قادر أن يخلص إلى التمام » .

(٣) والقوة الشافية التى فى المسيح مقدمة لخير كل الذين يلمسونه بايمان حى وثيق . المسيح فى السماء ، ولكن كلمته قريبة منا ، وهو نفسه فى تلك الكلمة . عندما يمتزج إيماننا بالكلمة ، ونطبقها على أنفسنا ، ونتكل عليها ، ونخضع لمؤثراتها وأوامرها ، فإننا عندئذ نلمس هدب ثوب المسيح . وإذ نلمس هدبه هكذا نشفى . هو يقدم إلينا الشفاء الروحى بهذه الشروط السهلة ، ولذلك يصح أن يقال عنه بحق إنه يشفى « مجانا » . ولذلك فإن كانت أرواحنا تموت من جروحها فليس ذلك بسبب طبيبنا ، ولا بسبب نقص فى حكمته أو إرادته ، بل السبب راجع كله إلينا . إنه يستطيع شفاءنا ، و يريد شفاءنا ، فإن لم نرد صار دمنا على رؤوسنا .

فهرس المجلد الاول

	صفحة
مقدمة المعرب	٧
مقدمة لانجيل متى	١١
الاصحاح الاول	١٤
الاصحاح الثانى	٣٠
الاصحاح الثالث	٥٥
الاصحاح الرابع	٨١
الاصحاح الخامس	١١٨
الاصحاح السادس	١٦٩
الاصحاح السابع	٢١٤
الاصحاح الثامن	٢٤٣
الاصحاح التاسع	٢٧٩
الاصحاح العاشر	٣١٦
الاصحاح الحادى عشر	٣٥٥
الاصحاح الثانى عشر	٣٩١
الاصحاح الثالث عشر	٤٢٧
الاصحاح الرابع عشر	٤٦٥

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩٨٦ / ٨٣

الترقيم الدولى ٧ ــ ٠٣٢ ــ ١٨٧ ــ ٩٧٧

طبع على مطابع شركة نزيكر ومن للطباعة
ت ٩٢٥٧٥٦ القاهرة

تفسير الكتاب المقدس

تفسير انجيل متى (جزءان)

تفسير انجيل مرقس

تفسير انجيل لوقا (جزءان)

تفسير انجيل يوحنا (جزءان)

تفسير رسالة فيلبى

تفسير رسالة روميه

تفسير رسالتى الرسول بولس إلى تيموثاوس

تفسير المزامير للقديس أغسطينوس

تفسير نشيد الإنشاد

تفسير سفر الجامعة

تفسير سفر نحميا

تفسير سفر استير

تفسير سفر عاموس

تفسير سفر نبوة يونان

تفسير سفر ميخا

تفسير سفر عوبديا

تفسير سفر أيوب (جزءان)

النار الممحصة (تفسير رسالة بطرس الأولى)

تفسير سفر هوشع



مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤(٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨(٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢(٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢(٢٠٢)